

المكتبة القبطية على الانترنت



كتاب

تأليف الكنيست القبطية

تأليف

إشمامس القمصين

○○○○○○

« الله في وسطها فان تزرع » (مز ٤٦ : ٥)
« وابواب الجحيم ان تقوى عليها » (مت ١٦ : ١٨)

.....

الطبعة الأولى سنة ١٩٢٤ م

﴿ مطبعة اليقظة بشارع الفيحالة عمرة ٤٨ بمصر ﴾

القرن الاول للميلاد

فجر المسيحية في مصر

القسم الاول

مجيء السيد المسيح الى مصر

ان الله تعالى اظهر غيظه في كثير من الاوقات على مصر فضربها مرة بالضربات العشر وبعد ذلك توعدنا على السنة انبيائه بانواع عقوبات شديدة غير انه سبحانه لم يشأ ان يفلق باب رحمته في وجوه المصريين فجهد لهم بركات عظيمة وبعينه وانبا بهم هوشع نبيه قائلاً « من مصر دعوت ابني » (هو ١١ : ١) ومع ان هذا القول كان اولاً اشارة الى اخراج شعب اسرائيل من مصر ولكنه صار اشارة رمزية الى السيد المسيح لما هرب من وجه هيرودس ملتجئاً الى مصر كما اشار الانجيلي متى (٢ : ١٥) وكان بقاء ذلك الشعب مدة في مصر رمزاً الى مكث المسيح هناك . الا ان الارض التي كانت لليهود ارض تهود وعبودية صارت لملك اليهود المولود جديداً ارض ماجاً وراحة

ان الله قد اراد ان يهرب ابنه الى مصر ليعطي المصريين عربون المصالحة العتيدة بعد ان انزل بهم الضربات العديدة . وكانت مصر ملجأ لاعظم رجال الله كابرهم ويعقوب ويوسف وارميا مرارا كثيرة . ولئن كانت قد ضربت باللعنة الا انها تقديست بوطن قدمى المسيح

ويقول البعض بان مجيء المخلص الى مصر كان تماماً لما جاء باش ١٩ : ١ حيث قيل « هو ذا الرب راكب على سحابة مريضة وقادم الى مصر فترتجف اوثان مصر من وجهه ويزوب قلب مصر داخلها » . وقد انبا الله في خاتمة ذلك الاصحاح برجوع المصريين اليه بقوله « ويضرب الرب مصر ضارباً فشافياً

فيرجمون الى الرب فيستجيب لهم ويشفيهم » (عد ٢٢) وقد تم هذا القول .
فقد كانت مصر مملكة مسيحية من القرن الثالث الى السابع ولم يزل فيها بعض
المسيحيين من ابناء الكنيسة القديمة الى الآن ونحن بنعمة الله منهم
ولا نعلم كم كان عمر السيد المسيح حين قدومه الى مصر وبعضهم يرتأي
انه كان ابن سنتين استناداً على أمر هيرودس بقتل الاطفال من ابن سنتين فما دون
حسب الزمان الذي تحققه عن الصبي من المجوس (مت ٢ : ١٦) ولكن الزمان
الذي تحققه من المجوس لا ينسب الى قوله ابن سنتين بل الى قوله « ما دون » لان
هيرودس امر بقتل الاطفال من ابن سنتين لمزيد الاحتراس على قتل المخلص كما
زاد على مدينة بيت لحم « كل نخومها » حتي لا ينجو المسيح بطريقة من الطرق



(العائلة المقدسة تهرب الى مصر)

ولكن الأرجح بل المعلوم لنا ان المسيح لم يكن عمره اذ ذاك يزيد عن الثلاثة
اشهر لان المسيح ولد سنة ٣٤٩ لبناء مدينة رومية حسب رأى افضل المحققين
وهيرودس كما دون يوسيفوس المؤرخ مات سنة ٣٥٠ لبناء رومية فتكون
المدة بين ولادة المسيح وموت هيرودس سنة واحدة ويكون المسيح قد هرب
الى مصر وسنه ثلاثة اشهر واستمر بها سبعة اشهر وفي نهايتها بلغه موت هيرودس

ولا يمكن ان يكون المخلص قد ذهب الى مصر قبل مرور ثلاثة أشهر على ميلاده أو عقب ولادته بقليل كما ذهب البعض بدليل عدم خوف يوسف البار والسيدة العذراء من الذهاب الى اورشليم وتقديم الراب علانية في الهيكل بعد مولده باربعين يوماً . ولو كان سجود المجوس وتخبيرهم لهيرودس على اثر ميلاده لقتله هيرودس ولم يجسرا ان يذهبا به الى الهيكل (راجع لوقا ٢ : ٢٢ و ٢٣ ولا ١٢ : ١) اما العائلة المقدسة فأتت من بيت لحم الى مصر عن طريق الصحراء باجتياز القنطرة . ولا نعلم ايضاً كيف تمكنت العائلة المقدسة من استحضار النفقة اللازمة للسفر والاقامة في مصر ولكن يفهم انه كان عندهم الذهب الذي اهداه المجوس اليهم . وان يوسف كان نجاراً ماهراً مجتهداً وكان يستطيع ان يدأب في صناعته لتقديم حاجات العائلة ويؤخذ من التواريخ الكنسية ان السيد جاء الى مصر مع والدته ويوسف النجار وسالومة عن طريق صحراء سيناء . ودخلوها من جهة الغربية (الجهة الواقعة بين بورسعيد والعريش) ومنها أتوا الى مدينة بسطة (١) فلم يقبلهم أهلها فنزلوا بظاهرها اياماً ثم ساروا منها الى مدينة سمندوم ومن هناك عبروا النيل الى إقليم الغربية واجتازوا غرباً بجبل النظرون بيرية شبهات (٢) فباركته أم النور . ثم ساروا الى مدينة الاشمونين (٣) ودخلوها وهم لا يعلمون لهم مأوى فاقاموا فيها أياماً . قال بعضهم : ظهرت على يد المخلص في الاشمونين آية وهي ان خمسة جمال زاحمتهم في مرورهم فصرخ فيهم المسيح فصاروا حجارة . ثم انهم ساروا من الاشمونين واقاموا بقرب قرية تسمى منليس اياماً ثم مضوا الى القوصية فطردتهم اهلها فمضوا الى قرية ميرة (الآن مير) غربي القوصية ومنها قصدوا جبل قسقام الكائن به دير السيدة العذراء الشهير بالحرق . وحينئذ مات هيرودس بالشام فظهر ملاك الرب ليوسف فعاد بمن معه من ميرة الى مصر ونزل في بايليون في المغارة الكائنة بدير القديس سرجيوس (ابو سرجه) بمصر القديمة ثم رحلت الأسرة المقدسة الى المطرية واغتسل افرادها هناك من عين ماء فتباركت وتقدست

(١) الآن تل قديم هو بقايا المدينة ويعرف بل بسطة بجوار الزقازيق (٢) سمي كذلك لوجود النظرون والبردي فيه بكثرة وشبهات كلمة قبطية معناها « ميزان القلوب » وهي مركبة من شي ميزان او كيل و (هيت) قلب . و سمي ايضاً اسقيط وبالقبطية (ايسكيطيس) ومعناه دارالنالك . ويطلق عليه ايضاً لقب وادي هيبس وهو شيخ قبيلة عربية نزلت وسكنت في ذلك الوادي (٣) بانقبطي اشمون الرمان كما يسميها العرب تماماً

من تلك الساعة . قيل ان العذراء قد غسلت من ذلك الماء ثياب المسيح وكانت قد
لتسخت وصبت غسلتها بتلك الاراضي فانبتت بلسانا وكان لذلك الوقت لا ينبت
البلسان الا بارض فلسطين فانقطع من هناك وبقي في هذا المكان كثر الماء
بالبر التي هناك حيث سال عليها الماء الذي غسلت منه العذراء . وبكثرة البلم
الموجودة الى اليوم يقال انها نبتت بقرب العين ومن دهنها كانوا يصنعون الميرون
المقدس ويكرسون الكنائس واوانبها

والحقيق من كل ذلك قدومه الى مدينة بايلون بالقرب من هليوبوليس (عين
شمس) وقال للقرخون ان الاسرى البابليين الذين أسرهم رمسيس الاكبر من
آسيا احتلوا قلعة (هاينين) على شاطئ النيل تجاه مدينة منف (١) وبنوا هناك
مدينة دعوها (البابليون) او بابل على اسم عاصمة بلادهم . وسبب قدوم
المخلص الى هذا المكان معلوم وهو انه كان فيه في ذلك الوقت هيكل مشهور
لليهود اسمه هيكل (يانوس) شبيه بهيكل اورشليم بني نحو سنة ١٦٠ ق . م
وكان حوله كثير من اليهود . وباعتبار أن المخلص أتى أولا لاجل اليهود ليرد
خراف بيت اسرائيل الضالة اختار مقره في مصر الموضع الذي يكثر فيه بنو جنسه
ولعل السبب ان يوسف كان له اقارب أو أصحاب ببايليون فسكن حيث كانوا
وقد روت التواريخ قصصا غريبة عما حدث حيث دخل المسيح الى مصر
اهمها ان أبويه لجأا به الى هيكل فيه أصنام للالهة فلما دخل يسوع سقطت
الأصنام كلها أمامه وهذا رمز الى فاعلية قوة ابن الله

ومن أهم آثار زيارة المسيح لمصر الباقية للآن (١) المغارة التي نزلت بها السيدة
العذراء مع ابنها وخطيبها وهي الآن بكنيسة ابي سرجة بمصر القديمة (٢) (٢) النبع
للموجود بقرب المطرية الى جنوبي أطلال عين شمس القديمة (٣) الشجرة المشهورة
باسم شجرة العذراء بالمطرية التي يعتقد فيها الوطنيون والاجانب انها

(١) هي الآن خربة وكانت قائمة خلف الجيزة

(٢) كنيسة ابي سرجة قيل انها بنيت في عهد الرسل وهي اقدم الكنائس المصرية اما الكنيسة
التي تملوها فطلب اذنا بينها من عهد العزيز والى موفى عهد الدولة الاموية اثناس كبير القبط حينئذ
فبنى بقصر الشمع الاسم يطلقه العرب على بابليون « كنيسة ابي سرجة وابي كير في اول القرن الثامن
لما شهدتا فيما بعد رمهما ابن السرور يوحنا بن يوسف المعروف بابن الابح كاتب سر الخليفة المستنصر
الفاطمي سنة ٧٨٩ ش

وهذه الحقائق ليست من معتقدات الكنيسة القبطية فقط بل يوجد عند الغربيين ما يؤيدها فيوجد - لليوم في المتحف البريطاني بلندن صورة معروفة بسنة الرب تمثل احتفالا كبيرا كان يقيمها المصريون لأهتهم حتى السنة الاولى للميلاد وكان ذلك شائعا في مصر شيوعا كبيرا وترتيبه ان يسير المغنون



(العائلة المقدسة من منظر لها في كنيسة بالمطرية)

فالضاربون على الاعواد وبينهم فتيات حسنات الوجوه والقوام يضربن بالطبول والدقوف ويتقدم هذا الموكب الآلهة ايزيس محمولة على أكف الشرف والتمخار حاملة ابنها هوروس على ركبتيها وحين مرور الآلهة يأتي الناس بمرضاهم على جانبي الطريق اعتقادا بنيلهم الشفاء

وفي وسط الصورة الممثلة لذلك يرى الناظر ركبا حقيرا قد انزوى جانبا ليفتح الطريق لموكب الآلهة المذكورة . وهذا الركب مؤلف من امرأة متواضعة فقيرة وطفلها راكبين حمرا أنهمكة التعب وخلفه رجل ريفي يسير راجلا وقد أضناه الكلال وطول الشقة

ومعلوم ان المصور قد اوضح الفرق بين الركبين في ظاهرهما وخافيهما لانه بينما ترى أن أبهة الأول قد بادت بانقراض عبادة الاصنام في مصر ودالت عظمة الملك بقي اسم الطفل ويبقى الى الابد في مصر وغيرها من الامصار أما مدة بقاء المسيح في مصر فالمحقق عندنا انه استمر سبعة أشهر لغاية موت هيرودوس اما اذا كان قد بقي بعد موت هيرودس بمصر فهذا لا نعلمه. والمقول في هذا الشأن كثير فبعضهم يظنون انه مكث سنتين وغيرهم اربعة وآخرون ستة والله اعلم فلننظر ونتعجب لأن مصر الوثنية حمت المسيح والارض المسكروهة منه صارت له ملجأ . ولا ريب ان مجيء السيد المسيح الى مصر كان فاتحة سعادة لهذه البلاد لان المكان الذي يتشرف بحلول ابن الله فيه يمتليء خيرا وبركة ولنعلم ان رحلة السيد المسيح الى مصر قد أعدت قلوب المصريين وهيأتها للاذعان لكلمة الله في القريب للبشارة على يد مارمرقس الانجيلي والرسول وقبول شريعة الكمال رسميا . ولا يبعد ان تكون الالسنة قد تناقلت آيات السيد المسيح المقدسة وعجائبه الخارقة للطبيعة خصوصا وان تجاور القطرين المصري والسوري وسهولة المواصلات التجارية بينهما مما يحملنا على الاعتقاد بان اخبار السيد المسيح كانت قد وصلت آذان المصريين وقوت فيهم قابلية الاستعداد للخلاص

وقد ذهب البعض الى ان الدين المسيحي دخل الثغر الاسكندري قبل ان يكرز به مرقس الرسول . اولا بداعي قرب المكان من بلاد فلسطين وقد كان يوجد فيه احياء لليهود وعلاقتهم متصلة دائما مع يهود بيت المقدس . وثانيا بدليل ان لوقا الانجيلي كتب انجيله الى احد اشراف الاسكندرية المدعو ثاوفيلس . ثالثا

لان بعض الذين آمنوا بواسطة كرازة بطرس يوم الخمسين كانوا من مصر (اع ٢: ١٠) وعلى كل حال فلم تقم للمسيحية قاعة ولم تعرف جيدا بمصر الا بعد ان وافق الرسول مرقس اليها . ومن ذلك الوقت اصبحت مصر ملكا لابن الله محمية من كل خطر برعايته فهو يكلاها بعينه التي لا تنام الى ما شاء الله ولا يتخلى عنها الى الابد . ولا بد ان ينجز مواعيده فتصبح مصر باسرها للرب

القسم الثاني

تاريخ البطرك

(١) مرقس الرسول (٢) انيانوس (٣) ميليرس (٤) كرزوثوس

(١) مار مرقس الرسول . ولد هذا القديس من ابوين يهوديين الاصل استوطنوا في بلدة تسمى (ايريا تولوس) باقاليم المدن الخمس الغربية (بنتابوليس) من شمالي قارة افريقيا (١) ويدعى ابوه ارسطوبولوس قيل انه ابن عم زوجة بطرس واخو توما الرسولين وقيل انه كان لاويا وكاهنا ولكن هذا لم يثبت وانه مريم كانت اخت برنابا الرسول كما هو واضح من (كو ٤ : ١٠) وكان ابواه على جانب عظيم من التقوى والورع متمسكين بشريعة آباؤهما واجدادهما . ويقال انها كانا من ذوى اليسار فسقطت عليهما بعض قبائل البدو الرحل ونهبت اموالهما وامتمتتها

[١] الخمس المدن الغربية واقعة في الجزء الشرقى من طرابلس الغرب المتاخمة الآن لمصر . وتسمى باليونانية بنتابوليس . وقد تأسست سنة ٦٣٠ ق م بواسطة جماعة التريان وهي « ١ » قيروان وهي الآن خربة وتبعد ١٥ كيلو مترا عن مرسى سون « ٢ » برنيقة والان بفي غازي على خليج سدره « ٣ » سوزوسا وكان اسمها ابولوني والآن اسمها مرسى سوزوسا « ٤ » درنه وكان اسمها ارسينو « ٥ » بطوليس وتسمى الآن طوليت بقرب اطلال برقة . ويذكرها ابن كبر المؤرخ القبطي في كتابه « السلم الكبير » هكذا « برقة ، تونس ، طرابلس ، القيروان افريقية »

حتى اصبحا معدمين واصابهما الفقر المدقم واضطرهما ذلك الى هجر المدينة فقصدا فلسطين موطن آبائهما واقاما زمانا بالقرب من اورشليم . وكان هذا الرحيل قبيل ولادة مار مرقس او بعد ولادته بقليل

نشأ مار مرقس في فلسطين مركز اعلان بشارة خلاص العالم . ويرجع انه آمن بالمسيح على يد بطرس الرسول لانه كان يدعو ابنه (١ بط ٥ : ١٣) ولما كان بطرس الرسول قريبا لمار مرقس كما سلف اقتدى هذا به على اثر ايمان ذلك بالخلص . وكان مار مرقس مماثلا لمار بطرس في الغيرة والحمية على مجد الرب وخلاص النفوس وكان اول ثمر تعب في خدمة فاديه جذب والده الى الايمان لانه كان يهودياً غير مؤمن بالمسيح وذلك انه بينما كان وابوه سائرين في طريقهما الى جهة الاردن اذ قابلهما اسد ولبوءة يزأران بصوت مخيف . فخالج قلب ابيه الخوف ولم يشأ حنوه الابوى الا ان يوعز اليه ان يلوذ بالفرار وينجو بنفسه مستعدا لتقديم ذاته الى الوحشين رغبة في خلاص ابنه . الا ان القديس طهان والده وهو موقن بان السيد المسيح سيخلصهما من هذه الضيقة . ثم رفع عينيه نحو السماء وصرخ بجرارة الى السيد المسيح قائلاً له « يا ابن الله الحى الذى تؤمن به ننجنا من هذه البلية وانقذنا من شر هذين الوحشين الكاسرين » وما لبث ان التفت حوله فوجد الاسدين وقد انطرحا على الارض لا حراك فيهما . فشكر الرب على هذه العناية وربح اياه الى جانب المسيح لانه عندما رأى فاعلية ايمان ابنه آمن بالخلص ومجد اسمه القدوس

ولما اختار السيد المسيح سبعين رسولا ليرسلهم امام وجهه الى كل موضع حيث كان هو مزمع ان يأتي انتخب بينهم مار مرقس وكان يلقب (بالثاوفوروس) اى حامل الاله . وكان لهذا الرسول اسمان فسمى « يوحنا » وهو اسمه اليهودى وسمى « مرقس » وهو اسمه اليونانى . وكان منزل والدته محط رحال التلاميذ ومقر اجتماعهم للعبادة وفيه كانوا يصلون لاجل خلاص الرسول بطرس من السجن ولما أطلق اثنى اليه (ا ع ١٢ : ١٢ و ٢٥) ويظن ان بيته كان معروفاً في زمن السيد المسيح ايضا . والبعض يقولون ان المخلص لما ارسل اثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا الى المدينة فيلاقيكما انسان حامل جرة ماء فاتبعاه (مر ١٤ : ١٤) كان يقصد مار مرقس . وقالوا انه هو الشاب الذى كان لابسا ازارا على عريه

ليلة موت المخلص ولما تبعه وامسكه الشبان ترك الازار وهرب منهم عريانا (مر ١٤ : ١٥) وقد رجحوا ذلك لانقراده بكتابة هذين الخبرين ولم يكتب حادثة الجرة الا لوقا ويظهر انه سمعها منه . وقال الانبا ساويرس المؤرخ اسقف الاشمونين « انه كان من جملة الخدام الذين استقوا الماء الذي صيره سيدنا خرا في عرس قانا الجليل » أه. وكان هذا الرسول أيضا يأوي التلاميذ في بيته في زمان آلام المسيح وبعد قيامته من الاموات حيث دخل عليهم والابواب مغلقة

وفي خدمة التبشير كان هذا الرسول رفيقا لبولس وبرنابا (اع ١٢ : ٢٥) ولكنه تركهما في برجة ورجع (اع ١٣ : ٢٥) ولما اراد برنابا أن يأخذه معهما في السفر الثاني للتبشير لم يستحسن بولس ذلك لانه تركهما في برجة في السفر الاول فاختلفا في امره وانتهى الامر بانفصالهما فأخذ برنابا مرقس معه الى قبرس سنة ٤٩ م وبعد هذا التاريخ بثلاث عشرة سنة اظهر بولس لاهل كولوسي رضاه عنه وتحقق امانه حيث قال لهم « ومرقس ابن اخت برنابا الذي اخذتم لاجله وصايا ان أتى اليكم فاقبلوه » (كو ٤ : ١٠) وفي هذه الآية اشارة الى عزم مرقس على الذهاب الى كولوسي وحده للكراسة . ويتضح من رسالة فليمون انه في ذلك الوقت كان شريكا للرسول بولس في اتعابه برومية (فل ٢٤) وكان مع تيموثاوس في افسس حين كتب بولس الى تيموثاوس رسالته الثانية بين سنة (٦٧ و ٦٨) ورغب ان يأتي به اليه بدليل قوله « خذ مرقس واحضره معك لانه نافع لي للخدمة » (تي ٤ : ١١)

اما علاقته بطرس الرسول فلم يرو عنها خبر صحيح الا ما كتبه هذا الرسول في رسالته الاولى بين سنة ٦٣ و ٦٧ م وهو قوله « تسلم عليكم التي في بابل المختارة ومرقس ابني » (١ بط ٥ : ١٣) وقد اختلف المفسرون في اى بابل يعنى الرسول . فقال قوم وهم الغربيون انه يقصد بابل رومية لكي يثبتوا ادعاءهم ان بطرس كان اسقفا على رومية ودليلاهم اطلاق صاحب الرؤيا لقب بابل على رومية (رؤ ١٤ : ٨) لانها كانت تشبه بابل القديمة في فسادها ولكن لا دليل على ان رومية كانت تعرف وقتئذ بهذا الاسم المجازي لان سفر الرؤيا كتب بعد موت الرسول بطرس بثلاثين سنة وقيل ايضا ان المشار اليها هي بابل اشور ولكنها كانت حينئذ قرية صغيرة ضاع مجدها السابق فليس هناك ما يلجىء بطرس الى الذهاب اليها

وجعلها مركزاً يكتب منه رسائله ولكن الصحيح انها كانت « بابيليون »
مصر القريبة من عين شمس لانها كانت في ذلك الوقت بلدة آهلة بالسكان فضلاً
عن انه كان فيها هيكل اليهود المشهور وعدد عظيم منهم وباعتبار ان بطرس
كان رسولا للختان لا سيما بين المتشككين لا بد له من تبشير يهود ذلك المكان .
ومما يزيد المسئلة ايضاحاً ذكره لمرقس الرسول عقب ذكره لبابل (عدد ١٣)
ومعلوم لنا أن مصر كانت مركزاً لمار مرقس فيكون بطرس في ذلك الحين مقياً
هنالك حيث كتب رسالته

اما الغرييون فيدعون بان مرقس ذهب الى رومية وهناك رسمه بطرس
اسقفا وارسله للتبشير في اكويلان من اصمال البندقية بايطاليا ولما رجع الى
رومية لم يجد الرسول بطرس فطلب اليه للاؤمنون ان يدون لهم اخبار السيد
المسيح كما سمعوها من فم الرسول بطرس فدون انجيله باللاتينية ولما حضر
الرسول بطرس الى رومية اطلع عليه وأعجب به وأمره ان يذهب الى مصر
سنة ٥٨ م فنقل انجيله الى اللغة اليونانية لينشره بين المصريين

والخلاط ظاهر في هذا الكلام لانه يتضح لمن يطالع العهد الجديد ان علاقة
مرقس كانت متصلة ببولس اكثر منها ببطرس . اما وجود بطرس ومرقس في
بابل مصر فسببه ان مرقس بعد ان بشر في انطاكية وقبرس ورومية واکويلا
وخدم هناك خدمات جليلة يعم افريقيا فجاء اولاً الى مسقط رأسه في الخمس
المدن قصداً في اجتذاب اهلها الى الايمان ومن ثم قصد الدير المصرية سنة ٥٥ م
لنشر بشارة الخلاص في انحاءها وهناك كتب انجيله في سنة ٦١ م . قال القديس
يوحنا فم الذهب « ان انجيل القديس مرقس قد كتب في مصر (١)

واتفق ان بطرس الرسول أتى مصر التبشير اليهود المتشككين فيها كما هي خدمته
فتقابل معه مرقس في مدينة بابيليون التي فيها حرر رسالته الاولى وذكر مرقس
لوجوده معه في ذلك الحين . وسبب تسميته بابنه ليس أنه كان خاضعاً له في
الكرازة بل هو انه عرف المسيح بواسطته كما ذكر آتفا راجع (١ كو ٤ : ١٥)
(١٦)

قالوا ان مرقس كتب انجيله بمناظرة بطرس وارشاده واستدلوا على ذلك

بأمري (١) لانه لا يستطيع ان يستقى هذه الاخبار الا من أحد الرسل الاثني عشر (٢) لان الانجيل خال من كل ما من شأنه ان يعود بالتمظيم على بطرس أما من جهة الامر الاول فان مرقس كما تعلم كان من السبعين تلميذا وكانت له علاقة بأغلب الرسل المقربين فلا شك انه اخذ هذه الاخبار عنهم كما أخذ عنهم لوقا أيضا فضلا عما هو معلوم من ان بيته كان مقراً لكثير من اعمال المسيح ورسله . واما عن الامر الثاني فلا يبعد ان بطرس حينما قابل مرقس بمصر اطلعه على انجيله فأشار عليه من باب التواضع ان يرفع منه كل ما يعود عليه بالتمجيد فأجابه مرقس الى طلبه لما رأى فيه من الصواب

جاء مرقس الى الديار المصرية في مدة او ثون قيصر في وقت كانت فيه مشحونة بالاهالي عامرة بالسكان يبلغ عدد من فيها من النفوس اثني عشر مليوناً وقيل بل عشرين مليوناً

واتخذ مار مرقس الاسكندرية مقراً لخدمته لانها كانت حينذاك تجمع اجناسا مختلفة من مصريين وحبش ونوبيين ويهود ويونانيين وغيرهم وكانت قسبة ولاية مصر ومركزا مهماً للتجارة ومكانا أهلاً بالعلم والعرفان وكانت تعتبر المدينة الثانية بعد رومية وكان فيها حيّان لليهود من خمسة احياء . وقبل ان يدخل الرسول المدينة صلى الى الله لكي يدرعه بالاسلحة الروحية اللازمة لمثل ذلك الجهاد الذي كان مزماً ان يدخل في ميدانه

ولما دخل المدينة جعل يطوف في جميع شوارعها ليفتقد احوالها حتى تقطع حداؤه وكان ذلك قائمة خير لاعماله المجيدة ودبرت العناية الالهية ان يعرج على اسكافي بالسوق يدعى « انيانوس » ليرتق له الحذاء . وبينما كان الاسكافي يشتغل اذ دخل المخراز في يده فأدماها ولشدة الألم صاح قائلاً « ايوس ثاؤس » الذي تأويله « الاله الواحد » وهذا دليل على تمسك المصريين بعبادة الاله الواحد من قديم الزمان . فسأله القديس كيف يعرف الله فلم يجر جواباً يؤيد ادراكه لما فاه به فطلب الرسول من اجله بحرارة وتقل على الارض واخذ جزءاً من الطين ووضع على الجرح وقال « بسم الآب والابن والروح القدس الى الابد ان تشفى يد هذا الانسان » فالتأم الجرح في الحال

ثم ابتدأ الرسول يكرز للاسكافي بشارة الخلاص وكانت كيفية شفائه جعلته يصغى جيداً لكل كلمة يقو لها الرسول ويخضع لها . ثم دعاها الى منزله فقبل الرسول هذه الدعوة بسرور وهناك في تلك الدار اعترف الرجل وأهل بيته بيسوع مخلص العالم . ومن ثم اخذت كلمة الله تنمو وتمتد بسرعة حتي انه في وقت وجيز تتلمذ للرسول كثيرون من المصريين رجالا ونساء فعمدهم . ولكي يرشدهم الى حقائق الخلاص العميمة كتب لهم انجيله المقدس باللغتين اليونانية والقبطية وفي ذلك الحين تقابل مع الرسول بطرس بينما كان يطوف البلاد وكان موضع المقابلة بايليون كما سبق معنا وكان ذلك بين سنة ٥٨ و ٦٢ م ولما رحل الرسول بطرس عن مصر رجع مار مرقس من الطواف الى مدينة الاسكندرية وكان المؤمنون قد كثروا فساء هذا كهنة المصريين واهل العلم بمدينة الاسكندرية ووقعت بين الفريقين مناظرات ومجادلات دينية اياما طويلا كان الظفر فيها لمرقس واصحابه فتأمر عليه الوثنيون فرسم انيانوس اسقفا للمؤمنين ومعه ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة وخرج من عندهم وحضر الى برقة او بالحري الى الخمس المدن الغربية واقام بها سنتين يبشر ويرسم كهنة

ويظهر انه في ذلك الحين طلبه الرسول بولس اليه لمهام تبشيرية بينما كان مأسوراً برومية أول مرة كما يتضح من (كو ٤ : ١٠) فلبى نداء بولس وذهب اليه في روميه حيث اشترك معه في اتعاب كثيرة كما يظهر من (فل ٢٤) فترى هنا ان مار مرقس الرسول قضى وقتا في تدبير ورعاية كنيسة رومية ولكن لا تحت اشراف بطرس بل بموجب طلب بولس وتحت ارشاده . ولا بد ان يكون كاروز الديار المصرية قد زابل رومية بعد ذلك وذهب لزيارة شريكه في العمل تيموثاوس بأفسس . ولما علم الرسول بولس ذلك ارسل لتيموثاوس رسالته الثانية بين سنة ٦٧ و ٦٨) يقول له « خذ مرقس واحضره معك لانه نافع لي للخدمة » (٢ تي ٤ : ١١) فانطلق مع تيموثاوس الى رومية ولم يتركها هذه المرة الا بعد استشهاد الرسولين بطرس وبولس بين سنتي ٦٥ و ٦٨ م ثم عاد الى الكنيسة الاسكندرية غرس يده وزرع يمينه ليفتقد احوالها ويتبين شؤونها

ولما قدم الاسكندرية للمرة الثانية ربما في اواخر سنة ٦٧ م أو اوائل سنة ٦٨ م وجد ان اعمارهم قد ازهرت والمسيحية آخذة في الازدياد المطرد حتى

ابتنى المؤمنون لهم كنيسة في موضع يسمى « بوكاليا » أى مرعى البقر (١) وقيل انه في ذلك الوقت انشأ مار مرقس المدرسة اللاهوتية وأقام يسطرس رئيساً عليها. ثم أخذ يجول في جميع الاماكن التى يوجد فيها المؤمنون مثبتاً ايمانهم على الاقدس وقد حدث في يوم ٢٩ برمودة (٢٦ ابريل) بينما كان المسيحيون يحتفلون بعيد الفصح والوثنيون بعيد الهمم سيرايبس أخذ الرسول مرقس يقبح عبادة المخلوق دون الخالق ونهى سامعيه عن هذا الضلال وارشدهم الى طريق النور والحق والحياة . وكان الوثنيون يبغضونه بغضا شديداً كلما رأوا نجاح عمله واتباع الوثنيين له . ولما سمعوا منه هذه الاقوال استنكروها للغاية وهاجوا في المدينة طالبين مرقس الرسول لتجديفه على آلهتهم فتربصوا له والقوا عليه الايدي وربطوا حبلا في عنقه وأخذوا يطوفون به في شوارع المدينة طول النهار ويجرونه فوق الصخور حتى تمزق لحمه وتهشمت عظامه وسال دمه البريء وهو محتمل اهانات شديدة وتحقيراً كثيراً حتى اتى الليل فطرحوه في السجن حيث ظهر له ملاك الرب في رؤيا وشدد عزيمته .

ولما اصبح النهار عاد الوثنيون الى تمثيلهم الفظيع به وهم بزأرون ويصيحون قائلين « جروا الثور الى بوكاليا » وكان الرسول في اثناء ذلك يسبح الله ويشكره حتى فارقت روحه الطاهرة جسده البار مستشهدا في ٣٠ برمودة سنة ٦٨ م . واراد جماعة الوثنيين بعد ذلك حرق جسده فاوقدوا النار واشعلوا جذوتها ولكن شأت ارادة الله ان توقفهم عند هذا الحد السيء فهبت ريح شديدة وأمطرت السماء غزيراً فاطفئت نيران ايديهم ولبثت نيران قلوبهم تلتهب غيظاً . وقد فر المسيحيون بجسد القديس ودفنوه بكنيسة بوكاليا . وقد حفظ في كنيسة الاسكندرية الى الجيل السادس او موفوريون القديس نفسه أو وشاحه الكنسى وجميع البطاركة الذين جلسوا على كرسى البطريركية بعده كان يلتزم كل منهم بعد انتخابه ان يضع في عنقه الوشاح المشار اليه

وقد اظهر الرب على ايدي الرسول اثناء اقامته بالبلاد المصرية آيات كثيرة

(١) كان مقرها شرق الاسكندرية على شاطئ البحر بالقرب من الوادي الذي كان يضم الاضحية والمقابر وقيل انها سميت كذلك لانها كانت حظيرة للثيران التى كان الوثنيون يقرّبونها لاصنامهم

وعجائب متعددة تأسس بواسطتها ملكوت الله وتأيد انجيله . وقيل في وصف الرسول انه كان معتدل القوام ابيض الشعر ناصعه يكال هامته كالتاج . انفه طويل ورفيع . وتقاطيع وجهه جميلة متناسبة . حواجه مائلة الى الجهة الداخلة مقوسة . لحيته طويلة وكثيفة والرأس صلعاء . واصطلاح ان يرسم بجانب صورة القديس صورة أسد رمزاً الى افتتاحه انجيله بالصراخ الاسدي صراخ يوحنا



(مار مرقس الرسول يكتب انجيله)

المعمدان في البرية حيث قال « انا هو الصوت الصارخ في البرية » وقيل ان ذلك من عمل اهالي البندقية الذين سرقوا جسده في القرن التاسع حيث كانت علامة وطنهم المميزة لهم شكل اسد ذي اجنحة . أما الكلام على بقايا جسده فسيذكر في حينه

٢ (٢) انيانوس هو البطريك الثاني من بطاركة الكرسي الاسكندري سيم اسقفا سنة ٦٢ م في شهر بشنس في مدة حكم وسبانيوس قيصر بيده مرقس وذلك حينما برح هذا الرسول الاسكندرية لأول مرة فأقامه لينوب عنه في تدبير الكنيسة مدة غيابه . وبعد انتهاء القديس جلس بعده على كرسي البطريكية وقد مر بنا كيفية اهتدائه للمسيح وعمب ذلك ترك جميع مهامه العالمية واشغاله الدنياوية واشتغل في خدمة حقل المسيح الجديد في مصر وحول بيته الى كنيسة قال ابن بطريق المؤرخ « ان مرقس الرسول صير مع حنانيا (انيانوس) اثني عشر قسيسا وأمرهم اذا مات البطريك ان يختاروا واحدا من الاثني عشر قسيسا ويضع الاحد عشر قسيسا ايديهم على رأسه ويصلحونه بطريكا ويباركونه ثم يختارون رجلا فاضلا ويصيرونه مكان ذلك القسيس ليكونوا اثني عشر ابدا فلم يزل القسوس بمدينة الاسكندرية بطاركة الاسكندرية من الاثني عشر قسيسا الى وقت الاكسندروس بطريك الاسكندرية الذين كان في مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر (نيقية الاول المسكوني) وانه منع من ان يصلح القسوس البطريك وان تقطع ذلك الرسم وامر ان لا يصلح البطاركة الا الاساقفة » اه

غير ان اغلب المؤرخين يتفقون مع الانبا ساويرس بأن الرسول مرقس رسم مع انيانوس فقط ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة جعلهم بخدونه ويثبتون الاخوة وقد شهد المؤرخون للبابا انيانوس بالصلاح والتقوى وقال عنه اوسايوس المؤرخ « انه كان محبوبا من الله مقبولا عنده » وقال آخر « كان قلبه ينظر قلب الله يعرف مشيئته ويتممها » اه

وفي عهد البابا انيانوس نجحت التعاليم المسيحية واتسع نطاقها وتمذهب بها الكثيرون من ارباب المناصب العالية والاكابر والاعيان وبعض رجال الدولة وكثر

المؤمنون فوسم منهم كهنة وخداما واقام اثنتين وعشرين سنة وتنيح في العشرين من شهر هاتور سنة ٨٤ م وقد تولى اثناء جلوسه على الكرسي سبعة قياصرة هم نيرون وجلبا واوثون وفيتيلIOS ووسباسيان وتيطس ودومتيان

(٣) ميايوس . وهو ثالث بطاركة الاسكندرية انتخب للبطريركية بعد وفاة البابا انيانوس في شهر كيهك سنة ٨٤ م وفي عهد دوميتيانوس قيصر باجماع آراء الشعب . وكان هذا البابا مشهوراً بالعفاف متصفاً بالتقوى والغيرة على رعية المسيح فاخذ يثبت الشعب في الايمان حتى نما عدده بمصر والحس المدن وافريقية وشرع المصريون يحترقون الاعتقاد بعبادة الاوثان ويتهافتون على الانضمام لحضرة المسيحية افواجا وسادت في ايامه السكينة وكانت الكنيسة متمتعة بالسلام الكلي

وقد روى بعض المؤرخين ان دوميتيانوس قيصر طرد البابا ميلIOS من الكرسي الاسكندري واقام عوضه غير ان هذه الرواية لم يبق دليل على صحتها ولم تداقلمها اقلام المؤرخين ورقد هذا البابا في اول توت سنة ٩٦ م

(٤) كرزونوس . البطريرك الرابع . وما علم الكهنة والاساقفة الذين كانوا يباشرون الخدمة في البلاد بان البطريرك تنيح حتى حزنوا واجتمعوا في مدينة الاسكندرية وتشاوروا مع الشعب المسيحي الذين فيها وطرحوا القرعة لكي يعرفوا من يستحق الجلوس على كرسي الاسكندرية فاتفق رأيهم بتأييد الله على انتخاب رجل فاضل اسمه كرزونوس قيل انه ممن عهدهم الرسول مرقس فرسم بطريركا في شهر بابيه سنة ٩٦ م في عهد تراجان قيصر وكان عفيفا متصفا بكل الصفات الصالحة فرعى كنيسته باجتهاد وامانة مدة عشرين سنة وستة اشهر وعشرة ايام

وقبض عليه واستشهد في الاضطهاد الذي اثاره تراجان قيصر . قيل ان سبب القبض عليه هو ان واليا رومانيا قال له « لماذا لا تشركون الهتنا بالهكم وتبتون على عبادته » فأجابه « لاننا لا نسجد لآخر » وكان استشهاده في ٢١ بقوونه سنة ١٠٦ م وقد خلا الكرسي بعده ثلاث سنوات نظرا لشدة الاضطهاد وعدم تمكن الشعب المسيحي من انتخاب خليفة له

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) اضطهاد الوثنيين (٢) اضطهاد تراجان

.....

(١) اضطهاد الوثنيين . في زمن ظهور الديانة المسيحية بمصر كان زمام الحكم فيها بيد المملكة الرومانية . ولم تكن الحكومة تعنى بالمسيحيين في مصر في القرن الاول لقلة عددهم غير ان اشرار الوثنيين كانوا يضايقونهم ويتعشرون بهم في الطرقات ويهجمون عليهم في مجتمعاتهم وراح ضحية تلك التعديات مار مرقس الرسول وفي يوم استشهاده تتبعوا الصاري وامعنوا في قتلهم والتنكيل بهم فملأوا بجثثهم اكثر الطرقات وكان ذلك اليوم يوما مشهودا

(٢) اضطهاد تراجان . وفي آخر هذا القرن نما عدد المسيحيين بالاسكندرية فامتد اليهم هيب اضطهاد القيصر تراجان الذي تولى سنة ٩٨ م واشتد عليهم واستشهد في ذلك الاضطهاد البابا كرزورنوس البطريرك الرابع وكان في بدء ظهور النصرانية ينظر اليها كشعبة يهودية خطيرة ولما اشتعلت ثورات اليهود على المملكة الرومانية اضطهدت الحكومة المسيحيين مع اليهود لظنها انهم قسم منهم فنال المؤمنون في الاسكندرية شدائد عظيمة



القسم الرابع

البرع

(١) كرنثيوس (٢) الغنوسطيون

.....

(١) كرنثيوس . هو يهودى المولد تعلم الفلسفة بالاسكندرية وبث ضلاله سنة ٧٣م وحاول فى حياة يوحنا الرسول ان ينشئ ديانة جديدة يؤلفها من تعاليم المسيح ومبادئه ومن تعاليم الكنوسسيين (١) واليهود . فأخذ من الكنوسسيين خرافات البليروما (اى العالم الاعلى) والايون (اى الاشخاص السماوية الخالدة بنو الارواح) ودميورج (اى خالق العالم الذى يختلف عن الاله الاعظم) ولكه اظهر مبادئه بصورة لا ينفرد منها اليهود فعلم ان الذى سن الشريعة لليهود هو خالق هذا العالم وهو ذو مناقب حميدة وصفات شريفة مكتسبه من الاله الحق غير ان هذه الفضائل لم تلبث حتى تدنس فاراد الله ان يلاشى سلطان مشرع اليهود بواسطة ايون مقدس يدعى المسيح . وكان رجل يهودى اسمه يسوع كامل وقلدوس وابن بالطبيعة ليوسف ومريم فهذا حل فيه المسيح بنزوله عليه بهيئة حمامة عند عماده من يوحنا بنهر الاردن . وحال اتحاد المسيح بيسوع قاوم هذا بشجاعة اله اليهود خالق العالم فخرض هذا عليه اليهود فقبضوا عليه ليصلبوه فلما رأى المسيح انهم قبضوا على يسوع طار الى السما وترك يسوع فصلب وحده ولهذا اوصى كرنثيوس اشياعه باحترام الاله الاعظم ابي المسيح وباحترام المسيح وأمرهم بعدم اعتبار مشرع اليهود ورفض مبادئه الناموس الموسوى واوصاهم بالسير على نظام المسيح معلما اياهم بانه سيعود ثانية ويتحد بالانسان يسوع

(١) الكنوسسيون هم قوم زعموا بانهم قادرين ان يردوا للبشر ما فقدوه من معرفة (اى كنوسس) الاله الاعظم ونادوا بانقلاب المملكة التى شيدها خالق العالم واصحابه وكان اول ظهورهم بعد موت الرسل

الذي حل فيه قبلا ويملك مع تابعيه على فلسطين الف سنة . ثم وعدم بقيامة اجسادهم وتمتعها بافراح سامية في ملكك المسيح الف سنة وبعد ذلك يدومون في حياة سعيدة في العالم السماوي

(٢) الغنوسطيون . ان الغنوسطية اى مذهب التوليد انشئت في فلسطين او في سورية عند ظهور الدين المسيحي . ولم يكن مذهب الغنوسطيين الا موقفا بين الدين المسيحي الجديد والاديان القديمة واقيم له في الاسكندرية مدرسة في اوائل القرن الثاني للميلاد واعتنقه بعض المصريين . الا ان الغنوسطية المصرية كانت تختلف عن الاسيوية فاعتقد المصريون ان المادة ابدية وحيوية ايضا واعتبروا غالبا المسيح مخلصنا انه شخصان الانسان يسوع وابن الله أو المسيح . فالمسيح الشخص الالهى زعموا انه دخل في يسوع الانسان حين اعتمد من يوحنا وتركه حين قبض عليه اليهود . ثم انهم نسبوا للمسيح جسدا حقيقيا لا وهميا مع انهم لم يتفقوا على ذلك . كما انهم وضعوا لاتباعهم شرائع تبيح بفساد اميال البشر . وظل علماء المسيحيين الافاضل يقاومون كل البدع التي كانت تنشأ من هذه الفلسفة مدة طويلة وانقضت آخر شيعه لاهل هذه الهرطقة في أواخر القرن السادس



القرن الثاني

القسم الاول

تاريخ البطرك

- (١) بريموس (٢) يسطس (٣) اومانيوس (٤) مريانوس (٥) كلاديانوس
(٦) اغريبنوس (٧) يوايانوس (٨) ديميريوس

(١) بريموس - البطريك الخامس . ولد بمدينة الاسكندرية وقيل انه ممن
عهدم الرسول مرقس . وقال عنه الانبا ساويرس المؤرخ انه كان عفيفاً كالملائكة
ويفعل افعالاً حسنة بنسك فاجمت كلمة المؤمنين على انتخابه بطريكاً . ولما
ارتقى الكرسي المرقسي في شهر ابيب سنة ١٠٩ م في عهد ادريانوس قيصر ازداد
تمسكاً بالفضائل وازداد اليها الاجتهاد المتواصل في سبيل تقدم المسيحية في عهده
ولهذا لم يكن يفتأ يقوم بنفسه بالوعظ والارشاد بدون كلل ولاجل هذه الغاية
كان يتخير الرجال الاكفاء ويقيمهم اساقفة وقسوساً ووعاظاً ليهدبوا الرعية
بالآداب المسيحية وقد اثبت يشتغل في توسيع نطاق الكنيسة ١٢ سنة وساعده
على تقدم العمل ان الكنيسة في ايامه كانت في سلام تام وطمانينة كاملة . وكانت
وفاته في ٣ مسرى سنة ١٢١ م

(٢) يسطس - البطريك السادس . وحالما توفي الاب بريموس وقع اختيار
الشعب على هذا الآب الفاضل الحكيم فرسم بطريكاً في شهر توت سنة ١٢١ م
في عهد ادريانوس وهو مولود بالاسكندرية ولما أسس الرسول مرقس المدرسة
اللاهوتية اقامه رئيساً عليها . فلبث يعلم في تلك المدرسة حتى اقيم بطريكاً فترك

وظيفته الاولى الى اومانيوس وأخذ هو يهتم بمسئولية وظيفته الجديدة فخدم فيها بكل امانة

وجعل اهم اغراضه تبشير الوثنيين وجذبهم الى المسيحية فنجح في عمله وتنصر منهم عدد عظيم . واستمر قائماً بوظيفته عشر سنين وعشرة أشهر وخمسة عشر يوماً وتنيح في ١٢ بؤونه سنة ١٣١ م

(٣) اوريانيوس - البطريرك السابع . وعقب البابا يعطس اومانيوس احد افاضل مسيحي الاسكندرية . وقع الاختيار عليه في شهر ابيب سنة ١٣١ في عهد ادريانوس لما كان معروفاً عنه من العفة والنزاهة لانه كان بتولا طاهراً . كان قبلاً مديراً للمدرسة اللاهوتية ومن اشهر اعماله في مدة البطريركية رسامة اساقفة للكراسة المرقسية فاقام منهم عدداً كبيراً ارسلهم الى كل جهات القطر المصري والنوبة والخمس مدن الغربية لنشر بشري الخلاص

وفي عهد هذا البابا البار اشدت الاضطهاد على المسيحيين فنال الشهادة كثيرون من الاقباط وأقام البابا اومانيوس على كرسي الاسكندرية ثلاث عشرة سنة برضى الله والشعب وتنيح في ٩ بابه سنة ١٤٤ م

(٤) مركيانوس - البطريرك الثامن . ارتقى السدة المرقسية في شهر هاتور سنة ١٤٤ م في عهد انطونيوس بيوس قيصر وهو مولود بالاسكندرية وكان مديراً للمدرسة اللاهوتية واستحق ان يرقى الى البطريركية لفضائله واخلاقه الحميدة وقد حقق آمال من انتخبوه فاخذ بعد تنصيبه ينهج على آثار اسلافه الافاضل وينسج على منوالهم في هداية النفوس وتهذيب الاخلاق رغم الاضطهاد الذي كان مشتداً على المسيحيين وقتئذ . ولبث في جهاده هذا مثابراً مدة تسع سنين وشهرين و٢٦ يوماً الى ان رقد بالرب في ٦ طوبه سنة ١٥٤ م

(٥) كلاديانوس - البطريرك التاسع . انتخبه شعب واساقفة الاسكندرية بطريركاً ورسم على الكرسي الرسولي في شهر امشير سنة ١٥٤ م في عهد انطونيوس بيوس وكان محبوباً من الجميع . وهو مولود بالاسكندرية وكان باراً حكماً . ولما قبض على زمام الرئاسة أخذ يتعهد الزرع الذي تركه له اسلافه وكانت اياه هادئة لم يحصل فيها للنصرانية ما يكدر صفوها . ولبث مواظباً على عمله مدة اربع عشرة

سنة وستة أشهر وثلاثة ايام وتوفى في ٩ أيب سنة ١٦٧ م

(٦) اغريغوريوس - البطريرك العاشر. ولد بالاسكندرية ورسم قسا بها وعرف بالصلاح والتقوى ونال رضا الشعب والاساقفة بعد وفاة سلفه فجلس على كرسية في شهر مسرى سنة ١٦٧ م في عهد مرقس اوريليوس قيصر وبدأ يرشد ويعلم حتى تقدم في عهده العمل الروحي وانتشرت كلمة الخلاص وزاد عدد المنضمين الى دين المسيح. وقضى على الكرسي اربع عشرة سنة وسبعة اشهر وتوفى في ٥ امشير سنة ١٧٨ م

(٧) يوليانوس - البطريرك الحادي عشر. ولد بالاسكندرية وقيل انه كان تلميذا بالمدرسة اللاهوتية تحت ادارة الفيلسوف القبطي بنتينوس ففاق اترابه في العلم وظهر عليهم بتقواه واستحق ان يرسم قساً. وبعد ذلك اختير بطريركا في شهر برمات ١٧٨ م في عهد مرقس اوريليوس وعقب رسامته اشتغل بوضع ميامر^(١) الاسلافه البطاركة تخليدا لذكورهم وقائده خلفائهم

وكان هذا البابا الفاضل متقربا من الهه حتى أعلن له قبيل وفاته عن الشخص الذي سيلحقه في البطريركية وذلك انه قد ظهر له ملاك الرب في احدى الليالي قائلا «ان من يأتيك غدا بمنقود عنب هو الذي يكون بعدك على الكرسي المرقسي» واتفق في ذلك الصباح ان رجلا كراما عاميا لا يدري القراءة ولا الكتابة من أصل قبطي مسيحي يدعى ديمتريوس بينما كان يشذب أشجاره عنبها على عنقود عنب في غير أوانه ففكر أن يهديه للبطريرك

وكان البابا يوليانوس حينئذ في اوقاته الاخيرة واجتمع حوله كبار الشعب وعظمائه يستفهمون منه عن مجدر به ان يكون خافيا له. فاخبرهم انه هو الذي يأتي اليها ويقدم عنقود عنب. فظنوا متحيرين ان البطريرك لا يعي ما يقول اذ لا يمكن ان يوجد عنب في الشتاء وبينما هم كذلك اذا بديمتريوس قد دخل وعنقود العنب بيده وقدمه للآب البطريرك فدهش الحاضرون وتناول البطريرك الهدية بسرور واعلمهم بخبر ظهور الملاك له واوصاهم بانتخاب من عينه روح الله فاطاعوا وصيته وفضلوا بحسب اشارته

(١) ميامر كلمة مريانية معناها هبة

وكانت مدة بطريركية البابا يوليانوس عشر سنين وتوفي في ٨ برمهات سنة ١٩٠ م وقال الانبا ساويرس في خاتمة ترجمة هذا البابا « ومن بعد هذا البطريرك لم يقم اسقف الاسكندرية فيها بل صار يخرج سرا ويوسم كهنة في كل مكان كمار مرقس الانجيلي » اهـ

(٨) ديسمبر ١٩٠١ - البطريرك الثاني عشر . ولما قيل لهذا البابا انه انتخب ليكون بطريركا توسل بضراعة ملتصقا ان يعفى من هذه المسؤولية الهائلة محتجا بعدم علمه وزواجه اذ كانت العادة ان البطريرك ينبغي ان يكون بتولا . فلم يلتفت الى طلبه وتمت رسامته رغما عنه في ١٨ برمهات سنة ١٩١ م في عهد كومودوس قيصر فلما رأى ذلك اخذ للرجال في اجهاد جميع قواه توصلا الى استدراك ما فاته من العلوم والمعارف ففتح الله عليه بشيء كثير من العلم والحكمة حتى أصبح في مقدمة علماء ذلك الزمان

روي انه استحضر لديه معاماً ليعامه فكان يجلس هو على الكرسي ويجلس المعلم تحت موطىء قدميه فلم يكن يفهم شيئا فذات ليلة ظهرت له السيدة العذراء وقدمت له دواة ملائمة ماء فشربها ولما أصبح الصباح طلب من معلمه أن يجلس على الكرسي ويجلس هو تحته ففتح الله ذهنه وصار يفقه كل ما يلقي عليه من المدرس حالاً

وكان هذا البابا على جانب عظيم من التقوى حتى انه لم يباشر زوجته مباشرة زواج البتة وقد حدث ان البعض تعمقوا عليه بسبب زواجه ولم يرق في نظرهم ان يكون البطريرك ذا زوجة كباقي الناس فعلم بهذا الامر وانتهز الفرصة في يوم الصلاة وبعد تأدية الخدمة الدينية استحضر زوجته ووضع في مئزرها بعض من حجر نار المبخرة ووضع كذلك في جيبه وطاف على هذه الحال هو وهي بين الشعب وامامهما نفر من الشمامسة ينشدون التراتيل الروحية حتى انتهوا من دورتهم دون ان يحدث للمئزر والجبية اى شيء من تأثير النار فاندحش المنتقدون واقتنعوا بواسطة ما شاهدوه بطهارته معاشرته لامراته وطلبوا منه الصفح والغفران . وقيل انه كان في مبدأ أمره ممتنماً عن الزواج فاجبره والده على الزواج من ابنة عمه وبعد اقترانه من امرأة صالحة كانت قد نذرت البتولية

وأجبرت على الزواج نظيره كاشفا بعضهما بما في عزمهما واتفقا على المباشرة معا
بطهارة تامة فمأشا كذلك ٤٨ سنة قيل وكان ملاك الله يظللها اثناء نومهما .
وبعد هذه الحادثة أمر زوجته بان تمش مع العذارى اللواتي نذرن العفة وانفردن
للمباداة

ولعظم تقوى هذا البابا كان مطاعا بالروح على اعمال الخطاة القبيحة .
فكان يكثر من توبيخهم وتبكيتهم وعند ما كان احدهم يتقدم الى تناول الاسرار
المقدسة وهو متعلق بأية خطية كان يمنعه من الاشتراك ويوضح له خطيته حتى
يخجل ويقر بذنبه ويتوب توبة حقيقية

ولبت مواظبا على عمله حتى شاخ وكبر فكان يحمل الى البيعة في محفة وهو
لا يفتر عن التعليم من الغداة الى الليل والاخيرة يتوافدون اليه للاستفادة من
تعاليمه والاستفهام منه عما اشكل عليهم ادراكه مع ان قواهم تكن تساعده على الفحص
في العاوم والكتب الاخرى . وكان بطريك الاسكندرية هو الاسقف الوحيد
في مصر لحد ذلك العهد فرأى هذا البطريرك انه من الضروري ان يعين
ثلاثة أساقفة آخرين للاقاليم البعيدة عن مركز البطريركية ليتمكنوا من رعاية
قطيع المؤمنين

وفي سنة ٢٠٢ م رقى هذا البابا العلامة اوريجانوس رئيسا للمدرسة
اللاهوتية خلفا لاكمندس الاسكندري . وفي سنة ٢٣١ م ساء البطريرك الظن
باوريجانوس ووقع بينهما نقور ادى البطريرك الى عقد مجمع حرم فيه اوريجانوس
ونقاه وعين مكانه ياروكلاس احد تلاميذ اوريجانوس

ويقول المؤرخون ان هذه هي الغلطة الوحيدة التي شط بها البابا ديمتريوس
عن سبيل الصواب وذلك لانهم يذكرون لاوريجانوس دفاعه المجيد عن المسيحية
وكان يجدر ببطريك تقى كهذا ان لا ينسى ماضى اوريجانوس الذي يدل على
غيرته وفضله لاجل غلطة صغيرة ارتكبها كما سيأتى بنا في ترجمة ذلك
العلامة

وفي ايام هذا البابا كان هياج بمدينة الاسكندرية وثار الاضطهاد على
المؤمنين فسطا لينوس والي مصر الروماني على البطريركية ونهب امتعتها وسلب

اواني الكنيسة وقبض على البطريك نفسه ونفاه الى اوسيم (١) حيث بقي فيها الى ان هدأت نيران الاضطهاد ولبث على الكرسي ٤٢ سنة ثم توفي في ١٢ بابه سنة ٢٣٢ م وله من العمر ١٠٥ سنة

.....

القسم الثاني

مناهب الكنيسة

(١) المدرسة اللاهوتية (٢) بنتينوس (٣) اكايمندس الاسكندري

(٤) اوريجانوس

.....

(١) المدرسة اللاهوتية - قيل ان مؤسسها هو مرقس الرسول سنة ٦٨ م وكانت تسمى المدرسة الكاتشيسس (اى تعليم قواعد الايمان بالسؤال والجواب) وكان الغرض من انشائها تعويد الديانة المسيحية لان الدين المسيحي لقي في الاسكندرية مصاعب لم يلق مثلها في غيرها وكان لا بد له من التغلب عليها . وسببها ان الشعب كان يكره دين اليهود الذى هو اساس المسيحية وكان علماء الموزيوم الذى كانت فى ايديهم ادارة الشعب اقل استعداداً لقبول تعاليم مصدرها كمصدر الدين المسيحي . فرأى المسيحيون فى الحال انه لا بد من اصلاح تعليمهم اصلاحاً خصوصياً فى مدينه خاصه بالفلاسفة والمحققين فانشأوا تلك المدرسة للذين كانوا يريدون ان يتضلعوا فى معرفة اصول الديانة وفى اواخر القرن الثاني انجاز بنتينوس احد الرواقين القدماء الى تلك المدرسة

(١) كانت هذه المدينة فى العصر المسيحي مركزاً دينياً مهماً بها اكثر من ٣٦٠ كنيسة وناك العرب بعد دخولهم الى مصر اضطلعوا شأنها حتى صارت فى اوائل القرن التاسع عشر بلدة صغيرة على مسيرة ساعتين لراكب من كوبري امبايه

التي كانت تناظر الموزيوم في العلوم الأدبية والدينية وجعل مديراً لها : ثم
اعتنق الفيلسوف اثناغورس الاثيني الدين الجديد واستلم ادارة مدرسة خلفه
فيها قوم اعظم منه . وفي عهد اكليندس واوريجانوس بلغت تلك المدرسة اسمى
درجات المجد وفاقت كل المدارس النصرانية التي انشئت في القرون الاولى للميلاد
فكان يدرس فيها فوق اللاهوت والفلسفة المنطق والطبيعة والرياضة والفلك
والموسيقى لان العلوم كانت لها ضربة لازب لوجودها في وسط ديانة يهودية
مستندة الى الفلسفة ومدارس يونانية او مصرية مستندة الى النظمات العمومية
وارتقة اريوس وهي دقيقة تميل اليها القلوب ومقاومين اشداء اقلقوا الكنيسة
في ازمانها الاولى وهم الغنوسطيون المشار اليهم آنفا

واعتنى علماء تلك المدرسة بان يعرضوا الدين المسيحي على الناس عرضاً
تعمقوا في البحث عنه وذلك ماسماه القديس اكليندس الاسكندري «الغنوسطية
الحقيقية» المضادة للغنوسطية الارتقية التي انتحلت هذا الاسم زوراً وبعد ان
عرضوا الايمان المسيحي على هذا المنوال ألفوا تآليف شتى لتفسير التوراة ونبذا
خصوصية في قواعد الاعتقاد والقانون الوجيز المكمل المنسوب الى القديس اثناسيوس
وكل الارتقات المشهورة ولاسيما ارتقات الالفين وسابيليوس واريوس
ونسطورس واوطيخا صادقت مقاومين اشداء في المدرسة المسيحية

هذه هي المدرسة اللاهوتية التي امتد فضلها الى كل الاصقاع وانتشر نورها
في كل مكان وكفاها فخراً ان تخرج منها فطاحل بابوات الاسكندرية وحماة
البيعة المقدسة . ومع انها اصبحت بمحن شديدة واضطهدت في ايام ساويرس
سيتيموس وديوكلتيانوس القيصرين الا انها رجعت الى رونقها بعد وفاة المضطهدين
ومن دلائل عظم شأنها ان منصب رئيسها لا هميته كان يلي المنصب البطريركي في
الرتبة وجل البطارقة انتخبوا من رؤسائها

وظلت زاهرة بالعلوم والمعارف ويفد اليها طلاب من كل أصقاع المسكونة
حتى قام رودن آخر رئيس تولاها ونقلها من مكانها الى بلدة سيد في اقليم بامفيليا
بدون سبب يدعو لذلك فاضربها هذا النقل ضرراً عظيماً وتناقص عدد طلابها .
ولما حدث ذلك الانشقاق المحزن الذي سببه جمع خلكيدون في اواسط القرن

الخامس اندكت معالم تلك المدرسة واصبحنا لانعرف عنها الا انها كانت مقر العلم ومقصد العلماء

واليك اسماء الذين تعاقبوا على كرسي رئاسة هذه المدرسة : —

(١) بطرس — اول من صار رئيساً على تلك المدرسة عينه مار مرقس الرسول وظل متواليا رئاستها في اواخر سني حياة الرسول وفي عهد البطاركة الاربعة الذين خلفوه وكان للبابا انيانوس البطريك الثاني عناية خاصة بتلك المدرسة وتعلم من مار مرقس كيف يهذبهم وكانوا جميعهم كما اخبرنا المؤرخون المسيحيون وفيلبيون اليهودي ايضا زاهدين في الدنيا لا يكثرثون بشيء من حطامها وانما كانوا يهتمون بالله فقط . ومن ثم كانوا جميعهم متحدين بمحبة صافية وفائزين بسلام الارواح السماوية ولم يكن بينهم فقير ولا غني لان الاغنياء منهم كانوا قد اعطوا اموالهم للفقراء لكي يفكر كل واحد فيما يجعل الانسان غنياً بالله . ولم يكونوا يتناولون ما كلاً سوى مرة واحدة كل يوم وذلك بعد غروب الشمس وبعضهم كانوا يصومون ثلاثة ايام أو خمسة من دون ان يأكلوا شيئاً . وكان ما كلاًهم الخبز ومشربهم الماء لا غير . وذلك كان للرجال والنساء على حد سوى

- | | |
|------|-----------------------------------|
| (٢) | اومانوس . في مدة بطريكية يسطس |
| (٣) | مركيانوس . في مدة بطريكية اومانوس |
| (٤) | بذتينوس |
| (٥) | اكلندس |
| (٦) | اوريجانوس |
| (٧) | ياروكلاس |
| (٨) | ديونوسيوس |
| (٩) | ثاوغست |
| (١٠) | بيروس (١) |
| (١١) | ارشلاوس |
- في بطريكية ثاوغست

(١) كان كامناً تقياً ورعاً اشتهر بالترهد والتسك وعرف بزلاقة الاسان وفصاحة المنطق حتى لقبه البابا بطرس البطريك السابع عشر « اوريجانوس الصغير » وقد تعلم له كثيرون اشتهرهم بهيائوس البيروتي . وحوالي سنة ٢٨٢م اشتهد بيروس على ما يظن في الاضطهاد الذي لحقته ابريان قيصر

(١٢) بطرس . في بطريركية ارشلاوس

(١٣) سيراييون (١)

(١٤) مقار السياسي في بطريركية اثناسيوس

(١٥) ديديموس الضرب

(١٦) رودن . في بطريركية كيرلس الاول

(٢) بنتينوس . ولد بالاسكندرية في اوائل القرن الثاني وهو من أصل

قبطي (٢) قيل انه كان قبل تنصره من فلاسفة الرواقيين (٣) والظاهر انه كان هو ومعاصره
الكلمندس الاسكندري تلميذين لاثنا عورس الفيلسوف (٤) وكانا كباقي مسيحي
مصر متضلعين في علوم القدماء وحكمتهم كتضلعهم في كل الحقائق والمبادئ
المسيحية

تولى بنتينوس رئاسة المدرسة اللاهوتية حوالي سنة ١٨١ م واستمر في
وظيفته حتى اتت رسالة من بلاد الهند الى البابا ديمتريوس البطريرك يلتمس
فيها اهلها ان يرسل اليهم عالماً تقياً يعلمهم الايمان نوقع اختيار البطريرك على

(١) كان عالماً متضلماً وكتاباً ماهراً وصديقاً وفياللبابا اثناسيوس الرسولي ولذلك ارسله مع
من ارسلهم الى القيصر قسطنطين الكبير .

(٢) يعيل بعض الغربيين الى القول بان اغلب علماء الكنيسة القبطية كانوا من اصل يوناني
ويكفيها في دفع افراء هؤلاء القوم الذين يحاولون تجريد الكنيسة القبطية من كل ميزة حتى من
عاماتها ماجاء في كتاب « برهان الكنيسة الشرقية » الذي طبعه تلاميذ مدرسة اليونان بمدينة
رومية سنة ١٧٠٢ م حيث قيل « انما ادعي الاباء الشرقيون يونانيين لانهم كتبوا تاليفهم
باللغة اليونانية » اه

(٣) الرواقية فلسفة قديمة تجددت قبل الميلاد بستين وقد قال اصحابها ان الخير الاعظم
في الفضيلة وغرضهم كان اتحاد الدين بالفلسفة وقد أقروا بوجود الله ولكنهم قالوا بانه حال في
كل شيء وبأنه توجد آلهة صفري اتفقت مع آلهة الديانة المقبولة عند الجمهور

(٤) هو من الاسكندرية ويسمى الفيلسوف الاثينوي كان مشغلاً بوظيفة عالية مهمة في
متحف تلك المدينة واعتبر من اساطين الديانة الوثنية . وكان كغيره من الفلاسفة الافلاطونيين
يكرهون الديانة المسيحية ورغبة في مقاومتها اجهد نفسه في درس تاليفها جيداً وواظب على ذلك
بهمة لا تعرف الملل فكانت النتيجة ان قوة تأثير الديانة المسيحية والحق المؤسسة عليه قد قلا فيه
فملاحنا فتغيرت افكاره وآمن بالمسيح سنة ١٧٦ م واصبح من اعظم انصار الديانة المسيحية واكبر
المدافعين عنها . ومما كتبه لهذا الغرض رسالة عنوانها « الى مرقس اوريليوس وكودس »
ويظن أن تاريخها بين سنتي ١٧٦ و ٢٧٧ م دافع فيها عن الزمائم التي كان اعداء المسيحية يوجهونها اليها

هذا العلامة وعرض عليه الامر فقبله بكل سرور وتخلي عن رئاسة المدرسه سنة ١٩٠ م بعد ان سلم مقاليدها الى زميله اكلندس حتى يعود اليها . ومن ثم توجه الى بلاد الهند واذاع فيها بشرى الخلاص . قيل انه وجد عند الهنود نسخة من انجيل متى باللغة العبرانية مكتوبة بخط الانجيلي نفسه وكانت موضوع اجلاطم واکرامهم فسألهم عن آتى بها اليهم فاجابوه انه الرسول برثولماوس . وبعد ان صرف في بلاد الهند مدة لا نعلم مقدارها رجع الى الاسكندرية واتى بهذه النسخة اليها

وفي ذلك الحين شعرت الكنيسة بضرورة الشروع في ترجمة حياة السيد المسيح الى اللغة المصرية فأخذ نبتينوس على عاتقه القيام بهذا العمل غير انه رأى ان اللغة الهيروغليفية لا تصلح لهذا العمل فاستعار لغة القبطية حروف اللغة اليونانية ولما كانت هذه لا تصلح للنطق ببعض مقاطع ولهجات أضاف عليها ستة حروف من الابجدية الهيروغليفية ومن ثم بدأ في العمل بمساعدة تلاميذه حتى أنجزه واستطاع ان يخرج الكتاب المقدس للمصريين بلغتهم ليتعلموه في بيوتهم وكنائسهم . ومن ذلك الحين اهملت الكتابة بالاقلام الهيروغليفية واعتاضت عنها الكتابة اليونانية

وعاش هذا الفيلسوف بعد ان تولى ادارة المدرسة اللاهوتية مرة ثانية مدة وجيزة ثم توفي سنة ١٩٠ م وقد ألف هذا العلامة تفاسير كثيرة على الاسفار الالهية حتى قال عنه تلميذه وخليفته انه كان موعبا من روح الكتاب . غير ان جميع كتاباته مفقودة

(٢) اكليمندرسى الاسكندرسي - هو تيطس فلافيون ذهب بعضهم الى انه ولد بالاسكندرية فنسب اليها . وقيل انه لقب بالاسكندري تمييزا له عن سميته اكليمندس الروماني . وقال آخرون انه ولد في اثينا نحو اواسط القرن الثاني ثم تفرغ منذ حداثته لدرس الفلسفة فتضلع في الفلسفتين الرواقية

والافلاطونية^(١) واذ لم يجد فيها ما كانت تصبو اليه نفسه سعى يطلب الحقيقة فزار بلاد اليونان واطاليا وآسيا الصغرى ومصر وخالط للعلمين النصراني فأثر فيه ما سمعه من القديس بنتينوس مدير المدرسة اللاهوتية فاهتدى الى النصرانية وصار من المساعدين لمعلمه في المدرسة واشتهر في معرفة الاسفار الالهية . ذهب بعضهم الى انه خلفه في ادارتها نحو سنة ١٩٠ م وبقيت ادارة مدرسة الاسكندرية منوطة به الى سنة ٢٠٢ م وفيها حدث الاضطهاد الذي قام به ساويرس قيصر فاضطره الامر الى الفرار الى فلسطين فزار اورشليم وانطاكية

وذكر في بعض الروايات انه كان في اورشليم سنة ٢١٠ و ٢١١ م لان اوسابيوس اسقف قيصرية (٣١٥ م) الملقب بابي التاريخ الكنسي ذكر في ذلك التاريخ انه كان حاملا رفيا من اسقف اورشليم الى كنيسة انطاكية وأقام أولا في اورشليم حيث وجد الاسكندر اسقفها مسجوناً ثم قصد مدينة انطاكية واجتمع باسكيلابيادس اسقفها ولم يعلم عنه شيء في السنين الاخيرة من حياته وقال الباحثون ان هذا القديس يمتاز بين آباء الكنيسة بتضلعه في الفلسفة اليونانية ومحبته لها وكان يعتبر الفلسفة عاملاً الهياً والفلاسفة انبياء الوثنية . وكانت تعاليمهم عنده تمهيدا لطريق المسيح بين الوثنيين كما كان ناموس موسى تمهيدا لها بين العبرانيين ولم يكن يثبت احدى المدارس الفلسفية ولا خطر له قصد منتسق لجهة اللاهوت المسيحي . وكل الجهد الذي بذله في التأليف بين الفلسفة والدين كان منحصر في تفاسير رمزية للكتاب المقدس وارااء يظهر لمن امعن فيها النظر انها جديرة ببعض اصحاب العلم الالهى اكثر مما هي حقيقية بمسيحي غير انه بمقابله بين الآراء المسيحية والآراء اليونانية حصل له نفوذ فيهم في عصره وساعد على انتشار الفلسفة المسيحية

وللقديس اكليميندس ثلاثة مصنفات لا تزال موجودة عنوان الاول « تحريض الامم » وفيه يحرضهم على الرجوع من عبادة الاوثان الى خدمة الاله الحق وكلمته . والثاني « المرشد » في ثلاثة اجزاء ومضمونه تثقيف المؤمنين

(١) تعلم هذه الفللفة بان العالم يسوسه اله مستقل قدير عاقل . وكان افلاطون يعلم الناس ما يجب ان يخافوه وما يجب ان يرجوه بعد الموت وتماليمه من جهة الارواح وانفس البشر عبارة عن خرافات محضة

الحديثين وتهذيبهم في معرفة الانجيل . والثالث « المتنوعات » في ثمانية مجلدات وهو يتضمن مقالات عديدة في مواضيع فلسفية وحقائق انجيليه وذكر بعض التعاليم الباطلة ودحضها غير ان المجد الثامن منه مفقود . ولنا منه رسالة عنوانها « من يخلص الاغنياء » مؤلفه على طريقة المقالة . وهناك ايضا اجزاء مؤلفات له مواضيعها « عيد الفصح . الصوم . النخيمه . القوانين الكنيسية . اغلاط المشهورين » . ومن مؤلفاته المفقودة كتاب « المقتطفات » في ثمانية اجزاء وهو يتضمن ملخص حوادث الكتاب المقدس . وقد اقتبس اوسابيوس شواهد كثيرة من هذا الكتاب وذكر رسالة اخرى لا كلندس عنوانها « الحث على الصبر » خاطب بها المعتمدين جديدا وكذلك تنسب اليه ترنيمة المخلص

غير ان كتابه في شرح الاسفار المقدسه بالاختصار يحتوي على اغلاط وحكايات منقولة عن الفلسفة الوثنيه وهرطقة الغنوسطيين . ولما كان اوسابيوس وايرينموس قد ذكرا الكتاب دون ان يذكر الاغلاط الفظيحه التي ذكرها فوتيوس كان يظن ان الاغلاط المذكورة قد ادخلها فيه الهراطقه بعد ذلك اذ كان من دأبهم ان يفسدوا تاكليف اشهر آباء الكنيسه

قال احد الكتاب « قلما ترى في تاكليف آباء الكنيسه القدماء اشياء الذ من الاشياء المشتملة عليها تاكليفه فان فيها حوادث كثيرة متعلقه بتاريخ العالم فضلا عن انها تحتوي على قطع كثيرة منقولة عن مؤلفين لم يبق لتاكليفهم اثر » واحسن طبعة من تاكليفه هي التي طبعها الاسقف بوتسر باللغة اليونانية واللغة اللاتينية

(٤) اوريجانوس - ولد هذا العلامة العظيم فريد عصره بمدينة الاسكندرية سنة ١٨٥ م من والدين مسيحيين تقيين وكان ابوه يدعى ليونيدس وله سبعة اولاد اكبرهم اوريجانوس قيل ان ابا اوريجانوس كان من معلمى الفصاحة قرباه باعظم اهتمام ولم يكتب بان يروضه في العلوم والقوى العقلية والرياضيه بل فقهه ايضا في الكتب المقدسه وكان يختبر ذكاهه فيأمره بان يحفظ كل يوم بعض آيات منها حتى حفظ اغلب نصوص الكتاب المقدس غيباً وكان ابوه يتمجب من بركات النعمة التي تشمله اكثر من حذاقة عقله فكان يدنو منه

وهو نائم ويكشف عن صدره ويقبله باحترام كأنه هيكل الروح القدس
ولما استكمل قواه وضعه في المدرسة اللاهوتية فتتلمذ للعلامة اكليميندس
وقرأ عليه الكتاب المقدس وتوسع في درس مؤلفات افلاطون والرواقين .
وحالا تحقق حسن ظن ابيه به فبرز اوريجانوس على جميع اترابه ونشأ وقلبه مفعم
بحب الدين والغيرة عليه وبه وجد وهيام الى نيل اكليل الشهادة حباً بالمسيح
حتى عرض نفسه مرات ليكون في عداد الشهداء

وفي سنة ٢٠٢ م لما أثار ساويرس قيصر الاضطهاد قبض على ليونيدس
واودع السجن دون ان يعلم أوريجانوس اذ كان خارج البيت وقت القبض عليه
ولما رجع في المساء وجد امه التعميسة واخوته غارقين في بحار الاحزان واذ علم
الخبر أعلن ميله ورغبته في اللحاق بابيه ليشارك معه في نوال اكليل الشهادة .
فتوسلت اليه امه بدموع غزيرة والتمست منه ان يبقى الى الصباح فأوى
اوريجانوس الى مضجعه بعد ان أخذت امه ثيابه واخفتها عنه فلم يتمكن في
الصباح من الخروج ولم تطلقه امه الا بعد ان تأكدت منه انه لا يتركها الا اذا
اضطر اضطرارا شديدا

واذ ضاق به الامر ارسل لابييه خطاب تعزية يشجعه فيه على احتمال الخطوب
ويطلب منه ان لا يشتغل بهم بقوله « حذار ان يغير العذاب رأيك في دعوانا
لا تهتم باولادك فان الله سبحانه وتعالى يعتني بنا » وقيل ان اوريجانوس كان
معتاداً ان يرسل امثال هذا الخطاب لتشجيع المؤمنين الذين كانوا واقعين تحت
طائلة عذاب الاضطهاد (١)

اما ليونيدس فقطعت رأسه سنة ٢٠٣ م وتبعاً لقوانين الاضطهاد حينئذ
ضمت املاكه الى الحكومة فباتت أرملته وأولاده في فقر مدقع واصبح
اوريجانوس مكلفاً بالقيام باودهم وكان عمره وقتئذ سبع عشرة سنة . ولم يكبد
يشعر بضيق الحال حتى سخرت له العناية الالهية امرأة غنية فاضلة كانت ملجأ

(١) قد جمع او-ايديس المؤرخ مجموعة تحتوي على أكثر من مائة مكتوب رقتها يد اوريجانوس
في مثل تلك الظروف الحرجة ولم يبق منها شيء إلا الآن بل ذهبت طاماً للنار التي احترقت المكاتب
في الاسكندرية وقلسطين . واوسايبوس هو أول من اعنى بكتابة تاريخ اوريجانوس آخذاً ببعضه عن
رسائله وبعضه عن تلامذته الذين بقوا أحياء الى أيام او-سايبوس في القرن الثالث

لكثيرين من المنكوبين في ابان الاضطهاد فرقت لحال اوريجانوس وأوته في بيتها ولبت عندها طول مدة الاضطهاد وهي تنفق على تعليمه في مدرسة اكليميندس . وكان في بيتها رجل هرطوقي تبنته اسمه بولس من انطاكية فأفرغ اوريجانوس قصارى جهده ليرده عن ضلاله فلم يقلع عنه ولما لم يطاوع اوريجانوس ويشترك معه في الصلاة ترك هذا دار المحسنة اليه

وخرج اوريجانوس من ذلك للأوى وهو عازم على الظهور امام العالم بمظهر الجندي الباسل ليدافع عن بيضة المسيحية وكان يزاول مهنة التعليم ليقوم بنفقة نفسه وفي اثناء ذلك كان يذمب يفتقد من كان باقياً من المسيحيين في السجون وطفق يعزيهم بكلمات روحية ويشجعهم على شرب كأس الموت بصبر . وكان يرافق الكثيرين منهم الى المحاكم وحتى الى منقع العذاب ويشدد عزائمهم على الثبات في الايمان تارة بالاشارات وتارة بالخطب البليغة ومراراً حتى عرض حياته للخطر وهو يباشر أفعال الغيرة هذه . فاشتهر بعمله هذا واستحق اعجاب الجميع ولا سيما البابا ديمتريوس الذي قر به اليه وأظهر له سروره من سعيه المبارك وزاد ابتهاجه به عند ما رآه فضلاً عن تعبه في تخفيف ويلات المتضايقين منكياً على الدرس ومواصلة المطالعة فشجعه على الاستمرار في جهاده المبرور

وكانت المدرسة اللاهوتية حينئذ مغلقة بسبب هروب أسانذتها من وجه الاضطهاد فجد البطريرك حتى جمع بعض الطلبة في تلك الاوقات المخيفة وكلف اوريجانوس بتعليمهم فشرع يعلم مبادئ الآداب اليونانية ثم تعاطى تفسير الدين المسيحي للموعظين . وكانت تصرف للتلاميذ مرتبات من الاموال المخصصة للفقراء .

ولم يكف اوريجانوس ينجح في عمله حتى قبض اكويل والي مصر بأمر كاركلا قيصر على خمسة من تلاميذه وبعد ان عذبوا عذاباً شديداً حكم عليهم بالموت المريع لانهم أبوا ان ينكروا ايمانهم . وكان بين الخمسة اثنان باسم ساويرس أحدهما حرق والآخر قطعت رأسه بعد ان عذب طويلاً . وهيرا كليدس وهرون قطعت رأسها ايضاً . أما الخامس وهو ياروكلاس فكان صديقاً حميماً لاوريجانوس فلم يتركه عند القبض عليه بل رافقه الى موضع الاعدام . ولما شاهد الجنود

يقربون من ياروكلاس تقدم اليه بشجاعة وقبله قبلة الوداع على مشهد من الجميع فاعتاظ منه الرعاع وهموا برجه ولكنه أسرع بالهروب ويظهر ان مطاردتهم له مكنت ياروكلاس من الفرار بطريقة ما وعاش حتى صار رئيساً للمدرسة اللاهوتية فبظريركاً للكراسة المرقسية . الا ان التعاليم في تلك المدرسة أبطل من ذلك الحين وطرده اوريجانوس من المدينة ولما سمح له بالرجوع استأنف التعليم

وبعد سنتين عينه البابا ديترىوس رئيساً رسمياً للمدرسة اللاهوتية وهو في الثامنة عشرة من عمره فتقاطر عليه الكثيرون للاستفادة من تعاليمه حتى ان الوثنيين ايضاً أخذوا بفصاحته فكانوا يقبلون اليه وأهدى كثيرين منهم الى الايمان حتى أوغرت عليه صدور الوثنيين وصاروا يعقتونه مقتاً شديداً رغماً عن احترامهم له بالنسبة لفضيلته . وكانوا يتمنون ان يتمكنوا من القبض عليه ليوردوه موارد الهلاك . ولما رأى البابا ديترىوس سخط الوثنيين على اوريجانوس يتزايد كل يوم اضطر ان يضع حوله حراساً أقوياء ليمنعوا الأذى عنه

قال اوسايبوس المؤرخ « ان عوامل الاضطهاد كانت تزداد ضده كل يوم وحنق القوم عليه أصبح شديداً حتى ان أهالي الاسكندرية عن بكرة أبيهم لم يستطيعوا احتمالهم ولا الصبر على انتقاله من منزل لآخر وجولائه في كل ناحية مرشداً ومشجعاً الجم الفقير الذين هداهم الى الايمان الصحيح » اه . وروى ايفانيوس ان رعاع الوثنيين أمسكوه يوماً بينما كان سائراً في الطريق وحملوه بضجيج شديد الى هيكل سيرايبوم الشاهق وحلقوا له رأسه ووضعوا عليها قلنسوة وألبسوه حلة بيضاء على طريقة كهنتهم رغماً عنه ومن ثم أخرجوه خارج الهيكل وأصعدوه على القمة الكبرى التي كانت في أعلى السلم وأعطوه سعف النخل وأمره بان يوزعه على عبدة الاوثان الذين كانوا مجتمعين حوله وهم يسخرون به ويصفقون له . فأسرع اوريجانوس ولوح بالأغصان ونثرها على للتجمهرين وهو يقول لهم بصوت عظيم « هلموا خذوا هذه الاغصان لكن ليس برس الاوثان بل باسم يسوع المسيح خالق الأنان » فصرخوا بأسنانهم عليه وهموا بقتله ولكن الرب أنقذه هذه المرة ايضاً من ايديهم

ويظهر ان انعكافه الزائد وسميه المتواصل لنوال أسمي درجة في العلم والفضيلة

قد جعله زاهداً في الحياة لدرجة متناهية فرفض جميع ما كان يقدم له جزاء لاتعابه وتقسى على جسده فكان يفتات فقط بما يدرأ عنه ألم الجوع ولا يشرب شيئاً من المشروبات وكان ينام على الارض دون فراش ويلبس ثوباً واحداً ويمشي دون حذاء . يصرف كل النهار في التعليم والاشغال المتعبة ويقضي اكثر الليل في الدرس والمطالعة . وفي تلك المدة تخلى عن مكتبته التي جمعها من مؤلفات الفلاسفة والتي كتبها بيده من مكتبة الاسكندرية لرجل وثني مقابل راتب يومي قدره اربع بارات (أي ثمانية مليات تقريباً) وحسب ذلك كافياً لسد حاجته . ولهذا لقبه المؤلفون القدماء بادمتيوس (الالماسي) لميله الى النسك ونشاطه الذي لا يخامره ملل . ومع هذه الصرامة التي عامل بها نفسه كان مجملاً بوداعة تسبي قلوب الجميع فرقة طباعه وحنافة عقله جعلتا كثيرين من الاسكندرية يلتفون حوله . ولما كان ينتصب للخطابة كان الرجال والنساء من كل رتبة يسارعون لسماع تعاليمه .

وكان اوريجانوس حريصاً على عفته وطهارة ذيله ويخشى ان يرشقه حساده وخصماؤه بنبال اغتيابهم . وكان يشعر بانه مضطر الى التردد على بيوت المؤمنين لتعليم العائلات اصول الدين ورأى كثيرات من التلميذات يتبعنه . وفيما كان سنة ١٠٦م يطالع في الاصحاح التاسع عشر في انجيل متى انتبه للآية الثانية عشر وأخذها على ظاهر معناها فخصى نفسه لسكي يمنع عنه التجربة ولم يكشف بامرہ الا البابا ديمتريوس . وبسبب كل هذا التقشف الزائد أصيب جسمه بالنعحول والضعف . قيل ان هذا ما كان يرومه اوريجانوس كي لا يكون أهلاً لنوال درجة الكهنوت

ولم يكتف اوريجانوس بما حصله من العلوم الكثيرة في المدرسة اللاهوتية فعكف على درس العلوم الطبيعية والأدبية في المدرسة الوثنية التي كان يديرها أمونيوس السقاص غير انه لما رأى نمو عدد تلاميذه تركها نظراً لعدم ملائمة تلك الدروس لما كتبه الوحي الالهي . غير انه لبث يطالع ما سطره الأقدمون من الاقوال المفيدة ولما عاب عليه البعض ذلك كتب يقول « لما كنت قد كرت نفسي لخدمة كلمة الخلاص وكان قد ذاع صيتي في الآفاق نظراً ابرائتي وفتداري

وكثيراً ما كنت معضداً للهرطقة وأهل البدع الذين يجيئون لزيارتي والبحث معي وكنت مرموقاً بجماعة من المغرمين بالعلوم اليونانية خصوصاً المتعمقة في الفلسفة — قصدت ان أخص افكار الهرطقة وأمتحن تأليف الفلاسفة الذين أحياناً ينطقون بحقائق مهمة وقد اتبعت في هذا خطوات بنيتينوس الذي أفاد الكثيرين قبل ان أوجد انا ولم تكن معارضة قاصرة على هذا الحد كما اني قفوت آثار هارا كلاس الذي كان عضواً في مجمع الاسكندرية وقد علمت انه واضب مدة خمس سنوات يحضر عند معلم الفلسفة قبل ان ابتدء انا في استيعاب هذه العلوم « اه .

فانكب اوريجانوس على درس الفلسفة على مذهب بيتاغورس وافلاطون ليستمع بذلك على رد مزاعم أهل البدع وعلى تفسير الكتاب ولهذا كان ايضاً صديقاً لامنيوس السقاص

وفي سنة ٢١١ م زار مدينة رومية فقبول فيها بكل اجلال كما يليق بعالم فاضل مثله وتقابل بزفرينوس اسقف تلك المدينة بعد فكتور . فثبت هناك في ما عزم عليه من عمل شيء يكون له نفع عظيم لعلماء النوراة . واذ صرف في الامر غايته لم ير بداً من ان يشرك معه في تدبير المدرسة اللاهوتية ياروكلاس أحد تلاميذه المتقدمين . ثم انصب على درس اللغة العبرانية فلم يلبث ان برع فيها وكان غرضه ان يستقصى معاني آيات الكتاب المقدس الحقيقية ليضع لها تفسيراً وافياً وليؤهل نفسه الى ترجمة الكتب المقدسة الى ست لغات وهو عمل يعد من اعظم الاعمال التي قام بها اوريجانوس في حياته ولو ان هذه الترجمة لم تنشر الا بعد وفاته بسنين قليلة

وكان صيته حينئذ قد قرع كل الاسماع ودوى في جميع الاماكن فتوافد عليه الكثيرون طلباً للاستفادة من معلوماته . وكان من أجل خدماته قيامه بثلاث رحلات الى بلاد العرب اولها كان بين سنة ٢١٢ و ٢١٣ م وسبب ذهابه هو ان حاكم بلاد العرب ارسل بعد هدوء الاضطهاد الى والي مصر وبطريك الاسكندرية يطلب منها ارسال الرجل المسيحي المسمى اوريجانوس بدون تأخير وذلك لكي يشرح له تعاليم الديانة المسيحية ويرشده الى طريق الخلاص . فترك

اوريجانوس في مكانه ياروكلاس وذهب لاتمام هذه المهمة ولم يستمر فيها طويلا لان البطريرك عين شخصاً اسمه بيرلوس اسقفاً على البصرة لهداية بلاد العرب .
والمرّة الثانية كانت ليحضر مجماً انعمد بسبب سقوط بيرلوس اسقف بصره المتقدم ذكره في الهرطقة فتمكن اوريجانوس من ارجاعه الى حضن الكنيسة . والثالثة كانت لدحض بدعة انتشرت هناك ومؤداها ان اللاهوت مات مع الناسوت وقام معه ثانية في وقت واحد

وفي سنة ٢١٢ م تعرف اوريجانوس برجل من ارباب الثروة والنفوذ يدعى امبروسيوس وكان تابعاً لضلال فالنتينوس فهدهاه اوريجانوس الى الايمان ونصار له صديقاً حميماً وتمكن بواسطته من توسيع دائرة تعليمه وجعل درس جميع الفلسفة المعروفة تمهيداً لدرس اللاهوت المسيحي . ولم يكتف امبروسيوس بمساعدته على التعليم بل حثه على وضع اكثر الكتب التي ألفها ونسخها على مصاريفه الخصوصية . فاشترى مؤلفات واستأجر سبعة نسخ وكان يلمي عليهم اوريجانوس متعاقبين (لا يلقنهم معاً كما توهم البعض) فنشر في الاسكندرية تفسيره لسفر التكوين والمزامير ومراثي ارميا والاقسام الخمسة الأولى من كتابه في انجيل يوحنا ورسالة في القيامة ورسالة عنوانها (ستروماتا أي مجموع فوائد) وتأليفه المعنون « بالمبادئ » وقد روى بعض الكتاب انه كتب بعد ذلك الى فايبيانوس اسقف رومية ان امبروسيوس نشر المؤلف الأخير خلافاً لارادته لان في ذلك الكتاب المذكور خاط المبادئ المسيحية بالفلسفة الافلاطونية فجعل لمضاديه في زمن نال سبيلا الى رجهه بتهمات قوية . ولكن أفضل المحققين يصرحون بان كتاب المبادئ كان خالياً من كل عيب بشهادة البابا اثناسيوس الرسولي الذي رفع شأن هذا الكتاب ودفع عنه كل تهمة وحكم بقصر نظر من يرون فيه ضلالاً ولقد أشار القديس اثناسيوس على من يطالع هذا الكتاب بأن يفرق بين آراء اوريجانوس وبين الآراء المناقضة التي اوردها ذلك العلامة لارد عليها (١) وقال العلامة ديديموس الضرير « ان كتاب المبادئ هو ارتوذكمي المبني والمعنى . أما الذين يرون فيه هرطقة فقاصرون عن ادراك مكنون أسرارهِ » (٢)

وفي سنة ٢١٥ م اشتد الاضطهاد في الاسكندرية في عهد كاركلا قيصر
فهرب اوريجانوس الى قيصرية في فلسطين حيث لقي فيها كل اعتبار واکرام .
ومع ان وظيفة الوعظ كانت حينئذ خاصة برجال الكهنوت ولم يكن اوريجانوس
قد نال رتبة كهنوتية مع توافر علمه وتقواه بسبب زهده في الرتب والوظائف الا
ان اسكندر اسقف اورشليم رفيقه في التلمذة وثيوسيتوس اسقف قيصرية طلبا
منه ان يشرح الاسفار المقدسة جهاراً لفائدة الجمهور بحضورها ولما سمعاه أطلقا
عليه لقب « سيد مفسري الكتاب المقدس » وكان ميليانوس اسقف قيصرية
الكبادوك ينتظر حضور اوريجانوس بفروغ صبر ولما استبطأه أسرع الى فلسطين
ليتلقي العلوم ممن كان يفتخر بان يدعو استاذه

فلما وصلت اخبار اوريجانوس الى مسامع البابا ديمتريوس اعترض على اولئك
الاساقفة لسماحهم لاوريجانوس بمزاولة مهنة خاصة بالكهنة فجأوبه الاساقفة
بما يدل على احترامهم له ودافعوا عن انفسهما بأنهما سارا على منوال السالف الصالح
الا ان البابا ديمتريوس لم يقتنع فارسل رسائل لأوريجانوس مع بعض الشمامسة
يأمره بعدم القيام بأية خدمة ويخبره بهدؤ الاضطهاد ليحضر ويمارس أعماله
فرجع اوريجانوس بسرعة الى الاسكندرية واستلم زمام أعماله

ولم يمض الا القليل بعد ذلك حتى أتيج لاوريجانوس زيارة العربية حيث
اجتمع بهيبوليتوس احد فلاسفة المسيحية وقتئذ وقد وضع هذا كتاباً عنوانه
(Philosophumena) نسب الجزء الاول منه الى اوريجانوس وسنة ٢١٩ م
استدعته ماميا أم الملك اسكندر محب المسيحيين الى انطاكية لتسمع وعظه
واستمر مدة كان فيها موضوع الاجلال والاکرام . وكان لمعارفه وآدابه تأثير
عظيم وبسببه خف الاضطهاد الذي كان واقفاً على المسيحيين او انشد

وفي سنة ٢٢٨ م ارسله البابا ديمتريوس الى اخائيه ببلاد اليونان ليقاوم
الهرطقة الذين اقلقوا راحة الكنيسة هناك فزار في طريقه فلسطين وكان في كل
مدينة او قرية نزلها يدعى الى الوعظ في الكنائس ولما مر بفلسطين عند رجوعه
خاطبه اسقفها ثوسيستوس بالاشتراك مع اسكندر اسقف اورشليم بانه لايجوز
باستاذ الكهنة والاساقفة ان يكون مجرداً من كل رتب الكهنوت . ويظهر

ان اوريجانوس كان بسيط القلب فاقتنع بكلامهما وارتضى ان يقبل منهما درجة القسوسية وهو في السنة الثالثة والأربعين من العمر غير ان ديمتريوس البابا الاسكندري اعتبر هذه السيامة تعدياً على حقوقه . ومن ذلك الحين بدأ سوء التفاهم يجد مكاناً بين اوريجانوس والبطيريك الذي اقام الحججة على ذينك الاسقفين لرسامتهما شخصاً خاضعاً له فجاوباه بان احترامهما لمركزه عظيم . قال اورنيموس « ان الحسد هو الذي حمل ديمتريوس على هذا كله » غير انه لم يأت ببرهان على صحة ذلك والحقيقة كما يرويها المدققون ان البطيريك الاسكندري امتنع عن ترقية اوريجانوس لدرجة كهنوتية لسببين اولهما لانه خصى نفسه الأمر الذي اخفاه اوريجانوس عن اسقفي فلسطين واورشليم . ثانيهما نحول جسمه وضعفه وقد قلنا ان اوريجانوس كان يسمى وراء الخطاط القوى ليكون حائلاً بينه وبين الرتب الكهنوتية التي كان راغباً عنها كأغلب اتقياء العصور الأولى

ولما رجع اوريجانوس الى الاسكندرية بعد رسامته رأى البطيريك حاقداً عليه ووجد مركزه قد سقط فحصل بينه وبين البطيريك نزاع عقد بسببه هذا مجعاً بالاسكندرية سنة ٢٣١ م حكم فيه بنفي اوريجانوس وبجرحه لانه رسم من اسقفين غير تابعين للكراسة المرقسية ولأنه خصى نفسه الامر الذي بالغ اوريجانوس في كتمانها وساعده البطيريك على ذلك ولكنه اضطر الى اشهاره رغماً عنه ثم أرسل خطابات الى جميع الكنائس يعلمها بحكمه على اوريجانوس أما اوريجانوس فمع كونه عرف ان هذا الحكم في غاية القساوة الا انه تدارك الامر بحكمته ولم يشأ ان يمكث في الاسكندرية ليوسع هذا الخلاف بل تركها تركاً لا رجوع بعده . وكان قد اكمل القسم الخامس من كتابه في انجيل القديس يوحنا ففرع الي قيصرية . وفي تلك الاثناء عقد مجمع آخر في الاسكندرية وفحص كتاب « المبادئ » وحكم بانه هرطوقي وحرّم مؤلفه

ولما وصل اوريجانوس الى فلسطين استقبل فيها استقبال القائد المنتصر فاستاء البابا ديمتريوس من كثرة تعدي اساقفة تلك الجهة على حقوقه . ولحق باوريجانوس امبروسيوس وعائلته وتبعه كثيرون من طلاب العلم ولهذا عزم على فتح مدرسة

في قيصرية فلسطين يعلم فيها تفسير الكتاب المقدس وكل في تلك المدينة المذكورة
تفسيره لانجيل يوحنا

وقد كتب حينئذ عما كان يجول بصدوره قائلاً « وحدث بعد هذه الامور
ان الله اخرجني من ارض مصر بيت العبودية كما خلص شعبه منها قديماً . ثم قام
عدوي (يعني البطريك) وأقام في وجهي حرباً عواناً بواسطة مكاتيبه التافهة
التي تغاير مبادئ الانجيل تماماً وحرك ضدي ريحاً صرصراً فرأيت من الصواب
ان أقوم جهد استطاعتي مدافعاً عن المبدأ المهم الذي اختطيته لنفسي وسرت
عليه وهو الافادة والاستفادة وكنت اخشى من ان هذه المباحكات العقيمة يستفحل
شرها فتثير نائرة النفس الأمارة فتضعف الذاكرة حينئذ واعجز عن اتمام شرح
الكتاب المقدس الذي بدأت به قبل ان ينطمس ذهني خصوصاً وان ابتعادي عن
النساخ الذين كانوا يكتبون الخط المختزل منعي من تملية ما يخطر على بالي من
الافكار . اما الآن وقد بعدت عن كل عوامل التأثير وقدر الله جل وعلا ان
تخيب تلك السهام النارية التي صوبت نحوي وتذهب في الهواء ألقت نفسي
حينئذ وقوع الملمات التي كانت تصيبني بسبب التبشير بكلمة الانجيل واضطرت
هذه النفس ان تتحمل بطيب خاطر جميع المصائب التي انتابتني فهدأ روعي وسكن
جأشي لجودة الهواء وحسن الطقس فعدت النية على عدم تأجيل نسخ وتملية
المؤلفات المطلوب مني اتمامها » اه

وفي ذلك الحين كان اساقفة الكنائس الشرقية يطعنون في سيامة اوريجانوس
ويظهرون هرطقته . اما اساقفة فلسطين وفينيقية فكانوا يعضدونه ويدفعون
عنه الملامة . اما مدرسة قيصرية فاستمرت تزهر وتزهر ونبغ من تلاميذ
اوريجانوس جماعة مشهورون فنشروا صيته واذاعوا مبادئه في التفسير وكان منهم
كثيرون هدام الى الايمان وصاروا فيما بعد قديسين منهم اغريغوريوس
ثافثاوغوس (صانع المعجائب) الذي سقف فيما بعد على قيصرية الجديدة من
اعمال تيطس واخوه اثنودوروس الذي صار اسقفاً ايضاً على تلك البلاد . اما
اوريجانوس فلم يعدل عن مشروعاته الادبية بل زادهمة ونشاطاً وحمية وألف
رسالة في فائدة الصلاة وأخرى في تفسير الصلاة الربانية وكان يرسل كثيراً أشهر

أساقفة اسيا ودعي الى كثير من المجامع السكنسية
ومع انه مدح كثيراً لتجاده الذي اظهره ازاء ما أصابه الا انه لم يسلم من
الغلطات التي يرتكبها كثيرون ممن يكونون في حال كماله . فقليل انه وجه
لخصمه البطريرك كثيراً من الانتقادات وتحرك احياناً للانتقام منه لولا تبكيت
ضميره وصفاته المسيحية . وحدث انه كان يعظ يوماً باورشليم على الآية القائلة
« وللشريك قال الله مالك تحدث بفرائضي وتحمل عهدي على فكك » (مز ٥٠: ١٦)
ولم ينته من قراءة هذه الآية حتى وبخته حواسه وخشي ان يفهم السامعون انه
يقصد توجيه الكلام لديمتريوس وانتهالت الدموع على خديه بغزارة وارتفع
صوته بالبكاء حتى لم يقو على النفوه بكلمة واحدة فشاركه السامعون في التأثر
والبكاء . وعقب ذلك تنيح البابا ديتمريوس وخلفه ياروكلاس تلميذ اوريجانوس
ويظهر انه كان موافقاً لسلفه على اجراءاته ضد اوريجانوس فلم يفكر في اثناء
رئاسته ان يدعو ليعود الى الاسكندرية

وفي ابان الاضطهاد الذي قام به مكسيانوس قيصر سنة ٢٣٦ م سجن
امبروسيوس صديق اوريجانوس وبروتكتستيتوس أحد قسوس قيصرية وعوملا
بمزبد القساوة فألف لتعزيتهما رسالة في الاستشهاد وقبض ايضاً على كثيرين من
اتباعه وأكره هو نفسه على الفرار من قيصرية فالتجأ الى فرميتيانوس اسقف
قيصرية في كبدوكية أحد اصدقائه المعجبين به كثيراً . ولما حدث الاضطهاد هناك
اختبأ مدة سنتين في بيت يوليانه امرأة غنية فاضلة وأذنت له في استعمال مكتبة
ابتاعها من سيماخوس أحد علماء الابيونيين (١) الذي ترجم العهد القديم الى
اليونانية فانكب اوريجانوس على مطالعة ما في هذه المكتبة من الصحف وكل
فيه مقابلة النسخة العبرانية والنسخة اليونانية من التوراة وتهيأ بذلك لعمله العظيم بوضع
كتاب « المسدسات » أي وضع آيات الكتاب المقدس في ستة حقول ليظهر
للعالم الكتاب المقدس منشوراً في ست لغات كما سيأتي ذكره
وفي سنة ٢٣٨ م رجع الى قيصرية في فلسطين واستأنف اعماله ولم يلبث ان

(١) كانوا يمتقنون بحفظ ناموس موسى وبأن المسيح خاص باليهود ورفضوا رسائل بولس
لانها توجب الخلاص للامم

دعي الى اثينا وتم هناك تفسير سفر حزقيال وبدأ بتفسير سفر نشيد الانشاد .
ولما جلس فيليب الملك العربي على تخت الامبراطورية الرومانية راسل اوريجانوس
عائلته . وفي ذلك الوقت اشتهرت رسالة ضد الديانة المسيحية وعم انتشارها جداً
وضمها كلسوس الفيلسوف الوثني الافلاطوني فانبرى العلامة اوريجانوس لتفنيدها
وألف رسالة ضدها دافع فيها عن الدين المسيحي دفاعاً مجيداً . ثم وضع حينئذ
ايضاً تفسير انجيل القديس متي ورسائل أخرى

وفي السنة الستين من عمره أي سنة ٢٤٥ م سمح للستينوغرافيين (أي الذين
يكتبون بخط مختصر) ان ينقلوا خطبه وكان بين هذه الجماعة عدد من الفتيات
اتخذن هذه الصناعة مهنة لمن للافادة والاستفادة . وكانت الجامعات تستشير في
المسائل الصعبة وتنتهي اليه في عظيم المشاكل

وفي الاضطهاد الذي قام به ديسيوس قيصر نظر الى اوريجانوس كأ كبرمدافع
عن حقائق الديانة المسيحية فقبض عليه وطرح في السجن وعذب عذاباً شديداً
وكتب في السجن رسالة تتضمن النصيحة والتشجيع لمشاركيه في العذاب الا ان
صحته اعتلت لما حل به من الآلام وقد كتب يوسيبوس عما عاناه اوريجانوس
في سياق كلامه عن استشهاد القديسين اسكندر اسقف اورشليم وييسلسيوس
اسقف انطاكية يقول « يصعب على الكاتب الماهر وصف ما قاساه اوريجانوس
واحتمله بصبر وفرح من العذاب الشديد والآلام القاسي اثناء هذا الاضطهاد
اذ وضعوه في مقطرة من حديد وزجوه في اعماق السجن حيث ظل بضعة أيام
مطروحاً على خشبة وهو مشدود بأربعة وثاقات لا يستطيع معها الحراك وهم
يشعلون النار من حوله تهديداً له وتخويفاً وغير ذلك من مرائر شرحها يطول
ووصفها يهول ذاقها هذا المسيحي من اعدائه العديدين ولكنه لم يبد ضعفاً
ولا أظهر مللاً ولم يقل يا أزمه انفرجي . وعندما انتهى القوم من تجريح
اوريجانوس كل اصناف العذاب قدموه للحكم عليه بالموت فسعى القاضي الموكل
بالحكم جهده في تأخير مدته ليس لينجى اوريجانوس منه بل ليطيل عذابه باطالة
ايام حياته . فالذي تم لا اوريجانوس من آلام وعذاب يجدر بان يكون عبرة لمن
يعتبر وذكرى لمن يذكر وتعزية للذي وقع في مصاب أو أصابه شر وتجربة وعلى

من يرغب شرحاً وافياً عن ذلك عليه بمراجعة رسائل اوريجانوس التي بقيت بعده فيجد فيها أخباراً يوثق بصحتها وتفصيلاً وافياً عما أصابه وأصاب غيره من قبله» اهـ (١)
الا ان اوريجانوس مع كل ذلك لم يحكم عليه القاضي بالقتل وفيما بعد أطلق سراحه ولا يعلم كيف أطلق من السجن الا من رواية ابيفانيوس اسقف قبرص المتوفي في أواخر سنة ٤٠٢ م حيث قال « بان الوالي أتى اوريجانوس يوماً في السجن وعرض عليه أحد أمرين أما ان يرتكب رغباً عنه أمراً يخلا بقانون العقبة أو يقدم بخوراً في بحيرة كانت معه باسم الاوثان . ولشدة حرص اوريجانوس على عفته آثر ان يلتقى البخور في البحيرة على اقرار المنكر وبذلك أطلق سراحه » اهـ وقال بعض المؤرخين ان ذلك لم يكن في اضطهاد ديسيوس بل كان في اضطهاد ساويرس اذ كان اوريجانوس في الاسكندرية ولما كان ابيفانيوس من اكبر خصوم اوريجانوس انكر اكثر المؤرخين هذه السقطة وقال غيرهم ان اعداء اوريجانوس زادوا هذه الحكاية على كتاب ابيفانيوس وانه لو صح ذلك لما أهمل ذكره برفيروس عدو المسيحيين الآله الذي نقب عن زلات كثيرين من علماءهم . وهكذا يوجد بعض المؤرخين يدافعون عن صحة هذا الخبر وكثيرون منهم يكذبون وبراهين هؤلاء أظهر وأقوى

والذين مالوا الى تسديق الخبر استندوا على قطعة رثاء وجدت لأوريجانوس رثى بها نفسه بقوله « أيها البرج الشامخ الا انك سقطت الى الحضيض بفتة . ويا أيها الشجرة الغضة المثمرة الا انك على الفور يبست ويا أيها النور المتوقد الا انك أظلمت وشيكا ويا أيها الينبوع الجاري الا انك نصبت . ويبي فاني كنت مشتملاً بمواهب ونعم وقد عريت عنها الآن جميعها . فرقوا لحالي يا أحبائي فاني دست خاتم اقرارى واتحدت مع الشيطان واشفقوا علي يا خلاني فاني رذلت وطرحت أمام وجه الله . أين ذلك الراعى راعى النفوس الصالح وأين من نزل الى اورشليم الى اريحا وعنى بامر جريج اللصوص فأنجدني يا رب أنا الذي وقعت من أعلى اورشليم ونقضت النذر الذي أخذته علي في المعمودية وغيرها وأغثنى أيها الروح

(١) لم يبق من هذه الرسائل التي أشار اليها بولسيوس سوى رسالتين لم يذكر فيها شيء عن حوادث اضطهاد ديسيوس ويظهر ان ذلك واضح في رسائل اوريجانوس المفقودة

القدس وهب لي من لدنك نعمة لا توب . رب اني ابتهل اليك لان تردني فقد
سلكت للهلاك أعظم مسلك . انعم علي بالروح القدس المرشد والمهذب الصالح
لئلا أمسي مأوى للشيطان ولنكن أدوسه كما داسني وأفوي علي حيله فأعود الي
التمتع بخلاصك . رب اني أخرج أمام عرش مراحمك فكبن لي رحوماً انا النائح
هذا النواح لتسد ما أسأت به . ان معاشر المسيحيين القديسين يتوسطون عندك
من أجلي انا العبد الساقط رب اظهر رحمتك لخروفاك التائه الذليل للذئب المفترس
ونجني من فم وانزع عني ملابس حدادي والبسني منطقة الفرج والسرور واقباني
ايضاً في فرح الهى واجعلني ان اكون اهلاً لما كوته بواسطة خالص صلوات
الكنيسة عني التي تحزن علي وتواضع نفسها من اجلي ليسوع المسيح الذي له
مع الآب والروح القدس كل شرف وكرامة الآن والى ابد الابد « آمين » اه
والمعلوم انه لم يفرج عن اوريجانوس الا بعد موت ديسيوس قيصر وأسى
بعد ما عاناه من التعذيب أكسح من قبل الجراح التي أنزاتها القيود في رجله
فلبث مدة بعد خروجه من السجن يتجرع آلاماً مبرحة ويتقلب على فراش
الضنى والنحول وهو يقترب بسرعة الى حافة الموت . ولكن انعش حينئذ عند
ما وصله كتاب من البابا ديونسيوس البطريرك الاسكندري الذي خلف ياروكلاس
يشجعه فيه على احتمال المشقات ويظهر له حزنه العميق على حالته التعيسة . غير ان
حياة اوريجانوس لم تطل بعد خروجه الا اربع سنوات على قول بعضهم كان فيها
غير منكف من جهده في التأليف والمكاتبات والخطب وعلى قول آخرين لم يمض
سوى سنة واحدة وعلى كل حال فقد أثر عليه ما عوقب به من الآلام المبرحة
التي انهكت جسمه وسحقته فمات سنة ٢٥٤ م في مدينة صور وله من العمر ٦٩
سنة وبحق لنا ان ندعو شهيداً ودفن في المسكان الذي مات فيه بصور وظل
قبره معروفاً حتى شيدت فوقه كنيسة وذكر كثيرون من اصدقائه انه مات تحت
العذاب سنة ٢٥٤ م وحفظ ضريحه مدة قرون عديدة بقرب المذبح في كنيسة
صور الاسقفية واستمر قبره مزاراً للكثيرين حتى القرن السادس . قال مؤرخ
« واذا سألت أهل صور عن مكان قبره لأشاروا لك الى اطلال كنيسة قديمة
بنيت عليها اكواخهم وقالوا لك هنا قبر (اورسنيوس) يريدون اوريجانوس

مدفون في قباب تلك الكنيسة وهو الآن تحت الأرض « اه
فرجل مسيحي فاضل كهذا كيف يهتمونه باهرطقة وقد كانت حياته كلها بريئة
من كل ما يشين واجمع الكل على طهارة ثيابه ونزاهة نفسه حتى قال عنه اورسانيوس
« ان حياة هذا الرجل أفضل مفسر لمظاته » وقال موسهيم للمؤرخ « ان بيانه
الساحر وعلمه الكثير وطبعه المحبوب وصيته الحسن في التقوى الحارة الخالصة
اعطته سطوة عظيمة . ولا سيما بين العلماء وذوي المراتب الأولى في الهيئة
الاجتماعية . ولم يقم أحد منذ زمن الرسل أكثر منه مناضلة واجتهاداً في اذاعة
المعرفة وتفقيه المسيحيين وتنويرهم واتحادهم وتوقيرهم في عيون البشر » اه

أما ما ينسب الى اوريجانوس من الضلال فلم يذبه في حياته الا عن القليل
منه ولما طرق مسامعه خبر هذه الاشاعات الكاذبة قال في ميمرد الخامس والعشرين
على انجيل القديس لوقا « ان من دواعي سرور أعدائي ان يسبوا الي آراء لم
أتصورها ولم تدر بخدي » وحل ما اشيع عنه من الضلالات جمع بعد موته .
ويغلب على الظن ان الذين نسبوا اليه اهرطقة هم أناس قرأوا مؤلفاته بدون ان
يفهموها جيداً فتوهموا من ظاهرها ما يلصق به تلك التهمة . ويقال ان بعض
الهرطقة في ذلك الحين كانوا يجتهدون بان يدسوا في كتب المؤلفين انواع هرطقاتهم
ليوصلوها الى عقول الجمهور من هذا السبيل فلا يبعد ان يكونوا عملوا ذلك
بمؤلفات اوريجانوس كما عملوا بمؤلفات اكليمنديس قبله وكما شرع كثيرون منهم
بكتابة أناجيل ورسائل ونسبوا للرسل وضمنوها ما يمتقدون من البدع
والأضاليل ولكن جميعها نبذت

أما الاضاليل التي نسبت الى اوريجانوس وجمعها خصومه وأذاعوها فهي
(١) ان الاتفس خلقت قبل اجسادها وحبست فيها لمعاص ارتكبتها (١) (٢) ان

(١) يقصد خصوم اوريجانوس ان يجعلوه يمتقد بان النفوس البشرية خلقت مع الملائكة في
مكان واحد وزمان واحد ثم ارتكبت بعض المعاصي فأنحدرت بسبب ذلك الى الارض واتحدت
باجساد كثيفة عقاباً لها

نفس المسيح خلقت وتمدت باللاهوت وذلك قبل زمن التجسد (٣) ان الشياطين والهابكين يخلصون (٤) ان الاجساد الحقيقية لا تقوم في يوم النشور وسيعاض عنها باجساد أخرى (٥) ان الارواح تتقمص (٦) ان عوالم كثيرة خلقت قبل هذا العالم وستخلق كذلك عوالم أخرى بعده . اه

ويقول الواقفون على الحقيقة ان هذه الطرقات لا أثر لها في مؤلفات اوريجانوس ولم تظهر الا في الترجمات اللاتينية التي وضعها من بعده روفينوس الا كويلي القائل في مقدمة كتابه « اني لم أتصد الى اصلاح بعض عبارات اوريجانوس الا بقصد تهذيبها » اه

ولما كانت بعض عبارات اوريجانوس بعيدة الفهم اجتهد ان يصلحها فكان عدم فهمه اياها سبباً لانه يرقم ما اعتبره الخصوم ضلالاً لا اوريجانوس حتى ان انسطاسيوس اسقف رومية سنة ٣٩٨ — ٤٠٢ م في رسالته الى يوحنا اسقف اورشليم احد انصار اوريجانوس اوقع الحرم على ترجمة روفينوس لا على الاصل اليوناني .

ومعظم تلك الاضاليل المذكورة مأخوذة عن اعتقادات وثنية ولا يعقل ان اوريجانوس نصير المسيحية الوحيد حينئذ ضد الوثنية ينقل تلك الآراء السخيفة وقد قال اغريغوريوس ثاوماثورغوس تلميذ اوريجانوس في دفاعه عنه « انه كان يحذرنى من الاستناد فيما يختص بالدين على الفلسفة البشرية » وقد قرر اوريجانوس نفسه في مقدمة كتابه المبادئ رقم ٢ ضرورة نبذ اكثر ما يقوله فلاسفة اليونان لان اكثره يحسب ضلالاً . ولئن كان اوريجانوس يجهد ذاته في فهم تلك الفلسفة فذلك ليستعين بها على رد هجمات اهلها على المسيحية وليتمكن من ان يستخرج لهم من ديانتهم ما يؤيد به ديانته وقد أشار الى ذلك في رسالة لاغريغوريوس المذكور حيث قال « كما ان العبرانيين قد صنعوا بذهب المصريين وفضتهم تابوت العهد والسكرابين وأواني المذبح كذلك يجب علينا نحن المسيحيين ان نصنع بفلسفة اليونان فلننقل الى هيكل الحكمة الالهية هذه الزينات التي يسيء اربابها استعمالها . فلنأخذ عن اللغة اليونانية التي طالما استعملت لمدح الضلال والرذيلة عدوئتها وطلاوتها لنزين حقيقتنا الناصعة بالزينة التي طالما

ألبسوها بظلمهم وبهتاتهم . فلنجعل اله الشر قوة للخير . ولكن حذار من الترهات التي تكسوها هذه الزينات حذار من ان ننقل شيئاً منها الى دين الحق لثلاث نضل ونكون مثل يربعام الذي تزوج بابنة ملك مصر وعاد مع عروسه الى اسرائيل فأبدل عبادة الاله الحقيقي بعبادة اصنام المصريين « اه
وقد انبرى كثيرون من المؤرخين الصادقين خصوصاً في الايام المتأخرة للذب عن اوريجانوس وتبرأته مما نسب اليه وخير ما وقفنا عليه في هذا الشأن دفاع صاحب كتاب « مختصر تاريخ الامة القبطية » (ص ٣٨٤ — ٣٩٠) ننقل ملخصه لفائدته التامة هذا على اننا ايضاً أخذنا عن ذلك الكتاب افضل الآراء التي دافعنا بها عن اوريجانوس : —

الهمة الأولى — هي المختصة بخلق النفوس قبل اجسادها . خالفها اوريجانوس في كتاب المبادئ ك ٢ ف ٨ وغيره من مؤلفاته بقوله « ان النفس البشرية خلقت في اليوم السادس عند ما نفخ الله في آدم وكان ذلك بعد خلق الملائكة » . اه وانحدر النفوس الذي تكلم عنه خصوصاً لم يكن غير انحدر الملائكة الذين سقطوا (المبادئ ك ٣ ف ٥)

الهمة الثانية — هي المختصة بخلق نفس المسيح قبل تجسده . وبمقارنتها بقوله في كتابه المبادئ ك ٤ ف ٣١ « ان الكلمة أخذ جسداً بنفس ناطقة وذلك عند التجسد لا قبله ولا بعده » يتضح بطلانها

الهمة الثالثة — هي المختصة بخلص الشياطين والهالكين . وقد ادعوا بها لسوء فهمهم أقوال ذلك الفيلسوف وهذه هي « ان الملائكة قسمان قسم أطاع نخلص خلاصاً ابدياً وقسم سقط فهلك هلاكاً ابدياً . وأما الجنس البشري فرغماً عن سقوطه في خطيئة آدم الاصلية يمكنه ان يخرج من الهوة التي وقع فيها ويتجدد بالله وبملائكته الابرار . غير ان الذين يسترسلون في ضلالهم يصبحون عبيداً للشيطان فيهبطون في الهاوية الابدية » (المبادئ ك ١ ف ٦ : ٢ و ٣) أي ان الذين يؤمنون بالمسيح يخلصون من العقاب الاول وبمكس ذلك الذين لا يؤمنون .

التهمة الرابعة — هي المختصة بعدم قيامة الاجساد نفسها . و يناقضاها ماقرره في تفسيره للمزمور الأول وفي كتابه المبادئ ك ٢ ف ٢ : ٢ « ان عدل الله يقتضي ان يتوج الاجساد نفسها التي سفكت دماء أصحابها في سبيل المسيح » اه
وقد ادعى اورينيموس عدو اوريجانوس بانه اعتقد بتغير شكل الاجساد عند القيامة بان تأخذ اشكالا كروية كالشمس والنجوم وسائر الكواكب .
ولكن اوريجانوس لم يشبه اجساد الناس بالكواكب الا في البهاء حسب قول بولس الرسول في (١ كو ١٥ : ٤٠ و ٤١) ونهى هذا القول في كتابه الثاني على القيامة

التهمة الخامسة — هي المختصة بتقمص الارواح . وقد انتشرت في حياة اوريجانوس فقندها في ميمره ١٦ على سفر ارميا ١٦ : ١ وفي رسالة بعث بها لتلاميذه بالاسكندرية يقول « ان هذا الرأي لا يخطر لجنون في منامه » اه
التهمة السادسة — هي المختصة بخلق عوالم كثيرة . وفي كتابه المبادئ ك ٢ ف ٣ : ٦ وك ٣ ف ٥ : ٣ لم يذكر سوى ثلاثة عوالم (١) عالم الملائكة (٢) العالم البشري (٣) العالم الذي يتكون بعد البعث من اتحاد العالمين المتقدمين

ومن يطالع أقوال آباء الكنيسة بشأن اوريجانوس لا يستطيع ان يحكم عما اذا كانت شخص اوريجانوس محروماً أم غير محروم فقط نعلم ان الكنيسة شجبت تلك الضلالات التي أذاعها الخصوم . وتاريخ الكنيسة مشحون باخبار الانشقاقات التي قامت بين الآباء بسبب اوريجانوس فمنهم من كانوا يعتبرونه هرطوقياً ومنهم من كانوا يعتبرونه من معلمي البيعة الافاضل فمن خصومه : —
(١) البابا ديمتريوس كما ذكر (٢) متيوديوس استقف اولبيا . وضع ضده ثلاثة كتب غير انه في آخر حياته ادرك خطأه وذكر اوريجانوس بكل احترام (٣) ايفانيوس استقف قبرص . هو أول من أذاع البدع عن اوريجانوس وعه أخذ الآخرون . وقد كان بسيطاً سريع التصديق لما يسمع فكتب عن اوريجانوس

ما كتب بسلامة ضمير (٤) ثوفيلس بابا الاسكندرية . وسيعرف القارىء في تاريخه سبب هذه العداوة (٥) ايرونيوس احد علماء سوريا في القرن الرابع كان في مبدأ الامر من انصار اوريجانوس ولكنه بسبب منازعاته مع روفينوس المذكور انه نقل كتب اوريجانوس للاتينية صار من ألد اخصامه الا انه كتب عنه قبل ان يكون خصمه قائلاً « لم يكن اوريجانوس مجرد كاتب عذب المشرب يرتاح اليه امراء الكتاب أو مجرد مؤلف فاق نظراءه بمؤلفاته الدانية القطوف بل كان بلا جدال المعلم الاول لجميع الكنائس بعد الرسل ولا مشاحة في ان اراءه تعبر عن الارثوذكسية التي لم يشبها ضلال أما الذين استوقد الحسد ضلوعهم فاتهموه بالهرطقة فان هم الاكلاب كلبة » اه ولما اصبح يقاوم الاوريجانيين شديد المقاومة قال لهم « وافقونا على ان اوريجانوس انخدع في بعض المسائل فلا يبقى لي ما أقول وان اعترضنا من يحسدونه على فخره ببعض أغلاط له فليعلموا ان الخطأ من شيم كبار الرجال فلا نتشبهن بزلات من لا نستطيع مباراته في فضائله » اه ومن محبي اوريجانوس والمدافعين عنه : -

(١) البابا ديونوسيوس الاسكندري البطريك الرابع عشر (٢) ثيوسيستوس اسقف فلسطين (٢) الكسندر اسقف اورشليم (٣) غريغوريوس العجايبى (٤) اخوه ثينودوروس (٥) و (٦) غريغوريوس الترينزي وباسيليوس الكبير . درسا العلم عن مؤلفات اوريجانوس وخلصنا منها رسائل عرفت باسم فيلوكالي (محب الجمال) لتعليم الناشئة المسيحية واطلق عليها هذا الاسم لميل اوريجانوس الى كل مبدأ سام (٧) غريغوريوس اسقف نيصص بالكبادوك . كانت كثير المطالعة لمؤلفات اوريجانوس حتى حفظ اغلبها وسار على منواله في ما كتبه من الكتب وكان يلقب اوريجانوس بزعيم فلاسفة المسيحيين (٨) بمفيلبيوس البيروتي تلميذ بيروس مدير المدرسة اللاهوتية نسخ معظم مؤلفات اوريجانوس بيده وشغف بمطالعتها وكتب عنه وهو سجين يقول « ان لخصوم هذا الفيلسوف عقولا قاصرة عن الخوض في عباب مباحثه الواسعة وعاجزة عن ادراك سمو المعاني التي يرمي اليها من كان معلماً للكنيسة بعد رسل الرب » اه (٩) ديديموس الضرير مدير المدرسة اللاهوتية مدح كتاب المبادئ (١٠) البابا اثناسيوس

الرسولي البطريرك المشرون دافع عن كتاب المبادئ (١١) القديس يوحنا فم الذهب .
مات منقياً في سبيل الدفاع عن مبادئ اوريجانوس التي كان كلفاً بمطالعتها كما
يتضح من تاريخ البابا ثاوفيلس البطريرك الثالث والعشرين (١٢) توتيم اسقف
سيبي . اعترض على ايفانيوس عند ما قاوم القديس يوحنا فم الذهب لغرامه
بكتب اوريجانوس بقوله « اعلم يا ايفانيوس انه لا يمكننا ان نسيء الى الذي
مات تقياً وليس في استطاعتنا ان نحرم اسفاراً اعتبرها آباؤنا ارثوذكسية فضلاً
عن اننا لم نجد فيها أثراً للهرطقة » اهـ (١٣) ايسيدوروس مدير مستشفى
الاسكندرية والاخوة الضوال القامة . دافعوا عن اوريجانوس دفاع الابطال
وطردوا من الاسكندرية وصادفوا الالهوال في سبيل التمسك باحترامه وقد
اقسم هو والاخوة المذكورون على ان اوريجانوس برىء من كل هرطقة
(١٤) يوحنا ٢ اسقف اورشليم . هام بكتب اوريجانوس وحاول ايفانيوس
وايرونيموس ان يجملاه ينكف عن مدح اوريجانوس برسالة بعث بها اليه الاول
ولكنه لم يفعل بل كتب محاماة عن اوريجانوس رسالة ارسلها الى البابا ثوفيلس
البطريرك الاسكندري حينما كان يجمل اوريجانوس . فيظهر لنا ان اصدقاء
اوريجانوس اكثر اعتباراً في نظر الكنيسة من خصومه فلو كان اوريجانوس
هرطوقياً لما دافع عنه اولئك وبالتالي كانوا يعتبرون مثله محرومين لغرامهم
بمطالمة كتبه واجلالهم لشخصه العظيم

والآن نأخذ في ايضاح مذهب اوريجانوس في التفسير . قال عنه موسيم
المؤرخ « ان هذا المتوقد الذهن رأى ان لاطريقة سهلة بها يناضل عن كل ما قيل
في الكتب المقدسة ضد اشراك الهراطقة واعداء المسيحية لو فسر لغة الكتاب
المقدس حرفياً فصم عزمه على تفسير الكتاب المقدس كما اعتاد الافلاطونيون
على ان يفسروا تواريخ آلهتهم . فعلم ان الكلمات في أماكن كثيرة من الكتاب
المقدس لا معنى لها وفي بعض الاماكن حيث اعترف بان لها معنى ما اعتقد بانه
راد بالمعبرة المذكورة معنى سري مكتوم يجب ان يفضل على معنى الكلمات

الظاهر . وهذا المعنى المكتوم هو الذي يفتش عنه في شروحاته بانتقاده ولكنه معوج وغالباً يتغافل بالكلمة ويزدري بالمعنى الظاهر . ويقسم هذا المعنى البعيد ايضاً الى معنى ادبي ومعنى سري أو روعي . المعنى الاول يعلمنا ما يتعلق بحال النفس الداخلي وباعمالنا الخارجية . والمعنى الثاني يعلمنا حقيقة تاريخ العالم السري أو الروحاني وشرائعه . وتخيل ايضاً ان هذا العالم السري مزدوج بعنه سام أو سماوي وبعضه دون أو أرضي اي الكنيسة . فلهذا قسم معنى الكتب المقدسة السري الى أرضي أو تشبيهي والى سموي أو روحاني . وطريقة تفسير الكتب المقدسة هذه التي استصوبتها اليهود كانت دارجة عند المسيحيين قبل اوريجانوس لكن لأنه حدد لها قوانين ورتبها على هيئة نظام يعتبر غالباً كابتدعها « اه

وقال صاحب «تاريخ الكنيسة» المطبوع في اورشليم سنة ١٨٩٢م « والغريب ان اوريجانوس بعد ما كان يتشبه ببساطة وايمان بمفهوم آيات الكتاب الحرفي مجرياً بالفعل ما ورد في مت ١٠ : ١٠ فلم يقن شيئاً لذاته ومت ١٩ : ١٢ نخصي نفسه فصار يتخيل في كل آية بسيطة من كتاب الله معنى ادبياً مشفوعاً بسر غامض يلتمح الى حوادث سموية » اه

ومع ان اوريجانوس تطرف كثيراً في تفسير كل آيات الكتاب المقدس تفسيراً مجازياً وفي الاكثار من الاستعارات وجعله المحل الثاني للمحل الحرفي الا ان اغلب الكتاب المسيحيين يغتفرون له هذا التقن لعلمهم بأنه سار عليه في سبيل الذود عن حقائق ديانته المسيحية وقدارتكب هذا الخطأ سهواً لانه حسبه أنسب طريقة لرد هجمات اعداء المسيحية بل كتب ما كتب بدافع الغيرة الدينية وهو مسيحي مخلص سليم الاعتقاد واحداً الذين عددوا غلطاته في تفسيره قال « ويلوح لنا ان اوريجانوس كان تقياً ورعاً وانه بنى بعض تعاليم الديانة المسيحية على مبادئ صحيحة مقررة غير ان تقننه المطلق نكب بكثيرين من ذوي العقول الضعيفة عن سواء السبيل » اه (١)

أما أكثر مؤلفات هذا المفضل فقد وصلت إلينا في ترجمات غير صحيحة بقلم ابرونيموس وروفينوس وكثيرون من العلماء القدماء اقتبسوا منها . وأشهر مصنفاته التي وصلت إلينا في اللغة الأصلية هي : —

(١) كتاب عنوانه « الرد على كلوسوس » كتبه في ثمانية أجزاء

(٢) مجموع مقالات في « الصلاة الربانية » وهو الكتاب الثاني الذي وصل

إلينا بتمامه في اللغة الأصلية

(٣) كتابه في « الشهداء »

(٤) في « الرئاسات » وهو كتاب بالغ الخصوم في انتقاده واجزاؤه أربعة

(١) يبحث عن الاقانيم في الثالوث الاقدس وعن السقوط وعن الطبيعة العاقلة

وعن المخلوقات المادية والروحية وعن الملائكة (٢) يبحث عن العالم وما فيه

ويثبت ان اله العهد القديم واله العهد الجديد واحد ويفصح عن التجسد والقيامة

وعقاب الصالحين (٣) يبحث عن حرية الارادة وعن الشيطان وعن تجربة الانسان

وعن أصل العالم ونهايته (٤) يبحث عن الاسفار المقدسة وأصلها الالهي وعن

كيفية مطالعتها ودرسها . ويوجد الآن من هذا الكتاب قطع كبيرة في اللغة

الأصلية ولا سيما من الجزء الثالث والرابع ولنا ايضاً اللغة اللاتينية لروفينوس

واجزاء اخرى لارونيموس

(٥) شرح الكتاب المقدس في ثلاثة اجزاء (١) يتضمن تفسير بعض الاسفار

للمقدسة كسفر التكوين والخروج وحزقيال الخ وانجيل متى ويوحنا والرسالة

الى اهل روميه الخ ولم يبق من هذا الجزء سوى اوراق قليلة (٢) يتضمن

ملاحظات على آيات غامضة من الكتاب وهو لا يعرف الا من اللع المعادين الاولين

اليه واقتباسهم منه (٣) يتضمن مواعظ ومقالات قدمها في قيصرية اوارتجلها بعد

ان اتى عليه من العمر ستون سنة بعضها موجود الآن في اللغة الأصلية ولكن

أكثرها مترجم الى اللغة اللاتينية بقلم ابرونيموس وروفينوس

(٦) كتاب موسوم « بالمتنوعات » في عشرة اجزاء الفه اقتداء باكليميندس

استاذة غير أن هذا الكتاب فقد ولم تبق منه سوى فصول قليلة استشهد بها

ابرونيموس في مصنفاته

(٧) كتاب عنوانه «القيامة» لم يبق منه الا اجزاء قليلة

(٨) رسائل عديدة دون منها يوسيميوس مائة رسالة غير انها فقدت ما خلا القليل منها.

(٩) كتاب عناه «بالمسدسات» وضع فيه آيات الكتاب المقدس في ستة حقول متوازية

(١) يتضمن المتن في اللغة العبرانية . بحروف عبرانية (٢) آيات الكتاب المقدس في اللغة العبرانية باحرف يونانية (٣) الترجمة اليونانية التي وضعها اكويلاد الخيل اليهودي في اوائل القرن الثاني (٤) الترجمة اليونانية لسيماخوس الايوني السامري الذي نبغ في القرن الثالث (٥) الترجمة السبعينية التي نشأت في الاسكندرية في القرن الثالث قبل المسيح (٦) الترجمة اليونانية التي وضعها ثيودتيون الدخيل اليهودي بعد اكويلاد بزمن قليل

وقد وضع اوريجانوس في بعض كتبه ترجمة خامسة وسادسة وسابعة للكتاب المقدس وكان قصارى مرغوبه تنقيح الترجمة السبعينية بمعارضتها بسائر الترجمات فكان يدل على الآيات غير الواردة في الاصل العبراني بهذه العلامة × ويدخل الآيات المحذوفة في الترجمة السبعينية واضعاً قبالتها هذه العلامة * وقد كانت نسخة هذا الكتاب الاصلية محفوظة في مكتبة قيصرية التي انشأها بامفيلوس الشهير المناضل عن اوريجانوس والارجح ان الاسلام احرقوها مع سائر النسخ النفيسة عند افتتاحهم هذه المدينة سنة ٦٥٣ م ولم تكن نسخة أخرى مثلها وقتئذ اذ كانت الترجمة السبعينية المنقحة متواترة وحدها ولا يبعد ان اوريجانوس الف كتباً أخرى عديدة على الاسفار الالهية وكتب رسائل حجة ضد بعض البدع ولما كان جدول مؤلفاته الذي وضعه يوسيبوس وايرونيوس مفقوداً عزيت اليه رسائل لم يكن يعرفها مطلقاً. كما انه اول من كتب كتباً لتعليم الديانة للمبتدئين ويعتبر كتاب «ستروماتا» وكتبه الاربعة المبادئ شرح اكثر تعليم المسيحية . وقد جد العلماء في طبع مؤلفات اوريجانوس لاسيما ترجمات الكتاب المقدس واهتموا باعادة ما فقد منها وجعلوها على نسق القطع الموجودة وطبع الجميع عدة طبعات اشهرها طبعة منتفوكون وهي في مجلدين طبعا في باريس سنة ١٧١٣ م

وطبع كتب المبادئ حسب ترجمة روفينوس اللاتينية مع نقصه وتغييره وتحريفه
 طبعه ردينينغ في ليبسيك سنة ١٨٣٦ م وطبعه نيتسر في ستترغارت وطبع رسالة
 في الاستشهاد وأستين في بازل سنة ١٦٧٤ . وطبعت تأليفه كلها في باريس بين
 سنة ١٧٣٣ و ١٧٥٩ فجاءت في أربعة مجلدات ضخمة

الا ان افضل الكتب التي وضعها تلك الثمانية كتب التي دافع بها عن
 النصرانية رداً لمزاعم كلوس عدوها وايضاحاً لقيمة هذا الكتاب ونفضل
 اوريجانوس ننقل عنه النبذ الآتية قال : — (١) « ربما كان الاليق بنا ان نقتفي
 بأثر يسوع المسيح الذي كان صامتاً امام قضائه ولم يجب على الاقراء المنزل فيه من
 اعدائه الا بقداسة سيرته وبشهرة آياته . هكذا قد يعتبر بلا فائدة دحض الوشائيات
 التي لم تنزل الا نام الأشرار تنزلها فيه لانه يبرأ نفسه منها تبرئة كافية بفضيلة
 تلاميذه الحقيقيين التي تخزي شهرتها جميع الاكاذيب فلا اكتب اذاً لأجل
 تأييد المؤمنين الحقيقيين لان المحاماة عنهم خارجة عن حكم الازوم بل اكتب لأجل
 الغير المؤمنين الذين يمكنهم ان ينالوا فائدة من هذا التعليم

فبعد ان دحض اعتراضات صلوس بخصوصية ايد صحة الدين المسيحي ببيانات لارد
 عليها بالنبوات التي انذرت بيسوع المسيح وبآياته وسيرة تلاميذه فقال : نظراً
 الى النبوات ينبغي بالعدل ان تصدق كتب اليهود وكتب باقي الامم ولا يجب
 أن يقع الريب في قدميتها اذا اعتبرت المحجج التي أتى بها يوسفوس وتاسيانوس
 المصدق قولها والمعول على روايتها : ثم أتى اوريجانوس بذكر النبوات التي
 انذرت جلياً بملاد يسوع المسيح وآلامه وموته وجميع لواحق مجيئه . وبين أن
 اليهود مذاتى يسوع المسيح لم يعد لهم لانبوات ولا معجزات ولا ادنى علامة
 تدل على ان الوقايه الالهية عندهم كما يرى عند المسيحيين . فنظراً الى المعجزات لم ينكر
 صلوس أن يسوع المسيح أتى بمعجزات لكنه كان ينسبها الى صنعة السحر فرد
 عليه اوريجانوس بأنه توجد وسائل أكيدة يميز بها سحر ابليس من المعجزات
 الحقيقية التي هي عمل البارى تعالى وهذه الوسائل تقوم بالفحص عن اداب
 صانعها وتعليمهم والمفاعيل التي تبرزها هذه المعجزات فوسى والانبياء ويسوع

(١) عن خلاصة تاريخ الكنيسة للعالم الفاضل لومند الافرنسى ج ١ ص ١٠٤ - ١٠٩

المسيح وتلاميذه لم يعلموا الا ما كان مطابقاً كل المطابقة للصواب وجزيل الفائدة للاداب الصالحة للجمهور فهم اول من وضعوا بالعمل ما علموه وكان التأثير عظيماً ومستديماً أما موسى فهذب أمة برمتها وساسها بنواميس مقدسة ويسوع المسيح ضم جميع الأمم الى معرفة الاله الحقيقي والى مباشرة كامل الفضائل أما الخبيثاء والكذبة فلا يتفنون اصلاح الناس ولا لسحرهم ومكرهم نتائج صالحه فانبعث يسوع المسيح من الموت الآية العظيمة واساس الدين المسيحي لا يمكن قط أن تشبهه بمكر لأن يسوع المسيح مات مشتهراً معلقاً على صليب تجاه كامل الشعب اليهودي ودفن وبقى في القبر ثلاثة ايام وكان القبر مختوماً والجنود تحرسه فظهر مدة أربعين يوماً لبطرس ولباقي الرسل ثم لخمسماية تلميذ كانوا مجتمعين معاً . فلو لم يشاهدوه منبعثاً ولو لم يتيقنوا الوهيته لما كانوا قط عرضوا بنفوسهم للعباب والموت لينذروا في كل مكان التعليم الذي أخذوه عنه كما أمرهم بل لكان موته المخجل مما يحا من عقولهم ذكره ولكانوا عدوا تقوسهم مخدوعين ومن ثم لسكانوا أول من شجبوه وردلوه . فوجب أن يكونوا شاهداً أمراً خارق العادة حتى اعتنقوا تعاليمه وجعلوا غيرهم يعتنقونها ولم يبالوا لذلك لا براحتهم ولا بحريتهم ولا بحياتهم فكيف يمكن ان اناساً جهلاء وأميين يقدمون على تغيير العالم بأسره ان لم يكونوا مؤيدين بقوة الهية وكيف يمكن أن الشعوب ينبذون عوائدهم القديمة بانذارهم ويتبعون تعليماً مغايراً لو لم يكونوا انبدلوا بقوة خارقة العادة وبمعجزات باهرة

ثم اثبت اوريجانوس الوهية الدين المسيحي بالانقلاب العجيب الذي يبرزه في من يعتنقونه فقال : ان المفعول العظيم الصادر عن الانذار بالانجيل هو اصلاح الآداب فلو شفى احد مائة انسان من رذيلة الدنس يستصعب الظن بان ليس فيه شيء فائق الطبيعة . فان كان ذلك كذلك ما القول في جمهور وافر من مسيحيين قد انقلبوا عما كانوا عليه مذ قبلوا هذا التعليم فاصبحوا معتنقين العفة الكاملة في جميع امصار المملكة فان قواعد اداب المسيحيين ترفعهم كثيراً فوق غير المسيحيين فيردع المسيحي آلامه الشديدة ليرضي الله سبحانه اما الوثنيون فيتمرغون في حماة الشهوات القبيحة ولا يستحون بها ويزعمون انهم يراعون الفضل والصلاح

بيناهم متورطون في اعماق الفساد . فاقل المسيحيين تفقهاً احسن استنارة في شرف العفاف وعظمتهم من فلاسفة الوثنيين وبتولاتهم وكهنتهم الافضل اداً . فليس أحد بيننا مدناً بهذه القبايات وان وجد احد فليس هو من عدد الحاضرين اجتماعاتنا ولا هو مسيحي فبالحقيقة كانوا يطردون من الكنيسة من سقط في اثم لاسيما في اثم الدنس فكانوا يندبون حاطم كأنهم موتى عن الله وميتى عادوا تائبين كانوا يفرضون عليهم قوانين ويمتحنونهم امتحانات أصرم من تلك التي كانوا يجرونها عليهم لأجل العباد فلم يعد يسوغ لهم أن يباشروا ادنى خدمة في الكنيسة . ثم قال اوريجانوس ان المسيحيين يراعون زمام الامانة نحو ملكهم حق المراعاة فهم بعيدون عن انشاء ادنى سبب بعداً هذا حده حتى انهم بمقتضى امر سيدهم وواضع ناموسهم لا يستعملون اسلحة ضد اعدائهم الا الصلاة والصبر لان يسوع المسيح اراد ان يساحوا نفوسهم للذبح كالخراف ولا يبادروا الى ادنى مقاومة قهراً فان الله سبحانه هو المكلف بمصالحهم وبالحماية عنهم فيربحون بهذه الوداعة اكثر مما يربحونه بالمقاومة ففضلاً عن ان الظالمين لم يستطيعوا ان يستأصلوا المسيحيين نرى موت الشهداء لم يزل يزيدهم عدداً فان المساواة التي كانوا يجرونها على المسيحيين لم تخمد قط حرارة غيرتهم على ترجيع غير المؤمنين فكان منهم أناس لم يكن لهم عمل الا الانذار بالانجيل في المدن والقرى ولثلا يظن بهم انهم يصنعون ذلك رغبة في ربح لم يكونوا يقبلون شيئاً كايماً حتى ولا ما كان لازماً لمعاشهم واذا اضطرهم الاحتياج الى قبول شيء فكانوا يكتفون بما هو ضروري فقط ويأبون أخذ ما زاد على ذلك ولو قدم لهم طوعاً : ثم يردف اوريجانوس كلامه بقوله : أما الآن حيث يوجد بين جمهور المسيحيين اغنياء واصحاب مقامات ونساء شريفات فرما يظن بان في الانذار بتعليمنا شرفاً ولكن هذا الظن لا حامل له في البداية والآن ايضاً ما نناله من الكرامة من بعض خاصتنا لا يوازي الامتهان والاهانات التي تلتحق بنا من قبل الوثنيين : ثم أشار اوريجانوس الى ان المسيحيين مع ما كانوا عليه من اضطرام الغيرة على ترجيع غير المؤمنين للايمان لم يكونوا يهملون اجراء الامتحان بقدر الامكان على الذين يرومون اعتناقه فكانوا ياهبونهم خاصة بالمواعظ قبل ان يقبلوهم في

الاجتماع وعند ما كانوا يشاهدونهم في عزم شديد مخلص على ان يسلوكوا سلوكاً جيداً فكانوا يدخلونهم في الجمعيات مميزينهم ايضاً الى مصافين أي مصاف المبتدئين ومصاف المتقدمين وكانوا يخولون أناساً مخصوصين بالسهر على سيرتهم لكيما يبعدوا عن الاجتماع من لم يكن سلوكهم مطابقاً للدين المسيحي ويرشدواهم غيرهم في سبيل التقوى والفضيلة « اه

القسم الثالث

الحكوس والكهنسة

الفصل الاول

(حوادث الاضطهاد)

(١) اضطهاد ادريانوس (٢) اضطهاد ساويرس سبتيموس

.....○○○○.....

(١) اضطهاد ادريانوس - ان سوء الظن الذي كان سائداً على الأفهام من جهة المسيحيين حينئذ جعل الكثيرين ولا سيما ذوي الشأن ينظرون اليهم بعين البغض والكراهة . وفي عهد تملك ادريانوس قيصر من سنة ١١٧ م كانت الاشاعات الباطلة عن المسيحيين قد بلغت حداً حتى انه لما أتى هذا القيصر الى الاسكندرية وأخذ يتجول في انحاءها كتب لصاحب له اسمه سريانوس من عظماء الرومانيين عن احوال مصري يقول « قد استقصيت احوال مصر واستقرت عوائدها واطلعت عليها اطلاعاً كلياً وكنت في بادئ أمري أصفها بالمدح واتحاشى ذمها فتبين لي بعد التأمل والنظر انها عبرة لمن اعتبر فهي طائفة لا تدوم على حال ولا تنكف عن المشاغبة والمنافرة لا سيما في أمور الدين وما يتولد منها على ان من لم

يعبد منهم الشمس والعجل وأبيس عد نصرانياً مع انه ليس كذلك بل الذين يزعمون منهم انهم اساقفة على دين المسيح هم كغيرهم من المصريين الذين يحترمون الشمس والعجل ولا فرق في ذلك بين الاسقف وحاخام اليهود وكل قسيس أو راهب أو عامي له في الشمس أو في العجل احترام . ويغلب على فكري انه لو أتى بطريك من بطاركة النصارى الخارجين عن ديار مصر ودخل مصر لشارك أهلها في التمسك بهذه الاحترامات الدينية وربما اعتقدوا ان العجل والشمس والمسيح انما هم أسماء مترادفة وانها في الحقيقة شيء واحد « اه

ويظهر ان الذي حمل ادريانوس على ان يرتكب هذا الخطأ في الحكم هو انه وجد بين علماء المدرسة اللاهوتية المسيحية وعلماء المدرسة الوثنية الأولى (١) علاقات اتحاد متينة العرى . واستمر ادريانوس متشبثاً بخطائه من جهة المسيحيين حتى انه لما اضطهد اليهود في مصر اشتد على المسيحيين فيها ايضاً فقتل منهم خلقاً كثيراً حتى خيل للناظر انه افنأهم جميعاً . ولأجلهم أمر بتميم عبادة الاوثان وارغام المسيحيين بنوع خاص على السجود لها



« المسيحيون يصلون ليلاً »

(١) انشأها بطليموس الاول وابنته تخرج الائمة المجتهدين مدة ٩ اجيال من سنة ٣٢٣ ق . م الى ٦٤٠ ب . م وكانت تشتمل فضلاً عن الفاسفة في الطب والكيمياء والطبيعة والحساب

(٢) ساويرس سبتيموس - وبعد ادريانوس توالى جملة قياصرة لم يكن لهم اهتمام يذكر بمسيحي مصر حتى استولى على العرش ساويرس سبتيموس سنة ١٩٣ م . ولما استتب له الملك وقد على مصر وأخذ يتجول في أنحاءها حتى وصل الى مدينة طيبة وقد هاله ما شاهده في سياحته من الانتشار السريع الذي أحرزته الديانة المسيحية وأوجس خيفة من تمدن أهلها وكثرة عددهم وخشي منهم على المملكة الرومانية نفسها فأصدر أوامره لليتوس والي مصر الروماني بمحو آثار ذلك الدين

وقد كانت أوامر القيصر هكذا صارمة وقد بذل الوالي جهده ليجعل الاضطهاد قاسياً طبقاً لرغائبه حتى عم جميع أنحاء القطر المصري الا ان الضغط الشديد كان على مدينة الاسكندرية بنوع خاص لانهم كانوا يعتبرونها مركز الديانة المسيحية . ومن شدة هول الاضطهاد الذي دام طول مدة بقاء القيصر بمصر ولم يكف الا بعد تركه اياها قفلت المدرسة اللاهوتية وتشتت تلاميذها ولازموا بيوتهم وفر اساتذتهم الى خارج البلاد ليفوزوا بحياتهم

وكان اضطهاد ساويرس دون باقي القياصرة منحصرأ بالأخص على العالم المسيحي في مصر وافريقيا لانه لم يكن يخشى من المسيحيين سوى الاقباط وذلك لمعرفته بوفرة ثروتهم وكثرة علومهم ومعارفهم . ولما كان لا ينقص اهل مصر في ذلك الحين للتخاص من نير الرومانيين غير الاتحاد والوثام وكان الدين المسيحي هو العامل على لم شعنتهم ونظم عقدهم حاول القيصر ان يلاشي ذلك الدين من مصر غير مكترث بمسيحي باقي الاقطار لما كان عليه اهلها من الفقر والضعف

والهندسة والفلاك والجغرافية والموسيقى والتاريخ واللغة الخ . وكان مقر اجناسها (١) المكتبة الكبرى كان فيها ٧٠٠ ألف مجلد واحترقت عند دخول يوايوس قيصر مصر (٢) المكتبة الصغرى وتحتوي على ٣٠٠ ألف مجلد باد معظمها انشاء اضطهاد الوثنيين للمسيحيين (٣) الرواق وفيه كانوا يتمنون على درس العلوم . ومن آثار هذه المدرسة ترجمة التوراة من العربية الى اليونانية وهي الترجمة المعروفة بالسبعينية



« المسيحيون يهلون في المنابر والتفتق »

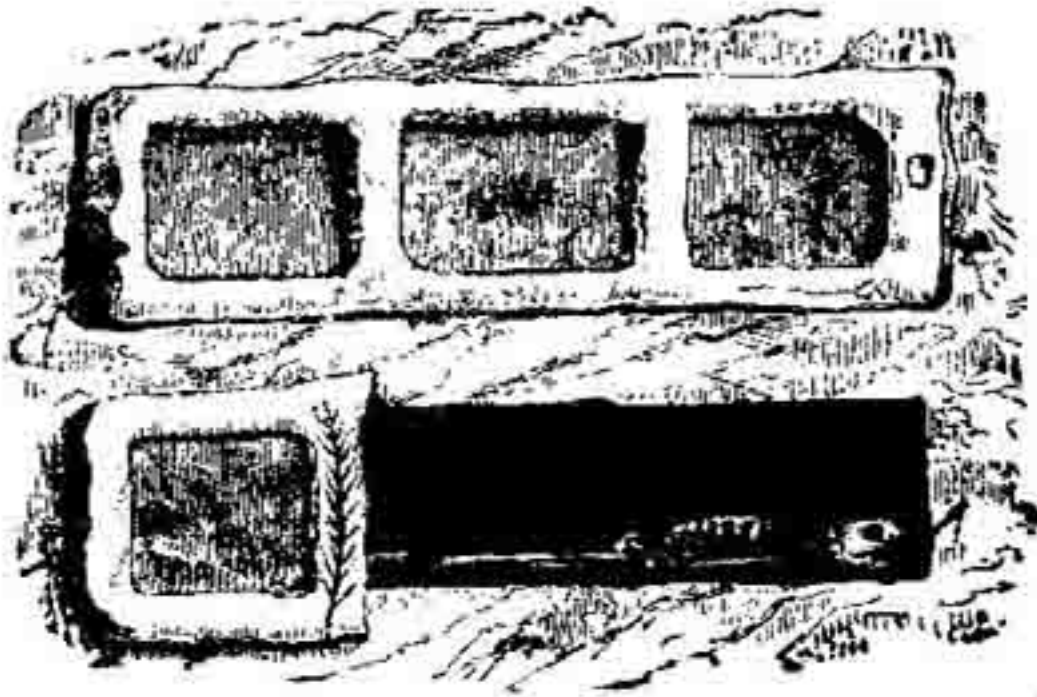
وقد استشهد من الاقباط في ذلك الاضطهاد كثيرون ولشدة الاضطهاد ظن
المسيحيون ان المسيح الدجال قد ظهر . وقد شهد اكليمنديس الاسكندري انه
كان عدد عظيم من المسيحيين يستشهدون يومياً بمقاسين انواع العذاب وقال ان
كثيرين منهم كانوا يصلبون أو تقطع رؤوسهم أو يحرقون امام اعيننا



« صورة قديمة تمثل الراعي الصالح وجدت منقوشة على أحد قبور الشهداء »

واستمر الوالي الروماني بمصر يعذب المسيحيين سبع سنوات ويوقع بهم صنوف البلايا فكان يهجم على الرجال والنساء في بيوتهم فجأة ويقبض عليهم ويجرهم الى مكان القتل وهناك تقطع رؤوسهم بعد أن يذوقوا أمر عذاب . وبعضهم يلقون في السجون ويبقون بها حتى تفتك بهم الأمراض . وكانوا أحيانا يعمدونهم بمنتهى القساوة كما يرغب المشركون عليهم وأحيانا يرفق بهم فيسمح لهم بمشاهدة اهلهم واصدقائهم والتكلم معهم مما يخفف عنهم آلام السجن نوعاً . وكان المسيحيون يتقابلون بعضهم بعضاً في الطرقات وكل منهم يظهر للآخر انه ينتظر اليوم الذي يقبض فيه عليه ولم يكونوا يستطيعون التكلم عن المسجونين الا همساً في الأذان فكان الواحد منهم يقول لصاحبه « هل اتاك الخبر أن فلاناً قبض عليه وسجن ولا يمكن ان يطلق ثانية » وكقول بعضهم « وأسفاه على حالتنا التعيسة . ما العمل » ولم يزل الامر كذلك حتى ضاقت بهم رحبات السجون وسالت دماؤهم على الارض فحضببتهم . وقد بلغت قساوة المضطهدين مبلغاً جمعت النساء في هذه الاضطهادات يعذبن عذاباً أليماً بخلاف الرجال الذين كانت تقطع رؤوسهم بدون تعذيب

ولشدة الأهوال التي لاقاها المسيحيون انتشرت الأخبار بينهم حينئذ بان
المسيحيين قتلوا في كل العالم اجمع وسمات السيوف في انصارى قلم ينج منهم الا
من لجأ الى الجبال واختفى في المغائر



« بقايا الشهداء في قلب الأرض »



الفصل الثاني

مشاهير الشهداء



(٩) بوتامينا الفتاة العفيفة وامها مارسلا وباسيليوس الجندي (٢) صوفيا

(١) بوتامينا الفتاة العفيفة وامها مارسلا وباسيليوس الجندي . كانت
بوتامينا هذه امرأة حسنة وقد ربتهما أمهما مارسلا على قواعد الأيمان ووضعتها تحت
أرشلة الملامة أورييجانوس فتم تهذيبها . ولما كانت بوتامينا فتاة بارعة الجمال
أغرم بها مولاها الذي كانت تخدمه وحاول مراراً ان يفرها تارة بالوعد وطوراً

بالوعيد ليتمكن من افساد بكارتها ولكنها قاومت اغراءه بعزم وثبات . فلما خاب
امله منها احتدم غيظاً عليها وعمد الى اهلاكها فشكاها الى والي الاسكندرية
بانها مسيحية ووعده بمبلغ وافخر من المال ان استمطها الى رغباته القبيحة وطلب
اليه ان لا يحكم عليها بالعذاب الا ان استمرت مصرّة في اباؤها

فاحضرها الوالي الى المحكمة واستعمل معها جميع الوسائل الممكنة لاغرائها
ولكنه لما رأى ان اجتهاداته المتكررة لم تنجح مطلقاً وان بوتامينا ثابتة على
عزمها رغم ما هدهدها به من العذاب حكم عليها أخيراً بان تطرح في قدر سملوء من
الزيت المغلي اذا أصرت على عصيان مولاها . فاجابت القديسة الوالي قائلة .
« استخلفك بحياة الملك الذي تجله ان لا تسمح بنزع اثوابي كي لا أظهر عريانة
وهوذا من هذه النعمة التي تقتضيها مني فضيلة الاحتشام ارضى ان أنزل رويداً
رويداً في القدر باثوابي لكي تدرك مقدار الصبر الذي يمنحه لي مخلصي يسوع
المسيح وانت لا تدريه » فقبل الوالي طلبها وسامها للجلادين وبينما كانوا سائرين
بها الى موضع العذاب تعرض لها اراذل الناس بالكلمات الدنسة فزجرهم أحد
الذين كانوا مكافئين بحراستها ويدعى باسيليدوس وحافظ عليها حتى وصلت الى المكان
فلما شاهدت منه ذلك قالت له « تشجع فاني سأصلي من أجلك حينما أكون في
دار سعادتي بعد الموت »

وحالما فرغت من كلامها وضعت رجليها في الزيت المغلي وأجرى عليها
الجلادون نكالا بطيئاً استقام ثلاث ساعات وهي تظهر صبراً مدهشاً حتى تيقنوا
انفسهم بان نعمة يسوع المسيح ترفع خدامه فوق أطول عذاب وأشدّه وما
وصل الزيت الى قمة رأسها حتى اسامت روحها في يد القدير . وماتت أمها مارسلا
ايضاً حريقاً في ذلك الوقت نفسه

أما باسيليدوس الجندي فقد اثرت عليه احوال تلك الفتاة التعيسة ولا سيما
سجاياها الحميدة واحتمالها المعجيب فأمن بمخلصها وقد انجزت القديسة وعدّها له
عندما طلب من أحد الجنود رفقائه ان يحلف له بالآله فامتنع قائلاً « انا مسيحي »
فظنوه يمزح اولاً لكنهم لما رأوه ثابتاً على الاعتراف بالايمان قبضوا عليه وأتوا
به الى القاضي فطرحه في السجن فأتى المؤمنون يفتقدونه ومنحوه سر المهاد ولما

سألوه عن كيفية قبوله الايمان اجاب « ان القديسة بوتامينا ظهرت لي في رؤيا بعد موتها بثلاثة أيام ويدها اكليل وضعت على رأسي وهي تقول لي «ستكون معي بعد قليل» وفي اليوم الثاني قطع رأسه بعدما اعترف بيسوع المسيح اعترافاً مجيداً .

وروى ترتوليانوس واوريجنوس أن عدداً عظيماً من الوثنيين غير هذا الجندي تنصر حينئذ بواسطة ما بدا من الصفات الحسنة من القديسة بوتامينا ومنهم ارنوبيوس احد علماء البلاغة المشهورين بين كتاب الاجيال الاولى الذي شاهد القديسة بمجد في حلم . وقيل انها ظهرت لكثيرين فأمنوا بالمسيح

(٢) صوفيا - وفي ايام البابا اومانيوس البطريرك السابع اشتد الاضطهاد على القبط فاستشهد منهم كثيرون . اشهرهم القديسة صوفيا من منف . وهذه القديسة هي التي نقل القيصر قسطنطين الكبير جسدها الطاهر الى القسطنطينية وشاد لها الكنيسة الشهيرة باسم (اجيا صوفيا) أي «القديسة صوفيا»

القسم الرابع

البرع والانتقادات

(١) المدرسة الوثنية الفلسفية (٢) تطرف بعض طلبة المدرسة اللاهوتية في التنفن (٣) امونيوس السقاص (٤) باسيليدس (٥) كركراتس (٦) فالنتينوس (٧) الخلاف على تعيين الفصح

المدرسة الوثنية الفلسفية . لما ازهرت المدرسة اللاهوتية ونمت النصرانية بفضل جهاد اولئك العلماء الافاضل الذين انجبتهم تلك المدرسة وكانوا ركناً متيناً لدين المسيح دبت الغيرة في قلوب الوثنيين فعملوا على مباراة المسيحيين وأنشأ

رئيس فلاسفتهم أمونيوس السقاص الذي يظن بأنه أحد مبتدعي المسيحيين المدرسة الوثنية الفلسفية وخصصها لتعليم الفلسفة الافلاطونية الجديدة وهي خلاصة مذهب افلاطون وارسطو وفتحت لهذه المدرسة خزائن مكتبة الاسكندرية المملوءة بالمصنفات الموضوعة من علماء المصريين واليونان واخذوا يجهدون انفسهم في توسيع دائرة علومها فاشتغلوا في تكثير المجلدات وزيادة التآليف فخصص قسم من النساخ لتدوين ما يعليه عليه المؤلفون المعاصرون واهتم قسم آخر بنسخ ما يقفون عليه من كتب فلاسفة الوثنية القدماء ارادة زيادة انتشاره ليسهل على الجميع الاطلاع عليها .

وظهرت حينئذ كتب عديدة جداً ضد الديانة المسيحية غير انها لم تأت بشمرة لأصحابها لان المسيحية كانت آخذة في التغلب رغم كل مقاومة .

وقد عظم شأن تلك المدرسة في مدة مؤسسها وخليفته بلوتينوس وبرفيروس ثم جاء جامليك فأخذ يقاوم تعاليم المدرسة المسيحية فابتدأت من ذلك الحين تتحول من تعليم الفلسفة الراقية الى أعمال السحر والشعوذة وكان ذلك في أيام القيصر يوليانيوس الجاحد من سنة ٣٦١ - ٣٦٣ م الذي انهضها بعد سقوطها . ثم أخذت في الانحطاط حتى اندثرت في حكم القيصر يوستنيانوس سنة ٥٢٩ م ولم يرأسها بعد جامليك سوى نيروكلوس وداماسوس

(٢) نظرف بعض طلبة المدرسة اللاهوتية في القسطنطينية - قد ظهر في مصر

في هذا القرن كثيرون من المبتدعين الذين كانوا يدرسون بمدرسة الاسكندرية وجرهم الى الضلال تفننهم وقتئذ في الباس القواعد الدينية ثوب المجاز والرمز ومحاولتهم مزج اسرار الديانة الوثنية المصرية وغوامض رموزها بقواعد الايمان المسيحي البسيطة مجتهدين في اذاعة تعليمهم ومذهبهم في الاسكندرية فكانوا يرغبون ان يكونوا مسيحيين ويتوشحوا بثوب الفلاسفة ورتبتهم واسمهم . وكانوا يعتقدون ان الفلسفة الحقيقية موهبة الله العظمى الشافية منتشرة فيما بين كل شيع الفلاسفة ويجب على كل عاقل ولاسيما المعلم المسيحي ان يجمع هذه النثر من كل الجهات ويحامي بها عن الديانة

وهؤلاء الاشخاص لقبوا بالاكلكتيكيين (المنتخبين) واستخاروا تعاليم

افلاطون واعتقدوا باكثر تعاليمه عن الله والنفس والانسانية والعالم . الا ان
اكثر هؤلاء ضلوا في تعاليمهم ضللاً مبيئاً ومنهم

(٣) أوسوبوس القفصى - يقال انه ولد وتهدب مسيحياً ويحتمل انه فقط

كان مدعياً بالمسيحية كل حياته . وكان يرغب ان يضم جميع الاديان بما فيها
المسيحي الى ديانة واحدة ليعتنقها الجميع وحاول ان يجعل قواعد هذه الديانة
مرضية لكل أهل الاديان المختلفة فحول كل تاريخ الآلهة الوثنية الى تشابه
واستعارات مثبتاً ان ما يكرمه العامة والكهنة بالقباب آلهة انما هم خدام الله
الذين يليق بنا ويجب علينا ان نقدم لهم الخشوع حتى لا يبعدوا عن الخشوع
الاعظم اللائق بالله تعالى . وسلم ايضاً بان المسيح كان انساناً خارق العادة وحبيب
الله وطارفاً بعمل الله بنوع مدهش وانكر ان المسيح أخذ في ملاحظة عبادة
الارواح خدام العناية الالهية (آلهة الوثنيين) بل اراد ان يزيل ما تلطخت به
الاديان القديمة وتلاميذه أفسدوا ودنسوا مبادئ معلمهم

(٤) با-يليرسى - وهو اشهر الفنوسطيين كان من الاسكندرية ونشر

ضلالة فيها أخذاً عن سيمون الساحر ومنندر الهرطوقى واخترع خرافات اكثر
سخافة من غيرها مدعياً ان ابراساس (الآب) خلق نوس (الفهم) وهذا خلق
لوغوس (الكلمة) وهذا خلق فرونايس (الفطنة) وهى برأت صوفيا وديناميس
(الحكمة والقدرة) اللتين فطرتا الملائكة وهم خلقوا السماء الأولى وبعض
ملائكة آخرين ودولاء خلقوا ايضاً سماء ثانية وعلى هذا النسق اتصلوا الى
انهم صاروا ٣٦٥ سماء بمقدار أيام السنة ومقدار مجموع حروف كلمة ابراكساس
اليونانية .

وكان يقول ان اله اليهود كان رئيس ملائكة من الرتبة الثانية . ولما كان
يرغب فى الاستيلاء على جميع القبائل ثار عليه جميع الرؤساء فارسل الله نوس ابنه
البكر لينقذ الناس من الملائكة الذين خلقوا العالم . وقال عن نوس هذا الذي
هو يسوع المسيح انه قوة غير هيولية وكان يتشجح ما شاء من الهيئات ولهذا لما
اراد اليهود ان يصلبوه اتخذ صورة سمعان القروي واعطاه صورته فصلب سمعان

لا يسوع الذي كان يسخر باليهود . ثم عاد غير منظور وصعد الى السماء
وروى ابن العبري المؤرخ انه قال باكرام الحية وتعظيمها لانها المشيرة على
حواء بالمجامة ولولاها لما تناسل الناس . قيل وكان باسيليدس يفر من الاستشهاد
وينكب على مباشرة السحر وينغمس في كل نوع من الشبق . وكان يدعي بانه
أخذ تعليمه عن متى الرسول وغلوسيوس تلميذ بطرس الرسول . وعرض مذهبه
على الناس بوجه سرى منهم فتبعه قوم كثيرون واستمر مذهبه هذا الى أواخر
القرن الرابع

(٥) كركر انسى - ويسمى اتباعه نيوستيثيين اعني معلمين ومستنيرين
وكان يزعم اولاً ان يسوع المسيح كان ابن يوسف ومولوداً منه كعامه الناس
ومتميزاً عنهم بقوته فقط وان الملائكة خلقوا العالم وانه يلزم من أثر البلوغ الى
الله ان يتم جميع افعال الشهوة المتعددة التي يجب ان تطاع في كل شيء مجدفاً
بقوله انها ذاك العدو الذي يأمر الانجيل بان نصلح معه (مت ٥ : ٢٥) وكان
يقول انه باحتقار شرائع الملائكة الاشرار كافة على هذا الاسلوب تتحصل
قمة الكمال . وان النفس تنتقل الى اجساد مختلفة الى ان ترتكب جميع الافعال
الأكثر شناعة . وكان يسلم بوجود تفسيرين وان الاولى منها دون الثانية تكون
خاضعة للملائكة المتعددين . واتباع هذا الهرطوقى كانوا يدعون مسيحيين ويميزون
انفسهم عن غيرهم بوسمهم طرف اذنهم الأذنى بالنار او الحديد وكانوا يسجدون
لصور تلاميذ فيثاغوروس او افلاطون او غيرها من الفلاسفة مع صور
المسيح سواء .

(٦) فالتينوس - لما لم يحصل على درجة الاسقفية التي كانها عملاً بها انشق
من الكنيسة وقد انكر تجسد المسيح من السيدة العذراء وزعم انه أتى بجسده
من السماء ومر بجسد مريم كما يجري الماء من القناة وعلم بتأثير متصل للارواح
بالانسان فتى ازدادت الارواح في جسده جعلت جميع ادناس الحواس جائزة .
وكان يقسم الناس الى ثلاث مراتب لحميين وحيوانيين وروحيين ويقول انه هو
واتباعه من الروحيين ولذا كان بمعزل عن الاضطراب الى الافعال الصالحة لكونهم

دون ريب في قمة الكمال ولانهم متأكدون نوال السعادة الابدية وكان يزعم ان
اللحميين ممنوعون من الخلاص ومنتخبون للنجيم
وتتلخص تعاليم هذا الضال بان البليروما (اسم غنوسطى لمسكن الله) فيه ٣٠
ايونا نصفهم ذكور ونصفهم أناث وغيرهم اربعة غير ممتزجين هم أورس (حارس
حدود مسكن الله) والمسيح والروح القدس ويسوع . ثم أن صوفيا (الحكمة)
اصغر الايونيين بينما هي مشتاقة لادراك طبيعة اللاهوت الأعظم ولدت بنتاً
اسمها حكيموث (العلوم) التي طردت من مسكن الله الى حكام المادة الضخمة
الغير المنتظمة فيمساءة يسوع ولدت ديميارغوس (صانع) باني كل الاشياء
وهذا افرز المادة اللطيفة الحيوية من المادة الكثيفة فصنع من الاولى السموات
ومن الثانية الأرض ومزج البشر من نوعي المادة وأمه حكيموث اضافت لها
جوهرأ ثالثاً سماوياً روحانياً

الا ان ديميارغوس داخلته الكبرياء ورام أن يحسبه البشر الهأ وارسل لليهود
انبياء ليظهروا لهم اولوهيته وتبعه كثيرون من اللائكة الذين تسلطوا على اجزاء
العالم المخلوق وادعوا ادعاءه . فارسل المسيح وهو مركب من جوهر حيوي
روحي ليبطل تمردهم آخذاً جسداً أثيراً من السماء ومر به من جسد العذراء كما
تجري المياه من القناة وبه اتحد يسوع اعظم الايونيين وقت عماده . فلما رأى
ديميارغوس ان يسوع يسمى في تقويض سلطانه أمر بصلبه غير أنه لما قبض عليه
تركه المسيح ونفسه العاقلة وعلق على الصليب نفسه الحاسة وجسده الاثري

(٧) الخريف على تمييز الفصح - كان يسمى يوم تذكار موت المسيح

وتكفير الشعب «الفصح» وسمي كذلك لأن المسيح صلب يوم حفظ اليهود
فصحهم . ولم يكن يعيد سنوياً فقط بل كان يعيد ذلك التذكار الخلاصى كل
احد . فكان يوم الأحد يعتبر ايضاً من جميع المسيحيين يوم فرح وبهجة
فيقتضونه بالصلاة وقوفاً وبلا صوم . غير ان الفصح السنوى كانت له شعائر
خصوصية في قلوب المؤمنين . وكان يحتفل فيه بتذكار الآلام والقيامة معاً

غير ان في ذلك الحين قام خلاف شديد بشأنه بين مسيحي اسيا الصغرى
وكيليكيا وسوريا وبين النهرين وبين غيرهم من المسيحيين . فكلاهما صام

الاسبوع المسمى أسبوع الآلام الذي مات فيه المسيح وفيه حفظوا عيداً مقدساً أو أكلوا خروفاً كما كانت تفعل اليهود تذكراً لعشاء مخلصنا الأخير . غير ان مسيحي آسيا وما يجاورها كانوا يحفظون الفصح في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبري في الوقت الذي أكل اليهود فصحهم فيه . وفي اليوم السادس عشر حفظوا تذكار قيامة المسيح في أي يوم من الاسبوع اتفقاً اعنى من دون مراعاة يومي الأحد والجمعة . فكانت تعتبر أهمية اليومين في عدد هما الشهرى ١٤ و ١٦ نيسان اللذين فيهما بالتمام تألم وقام لافى غيرهما . وقالوا انهم أخذوا هذه القاعدة من الرسولين يوحنا و فيلبس وعضدوها ايضاً بمثال المسيح ذاته الذي عمل فصحته مع اليهود . وكانوا يعتبرون يوم الآلام من وجه عقائدى يوم تحرير من العبودية و خلاص فكان يعد عندهم يوم فرح ويمنعون بعد انقضائه الحزن والصوم معاً

ولكن الكنيسة المصرية لم تعتبر الالهية في عدد اليوم من الشهر بل في اسمه الاسبوعي أعني الجمعة والاحد . فكانت ترى من الضروري ان يكون تذكار الآلام يوم الجمعة وتذكار القيامة يوم الاحد . ولهذا السبب كانت في السنين التي لا يتفق أن يكون اليوم الرابع عشر من نيسان يوم جمعه تعيد الآلام اول يوم جمعه بعده ثم القيامة يوم الاحد واسندوا هذه القاعدة الى بطرس وبولس الرسولين قائلين انها أصلها . وكانوا يعتبرون اليوم على وجه تاريخي يوم حزن ولم يسمح عندهم بحل الصوم قبل تذكار القيامة وقد وافق اساقفة روميه وانطاكية واورشليم اذ ذاك على ان يتبعوا ما اتبعه مسيحو الاسكندرية بناء على ما كتبه اليهم البابا ديمتريوس في ذلك

فكانت الكنائس متفقة على ضرورة تعييد الفصح ولكنها اختلفت في تعيين اليوم الذي يعيد فيه حتى كان بعضها يعيد بعد الاخر باسبوع احياناً . وبين سنة ١٦٠ و ١٦٣ م سافر القديس بوليكر بوس اسقف ازوير الى روميه لينهي بعض مسائل من جملتها مسألة الفصح أملاً باقناع اسقف روميه نيشيوس العاشر في اساقفتها في ان تعيد كنيسة الفصح مثل كنائس آسيا . وبعد جدال طويل لم يتمكن احدهما من اقناع الاخر . غير أن هذا الخلاف لم يكن مكدرراً لسلامة

المسيح بل كانت المحبة مستقرة في القلوب حتى ان نيشيوس تنحى للقديس بوليكر بوس ليجري تقديس القرايين

ونحو ختام هذا القرن ارتأى فيكتور اسقف روميه انه يجب التزام المسيحيين الذين في آسيا بالشرعية والاوامر لكي يتبعوا قانون اكثر العالم المسيحي . وكان وقتئذ البابا ديتر بوس على الكرسي الاسكندري و ناركيسس في اورشليم وباكشيلس في كورنثوس وبوليكر اتس في أفسس . فعقدت حينئذ مجامع كثيرة مكانية اجتمعت في قيصرية واورشليم والبنطس وغلاطية وكورنثوس وروميه وبين النهرين وغيرها وجميعها قررت رأياً واحداً وهو ان تراعى عادة تعييد الفصح اقتداء بالكنيسة الاسكندرية اى القيامة يوم الاحد وان لا يحل الصوم الا فيه لان اعظم للمسيحيين استحرم حفظ يوم آخر من ايام الاسبوع غير يوم الرب تذكراً لقيامة المسيح . وارسلت القرارات الى جميع الكنائس

غير أن كنائس اسيا وفي مقدمتها كنيسة ازوير واسقفها بوليكر اتس لم تره بان تغير عاداتها القديمة واجابوا اسقف رومية بحجة بأنهم لا يعدلون عن وضع سلفائهم المقدس . فاز تهيج فكتور من هذا العزم منهم من شركته وشركة كنيسته وليس من شركة الكنيسة الجامعة لانه لم يكن قادراً على ذلك اى انه قال انهم ليسوا مستحقين ان يسموا اخوته . ولكن بوليكر اتس جمع جمعاً مؤلفاً من خمسين اسقفاً كانت نتيجة محاوراته رفض طلب فكتور واعتبر عمله تعدياً . ثم كتب بوليكر اتس لفكتور رسالة سنة ٩٧ م استشهد فيها على صحة عقيدتهم بفيلبس الرسول وابنتيه ويوحنا الحبيب وبعض الشهداء والقديسين وختمها بقوله « ان الذى يقضى سبعين سنة في مطالعة الكتب المقدسة والذي رأى بعينه رسل الرب المشتتين في البلدان للتبشير . لا يبالي بالتهديد ولا بالوعيد وهو يعلم انه يجب ان يطاع الله اكثر من الناس » اهـ .

وما استلم فكتور هذه الرسالة حتى أخذ منه الحنق كل مأخذ فوق الحرم على بوليكر اتس ونادى بهرطقة كنائس اسيا وبضلالها ثم كتب بذلك الى جميع الكنائس المسيحية . غير ان الاساقفة الذين لم يكونوا حتى هذا التاريخ قد رأوا مثل هذا التهور في كنيسة الله كنيسة الصلح والسلام حملوا حملة شعواء

على فيكتور بان ارسلوا له رسائل مرة يوبخونه فيها على سوء صنيعه ومن أشهر هذه الرسائل رسالة ايريناوس التي خاطبه فيها بقوله « ان الاختلاف في يوم تعييد الفصح امر قديم في الكنيسة وليس بمحدث كما تظن . بل هو قائم في عهد اسلافنا الكرام الذين لم يقطعوا لذلك اسباب المودة والاخاء . واعلم أن الاساقفة الذين تولوا قبلك زمام الكنيسة الرومانية كانوا يشتركون في الصلاة مع الكنائس الاخرى التي كانت تخالفهم في ليلة العيد دون ان يحصل نزاع مطلقاً ودون ان يفصموا مثلك رباط الالفة والمودة » اه . وهكذا تمكن ايريناوس بواسطة مكاتيب محكمة ارسلها الى فيكتور وغيره من الاساقفة الذين لم يقطعوا علاقاتهم مع شركة الكنائس الآسيوية ان يخمد نار الخلاف ويوقف سيره وامتداده واضطر فيكتور ان يرضخ لحكم الاساقفة وأذعن لصوت الكنيسة العام وعاد الى شركته مع كنائس اسيا مع مخالفتها له في موضوع الفصح

وكتب اساقفة اسيا رسالة مستطيلة يبررون انفسهم فيها وهكذا استمر كل من الفئتين على عادته المختصة به الى ان ابطال عادة مسيحي اسيا المجمع النيقاوي في القرن الرابع بان اناط بالاساقفة الاسكندرانيين تحديد يوم عيد الفصح فظلوا يعينونه لجميع الكنائس المسيحية قروناً طويلة وترتب من ذلك الحين ان يصدر بابوات الاسكندرية رسالة في كل عيد فصح يرسلونها لجميع الكنائس المسيحية عموماً والمصرية خصوصاً في اليوم الذي يقع فيه عيد القيامة من كل سنة . وكانت لهذه الرسائل اهمية عظمى حتى عند غير المسيحيين لما تضمنته من الحساب الفلكي الدقيق الذي جرى عليه المصريون القدماء بالضبط ولذلك عهد بكتابتها الى بطريرك الكنيسة القبطية المصرية وحده لعلمه بهذا الحساب التاريخي علماً تاماً وكانت فاتحة هذه الرسائل موعظة بليغة تقرأ في الكنيسة جهاراً . ولا تزال الكنيسة القبطية سائرة على تلك القواعد التي وضعها رؤساؤها لكنائس العالم اجمع . وقيل ان الذي وضع ذلك الحساب المشهور بالا بقطي (١) هو بطليموس

(١) الابقطي هو عمر القمر في أول توت من كل سنة

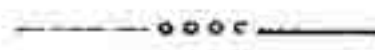
الفلكي الفرماوي صاحب كتاب المجسطى فى عهد البابا ديترىوس فنسب اليه ودعى بحساب الكرمه

فلو كانت كل الكنائس اعتقدت فى القرن الاول ما تعتقد به الكنيسة الرومانية الآن من رياسة باباواتها وعصمتهم لما انتظرت حكم المجمع المسكونى الاول لتخضع له وتعمل بأوامره بل خضعت للبابا الرومانى المعصوم صاحب السلطان المطلق

ولبت الكنائس سائرة على هذا الترتيب حتى سنة ١٥٨٢ م حين وضع اغريغوريوس الـ ١٣ اسقف روميه تقويمه الغوريغورى الذى ادخل به اصلاحاً على التقويم اليوليانى ولذلك صارت الطوائف الغربية التى سارت على التقويم الغريغورى تعيد الفصح بعد اكتمال البدر الذى يلي الاعتدال الربيعى مباشرة بدون نظر الى تاريخ ذبح الخروف اما الطوائف الشرقية فظلت باقية على العادة الاولى الى اليوم

ففى بعض السنين يتفق أن يكتمل أول بدر بعد الاعتدال الربيعى فى الوقت الذى يأتى فيه ذبح الخروف فتعيد جميع الطوائف المسيحية فى يوم واحد : ولكن فى سنين أخرى يكون اكتمال البدر قبل ذبح الخروف فيأتى عيد الفصح عند الغربيين متقدماً على الشرقيين . ومدة هذا التقدم تراوح بين اسبوع على الاقل وخمسة اسابيع على الاكثر ولا يأتى عيد الشرقيين قبل عيد الغربيين مطلقاً .

فالغرض من حساب الابقطى . انها هو تعيين يوم ذبح الخروف عند اليهود . ومنه يمكن تعيين عيد الفصح والاعياد المرتبطة به كعيد الصعود وعيد العنصرة وذلك لانه بين السنة التوتية القبطية والسنة اليهودية فرقاً نشأ من أن السنة الأولى شمسية والسنة الثانية ذات اشهر قمرية ولكي يقع الفصح اليهودى دائماً بعد الاعتدال الربيعى يضيف اليهود شهراً على سنتهم كل سنتين اى انها فى السنتين الاوليين تكون ١٢ شهراً وفى الثالثة ١٣ شهراً وبذلك جعلوها سنة شمسية ولو ان شهورها قمرية (١) .



القرن الثالث

القسم الاول

تاريخ البطركية

(١) ياروكلاس (٢) ديونيسيوس (٣) مكسيموس (٤) ثاؤنا

.....

(١) ياروكلاس - البطريرك الثالث عشر . ولد في الاسكندرية من ابوين

وثنيين صار فيما بعد مسيحيين وادخلا ابنيهما ياروكلاس في المدرسة اللاهوتية ليدرس العلوم بها فتعلم للعلامة اوريجانوس وأظهر مهارة فائقة ونبوغاً عظيماً حتى خصه البابا ديمتريوس بعنايته ورسمه شماساً فقساً ثم عينه مديراً لتلك المدرسة وسامه مقاليدها بعد طرد اوريجانوس منها . وقد أوكل اليه القيام بالوعظ فوق منبر الكنيسة المرقسية بالاسكندرية فاجتذب برقة أسلوبه وحسن سلوكه عدداً غير قليل من شبان الوثنيين . وعقب وفاة البطريرك ديمتريوس كان قد حاز صيتاً بعيداً في العلم والعمل فاجمع الكل على توليته منصب البطريركية ورسموه في شهر بابه سنة ٢٣٢ م في عهد ساويرس قيصر

ولكنه اضطر فيما بعد ان يهجر الاسكندرية بسبب الاضطهاد الذي اشعل نيرانه القيصر مكسيموس ضد المسيحيين . ولم يرجع اليها الا بعد ان هدأت القلاقل ونامت الفتن وتقوت المسيحية وكثر عدد المنضمين اليها وأوجد عدة ابروشيات جديدة حتى اقام عشرين اسقفياً على معظم مدن القطر المصري واستمر في جهاده مدة ١٦ سنة وشهراً واحداً و٢٦ يوماً وتوفي في ٨ كيهك سنة ٢٤٧ م وبالنسبة لشدة اعتبار الكهنة والشعب لهذا البطريرك ومحبتهم له دعوه (بابا)

أي (جد) الاسم الذي لم يسم به أحد قبله من بطاركة المسيحيين . ولا ندري كيف يتبعجح الغربيون ويفوهون بدون خجل بأن هذا اللقب هو خاص بأسقفهم دون غيره وشهادة التاريخ تنقض مدعاهم . قال صاحب « تاريخ الانشقاق » ج ١ ص ٢٩ — ٣١ « واما اساقفة عاصمات الولايات والاقاليم أعني الاولين في المطارنة فكانوا يسمون (اكسرخوسة الولايات) أو اساقفة اولين . غير انه كانت لبعضهم أسماء خاصة ايضاً منذ القديم . فكان اسقف انطاكيا يسمى « بطريكاً » . واسقف اسكندرية « بابا » واسقف رومية « اسقفاً » أو اسقف المدينة (أي رومية) أو حبراً (وهو اسم مأخوذ عن استعمال قديم للكهنة الوثنيين في رومية) و احياناً كان يسمى « بابا » . أما كلمة « بابا » فمن الواضح انها ليست كلمة لاتينية ولا غربية بل هي شرقية محضة . واول من سمي بها اسقف اسكندرية من ابناء ابروشيته في القطر المصري وفي اسكندرية عينها » اه

وقال افثيشيوس بطريك الملكيين باسكندرية (وهو سعيد بن بطريق من رجال القرن العاشر) في تاريخه طبعة سنة ١٦٦١ « ان كلمة « بابا » مركبة من « أب آبا » ثم أدرجت الى « أبابا » وتخففت الى « بابا » وانتقل الاسم « بابا » من كرسي اسكندري على كرسي رومي » اه وقال المقرئ المؤرخ المسلم في كتابه « دخول قبط مصر في النصرانية » « وكان بطرك الاسكندرية يقال له البابا من عهد حنانيا هذا اول بطاركة الاسكندرية الى ان أقيم ديمتريوس وهو الثاني عشر من بطاركة الاسكندرية . وصار الاساقفة يسمون البطرک الاب . والقسوس وسائر النصارى يسمون الاسقف الأب ويجعلون لفظة « البابا » تختص ببطرك الاسكندرية ومعناها « أب الآباء » ثم انتقل هذا الاسم من كرسي الاسكندرية الى كرسي رومه » اه (مجاني الأدب للجزويت ج ١ ص ٢٠٢ و ٢٠٣)

ولقد يدعي الغربيون ان تسمية اسقف اسكندرية « بابا » منحت من اسقفهم طيطنوس للقديس كيرلس في المجمع الثالث المسكوني اكراماً له ومن ذلك العصر أخذ بطاركة اسكندرية يلقبون باباوات . وفساد هذا الادعاء ظاهر لأن التاريخ يشهد بان بطاركة الاسكندرية كانوا يسمون باباوات لا قبل المجمع الثالث والثاني

فقط بل قبل الاول أيضاً فان هذا اللقب اطلق على ياروكلاس الذي كان قبل كيرلس ب ١٨٢ سنة واطلق على اثناسيوس الذي كان قبل كيرلس ايضاً ب ٨٤ سنة . وقد امتد لقب بابا الى قرطجته قبل رومية بدليل ان كرنيليوس اسقف رومية القديمة صدر معظم رسائله التي بعث بها الى قبريانوس اسقف قرطجته في اوائل القرن الثالث بقوله « السلام من كرنيليوس الى البابا قبريانوس » ومن ثم امتد ذلك اللقب الى اسقف رومية في القرن الخامس بشهادة البابا بونيفيوس انفسهم كما جاء بص ٣٤ من كتاب « تاريخ الكنيسة الاسكندرية » للبطريرك كيرلس مقار ما نصه « ان الكنيسة منذ القرن الخامس قد جعلت لقب « بابا » خاصاً بأسقف رومية » اهـ

والحقيقة ان اسقف رومية لم يدع حق ملكية لقب « بابا » الا في القرن الحادي عشر حيث عقد غريغوريوس السابع اسقف رومية مجمعاً مكانياً حرم فيه كل اسقف يطلق على نفسه أو على غيره ذلك اللقب . وأما قبل هذا التاريخ فلم يتجاسر اسقف روماني بحصره في شخصه بدليل انه في القرن السادس كتب فرتوناتوس اسقف بواتييه بفرنسا الى كل من فيليكس اسقف نانت وافروتيوس اسقف تور (وكلاهما بفرنسا ايضاً) رسالة لقبهما فيها « بالبا وبين الظاهرين » وفي القرن السابع ورد اسم قورش (دخيل على الكرسي الاسكندري) مسبقاً بلفظة بابا وذلك من ضمن اعمال المجمع المنعقد بالقسطنطينية سنة ٦٨٠ م

قال مؤلف كتاب مختصر تاريخ الامة القبطية ص ٦٠ « اما اذا كانت حبر رومية المذكور (غريغوريوس السابع) قوي فيما بعد على ان ينتزع لقب « بابا » من اخوته الغربيين ويحصره في شخصه فانه لم يقو ولن يقوى على انتزاعه من حبرنا الاسكندري . ونظرة واحدة الى جميع الخولاجيات القبطية (سواء كانت بين ايدي الارثوذكس او بين ايدي اخوانهم الكاثوليك) تكفي لتبرهن لنا على ان اسم الحبر الاسكندري لا يذكر حتى اليوم الا مشفوعاً بلقب بابا متبوعاً بالقاب ثلاثة . ففي الثلاثة القداسات وفي صلوات بخوري عشية وباكر بل في جميع طقوس البيعة القبطية ينبه الشماس الشعب عند « اوشية الآباء » قائلاً « صلوا من اجل رئيس كهنتنا انبا فلان بابا وبطيريك وسيد ورئيس اساقفة

مدينة الاسكندرية العظمى « اه (١)

ولا نظن الكاثوليك فيما بعد يتجاسرون على سلب القاب غيرهم . ولكن اذا كنا نراهم قد سلبوا لقب الرب يسوع الاساس الوحيد والرأس الفريد للكنيسة وجعلوا هذا اللقب وقفاً على أسقفهم فلا عجب اذا تهمجوا ايضاً على القاب سواهم من رؤساء المسيحية

(٢) ديونيسيوس - البطريرك الرابع عشر . ولد بالاسكندرية في أواخر القرن الثاني وكان عابداً للأوثان على رأي مذهب الصابئة (٢٠) وكان مقداماً وحكيماً قبيماً هو جالس في بعض الايام اذ مرت به عجوز ارملة ومعها كراسية مكتوبة من رسائل بولس الرسول تريد بيعها . فاشترها منها وأخذ يتأمل فيها . ولما فهمها جيداً اعجب بها للغاية ووقعت عنده موقعاً حسناً واعتبرها أفضل من كل ما قرأه من كتب الفلاسفة . ثم طلب من المرأة ان تأتيه بمثل هذه الكراسية وهو يدفع لها ما تطلب من الثمن لانه رأى انه قد بقي من الكتاب شيء آخر . فذهبت المرأة واحضرت له ثلاث رسائل أخرى وقدمتها اليه فاخذها وبدأ يطالعها وهو مندهش ودهش ور جداً لجلال اللفظ وسمو المعنى

فشعرت المرأة بان نعمة الله عملت في قلبه فقالت له اذا شئت ايها الفيلسوف ان تطلع على كثير من مثل هذه الاقوال فعليك بالذهاب الى الكنيسة حيث تجد من يعطيها لك مجاناً . فمضى لساعته الى الكنيسة وتواجه مع شماس يدعى اغسطين فدفع له رسائل بولس كاملة فقرأها وحفظها من قوة ذكائه ومضى الى البطريرك ديمتريوس ونال منه سر المعمودية ثم انخرط في سلك المدرسة اللاهوتية وتلمذ لاوريجانوس العلامة . وفي وقت وجيز نبغ في العلوم المسيحية كما كان ماهراً في العلوم الفلسفية . وكان له تلاميذ كثيرون يتعلمون منه الفلسفة الوثنية فأثر عليهم باقواله وجعلهم يتبعون ديانته الجديدة ويدرسون عليه العلم المسيحي الحقيقي . وقال الانبا ساويرس المؤرخ « انه جعل بيته بيعة وليبتدئ مدة طويلة تدعى

(١) ان اول من اطلق لقب بطرك عنى باباوات الاسكندرية هو القديس اثناسيوس الكبير حيث كتب عن اسكندر بابا الاسكندرية وسماه بطريركاً
(٢) عبادة الكواكب والنجوم

باسمه ». وقال هذا المؤرخ ايضاً انه كان اسماً تلاميذه تاودورس واغريغوريوس واثناخورس هؤلاء أقاموا معه خمس سنين بعد تقدمته ثم نالوا رتبة الكهنوت وكان له تلميذ آخر اسمه افريقتوس كتب خمسة كتب وتعب فيها فلما سمع بحكمة ياروكلاس البطريك مضى الى الاسكندرية ليتعلم منه وكان ديونيسيوس يقول له « اعلم ان كل انسان لا يأكل الطعام الروحاني فهو هالك وقد كنت انا مشغولاً بالطعام الفاني وغافلاً عن خبز الحياة الباقي حتى هداني الرب » واجتذب التلميذ بهذا الكلام الى التعليم السماوي حتى ان من فضله عرف صحة نسبي المسيح في انجيلي متى ولوقا ولم يجد فيهما خلفاً بالكلمة

وكان لديونيسيوس بعد قبوله سر المعمودية نشاط وغيرة عظيمين فأحبه البابا ديمتريوس ورفاه الى رتبة الشموسية وبعد وفاته رفع البابا ياروكلاس درجته الى وظيفة قس ثم قلده فيما بعد رئاسة المدرسة اللاهوتية ومناظرة بعض الشؤون الرعوية فاستمر في عمله لا يكف عن ان يعلم ويمظ ويعمد المرتشدين حتى توفي البابا ياروكلاس فاجمت كلمة المسيحيين على ان يخافه ديونيسيوس فساموه بطريكاً في شهر كيهك سنة ٢٤٧ م في عهد فيليب قيصر بعد ان ترك في رئاسة المدرسة اللاهوتية ببروس

ولما اضطهد دييسيوس قيصر المسيحيين كان همه موجهاً بالاختصاص الى رؤسائهم فشدد على نوابه بان يقبضوا على رؤساء المسيحيين في العالم اجمع . فحاول نائب القيصر في مصر القبض على البابا ديونيسيوس فلم يفلح وتمكن البطريك من الهروب الأمر الذي لامه عليه جرمانوس أحد اساقفة الاقاليم فأرسل اليه البابا ديونيسيوس الرسالة الآتية يدافع فيها عن سبب هروبه ويوضح الحوادث التي مرت به حيث قال : —

« الى جرمانوس سلام .

« وبعد فاني اتكلم أمام الله واشهده على نفسي اني لا اكذب فيما أقول بان هروبي لم يكن طبقاً لأرادتي كما لا ادعي اني اتيت به بناء على الهام من الله بل الواقع انه قبل أن يبتدىء الاضطهاد الذي اثاره دييسيوس قيصر جاء رجل اسمه فرومنتاريوس من قبل حاينوس ليبحث عني وكنت قد مكثت في منزلي

نحو اربعة ايام أنتظر مجيء فرومنتاريوس الذي لم يأت الى بيتي توأ بل ذهب
ينقب في كل مكان في الشوارع والحقول وبقرب الانهر حيثما ظن انني اختبئ
هناك وكأنه نهرب بالعمى فلم يستطع العثور على منزلي لانه لم يخطر بباله قطع
انني ابقى في البيت وقت الاضطهاد . فمرت الاربعة الايام على هذه الحالة الى
أن أذن لي الله ان اترك كميني وفتح لي طريقاً سلكت فيه بكيفية عجيبة جداً
فخرجت من المنزل ومعى اتباعي وكثيرون من الأخوة المسيحيين وكان ذلك
بتدبير من الله وعناية منه ظهرت لنا في كل الذي تم معنا بعد ذلك وبدونها لم
نكن نذكر بشيء أو تفيد شيئاً

وعند ما أذنت الشمس بالمغيب كنا قد قربنا من مدينة تدعى (اطابوزيرس) (١)
أمسكني المساكر انا ورفقتائي وقادونا الى سجن المدينة ولكن تيموثاوس لم
يكن موجوداً ولم يلق القبض عليه وذلك بعناية الهية فانه لما دخل البيت وجدته
قفاً وليس فيه سوى خدام يجرسونه . أما نحن فصرنا عبيداً أرقاء . وقد اتفق
ان رجلا من الاريايف رأى تيموثاوس راكضاً تلوح عليه دلائل الخوف والجزع فسأله
الرجل عن سبب جريه فاوضح له تيموثاوس جلية الخبر . وبعدان سمع الرجل هذا
الأمر ذهب في طريقه وكان قاصداً ولية عرس فلما استقر به الجلوس في المجلس
قص هذا الخبر على آذان المدعوين لهذه الولية فلم يكن الا كلح البصر حتى نهضوا
جميعهم نهضة رجل واحد كأنهم كانوا على اتفاق سواء و جاؤا مسرعين كالسيل
الجارف واندفعوا علينا كالنسور واخذوا يصرخون ويضجون باصوات كالرعد
القاصف فلما رأى المساكر الذين كانوا يجرسوننا ما جرى ولوا الادبار واركبوا
الى الفرار فانقض اولئك علينا انقضاض البواشق بينما كنا نياماً على اسرة ليس
عليها شيء من الفراش . ويعلم الله اني ظننتهم في بادىء الامر جماعة من اللصوص
جاؤا قاصدين السلب والنهب ولذلك ظلمت نائماً دون ان ابدي حراكا وليس
علي شيء من الملابس سوى قميص من الكتان اتدثر به واما باقي ثيابي فكانت
مطروحة بجانبها لم عند ما اقتربوا مني . أما هم فلم يكونوا يقصدون
النهب ولا يبتغون الثياب بل أمروني ان اقوم من مكاني وأسير معهم مسرعاً الى

(١) مدينة صغيرة في مريوط غربي الاسكندرية

حيث يريدون . فلما ادركت قصدهم من المجيء الينا أخذت في البكاء والمويل
وتوسلت اليهم متضرعاً ان ينصرفوا عنا ويتركونا وشأننا وقلت لهم انهم اذا
شاؤا ان يعملوا معنا جيلاً فليستأذنوا الذين ادخلوني في هذا المكان ومن ثم
يقطون رأسي . فلما صحبت عليهم هكذا كما يشهد بذلك رفاقي والذين اشتركوا
معي في الضيقات اجتهد اولئك القوم ان يأخذوني قسراً رغماً مني ولذلك
القيت بنفسي على الارض مطروحاً على ظهري ولكنهم لم يشفقوا علي بل امسكوا
يدي ورجلي وجروني خارجاً وتبعني الذين شاهدوا هذه الحادثة وهم كايوس
وقسطس وبطرس وبولس فاخرجوني خارج المدينة واركبوني حملاً غير مسرج « اهـ .
وارسل البابا ديونيسيوس برسالة اخرى الى بطريك انطاكية يشرح فيها
باسلوب مؤثر شدة ما قاساه المؤمنون من العذاب في ذلك الاضطهاد وسنذكرها
في الكلام على اضطهادات هذا القرن وكان قصده من ارسال تلك الرسالة
لذلك البطريرك ان يستنهض همته حتى لا يجزع من الضيقات ولا يخاف من
الموت بل يثبت على محبة القادي الى النهاية

ولما مات القيصر ديسيوس سنة ٢٥١ م هدأت قليلاً سورة الاضطهاد فكتب
ديونيسيوس الى القيصر غالوس يذكره بما جناه ابوه على المسيحيين فأثر ذلك
في نفس القيصر تأثيراً حسناً . ولكن داء الدفترية الذي تمشى فيما بعد في انحاء
المملكة كان وبالاً على المسيحيين لان كهنة الاوثان اقموا القيصر بانه نتيجة
غضب الآلهة من انتشار المسيحية . فنشأ عن ذلك اضطهاد هذا القيصر
للمسيحيين اضطهاداً مريعاً للغاية الى ان مات سنة ٢٥٣ م وتولى مكانه فاليريان
الذي سالم المسيحيين في مبدأ الامر حتى تسنى للبابا ديونيسيوس ان يطوف في
انحاء القطر المصري مفتقداً رعيته التي كادت تتمزق من احوال الاضطهادات .
وقد ساء في سياحته شامسة وقسوساً ودشن كسائس عديدة وبذل جهده في
تعزية شعبه ومواساته في مصائبه كما هو شأن الراعي الصالح . ولما وصل في
سياحته الى ابروشية (١) ارسينو (٢) في الفيوم وقف على بدعة ابتدعها اسقفها

(١) ابروشية (يقع الباء وسكون الراء) لفظة يونانية معناها مقاصعة
(٢) ارسينو هي الآن كيمان فارس المتخرية بحري مدينة الفيوم الحالية

في مسألة ملك المسيح الألف السنة ففضى عليه في مجمع عقده هناك كما سيأتي ذكره في باب البدع

وفي ذلك الحين مات فايبانوس اسقف روميه واقيم كرنيليوس خلفاً له فاستولى روح الحسد على نوفاسيانوس احد كهنة روميه وأسكر اسقفين وجعلها يوسمانه اسقفاً على كرسي روميه . وما بلغ أمنيته حتى نشر بدعة جديدة مؤداها رفض توبة الذين يجحدون الايمان أو يقعون في اثم كبير وبوجوب اعادة العماد الذي يتم على أيدي الهرطقة وكذلك عماد الارثوذكسيين الذين يتساهلون في قبول الهرطقة التائبين . ولما علم نوفاسيانوس ان كرنيليوس احتج عليه لدى الاساقفة ارسل للبابا ديونيسيوس البطريرك الاسكندري يقول له « ان الشعب ارغمني على قبول الاسقفية » فارسل اليه البابا ديونيسيوس رسالة يقول فيها : —

ديونيسيوس يهدي سلامه الى أخيه نوفاسيانوس

« وبعد . فاذا صح ما قلته وصدق اعتذارك في انك قبلت الوظيفة بطريقة غير قانونية ضد رغبتك فعليك ان تبرهن ذلك بان تترك هذه الوظيفة برغبتك وتمزطها بارادتك لان الواجب علينا ان نحتمل كل شيء ونذوق كل هوان وعذاب لا ان نسيء اساءة تؤثر في كنيسة المسيح التي افتداها بدمه . واعلم هداك الله ان المجد الاسنى والشرف الاعظم يكونان لنا كاملين اذا نحن متنا شهداء لاجل الكنيسة من ان نسهل لابنائنا تقديم الذبائح للاوثان وانكار الايمان . ومن رأيي ان الذي يموت شهيداً لاجل ايمانه انما يريح نفسه وينال المجد والثواب لشخصه فقط ولكن الذي يموت لاجل الكنيسة فهو يفيد الكنيسة ونفسه ايضاً . والنتيجة انك اذا اذنت اخوانك وسمتهم على اتمام مبادئ الاتفاق والوثام فتكون حسناتك قد زادت عن سيئاتك والا ان لم تستطع التأثير عليهم وخالفوا وساطتك فاعمل على الاقل لخلاص نفسك واربابها . وفي الختام أهديك تحيتي وسلامي على أمل انك راغب في السلام عامل على توطيد دعائمه باسم ربنا يسوع المسيح » اه

ثم كتب هذا البابا الى جميع الكراسي المسيحية لكي يقطعوا الشركة مع

نوفاسيانوس وحفاز على اكليروس كنيسة روميه معاملته واوصاهم بالتمسك بكر نيلديوس
اسقفهم الشرعي حتى كانت نتيجة سعيه ان اعتزل نوفاسيانوس الكرسي الروماني
وتركه لكر نيلديوس الذي عقد مجمعا حرم فيه خصمه والبدعة التي جاهر بها .
وفي سنة ٢٥٧ م ثار اضطهاد القيصر فالريان فالقي والي مصر القبض على
البابا ديونيسيوس بعد ان قتل كثيرين من المسيحيين وجلد البابا ديونيسيوس
وطلب منه ان يسجد للاوتان فاجابه نحن لا نسجد الا لاسيد المسيح خالق
السماء والارض فكلمه الوالي بالحسنى لسكي يذعن فابي فأخذ جماعة من المسيحيين
وقتلهم أمامه ولما رآه مصرأ القاه في السجن ثم أعيد ليحكم عليه بالموت واتهمه
الوالي بانفراده مع اصحابه للصلاة معهم فقال له القديس نحن لا نكف عن
مخاطبة الله ولكن الوالي عدل عن قتله وتجاه في ناحية خفرو بليديه وقد تلقى
حينئذ رسالة من جرمانوس الاسقف للمار ذكره يلومه فيها على ابطال الاجتماعات
العمومية فرد عليه البابا ديونيسيوس بكتاب يصف فيه كيفية القبض عليه فقال :-
« ولما وحللنا سيفرد (١) النفس حولنا جم غفير من الأخوة الذين جاؤا معنا
من الاسكندرية ومن الذين وفدوا الينا من مصر بعد وصولنا الى هنا وهكذا
مهد الله سبيلا لكلمته في هذه الجهة كما في كل الاماكن الاخرى . صحيح أن
أعداءنا في بادئ الامر اضطهدونا ورشقونا بالاحجار ولكن اخيراً ترك
كثيرون من الوثنيين اصنامهم ونبذوها ظهرياً واقبلوا الى الله بقلوبهم لان كلمته
غرست في افئدتهم كما يفرس البذار في ارض ذات زرع وكانوا لم يسمعوا عنها
من ذي قبل . وكان الله جل وعلا اراد ان يأتي بنا الى هذا المنفى لنذيع بشاره
الخلاص فيه فلما تم ذلك وافلحنا شاءت مشيئته ان ننقل الى مكان آخر لهذه
الغاية عينها وذلك ان ايجليانوس ابن الامبراطور قصد ان ينقلنا الى اماكن
اشد ضرراً واكثر تعباً مشحونة بالخاوف والمخاطر . ثم أمر سكان اقليم مريوط ان
يلتئموا في مكان واحد خصصه لهم وعين لهم قرى معروفة يقيمون فيها فيما بعد
اما نحن الذين تبعونا فاوصوا ان نبقى مطروحين في الطريق بلا مأوى ولا ملجأ
لانه لم يكن شك في اننا اناس لا نركن الى الفرار ولا نميل الى الهرب بل وثق

(١) شمالي القطر المصري

انه متى اراد يسول عليه القبض علينا بدون مشقة . ولا اخفي اني عند ما صدر لي الامر بالارتحال الى سيفرد هذه لم اكن اعلم الى اين اسير ولا اعرف شيئاً عن المكان الذي اتقى اليه بل كنت بالكاد اعرف اسمه من قبل ولكنني كنت فرحاً جداً لعلمي ان هكذا ارادة الله . الا انه لما امروني بالانتقال الى مكان اسمه كولونيوس تأثرت تأثراً شديداً الحاضرون لانني علمت ان هذا المكان سيكون كسجن لي لا استطيع فيه ان اتم العمل المطلوب مني ولذلك تضايقت اولاً بالنسبة لهذا الخبر وثقل سماعه على اذني مع اني كنت عالماً بهذا الاقليم واكثر خبرة به من غيري ولكن قيل لي انه خال من الاخوة المسيحيين وليس فيه أحد من افضل الرجال الذين تملذذ النفس لمعاشرتهم فضلاً عن انه عرضة لوقاحة المسافرين ووذائلهم وممكن للصوم وقطاع الطرق الا ان بعض الاخوة واسوني اذا خبروني انه قريب من مدينة الاسكندرية . ومما يسر القلب ان سيفرد التي تقينا اليها جمعنا بكثيرين من الاخوة المسيحيين الذين لم نكن لنراهم لولاها وبواسطة اجتماعنا وارتباطنا تمكنا من نشر كلمة الله واذاعة خبر الخلاص بطريقة لم نكن لنحصل عليها لولا هذا المنفى . واذ كانت الاسكندرية قريبة من هذا المكان الذي كنا نقيم فيه تمتعنا كثيراً بعشادة الذين نجبهم ونميل اليهم وقد كانوا يجيئون لزيارتنا دائماً وبمكتون معنا طويلاً ولذلك كنا نمثل جمعية عظيمة كانت تلتئم في اقصى مكان في الاسكندرية ولم تزل هذه الجمعيات توالي انعقادها لسماع كلمة الله حتى بعد ان تركناها ورجعنا الى مدينتنا « اه . والذي اعاده الى كرسيه ابن فالريان لشفقته عليه وظهور برأته أمامه بل زوده بكتاب منه يبيح له عقد الاجتماعات ومباشرة خدمته بدون أن يعارضه أحد

ولم يكذب البابا ديونيسيوس يستريح قليلاً بعد كفا الاضطهاد ورجوعه الى كرسيه حتى اضطر ان يوالي جهاده ضد المبتدعين الذين كانوا يكذبون صفو الكنيسة بيدعهم فعمل على حسم النزاع الذي نشأ في الكنيسة بسبب عماد الهراطقة وقاوم جميع المبتدعين كما سيأتي ذلك في باب البدع وحدث ان رجلاً يدعى سابليوس جاء الى مصر من رومية ونشر فيها هرطقة « مؤلمي الاب » الذين يعتقدون ان الله نفسه لا أحد اقانيمه هو الذي كفر عن

خطايا البشر . وقد اضل سابليوس ببدعته هذه كثيرين من المؤمنين وبعض الاساقفة فوقف امامهم البابا ديونيسيوس وقفه البطل الباسل وقاوم ضلالهم في منشور ارسله الى الاسقفين امونيوس وافراندر . ولما لم يتمكن من ارجاع سابليوس حرمه في مجمع عقده بالاسكندرية سنة ٢٦١ م بعد ان فند في رسالة كل تعاليمه الفاسدة فرأى أنصار سابليوس أنهم في حاجة الى من يشد أزرهم فأغراهم بعض الدخلاء من الرومانيين على الشر والشقاق فكتبوا الى ديونيسيوس اسقف روميه كتاباً فيه يرمون بطريركهم بالهرطقة والبدعة . وكان الاسقف الروماني شاباً قليل الخبرة والمعرفة بالنسبة للبطريرك الاسكندري الذي كان واسع الاطلاع شديد الاختبار . فسار ديونيسيوس الروماني سير الاعتساف وارتكب من الشطط وعقد مجماً حرم فيه ديونيسيوس البطريرك المصري وارسل يعلمه بالحكم ويسأله عما اذا كان عنده شيء يدافع به عن نفسه الأمر الذي عده البطريرك المصري جسارة من اسقف رومية واهانة له غير انه لعظم تقواه وتمسكه باوامر الديانة المسيحية لم يرض ان يقابل الشر بالشر بل عمد الى قلمه وأرسل اليه رسالة يوضح له فيها العبارات التي اشكل عليه فهمها فكانت تلك الرسالة حداً فاصلاً للنزاع الذي يسميه المؤرخون « نزاع الديونيسييين » واقتنع الاسقف الروماني بانه تسرع واخطأ في عمله واحترم البابا الاسكندري ووقف بجانبه في دحض بدعة بولس السياسي اسقف انطاكية التي لاجلها انعقد مجمع في انطاكية سنة ٢٦٤ م استدعي فيه القديس ديونيسيوس الاسكندري غير انه نظراً لشيخوخته اكتفى بان يبعث رسالتين احدهما الى المجمع والاخرى الى السياسي حل فيها الاسئلة العشرة التي كان يوجهها بولس الى كل من يناقشه

وقبل أن يبت المجمع المذكور حكماً في قضية بولس هذا نام البطريرك العظيم في الرب واستراح من اتعاب حجة في ١٧ برمات سنة ٢٦٥ م وكانت مدة اقامته على الكرسي الاسكندري سبعة عشر سنة ولهذا القديس رسائل عديدة في أهم قضايا الايمان وفي وصف ما وقع عليه وعلى كنيسة من الاضطهاد وقد استقى منها اوسابيوس المؤرخ معظم اخبار ذلك الزمان . ولم يزل معظم تلك الرسائل محفوظاً في مكتبة « جالان » اليونانية واللاتينية بمدينة البندقية ومنها مقالة في

الفصح واخرى في السبت وما سبقت الاشارة اليه في ترجمته

- (٣) - مكسيموس البطريك الخامس عشر . ولد بالاسكندرية من ابوين مسيحيين وكان فساً بها وتم تكريسه بطريركاً في شهر برومات سنة ٢٦٥ م في عهد غالينوس قيصر ولما حكم جمع انطاكية بحرم بولس السياسي اُرسل حاكمه الى هذا البطريك يتضمن الاسباب التي دعت الى تجريد بولس من رتبة الكهنوتية وأقامته دمنوس عوضاً عنه وبعد اطلاعه على الحكم بادر حالاً بكتابة رسالتين واحدة للمجمع ليحكم فيه مساعيه واتعابه لخدمة الكنيسة والاخرى الى دمنوس تهنئة له بوظيفته الجديدة . ثم حرر منشوراً الى جميع الكراسي الاسقفية يحذرهم فيه من تعاليم بولس وشرح لهم التعاليم المستقيمة التي ينبغي التمسك بها وبعد ذلك ظهرت بدعة ماني الخبيثة فكان لهذا البابا اليد الطولى في دحضها وجاهد في مقاومتها بكتابة رسائل متعددة والقاء الخطب . واستمر يرعى رعية الله التي اقتناها بدمه مدة ثمانى عشرة سنة ثم تنيح بسلام في ١٤ برمودة سنة ٢٨٢ م
- (٤) ثاؤنا - البطريك السادس عشر . روى الانبا يؤنس مطران دمياط في مجموعته لتاريخ البطارقة ان الالباء الاساقفة نصبوا بطريركاً قبل ثاؤنا هذا اسمه بينوده جلس على الكرسي المرقسي ستة شهور في نهايتها اجتمع الاساقفة ضده وقرروا تجريده من رتبته لانه قد خصى نفسه وأقاموا بدله البابا ثاؤنا في شهر كيهك سنة ٢٨٢ م في عهد بروفس وهذا البطريك كان من قسوس الاسكندرية المشهورين بالعلم والوداعة وقد انتهز فرصة سكون الاضطرابات وجمع من المؤمنين الاغنياء أموالاً وبني بيعة حسنة على اسم السيدة العذراء . وهو أول من بنى الكنائس بالاسكندرية وكانت النصراني قبله تصلي بالاسكندرية في المغارات والسراديب خوفاً من القتل وسفك الدماء فلاطف البابا ثاؤنا جماعة الروم وبالغ في ملاطفتهم وأهدى اليهم تحفاً جلية حتى بنى كنيسة العذراء المذكورة وهي اول كنيسة بنيت صلى فيها القبط جهاراً ولما تولى القيصر ديوكلتيانوس عرش رومية ادخل في معيته عدداً كثيراً من الاقباط المسيحيين فأرسل اليهم هذا البطريك رسائل يأمرهم فيها ان يقوموا

بواجبهم وأن يميزوا انفسهم كمتبعين عن الموظفين الوثنيين بأعمالهم الصالحة
وسيرتهم الطيبة فمن ذلك رسالة الى لوسيان ناظر بيت الملك وهو موظف مسيحي
ارتقى الى رتبته بعد تملك ديوكليانوس بقليل يقول له « ان الراحة التي تتمتع بها
الكنيسة الآن تعزى الى سبب واحد فقط هو سلوك المسيحيين الحسن واعمالهم
المدوحة التي تضيء كالشمس في رابعة النهار ينعكس ضوؤها امام أعين الكفرة
والملاحدين فتبهر ابصارهم وبذلك يتمجد ابونا الذي في السموات. أما غرضنا الذي
نرمي اليه والغاية القصوى التي نسعى خلفها هي ان نكون مسيحيين فعلاً
لا بالاسم فقط وان نعمل اعمال المسيحيين الحقيقيين لانه اذا كنا نطلب مجد
انفسنا الذاتي فنكون كمن يطلب شيئاً تافهاً لا فائدة منه . فاذاً يجب على كل
مسيحي ان يهتم بمجد الله الآب وبمجد الله الابن الذي سمر لاجلنا على خشبة
الصليب وقدانا بدمه فداءً أبدياً لا يقوم بذهب أو بفضة . فلذلك أيها العزيز
لوسيان اريد ان يعرف عنك التباهي والفخر لانك أهديت كثيرين من خدمة
البلاط الملوكي الى معرفة الحق وادخلتهم في حظيرة المسيح بل الأحرى بك ان
تشكر الله الذي اختارك آلة نافعة للبنيان وجعلك واسطة خير لنفع الآخرين
واعطاك نعمة في عيني مولاك لحد تمكنت فيه من نشر كلمة الخلاص واذاعة
معرفة فادي المسيحيين وذلك لمجد اسمه وخلاص الكثيرين » اه
وأوصى كافة أمناء بيت الملك المسيحيين فقال « ان الله ينهاكم عن ان تبيعوا
للآخرين شيئاً من متعلقات القصر خلصة او تأخذوا رشوة ولا تقولوا للامبراطور
كلاماً ضد الحق ابتعدوا عن الطمع والجشع اللذين يتمسك بهما الوثنيون
لا المسيحيون واعلموا ان الربح القبيح والغش هما صفتان لا تلائمان من قبل المسيح.
فقولوا على الاقتداء به ذلك الذي كان فقيراً ومعدماً . لا تتكلموا بشر فيما بينكم
ولا تخرج كلمة قبيحة من افواهكم بل لتكن كل أعمالكم مقرونة باللطف والتأدب
مع العدل والحق بذلك يتمجد اسم ربنا والهنأ يسوع المسيح فيكم وفي أعمالكم.
تمموا واجباتكم التي اسندت اليكم بخوف من الله وبمحبة للامبراطور وبغاية
الدقة والاجتهاد واعتبروا ان الأوامر التي تصدر لكم من مولاكم الذي لم يسئ
الى أحد من رجال الله كأنها صادرة من الله نفسه لانه مقام منه ولم يتقلد السيف

باطلا . واخيراً يا أبنائي الاعزاء البسوا الصبر كرداء وتمنطقوا بالفضيلة وامتلئوا
بالرجاء والإيمان والمهبة « اه

ثم ارسل لأمين الخزانة الخاصة بأمره بان يتحلى بالأمانة ويصرف بدقة
حساب وكتب لامين الملابس يوصيه بملاحظة الترتيب والنظام وختم كلامه بقوله
« وعلى الامين ان يفعل كل هذا بتواضع وطول أناة لكي يتمجد اسم المسيح
حتى في مثل هذه الأعمال القليلة الالهية » اه . وأوصى أمين المكتبة بان يحسن
تنظيمها ويجد في نسخ ما بها من الكتب الهامة وان لا يفتأ يذكر امام القيصر
عظيم قدر الترجمة السبعينية للكتاب المقدس وان يمزج كلامه مع القيصر بشواهد
من سيرة المسيح .

وكان في عهد هذا البطريك كاهن قديس لم يرزق بنسل يدعى ثيودوسيوس
وحدث ان امرأته صوفية شاهدة بالكنيسة يوم عيد الرسولين بطرس وبولس
اولاد المسيحيين يقدمون الى المعمودية فانكسر قلبها ورجعت الى البيت حزينة
النفس وطلبت من الله بلجاجة ان يمن عليها بنسل . وفي ليلة ذلك اليوم شاهدت
رؤيا في نومها واذا بشخصين وقفما بها واخبراهما ان طابتهما أجيبت وسترزق ولداً
وأمرها ان تذهب باكراً الى البطريك وتخبره بذلك . فلما اصبح الصباح اخبرت
زوجها بالأمر وانطلقت الى البابا تاؤنا واعلمته بما جرى فباركها وصرقها بسلام .
وما أتت السنة حتى رزقت ولداً أنت به الى البطريك ليعمده فدعاها بطرس ولما
كبر تلمذ له وادخله المدرسة اللاهوتية فبرع براعة غريبة جذبت اليه انظار
جميع الشعب

ولما حضرت البطريك الوفاة جاء اليه جميع الكهنة والشعب باكين قائلين
« أتركنا يا أبانا مثل الايتام » فقال لهم « لستم أيتاماً بل هذا بطرس ابوكم وهو
البطريك بعدي » وقدمه البطريك قبل ان يتنيح ثم رقد في الرب في ٢ طوبه
سنة ١٧ للشهداء و ٣٠٠ م

وفي أواخر حبرية هذا البابا ثار اضطهاد ديوكلتيانوس قيصر فجمعت الكنيسة
القبطية السنة الاولى لملك هذا الطاغية مبدأ لتاريخ سنيها وهو المعروف بتاريخ
الشهداء .

القسم الثاني

منشأ الرهبنة وموسسوها

- (١) منشأ الرهبنة (٢) بولا (٣) انطونيوس (٤) امونيوس
(٥) بغنوتيس

.....

(١) منشأ الرهبنة - ان اولى الامم المسيحية التي نشأ عندها نظام الرهبنة هي الامة المصرية . وقد ظهرت الرهبنة بمصر حال دخول الديانة المسيحية فيها وقيل ان الرسول مرقس هو الذي علمها لمسيحي مصر . قال اوسايبوس المؤرخ « لما كان مرقس الرسول متجلبياً بالطهر والعباد وبث روح الفضيلة في قلوب كثيرين من المصريين فاعزلوا الخلق ولجأوا الى الكهوف والمغائر عاكفين على تسبيح الخالق والتغني بذكره الاقدس فتحوط القفار القاحلة الى رياض يانعة تنبت النفوس وتثمر السككال » اه

الا ان التبتل والاعتقاد للتعبد كانا معروفين من قبل المصريين عند اليهود . فقد روى فيلوم من العبري بانه كان في ضواحي الاسكندرية قوم من اليهود عرفوا بالمتأملين في الالهيات تركوا كل ما يملكون من متاع الدنيا وأووا رجالا ونساء الى التلال المجاورة يقيمون فيها الصلوات ويسبحون الله بالمزامير والتراتيم . وقال كاسيانوس وهو كاتب كنسي « ان التقليد القديم يشهد بان رهبان وادي النظرون متناسلون من المتأملين في الالهيات » اه

وقيل ان اول دير مسيحي تأسس كان في سنة ١٥١ م حيث عزم فرونتينوس على ترك العلم زهداً في الدنيا وملاذها فجمع اليه جماعة من الاخوة وسار بهم الى وادي النظرون في مديرية الجيزة وهناك قضى بقية حياتهم بالنسك والتعبد

في بعض الكهوف الصخرية . الا أن الرهبنة لم تعرف جيداً في مصر الا في عهد القديسين بولا وانطونيوس وكانت تسير على نظام التوحيد والافراد حيث ينفرد الراهب في مغارة يقضى حياته فيها منعزلاً عن البشر . ولكنها في عهد أمونيوس ومكاريوس تطورت فصار الرهبان يشتركون ويتعاونون معاً . ثم في عهد باخوميوس وشنوده اجتمعوا جماعات منظمة ووضعوا لاقسامهم قوانين خاصة يسرون عليها . غير أن كثيرين استمر بعضهم يسير على نظام بولا وانطونيوس وغيرهم على منوال آخر . وكان رهبان مصر على ثلاثة انواع النساك وهم الذين يسكنون الاديرة جماعات وفيئات . والزهاد وهم الذين يعيشون في الخلاوات والصوامع . والمتبتلون وهم الذين يجتمع اثنان أو ثلاثة منهم في المدن بدون زواج

(٧) . بولا - روى القديس انطونيوس كاتب سيرة هذا الاب قال : -

في سن السبعين خالطني ففكر من العجرفة والكبرياء فقلت في نفسي اظن انه لا يوجد ورأي احد في البرية أقام في القيا في سالكا سبيل النساك والفضيلة مثلي . وفي الليلة التي كنت اتأمل فيها في هذه الامور أوحى لي من قبل الله انه يوجد خلفي رجل أفضل مني وحضني على ان اسمي لأراه فلما اتى الصبح أخذت جريدة النخل التي كنت اتكىء عليها وأخذت أمشي في البرية كما كان يهديني عقلي لاني لم أكن أعرف الطريق . ولبثت سائراً الى الظهر وكان الحر شديداً فشرعت أحدث نفسي قائلاً اني لمتكل على الله الذي لا يتخلى عني ان يريني عبده الذي أوحى الي عنه

ولم يتم قوله حتى رأى وحشاً كان نصفه شكل انسان ونصفه الاخر شبه حصان وهو ما يسميه الشعراء بانقنطورس . فرسم القديس على جبهته علامة الصليب وقال له اين هو عبدالله فأراه الوحش المسمى مشيراً بأصبعه راكضاً الى الغاب فاستمر القديس في سفره باحثاً على الطريق واذا هو يتعجب من هذا الامر من أمامه هذا الحيوان كأنه ذاهب الى ميدان . فسيح وما هذا الا الشيطان اتخذ تلك الصورة ليزعج القديس فاستغرب مشابته الشكل الذي رآه في الحيوان وبعد ان ابتعد قليلاً رأى وحشاً آخر كأنسان قصير القامة له ساقان

وقرنان كقبرني التيس فسأله من أنت فاجابه انني أحد سكان البراري الذي يعبدهم الوثنيون كأنهم آلهة وقد ارسلتني طائفتي لأطلب منك نيابة عنهم ان تتضرع لاجلنا الى المسيح الهنا الذي عرفنا انه أتى لاجل خلاص العالم وبعدان تكلم الحيوان هذا الكلام جدد الشيخ انطونيوس المسير وسالت دموعه على الارض لكنه سر لمجد المسيح ولأبادة الشيطان وضرب بعكازه على الارض وقال ويل للاسكندرية ويل لمدينة الوثنيين التي اجتمع فيها جميع شياطين الخليقة (١) وكان قد توغل في البرية ومر عليه وقت لم ير فيه انساناً أو حيواناً فصرف يومين بليلتين في الصلاة راجياً من الله ان لا يهمله . وفي اليوم التالي لاحظ ذئباً صاعداً الى الجبل فاقنقى أثره ولما صعد الى الجبل وقع نظره على مغارة كانت هناك وشاهد الذئب يدخل اليها ولكنه لم يميز شيئاً لشدة الظلام . وقد حاول الخوف ان يدخل قلبه ولكن المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج فدنا من المغارة فلاح له فيها ضوء سراج فاسرع في سيره لفرط سروره فعمرت رجلاه بحجر غير ان القديس بولا حال سماعه بوقع اقدامه دحرج الحجر واغلاق باب المغارة فارتمى القديس انطونيوس امام باب المغارة على وجهه وتوسل الى القديس بولا ليفتح له الباب قائلاً له انا وحدي . فاجاب القديس بولا لم أتيت فقال انطونيوس اني لوائتق بانك تعلم من انا ومن اين ولماذا أتيت وبما انك تقبل وحوش البرية فلم تذكره بني البشر ؟ لقد طلبتك ووجدتك وقرعت الباب بثقة فافتحه لي والا فساموت هنا واذا ما رأيت جثتي فادفنها . وسمع القديس بولا صوت بكائه فاجابه قائلاً « ما من أحد يطلب احساناً بانتهار ولا يفتر باكياً متمهداً فان كنت أتيت الي لكي تموت فلماذا تتعجب من اني لا اقبلك . قال هذا وفتح له الباب فالتقيا وتعانقا وقبلا بعضهما بالقبلات المقدسة وسلم الواحد على الآخر باسمه كأنهما كانا يعرفان بعضهما قبلاً ثم شكرا الله على احسانه اليهما وجلسا للمخاطبة .

فقال القديس بولا - لم احتملت كل هذا الضيق ومشقة البحث عن شيخ

(١) خبر هذين الوحشين وجد في الترجمة المشهور ان البابا انناسيوس الرسولي كتبها للقديس انطونيوس وقد اثبتناه هنا وان وجد مخالفاً لعقيدة العصريين حفظاً للاصل

وهن جسمه وهزل وسترى بعد قليل انه يصير تراباً . غير ان المحبة تحتل كل شيء فجعلتك تتعب كثيراً في الاستقصاء عني . فاخبرني الآن ما حال العالم ومن يدبره وهل يوجد بعد من يسجد للاصنام ويعبدها وهل بنو البشر مستمرين في بناء البيوت في المدن القديمة . ولا يزال يوجد ملوك وحكام في العالم ؛ فاجابه القديس انطونيوس عن اجوبته ثم أخذ يسأل القديس بولا عن السبب الذي من أجله أتى الى البرية وكم عاماً أتى عليه فيها وكم سنة حياته وماذا أكل وكيف عاش .

فاجاب القديس بولا - - اني ولدت نحو سنة ٢٢٨ م في الصعيد الاسفل بمدينة طيبة من ابوين مثرين ولما صار لي من العمر ١٢ سنة مات والداي فدخلت مدارس الفلاسفة واطقت فيها اللغة اليونانية فضلاً عن اللغة المصرية وأقمت بمنزل زوج أختي (وقيل اخوه) ولم يكن مسيحياً . ولما بلغت العشرين من عمري أنارديسيوس قيصر اضطهاده سنة ٢٤٩ م على النصراني وامتد الى الصعيد وصدر الامر بالتمتيش على المسيحيين لتعذيبهم ان كانوا لا ينكرون مسيحهم . فهربت الى منزل كان لي بين زارعي . ولم أمكث في هذا المسكان المنفرد قليلا حتى انذرتني أختي بان زوجها عازم على اخبار الحكومة بحقيقة حالي لكي يقبض علي ويتمتع هو بمالي وعقاري الذي يصير اليه بعدي بحق الأثر . فخطر على بالي حينئذ قول السيد المسيح « من لا يترك جميع امواله لا يقدر ان يكون لي تلميذاً » (لوقا: ١٤: ٣٣) فوهبت أختي وزوجها كل ما امتلك من حطام الدنيا وودعت العالم الوداع الاخير وقصدت البرية الداخلة بجبل القلزم (١) حيث وجدت مغارة (٢) معلق بابها بحجر كبير فدخرجته ودخلت اليها ورأيت بقربها نخلة تثمر وعين ماء فأقت بها وصرت اقتات من ثمر النخلة واستقي من عين الماء واكتسي بخوص النخلة مجدولا وكنت في اول سكناي في البرية اقصد ان أعود الى بلدي بعد زوال الاضطهاد ولكنني لما ذقت لذة الوحدة وعذوبة الانفراد والاختلاء مع الله ادركت ان

(١) هو شمالي البرية الشرقية (الصحراء العربية) التي بين النيل والبحر الاحمر

(٢) قيل ان مزيقي النقاد في زمان كايوب اثره كانوا يخفون في هذه المغارة

الضرورة قد هيأت لي طريق الفضيلة فأثرت هجر العالم بتاتاً وهكذا عشت حتى الآن منفرداً كل الانفراد مثابراً على الصلاة والتأملات الروحية مدة ستين سنة .

وبينما هما يتخاطبان التفت كلاهما فنظرا غراباً على غصن شجرة وللوقت وقف بكل هدوء على الفرع وكان في منقاره رغيف من الخبز فأتى وألقاه فيما بينهما وطار وهما ينظران ويتعجبان فقال القديس بولا لضيفه مبارك الرب الذي أرسل لنا ما كلاً فاعلم يا أخي انطونيوس انه منذ أتيت هنا وهذا الغراب يأتيني كل يوم بنصف رغيف واليوم من أجلك أتى برغيف كامل وبعد ان شكر الرب جلسا للأكل وتنازعا في من منهما يجب ان يكسر الخبز فاتفقا أخيراً على ان يكسراه معاً فكسراه باسم الرب وبعد ان أكلاه وقفا يصليان طول ليلتهما

ولما أتى الصباح قال القديس بولا لضيفه لقد عرفت من مدة طويلة انك تسكن هذه البراري وكان الله قد وعدني بزيارتك فجئتني في الوقت المناسب اذ حان وقت راحتي وسيحل لي الامر الذي اشتهيته يعني الانتقال من هذا العالم والسكنى مع سيدي يسوع المسيح حيث قد أعد لي اكليل البر . فلهذا ارسلت لكى تدفن هذا الجسد الشقي وترد التراب الى التراب . وبينما كان القديس بولا ينطق بهذا الكلام كانت دموع القديس انطونيوس تنهمل بغزارة وأظهر أسفه متهدداً وطالب من القديس بولا ألا يفارقه أو يأخذه معه الى الوطن السعيد . فاجاب بولا الطوباوي وقال له لا يلىق بك ان تطالب الخير لنفسك بل لخير انك ولذا أرجوك يا حبيبي اذا لم يكن في الامر مشقة ان تذهب بسرعة الى ديرك وتأتيني بالرداء الذي أعطاه لك القديس اثناسيوس الرسولي البطريرك لتكتمني به وتدفعني (١) ولم يكن في حاجة الى ثياب ولكنه أراد ان تفارق روحه جسده في غياب القديس انطونيوس

وكان القديس انطونيوس يسمع كلامه بتعجب زائد وأدرك ان الله كشف للانبا بولا اشياء كثيرة وشكر الرب سرّاً ثم خر أمامه وصلى واقترب اليه وقبل

(١) قال القديس انطونيوس في ترجمة الانبا بولا « ان هذا الرداء كان قد أهدها القيصر القبطين الكبير الى البابا اثناسيوس وهو أهدها الي » اه

عينيه ويديه واسرع في الخروج ليذهب الى ديره . وبعد ان سافر ووصل الى
الدير التقى به اثنان من تلاميذه ظلاً يبحثان عنه طويلاً وقالوا له أين كنت يا أبانا
في هذه الايام ؟ فاجاب وقال لهما . ويل لي انا الخاطيء فان اسم « مسيحي » الذي
أدعى به هو مستعار ولست مستحقاً ان ادعى راهباً لاني رأيت ايليا ويوحنا
المعمدان في البرية ورأيت بولا في السماء وهو يتكلم معهما . ثم ضرب بيده على
صدره وأخذ الرداء وفارق تلميذه ولم يشاء ان يعبر لهما عن معنى كلامه بل قال
لها لكلام وقت وللصمت وقت

ثم جد في السير لأنه كان يشتهي أن يراه قبل انتقاله فسافر في اليوم الاول
ولكنه في اليوم الثاني في الساعة التاسعة أبصر جمهوراً من الملائكة يصعدون الى
السماء وروح القديس بولا معهم وهي تضيء كالشمس فجثا على الأرض واضعاً
التراب على رأسه وقال بقلب أسف . يا خائف الله لماذا تركتني هكذا بدون أن تودعني
على ما طانيته من مشقة السفر الذي كنت أسابق فيه الطيور . ثم استمر في سيره
حتى دنا من باب المغارة فوجد جسد الشيخ الميت واقفاً جاثياً على ركبتيه ورأسه
مستقيماً ويديه مرتفعتين فظن انه حي بعد جثا خلفه يصلي . غير انه لما رأى
الشيخ لا يتهدد كعادته في الصلاة نفرس فيه جيداً فتحقق انه توفي فوثب على
جسده زارفاً الدموع ومقبلاً يديه ورجليه ثم لفه بالرداء وحمله على كتفيه وهو
يرتل المزامير غير انه حزن عند ما رأى نفسه أهمل استحضار آله معه يحفر بها القبر
وفيما هو مفكر في أمره متحير اذا بأسدتين جاءا معاً واكضين فلما نظرهما ارتعد
واذ رفع فكره الى الله وجدد نظره اليهما ظهرا له كحمانين وديعتين تطيران في
الهواء . فاقرب الاسدان وانطرحا بجانب جسد الاب بولا مظهرين اكرامهما
له ثم هذا ذبايهما لانطونيوس المبارك ورقداً أمامه بوداعة نامة وحكا باسنهاتهما
ببعض وقرا بصوت عال كأنهما يظهران أسفهما . ثم حفرا في الأرض قبراً كاملاً
وبعد ما فرغا من العمل تقدما الى الأب انطونيوس وخفضا ذنبيهما وسجدا
أمامه ولحسا يديه وقدميه كمن يطلب بركة فبارك عليهما قائلاً « ايها الرب الاله
الذي بدون أمره لا تسقط ورقة واحدة على الأرض وبدون مشيئته لا يسقط
عصفور واحد في الفخ باركنا جميعاً » ثم اطلق الاسدين بإشارة يده وصلى على

جثة القديس بولا ودفنها وبعد ان أتم الدفن رجع الى دير د حاملا ثوب القديس بولا المصنوع من الخوص معتبراً اياه كنزاً ثميناً . وكان يلبس هذا الثوب في يومين من كل سنة وهما عيد الفصح وعيد العنصرة وكانت وفاة القديس بولا في اليوم العاشر من كانون الثاني سنة ٣٤٣ م الموافق ١٢ امشير سنة ٥٩ ش ويليق بنا ان نأتي في خاتمة هذا الخبر بما قاله احد الكتاب « اني أسأل الآن الاغنياء والذين لا يعرفون كمية ثروتهم لزيادتها والذين يسكنون المنازل الفسيحة المزينة بالزخارف والنقوش ماالذي أعوز هذا الشيخ القديس المتعري من كل غش فأتم تشربون في كؤوس من فضة وذهب وهذا بولا يطفي عطشه بكف يده . أنتم تلبسون البرفير وهذا كان مرتدياً بثوب من نخل . غير انه لا يكون الامر هكذا دائماً وهذه الحال تنقلب الى حالة اخرى فيها ان السموات انفتحت لبولا المسكين وانتم ستهبطون الى جهنم مع جميع كنوزكم . وهو قبري الخديعة قدم للمجد وانتم تدفنون في قبور من الرخام والمرمر لتحترقوا الى الأبد » اه



« القديسان مار بولا ومار انطونيوس »

(٢) انطونيوس . كاتب سيرة هذا الاب الطوباوي كما سيأتي معنا هو

القديس البابا اثناسيوس الرسولي البطريرك العشرون الذي كان يفتخر بكونه عرف القديس انطونيوس منذ حداثة وانه استقى له الماء مراراً كثيرة قال ما خلاصته : . - ولد القديس انطونيوس سنة ٢٥١ م في مدينة تدعى كوما (١) من والدين مسيحيين اشتهرا بالغنى في المال والفضيلة فرباه على مبادئ الدين والتقوى فنشأ هادئاً وقوراً محباً للعزلة والانفراد كثير القناعة في جميع مقتضيات المعيشة . ومع أن والديه لم ينظماه في سلك التعليم باحدى المدارس الا انها هذباه بعلومها ومعارفها كما تدل كتابات القديس انطونيوس الباقية الى الان التي تدل على مقدرته وتشهد له بالتضلع

ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره حتى فقد ابويه فالتزم ان يعتني بتربية اخته الصغيرة ويدير حركة املاكه الواسعة التي كان ينفق منها كثيراً لأغثة البائسين غير أن الافكار المقدسة كانت متملكة عليه وكثيراً ما كان يعجب من شهامة الاباء الرسل الذين تركوا كل شيء وتجنّدوا لخدمة الكلمة وكيف كان كل مؤمن بواستطهم يبيع املاكه ويضع ثمنها تحت اقدامهم . واتفق ذات يوم انه ذهب الى الكنيسة كعادته هو واخته وهذه الافكار تشغل خاطره واذا بفصل الانجيل يقرأ فسمع السيد المسيح يقول لاحد شبان اليهود الاغنياء « ان اردت ان تكون كاملاً اذهب بع كل مالك وأعطه للفقراء وتعال اتبعني » (مت ١٩ : ١١) فلما سمع هذه العبارة حسبها صوتاً الهياً يناديه من السماء فرضخ لهذه المشورة وعزم على تنفيذها

ولما عاد الى منزله شرع في العمل بهذا الكلام فأعطى اخته نصيبها ثم توجه بها الى دور العذارى التي كانت في عصره قد اتسع نطاقها وأوصى بها رئيستهن لكي تراعيها كابنة لها . أما هو فأخذ يبيع كل أملاكه ويوزع منها على الفقراء حتى لم يبق لنفسه شيئاً وعاش بعد ذلك من كد يديه حيث كان يصنع قففاً وحصرأ ويقطت بثمانها . ثم انصرف هم نحو ترويض جسده على النوف في الفضيلة

(١) كوما قيعن الآن قرب بني سويف ومدينة هرقاية قديماً التي كانت مشهورة بين مدن الصعيد

والعيشة بالقداسة والتقوى

ولم تكن الاديرة معروفة وقتئذ بل كان الاتقياء الهابئون بحب العزلة
يجتهدون بكل طاقتهم في الانفراد عن العالم والابتعاد عن معاشره الناس
فيتخذون لانفسهم مغائر لا تبعد قليلا عن المدن والقرى وهناك ينمكفون على
العبادة . فاجتمع انطونيوس ببعض هؤلاء وجعل يمر عليهم ويتعلم منهم الفضائل
فكان كالنحلة التي تؤلف شهدا من متنوع الازهار فتعلم من واحد فضيلة الصبر
ومن آخر التواضع ومن غيره الصمت ومن آخر الطاعة وهكذا الى ان وصل
الى درجة سامية في سلم الكمال المسيحي وشابه المتعبدين في الانفراد في مغارة
واحدة وكان يزاول العبادة نظيرهم واتخذ من بينهم شيخاً معلماً له . وكانت
ذاكرته انقوية تمكنه من حفظ فصل الانجيل من قراءته مرة واحدة حتى
أعجب به المتوحدون وكانوا يجلبون قدره ويقفون عند قدومه ويحيونه قائلين
« تعال يا حبيب الله »

غير أن الشيطان لم يرق له ان يرى شاباً كهذا متمكناً بعري القداسة فجمع
قواه ضده وشرع في الهجوم عليه بواسطة الافكار الرديئة فكان مرة يدفعه لياسف
على توزيع ثروته ويقول له كان يمكنك ان تبنيها وتنصرف بها حسناً وتعيش في
رضاء الله . واخرى يقوده الى الندم على تركه واهماله امرأته الوحيدة بلا عناية في
العالم وتارة يعثل له مشقات الطريق الذي كان سائراً فيه وفوق ذلك كان يملأ
مخيلته من الاشباح والصور الجميلة التي تسوقه الى الفساد آملاً ان يخلب
قلبه ويتغلب عليه

أما القديس انطونيوس فقد تسليح تلقاء هذه الهجمات بسلاح الله الكامل
فأخذ يردد في ذهنه فردوس النعيم البهيج وعذاب جهنم المؤلم وتقانى في قمع جسده
وتذليله فكان ينقطع عن الاكل اليوم بالليل مرة وأحياناً ثلاثة أيام . وكان
يابس المسح ويرقد على الارض أو على حصير . ولما عجز الشيطان عن أن يوقعه
من طريق محبة العالم أتاه من طريق آخر محاولاً ان يجربه بالفخر والتباهي موسوساً
له انه افضل الناس قداسة وأقدسهم سيرة وليكنه لم يكن يسمح لهذه الافكار
اللذيذة ان تستمر مترددة على خاطره بل كان يطردها حالاً في بدء هجومها وبذلك

كان يتخلص من التجربة قبل استيلائها عليه
وفي أحد الايام بينما كان سائراً عثرت رجلاه ببعض السكروز المصرية القديمة
التي انهار عليها التراب والرمل فظن في مبدأ الامر انها خيالات وصور كيفها له
الشيطان بمناظر الذهب والحجارة ولكنه لما تحققها أدرك ان الشيطان يريد ان
يجربه لكي يسهل له السبيل للرجوع الى العالم ففر هارباً عنها وعزم ان لا يمر من
تلك الجهة مرة ثانية . ثم لجأ الى احدى المقابر التي كان يعتني القدماء بتشيدتها لتصير
صالحة للسكنى وهي لا تبعد عن ناحية الميمون (١) ومن هناك كان يرسل احد اصحابه
بما يصنمه من السلال ليبيعه ويحضر له بثمنها ما يحتاجه من القوت الذي كان قاصراً
على الخبز والملح والماء ويروى انه عاش عمره كله بدون ان يتناول لحماً او يشرب خمراً
وفي ذلك الاوان كان القديس قد بلغ من العمر ٣٥ سنة فعزم على ان
يتوغل في البرية ورجب أن يصحب معه شيخه ومرشده فلما عرض عليه الامر
اعتذر بكبر سنه فتركه وتوجه الى القفر شرقي النيل وتمشق في البرية وهو لا
يدري اين يلقي عصا ترحاله حتى عثر على قصر قديم عظيم البناء بنته ايدي
ملوك مصر الفراعنة منذ زمن مديد في ابان هجوم الاعداء على حدود مصر
وجعلوه كنقطة من النقطة العسكرية . فأصلح القديس له فيه مكاناً ورتبه بقدر
الامكان وكان قد استعد بمئونة تكفي لمدة ستة شهور وسر جداً بهذا الاتفراد
وببعده عن العالم حيث لا تحلو له تلك العيشة
وحينئذ كان خبر قداسته قد شاع في كل مكان فصار الناس يبادرون اليه
بعضهم لسماع تعاليمه وبعضهم لنوال الشفاء من امراضهم . اما هو فلم يكن يرغب في
الخروج من قصره فاستمروا يطلبونه وهو يمتنع حتى كادوا يكسرون عليه الباب .
فأشدة لجأجتهم تعود الخروج اليهم احياناً ليصلي على المرضى ويلقى العظات على
المترشدين الذين كانوا يبنفون سماع نصائحه الروحية فتتلذذ له منهم كثيرون فقبلهم
وسن لهم قواني واقام منهم مئات حول قصره وذلك سنة ٣٠٥ م ولم يكن يظهر
لهم الا في النادر الى ان مضى نحو عشرين سنة وفي نهايتها اضطر الى الخروج
والتجلي للذين ارادوا السير على منواله

(١) هي بلدة على الضفة النيل بمديرية بني سويف وبها دير للقديس انطونيوس

وكان القديس قد بلغ من العمر الخامسة والخمسين حينما امتلأت البقاع الموجودة حوله بعدد كبير من الراغبين في عيشة العزلة منهم الاغنياء والفقراء وما هو الا وقت قصير حتى قامت الاديرة بجوار ممفيس وأرسينز وبابل وافروديت وأماكن كثيرة وامتلات من الرهبان الذين عاشوا تحت اشراف وتدير القديس انطونيوس الذي كان ينتقل من مكان الى مكان آخر مرشداً وواعظاً ومما نصحهم به قوله : -

« يجب عليكم ان تقرروا في اذهانكم ان الواحد منكم يحتسب ذاته كل يوم انه ابتداءً جديداً حتى لا يكسل ولا يتراخي فالانسان يستطيع ان يمجد نعيماً في أي مكان طالما هو متعلق بالله في قلبه والتمياطين يفرعون جداً من الصلوات والصوم والسهر والتقشفات لا سيما من احتقار العالم والفقير الاختياري وكسر حدة الغضب لان هذه الفضائل تسحق رأس ابليس كما ان اسلحة محاربتنا لاعدائنا هي الايمان الحي والسيرة النقية . والذي تعبد لله وهجر العالم وان كان ترك كل شيء حتى مجد الملوك وكوزهم ينبغي ان يحتسب كل ذلك كالعدم بالنسبة الى السماء . وان الذي تركه يجب عليه تركه بعد قليل لانه ليس بأحد دائم على الارض وان ترك الانسان ما لا يقدر ان يأخذه معه بعد الموت فليس أمراً كبيراً . وكما ان العبد الأمين اذا أمره سيده بشيء لا يستعني من عمله لاجل خدمته الماضية كذلك الرجل المتعبد لله لا ينظر ما قد فعله وانما يلتفت الى ما بقي مما يجب عليه لربه وانه لا يجازي ولا ينال الا كليل على البداية بل على النهاية الحسنة . فاكتساب الفضيلة ليس أمراً صعباً كما يتصوره الناس بل يجب ان نلقي كل اتكالنا على ربنا يسوع المسيح وان ابليس لا يستطيع ان يضرنا ما لم نسلم له انفسنا »

ومما قاله ايضاً لرهبانه « ان السلوك في سبيل الفضيلة هو افضل من فعل المعجزات وان الانسان يقدر ان ينتصر بسهولة على الشيطان اذا اخلص العبادة لله من كل قلبه بسرور باطني وروحى مستحضراً الله في ذهنه كل حين لان هذا النور يمزق ذلك الظلام ويزيل تجارب العدو سريعاً . ومما يفيدنا في ذلك النظر الى سيرة القديسين واقتفاء آثارهم فان فيها تحريصاً على الاقتداء بهم » اه

ولبت القديس انطونيوس عائشاً بين رهبانه كملك أرضي يحب اليهم الفضيحة بسيرته والقداسة بقدوته حتى سنة ٣١١ م ففيها طرق سمعه خبر ثورة الاضطهاد الذي اضره مكسيميان قيصر فاسرع بنهر من رهبانه الى الثغر الاسكندري وطفق يزور السجون ويعظ الحبساء فيها ويشوق اليهم سفك الدم من اجل فاديتهم القدوس وكان يشترك معهم في الترتيل والصلاة وبذلك يحول سجنهم المنظم الى مكان شهوي ويختم خدمته بينهم بتوضيح زوال هذا العالم وبطلان جميع امجاده . وكان يقصد المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة ويخفف بكلامه الروحي اتعابهم . وبجراحة تامة كان يتوجه الى المحاكم ويحضر جلساتها ويأخذ في المحاماة عن المسيحيين جهاراً ويفند دعاوى أعدائهم . ولما كانت الغاية من الاضطهاد حينئذ ليس هلاك المسيحيين بل حملهم على نكران مخلصهم فكان يطلب الاتفراد بالمتهمين ويثبت لهم ايمانهم ويصف لهم السعادة الابدية المودة لجميع الصابرين على الضيقات

ولما علم الحاكم المضطهد حينئذ ان الرهبان لهم يد ملوحي في تشجيع المسيحيين على قبول الموت المريع أمر بمنعهم من المشول بالمحاكم . أما القديس انطونيوس فمزم على متابعة خطته ولو أدت به الى الاستشهاد فلبس ثوباً أبيض واعتلى رابية كان الحاكم مزمعاً ان يمر بها . وجعل يطلب من الرب بجرارة ان يؤهله لنيل اكليل الشهادة . غير ان الحاكم حالما وقع نظره عليه أعجب بشهامته ونظر اليه نظرة احترام . ومن ذلك الحين هدأت الاضطهادات فعاد القديس الى ديره واستأنف عبادته بمجد ونشاط كأنه لم يعبد في ما مضى

وكان يحب الاختلاء لكي يتأمل في بهاء وعظمة الحضرة الالهية واعتاد ان يصرف الليل كله في الصلاة راکعاً غير متحرك . فعند ابتداء صلاته كانت الشمس تغرب من ورائه ولما كانت تشرق صباحاً أمامه كان يشكو منها قائلاً « ايها الشمس لماذا تعدميني بنورك أشعة النور الالهي » وبالنسبة لكثرة تقشفاته صار جسده نحيفاً كأنه غير مركب من لحم وعظام ومع ذلك كان أليماً حليماً وديعاً وكان كلامه ووجهه يبديان الهشاشة والبشاشة ولم تتغير حاله هذه بتغيير الامور الزمنية .

ولبثت الجموع تتوافد عليه من كل حدب وصوب وبالنظر لكثرتهم زرع
من اجلهم حشائش وبقولا فلما نمت دخل بستانه وحوش الغاب فالتفته وذات
يوم امسك واحداً منها وقال له « لماذا تضربني انا الذي لم أضرك بشيء اخرج
من ههنا ولا تعد » قيل فلم تعد الوحوش الى مزرعته ثانية . وفي ذات يوم
أظهر له الله ماسي صيب مسيحي الاسكندرية من شرور الاربوسيين فجثا القديس
وألصق وجهه في الارض وطلب من سيدنا يسوع المسيح بعبارات هامية ان
يبادر الى تخليص المؤمنين من هذا الشقاء فعزاه الله بان أراه كيف تنتصر
الكنيسة عليهم

وما مر وقت طويل حتى استمد اضطهاد الاربوسيين على الارثوذكسين
فارسل اليه البابا اثناسيوس الرسولي يطلب منه ان يأتي ويناصب معه الاربوسيين .
وحدث قبل هذا الوقت ان قسطنطين الملك واولاده حرروا لهذا القديس خطاباً
وطلبوا اليه بخضوع ان يتنازل للرد على رسائهم فتعجب الرهبان من تواضع
الملك واطهروا استغرابهم الزائد فجمعهم القديس وقال لهم « لا تتعجبوا لان
ملوك الارض كتبوا الينا ولا يجب على المسيحي ان يستعظم هذا الامر ويندهش
منه أما الامر العجيب والمذهل للعقول فهو ان الله كتب شريعته من اجل البشر
وارسلها على أيدي اصفيائهم وفي آخر الايام خاطبنا في ابنه الوحيد الذي يسمو بما
لا يقاس على كل الملوك والسلاطين » اه ولما رأى الرهبان عدم اهتمامه بالرد على
رسالة الملك اقنعوه بضرورة الرد لانه ملك بل لانه مسيحي قصد الاستفادة
فلا ينبغي ان تمتنع عنه . فحرر له من ثم الرد هكذا بعد الديباجة « اني أسرمعكم
من انكم تعبدون يسوع المسيح واحرضكم على التفكير في خلاصكم وعلى احتقار
الاشياء الارضية بدون ان تغفلوا لحظة عن الدينونة الاخيرة وان تتأملوا بان
يسوع المسيح هو الملك الحقيقي والابدي الوحيد وان تتخذوا الفطنة دستوراً
لاعمالكم في ادارة شؤون المملكة وتسيروا في الرعية بالحلم والعدالة وتساعدوا
الفقراء كمساعدتكم لاختوتكم » اه . فلما قرأ الملك واولاده وكبار دولته هذه
الرسالة أثرت عليهم تأثيراً عظيماً وادركوا الفرق بين كتابات الاربوسيين
وكتابات الاربوسيين المماثلة من روح الرياء والنفاق . واحتفظ الملك برسالة

القديس كأنها كنز عظيم

وبناء على طلب البابا اثناسيوس عزم القديس انطونيوس على التوجه الى الاسكندرية ولكنه قبل ان يقوم منها بلغه ان البطريرك قد توفي فرجع بناء على طلب وجهاء الاسكندرية خطاباً الى الملك قسطنطين محتج فيه على مقاومته للأرثوذكسيين . ولم يكتف بذلك بل لما علم ان الاربوسيين قد بلغت بهم الجسارة ان اشاعوا بان القديس انطونيوس موافق على رأيهم رجع الى الاسكندرية مع بعض رهبانه وخطب في المستقيمي الرأي قائلاً « ان كنت قد جئت مرة ثانية من خلوتي لاطهر بينكم فذلك لكي أؤدي شهادة جلية لحقيقة ايماننا المقدس . انهم قد تجاسروا علي الطعن بالوهية مخلصنا وقالوا انه كان خليفة بسيطة كلاً ان ابن الله ليس هو خليفة ولم ينشأ من العدم بل كان منذ الازل لانه كان كلمة وحكمة الاب ولهذا لا تشركوا فقط مع الاربوسيين المنافقين لانه لا يمكن ان يكون اتحاد بين النور والظلام انه لكفر ان يقال بانه وجد وقت لم يكن فيه الكلمة لان الكلمة كان دائماً مع الاب

« انكم مسيحيون لانكم في التقوى الحقيقية وفي الايمان الحقيقي واما الاربوسيون فانهم حينما يقولون ان كلمة الاب ابن الله مخلوق فانهم لا يختلفون بشيء عن الوثنيين الذين يعبدون الخليفة عوضاً عن الخالق . فصدقوا اذن ان كل الخلائق تقف ضدكم لانهم يجملون في عدد المخلوقات رب وسيد كل الاشياء التي هي كافة من صنع يديه فاهربوا اذن من مخالفتهم كهربكم من الحيات والعقارب فن لا يجب يسوع المسيح فليكن محروماً . الرب سيجيء » اهـ .

وقد كتب رجل اربوسي كان يضطهد الارثوذكسيين بقساوة عظيمة مانصه « ان الله قد وضع في قوس عدله سهام غضبه عليك وانه سيرشقها على هامتك اذا لم تنب سريعاً » أما الهرطوقي فلما قرأ الرسالة ضحك منها مستهزئاً والقاهما على الارض وتفل عليها وتوطأها برجائه . قيل انه بعد ثلاثة ايام ضربه الرب فمات ولكثرة العجائب التي صنعها الله على يدي القديس بالاسكندرية وصل خبر قداسته للوثنيين فصاروا يقدون اليه ويتبركون بلمس جبته ولما ازدحموا عليه حاول تلاميذه ان يمنعوهم فانتهرهم وأمرهم ان يتركوا الحرية لكل من يأتي اليه فتمكن

من تنصير عدد عظيم من الوثنيين حتى قال أحد المؤرخين « ان الذين تنصروا على يده حينئذ أكثر من الذين تنصروا في مدة سنة »

ولما رأى الايمان قد انتعش عزم على الرجوع الى الدير فحزن الشعب على فراقه وطلبوا اليه أن يبقى معهم مدة غياب راعيهم فأجابهم « ان الشمع يذوب اذا اقترب من النار هكذا تضحل فضيلة الناسك اذا دنا من العالم » ثم اخذ يثبثهم في الايمان ويعزيهم على فراق راعيهم الجليل وتنبأ لهم بعودته منتصراً

ورجع القديس الى ديريه واهتم بارسال محررات أكثرها الى الرهبان وقال بعضهم انها عشرون رسالة وآخرون انها سبع فقط . ولم يكن القديس يعرف شيئاً من اللغات ولا العلوم بل كان يعرف القراءة والكتابة بلغته المصرية . وجاء عنه ان أحد الفلاسفة الحكماء سأله ذات يوم اذا كان لا يضجر اذا لا سبيل له الى السلوى التي يدركها الآخرون بالقراءة في الكتب فأجابه « ان لي في الطبيعة كتاباً » وذات يوم آخر جاءه فيلسوفان ليختبرا علمه فقال لهما لماذا تنعبان لتفهمكما زيارة أحق مثلي فأجاباه انا جئنا اليك لاعتقادنا انك رجل حكيم . فقال لهما اذا كنت حكيماً فكونا اذا مثلي لان الافتداء بالحكمة واجب فانا مسيحي فكونا كذلك فصمتا متحيرين ثم تركاه . وقصده غير هؤلاء ممتحنون كثيرون من العلماء فسألهم عما اذا كان العقل أفضل أم العلم فأجابوا العقل فقال لهما اذا من كان عقله سليماً لا يحتاج الى العلم . ثم نافسهم في أي الديانات أفضل وبعد مباحثة طويلة اقترح عليهم اخراج الارواح النجسة من مجانين كانوا حاضرين وقتئذ ولما عجزوا تقدم هو ورسم عليهم علامة الصليب نخرجت منهم الشياطين

ولما امتلأ العالم من عرف طهارته وعجائبه شعر وهو في السنة المئة والخامسة من العمر بدنو أجله فجعل يطوف على أديرة الرهبان ويزود تلاميذه بالنصائح ويحثهم على القيام بواجباتهم المقدسة المفروضة عليهم ومدقاه لهم بعد وعظ كثير « سأفارقكم يا أولادي لكي لا أتفك عن محبتكم وانما أرجو أن تدوموا بكل غيرة ممارسين أعمالكم المقدسة ولا تتراخوا أبداً اياكم أن يخذل نشاطكم في تعميم واجباتكم . اجعلوا الموت كل يوم نصب أعينكم واجتهدوا بعناء كلي في أن تحفظوا أنفسكم طاهرة وخالية من كل الافكار الرديئة ابذلوا الجهد في اقتناء آثار القديسين

واتبعوا بكل شجاعة طريق الحق وحذار من أن تشاركوا مع شنيع الهراطقة الذين تعرفون رداعتهم وأعمالهم الذميمة واهربوا كما تهربون من الطاعون من الأريوسيين المعروف كفرهم عند كل الناس وان كان حكام الولايات يساعدونهم ويناضلون عن تعليمهم فلا تتمجبوا قط لان هذه السلطة الوهمية التي اختلسوها لا بد أن تتلاشى بل فليكن ذلك محرصاً لكم بزيادة على أن لا يكون لكم أقل علاقة معهم حافظوا بكل تقوى على تقليدات آبائكم واثبتوا بالأخص في إيمان سيدنا يسوع المسيح له المجد الذي تعلمناه من الكتب المقدسة والذي قسرتة لكم مراراً « اه

ولم ينته من هذا الكلام حتى أسرع بالذهاب الى صومعته لشعوره بمرض أصابه ودعا تلميذه مكاروريوس (ابو مقار الكبير المصري) وأماناس وخطبها قائلاً « اني أرى يا ولدي ان الله يدعوني اليه واني مزعم كما هو مكتوب أن أسلك طريق كل أحد . فداوما اذاً على البر حسب عادتكما ولا تفقدا ثمرة أعمالكما المقدسة التي مارستها منذ سنوات عديدة ولكن اجتهدا كأنكما يادئنان في أن تحفظا وتزيدا في ارتقاء حرارتكما . وانما تعلمان مكائد الشيطان وقساوته ولا تجهلان ضعفه فلا تخافاه قط بل آمننا بيسوع المسيح ولا تكن لكما رغبة الا في خدمته

عيشاً كأنكما مزمان أن تموتا كل يوم واسهرا دون انقطاع على نفسيكما وتذكرا التعاليم التي أرشدتكما اليها غالباً ولا تشاركوا قط مع المنشقين ولا مع الهراطقة الأريوسيين لانكما تعلمان جيداً كيف كنت دائماً محتقراً لهم بسبب هرطقتهم للرذولة لانهم يجسرون على محاربة يسوع المسيح وتعاليمه . ابذلا الجهد والجهد لتتحدوا أولاً معه ثم مع القديسين لكي يقبلوكما كأصدقاء وأضياف في الملكوت السماوي . اطبعا هذه الاشياء على صفحات قلبيكما . وان شئتما أن تبرهنا على محبتكما لي وانكما تتذكرا اني كما فيكما فلا تسمحا أن ينقل جسدي الى مصر خوفاً من أن يحفظه أهلها في بيوتهم وهذا هو السبب الذي حملني على الفرار لأموت فوق هذا الجبل . فادفنا اني اذاً تحت الارض ولا تقرا لأحد عن موضع لحدي حتى اذا جاء يوم القيامة اقتبل هذا الجسد من يد يسوع المسيح بكر القيامة

خالياً من الفساد .

اما ثيابي فوزعاها هكذا : اعطيا للاسقف اثناسيوس أحد جلود الغنم والرداء الذي استلمته منه جديداً رداه له بالياً . اعطيا للاسقف سيراييوس جلد الغنم الآخر واحفظا لكما مسجى . استودعاكما الله يا ولدي العزيزين . ان انطونيوس يقادر كما ويتخلف عنكما « اه

وبعد أن لفظ هذه الكلمات اقرب تلميذاه وعانقاه وهما يبكيان وللحال امتد على سريره منتظراً للموت بسرور ولم يكن نظره قد كل بعد ولا سقط سن من اسنانه وبدا وجهه للناظرين كأنه يسطع نوراً وبهاء . ثم اسلم الروح بيد مخلصه في اليوم الثاني والعشرين من شهر طوبه سنة ٣٦٥ م فقام تلميذاه بتكفينه واخفيا قبره حسب اشارته ووزعا متروكاته كما اوصى فكان من ناله شيء منها يعتبره اثن من اللائمة

وقد دفن جسد القديس الطاهر امام باب الهيكل القبلي بالكنيسة التي بناها في حياته باسم السيدة العذراء وصحيت بعد ذلك باسمه ولم تزل حتى اليوم تضم ذلك الجسد الكريم داخل دير عظيم شيد في ايام الانبا انطونيوس بجوار مغارته بجبل العربى

(٤) امونبوس - ولد سنة ٢٩٤ م بجوار مريوط وهو كزميله انطونيوس كان من أسرة مسيحية تقية موسرة وفقد ابويه وهو في سن الحداثة فبات تحت وصاية عمه . وكانت كل آماله متوجهة الى عيشة التبتل والقداسة . غير ان عمه خطب له فتاة غنية رغباً عنه وعلى غير ارادته . ولما لم يكن في قدرته مخالفة أمر عمه اخذ في مخاطبة الفتاة التي خطبت له بالاقوال الروحية وقد استطاع بسيرته المقدسة ان يؤثر عايبها تأثيراً حسناً خيب اليها عيشة الطهارة وغرس بنموادها الميل الى تكريس النفس لتكون عروساً محفوظة للمريس الحقيقى يسوع المسيح . ومن ثم اتفق الاثنان على ان يقبلا عقد الزواج وهما مصممان على أن يعيشا معاً كأخ واخت لا كزوج وزوجة

ولبثا على هذا الحال مدة طويلة وهما يحافظان كل المحافظة على شروط العفة والامانة حتى مرت سبع عشرة سنة على زواجهما وبعدها ماتت الزوجة فرأى

امونيوس ان المجال قد اتسع أمامه ليقضي ما ربه الروحية فهجر مسقط رأسه
ومضى الى القديس انطونيوس وتلاميذه ودرس عليه قوانين الرهبنة المقدسة .
وبعد ذلك أوفده القديس انطونيوس الى وادي النطرون ليؤسس اديرة هناك
فتبعه جمهور عظيم من ناذري العفة فنظم لهم الاحوال ورتب لهم معيشتهم
واستمر مدة يسوسهم بالفضيلة والتتوى

ولم تمض على هذا الحال ثمانون سنة حتى أصبح وادي النطرون يحتوي على
خمسين ديراً . ومن مبادئ هذا الآب « انه من العيب أن يتفرد الرجل التقى
في جسمه وهو عار من الملابس » وكانت وفاته في ٢ بشنس سنة ٧٣ ش

(٥) بنفوتوريوس . ولد بمدينة مصر بعد نصف الليل الثالث وثمنا مفعما
بالبركات السماوية والنعم الالهية الغير الاعتيادية . واذ تأمل جيداً في حسن ذلك
السبيل الذي سلكه ناتوحدون في براري مصر وطيبة الذين زهدوا الدنيا واعتزلوا
في التفر شغف به وتاق الى اقتفاء أثرهم وبعد قليل ترك العالم بعد أن عاف كل أمجاده
وطاب سعادة السماء وأجبه نحو تلك الاماكن قائلاً في نفسه « انه اذا كانت السماء
تستحق أن تفضل على الارض وان الفردوس العلو هو وطني الحقيقي بينما
الارض تحسب كدفي لي فاماذا اذا لا أوجه كل رغائبي نحو السماء وأهرب بكل
جهدي من الأرض وأنقر منها »

واذ أدرك ان سكناه مع النسالك القريبين من وطنه بمصر يجعل أقرباءه يحولون
دون قصده ويعوقونه عن متابعة سيره ابتعد ومضى الى الدير المدعو بيمبار في
آخر حدود الاقليم المصري الأعلى في طيبة الخارجية حيث كان القديس
انطونيوس يدبر احوال الرهبان ويقبل اليه كل يوم عدداً عظيماً من الذين
أخذوا بحسن صيته وارانوا السير على خطته . فعرض بنفوتوريوس نفسه على
القديس واخبره بميله الى المعيشة النسكية فثبته القديس ووضع بين تلاميذه
فبدأ القديس بنفوتوريوس يمارس الفرائض النسكية التي يرشده اليها معلمه
بنشاط كلي وأخذ يبيت حواسه بالتقشفات الصارمة حتى انه اخضع جسده
لروح اخضاعاً تاماً . فكان يقضي اوقاته في التأملات الروحية ويتلقى من
الارشاد الالهي الاوامر المقدسة حتى اصبحت نفسه مستودع الحكمة الالهية

وظهرت ثمار فضائله في مدة سنين قليلة وصار معتبراً في نظر الجميع ليس في مصاف
المبتدئين بل كأحد الآباء معلمي السيرة الروحية . وقد شهد القديس انطونيوس
مرات كثيرة لعظم فضائله ومزيد فطنته وجزيل محبته فوافاه كثيرون طالبين منه
ان يرشدهم الى كيفية السير في طريق الكمال

وحدث يوماً ان بعض النساك اشتكوا أحدهم بذنوب كان هو ينكره بتاتاً
وهم يكررون عليه شكايتهم فقال لهم القديس بنفوتيوس « اني قد رأيت على
شاطيء النهر رجلاً مغروساً في الوحل ثم نظرت واذا ببعض الرجال قد أتوا
لأنقاذهم ولكنهم عوضاً عن ان ينتشلوه الى الخارج اسقطوه فيه الى عنقه »
واراد القديس بهذا القول ان يفهمهم انه يمكن معالجة المذنب بالكلمات اللينة
لا بالقساوة التي تجدد فيه زلات جديدة كالنكران والكذب والاصرار على
الاثم . ولما سمع القديس انطونيوس ما خاطب به البار بنفوتيوس المشتكين
قال لهم « هذا هو الرجل الذي يعرف ان يحكم بموجب الحق على الاشياء ويستطيع
ان يفهم الافكار العميقة »

وشاء الرب بعد ذلك ان يجعل القديس بنفوتيوس بركة لأهل مدينة من
مدن اقليم طيبة فاختر اسقفاً لها ولكنه تألم من هذا الاختيار كثيراً وحاول
التخلص منه غير انه تحقق بعد الصلوات العديدة ان الله هو الذي اصطفاه لهذا
المركز فقبل السيامة وترك البرية وأقام في ابروشيته

ولم يلبث في دار اسقفيته طويلاً حتى انتشر خبر سيرته الطاهرة في كل مكان
فصارت له في عيون الناس منزلة سامية أما هو فشرع يدبر رعيته بالحكمة التي
اكتسبها من القديس انطونيوس فظفق بعضهم ويرشدهم الى الحق ساهراً على
تصرفاتهم جميعاً . ثم اعتنى بوضع قوانين كنسية وتعاليم انجيلية فنمت ابروشيته
وتقدم اهلها في كل الصفات الحسنة

ولما ثار اضطهاد ديوكلتيانوس ومكسيميانوس القيصريين على مسيحيي مصر
وقعت على هذا القديس وعلى رعيته مصائب جسيمة وأخيراً قبض عليه سنة ٣٠٨ م
وعذب اعذباً شديدة وقاسية من اجل اعترافه بالمسيح . ومنها انه حكم عليه
بقلع عينه اليمنى وبقطع مفاصل ركبته اليسرى وبربطه بالسلاسل وبأخذه الى

امكنة حفر المعادن ومقالع الرخام . وقد أبرأ ان يميتوه ليطيأوا زمن عذابه وليذيقوه الموت في كل لحظة واضحت حياته على هذه الصورة سلسلة استشهادات ولو لم يستشهد . ومع انه كان يشتكي قبلا من تركه للبرية واقامته بالعالم الا انه عند ما وقع تحت طائلة العذاب اظهر سروره لانه لولا وجوده بالعالم لما استحق ان يتألم من اجل مخلصه الامر الذي يعتبره شرفاً عظيماً

وكان وقتئذ كثيرون من المعترفين باسم المسيح في براري مصر في المكان المسمى برفيريتوس لوجود الرخام فيه فكانوا يلزمونهم باستخراجه واخذوا سبعة عشر شخصاً ما عدا النساء والصبيان وأتوا بهم الى بلاد فلسطين حيث اعترفوا جهراً بالايمان المقدس قدام فرميليانوس الوالي فأمر هذا بان تحرق أعصاب الرجل اليسرى لسكل منهم وتقطع العين اليمنى كذلك . ثم ارسلهم الى معادن تلك البلاد (١) ليفنيهم هناك بالتعب الشديد فكان القديس بفنوتيوس من اولئك المعترفين الذين ارسلوا من مصر الى فلسطين كما روى اوسابيوس وكان عددهم مائة وثلاثين شخصاً فبقى القديس في تلك المعادن مع سائر المعترفين الى نحو سنة ٣١١ م التي التزم فيها الملك غاليريوس للمغتصب ان يأمر بازالة الاضطهاد عن المسيحيين لاجل مرض اعتراه فرجع اكثر المعترفين الى وطنهم ورجع القديس بفنوتيوس الى مصر واقام في ابروشيته واخذ يجاهد في سبيل انباضها بما بقي له من القوة التي كادت تنسحق تحت شديد العذاب

وعند ظهور الشيعة الاربوسية اشتدت غيرة هذا القديس في المحاماة عن الايمان المستقيم . وحينما اجتمع مجمع نيقية المسكوني الاول سنة ٣٢٥ م ذهب اليه هذا الآب وكان من اعضائه المحترمين الذين تجلت غيرتهم وظهرت فضائلهم حتى اكتسب مقاماً سامياً لدى الملك قسطنطين فكان يدعوه مراراً كثيرة ويتفاوض معه على وضع التدابير اللازمة لراحة الكنيسة وتأييد الايمان وقطع دابر هرطقة اريوس . ولم يكن قسطنطين يسمح له بالخروج من ديوانه قبل ان

(١) كانت المعادن المذكورة في نصف المسافة بين بحيرة لوط الى بحر اباكا وقد وجد حديثاً آثار معبد قديم كان اولئك المعترفون قد بنوه زمان اقامتهم هناك ويعد الاضطهاد اصبح هنا المعبد كنيسة ارتقية في ايام الملوك المسيحيين

يقبل عينه اليمنى المقلوعة من اجل اعترافه بالمسيح
وكان هذا القديس أحد الآباء الذين وضعوا قانون الايمان الارثوذكسي
في المجمع المذكور . وبعد انحلال المجمع رجع الاساقفة الى ابروشياتهم وعاد
القديس الى كرسيه . وبعد ذلك كان متجداً بالأثفة والوداد مع البابا اثناسيوس
الرسولي ورافقه مع القديس بوتامون الذي من هراكليا وسبعة واربعين اسقفاً
الى المجمع الذي التأم بصور سنة ٣٥٣ م وكان أكثر اعضاء هذا المجمع يعتقدون
اعتقاد اريوس . أما القديس فلما تحقق ذلك ورأى بينهم مكسيموس اسقف
اورشليم اخذ بيده وقال له لا يليق ان يكون في مجمع الاشرار اسقف ارثوذكسي
اعترف بالمسيح في الاضطهاد الاخير وكيف يحتمل ان رجلاً نظيرك مشهوراً
بالغيرة في المناضلة عن الايمان يعرض نفسه لان يضلّه ويغره الهراطقة الذين
قصدوا ان يهلكوا القديس اثناسيوس الذي هو أشجع محام عن هذه التضحية
الاساسية من قانون الايمان . ثم اعلمه بتمصّب الاريوسيين الذي كان يجمله
مكسيموس لهذا الوقت . وتمكن من ان يفصله من حزبهم ويثبته في شركة
الكنيسة الاسكندرية .

ولما رجع هذا القديس الى كرسيه ثالثاً قضى بقية حياته مجتهداً في المحافظة
على الايمان ومقاوماً بكل قوته بدعة اريوس وبعد ان خدم مخلصه مدة سنين
طويلة انتقل الى فردوس النعيم بشيخوخة صالحة في سنة لا نعلمها ولكننا نعلم
انه جاهد الجهاد الحسن ونال الاكليل المجيد



القسم الثالث

المملكة والكنيسة

•••••

(١) اضطهاد كاركلا (٢) اضطهاد مكسيمينوس الثراكي (٣) اضطهاد
ديسيوس (٤) اضطهاد فاليريان (٥) ضيق بسبب الحرب وما آثر
المسيحيين في تخفيفه

•••••

(١) اضطهاد كاركلا . وتوالى بعد ساويرس سبتيموس جملة قياصرة لم
يكن لهم شأن يذكر مع مسيحي مصر حتى ملك كاركلا سنة ٢١١ م فخطر له ان
يزيد دخله فضاعف الجزية التي كان يدفعها له مسيحيو مصر وشن قانوناً يقضي
على المسيحي الذي يعرف عنه انه قاوم الحكومة في أمر ما بالصلب أو بطرحه
للوحوش الضارية فتمزقه ارباً وهذا وان كان عبداً ذليلاً فيكتفى
بعبوديته وذلك

ولما تناول ظلم هذا القيصر جميع طبقات المصريين ضج الكل منه ونقموا
عليه ورموه بقوارص الكلام واطلقوا عليه القاب السخرية فاراد ان ينتقم منهم
وعول على تدبير مكيدة لهم فأعلن عزمه على اختيار كتيبة من المصريين ليكونوا
جنوداً ضمن حرسه الخاص . فسر شبان الاسكندرية بهذا العطف . وفي
اليوم المعين للانتخاب خرج جميع أهالي الاسكندرية لمشاهدة الاختيار في مكان
عينه القيصر خارج المدينة فلم يكادوا يجتمعون حتى أشار الى عساكره فجردوا
اسلحتهم وقضوا على جميع المشاهدين بأساليب وحشية ولم ينج منهم الا القليل



« المسيحيون يطرحون للوحوش »

وقد انتقم الله من كار كلا جزاء فظائمه فاغتاله مكريينوس وحصلت منازعة على من يخلفه فانتهز وثنيو الاسكندرية تلك الفرصة للاعتداء على المسيحيين فكنت تراهم يوقعون بهم في الطرقات والشوارع

(٢) اضطرار مكسيمينوس الراكي . نالت الكنيسة راحة في عهد الملك اسكندر ساويرس الذي ملك سنة ٢٢٢م ولكن خليفته مكسيمينوس حال

تملكه سنة ٢٣٥ م اشتد عليهم شدة عظيمة ووجه نظره الى مسيحي مصر فضايقتهم حتى اضطر البطريرك ياروكلاس ان يترك الاسكندرية فراراً من وجهه . غير ان كثيرين من المؤمنين تجرعوا الموت بعد ان ذاقوا انواع آلام شديدة . وقد قصف الله عمر مكسيمينوس بعد ثلاث سنوات لملكه وخلفه غورديان فانتشر السلام في مصر مدة ملكه ونمت المسيحية نمواً يذكر . وعقب غورديان فيليب العربي سنة ٢٤٤ م الذي كدر صفو سلام مسيحي مصر فوقع بهم بلايا وأصابتهم منه اضطهادات .

(٣) اضطهاد ديسيوس . ان اشد الاضطهادات التي وقعت على المسيحيين المصريين تلك التي اصابتهم من ديسيوس قيصر الذي جاس على كرسي السلطنة الرومانية سنة ٢٤٩ م فكان اضطهاده بالغاً منتهى القسوة والشدة حتى زل كثير من المسيحيين اثناء الاضطهاد وذبحوا للاوثان اجابة لطلب معذبيهم . ويكفي ذلك في وصف تلك الفظائع ما سطره يراع البابا ديونيسيوس الاول البطريرك الاسكندري وبعث به الى فابيان اسقف انطاكية وفيه وصف الاضطهاد المذكور وهو : -

« ان الاضطهاد الذي اصابنا لم يحدث بناء على أمر من الحكومة بل ان ناره كانت مخبوءة تحت رماده مدة سنة كاملة فالتظت عندما اثارتها يد التعصب . وتفصيل ذلك ان شاعراً يدعي النبوة وفد على الاسكندرية وكان حججه شتوماً عليها اذ جال فيها يهيج سخط الوثنيين ضدنا ويحرضهم على الدفاع عن خرافاتهم وابطالهم التافهة فتم لهم ذلك وأثار نائرة الوثنيين نحونا وساعدهم على عمالهم ما اباحتهم الحكومة من اجراء أي شر وضرر يرغبونهما لنا كما انهم ظنوا ان منتهى التقوى والقداسة تنحصر في عبادة اوثانهم وشياطينهم وهذه العبادة تم بذبحنا وتقديم اجسادنا قرباناً لاصنامهم

« وكان أول شر ارتكبه ان امسكوا رجلاً هراماً يدعى « مترا » وطلبوا منه ان يجدف ويهزي بكلام بذيء . فرفض الرجل طلبهم بتاتاً وحينئذ انقضوا عليه كالوحوش واخذوا يضربونه بالعصي وينخزون وجهه وعينيه بمناخس وهو

ثابت القلب ساكن الجأش . فلما يتسوا منه اخرجوه خارج المدينة وورجوه ،
بالحجارة حتى مات . ثم اتفقوا جميعهم وساروا مندفعين الى منازل للمسيحيين
فكانوا يدخلونها بقوة غير مراعين حرمة الجيرة ولا شروط المروءة ويخربون
السكان منها ثم يتلفون كل ما وصلت اليهم ايديهم الا ثيممة فيأخذون الاشياء
الثمينة القيمة اما الاثاث والامتعة البيتية فيجعلونها طعاماً للنار اذ يحرقونها على
قارعة الطريق حتى اذا رآهم أحد وهم يركضون ويسلبون ويحرقون فلهم جيشاً
ظفر بمدينة ففعل بها فعل الغالب المنتصر

« اما للمسيحيون فلم يبدوا ادنى مقاومة بل وقفوا يراقبون خراب بيوتهم وهم
سكوت صامتون . فكانوا مثل اخوتهم الذين اشار اليهم بولس الرسول في انهم
كانوا ينظرون سلب اموالهم بفرح . ولست أعرف سوى رجل واحد فقط
من الذين وقعوا في ايديهم انكر ايمانه ولكن بعد عناء شديد وعذاب قاس .
واعرف ايضاً انهم القوا القبض على عذراء عفيفة فاضلة اسمها « ابولونيا » وكانت
قد هرمت وشابت ناصيتها وأخذوا يضربونها على فكها حتى حطوا اسنانها
تحتيماً . ثم اشعلوا ناراً خارج المدينة وهددوها بالحرق حية ان لم تنطق بكلمات
التجديف والسخر التي كانوا يلقنونها اياها . فاصابتها في اول الامر قسرية شديدة
من شدة الآلام ولكنها عادت فتجلدت وثبتت فلما رأى معذبوها عدم فائدة
هذا العذاب طرحوها في النار حتى صارت رماداً

« وقد امسكوا ايضاً رجلاً آخر اسمه « سرايوت » بينما كان في بيته
وأذاقوه أعذبة يقصر القلم عن وصفها ويرق الحجر الصلد من تأثيرها حتى
كسروا جميع اضلاعه وسحقوها سحقاً وأخيراً طرحوه على أم رأسه من فوق
علو شاهق

« وكان اذا سار الانسان ليلاً أو نهاراً في الشوارع والازقة لا يسمع سوى
صراخ وضجيج قوم يهددون ويعذبون كل من رفض ان يجحد ايمانه وينكر
مسيحه ولا يشاهد المرء غير أناس اتقياء يجرهم الاشرار على وجوههم ثم يطرحونهم
في النار المتقدة فيحرقونهم كالهشيم . وقد بقيت هذه الخطوب متفاقمة مدة من
الزمن الى ان ظهر هياج سياسي اعقبه حرب اهلية جرفته في سبيلها كل شرير

أثيم ولذلك استرحنا قليلا إذ انصرف شرهم عنا الى بعضهم البعض ولم تكذب
تتزهق الصمعداء حتى حاق بنا الخوف وحفنا الخطر عند ما ابدل ذلك الملك الذي
كان أرق جانبا و اقل شراً من غيره بملك آخر قد لا يجلس على كرسي المملكة
الا ويوجه نظاره نحونا فيعمل على اضطهادنا . وقد بدأ حدسنا يصدق وظننا
يتحقق حالما صدر أمر شديد الوطأة مثلما انبأ بذلك مخلصنا له المجد متضمنا
عبارات تصطك منها الركب حتى أوشك المختارون على السقوط والعتار وعم
الخوف الجميع واركن كثيرون من المشاهير الى الفرار ورفقت كل مسيحي في خدمة
الحكومة كيفما كان ذكاؤه ونباهته وكان كل وثني يعرف احد المسيحيين ويرشد
عنه كان يوثق به على عجل ويدعون الواحد باسمه حتى يتقدم الى هيكل الاوثان
فيطلب منه تقديم الذبيحة الوثنية وكان عقاب من يرفض تقديم الذبيحة للصنم
ان يكون هو نفسه ذبيحة للصنم بعد ان يجتهدوا في اقناعه بذلك بكل وسائل
التخويف والارهاب بينما كان يوجد جمهور من الوثنيين التأم هنالك وهو يهزأ
ويسخر بكل مسيحي يكون حظه أما انكر ان الايمان وتقديم الذبائح للأوثان
وأما الموت الذي هو نهاية كل انسان ولكن بعض ضميري الايمان انكر ايمانه
وهو واقف أمام المذبح الوثني وأثبت انه لم يكن مسيحياً قط فمثل هذا يصدق
عليهم قول المخلص المجيد انهم بالجهد يخلصون وكان البعض يتقدمون بهذا الجاحد
والبعض يتمسكون باذيال الفرار وغيرهم قبض عليهم وطرحوا في السجون مكبلين
بالقيود والاغلال ومنهم من أنكر الديانة المسيحية بعد أن سجن قليلا ولم
يحاكم وكثيرون بقوا متمسكين بالدين المسيحي معترفين به مع صعوبة الاعذبة
التي ذاقوها مدة طويلة وكثيرون قواهم الله وارسل لهم معونة من لدنه فبقوا
مرتبطين بوحدانية الايمان الصحيح ولم يميلوا عنه يمنة أو يسرة وكان من أمرهم
ان صاروا أركاناً متينة في بيت الرب وعليهم بنيت الكنيسة المصرية كما انهم
دعوا شهوداً أمناء على مجد ملكوت ابن الله وكان في مقدمة هؤلاء الاتقياء
رجل اسمه يوليانوس أصيب بالنقرس (داء المفاصل) فلم تكن له مقدرة على
السير أو القيام من مكانه فاقوه الى المحاكمة يحملة رجلان على كتفيهما ولما تقدم
هذان الرجلان أمام المحكمة أنكر احدهما ايمانه بلا اهل وأما الثاني واسمه

كرونيون ولقبه أينوس فاعترف بإيمانه اعترافاً صريحاً كما اعترف يوليانوس أيضاً ولذلك حملوهما على جبلين وطافوا بهما في جميع أنحاء الاسكندرية - وهي كما تعلم واسعة الأطراف - وكانوا يجلدونهما بالسياط جلداً عنيفاً وأخيراً طرحوهما في لهيب يتقد بالنيران فصارا رماداً بينما كان مضطهدوهما واقفاً يتفرجون عليهما كأنه من المناظر التي تسرها النفوس « اه (١)

وقد حرر البابا ديونيسيوس رسالة أخرى أشار فيها الى كيفية استشهاد بعض المؤمنين وهالك مضمونها : -

« وحدث ان ستة رجال واربع نساء فيهم شاب في ريمانت عمره اسمه ديوسقوروس قبض عليهم وبعد ان جلد أولئك الاتقياء بالسياط طرحوا في أتون النار المتقد . أما ديوسقوروس فاعطاه القاضي مهلة يتدبر فيها نتيجة اصراره على التمسك بإيمانه عساه يعود فيجحد اشفاقاً على نضارة شبابه وخصوصاً لما آنسه فيه من العقل والرصانة عند ما كان يجيب على الاسئلة التي سألوه اياها . وها انا أخط هذه السطور وديوسقوروس قائم بجانب يظفر من الفرح الروحي منتظراً عذاباً مريعاً وألماً موجعاً قد يصيبه الآن » اه

فيتضح من خطاب البابا ديونيسيوس هذا ان سبب الاضطهاد هو غيرة الوثنيين من نمو الديانة المسيحية . فقام المقدمون منهم ودعوا الى احياء الدين القديم واجهدوا النفس وبالغوا في الدأب واستمالوا الكثيرين من أهالي البلاد الى ترك الديانة المسيحية والرجوع للوثنية فاستفحل الامر واستحكم الخلاف بين النصراني والوثنيين وقامت قائمة الفتنة فخرج الوثنيون على المسيحيين ونهبوا بيوتهم وكثر السلب بمدينة الاسكندرية وكان نظامها قد اختل قبل عهد ديسيوس قيصر . وظلت الفتنة تتعاضد الى ان صار اراقه دماء المسيحيين من الواجبات الدينية وتتبعوا أثرهم وكثر الفحص عنهم فخرجوا على وجوههم في صحاري الصعيد الأعلى وانزوا في اقطارها وانكشوا اياماً

وكان لليهود يد في اثاره هذه الفتنة على المسيحيين وايقاد نار التعصب ضدهم .

(١) من رسائل البابا ديونيسيوس التي نقاها أو-اييوس المؤرخ ونقلناه عن « تاريخ الامة القبطية » وكنيستها لمدام بواتشر

وكانت الحكومة الرومانية تسر جداً باستمرار الشقاق بين صنوف الاهالي بمصر
وتأكيد العداوة بين أهل الأديان لتدوم شوكتها وتتأيد دولتها فعملت على
النكاية بالمسيحيين وهم القسم الاضعف لتوغر صدور الوثنيين عليهم من جهة
ولتكتسب رضاهم من جهة أخرى

وقد كانت عبادة الشمس والقمر الى ذلك الحين شديدة الانتشار ولم يعترها
ضعف ولا وهن ولا سيما في عهد غوردیان وفيليب ومن بعدها . وكان التمسك
بها لم يذهب من هياكل مصر والنوبة وذلك من اكبر الاسباب التي دعت الى
هياج الوثنيين على كل من خالف دينهم وبالاخص على المسيحيين

(٤) اضطرهار فاليريان - وجاء بعد ديسيوس قياصرة لا يهمننا ذكرهم

حتى ملك فاليريان سنة ٢٥٤ م فأظهر للمسيحيين مزيد الاتاسة وكان يستدعيهم
الى قصره ويجالسهم وساءه أذيتهم ولكن بعد قليل انقلبت محبة فاليريان الى
البغضة وصار من ألد الاعداء لهم . وكان السبب في ذلك ان فاليريان كان مغرمًا
بمحكمة المصريين القدماء واتخذ له مشيراً واحداً من كهنة المصريين بمصر يدعى
مكريانوس كان يدعى السحر ومعرفة الامور المستقبلية . فهذا لما رأى ميل الامبراطور
للمسيحيين خاف ان ذلك التودد يكسبهم نفوذاً عليه فتنخفض قيمته ولا يعود
يقدر ان يبلغ من القيصر مأرباً ولا ان يستجلبه لعبادة الاوثان فأخذ يوشي على
المسيحيين واظهر له ان الذبائح التي كان يقدمها للالهة لاجل حفظ الملك وسلامته
لم تعد مقبولة لسبب تقربه منهم وانه من اللازم مقاصتهم . فصدق فاليريان كذب
مكريانوس وأمر بقصاصهم فكان اضطهاد شديد عليهم يضاهي الاضطهاد الذي
حصل في أيام ديسيوس قتل فيه كثيرون من الشيوخ والاساقفة وغيرهم وكان
المضطهدون يهجمون على الآمنين في بيوتهم ويحرقونهم الى منافع العذاب حتى
اضطر كثيرون من المسيحيين الى هجر دورهم واتخذوا الجبال والمغائر
مخابئ لهم .

وقد صادف البابا ديونيسيوس البطريرك في ذلك الاضطهاد اهوالاً مريعة
وأخيراً نفي . وقد روى بعد رجوعه من منفاه الى الاسكندرية انه لم يجد من

شمامسة الكنيسة سوى ثلاثة فقط وهم فوسطس ويوساب وكويرمولي مع انه ترك عدداً وافراً منهم ظلوا مختبئين في مكانهم وكانوا ينتهزون الفرص ليعظوا الاخوة ويبشروهم ولكنهم ماتوا جميعاً بداء الدفرياء وغير هؤلاء قتل كثيرون واستشهدوا واشتدت القساوة على المسيحيين للغاية حتى انهم كانوا يشقون بطون اطفالهم ويأخذون مصارينهم ويلقونها على أنابيب القصب ويلقونها للاوثان . وآخرون خيروا بين ان يسجدوا للاوثان أو يعذبوا الى الممات فأثروا الهلاك فهلك منهم عدد لا يحصى . واستمر اضطهاد فاليريان ثلاث سنين ونصف وانتهى في سنة ٢٦٠ م

(٥) ضيق بسبب الحرب وما آثر المسيحيين في تخفيفه - تبوأ غالينوس

العرش بعد ابيه فاليريان ولكنه انهك في الملاذ فرأى مكريانوس الساحر الوثني ان يكون ملكاً على مصر فأبى المسيحيون الخضوع له فعاداهم معاداة عظيمة حتى قام ايمليانوس الوالي وأخذ منه التاج وحكم مصر حكماً جائراً . وبعد ذلك أتاه تبودتس قائد جيش غالينوس وحاصره ودامت الحرب بينهما سجالاتاً مدة من الزمن أصيبت البلاد فيها بنكبات عديدة وتحمل المسيحيون منها العبء الثقيل لقيامهم بمساعدة المنكوبين وتخفيف آلامهم . وقد كتب البابا ديونيسيوس رسالة في عيد الفصح سنة ٢٦٤ م يصف فيها هول الحرب وكيف كان المسيحيون سبباً في تخفيفها قال :-

« ان الوقت الحاضر أصبح كغيره في الاوقات الغابرة اذ يعسر فيه على الكثيرين من المسيحيين ان يؤدوا فریضة عيد الفصح وسيان عندنا اوقات الحزن والغم وأيام الفرح والسرور التي لا يكاد يراها أحد ولو في المنام لكثرة توالي المصائب وتتابع النكبات حتى أصبح الانسان لا يقع نظره الا على عيون تدمع وقلوب تفجع وما أق تسيل على الخدود بدل الدمع السخين الذي تنشق له الأعين حزناً على أناس أتقياء كثيرين ماتوا ودرجوا الى العالم الباقي واذا مررت الآن في المدينة لسمعت التهديدات والزفرات يكاد القلب يتفطر منها أسفاً على أقوام مشرفين على الهلاك ينظرون أبواب القبور مفتوحة أمامهم تسكاد تبتلعهم قبلما تفارق أرواحهم الأجساد حتى أصبحنا في زمن أشبه بالزمن الذي مات فيه كل بكر في

أرض مصر على يد موسى فلم يخل بيت من البكاء والعيويل لأنه يوجد ميت على الأقل في كل منزل وكنت أتمنى لو أن يكون هذا كل البلاء ويقف المصاب عند هذا الحد مع ما يسبقه من أهوال تشيب لها النواصي وتصطك منها الركب بل زادوا في أنهم طردونا طرداً وأقصونا الى أما كن بعيدة ثم أخذوا يضطهدونا حتى أماتوا أكثرنا ومع ذلك فلا نزال نعيد العيد بكل احتفاء واحتفال وكلما كانت اضطهادنا شديداً كلما كان عيدنا بهياً بهيجاً وكان المكان الذي نذوق فيه أشد الأعدبة لا بد وأن تقيم فيه أهم الحفلات الدينية ولم نترك حقلاً ولا مغارة ولا سفينة ولا خاناً ولا سجنأ الا وعملنا فيه جمعية يذكر فيها اسم الرب وينادي بكلمته جهاراً . أما أهم الأعياد وأكثرها مجلبة للفرح والسرور فهو العيد الذي يحتفل به جماعة الشهداء الأبرار الآن في السماء حيث يرأس حفلاتهم الرب يسوع نفسه حيث للألم ولا تعب ولا جوع ولا شيء من مصائب هذه الحياة وبلاياها

« وقد أعقب هذه النكبات حرب تلاها جوع وسغب أصابنا نحن والوثنيين على السواء ولكن الضرر الا كثر لحق بالفقراء المساكين الذين أثر فينا حالهم تأثراً شديداً فكنا نواسيهم ونشاطر كل من انتابته مصيبة في بلاياهم ونرى لامرهم ونعطف عليهم عطفاً ينتج من قلوب رقيقة واحساسات مسيحية شريفة تتأثر لمصاب بني البشر الذين هم اخوتنا في الانسانية . ثم جاءت بعد كل هذه هدنة قصيرة منحها لنا الرب يسوع المسيح تمتعنا فيها بشيء من الراحة والفرح ولم نلبث طويلاً على هذه الحالة حتى داهمنا وباء فتاك مسنا مساً ولكنه فتك بالوثنيين فتسكا ذريعاً

« فلما قدم هذا الداء الوبيل بخيله ورجله ظهرت احساسات الاخوة المسيحيين نحو القوم المصابين وياتتواياهم الحسنة وعواضفهم الحبية مع كل مريض مدنف حتى أنهم لم يخشوا شر الداء ولم يخافوا على أنفسهم من الهلاك بل عمدوا الى تمرير الضعفاء وسد حاجات المعوزين بهمة شماء ومروءة علياء وهي أعمال كانت تضىء في هذه الأيام السوداء كما يضىء مصباح لامع في حالاك الظلام وديجوره فكانوا يداوون المرضى بالادوية الروحية أولاً حتى اذا فارقوا هذه الحياة الدنيا انطلقوا الى الابدية وفي قلوبهم رجاء لا ينفى بالحياة الآتية . وكان كثيرون من هؤلاء الاخوة الذين يخدمون المرضى يموتون معهم بعد ان يصابوا بعدوى أمراضهم . نعم كانوا

يموتون فرحين مسرورين لموت هورقاد موقت تعقبه حياة أبدية سعيدة . وكانت
العدوى تنتقل من المصاب الى الصحيح لان هذا كان يستخرج مصل الداء من ذلك
بواسطة مصبه كأنهم كانوا يحملون أعباء الامراض من على أعاقي الآخرين ولذلك
مات الكثير من المسيحيين فداء لاخوانهم المرضى وهو عمل يظهر منه الفرق
الكبير بين المسيحي الحقيقي الذي يضع نفسه عن الآخرين كما فعل سيده قبله
وبين أولئك الذين يظهرون في مظهر المحبين المخلصين بواسطة احساس غير حساس
يبدونه في آداب باطلة وتحيات فارغة ومودة عتيمة ولكن اذا جاء وقت الشدة
فزعوا من اصدقائهم وابتعدوا عنهم أو قدموهم قرباناً لاغراضهم اذا كانت في
تقدمتهم مايجلب بعض النفع أو يزيل شيئاً من الضرر . ففي زمن هذا الوباء
انتقل الكثيرون من خيرة الاخوة وأفاضل الامة وذعبوا الى الدار الباقية شهداء
الخدمة المسيحية وكان فيهم القسوس ومشائخ الكنيسة وشمامتها وغيرهم من
الشعب الذين اشتهروا بحسن السيرة وطيب السمعة فالموت بهذه الكيفية وما
اقترن به من شفقة عميقة وايمان حار وغيره تقوية ومحبة مخلصه لا يقل في الاهمية
عن الاستشهاد الذي يحدث في زمن الاضطهادات والذين يموتون بالطريقة المار
ذكرها كانوا يكرمون ويحتفل بموتهم احتفالاً باهراً اذا كانوا يحملون على
الاكف وبوضعون فوق الرؤوس بعد أن تنظف عيونهم وتكفكف كل دمة
منها ذرفت ساعة الحشرجة وتقفل افواههم ويكفونهم بأحسن الاكفان وانعنها
ومن ثم يدفنونهم باجلال واكرام وهكذا يودع الواحد منهم اخاه ويعود فلا يلبث
طويلاً حتى يودعه غيره على الطريقة التي اتبعها هو مع سابقه اما الوثنيون فكانوا
على الضد من ذلك ولا عجب في هذا ولا غرابة مادامت الاحساسات المسيحية
والمواطف التقوية لم تجدها طريقاً للقلب ولم تعمل فيه عملها المعروف فكان
اولئك الوثنيون عند ما يشعرون بان احدهم مريض يبتعدون عنه ويتحون حتى
عن اعز اصدقائهم ومحبيهم وقد بلغت بهم القساوة مبلغاً عظيماً حتى كانوا يطرحون
مرضاهم في الازقة والشوارع وهم بين حي وميت فاذا فارق المريض هذه الدار
رموا به في عرض القلادون أن يواروه التراب ومن غير ان يظهر على صلاتهم ادنى
المظاهر التي تدل على التأثير والاحساس ولو احتاطت بهم كل العوامل المؤثرة الفعالة اه

القسم الرابع

البرع والانسافات

○○○○○○○○○○

- (١) سابليوس (٢) نيبوس صاحب بدعة الالف سنة (٣) بيرلس
- اسقف بصره (٤) بولس السيمساطي (٥) ماني (٦) هيراكس
- (٧) الخلاف على عماد الهرطقة والجاحدين



(١) سابليوس . أحد اساقفة بطلومايس بالخميس المدن الغربية كان قد

تربى في مدينة رومية وتعلم لتوثيوس الهرطوقي وأخذ عنه تعاليمه التي تنحصر في ان الله اقنوم واحد أعطى الناموس لبني اسرائيل بصفته الآب وصار انساناً في العهد الجديد بصفته الابن وحل على الرسل في عالية صهيون بصفته الروح القدس ومن اعتقاد توثيوس سمي تابعوه « مؤلمي الآب » (١) الا ان سابليوس فصل

(١) ان اول من نشر بدعة « مؤلمي الآب » هو ابراكسياس الذي وقد على رومية من آسيا الصغرى وفتح مدرسة بت فيها خلاله واستطاع ان يجذب الى هرطقته زفيرينوس اسقف رومية وكاليسطوس خليفة وقام بعد ابراكسياس تلميذه توثيوس ينشر بدعته فاما عالم البباديونيسيوس ان هذه البدعة اخذت وتسلط على عقول الرومانيين كتب توثيوس رسالة طويلة شرح فيها التعاليم الصحيحة وفند بدعته . فليعتبر البباديون الذين ينادون بمصحة باباواتهم ويقفوا عند حدهم معترفين لبابوات الاسكندرية بالفضل فلولا غيرتهم الدينية لاصبحت الكنيسة الرومانية الآن مجموعة هرطقات فضلا عما هي عليها بفضل آسافل باباواتهم الا كرمين الذين لم يكن بينهم سوى اتساع سلطانهم وازدياد نفوذهم

ما تعلمه الكتب عن الآب والابن والروح بنوع يختلف عن نوثيتوس . فاعتقد ان جزءاً من الطبيعة الالهية انقرض من الله الآب وكون الابن بالاتحاد مع الانسان يسوع المسيح وان جزءاً آخر انفصل عنه فكان الروح القدس . وكان اول من اعتنق بدعة نوثيتوس وسابليوس زفيرينوس اسقف رومية وكاليسطوس خليفته وساعدا المبتدعين على نشر بدعتها حتى انتشرت تلك الاراجيف وعمت أنحاء الغرب . ومما زاد الطين بلة ان كاليسطوس سام اساقفة وقسوساً وشمامسة من الذين تزوجوا ثانياً وثالثة ثم أباح العماد لمغفرة الخطايا وادعى بان الاسقف لا يقطع من الكهنوت مهما جنى من الاثام . ولما لم يوافق سابليوس على ذلك حرمه نجاء الى مصر سنة ٢٥٧ م وأخذ ينشر فيها بدعة « مؤلمي الاب » فجذب اليه كثيرين ولما اتصل امره بالبابا ديونيسيوس قارمه بشدة كما مر بنا في تاريخ حياة هذا القديس وانتهى الامر اخيراً بحرم سابليوس في مجمع عقد سنة ٢٦١ م

(٢) نيبوس صامب برعة الالف سنة . كان اسقفاً لابروشية ارسينو في الفيوم عرف بين رعيته بصفات حميدة جعلتهم يحترمونه احتراماً زائداً . هذا الاسقف أخذ يعلم شعبه تعليماً جديداً ذهب فيه الى تأكيد اقتراب الوقت الذي يملك فيه المسيح الف سنة على الارض كاحد ملوك العالم مفسراً ما قيل في سفر الرؤيا عن ذلك تفسيراً حرفياً . ووضع كتاباً سماه « مضادة المتغزلين » كما لقبه مزدرياً بمضادى الالف سنة . اعترض فيه على من يقولون بان اقوال سفر الرؤيا تدخل تحت باب المجاز . وقد اجهد نفسه في اقناع رعيته بذلك المبدأ فقبلوه بدون فحص

وكان هذا الاعتقاد قد عرف في عهد العلامة اوريجانوس فقاومه بشدة وأفناه بالمرّة مفسراً الآيات المصرحة بملك المسيح الف سنة انها تشير الى الافراح الروحية المناسبة لطبيعة الارواح التي تقوم كاملة وذلك لا يكون في هذا العالم بل في العالم الآتي . الا أن نيبوس قصد احياء هذا الاعتقاد مرة أخرى بعد اضمحلاله وبعد موت نيبوس أخذ رجل اسمه كراسيون مركزه في اذاعة تلك البدعة وهو رجل

خبير ذو شرف و سطوة

ولما اتفق للبابا ديونيسيوس أن يفتقد رعيته سنة ٢٥٥ م وقف على هذه البدعة وعرض عليه تابعوها أن يحكم فيها فاستعمل الحكمة المتناهية وجذبهم اليه باللطف والرفقة وعمد جمعاً هناك ظل ثلاثة ايام تليت فيه احتجاجات نيبوس وبعدها كتب البابا ديونيسيوس رسالة ووضع نبذة في « المواعيد الالهية » دحض فيها تلك الافكار

ولم يكتف البابا ديونيسيوس بذلك بل وضع شرحاً لسفر الرؤيا قاعدته انه يجب ان لا ينظر لعبارات هذا السفر نظراً حرفياً اذ هو عبارة عن رموز ونبوات بعضها تم وبعضها سيتم في وقته « اه » ويقول بعض المؤرخين ان هذا البابا ارتأى ان يوحنا الرسول ليس هو الذي كتب سفر الرؤيا بل وضعه يوحنا آخر غير انه اعترف بانه سفر موحى من الله يجب قراءته مع الحذر الكلي

(٣) بيرلس اسقف بصره . علم ان السيد المسيح قبل ولادته من

العدراء لم يكن له لاهوت متميز بل انما كان له لاهوت الاب أي ان المسيح لم يكن له وجود قبل ولادته من مريم وانه في ولادته دخلت واتحدت بالانسان النفس الانسانية التي اصلها من الله وهي بلا ريب فائقة كل النفوس البشرية لانها منبثقة من الطبيعة الالهية . ولما انتشرت هذه البدعة وبلغت مسامع العلامة اوريجانوس قام لبلاد العرب ودحض تعليم بيرلس في مجمع انعقد ببصره سنة ٢٤٤ م وتمكن اوريجانوس من ان يرد بيرلس الى الحق ووفي هذا لذلك العلامة واصبح بعد ذلك من اكبر اصدقائه وأشد المدافعين عنه

(٤) برلس السيمساطي . ولد في سيمساط (مدينة صغيرة في ما بين

النهرين) عن والدين فقيرين ولكن حاز على غنى طائل بوسائل محرمة . ولا يعلم باي واسطة توصل الى ان يكون بطريركا على الكرسي الانطاكي . ولما اثرى بعد الفقر المدقع انهمك بالملاذ وكان يصطحب معه ابن قام او رحل امرأتين جيلتين يقضي معها اكثر اوقاته . وكان مغرماً بالرفاهية والفخفة بحيث لم يكن يسير في الطرقات الا ومائة من الخدم يتقدمونه ومائة يتبعونه . وابدل ترايل الكنيسة

بنشأئد لمجده كلف بنشيدها النساء . واذا خطب كان يجعل الناس ان تصفق له آخر كل مرة

وكانت له حظوة كبرى عند زينب ملكة تدمر حتى وكلت اليه جباية الخراج وبذلك تقلد وظيفة دوسناريوس (اي والي مدني من الدرجة الاولى له مرتب سنوي ٢٨٠ سترشيا اي ٣٥٩٦٠ فرنكا) وكان حرصه على القيام بوظيفته المدنية اشد منه على اتمام فروضه الدينية لانه كان يتخذها سلاحاً ضد اكليروسه ورعيته خوفاً من مقاومتهم له

وقد استمر في طفيلانه وتجبيره حتى سقط في هرطقة فظيعة زعم فيها ان ابن الله لم يكن من الازل بل ولد انساناً حل فيه كلمة الله وحكمته عندما ولد من العذراء وان هذه الحكمة التي مكنته من ان يعلم ويعمل العجائب فارقتة حين قدم على الالام . وبسبب اتحاد الكلمة الالهية هذا بالانسان يسوع القول ان المسيح هو الله وليس بماها الحقيقي . ونشأ عن ذلك ضلاله الاخر وهو انه كان في المسيح اقنومان وابنان الله أحدهما بالطبيعة والاخر بانتبني . وبذلك شايح سابليوس في انكار الثالوث الاقدس بقوله يوجد الله واحد تحسبه الكتب المقدسة بالاب وان حكمته وكلمته ليست اقنوماً بل انها في العقل الالهي بمقام الفهم في العقل الانساني .

ولما بلغت القديس ديونيسيوس البطريرك الاسكندري اخبار هذا الهرطوتي أرسل اليه رسائل عديدة وبين له فيها مخالفة غواياته لنصوص الكتاب وشهادة الآباء . وقد جاوب بولس على بعض هذه الرسائل موارباً وموارباً ضلاله . ولأجله عتمد مجمع في انطاكية تكرر انعقاده مراراً . وكان المتقدمون فيه فرميليانوس اسقف قيصرية واغريغوريوس اسقف قيصرية الجديدة واخاه ايثنوذورس وايلينوس اسقف طرسوس وايمانوس اسقف اورشليم وغيرهم كثيرون . اما القديس ديونيسيوس فلم يتمكن من اجابة دعوة المجمع لداعي شيخوخته واكتفى بما ارسل من الرسائل للمجمع وبولس مفنداً ضلاله كما مر بنا وكان بولس السيماساطي حينما يحضر المجمع يراوغ كثيراً في اقواله فمن جهة لا ييوح بحقيقة اعتقاده ومن جهة اخرى يسلم للمجمع بما يطلب منه التصريح

به . ولما لم يذعن للحق كتب اعضاء المجمع رسالة الى البابا مكسيموس البطريرك الاسكندري وديونيسيوس اسقف روميه يبينون فيها معائب السيماساطي واصراره على ضلاله

أما بولس فماتىء مستمراً على ضلاله مستعملاً المراءوغة في جميع أقواله فكان تارة يستفيث من قساوة الاساقفة عليه وطوراً ينكر ما عزي اليه من الضلال حتى عقد بشأنه مجمع آخر حضره أساقفة أكثر عدداً وخلعوه من بطريركية الكرسي الانطاكي واقاموا عوضاً عنه دمنوس غير أنه لم يرضخ للحكم بل استعصى بالدار البطريركية مستعيناً بقوة تدمر فعرض الاساقفة أمره الى القيصر الروماني أورليان فحكم بان تعطى الاسقفية لمن انتخبه المجمع

(٥) مائى . ولد سنة ٢٣٩ م وهو من الذين قاومهم البابا مكسيموس

البطريرك الاسكندري . كان أباً للامانيين ودعى كذلك لأنه نسب الى ذاته لقب البارقليط . وكان أسيراً في بلاد فارس فلما عتق من هناك تنى لعجوزاً تفقت على تعليمه بين المجوس فدرس علومهم وفنونهم فكان فلكياً (ولو انه غير متعمق) ومصوراً وطبيباً وفيلسوفاً ولكنه لم يضع حداً لمخيلته فتوسع في تصوراته للغاية وبعد أن تنصر أراد أن يقرن مبادئ المجوس والمسيحيين معاً وطلق بيت ضلاله سنة ٢٦٨ م واتماماً لفرضه شرع يذيع بان المسيح ترك عمل الخلاص ناقصاً وانه هو البارقليط . وكان في أول أمره يتباهى بكونه مسيحياً ويفسر الاسفار المقدسة ويجادل اليهود والوثنيين . وبعد سقوطه في خطية الهرطقة اتخذ لنفسه اثني عشر تلميذاً واثنين وسبعين أسقفاً ممثلاً للمسيح وتحت كل أسقف قسوس وشمامسة وأرسلهم الى بلاد المشرق بأسرها حتى الهند والصين ليذيعوا تعاليمه فانخدع كثيرون بفوايته وتتامذ له عدد عظيم

ثم انكب على السحر خاصة ولكي يكتسب شهرة أخذ يعالج ابن ملك الفرس الذي كان الاطباء قد عجزوا عن شفائه فمات الصبي تحت يده ولذلك ألقى في السجن وحكم عليه بالموت ولكنه رشى الحراس فمكنوه من الفرار وذهب الى فلسطين حيث قاومه أحد الاساقفة وأنكر عليه تعليمه وطرده خوفاً من أن يضل الشعب فذهب الى العربية فشر به ملك الفرس وأرسل وقبض عليه وسلخ جلده

حيًا برؤوس القصب ثم سلم جسده للوحوش وحشا جلده تبنًا وعلقه على باب المدينة
وبعد موته تهبج تابعوه عوضاً عن أن يخافوا فطاف أقدرهم وأفصحهم في
سوريا وفارس ومصر وأفريقيا وأكثر أماكن العالم وبصرامة آدابهم وبساطة
ديانتهم تلمذوا في كل مكان تلاميذ ومع كل الاضطهاد الذي ألم بهم نسلهم باق
للآن في الجبال بين فارس والهند

أما غرايات ماني فيوضحها أحسن ايضاح موسهيم المؤرخ (١) فروى أنها كانت
مؤلفة من تعاليم المسيحية وفلسفة الفرس القديمة التي تلقنها في مدارسهم وهو
صغير. وما تكلم به الفرس عن ملكهم ميثراس تكلم به ماني عن المسيح فعلم
بأنه يوجد لكل شيء مادتان الواحدة نور والاخرى ظلمة وللأثنين ربان رب
النور سمى الله ورب الظلمة سمي الشيطان وكلاهما متضادان في الطبيعة والاميال
ولان اله النور سعيد فهو رحوم محسن ولان اله الظلمة شقي يسمى لي جعل الغير
أشقياء وكل واحد منهما أوجد طائفة كبيرة من نسله على شكله ووزعها في مملكته
واستمر اله الظلمة مدة طويلة لا يعلم بوجود نور أو اله له ولكنه شعر
بذلك من حرب حدثت في مملكته فحاول أن يستولى على اله النور فعارضه هذا
بجنوده غير أن قائدهم المدعو الانسان الاول لم ينجح وتمكن جنود الظلمة من
أخذ جانب عظيم من العناصر السموية ومن النور ذاته الذي هو مادة حيوية
فمزجوها بالمادة الفاسدة فقام من جنود النور قائد آخر يسمى بالروح الحى ومع
انه نجح كثيراً الا انه لم يتمكن من تحرير مادة النور التي مزجت بالعناصر الرديئة
وبعد ذلك اوجد اله الظلمة آدم وحواء فكل مولود من هذا المزيج قائم
بجسد من المادة الفاسدة وبنفسين احدهما شهوانية من اله الظلمة والاخرى عقلية
خالدة لانها من النور الالهى ولما صنع رئيس الظلمة الناس من عقول غطاها بالاجساد
خلق اله النور بواسطة الروح الحى ارضنا هذه من المادة الرديئة وجعلها مسكناً
للجنس البشرى ووسيلة لتمهيد طريق تخليص النفوس تدريجاً من اجسادها وافراز
الجيد من الردي

ثم اخرج الله بعد ذلك من نفسه كائنين عظيمين وهما المسيح والروح القدس

لا عالة النفوس المنشاة بالأجساد فالمسيح هو الشخص الذي يدعو الفرس ميتراس وهو مادة سامية جداً من أنقى نور الله واجبة الوجود حيوية فائقة الحكمة مسكنها الشمس . وكذلك الروح القدس مادة حيوية براقية منتشرة في كل الجلد المحيط بارضنا يدفيء نفوس البشر ويهيجها ويجعل الارض مشمرة ويخرج منها تدريجاً نطفات النار الالهية المنتشرة وينهضها حتى ترجع الى عالمها التي أتت منه وبعد أن انذر الله طويلاً النفوس المحبوسة في الاجساد بواسطة ملائكة وأناس علمهم مشيئته ارسل أخيراً المسيح ابنه وأنزله من الشمس الى عالمنا هذا لكي يسرع برجوع الناس الى وطنهم السموي . فظهر المسيح بين اليهود لا بساً صورة وظل جسد انساني لا جسداً حقيقياً وأعلن لهم الوسطة الوحيدة لخلاص النفوس من اجسادها وبرهن على لاهوته بعجائبه . ولكن اله الظلمة أغوى اليهود ليصلبوه . ولما لم يكن له جسد لم تؤثر عليه الآلام ولكن اليهود حسبوه صلب . فرجع المسيح الى الشمس مسكنه الاول بعد أن ترك تلاميذه لتعليم الناس ديانته ووعدهم بارسال رسول أعظم يفصح عن حقائق أسعى وهو البارقليط الذي كان يدعي ماني بانه هو

والذين يؤمنون بالوهية المسيح ينبغي أن لا يعبدوا اله اليهود وهو اله الظلمة وأن يطيعوا شرائع المسيح التي أوضحها ماني ويقاومون بثبات شهوات النفس الشريرة وهكذا يتخلصون شيئاً فشيئاً من مادة رئيس الظلمة الفاسدة . غير أن كمال التطهير لا يفوز به الانسان في هذه الحياة بل بعد الموت يحصل للنفس تطهيران الأول بالماء المقدس الموجود في القمر ويلبثون فيه خمسة عشر يوماً والثاني بالنار المقدسة الموجودة بالشمس وهذه تطهرهم تماماً أما الاجساد فتتحل الى عنصرها الأصلي

أما النفوس التي لم تهتم بالتطهير فتسكن بعد الموت أجساد البهائم والبشر حتى تطهر . والاكثر انحطاطاً يسلمون للارواح الشريرة المقيمة في جلدنا ليعذبوا زماناً ما . وحين تتحرر أكثر النفوس وترجع الى عالم النور فحينئذ يأمر الله فتخرج نار جهنم من مقرها وتحرق وتلاشى هذا العالم . وبعد ذلك يرغم رئيس الظلمة وجنوده على الرجوع الى مقرهم الأصلي ويدومون فيه في حال الشقاوة ويحاطون بحرس

قوى من النفوس التي يئست من خلاصها حتى لا يقووا على محاربة اله الورثانية
ولكى يجعل ماني سبباً لقبول مبادئه رفض أكثر العهد الجديد معتقداً
بانه حرف عن أصله ولا سيما العهد القديم الذي كان يعتبره من انشاء اله الظلمة
الذي يعبده اليهود ووضع انجيلاً دعاه (ارتن) مجاهراً بانه موحى به اليه من
الله . ثم وضع لتابعيه عيشة صارمة فأمرهم بممارسة كل ما يضعف الجسد الذي هو
عمل رئيس الظلمة . وقسم تابعيه الى قسمين المختارين الذين ينبغي أن يتمتعوا من
اللحم والبيض والحليب والسمك والخمر وكل انواع المسكرات والزواج وكل تمتع
ناتج من مخالطة الذكور الاناث . والسامعين وقد صرح لهم بامتلاك البيوت وباكل
قليل من اللحم والزواج بنساء . ويغلب ان المختارين هم الاساقفة والقسوس
والشماسة والعلمايين هم السامعون .

ويقول الآباء أن ماني هو الذي كان يتنبأ انه الرسول بواس بقوله ولكن
الروح يقول صريحاً انه في الازمنة الاخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين ارواحاً
مضلة وتعاليم شياطين . مانعين عن الزواج وأمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها
الله لتتناول بالشكر » (اتي ١٤ - ٣)

(٦) هيراكسي . اصله من ليونتوبوليس كانت صناعته عمل الكتب
واشتهر بالعلم والتقوى ومع انه شارك ماني في بعض الآراء الا انه خالفه في
امور كثيرة فعلم ان عمل المسيح العظيم ان يمن شريعة جديدة اكمل وادق من
شريعة موسى . ولهذا جزم بان المسيح منع تابعيه عن الزواج واللحم والخمر
وكما تلمذ به الحواس أو الجسد من الاشياء التي سمح بها موسى ثم منع ان
يدخل الاطفال ملكوت السموات التي لا يستحقها الا الذين قاوموا الجسد
وشهواته واعتقد ايضاً ان ملكي صادق ملك سليم الذي بارك ابراهيم هو الروح
القدس . وانكر قيامة الاجساد وفسر الكتاب المقدس ولا سيما الاسفار
التاريخية تفسيراً تشبيهاً

(٧) الخريف على مدار الهراطفة والجامعين . كان من أهم المباحث في
الكنيسة في هذا القرن المبحث في ما اذا كان تعميم الهراطقة صحيحاً ام باطلاً

واذا رجع احدهم الى الكنيسة ايماد تعميده أم يحسب معمداً . ففى هذا الموضوع اختلفت اراء الكنائس قديماً . فكنائس اسيا الصغرى والكبادوك وكيليكيه وغلاطيه وسوريه ومصر وافريقيه كانت تعتقد ان المعمودية لا تعتبر صحيحة ذات قوة فعالة ما لم تكن بيد رؤساء الكنيسة الارثوذكسية التي تجري كل الاسرار على وجه صحيح ولذلك كانوا يعيدون معمودية من يرجع الى حضن الكنيسة من الهرطقة . غير ان رومية والكنائس الغربية كانت تقول بان كل معمودية تم باسم الثالوث الاقدس هي مقبولة ولهذا لم يكونوا يعيدون التائبين من الهرطقة وكانوا يكتفون بوضع الايدي والصلاة على من اهتدى منهم . ولأجل ذلك اجتمع مجمع في ايقونيه وجمع في سنادا سنة ٢٣٠ م برئاسة فرميليانوس أسقف قيصرية تقرر فيها عدم صحة معمودية الهرطقة . وفعل مثل ذلك اغريبنوس أسقف قرطجنة بعقده بجمعا فيها سنة ٢١٧ - ٢٢٣ م وقرر القرار عينه

والذى ساعد على اشعال نار هذا النزاع ظهور بدعتين في هذا الشأن الاولى بدعة نوفاسيانوس اسقف روميه الدخيل وتقضى برفض توبة الذين يجحدون الايمان أو يقعون في اثم كبير وبوجوب اعادة العهاد الذى يتم على ايدي الهرطقة وكذلك عماد الارثوذكسيين الذين يتساهلون في قبول الهرطقة التائبين . واعتنق مذهب نوفاسيانوس عدد كبير من الكنيسة الرومانية غير انهم ما لبثوا ان ادركوا خطأهم وعزموا على العودة الى حضن الكنيسة ولما كانت عادة كنيسة روميه ان لا تعمد الهرطقة توقف الكهنة عن قبولهم ريثما يتفقون على رأى بشأن الراجمين من هرطقة نوفاسيانوس . فكتبوا الى القديس كبريانوس اسقف قرطجنة يسألونه رأيه فاجابهم برسالة جاء فيها « أن المعمدين من ايدي الهرطقة هم وخدمهم الذين يجب اعادة عبادهم . أما الذين قبلوا العهاد من الكنيسة الارثوذكسية فعمادهم صحيح » اه ولما كان كبريانوس يفهم ان كثيرين من المسيحيين التابعين لكنائس متعددة قد جحدوا الدين اثر الاضطهادات التي اثارها للملك الوثنيون قال للكهنة الرومانيين في الرسالة عينها « أما مسألة الجاحدين التائبين فلا تتعلق

بكنيسة رومية منفردة ولذلك يجب ان تحكم فيها الكنائس مجتمعة « (١) ولقد استصوب الكهنة الرومانيون هذا الرأي كما يثبت ذلك من رسالتهم الثانية الى كبريانوس التي جاء فيها « ان القضايا العامة لا يجب أن تنفرد كنيسة بالفصل فيها لان في ذلك خطأ عظيماً واهانة كبرى لمجموع الكنائس المسيحية فضلاً عن ان الكنيسة التي تنعرض لاصدار حكم في قضية عامة يصبح حكمها ملغى ولا يعول عليه « اه (٢)

والبدعة الاخرى بدعة فيلكس سيموس الذي كان يعلم هو وأتباعه بوجوب الصفح عن الذين جحدوا الايمان بمجرد الشفاعة التي يتحصلون عليها من المؤمنين الموجودين في السجون . والذي دعا الى نشر هذه البدعة هو انه بسبب اضطهاد ديسوس قيصر للمسيحيين زل كثيرون منهم وقدموا الذبائح للاوثان اجابة لطلب معذبتهم ثم أرادوا بعد ذلك أن يرجعوا الى شركة الكنيسة بدون أن يخضعوا للتأديب الصارم حسب قوانينها . ولكي يحصلوا على الغفران بأكثر سهولة التجأوا الى شفاعة الشهداء المحكوم عليهم بالموت وأخذوا منهم مكاتيب توصية بها يعلن الشهداء المشرفون على الموت انهم حسبوا هؤلاء الاشخاص مستحقين لشركتهم وطلبوا أن يقبلوا ويعاملوا كاخوة . فبعض الاساقفة والكهنة قبلوا حالاً الجاحدين الذين قدموا مكاتيب كهذه لكن كبريانوس وغيره من ذوي الحزم والغيرة مع انه لم يرد أبداً أن يبطل كرامة الشهداء قاوم هذا الارتخاء الزائد وأراد أن يضع حداً لفعل مكاتيب التوصية هذه

وفي سنة ٢٥٣ م قام على كرسي رومية الاسقف استفانوس واتباعاً لعادة كنيسة شدد بمنع معمودية الهراطقة ولم يكتب بذلك بل خاطب فرميليانوس أسقف قيصرية وطلب منه الامتناع عن تعميده الهراطقة . غير أن فرميليانوس أهمل كتابه فعمد استفانوس مجماً سنة ٢٥٤ م حكم فيه بقطع فرميليانوس ومن وافقه من اساقفة كيليكية وغلاطية . ولما كان القديس كبريانوس مشتركاً مع هؤلاء في المعتقد تهدده استفانوس بجرمه ان لم يقلع عن هذا الاعتقاد فلم يعبأ كبريانوس بهذا التهديد وقابله بمجمع عقده في قرطاجنة سنة ٢٥٥ م وبعد

مباحثات طويلة حكم بضرورة اعادة عماد الهرطقة ومن تعمد على يدهم ممن يرجعون الى الكنيسة . وأما الذين كانوا ممتددين في الكنيسة وسقطوا في كفر او هرطقة فكروا بعدم اعادة معموديتهم نفياً لبدعة نوفاسيانوس أسقف رومية الدخيل

وأرسل المجمع قراره لاستفانوس أسقف روميه ومن جملة ما قيل له هذا الكلام « ان كل رئيس روجي حر في سياسة كنيسته . لانه سيقدم حساباً عن أعماله للرب » (١) غير أن استفانوس رفض هذا القرار وكتب الى أساقفة افريقية يحثهم على الاقتداء به في رفض قرار كبريانوس وجاوب أعضاء مجمع قرطاجنه بقوله « يجب عليكم أن لا تحدثوا شيئاً بل أن تجروا على التسليم وتقبلوا بوضع الايدي فقط الذي يأتي اليكم من أية هرطقة كانت . لان الهرطقة اتقسهم لا يعمدون الذين ينتقلون من هرطقة الى أخرى . بل يقبلونهم قبولاً بسيطاً في شركتهم » (٢) ثم هددهم بالقطع ان لم يدعنوا لارادته

أما كبريانوس فاستغرب منه هذا المناد وأنكر عليه خضوع كنيسة افريقية لاستبداده وكتب رسالة الى بومبيوس أحد أساقفة افريقية ضد استفانوس جاء فيها قوله « اننا لا نجد مثل هذا القرار (اي قرار استفانوس) لا في الانجيل ولا في الرسائل ولا في اعمال الرسل . وباطلا يقاومنا بعض مستندين على العادة وهم مغلوبون من البراهين العقلية . كأن العادة تعلو على الحقيقة او كأنه لا يجب ان نحجى في الروحيات على ما اعلان من الروح القدس انه الأفضل » اه (٣)

ثم ارسل اساقفة افريقية أيضاً رسالة أخوية الى استفانوس يدعونه الى الاتحاد معهم فلم يشأ أن يقابل حملة الرسالة ولم يسمح لهم حتى ولا بماوى وجاوبهم بخشونة بخطاب لقب فيه كبريانوس بالرسول الفاش والنبي الكذاب (٤) وما علم كبريانوس بذلك حتى كتب الى اخوته أساقفة افريقية يحذرهم من الوقوع في ضلال استفانوس ولقد جاء في رسالته الى بومبيوس « انه (أي استفانوس) صديق الهرطقة وعدو المسيحيين يقول بانه يقدم كرامة لله ويظن بانه حرم كهنة الله المحافظين على حقيقة دين المسيح واتحاد الكنيسة . فان كانت الكرامة لله تقدم على هذا الوجه

(١) رسالة ٧٢ لكبريانوس (٢) رسالة ٧٤ لكبريانوس (٣) رسالة ٧٣ (٤) رسالة ٧٥

وان كان خوف الله والشئ القانوني يحفظ من عباده وكهنته على هذه الصورة فلنرم سلاحنا ولنمد ايدينا الى السبي » ثم قال له « ان هذا الاسقف الضال استفانوس قد دل برسالته على جهله وغباوته » اه (١)

وقال في رسالته الى كينتوس « ان بطرس الرسول (الذي يدعي استفانوس انه خليفته) لم يقل قط بتقديمه على سائر الرسل ولم يطلب ممن اتوا بعده في الرسالة ان يقدموا له فروض الخضوع والطاعة ولم يدع انهم دونهم في الرتبة » اه (٢) ولم يكتب كبريانوس بهذه الرسائل بل عقد مجتمعا ثانيا في قرطجته ابدى فيه كل من الاساقفة رايه الخاص فقال الاسقف الثالث والعشرون في ترتيب جلوس الاساقفة في المجمع « انه جحد ايمان الكنيسة ويجب ان لا يكون ججوده سببا في اضطراب مجموع الاساقفة » وقال الاسقف الحادي والستون « انه يهوذا الاسخريوطى الذي باع عروس المسيح لاعدائها » (٣)

وكان فرميليانوس اسقف قرصرية قد ارسل هو ايضا وفدا الى رومية فقبل هناك اسوا مقابلة كوفد كبريانوس ولم يسمح له بسقف بيت تحته ومن ثم تبادل فرميليانوس وكبريانوس الرسائل ضد استفانوس وكان فرميليانوس قد تلقى رسالة من كبريانوس فرد عليها برسالة طويلة جاء فيها قوله « لقد ابنى استفانوس ان يقبل نوابك و امر الرومانيين ان لا يقبلوهم فدل بذلك على توحشه وهمجيته على اننا مدينون لهذا المتوحش لان قسوته و غطرسته كانتا سببا في ان عرفنا حكمتك وايمانك . غير انه لا فضل له في ذلك كما انه لا فضل ليهوذا الاسخريوطى في خيانتة سيده . تلك الخيانة التي نتج عنها خلاص الجنس البشري . ولكن دعنا من هذا الحديث الذي يذكرنا بوقاحة استفانوس وجسارته بل بشغفه بالانفصال عن وحدة المحبة والتغرب عن الاخوة والتمرد على الحق الخ » (٤) ولم يكتب فرميليانوس بذلك بل كتب لاستفانوس راسا رسالة منها قوله « لقد جسمت خطيتك بنفسك التي زينت لك الانفصال عن الكنيسة الواحدة . لا تنخدع يا استفانوس فانك قطعت نفسك بنفسك . لان الذي يجحد شركة الوحدة

(١) رسالة ٧٣ (٢) رسالة ٧٢ (٣) اعمال مجمع قرطجنة الذي عقده كبريانوس

(٤) رسالة ٧٥

الكنسية يصبح وحده منشقاً عنها . وهكذا نراك منفصلاً عن الكنائس
المسيحية في الوقت الذي تظن فيه انك تفصل تلك الكنائس عنك « (١)
ومع كل هذه المساعي الحميدة استمر الشقاق مضطرباً وكاد يستفحل أمره
لولا مداخلة البابا القديس ديونيسيوس البطريرك الاسكندري التي جعلت النزاع
يقف عند حده فكتب الى استفانوس يقول له « اعلم الآن ايها الاخ ان جميع
الكنائس المنشقة قبلاً في الشرق وما بعده قد اتحدت . وجميع الرؤساء في كل
مكان متفقون في الرأي وهم فرحون بالسلام الذي صار على غير انتظار منهم
ديميتريانوس في انطاكية وثاوكتيستوس في قيصرية ومازبان في ابيه (اورشليم)
ومارينوس في صور بعد رقاد اسكندر وايليوذوروس في اللاذقية بعد وفاة
ثيليميديرس وايلينوس في طرسوس وسائر كنائس كيليكية وفرميليانوس وسائر
الكبادوكية . وقد ذكرت أشهر الاساقفة فقط لكي لا أطيل الرسالة ولا أثقل
الكلام . أما سورية كلها والعربية الذين تكفونهم دائماً والذين ارسلتم اليهم
الآن وبين النهرين والبنطس وبيثينييه وبالأجمال الجميع في كل مكان يتهجون
بالاتحاد والمحبة الاخوية ممجدين الله » اه (٢)

على أن استفانوس الذي كان يشتهي أن يرى نفسه يوماً رئيساً عاماً
للكنيسة المسيحية نظير معظم باباوات رومية لم يدع لنصيحة زميل له يفوقه
قداسة وعلماً بل لبث مصرأ على عناده حتى مات سنة ٢٥٧ م وخلفه سكستوس
فكتب له البابا الاسكندري رسالة جاء فيها قوله « فانه (أي استفانوس) كان قد
كتب قبلاً في ايلينوس وفرميليانوس وسائر أساقفة كيليكية وغلاطية والشعوب
المجاورة لهم قائلاً بانه لا يشترك معهم هذه العلة عينها أي لأنهم يعيدون على زعمه
معمودية الهرطقة . وحقاً انها تقرررت كما أعلم في أعظم مجامع الاساقفة عقائد بان
الآتين من هرطقة يوعظون أولاً ثم يغسلون ويظهرون من دنس الخيرة العتيقة .
وقد أرسلت اليه ورجوته في هؤلاء جميعهم » اه (٣) وأعقب هذه الرسائل
برسائل أخرى ظاهرها الاستشارة وباطنها النقات نظره الى وجوب التدقيق لمعرفة
صحة عماد الهرطقة من عدم صحته . وكان يروم من وراء جميع رسائله حفظ

كيان اتحاد الكنيسة ومنع كل شقاق وتحزب شأن الراعي الصالح حتى تمكن من اقناعه بروح المحبة والسلام أفضل من استعمال الشدة والعنف وله رسالة في هذا الموضوع لفليمون أحد كهنة الكنيسة الرومانية قال فيها « ان فساد العماد الذي يتم على يد الهرطقة أصبح أمراً ثابتاً بعد أن قررته عدة مجامع انعقدت في ايكونيوم وغيرها . فهل يليق قلب هذه القرارات وتحريض الاخوة على المنازعات والمشاعات . أما انا فلا يمكنني أن آتي ذلك لانه مكتوب « لا تنقل التخيم القديم الذي وضعه آباؤك » اه (١)

وحدث حينئذ أن ثار اضطهاد فالريان قيصر وشدد النكير على رؤساء المسيحية فشغل كل من الاساقفة عن مسألة عماد الهرطقة بالنظر في شؤون رعيته وفي هذا الاضطهاد استشهد القديس كبريانوس والقديس سكستوس وشمامسه لا فيرندوس

واتفق حينئذ انه كان في كنيسة الاسكندرية مؤمن تعمد بيد أحد اهرطقة ولاجل ذلك ارتاب ولبت مدة طويلة في الكنيسة وضميره يوبخه حتى جاء الى البابا ديونيسيوس ملتماً مسأمة بدموع ولجاجة ان يعيد له عماده فلم يجب ديونيسيوس طلبه ولكنه طيب خاطره واحترار في أمره بالنسبة لالحاح الرجل عليه . فبينما كان يخاطب زميله سكستوس أسقف رومية برسالة في بعض الشؤون (١) خطر له أن يقف

(١) او-بايوس ٧ : ٥ (٢) يتوهم الباباويون ان استشارة البابا ديونيسيوس اسكستوس تؤيد رئاسته المزعومة مع العلم ان بواس الرسول استشار الرسل في أمور (غل ٢ : ٢) ولم يكونوا رؤساء عليه وكبراس البابا الاسكندري كتب ينصح تسطور قهلي يعتبر رئيساً عليه . والقيصر نيودوسيوس كاف القديس سمعان العمودي ان ينصح البابا كبراس ويوحنا الانطاكي وكان رؤوساً لهما . أما ظنهم أن قوله « خوفاً من أن أكون غلطاً » يؤيد عصمة البابا فينقضه ان باباوين في ايامه كانا من رؤساء الهرطقة وهما زفيرينوس وكاليسطوس وآخر أيضا بهدما بقابل ذبح للاصنام في اضطهاد ديوكاتيانوس وأقر وهو بابا بان الصم اله وهو مركينوس ولئن كان تاب فيما بعد واستشهد . أما استشارة البابا ديونيسيوس لاسقف رومية فكانت من قبيل الوقوف على الرأي وخوفه من غلظه ما هو الا عن تواضع واطف أخلاق وسمو آداب وتأكيده الحقيقة بان كل ابن آدم يخطئ كما ان البابا ديونيسيوس تصرف في كثير من المسائل الالهة دون أن يستشير أسقف رومية أو حتى يقف على رأيه

على رأيه في هذا الامر فأضاف الى رسالته قوله : —

« انى بالحقيقة أيها الاخ اطلب النصيحة وأستمد الرأي منك في هذا الامر المهم الذى ورد علي خوفاً من أن اكون غلطاناً . فان مؤمناً من الاخوة المجتمعين يظن انه قديم في الكنيسة أقدم من زمان شرطونيتى وأظن انه مشترك في الكنيسة قبل اقامة المطوب الذكر ياروكلاس (سلمه) وقد اتفق أن يكون من المعمدين تعميداً على قفا اليد . فلما سمع السؤالات والاجوبة عندنا تقدم الي با كيا ونادياً نفسه وكان يقع أمام رجلي معترفاً ومنكراً باقسام المعمودية التي تعمدها عند الهرطقة بانها ليست مثل هذه ولا شركة لها معها لانها مملوثة كفرأ وتجاديف وقائلا ان نفسه قد تخلصت الآن تخشعاً عظيماً وليست له دالة ان يرفع عينيه الى الله ما دامت بداءته من تلك الاقوال والاعمال الشريرة . ومن ثم طلب ان يحصل على هذا التطهير والقبول والنعمة الصحيحة الخالصة . الأمر الذي انالم أجسر ان اعمله قائلان ان اشتراكه زماناً كثيراً يكفي لذلك . فاني . بعد انه سمع الشكر وقال معنا « آمين » وحضر المائدة ومد يديه لتقبل الغذاء المقدس وناله ايضاً واشترك زماناً كافياً بجسد ودم يسوع المسيح . لا استطيع ان أجسر وأعيد بناءه مرة ثانية من الأول . وقد أمرته ان يتشجع ويتقدم بايمان ثابت وضمير صالح الى الاشتراك بالقداسات . أما هو فما ينكف نائماً ويجزع ان يتقدم الى المائدة وبالرجاء العظيم يكاد ألا يطيق حتى الوقوف معنا في الصلوات » ومع كل ذلك استمر الخلاف في هذه القضية حتى اصدر فيها المجمع النيقاوي المسكوني الأول الحكم النهائي سنة ٣٢٥ م وبعده الثاني سنة ٣٨١ م

أما مسألة الدين زلوا ابان الاضطهادات وقدموا الذبائح للاوثان فبسببها عقد كبريانوس مجمماً بقرطجنة قرر فيه شجب بدعتي نوفاسيانوس وفيلسكسيموس المشار اليهما آنفاً ومعالجة الساقطين بدواء التوبة حتى ينقهاوا . الا ان المجمع اتفق على استئناف القضية للبابا الاسكندري فرفعت اليه وكان قابيانوس استغف انطاكية ميالا لمبدأ نوفاسيانوس من حيث معاملة الدين انكروا الايمان وتابوا بالقساوة الزائدة فكتب اليه القديس ديونيسيوس هذا الكتاب يقول فيه : —

« اليك مثال مما حدث في مثل هذه الامور التي نتناقش فيها الآن ومنه يظهر لك كيف تصرفنا نحن . حدث ان رجلاً هرباً اسمه سيرا بيون وهو مسيحي لاغش فيه قضى حياة طويلة بكل تقوى وأمانة كانت قد ذبح للاوثان اثناء اضطهادهم اياه ولكنه عاد فأقر بذنبه واستغفر ربه عن خطيته فلم يقبله أحد أو يرق لحاله انسان فاصاب الرجل مرض عضال أزمه الفراش وظل ثلاثة ايام متوالية لا يعي ولا يتكلم وفي اليوم الرابع أفاق قليلاً من غشوته فدعا اليه ابنه الاكبر وقال له لقد طال يا ابني زمن حجرك لي فاتوسل اليك ان تسرع وتطلقني من عقالي فارجوك ان تذهب وتأتي لي باحد كهنة الكنيسة » ولما قال هذا عاد الى غشوته وصممه واما الغلام فأسرع الى كاهن من كهنة الكنيسة ليدعوه كأمر ابيه وكان الوقت ليلاً وكان الكاهن مريضاً . وكنت قد اصدرت امراً قبل هذا الوقت يقضي بان الدين على حافة الموت اذا شعروا بحاجتهم للتوبة وألحوا في طلب المغفرة يجب ان ينجحوا حتى ينتقلوا من هذا العالم وقلوبهم مملوءة من التعزية والرجاء بالحياة الابدية . وعليه جاءني الغلام فاعطيته جزءاً من الافخارستيا وقلت له ان يغمسه في الماء ويضمه في فم هذا الرجل الهرم فذهب الولد مسرعاً الى البيت ومعه القطعة التي اعطيتها له ولما قرب من مدخل الباب كان سرا بيون قد عاد اليه رشده فنهض قائلاً « لقد جئت يا ابني ولكن الشيخ لم يقدر على المجيء فعليك اتمام ما أمرت به ومن ثم اطلقني بسلام فقد ابصرت عيناى خلاص الرب » قبل الشاب اللقمة ووضعها حلالاً في فم ابيه فلم يلبث حتى اذردتها وفاضت روحه الى خالقها . ألم يكن هذا الرجل قد تاب توبة حقيقية وألم يظل حياً الى ان نال المغفرة ومحبت جميع ذنوبه ؟ وهلا يعتبر هذا الرجل التقى مؤمناً لاجل اعماله الصالحة الكثيرة التي عملها في حياته وعند موته ؟ « اه



القرن الرابع

.....

القسم الاول

تاريخ البطركية

- (١) بطرس ١ (٢) ارشلاوس (٣) الكسندروس ١ (٤) اثناسيوس ١
(٥) بطرس ٢ (٦) تيموثاؤس ١ (٧) ثاوفيلس

.....

(١) بطرس ١ - البطريك السابع عشر . كان تلميذاً للبابا ثاؤنا وترى

تربية صحيحة في المدرسة اللاهوتية التي كان يديرها يومئذ القس ارشلاوس .
ورسمه البطريك شماساً ولما رأى عفافه وعلمه صيره قساً وكان ملازماً خدمة
الكنيسة ليلاً ونهاراً معتبراً من الجميع لاجل قداسة سيرته وجزيل علمه
وغيرته على انتشار الايمان الاقدس . واتفق ان سابليوس الهرطوقي جاء يوماً
الى الكنيسة طالباً البطريك ليجادله فارسل اليه البابا ثاؤنا القس بطرس فازدري
سابليوس بالبطريك اذ ارسل له شاباً حقيراً ليجادله فاجابه القديس بطرس « اذا
كنت اظهر امامك صغيراً فاني عند الرب كبير والرب يظهر كفرك به اليوم
وينصرني عليك كما نصر داود النبي على جليات الجبار » ثم أخذ يناضله وينظره
في الحقائق الدينية حتى اخضعه واخرجه مخزياً امام الجميع

وحدث أيضاً في أحد الاعياد بينما كان البابا ثاونا محتفلاً بإقامة الاسرار وقف انسان به شيطان وجعل يرحم المؤمنين بالحجارة ويزأر مثل الوحوش فهرب الشعب منه الى داخل البيعة وعلم البطريرك بحال المجنون فقال للقديس بطرس اذهب اليه واطرد عنه هذا الشيطان فأخذ اثناء مملوءاً بالماء وقدمه الى الاب البطريرك وطلب اليه أن يرشمه بعلامة الصليب ففعل وخرج بطرس الى الرجل وانتهر الشيطان باسم الرب يسوع فخرج منه للجال

ولما ارتقى القديس بطرس كائندرا (١) مرقس الرسول في شهر امشير سنة ١٧ ش و ٣٠٠ م في عهد ديوكتيانوس قيصر خلفاً لمعلمه البابا ثاونا ضاعف جهاده ولبث مواظباً على خدمة ربه بكل أمانة . وبعد نهاية القرن الثالث كان اضطهاد الكنيسة في مصر بالغاً أشده في عهد ديوكتيانوس ومكسيميان . فرأى البطريرك القديس رعيتته في خطر عظيم فبعضهم قتل وبعضهم هرب الى البراري والكهوف ولذلك طاف بلاده كلها يشجع الضعفاء في الايمان ويعزى المترفين في السجون ويسمفهم ويرجع الى الحظيرة الخراف الضالة أى الذين كانوا تركوا الايمان الصحيح خوفاً العذاب حائناً اياهم على الصلاة والصوم ليستقبلوا الموت ببأس شديد وجأش رابط وما أتى الى مدينة ليكو بوليس (٢) حتى اخذ منه الحزن مأخذاً شديداً لما رأى اسقفها ميليتس قد كفر بالايمان وسالم الوثنيين ثم سجد لاصنامهم . وقد افرغ القديس جهده كله في ان يرد هذا الاسقف الى التوبة فلم ينتصح ولم يتب بل شق عصا الطاعة على رئيسه وطفق يشنع عليه ويرميه بهم باطلة . وقد ازداد شراً حتى ابتدع بدعاً رديئة بسببها انفصل من الكنيسة مع من تحزبوا له مما حدا بالقديس بطرس الى عقد مجمع في الاسكندرية سنة ٣٠٦ م حكم فيه بقطع ميليتس ومن شايعه وكان ما سيرد ذكره في الكلام على البدع والهرطقات

وفي سنة ٣٠٧ م لما قرب عيد القيامة تقدم الى البطريرك اولئك الذين كانوا قد جحدوا الايمان ثم ندموا ومارسوا لاجل سقطتهم توبة مستطيلة وطلبوا بدموع والحاح ان يحلهم ويقبلهم في الكنيسة . فاهتم البابا بطرس باعداد المنشور الذي

(١) كائندرا كلمة يونانية معناها كرسي البطريرك أو المطران

(٢) هي ابيوط الحالية وكانت اول اسقفية في القطر المصري بعد الاسكندرية

كان يصدر سنوياً في عيد الفصح وضمنه التوبة التي بموجبها يقبل الذين سقطوا في مدة الاضطهاد الى حضن الكنيسة . وهذه هي القوانين نذكرها بالايجاز (١)

(١) جميع الذين زلوا في بداية الاضطهاد لشدة ما قاسوه من العذاب المرعب ثم اظهروا توبة وندامة في اثناء الثلاث سنوات الماضية يجوز قبولهم في الكنيسة يوم العيد الآتي وذلك بعد ان يصوموا اربعين يوماً صوماً عفيفاً

(٢) جميع الذين عثروا في ايمانهم لداعي سجنهم فقط دون ان يعذبوا عذاباً شديداً يجب ان تعطى لهم سنة كاملة يظهر فيها التوبة الحقيقية قبل قبولهم في حضن الكنيسة

(٣) كل الذين ارتدوا عن الايمان لجرد الخوف والوهم فقط ولم يذوقوا عذاباً تعطى لهم اربع سنوات ليبرهنوا فيها على التوبة والندامة

(٤) جميع الذين ارتدوا ولم يعودوا يطلبون التوبة والانضمام الى الكنيسة فلا يوجد قانون لهم بل حري بالكنيسة ان تبكيهم وترثي لحالهم

(٥) الذين نجوا من العذاب او الموت لتظاهرهم بالبله او الصرع او أية حيلة اخرى تمنح لهم مهلة ستة شهور فيها يكفرون عن سيئاتهم

(٦) العبيد الذين اجبرهم مواليتهم للتقدم للمحاكمة عوضاً عنهم ثم سقطوا في هذه التجربة ينبغي ان يبرهنوا على توبتهم باعمالهم في بحر سنة

(٧) الموالي الذين فعلوا ما تقدم تفرض عليهم ثلاث سنين توبة

(٨) جميع الذين عثروا ثم عادوا فاصلحوا خطأهم حالاً بان قدموا انفسهم للسجن وللعذاب يجب قبولهم في عضوية الكنيسة بدون فحص او قصاص

(٩) كل الذين قدموا انفسهم للاخطار طوعاً واختياراً دون ان ينتظروا القاء القبض عليهم او يصبروا حتى يرى ما يحل بهم لا تصح محاكمتهم ومقاصرتهم بل يكفي بتذكيرهم ان المسيح ورسوله لم يعملوا هكذا ولم يلقوا بانفسهم في الهلاك .

اما الذين سقطوا من هذه الفئة المشار اليها فاذا كانوا من الاكليروس الذين طلبوا العودة الى حضن الكنيسة فلا يجب قبولهم في الوظائف الكهنوتية ثانية

(١) هذه القوانين ايدها البابا بطرس بالشواهد والادلة الكتابية وقد بقيت معمولاً بها في جميع الكنائس الارثوذكسية في العالم اجمع حتى بعد الانشقاق

بل يقبلون كأعضاء في الكنيسة فقط

- (١٠) أولئك الذين أنكروا حيثياتهم وأشخاصهم لاجل تشجيع الآخرين وتقوية إيمانهم في أوقات الاضطهاد فهم قد أتوا عملاً حسناً فلا لوم عليهم ولا تريب
- (١١) جميع الذين افتدوا أنفسهم بدراهم دفعوها فداء عنهم فلا يلامون قط
- (١٢) لاشيء على الذين نجوا بواسطة هربهم من الموت ولا قصاص عليهم
- (١٣) جميع الذين أجبروا اجباراً لكي يذبحوا للاوثان والذين أفقدهم العذاب شعورهم واحساسهم فأصبحوا لا يدركون يجب اعتبارهم في درجة الذين اعترفوا بالمسيح تماماً ماداموا فعلوا ما فعلوه بدون ارادتهم . فاذا كانوا من الاكليروس يعادون الى وظائفهم كما كانوا . اه

وكان اريوس الهرطوقي في بدء أمره نابعاً لبدعة ميليتس المذكور وتلميذاً له غير أنه انفصل عنه وأتى الى البطريك وأعلن خضوعه له فقبله وسامه شماساً ثم صار فيما بعد قساً وارتقى الى وظيفة واعظ لفصاحته . الا انه في وعظه كان يمزج معظم كلامه بأقوال فلسفية تتناقض مع حقائق الدين المسيحي الصحيحة . واتفق انه كان يخطب يوماً بحضرة البطريك فتاء في أقواله والتي هذه العبارة على مسمع منه وهي « ان ابن الله كائن بعد ان لم يكن » فتبادر لذهن البطريك في مبدأ الامر انه يقصد بهذا القول عن المسيح بالنسبة الى ناسوته للأخوذ من العذراء . ولكن معنى هذه العبارة تردد كثيراً بفهم اريوس ولدى سؤال البطريك اياه عن مراده بهذا القول اتضح له انه ستمط في بدعة شنيعة . وبعد أن أكثر له النصيح بدون أن يهتدي جرده من وظيفته وأصدر قراراً بحرمانه وقطعه من شركة الكنيسة ووقع عليه هو ومن كان حاضراً معه من الاساقفة .

وفي سنة ٣١١ م أمر القيصر مكسيميان دارا بالقبض على القديس البطريك وسبب ذلك ان امرأة انطاكية لمسيحي عبد الاوثان قامت للاسكندرية لتعمد ولديها فهاج عليها البحر وخشيت أن يموتاً بلا عماد فشرطت ثديها بمدية وصلبت على جبينيها وقلبيها ولما نجت وأتت البابا بطرس وجد مياه المعمودية حال عمادها قد غاصت فمألها عن السبب فقضت له قصتها فأمن على عمادها واكتفى بان باركها . فشكى

الرجل الوثني امرأته للقيصر بأنها ذهبت لترتكب المنكر مع المسيحيين وسأل
القيصر عن رئيس المسيحيين فقيل له هو البابا بطرس وقد كان مملوءاً عليه حنقاً
بسبب ما وضعه من الكتب تقبيحاً لعبادة الأوثان وما كتبه من الرسائل الى
المسيحيين يشددهم في أوقات الاضطهاد . أما المرأة فلما رجعت لزوجها عرض عليها
القيصر السجود للأصنام فأبت فأمر بحرقها وولداها معها فحرقوا فلأجل ذلك حضر
مكسيميان شريك ديوكليان في الملك بنفسه الى مصر لينتقم من البطريرك وبعد
ان استعمل أقصى نوع من العذاب للفتك بمسيحي مصر قبض على البابا بطرس
وطرحه في السجن وأمر بقطع رأسه ان أبي السجود للأصنام الا انه لم يسأله
أحد عن ذلك لعلم الجميع انه يختار ان يموت الف مرة افضل من ان يجحد
السيد المسيح

ولما بلغ هذا الخبر مسامع المؤمنين اضطربوا اضطراباً شديداً وتجمهروا
جميعهم على باب السجن قاصدين انقاذه من مخالب الموت . فلما جاء الجنود الى
السجن ليأخذوه الى مكان القتل صاحت جماهير المسيحيين المحتشدة على باب
السجن قائلة « اذا قتلنا كلنا حينئذ تؤخذ رأسه » فلما رأى ذلك القائد المكلف بقتل
القديس خشي حدوث قلق وشغب فأبقى الأمر الى الغد آملاً أن ينصرف
المسيحيون الى بيوتهم في الليل ولكن أملاً خاب اذ استمروا جميعهم محافظين
على راعيهم

ولما علم اريوس الكافر ان الملك مصمم على قتل البطريرك خاف ان يتنحى
قبل أن يحمله ويبقى هو مربوطاً ويقفل في وجهه باب الارتقاء للوظائف الكهنوتية
فتوسل الى بعض الاكابر وس ووجه الشعب ان يصالحوه مع البطريرك قبل
موته . فظنوا ان هذا الطلب رجوع منه الى الصواب ومضوا الى القديس بطرس
وسألوه ان يحمل اريوس من رباطه فصرخ البطريرك بصوت عظيم وقال « تسألوني
في اريوس » ثم رفع يديه وقال « في هذا الزمان وفي الآتي يكون ممنوعاً من
مجد ابن الله سيدنا يسوع المسيح » فلما قال هذا نزل عليهم خوف عظيم ولم
يجسر أحد ان يكلمه . فلما رأهم قد خافوا منه طيب نفوسهم ونهض من وسطهم
وأخذ معه الشيخين ارشلاوس والاكندروس تلميذيه وانفرد بهما وقال لهما

« الله اله السموات يعينني على أكمال شهادتي فلن تعودا تريانني بعد هذا اليوم في الجسد وانت يا أرشلاوس القس تكون بطريركا بعدي واخوك الاكسندروس بعدك . ولا تقولوا اني عديم الرحمة من أجل اريوس فان فيه مكرراً مخفياً . ولست انا الذي حرمته بل السيد المسيح لأنني في هذه الليلة لما أكلت صلاتي ونمت رأيت شاباً قد دخل عليّ ووجهه يضيء كضوء الشمس وعليه ثوب متشح به الى رجليه وهو مشقوق وقد امسك بيده القطعة الممزقة فصرخت وقلت « ياسيدي من الذي شق ثوبك » فاجابني « اريوس هو الذي مزق ثوبي فلا تقبله . واليوم يأتيك قوم طالبين منك ارجاعه فلا تعلمهم واوصي ارشلاوس والاكسندروس بان يمنعا من شركتهما » اه

ولما انتهى من كلامه وقع على عنقيهما وقبلهما . وكانا يقبلان يديه ويودعانه بالبكاء لاجل قوله انكما لن تريانني بعد اليوم في الجسد . ثم عاد الى الجمع الذي كان قائماً فوقف معهم وخطبهم وقواهم وصلى عليهم وباركهم وعزاهم وصرفهم بسلام

أما القائد فكان يفكر في كيف يخرج من السجن خفية حتى لا يتكاثر عليه المسيحيون ويختطفونه منه أو يموت خلق كثير بسببه من المجتَمعين على الباب من الشيوخ والشبان والرهبان والنساء والمذاري الذين كانوا يكون بدموع غزيرة فلما شعر القديس بطرس بذلك اتفد الى القائد سراً وقال له . تعال الليلة الى حائط السجن الذي ادقه لك من داخل وانقبه من الجهة التي لا يقيم المسيحيون بازائها وهكذا يسهل عليك اخذني الى المسكان المعين من الملك لقتلي . ولا ريب ان هذا الكلام العجيب الذي لم يسمع بمثله قط ادهش عقل القائد فعمل كما اشار عليه وخرج القديس مع الجنود الى المسكان المدعو بوكاليا وهو الموضع الذي تمت فيه شهادة القديس مار مرقس الانجيلي فطلب منهم البطريرك ان يتركوه يذهب الى حيث جسد مار مرقس للتبرك منه فسمحوا له وهناك اخذ يصلي طالباً من الله ازالة الاضطهاد . قيل ان وقت صلاته كان بالقرب من القبر مسكن صببية عذراء وابوها رجل شيخ وكانت قائمة تصلي ولما تمت صلاتها سمعت صوتاً من السماء يقول « بطرس اول اسماء الرسل و بطرس آخر شهداء الاسكندرية » وقد تم هذا

الكلام بانه بعد وفاة القديس لم يستشهد غيره من بطاركة الاسكندرية قتلا
بايدي الوثنيين

ولما أتم القديس صلاته تقدم الى الجنود فنظروا وجهه كوجه ملاك ثم رفع
يديه وصلى الى الرب وصلب على وجهه وقال آمين وخالع بليته وكشف رقبته
الظاهرة وقال لهم افعلوا ما أمرتم به . فراجعوا الى الورا من هشين من تسليمه
نفسه للموت بمثل هذه الشجاعة ولم يجسر احد ان يضرب عنقه . غير ان القائد
دفع اخيراً لأحد من خدمه خمس قطع من ذهب فتقدم وقطع هامة القديس في ٢٩ هاتور
سنة ٢٨ ش و ٣١١ م وكانت مدة مقامه على الكرسي ١١ سنة

ولما أصبح الصباح وصل الخبر الى المسيحيين المحيطين بالسجن فوضوا اليه
مسرعين ووجدوا جسده وثوبه عليه والشيخ والصبية المذراء جالسين يحفظانه
فالصقوا الرأس بالجسد ونشروا عليه شعره وجمعوا دمه ولفوه في النطع (بساط
من الأديم) الذي كان ينام عليه ومضوا به الى البيعة واجلسوه على كرسي
القديس مرقس ولما كان حياً لم يكن يرضى الجلوس عليه بل كان يجلس على درجات
الكرسي السفلية تواضعاً وكراماً لسالفه الأول منشىء هذا الكرسي الرسولي العظيم
(٢) اريوس . البطريك الثامن عشر . ولد بالاسكندرية وامتاز

عن اترابه بعلمه وقداسته سيرته ولذلك صيره البابا ثاؤناقياً وجعله رئيساً
للمدرسة اللاهوتية . وبناء على وصية القديس بطرس اقيم بعدد بطريكاً من شهر
كيهك سنة ٢٧ ش و ٣١٢ م في عهد قسطنطين قيصر وما عثم ان جالس على
الكرسي المرقسي حتى توسل اليه اريوس بان يعيده الى شركة الكنيسة . وتمكن
اريوس بمداهنته وعليقه ان يستميل اليه وجهاء الشعب وعظماءه وطلب منهم ان
يتوسطوا اليه عند البطريك ليقبله فالتسوا منه ان يشرك اريوس في الخدمة
الكنسية موهمين اياه بأنه تاب عن كل ذنوبه فقبل سؤالهم واعاده الى رتبته
الاولى التي كانت له قبل وقوعه في الهرطقة وهي وظيفة القسوسية ومباشرة
الوعظ وبهذا العمل خالف هذا البطريك خلفه القديس بطرس ولعله احسن الظن
باريوس لما رآه فيه من اللين المصطنع ومع ذلك فلم يشاء الرب ان يبقى ارشلاوس
سوى ستة شهور ومات بعدها في ١٩ ثوونه سنة ٢٩ ش و ٣١٢ م وبعد موته

وشح أريوس نفسه لمركز البطريركية ولكن الاكليروس والشعب لم يتفقوا على ذلك

(٣) الاكسندروس ١ - البطريرك التاسع عشر. ارتفع الى كرسي البطريركية بعد موت ارشلاوس بمقتضى وصية القديس بطرس آخر الشهداء في شهر ابيب سنة ٢٩ ش و ٣١٣ م في عهد قسطنطين وهو مولود بالاسكندرية ورسم قساً بها وحال انتخابه للبطريركية كان قد وصل الى سن الشيخوخة وزغماً عن ذلك أخذ يستخدم علمه وتقواه في خدمة الله بكل نشاط واخلاص . وكان الشعب يلقبه بالقديس والفقراء يدعونه ابا المساكين . وروى الانبا ساويرس المؤرخ ان اثناسيوس الرسولي البطريرك ال ٢٠ روى عن البابا الاكسندروس انه ما كان يقرأ قط في الانجيل جالساً بل واقفاً والضوء أمامه . ولكن افضل ما اشتهر به هو غيرته الشديدة على حفظ الايمان المستقيم ومحاربه لهراطقة ولاسيما الذين انكروا لاهوت المسيح

وهذه الفيرة كانت له منذ حدائته فقبل جلوسه على كرسي البطريركية كان قوي المعارضة والمقاومة لحزب ميليتس اسقف ليكوبولي المار ذكره ولهذا بعد وفاة ارشلا البطريرك اجتهدوا ان لا يكون الاكسندروس بطريركا وكانوا يقدمون عوضه اريوس المتوافق غير ان الله أحبط مساعيهم . وقيل ان اريوس حاول ان يدخل اليه ليتمكن من خداعه كما خدع سلفه فقال 'بابا الاكسندروس قولوا له اوصاني ابي (يريد البابا بطرس) ان لا أقبلك فلا تدخل الي ولا أجمع بك وذلك بأمر السيد المسيح فاعترف للمخلص بخطيئتك فاذا قبلك فهو يأمرني بقبولك ففضب اريوس من البابا غضباً عظيماً لاسيما لما رأى ان الشعب فضله عليه واضطرم قلبه بنار الحسد ولكونه لم يجد البطريرك ملوفاً في سيرته اجتهد في دحض تعليمه ووضع مقالات تجديف وكفر بلسانه المستحق انقطع فقال ان ابن الله مخلوق (وحدث ان البابا الاكسندروس القى خطبة مبنية على اقامة المسيح للموتى وبين للسامعين سلطانه فقاطعه اريوس بان هذا ليس من تعليم الانجيل فاستمر البطريرك

يهظ غير مبال بكلامه فرد اريوس عليه في الاحد التالي بموعظة موضوعها « ابي اعظم مني »

وكان هذا الخبيث قد تمكن بفصاحته الشيطانية أن يجتذب اليه أسقفين وبعض القسوس البسطاء والشعب الساذج وبتظاهره الكاذب أي باظهاره روح العبادة خدع عابدات كثيرات من النساء والبنات والراهبات وأخذ ينشر بواسطتهم بدعته الشنيعة فتقدمت في حقه الشكاية للبابا الاكسندروس فاسرع هذا القديس في العمل على ايقاف تيار تلك البدعة فجمع الاساقفة الموجودين بالاسكندرية سنة ٣١٩ م وبعد فحص تعليم اريوس بان الابن مولود من الآب فلا يمكن أن يكون مساوياً له في الازلية حكوا بان يتلمع عنه ويكف عن نشره واجتهدوا في رده عن ضلاله بواسطة النصائح المقرونة بروح الوداعة والمحبة ووقع على الحكم ٣٦ قيساوس ٤٤٤ شماساً الا ان هذه الملاطفة زادتته تكبراً وجسارة فشرع يعلم جهاراً مستعملاً كل نوع من الخداع لاستمالة القلوب اليه : وكان يدعى ان تعليمه هذا لا يدحض سوى هرطقة سابليوس . وبهذه الحيلة توصل الى اغراء كثيرين لاسيما ذوى السيرة الرديئة

فراى البطريرك ان الملاينة لم تنفعه فعقد مجمعا ثانياً مؤلفاً من مائة اسقف من ليبيا من مصر سنة ٣٢١ م وحكم بحط اريوس من درجة الكهنوت وبجرمه وبدعته ومن يتشيع له . وأمضى هذا القرار جميع اساقفة المجمع ماعدا اسقفين و١١ شماساً فقط منهم البطريرك وصدق على قرار المجمع الاول وابلغ الحكم الى اريوس فأمرع هذا وبعث برسالة الى صديقه اوسابيوس اسقف نيكوميديا يوقفه فيها على الحكم الصادر ضده ويقول له بلمهجة الثعالب : « الى سيدي العزيز رجل الله الامين الارثوذكسي اوسابيوس . يسلم بالرب اريوس المضطهد من الاسقف اسكندر بسبب الحق الذي يعلو على الجميع الذي انت تحامى عنه ايضاً . بما ان مونيوس منطلق الى نيكوميديا رأيت لاثقاً ان اكتب لك معه واخبر المحبة الوطنية والمودة اللتين تمارسهما للاخوة لاجل الله ومسيحه ان الاسقف يضطهدنا كثيراً ويهيج الجميع علينا حتى يطردنا من المدينة كأننا كافرون بالله لاننا لا نتفق معه في اعلانه الجهارى بان الله ازلي والابن ازلي وبأن الآب دائماً أب والابن دائماً ابن وان الابن من الله ذاته . وبما ان اخالك

اوسابيوس القيصري وثيودوتوس وبولينوس واثناسيوس واغريغوريوس وايتس
 وكل اهل الشرق يقولون ان الله كان قبل الابن وبدون بداية فهم محرومون الا
 فيلوغو نيوس وهيلانيكس ومكاريوس الاميون الهراطقة الذين يقول احدهم ان
 الابن ضياء الآب . والآخرون انه شعاع منه . والآخرون انه مساو للآب في كونه
 غير مولود . فهذا الكفر لا تطيق آذاننا استماعه ولو هددنا الهراطقة بالف مية
 ما نقوله نحن ولا نعتقد به . وقد علمناه ولا نزال نعلمه ان الابن ليس غير
 مولود . ولا هو جزء من غير المولود بنوع ما . ولا صنع من مادة دون . بل
 بالارادة والقصد وجد قبل كل الدهور وقبل كل العالمين . اله تام . المولود
 الوحيد الغير المتغير . وانه قبل ان ولد او خلق او قصد به او ثبت لم يكن له
 وجود . لانه لم يكن غير مولود قط . اننا نضطهد لاننا نقول ان للابن بداية ولكن
 الله بدون بداية ونضطهد ايضا لاننا نقول انه من العدم . وهذا نقوله لا أنه ليس جزءاً
 من الله ولا صنع من مادة دون . فعلى هذا نضطهد وانت تعلم البقية . استودعك الله» اه
 وقد كتب البابا الاكسندروس الى صديقه الاكسندروس اسقف البيزنطية
 (القسطنطينية) رسالة اتي فيها على تفاصيل بدعة اريوس وحزبه اذ ينكرون لاهوت
 مخلصنا ويقولون انه على حد سواء مع كل المخلوقات قال : انهم اعتقدوا بانه وجد
 وقت لم يوجد فيه ابن الله وذلك الذي لم يكن له وجود وجد بعدئذ ومنذئذ
 وجد كما يوجد كل انسان طبعاً لانهم يقولون ان الله عمل كل الاشياء من العدم
 مدخلين ابن الله في هذه الخليقة لسكل الاشياء العاقلة والغير العاقلة ومن المعلوم
 يقولون انه بطبيعة قابلة للتغير والفضيلة والرذيلة . فهذا التعليم الثائر الآن على
 تقوى الكنيسة هو تعليم ايديون وارطيماس وهو نظير تعليم بولس السيماسطي
 ثم يذكر البابا اسكندر آراءه كما يأتي :-

« اننا نؤمن كما تؤمن الكنيسة الرسولية بالاب الوحيد الغير المولود
 الواجب الوجود وهو عديم التغير والزوال هو هو وبغاية الكمال لا يشوبه زيادة
 ولا نقصان معطي الشريعة والانبياء والاناجيل . رب الآباء والرسول وكل
 القديسين . ورب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد . ليس مولوداً من العدم بل
 من الاب الحى وليس حسب الجسد الهىولى بتفريق وفيضان الاجزاء كما زعم سابلوريوس

وقالنتيان بل بنوع لا يدرك ولا يعبر عنه حسب المعتقد الذي ذكرناه سابقاً .
 فمن يخبر بحيله لان وجوده غير مدرك عند كل الكائنات المائة كما ان الاب غير
 مدرك لان العقول المخلوقة لا تقدر ان تفهم هذه الولادة الالهية من الاب
 لا أحد يعرف من هو الآب الا الابن ولا احد يعرف من هو الابن الا الآب .
 فانه غير متغير كما ان الآب غير متغير لا ينقص عن الآب شيئاً سوى انه ليس
 غير مولود فهو الابن الكامل وصورة الآب التامة . لهذا يجب ان تحفظ للآب
 غير المولود العظمة اللائقة به . والابن يجب ان تقدم ايضاً الكرامة اللائقة بانتدابنا
 له الولادة الازلية من الآب « اه

ولم يرضخ اريوس للحكم بل ثابر على الخطابة والوعظ مثبتاً تعليمه ومباشراً
 الخدمة الدينية فاستمال اليه الكثيرين وكون له حزباً ابليسياً حتى اضطر البطريرك
 ان يطرده من الاسكندرية هو والاسقفين المذكورين وشماسين أحدهما يسمى
 «أوزيوس» كان عضداً كبيراً لأريوس فغادر اريوس الاسكندرية قاصداً فلسطين
 وأخذ يفتاب القديس الاكسندروس ويشنع عليه مظهراً نفسه بين الارثوذكسيين
 ارثوذكسياً وبذلك أثر على كثيرين وجمع له عدداً من الاصدقاء على رأسهم اوسابيوس
 اسقف نيكوميديا الذي كان ذا صولة عظيمة . واوسابيوس اسقف قيصرية
 وأوسيوس اسقف بيسيديه وبوليوس اسقف صور واغريغوريوس اسقف
 بيروت وجميعهم سمحوا له بعقد جمعيات دينية في أبروشيات مختلفة ليكثر
 عدد معتنقي بدعته فضلاً عن وجود انصار له من كهنة الاسكندرية

قيل انه كان ينشر بدعته بواسطة الملحدين لما كان يعلمه من تأثير الصوت في
 النفس . فأثبت قطعاً مشوبة بسموم هرطقة في كتاب معروف باسم « تاليا »
 ووقعها على الآلات الموسيقية وعلمها للشعب الذي كان يتغنى بها صباح مساء .
 وفي وقت وجيز امتلأت بلاد الشرق بمؤلفات مشحونة بهرطقات اريوس
 وبالتنديد على بطريرك الاسكندرية وكان ذلك قبل ان يتمكن هذا القديس من
 ان يعرف اهل كنائس الشرق بشقاق اريوس وسوء نيته فكتب اليه الاساقفة
 يطلبون منه ان يسحب حكمه على اريوس فرد عليهم برسائل مملوءة من الحكمة
 والعلم مبنية على (يو ١ : ١) (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان

الكلمة الله) فقال هذه الآية قد اوقفت العقل البشري عند حد الاسرار الالهية فان يوحنا البشير لم يستحسن البحث في ميلاد الابن لأن جوهر الكلمة الذي لا يكيف يفوق ادراك البشيرين بل الملائكة ولذلك لا أظن انه يجب علي أن اعد في صفوف الاتقياء أولئك الذين يطلبون ما وراء ذلك ولا يلتفتون لما هو مكتوب «يارب لم يرتفع قابي ولم تستعل عيناى ولم اسلك في العظام ولا في عجائب فوقى» (مزمو ر ١٣١ : ٢١) اه

فهكذا لما احس هذا البابا بالشر المتفاقم من جراء اعمال اريوس اتخذ طريقة فعالة لا يقافه عند حده ومنع سريان بدعته فكتب تلك الرسائل الانجيلية المحضة الى اساقفة كل الكنائس اوضح فيها الاسباب التي حملته على حرمان اريوس وقطعه من شركة المؤمنين وكيف انه لا يسمح بقبوله مرة اخرى ما دام مصراً على ضلاله فافتنع بعض الاساقفة باقوال القديس الكسندروس ورجعوا الى التمسك بالحق الا أن اشباع اريوس عقدوا مجمعين الاول في بيشينه سنة ٣٢٢ م والثاني في فلسطين سنة ٣٢٣ م قرروا فيها لغو الحكم الصادر على اريوس من بطريك الاسكندرية . وبناء على هذا القرار رجع اريوس الى الاسكندرية لينازع مستقيمي الرأي فاستفحل الخلاف بين أنصاره وبين انصار البطريرك وقد انتهت بهم الحال الى المجادلة على قارة الطريق حتى اصبحوا هزءاً لناظرهم من الوثنيين . فاضطر البطريرك تلقاء هذا الاضطراب ان يشهر حرمان اريوس ويطرده من المدينة مرة ثانية وقام ايضاً تلميذ البطريرك الاسكندري الشماس اثناسيوس بكتابة المنشور السنوى ضد بدعة اريوس وبين ان تعليقه يأول الى تعدد الالهة وقياس الغير المحدود بمقاييس بشرية والايان ببعض الكتاب دون البعض الاخر ووقع هذا المنشور ٣٦ كاهناً و ٤٤ شماساً . وكان لأوسابيوس اسقف نيكوميديا المذكور كرامة عند كونسطاسيا أخت الملك قسطنطين الكبير الذي كان حينئذ ساكناً في نيكوميديا . فتمكن بواسطتها ان يستميل قسطنطين الملك الى اريوس . وكان الملك يعرف شيخاً جليلاً كان عمره حينئذ ٦٧ سنة من رؤساء الاساقفة اسمه أوسابيوس اسقف قرطبه من اسبانيا الذي كان قد اعترف بالايان في عهد اضطهاد مكسيميان . وكان مشهوراً بسعة علمه ومزيد اطلاعه فأستدعاه اليه وأرسله الى الاسكندرية ليتوسط

لدى بطريركها في أمر صلاحه مع أريوس وأرسل معه خطاباً رقيقاً الى الاخصاص
ينصحهم فيه بان يكفوا عن النزاع . وكان قسطنطين بسبب خداع أخته واسقف
نيكوميديا له ينظر الى أريوس كأ نسان صالح ولذلك طلب من البابا الكسندروس
أن يمتنع عن اضطهاده ظالماً وكتب الى اساقفة الشرق مظهراً لهم أن أريوس كاهن
باروغيور على الايمان المستقيم

ولما حضر أوسيو س أسقف قرطبة الى الاسكندرية عقد مجعاً سنة ٣٢٤ م
لم يتمكن فيه من عمل أي شيء في سبيل الاتحاد وذلك لكثرة التعداد التي
جرت من الاربوسيين على مستقيمي الايمان وحدثت مشاغبات حطمت فيها بعض
تمائيل الامبراطور ولأجل ذلك اشترك أوسيو س مع الكسندروس في حرمان
أريوس في ذلك المجمع وعاد أوسيو س الى نيكوميديا وأوقف الملك على جليلة الخبر
وان أريوس وأعوانه هم المخطئون وأعلن له رغبة البطريرك الاسكندري في اقامة
مجمع عام وانه هو يصادق على هذا الاقتراح . فارتضى قسطنطين وبناء على ذلك
التأم ذلك المجمع المشهور في مدينة نيقية سنة ٣٢٥ م حضره القديس الكسندروس
يرافقه تلميذه اثناسيوس . وبعد جدال طويل سـيأتى في محلة حكم المجمع بتقطع
اربوس وأتباعه وتقيته الى الاير يكون وأثبت كل ما فعله القديس الكسندروس
ثم كتب المجمع رسالة الى كيسة الاسكندرية وأثنى فيها كثيراً على جهاد بطريركها
فرجع القديس الى كرسيه فقابله الاكليروس والشعب بما يستحقه من الاحترام
والاجلال رجل ضحى كل شيء في سبيل حفظ نقاوة ايمان ابن الله . وكثيرون
من الذين انخدعوا باوهام اريوس رجعوا الى حظيرة الايمان المستقيم

ويقال ان هذا البطريرك العظيم هو الذي كسر صنم النحاس الذي كان في
هيكل زحل بالاسكندرية وكانوا يعبدونه ويجمعون له عيداً في ثاني عشر هاتور
ويذبحون له الذبائح الكثيرة فأراد البابا الكسندروس كسر هذا الصنم فنعمه
أهل الاسكندرية فاحتال عليهم وتلطف في الحيلة الى أن قرب العيد فجمع الناس
ووعظهم وقبح عندهم عبادة الصنم وحثهم على تركه وأن يعمل هذا العيد لميخائيل
رئيس الملائكة فان هذا خير من عمل العيد للصنم فلا يتغير عمل العيد الذي
جرت عادة أهل البلاد على عمله ولا تبطل ذبائحهم فيه فرضي الناس بهذا ووافقوا

على كسر الصنم فكسروه وأحرقوه وعمل بيته كنيسة على اسم الملك ميخائيل
وجمع أحجاراً من صنم هيكل سيرايدس وصنعها صليباً ولم تزل هذه الكنيسة
بالاسكندرية الى أن احترقتها جيوش المعز لدين الله أبي تميم مع ما قدموا في سنة
٣٥٨ هـ وكانت تسمى كنيسة القيامة واستمر عيد ميخائيل عند مسيحي مصر
باقياً يعمل في كل سنة الى يومنا هذا

أما البابا الكسنديوس البار فبعد خمسة أشهر من عودته من مجمع نيقية مرض
المرض الاخير وأشار قبل موته على الكنيسة المصرية أن تختار بعد وفاته
اثناسيوس تلميذه بطريركاً . وقيل انه في آخر ساعاته قال « باطلا يهرب اثناسيوس
انه لا ينال مأربه » ففتشوا على اثناسيوس فوجدوا انه قد هرب حتاً ثم رقد
هذا الخبر الارثوذكسي الغيور في ٢٤ برمودة سنة ٤٣ ش و ٣٢٦ م

(٤) اثناسيوس ١ - البطريرك العشرون . ولد بمدينة الاسكندرية سنة
٢٩٦ م من والدين مصريين (١) وثنين كانا معتبرين لكثرة غناهما وشريف
نسبهما وكانت وحيداً لهما وتوفي والده وهو صغير وحينما بلغ سن الرشد
أخذت والدته تحسن له الزواج وتغريه على قبوله بطرق مختلفة وما كانت ترى
منه الا الرفض والاباء مع حسن منظره وحده صباه حتى قيل انها ساطت عليه
مرة احدى البغيات لتفسد عفته وتستولى على ثباته فلم تفلح وكانت تأخذ البنات
الحسان وتزينهن وتدخلهن عليه في مرقد فساكن اذا استيقظ ضربهن وطاردهن
وذلك لان هذا الغلام كان قد سر من عشرة اولاد المسيحيين الاتقياء الذين
نذروا أنفسهم للرب ورغب أن يكون واحداً منهم ولما شككت أمره لرجل ساحر

(١) يدعى على قبطية اثناسيوس فتعلمه لاقدس انطونيوس الذي لم يكن يعرف غير اللغة
القبطية . ولما كان اثناسيوس برومية بعث لرهبان مصر برسالة مكتوبة بانعتهم ولغته القبطية . وقال
مؤلف كتاب « الدر المنظوم » ص ٣٠ وهو ماروني « أن اثناسيوس لما كان يكتب باللغة اليونانية
أحصى بين ابناء الكنيسة اليونانية مع كونه قبطياً » اه وقال العلامة ستالي « ان اوصاف شره تشبه اوصاف
شعر الموميات المصرية المحنطة اي « شعر خفيف اسمر اللون ضارب الى الحمرة » ولا عبرة بأن
اسمه قد يفري على الحكم بانه يوناني اذ نجد في التاريخ اسماً يونانياً بحتاً مثل « انطون » قدسني
به شخص لا مشاحة في انه قبطي صميم » اه (السكرمه ٤: ٩ ص ١٨٤)

وثني طلب أن يأكل معه فأولمت لها ولحمة عظيمة وبعد ذلك قال لها الفيلسوف الوثني لا تتعبي نفسك فان ابك يتبع طريق الجليلي فأخذت تبحث عن هذا الجليلي حتي أهتدت الى القديس الكسندروس البطريرك فبشرها باسم المسيح ونالت على يده المعمودية مع ابنها

وذات يوم بينما كان البابا الكسندروس منتظراً مجيء بعض الاكليروس لتناول الطعام معهم وكان جالساً في شرفة تطل على البحر حيث كان بعض الغلمان يلعبون . وبعد ان تأملهم جيداً وجدهم يعمدون بعضهم بحسب نظام الترتيب الكهنسي تماماً . ولما جاء الاكليروس أمرهم باستدعاء أولئك الغلمان فلما مثلوا أمامه رأى ما هو اعجب وذلك أن احد هؤلاء الاولاد وهو اثناسيوس كان يجري العماد بالطريقة القانونية لآثاره الوثنيين الذين لم يكونوا قد تعمدوا بعد وبعد مناقشة دارت بين البطريرك واكليروسه اتفق رأيهم على الاعتراف بصحة ذلك العماد والاكتفاء بأجراء خدمة التثبيت للمتعدين . ثم رشحوا اثناسيوس وبعض الاولاد الذين اشتركوا معه في اجراء هذه الفريضة الى رتبة الكهنوت والمستفاد من كل ذلك ان نجابة اثناسيوس وحقاقته ظهرنا عليه منذ حداثته وقد استكشف ذلك فيه معلمه الكسندروس البطريرك ولهذا أخذ من أمه ووضعها في الدار البطريركية واعتني بتهديبه وتثقيف عقله بالعلوم فبرع براءة عجيبة ونال حظاً وافراً من العلوم اللاهوتية والفلسفية حتى غدا علامة بين أهل عصره . هذا فضلاً عما كان متوشحاً به من التقوى والقداسة . وقيل أنه تتلمذ للقديس الطونيوس ابي الرهبان واقتبس عنه فضائل النساك والمتعبدين . وكان يظهر في كل وظيفة يتحصل عليها ما يؤهله لنوال أعظم منها فاذا كان تلميذاً أصدر سنة ٣١٨ م رسالة ضد الوثنيين دلت على نزارة مادته وقوة حجته فكان ذلك سبباً في أن أعجب به البابا الكسندروس فسامه شماساً وبعد ذلك صار رئيس شمامسة الكرمسي البطريركي سنة ٣١٩ م ثم صار مساعداً البطريرك يحيل عليه المشكلات والمعضلات ليكشف عن غوامضها . وفي هذه الاثناء ظهرت مواهب اثناسيوس مع حداثة سنه وهو الذي حضر المجمع الاسكندري الملتئم سنة ٣١٩ م وأمضى كرئيس شمامسة رسالة بطريركه ضد اريوس كما وجد اسمه محرراً في أكثر

الرسائل البطريركية . ثم تقدم في ميدان الحرب مع أريوس الهرطوقي فاستصحبه
البطريرك معه الى مجمع نيقية وهناك أخذ اثناسيوس رئيس الشمامسة ومشير
البطريرك يفتد آراء الارايوسيين ويبطل أدلتهم ويدحض براهينهم السفسطية
واظهر من الغيرة على أزلية المسيح ما جعله موضوع اعجاب آباء مجمع نيقية كلهم
فاندهشوا من حذاقة لبه وصحة فكره حتى قيل ان قسطنطين الملك قال له قبل
ارفضاض المجمع كأنه يتنبأ له « انت بطل كنيسة الله »

وقال سقراط المؤرخ الكنسي « ان فصاحة اثناسيوس في المجمع النيقاوي
قد جرت عليه كل البلايا التي صادفته في حياته » ومع ان آباء المجمع احتجوا على
وجوده بصفته رئيس شمامسة فقط لكنه بعد افتتاح الجلسة صار يتكلم ويحاج
خصومه كأنه هو بابا الاسكندرية بعينه

وبعد نياحة البابا الكسندروس انتخب اثناسيوس خلفاً له بناء على وصيته
ومع ان اثناسيوس حاول الافلات من عبء هذه الوظيفة المخوفة بالمشقات الا
ان الكنيسة لم تجد من يليق لها أكثر منه فبحثوا عنه كثيراً حتى وجدوه في
مكان اختبأ به فأحضروه بهرح شديد ورفعوه الى رتبة البطريركية في أواخر سنة
٣٢٦م وفي شهر بشنس سنة ٣٣٠ ش في عهد قسطنطين قيصر وكان عمره وقتئذ ٢٨ سنة
ووضع عليه الايدي لأول مرة خمسون أسقفياً من أساقفة الكراسي المجاورة وقد
حاول الارايوسيون أن يمنعوا انتخابه خوفاً من مقاومته لهم فلم يفلحوا

هذا هو اثناسيوس بطل الارثوذوكسية العقليم الذي قيل ان الله انتخبه ليريه
كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمه . فلم يكديعني الكرسي المرقسي حتى تألب الارايوسيون
لاسقاطه فوشوا به الى الملك قسطنطين الكبير بان ارتسامه لم يكن قانونياً ولكن كثيرين
من الارثوذوكسين اثبتوا حقيقة ارتسامه ومنهم القديس باخوميوس الناسك المصري
الذي حين ارتقاء البابا اثناسيوس الى الكرسي رأى رؤيا وفيها قال روح الله
« اني قد اقت اثناسيوس عموداً ونوراً لكنيسة وستنال شداً وتلقى عليه
تهم كثيرة لاجل مناضلته عن حق الديانة . الا انه بالقوة الالهية يظهر بكل التجارب
ويبشر الكنائس بحق الانجيل » وقد اخذت بشائر هذه النبوة تظهر حالما استلم
هذا الخبر عصا الرعاية فانه اخذ ينشر كلمة الانجيل داخل القطر وخارجه . وكان



« البابا اثنا-يوس الرسولي في شيخوخته »

اول اثمار مجهوداته تأسيس كنيسة الحبشه ورسامة فرومنتيوس اسقفاً عليها سنة
٣٣٠ م الامر الذي سنفصله في اعمال ابطال الكنيسة القبطية بقسم مشاهير الكنيسة
وانتهز البابا اثناسيوس فرصة السلام والهدوء فقام برحلة يفتقد فيها رعاياه
ومضى في سياحته لغاية اسوان فاستقبله الرهبان تحت رئاسة الراهبين العظيمين
باخوميوس وبلامون استقبالا عظيما وهم برغمون المزامير
وقد ابتدأ جهاد هذا البطل بسبب عودة المنازعات بشأن القضية الاربوسية

وذلك ان كونسطنطينيا شقيقة الملك أوصت اخاها وهي على فراش الموت بقس اريوسى اعتمدت به دائماً لانه كان أباً اعترافها فلما فاز هذا الكاهن الارىوسى برضاء الملك أخذ يقنعه بمساعدة اوسايبوس اسقف قيصرية ببراءة اريوس وانه نبي ظالماً لان اعتقاده موافق لمعتقد المجمع النيقاوي . فجازت المكيدة على قسطنطين واستدعى اريوس من منفاه فحضر وقدم للقيصر صورة ايمان ملتبس كانت حسب الظاهر ارثوذكسية فرضى قسطنطين بقبوله وارسله بمكاتيب توصية الى الاساقفة باورشليم فقبلوه في شركتهم اكراماً لخاطر الملك . ثم عفى قسطنطين عن كل الاساقفة الذين كانوا قد تقوا بسبب الاورىوسية . فلما استقر هؤلاء الذئاب في كراسيهم ولا سيما اوسايبوس اسقف نيكوميديا وتيوغنيس اسقف نيقيه حتى عقدوا مجمعاً في انطاكية سنة ٣٢٩ م حكموا فيه بعزل بعض الاساقفة الارثوذكسيين بحجة انهم من اتباع سابليوس . ثم أخذوا توصية من الملك وصورة ايمان اريوس وارسلوها معه الى البابا اثناسيوس ليقر بقبوله في شركة الكنيسة

فلما اطلع البطريرك الاسكندري على التباس اريوس أبى قبوله واعتبر رضى الاساقفة في اورشليم والملك عنه مخالفة لقوانين الكنيسة . ثم طرده من الاسكندرية فرجع الى الملك بالخبيبة والفشل . اما البطريرك فبادر حالاً وأرسل للملك رسالة يقول فيها « انه لا يمكنه ان يقبل في كنيسة رؤوس الهراطقة المحرومين من المجمع النيقاوي وان الكنيسة عموماً لا تقبل في شركتها اناساً ينكرون الوهية يسوع المسيح » اه فتوهم الملك انه يفعل ذلك لاختلاف شخصى بينه وبين اريوس وكان الارىوسيون يسعون سعياً حثيثاً ليلطخوا صيته عند الملك فظفقوا يشتمون عليه بانه وضع على مدينة مصر ضريبة جديدة لربح كنيسة ولعمل حلل بيضاء من الكتان (توانى) للاكثروس ولكن عناية الله سخرت له كاهنين كانا عند الملك وهما الريدوس ومكارىوس فبرآه من هذه التهمة وفوق ذلك حضرت سفارة من حزب ميليتس من الاسكندرية عند الملك ووشت بالبطريرك ايضاً بانه ارسل مبلغاً وافراً من المال الى فيلومنوس عدو المملكة الذى كان عازماً ان يملك بلاد مصر واقاموا ثلاثة شهود ادعوا ذلك.

ومن دعاوى الاربوسيين عليه ايضاً انه كسر كأساً مكرسة وهدم كنيسة .
فلاجل ذلك أمر الملك بان يحضر البطريرك ويبريء نفسه مما قرفوه به ويدفع
تلك التهم عنه . فحضر وكذب كل ما قرفوه به وأظهر خبث اعدائه
قرده الملك الى كنيسة ومدحه كثيراً في رسالة يقول فيها « اني قبلت يا كرام
اثناسيوس اسقفكم كقبولي رجل متنور من الله ومما سمعته منه ورأيت فيه فقد
ظهر لي انه رجل جليل القدر وان كنيستكم في احتياج اليه لانه عالي الهمة وذو
عناية بحفظ الحق والديانة ومحب السلام وقابل للصواب » اهـ

فلم يكف الاربوسيون بذلك بل ازداد هيجانهم ولفقوا ضد القديس تهماً
جديدة وقدموها الى الملك فلم يبال بهم هذه المرة بعد ما اتضح له كذبهم في الدعاوى
الأولى وحولم على أخيه دلمانيوس ليسمع شكواهم وبناء على ذلك ذهب البطريرك
الى انطاكية وقدم الادلة على راءته بما أخجل اعداءه وسر بلهم بعاز الكذب
مرة أخرى ورجع الى مقر كرسيه بكرامته مصحوباً بكتائب رسمية علقها على
جدران الاماكن العمومية بالاسكندرية اظهاراً لبراءته ولما لم ينجحوا بهذه
الطريقة ايضاً دبوا مكيدة أخرى وهي انهم استدعوا الاساقفة الى عقد مجمع
في قيصرية وفلسطين لفحص التهم الموجهة الى البطريرك الاسكندري واذ كان
هذا القديس عالماً باغراضهم امتنع عن الحضور ولكنه اضطر أخيراً بأمر الملك
الى الحضور وأخذه ثمانية واربعين من اساقفته الى المجمع الذي كان قد انتقل الى
مدينة صور وانهقد في سنة ٣٣٤ م وكان اعضاؤه من اساقفة الشرق واكثرهم
اربوسيين والمتقدم في المجمع اوسابيوس اسقف قيصرية المعروف بانه من أشد
انصار اربوس تعصبا له وأتاب الملك عنه ديونيسيوس من كبار الموظفين وارسل
للمجمع كتاباً يحمل فيه على اثناسيوس ويقر أعمال حزب اوسابيوس

فجاء القديس اثناسيوس الى المجمع ومع انه كان ينبغي ان يكون هو
المتقدم فيه بالنسبة لاهمية مركز بطريركيته الدينية والمدنية ولكنهم لم يسمحوا
له ان يجلس مع الاساقفة ولما رأى ذلك القديس بوتامون اسقف هراقليا نهض
من كرسيه وبعين تذرف الدموع قال لأوسابيوس القيصري « من يحتمل ان
تكون انت جالسا على كرسي التقدم واثناسيوس يقف كرجل مذنب أما تذكر

أني القيت واياك في السجن في زمن اضطهاد الوثنيين واني من أجل الايمان عدمت عيني اليمنى وأنت خرجت سالماً من السجن فكيف أمكنك الخروج سالماً « اه ثم تبعه القديس بنفوتايوس وأخذ معه القديس مكسيموس اسقف اورشليم وخرجا من المجمع والدموع تقطر من عيونهم فلم يهتم الاريوسيون بذلك بل شرعوا يعددون ما اخترعوه من التهم الفاسدة ضد القديس

ومن تلك التهم انه اقترف اثم الفسق مع بتول راهبة وأدخلوا امرأة زانية ادعت في مجرمهم بان اثناسيوس اغتصبها وسلبها بكارتها . فتهض تيموثاوس فس الكنيسة الاسكندرية موهماً اياها بانه هو اثناسيوس اذ لم تكن تعرفه وقال لها « أنا أيتها المرأة الذي زويت بك كرهاً » فأجابت تلك الفاجرة بجسارة غريبة « نعم انت يا اثناسيوس اغويتني وأفقدتني عفتي التي نذرتها للرب » ثم تظاهرت بالبكاء طالبة من المجمع أن ينتقم لها من أفسد عفتها الأمر الذي أضحك الاريوثوكسين وأخجل الاريوسيين

ثم ادعوا على القديس بانه ساحر ورغبة في اتمام عمل سحري دس السم لواحد من اتباع ميليتس اسمه ارسانيوس اسقف هبسيل (شطب) وقطع ذراعه واستخدمه في السحر والشعوذة . وجاءوا بدليل على اثبات هذه التهمة وهو يد مبتورة من جثة قالوا انها يد ارسانيوس . وكان الاريوسيون قد اتفقوا مع ارسانيوس ان يهرب الى الصعيد ويختفي فيه حتى تجوز حيلتهم على الامبراطور . فذهل البطريرك لدى سماعه هذا الافتراء ولعلمه بان ارسانيوس حي يرزق أنقذ شماساً الى الصعيد للبحث عنه . وكان ارسانيوس مقيماً في أحد الأديرة وقبل وصول الشماس اليه كان بينس رئيس الدير قد أرسله الى صور حتى لا يعلم مقره غير أن الشماس التقى القبض على رئيس الدير وراهب آخر اسمه هلياس في أثناء رجوعهما من تشييم ارسانيوس وأحضرهما أمام حاكم الاقليم حيث اعترف بينس بان هذه التهمة لا يمكن أن تثبت ضد اثناسيوس لان العالم أجمع يعرف ان ارسانيوس لم يزل حياً أما ارسانيوس فأقلع عن ضلاله ورذل بدعة اريوس وجاء الاسكندرية ليتوب بين يدي القديس اثناسيوس فلما رآه رؤساء الكهنة أرسلوه حالا الى صور لشدة الحاجة اليه فوصل اليها قبل تقديم تهمة ضد البطريرك بليلة واحدة فلما رآه

القديس اثناسيوس شكر الله وأخفاه في مكان قريب من المجمع
وفي اليوم التالي اخذوا محتجون بشدة على القديس لانه قتل ارسانيوس
واخذوا يرفعون اليه اليد المبتورة قائلين « هذه آشتكي عليك يا اثناسيوس » فوقف
القديس في وسط المجمع وقال بسكون تام هل يوجد فيكم من يعرف ارسانيوس
اجابوا انهم يعرفونه . حينئذ قام ارسانيوس في الوسط . فلما قالوا هو حقاً نزع
القديس عن ارسانيوس رداءه واظهر يديه صحيحتين ثم قال لمن هذه اليد
الثالثة المقطوعة؟

فلشدة ما أصابهم من الخزي اضطربوا وماجوا وانتهز احدهم المدعو يوحنا
هذه الفرصة للهروب لانه هو الذي دبر هذه المكيدة وعليه تقع مسؤولية
ولكنه انتظر حتى هداوا ووسوس اليه الشيطان ان يقول « ان هذا دليل
جديد على مقدرة اثناسيوس في علم السحر لانه بقوة سحره اعاد ارسانيوس الى
الحياة » فاشتد سخط القوم وزاد حنقهم على هذا البطريرك البائس وصاحوا جميعهم
سحار . سحار . اقتلوه وهمرا باهلاكه وكادوا يفتكون به لولا ان الامير ديونيسيوس
خلصه من أيديهم وانقذ حياته من العطب

ثم جددوا عليه تهمة انتهاك حرمة الاسرار المقدسة بايعازه الى احد تلاميذه
المدعو مكاروريوس ان يهدم كنيسة اسخيراس الهرطوقي عنوة وبجرق كتبها وحطم
فيها كأساً مكرسة . واصل هذه الحكاية ان قساً اسكندرياً يدعى كونوس انشق
من الكنيسة واخذ يعين قسوساً من العلمانيين فحوكم امام مجمع بالاسكندرية
وحكم عليه بالتجريد من رتبته هو ومن رسمهم وكان منهم رجل يدعى اسخيراس
استهان بحكم المجمع ومضى الى قريته باقليم مريوط وصار يعقد فيها جمعية صغيرة
في غرفة حيث لم تكن كنيسة هناك . فارسل اليه البطريرك القس مكاروريوس ليؤنبه
على فعله فوجده طريق الفراش فلم يكلمه فقطع ونج اباه على ما يأتيه ابنه فوعده
ابو اسخيراس بارجاع ابنه عن عمله الرديء . غير ان اسخيراس بعد شفائه انضم
لحزب ميليتس ورفعت دعواه سابقاً الى الملك فبرهن البطريرك على عدم وجود
كنيسة هناك وانه وقت ما ارسل اليه مكاروريوس لم يكن يؤدي خدمة دينية بل
كان مريضاً بل ان اسخيراس نفسه فيما بعد اقر في محضر امضاه ثلاثة عشر قساً

من الاسكندرية ومربوط بما نصه « يشهد الله ان لا علم لي بما تقولون عن هذه التهمة التي لفقها بعضهم بل انني اصرح جهاراً بعدم وجود كأس كسرهما احدهما او ان شخصاً ما مديده بسوء نحو شيء من متاع كنيسة لا معرفة لي بوجودها ولكنني اقول الحق وهو ان بعضهم اضطر في اضطراراً للاقرار بتلك التهمة الملقية » اهـ

ومع ان هذه الدعوى انتهت امام الملك قسطنطين سابقاً الا انه لما رفض البطريرك قبول اسخيرات وهو متمسك بمبادئ ميليتس عاد الاربوسيون في جمع صور وجددوا تهمة . ولعدم وجود دليل على صحة هذه التهمة ارسل ذلك الجمع ستة اساقفة اربوسيين لتحقيقها بعصر . فما وصلوا الى الديار المصرية حتى حرروا محضراً مشحوناً بالاقاويل الكاذبة التي بنى عليها الجمع الشرير حركته ضد القديس اثناسيوس بتجريدته من درجة رئاسة الكهنوت وعزله عن الكرسي الاسكندري . وعلى اثره انتقل الاساقفة الاربوسيون المجتمعون في صور الى اورشليم لتدشين الكنيسة التي اقامها القيصر قسطنطين هناك فاثبتوا حكمهم الاول في جمع خبيث عقد في اورشليم سنة ٣٣٥ م

وكان القس مكاريوس تلميذ اثناسيوس قد طرح في سجن صور بدعوى هدمه لكنيسة اسخيرات فعزم القديس اثناسيوس على رفع دعواه مباشرة الى الملك فاستصحب معه خمسة من اساقفته في اول سفينة اقلعت من صور الى القسطنطينية . غير ان الاربوسيين اقنعوا الملك بان اربوس على ايمان جمع نيقية ولان قوسطنس ابن الملك كان اربوسياً تقوى ذلك الحزب ونال حظوة عند الملك ولم يستطع البطريرك الاسكندري ان يخاطب الملك لان اشراف الدولة لم يسمحوا له بذلك اكراماً لخاطر قسطنس

وحدث ذات يوم ان الملك كان خارجاً للزهة في موكب حافل فأوقفه شخص غير معروف ووضع يده على زمام جواده طالباً منه الانصاف فلم يعرفه قسطنطين في بادئ الامر ولكن الرجال الملتفين حوله اخبروه انه اثناسيوس فغضب قسطنطين واطلق لجواده العنان ودفعته الجنود لكي لا يقترب منه . فحينئذ هتف اثناسيوس قائلاً « ايها الملك اسأل جلالتك شيئاً واحداً وهو ان تحضر خصومي

الذين حكموا علي وتسمح لي بان أتناقش معهم امامك » فلم يسع الملك رفض طلبه وأمر باحضار الاساقفة الاربوسيين الى القسطنطينية . فلما وصلهم الخبر وهم في اورشليم انزعجوا لعلمهم بقوة حجة خصمهم ورجعوا الى ابروشياتهم خائفين ولم يلب أحد منهم دعوى الامبراطور سوى اوسايوس النيكوميدي وبعض الاساقفة الا انهم لما اجتمعوا باثناسيوس امام الامبراطور لم يأتوا بذكر تهمة واحدة من التهم الاولى لعلمهم ببطلانها فاخترعوا تهمة جديدة وهي ان اثناسيوس عزم على ان يمنع المراكب التي كانت تأتي مصر الى القسطنطينية حاملة ضريبة الخنطة .

وكان قسطنطين غيوراً على سلطته فاحتدم غيظاً عند سماعه هذه التهمة الكاذبة ومع ان اثناسيوس انكر صدور ذلك منه ولكن الامبراطور قاطعه ولم يرد ان يسمع منه كلمة واحدة لا سيما لما رآه يكلمه بدون تهيب وحكم بنفيه الى مدينة تريف (١) فلما سمع القديس هذا الحكم قال للملك بشجاعة « ان الله سيقوم دياناً بيني وبينك انت الذي قبلت شكوى اعدائي وصدقتها » ومن ثم انطلق البطريك الى منفاه مع بعض اساقفة ارثوذكسين فوصل اليها في ٥ فبراير سنة ٣٣٥ م حيث قوبل فيها باجلال عظيم من مكسيمينوس اسقف تلك المدينة وقسطنطين الصغير قائد جنود المملكة في الغرب

فتر الاربوسيون بذلك وطلبوا من الملك ان يعيد اريوس الى مقامه بالاسكندرية . ولكنه ما كاد يصل اليها حتى قامت قيامة مستقيني الرأي وقفلوا ابواب الكنائس في وجهه فخشي الوالي حدوث شغب وأمره بالخروج من البلاد المصرية فغادرها الى القسطنطينية حيث لقي حنفة كما سيأتي ذكره

أما الكنيسة المصرية فتدلبت شعار الحزن على ابعاد رئيسها الأمين ولذلك كتب الارثوذكسيون في مصر الى القديس انطونيوس كوكب البرية ليتوسط لدى الملك في ارجاع بطريركهم فخر له رسالة لم تأت بفائدة بل رد عليه الملك جواباً شديداً قال فيه عن البطريك الاسكندري انه رجل جسور ومتكبر وغشاش . غير انه بعد موت اريوس صمم قسطنطين على إعادة القديس اثناسيوس

(١) تقع في الجنوب الغربي من فرنسا

الى كرسيه فلم يمهل الاجل وبعد موته استولى ابنه قسطنس الأريوسي على الشرق
وقسطنطين الثاني الارثوذكسي على الغرب . وقيل ان قسطنطين الكبير أوصى
قبل موته بالبابا اثناسيوس فطلبه ابنه قسطنطين مستقيم الايمان من منفاه هو
وجميع الاساقفة الارثوذكسيين وطيب خاطره وارجمه الى مركزه مع رسالة كان
يعدده فيها جداً ويقول له « ان اياه المعظم ارسله الى تريف لكي ينقذه من
ايدي اعوانه » وكان قدوم البطريرك الى مدينة الاسكندرية في شهر نوفمبر سنة
٣٧٨ م بعد ان أبعدها مدة سنتين واربعة اشهر فقبول باحتفال حافل أبدى
فيه الشعب المصري من السرور والشكر مالا يوصف

ولم يجسر قسطنس الأريوسي ان يضاد أخاه بل صبر قليلاً حتى يجد فرصة
مناسبة لقضاء مأربه . ولا ريب ان نبأ رجوع بطريرك الاسكندرية اليها وقع
وقعاً سيئاً في نفوس الأريوسيين الذين كانوا قد تقووا وعظمت شوكتهم فعملوا
ثانية على الايقاع بعدوهم اثناسيوس مستندين على مساعدة قسطنس الملك الأريوسي
الذي عين اوسابيوس اسقف نيكوميديا بطريركاً على القسطنطينية رغماً عن عدم
رضاء الشعب

فعمد الأريوسيون مجمعاً في انطاكية سنة ٣٤٠ م حكوا فيه بعزل اثناسيوس
بابا الاسكندرية وأقاموا مكانه رجلاً منهم اسمه يسطس كان من ضمن القسوس
الذين تشبهوا لأريوس وأوقع عليهم البطريرك الكسندروس حكم الحرم معه . ثم
بعثوا بقرار هذا المجمع مع ثلاثة من القسوس الى رومية لعلمهم بان اسقف رومية
ينحاز اليهم اذا أظهروا احترامهم له . ولما لم يكن اسقف رومية ملماً بحوادث
الشرق ارسل خطاباً رقيقاً الى بطريرك الاسكندرية مصحوباً بالشكاوي المقدمة
ضده من حزب اريوس واهمها انه رجع الى كرسيه بدون قرار مجمع . فلما وصلت
رسالة اسقف رومية الى بطريرك الاسكندرية عقد مجمعاً في الاسكندرية سنة
٣٤٠ م اجتمع فيه نحو ثمانين اسقفاً احتج فيه على اعمال الأريوسيين وارسل
رسالة الى اسقف رومية بقرار ذلك المجمع الذي يتضمن عدم رضاء المصريين على
بطريرك غير بطريركهم ورسالة أقاموا فيها الادلة القوية على براءته وطهارة ذيله
من كل تهمة معزوة اليه وقالوا فيها « ان الغرض الوحيد الذي يرمي اليه اوسابيوس

هو تعميم بدعة اريوس ونشرها في مصر « ثم حرر القديس اثناسيوس رسالة دورية بعث بها الى جميع اساقفة المسكونة مظهراً فيها براءته وطاعناً في قانونية المجامع الاربوسية بقوله « ان مثل هذه المجامع ليس لها ان تقاضي اسقف كنيسة الاسكندرية الذي لا يقاضيه الا مجمع مسكوني يمثل الكنيسة بأسرها » اهـ

وبناء على ذلك اقترح اسقف رومية عقد مجمع لفحص شكاوي الطرفين ولكن حدث في سنة ٣٤٠ م ان قسطنطين الثاني نصير الارثوذكسين قتل فخلال الجو للأربوسيين فمقدوا مجعاً في انطاكية سنة ٣٤١ م حضره الملك قسطنس برئاسة اوسابيوس بطريرك القسطنطينية أيدوا فيه الحكم الاول . ولكراهة الشعب الاسكندري لقسطنس المذكور سابقاً عرض الاربوسيون الكرسي على اوسابيوس الحمصي فرفض لعلمه بمحبة المصريين لبطريركهم اثناسيوس . ولكن الاشرار وجدوا أخيراً رجلاً عاتياً عنيداً يدعى غريغوريوس السكبادوكي ارسلوه الى الاسكندرية ليأخذ كرسي القديس اثناسيوس

أما غريغوريوس هذا فأصله من مدينة كبادوكية ولكنه تعلم في مدينة الاسكندرية ولقي من القديس اثناسيوس كل عناية واحترام . ولما تمين غريغوريوس بطريركاً على الاسكندرية قامت قيامة الشعب الارثوذكسي وتألقت جمعية قوية لتحتج على هذه الاعمال المستغربة واظهروا استعدادهم لعدم قبول أي انسان يكون رئيساً عليهم سوى اثناسيوس . ولكن لما وصل غريغوريوس الى الاسكندرية تقابل مع الوالي فيلاغريوس وكان صديقه واتفق معه على الاستيلاء على الكنائس بالقوة وهجم مرة على الكنيسة قصد الايقاع بالقديس اثناسيوس وبعد ان مثل بالمابدين تمثيلاً شنيعاً تمكن القديس اثناسيوس من النجاة فقد انقذته قوة الله من ايدي اعدائه اذ كان منزوياً في مكان خفي بداخل كنيسة القديس ثاؤنا وهي الكنيسة التي يصلي فيها البطريرك وله فيها مسكن خاص . فلما رأى ذلك الافتيات خرج مستتراً راجياً ان يكف المبتدعون عن مثل تلك الشرور في حال غيابه قيل انه في اثناء محاولته الهروب أغشى عليه فحمله بعض الشعب الى الخارج وسهلوا له سبيل الهرب

أما غريغوريوس فتصرف تصرف الاشرار اذ لما رأى الجو قد خلا له حجر

على قسوس الاسكندرية تعميده أحد أو زيارة مريض أو ممارسة أي عمل من اعمال وظائفهم . وفي هذه الاثناء برز محضر أمضاه الوثنيون واتباع اريوس فقط وفيه يتهمون اثناسيوس تهمة فظيعة فصمم هذا القديس على ترك الاسكندرية وقصد الى رومه رجاء ان يقيم دعواه في ذلك المجمع الذي اقترحه يوليوس اسقفها . وقبل مبارحته للاسكندرية كتب رسالة الى الارثوذكسين ونصح لهم فيها أن يؤثروا الموت الف مرة على ان يشتركوا مع الهرطقة . ثم كتب رسالة دورية بعث بها الى جميع اساقفة المسكونة قال فيها « اني استغث بكم وبالارض والسماة مما حل بكنيستى . اني استغث بكم كما استغث ذلك الرجل الاسرائيلي الذي عند عامات زوجته - بعد ان اغتصبها منه أعداؤه - قسم جثتها الى اثني عشر قسما بعث بكل قسم منها الى سبط من اسباط اسرائيل الاثني عشر . ليتحدوا جميعاً ويأخذوا بثأر تلك الزوجة التي تمثل الاسباط كلها » اهـ

أما الاربوسيون فاوعدوا الى اسقف رومية القس مكاريوس والشماسين مرتيروس وحزقيوس ليعانوه بحكمهم على اثناسيوس ويطلبوا منه قطع كل علاقة معه فقبولوا أسوأ مقابلة حتى اضطر القس مكاريوس الى الهروب ليلا واستمر الشماسان ينتظران انعقاد مجمع يفحص القضايا التي اتيا لاجلها . وفي ذلك الحين تلقى القديس اثناسيوس رسالة من اسقف رومية يستشيريه فيها عن المسكن الذي يستحسنه لعقد المجمع فيه فلم يجد اثناسيوس أفضل من رومية وكان قد ترك الاسكندرية قبل عيد الفصح عقب وصول غريغوريوس اليها كما مر واتي رومية يصحبه بعض الاساقفة وامونيوس أحد رهبان دير النظرون وهو اكبر الاخوة الذين اشتهروا بطول قامتهم وايسدوروس الراهب التقى لسكى يؤيد احتجاجات مجمع اساقفته وكان قد تعلم اللغة اللاتينية ليخاطب بها اسقف رومية فتلقيه يوليوس اسقف رومية وملكها قسطنطين بكل تجارة وكرام وحدد اسقف رومية للمجمع شهر ديسمبر من تلك السنة وارسل اثنين من كهنته وهما البيديوس وبوليكيين ليخبرا أعضاء المجمع بحضور اثناسيوس ويدعيانهم الى الحضور فلم يجتمع المجمع كما كان مقرراً له لان الاربوسيين خافوا افتضاح أمرهم كالسابق في مجمع يضمهم مع اثناسيوس ولذلك أخرجوا الرسولين عندهم شهرين

كاملين عقدوا في اثناهما مجماً بانطاكية عند ذهابهم اليها للاحتفال بتدشين
كنيسة (الذهبية) وكان عددهم ٧٩ استمفاً وقرروا تأييد حرمان اثناسيوس
وتجريدته من وظيفته وقيل انهم شجبوا بدعة اريوس ولسكنهم لم يصرحوا بموافقة
دستور المجمع النيقاوي ووضعوا عوضاً عنه دستوراً من اربع صور كانت اساساً
للشيعة النصف الاربوسية تلك الشيعة التي تتفق مع الاربوسيين في القول «بعدم
مساواة الابن لايه في الجوهر» وتخالفتهم في القول «بازلية وجود الابن في
حضن ابيه»

وبعد ان وضع الاربوسيون تلك الصور الاربع ارسلوها الى اسقف رومية
على يد مندوبيه وارفقوا بها رساله يعنفونه بها لقبوله اثناسيوس في شركته
ويحتجون عليه بقولهم «ان الدعوة التي وردت اليها لحضور مجمع رومية لم تكن
دعوى مجمية بل فردية ولذا فانا لم نعتد بها» فكتب اليهم يوليوس يعرفهم بانه
لم يكتب اليهم ما كتب بصفته الفردية بل بصفته ممثلاً لمجموع اكليروس ابروشيته
ثم قال «ان الفوازين الكنسية لا تخول حق الحكم على اسقف كرسي رسولي مثل
اثناسيوس الا لمجمع اساقفة الكنيسة الاسكندرية او لمجمع مسكوني وانه في
الحالة الثانية يجب اخطار جميع الاساقفة اصحاب الكنائس الرسولية» اهـ (١)

ولم يكتب اسقف رومية بذلك بل شكل مجماً في شهر نوفمبر من السنة ذاتها
مؤلفاً من نيف وخمسين اسقفاً وفي هذا المجمع قرئت رسالة اساقفة مصر التي بها
برأوه ونزهوه عن كل ما رماه به اتباع اريوس من التهم وبعد الفحص حكم
المجمع بانه بريء من كل ما قرفوه به استناداً على قرار مجمع الاسكندرية

وكان يوليوس اسقف رومية في ذلك الوقت يلاطف اثناسيوس ويرجوه
البقاء عنده فقبل هذا ذلك لعله بعدم ملاءمة جو الاسكندرية له في تلك الاحوال
واستمر برومية سنة ونصفاً وضع فيها نظام الرهبنة للرومانيين كما سيأتي معنا .
وقد ادهش البابا اثناسيوس الناس قاطبة في رومية بانارة قبري القديسين بطرس
وبولس على كل عجائب هذه المدينة العظيمة فكان يذهب اليهما ملقياً نفسه امامهما

(١) اثناسيوس في احتجاجه الثاني وسوزومين ك ٣ ف ١٠ (عن مختصر تاريخ الامة القبطية

بحرقة دينية عجيبة

وقد استمر النزاع بين الفريقين حتى ضجر منه قسطنط قيصر الغرب وأمر
بمقد اجتماع في ميلان (بإيطاليا) سنة ٣٤٥ م الغرض منه الفصل في أمر الخلاف
فاجتمع المجمع وقرر أعضاء وضرورة عقد مجمع عام فأنشراح صدر البابا الاسكندري
بذلك وذهب الى مدينة ميلان حيث قابل قسطنط الملك الاربوسى بمقابلة خصوصية
وحيث سار ليرى الآب الجليل أوسبوس اسقف قرطبة . أما المجمع فانهقد في
سردىكا (في اقليم الليرىكون أى بلاد اليونان) مؤلفاً من مائة أسقف شرقي
ارثوذكسى ومن سبعمين اسقفاً شرقياً اربوسياً . وترأس المجمع أوسبوس اسقف
قرطبة . فطلب الغربيون أن يكون اثناسيوس عضواً في المجمع فانكر عليهم
الشرقيون ذلك وتركوا المجمع مغضبين واجتمعوا وخدم في مدينة فيلبو
ولم يستحووا من أن يحرموا آباء المجمع السردىكى وحرموا الاسقف الرومانى
يوليوس لانه اشترك مع اثناسيوس وقد أرددوا ذلك الحكم برسالة مجمعية قالوا
فيها « ان الغربيين يحاولون أن يدخلوا على الكنيسة قانوناً جديداً ليحاكوا
الاساقفة الشرقيين بمقتضاه » اه

أما المجمع السردىكى فواظب على عقد الاجتماعات التي أسفرت على الحكم ببراءة
البابا اثناسيوس وتثبيت قانون ايمان نيقية وحرم الاساقفة الاربوسيين وفي
مقدمتهم أورزاس وفالانس وحكوا بعزل غريغوريوس الكبادوكى ودعوه
أسقفاً دخيلاً بل أنكروا عليه الاسقفية (١) الامر الذى أغضب الاربوسيين
فهبجوا قسطنط على الارثوذكسيين فأرسل لواليه بمصر أن يشدد على اتباع
اثناسيوس وأن يضع حراساً على أبواب الاسكندرية لكي لا يدخلها اثناسيوس

(١) كان مما قرره هذا المجمع السردىكى منحه ايوايوس اسقف رومية نظراً لما أظهره من
التباعد في الايمان الارثوذكسى حتى استثناف الحكم على الاساقفة اليه . بناء على ذلك يدعى
الغربيون بارلوية كرىهم على باق الكراسى ولكن يعلم اوائك المدعون ان ماسن في هذا المجمع
كان الاسقف يوليوس وحده لما أظهره من الميل للحق فقط ولم يكن غرض المجمع ان يكون قانوناً
عاماً لكل اسقف بعده من الذين لم يكونوا متهمين بالصفات الحسنة التي كانت ليوايوس . ناهيك
عن ان القانون يعطى ليوايوس حتى استثناف الحكم على الاساقفة الغربيين ولا تعلق له باساقفة
الشرق البتة . اه

وإذا تجاسر ورجع الى كرسيه يأمر بقطع رأسه. فعمل الوالى كما أشار عليه قسطنس
وتقى خمسة من القسوس الذين ينتمون الى البطريك وكثيرون منهم اختبأوا في
البراري والقفار فراراً من اضطهاد اتباع اريوس لهم . فالتزم من ثم القديس
اثناسيوس ان ينفرد في احدى مدن (تراكيا) للعبادة

وبعد أن أرفض مجمع سرديكا أوقداً أعضاءه افراتيوس اسقف كولونيا (بايطاليا)
وقسطنس اسقف كابو (بايطاليا أيضاً) ليطلعا القيصر قسطنس على أحكامهم .
فظهرت حينذاك دسيسة دينية دبرها البطريك الاريوسى الانطاكي ضد افراتيوس
بان دس امرأة زانية في مخدعه ليتهايمه بالزنا غير ان هذه المكيدة اتفضحت باقرار
المرأة نفسها . فساء قسطنس الظن بهؤلاء المبتدعين وغير وجهه عليهم

وحيثما دعى الملك قسطنس الارثوذكسى الغيور القديس اثناسيوس برسالة
رقية الى مدينة اكويدا فقصد البطريك مدينة رومية حيث ودع اسقفها
يوليوس وتقابل مع الملك قسطنس فزوده برسالة الى اخيه قسطنس الاريوسى
بانطاكية شديدة الاهجة يقول له فيها « انه ينادي عليه بالحرب انت لم يرجع
القديس اثناسيوس الى كرسيه » وحال وصول البطريك الى قسطنس كان هذا قد
أبغض الاريوسيين لما انضح له من شرهم فاستقبله باكرام وأقسم له انه سيحامي
عنه فيما بعد وانه لم يعد يصدق كل ما يقال عنه . ثم قال للقديس بناء على مشورة
أولئك الطراطقة . أطلب منك ان تعطى كنيسة واحدة للاريوسيين ليصاوا فيها
فقال القديس « نعم ولكن بشرط ان يعطى الاريوسيون كنيسة واحدة للارثوذكسيين
في انطاكية » فتمعجب الملك من هذا الجواب وابتلى الانطاكيون الا الاصرار على
خلع اثناسيوس الا ان الملك لم يلتفت اليهم وأطلق سراحه فترك انطاكية قاصداً
الاسكندرية ومر بأورشليم حيث قابله القديس مكسيموس اسقفها بسرور .
وكان غريغوريوس الدخيل قد قتل في ثورة شنها عليه الاسكندريون فتمهد
بذلك السبيل امام البابا الاسكندري للعودة الى مركز بطريركيته ولكن لعدم
ثقتهم بوعده قسطنس تمهل الى شهر اكتوبر واذ لم يجد مقاومة جديدة رجع الى
وطنه بعد ذلك الغياب الطويل

وبيئنا كان الحزن مخيماً على الاسكندرية واهلها واذا برسالة من اسقف رومية

تبشرهم بقرب عودة راعيهم اليهم ويقول لهم « اني احمد الله الذي وهبني نعمة الاجتماع بمثل ذلك الرجل العظيم » اه وان القلم يعجز عن وصف الاحتفال الذي قوبل به البابا اثناسيوس عند رجوعه الى الاسكندرية

ونسكتني بقليل من كثير مما كتبه القديس غوريفور يوس النزينزي في وصف ذلك الاحتفال قال « ان القوم توافدوا من انحاء المدينة على اختلاف نزعاتهم للقاءه وما كان بهم من الوجد والهيام براعيهم جماهم يطرون سروراً وكانت ازدحامهم أشبه بالنيل في عز فيضانه » ولما كانت المواصلات حينئذ على ظهور الحمير التي علتها الجماهير وبايديهم أغصان النخل والزيتون يلوحون بها تخيل غوريفور يوس وهو يصف دخول اثناسيوس فائزاً دخول المسيح اورشليم كملك. وذكر غوريفور يوس الا بسطة الثمينة التي كانت تهرش تحت قدمي البطريرك وآلاف الايدي التي كانت تبلغ حدة تصفيقها عنان السماء . والهواء وقد تشبع بالاعطار الزكية التي فاح أريجها والانوار المتألقة في شوارع المدينة

وقد روى بعض المؤرخين في خلال ذكر احتفال فخم أقامه سكان الاسكندرية لاحد حكامها المشهورين المحبوبين محاورة بين شيخ وشاب كانا بين المتفرجين فقال الشاب للشيخ « هذا احتفال فخم لا يقيمه الناس للامبراطور قسطنطين لو بعث من لحده » فقال له الشيخ « ذلك لانك لم تر الاحتفال باستقبال اثناسيوس الكبير » اه

وما كاد البطريرك يستريح من وعناء السفر حتى أعاد جهاده في استئصال شأفة بدعة اريوس وخلع الاساقفة الاربوسيين ثم نشر رسالة في عيد القيامة سنة ٣٤٧ م قدم فيها الشكر لله على ما أولاه من نعمة الرجوع الى مقامه وختمها ببيان عن الاساقفة الذين رسمهم حديثاً والاماكن التي عينوا فيها . ثم بعث برسالة الى السياح يخبرهم فيها ان الارثوذكسيين لم يكتفوا بالفرح لعودته اليهم وانما نشطوا الى الاعمال التقوية بقوله « ان الناس في الاسكندرية شرعوا يبحثون بعضهم بعضاً على ممارسة أعمال البر بحيث قد صارت تلك المدينة بستان الآداب وجنة الخلال الحسنة وحادقة الفضائل المسيحية وان كثيرين زهدوا في الدنيا واستوطنوا الفيافي ليترهبوا . وان فتيات كثيرات نذرن لله بتوليتهن وشباناً كثيرين متزوجين

عاشوا بالفئة مع نسايمهم . والاغنياء وزعوا أموالهم على الفقراء وكان كل بيت نظير كنيسة « اه

وقد استمر البطريرك بعد رجوعه الى مصر ثلاث سنوات ذاق فيها مع رعيته طعم الراحة . غير انه حدث بعد ذلك أي في سنة ٣٥٠ م ان رجلا جرمانيا يدعى مانيانس قتل قسطنط الملك الارثوذكسي واختطف مملكته ولم يكتف بذلك بل طمع في الاستيلاء على القسم الشرقي . فأرسل الى مصر رجلا يدعون فيها روح التمرد على القيصر . غير ان حكمة البابا اثناسيوس حالت دون ذلك اذ أوصى الشعب بالخضوع للقيصر فلم تفلح مساعي مانيانس في مصر وانتشب القتال بينه وبين قسطنط الى ان قتل سنة ٣٥٣ م

وعقب قتل قسطنط الملك الارثوذكسي استأنف الاريوسيون مقاومتهم للقديس اثناسيوس فأوغروا صدر قسطنط الاريوني عليه ووسوسوا اليه بان الله انتقم من قسطنط بالقتل لاجل مدافعتة عن البطريرك اثناسيوس وانه من الواجب عزل هذا الرجل الذي كان سبباً لموت أخيه . غير ان قسطنط لم يتمكن من أذية القديس اثناسيوس حينئذ لارتباكته في القتال مع مانيانس المذكور فحرر رسالة لاثناسيوس مملوءة بعبارات الاحترام والمحبة

وبعد سنة من هذا العهد انتصر على مانيانس واستقل بالملك فوجه حربه الى الارثوذكسين وعلى رأسهم اثناسيوس وقد احتال في مبدأ الامر عليه ليعيده الى أوروبا ثانية ليسهل عليه الانتقام منه ولكنه خاب في مساعاه . ولما أحس القديس ان اعداءه أخذوا ينمون فيه ويدسون له الدسائس بعزم جديد ارسل في شهر مايو سنة ٣٥٣ م خمسة أساقفة وثلاثة قسوس الى قسطنط لاثبات براءته مما عزي اليه سابقاً وكان مع هؤلاء الاساقفة سيرايبون أسقف ثميبوس (١) ولكن هذه البعثة لم تصادف نجاحاً

وجمع قسطنط مجمعا في اريلاطي (من فرنسا) سنة ٣٥٣ م (٢) وألزم أعضائه

(١) كان يوجد مدينتان في مصر قديماً بهذا الاسم وكانتا اسقفيتين في وقت واحد
(٢) ان المجامع التي عقدت في مدة حكم قسطنط بسبب الخلاف بين اثناسيوس وجماعة ريوس تجاوزت الاثني عشر

ونائب أسقف رومية (وهما فنسانت اسقف كابو ومارسيل أسقف كيبانيا بايطاليا) ان يصدروا أحكاماً ضد اثناسيوس فأمضى القرار جميع الاساقفة ما عدا بولين أسقف تريف الذي أرسل الى المنفى حيث مات . وتبيح الفريون لتوقيع نائبي أسقف رومية على قرار هذا المجمع لولا تدخل ليباريوس اسقف رومية برسالة بعث بها الى اوسيووس أسقف قرطبه قال فيها « اني لو خبرت بين الموت وبين اختصام اثناسيوس لفضلت الاول على الثاني » والتمس اسقف رومية هذا من القيصر ان يعقد مجماً ثانياً فتم له ذلك وعقد المجمع سنة ٢٥٥ م في ميلان وكان مؤلفاً من ٣٠٠ أسقف جلهم اريوسيون . وقد حدث في هذا المجمع خصام شديد بين اربعة أساقفة قاموا للدفاع عن اثناسيوس وبين الامبراطور الذي اشتد غضبه لان القوم انكروا عليه سلطته الشخصية ومقدرته على معاقبة أسقف رأى ان يعاقبه بنفسه بدون قانون . وقد رد عليه الاساقفة واغلظوا له في المقال حتى قالوا له انهم لم يكونوا هنالك ليدروا له غلطته التي ارتكبها ثم اخبروه بصريح اللفظ قائلين « ان اثناسيوس بصفته بطريركاً لا يحاكمه الامبراطور بل الاساقفة فلا تخلط جنابك بين القوانين الكنسية والاوامر الامبراطورية » فاجابهم الملك بغيظ شديد « ان ارادتي هي القانون »

غير انه كانت النتيجة ان المجمع حكم ضد اثناسيوس ولما لم يقبل ليباريوس أسقف رومية ولا اكليروسه التوقيع على ذلك تفاهم الى مدينة (بيرا) بتراقيا وأقيم مكان الاسقف الروماني شناس اريوسي يدعى فيليكس الثاني . واثارقسطنس اضطهاداً عنيفاً على الارثوذكسين قال عنه القديس باسيليوس « اني ظننته ابتداءً اضطهاد المسيح الدجال الذي تنبأ عنه يولس الرسول في رسالته الى أهل تسالونيكي » .

ثم ان القيصر كلف سريانوس والي مصر باخطار اثناسيوس بحكم النفي الصادر ضده وبتحويل الغلال التي كانت تعطى لفقراء الارثوذكسين الى كنائس الاربوسيين . فجاء سريانوس الى القديس ومعه احد رجال الامبراطور المسمى هيلاريوس وطلب منه شفهاً ان يرافقهما فرفض الطلب لعدم وجود امر رسمي من الامبراطور بيدهما . وقد ساعده على ذلك تعضيد جميع الشعب والاكليروس

له تعظيماً تاماً ولذلك أقسم سريانوس برأس الامبراطور انه لا يعمل شيئاً ضد اثناسيوس حتى ترد اليه أوامر رسمية من مولاه . ومع ذلك فكل هذه الحوادث لم تكن عزم القديس بل ظل مثابراً على اكمال شؤونه وظيفته بهمة رفيعة

وبعد مرور ثلاثة اسابيع في سنة ٣٥٦ م بينما كان البطريرك يقيم صلاة الغروب بكنيسة العذراء التي بناها البابا ثاؤنا اذا بسريانوس حاصرها بخمسة آلاف جندي فلما شعر البطريرك بذلك اوصى المصلين ان لا يهربوا هرباً يوجب الخجل ولا ان يقابلوا القوة بعقلها . والآن لنترك وصف ما جرى حينئذ للقديس نفسه فقد زوى بعد ذلك يصف الحادثة قائلاً :-

« أما انا فجلست على الكرسي الخاص لي واوعزت الى الشمس ان يتلو المزمور ١٣٦ وكان الشعب يردون عليه قائلين « لان الى الابد رحمته » وحينئذ حان وقت الانصراف وكنا على وشك الذهاب الى منازلنا . ولما كان الظلام خارج الكنيسة حال كاجداً طرقت العساكر جميع الابواب (١) اطرقاً عنيفاً عندما كان الشمس يرتل مزمور الحمد والشكر هذا حتى ان دق الابواب كان يعرف في آذان الشعب الذين كانوا مشتغلين بالصلاة والعبادة وكانوا يعجبون لهذا الطارق ليلاً . ولما كان الشعب يرد على الشمس بهذه العبارة « لان الى الابد رحمته » فتحت الابواب قهراً وولجها الجيش الروماني وهو يصبح صياح النصر والفوز كمن افتتح مدينة قوية وكانت سيوفهم مشهورة في ايديهم تلمع في شعاع سرج الكنيسة المنعكسة عليها فاندفع العساكر في الكنيسة كالسيل الجارف وهرعوا قاصدين ايدي . اما انا فوقفتم وامرت الشعب بالفرار بقدر الامكان ولما كان بعضهم اجتهد ان يعترض العساكر في طريقهم فذبهم الجنود وداسوهم تحت اقدامهم عندما كانوا يركضون نحو ردهة الكنيسة للقبض على الفارين . وقد ألح علي القسوس لكي أفر ولكني أبيت ذلك وقلت لهم « ان نفسي عندي ليست أعز من نفس أحد الشعب » ولعلمي الا كيد بأني مادمت موجوداً أمام اولئك الذين يسمون خلقي ليقتلوني فانهم يكتبون بي ولا يبحثون على الآخرين بل يتركونهم وشأنهم حيث لا علاقة لهم معهم . وقلت في نفسي اني لا أهرب حتى ينجو جميع الشعب ثم وقفت

(١) كانت الكنائس في ذلك الحين كلها حصون او معاقل وفيها كل ما يحتاج اليه في وقت الضيق

وطلبت من الحضور أن يصلوا الصلاة الاخيرة وحينئذ أشرت اليهم بالانصراف حالاً . ولما انصرف اكثر الشعب جاء الرهبان مع الدين تخلفوا من القسوس وجملوني خارجاً « اه

وكانت نجاة القديس اثناسيوس من ذلك الخطر باعجوبة من الله فانه بينما كان قائماً في كرسيه يعظ الشعب ويحثهم على الصلاة اندفع الجنود بشدة الى داخل الكنيسة وكادوا يحيطون بكرسيه لولا ان الله ضرب على عيونهم بغشاوة فما قدروا أن يميزوه وكانت المصابيح قد انطفأت بسبب الهياج فانهز الا كليروس هذه الفرصة وأنزلوه جبراً من الكرسي وهو يمتنع وألزموه أن يهرب فاجتاز العساكر بطريقة عجيبة بدون ان يراه احد منهم . ولما وصل الجنود الى كرسيه وجدوه فارغاً ففتكوا بالمؤمنين وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فأرسلوا للملك يتشكون من الظلم الذي اوقعه بهم سريانوس فبدلاً من ان يلبي الملك شكوى الشعب ويرثي لحالهم مدح الوالي على ما عمل

أما القديس اثناسيوس فاختفى في المدينة زمناً ثم فر الى الصحراء ولجأ الى بيرة طيبة وانفرد فيها متعبداً مع الرهبان ومشاركاً اياهم في عوائدهم وهكذا كانت عادة البابا اثناسيوس ان يلجأ في اوقات ضيقاته الى مغاور المتعبدين على طول شاطئ النيل فاذا ما شاهدوه يهرعون اليه من صوامعهم فرحين متهللين فيملوه البشر ويناديهم بقول الكتاب « من هؤلاء الذين يطرون كسحاب وكجمامات الى بروجها » ثم تراهم يحيطون به وهم يحملون المشاعل ورئيس الدير يسوق مطية البطريرك حتى مكائهم الحريزة وكان احد الا كليريكين يأتيه بالقوت الضروري وكان طعامه خبز الفلاحين الناشف الغير المختمر وكان اذا عطش اغترف من ماء النيل براحتيه واذا تعب واحتاج للراحة جلس على قطعة حصيرة رثة او اذا قام افترش الثرى والتحف السماء . وكان يصرف أوقاته مختبئاً في نفق مظلم في الارض او منزوياً في احد القبور القديمة المهجورة وبالجملة فلم يدع مغارة او كهفاً الا وآوى اليه وكان عمره في ذلك الحين ستين سنة

ويجدر بنا هنا أن نذكر ان جبون المؤرخ في كتابه « سقوط المملكة الرومانية » لم يكن يعبأ كثيراً بأمر الدين الا ان سيرة القديس اثناسيوس قد أثرت عليه

كثيراً فكتب عنه بشفقة زائدة ومما رواه انه في اثناء هروبه اختبأ بيئراً جافة
ولكن خائفة قد خانته واحضرت العساكر ليقبضوا عليه ولكنه كان قد خرج
قبل وصولهم اليه . وروى ايضاً انه زار ضواحي الاسكندرية وكانت توجد هناك
عذراء في العشرين من عمرها وكانت قد اشتهرت بجها لها الفتان . وفي ليلة من الليالي
فاجأها زائر وطلب الضيافة وكان الوقت بعد نصف الليل وكانت اذ ذاك نائمة في
مخدعها ولكنها قامت ملبية لذلك الطلب فوجدت بطريقها الجليل وهو ملتف في
قميص قصير ورداء احمر ففتحت له وخبأته في منزلها وهناك اطعمته والبيسته
وصارت كاتبة له لتساعده على مكاتباته مع الكنائس حتى انها هربت تلك المراسلات
تهرباً . وهذه القصة روتها الفتاة في اثناء شيخوختها مفتخرة بها

أما الاربوسيون فكانوا يطلبونه ويفتشون عنه بأمر الملك في كل أطراف
المملكة برأ وبجراً كأنه عدو جميع البشر . ولكنه حتى وهو في منفاه لم يكف
عن العمل لما فيه الخير للآخرين فحرر احتجاجاً بليغاً وصف فيه صنوف البلايا
التي أنزلها اعوان الملك بالارثوذكسيين وقد أتينا على فقرة منها سابقاً وبعث بها
الى قسطنس . ثم بلغه ان الاربوسيين يتهمونه بالجبن لهروبه من الاضطهاد
فكتب دفاعاً عن نفسه قال فيه « هم يعضون اصبع الندم لانهم لم
يتمكنوا من قتلي . والآن هم يلومونني على هربي . غير عالمين انه لو كان في
الهرب جناية لكان في الاضطهاد جنایات . اني هربت لئلا أقتل . وهم يقتفون
أثري لئلا أسجو من القتل : فليكنفوا عن اضطهادي لأكف عن الهرب . وكيف
لا يعلمون اني فراري منهم حجة عليهم . ان المرء لا تفزعه الرقة واللين بل
القسوة والشدة بل غلظة القاب، والتوحش »

وفيما كان في مغارته مواظباً على الصلاة نما اليه خبر ان الاربوسيين كتبوا
صورة ايمانهم وانهم يكرهون الناس على قبولها والتوقيع عليها وان كثيرين
ختموها خوفاً من الملك . فحزن الراعي الصالح لما رأى الذئاب تتلف خرافه
ونظير أسد يزأر في البرية كتب أربع مقالات يبحث فيها المؤمنين بغيره شديدة
على حفظ الايمان والثبات عليه . ومع ما كان يقاسيه ويعانيه في منفاه من التعب
والنصب ما بقي مهتماً بكنيسته فكان يكتب أساقفتها ويبعث بالرسائل اليهم

وكانت أوامره نافذة المفعول كأنها صادرة منه وهو جالس على السدة البطريركية. وقد كتب عدة خطابات لتمييزية الحزاني وارشاد الحائرين عدا عن تأليف في أهم المباحث كان أبناء عصره في حاجة شديدة لها. ثم وضع منشوراً أرسله للرهبان في مباديء مهمة وسطر خطاباً لصديقه الحميم سيرايون اسقف نيبوس. وكان أعظم عمل أتاه الكتاب المهم المتضمن مقالات مسهبة في تفنيد بدعة اريوس

وفي ذلك الحين كان الاربيوسيون قد أقاموا على الكرسي الاسكندري بطريركا دخيلا يدعى جورجيوس من كبادوكية ايضاً نظير غريغوريوس السابق ذكره. وأشاروا على قسطنس ان يكتب رسالة الى ملكي الحبشة ازاناس وسازاناس يخبرهما فيها ان اثناسيوس هرطوقي وسيامته لفر ومنتينوس استمف الحبشة فاسدة. فيقتضى ان يرسلوا اسقفهم لينال السيامة الصحيحة من جورجيوس. غير ان ملكي الحبشة لم يعبأ برسالة قسطنس لثمتها باثناسيوس وفر ومنتينوس

وكان جورجيوس هذا قبل تعيينه في الوظائف الكهنوتية سمساراً خادعاً في القسطنطينية ولكنه كان معروفاً بالعلم وحالما تبوأ الكرسي المرقسي آتى من الاعمال الخبيثة مالا يأتيه انسان ذو عقل وشعور فان مدته في الاسكندرية كانت عبارة عن اضطهاد جديد حل بالمصريين. وفي مبدأ الامر حاول اغراء اساقفة مصر على امضاء قرار اريوسي واذ فشل في مساعيه اشعل نار اضطهاده فكبل اثني عشر اسقفاً منهم بالقيود والاعلال وزجهم في ظلمات السجون.

ولما صفا الجو للأريوسيين بغياب القديس اثناسيوس عقد الملك مجمعاً في سرميوم (غربي فرنسا) سنة ٣٥٧ م ترأس عليه الاسقفان الغربيان اورزاس وقالانس وحضره قسطنس بنفسه. وقد وضع ذلك المجمع صورة ايمان جديدة حذف فيها لفظة (الجوهر) من قانون المجمع النيقاوي بمعنى ان الآب اعظم من الابن في الرتبة والمجد وقد نجح الاربيوسيون في ارغام اوسيوس اسقف قرطبة على توقيع هذا القرار بعد ان اثنخوه ضرباً بالعصى حتى تقطع جسمه وكان ليباريوس اسقف رومية قد سئم من منقاه الذي قضى فيه مدة سنتين ونصف فدفعه حب الرئاسة الى قبول التوقيع على ذلك القرار وأقدم على ذلك خصوصاً لما علم بموافقة اسقف قرطبة عليه. فكتب للأريوسيين ثلاث رسائل

رجاهم فيها أن يتوسطوا لدى القيصر كي يُعيده إلى اسقفية وأعلن لهم لعنه
لائناسيوس وقطعه كل علاقة معه فرجع إلى كرسيه واشترك في تدبيره مع فيليكس
الاسقف الأريوسي إلى الممات (١)

فلما علم الأرثوذكسيون ذلك عقدوا جمعاً في (اجان) اثبتوا فيه الدستور
النيقاوي بدون نقص أو زيادة. وعقد أصحاب مذهب الاتفاق بين الطرفين
جمعاً في (انقره) أيدوا فيه دستور مجمع انطاكية وجمع سرميوم ولبث الأريوسيون
يتخبطون في أعمالهم واقوالهم حتى انقسموا إلى عدة شيع ومذاهب كانت كل
منها تقرر ما يخالف الأخرى. وقد اجتمعت عدة مجامع في انقره وانطاكية
وسرميوم للتوفيق بينها فلم تفلح جميعها بل كانت تعمل على توسيع دائرة
الخلافاً بزيادة.

أما القديس اثناسيوس فقد تصدع بسماع هذه الأخبار المحزنة التي كانت تصله
تباعاً ولا سيما سقوط صديقيه اوسيوس وليباريوس. غير أن اوسيوس قيل عنه
أنه أمضى القرار تحت تأثير اضطهاد ثقيل أضعف عقله وكاد يفقده الشمور
والادراك ولكنه لم يلبث قبل موته حتى استرد ما عمل وتاب عن الهفوة التي
ارتكبها في ظروف صعبة.

وآثر عليه كثيراً نبأ أتى ينمى إليه مار انطونيوس الناسك الذي كان

(١) ومن المدهش أن الغربيين يجادلون ببرهنة ليباريوس من وصمة سقوطه في الهرطقة مع أن
نوارينجهم المشهورة بتحويل الحق إلى باطل لم تجرأ على إنكار هذه الحقيقة واليك ما كتبه ليكوري
معلم الكنيسة الكاثوليكية نقله عن أوربي بجلد ٦ ك ١٤ حد ٧١ قال «أما البابا ليباريوس الذي كان
منفياً إلى بربيا منذ ثلاث سنوات ففشت روحه من الإهانات والانفراد لاسيما من حزنه لدى مشاهدته
فيليكس شماسه الكاذب جالساً في الكرسي الروماني فمضى إحدى الصور المذكورة شاجباً القديس
اناسيوس ومشاركاً الاساقفة الأريوسيين» اه (تاريخ الهرطقة مع حذفها ص ٨٣) وجاء في كتاب
«خلاصة تاريخ الكنيسة» للمعلم لومنتد الأفرنسي ج ١ ص ١٩٢ «أما البابا ليباريوس فكان أولاً
أبدي عزمًا شديدًا إلا أنه فشل فيما بعد لما قاساه من زعج المنفي فمضى على شجب اناسيوس ولكنه ندم
حالاً على ما فعل وفي الحال نهض من سقطته وأصلح أمره» اه وقد اثبت ذلك أيضاً براهين
لا تدحض بطريركهم كيرلس مقار في كتابه «الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة» فليحكم أصحاب
الطغي وينصفوا

خير صديق وسند له واستمر القديس في منفاه مدة خمس أو ست سنوات في نهايتها بلغه خبر موت قسطنس الملك الاريوسي وتولى مكانه يوليانوس الملحد

ومع ان يوليانوس كان يبغض المسيحيين بوجه عام الا ان كراهته لقسطنس دعتة ان يأمر باعادة جميع المسيحيين ورؤسائهم الذين تفاهم هذا الملك وقيل انه أمر باعادتهم لكي يحارب بعضهم بعضاً فتنحل عرى الوحدة المسيحية فرجع البابا اثناسيوس الى الاسكندرية فقبول فيها بابتهاج ما عليه من مزيد. وأما جورجوس الاسقف الدخيل فكان له وقتئذ بغض شديد في قلوب الجميع نظراً لما أتاه من الشرور ليس ضد المسيحيين فقط بل وضد الوثنيين أيضاً حتى ان هؤلاء قتلوه قبل رجوع اثناسيوس بتليل واحرقوا جسده والقوا رماده في البحر

فاخذ القديس اثناسيوس يصلح ما سبق اتلافه بواسطة الهرطقة وكانت له همة طالية لا تعرف الفتور فخيب آمال جميع أعداء الديانة المسيحية اذ رد الناس عن عبادة الاوثان وعن غواية الهرطقة ولذلك عقد مجعاً سنة ٣٦٢م لم يحضره سوى ٢٠ من اساقفته الذين كانت البلبايا قد ذهبت بمعظمهم وقرر في هذا المجمع ما يجب اتباعه مع الاريوسيين الذين يعودون الى الارثوذكسية . وابلغ قراره هذا الى كل الكنائس ولا سيما كنيسة انطاكية التي انصاعت لارشاداته الحكيمة فلما رأى يوليانوس الملك الكافر ان رجوع رؤساء المسيحيين دعا الى نموهم بخلاف ما كان يرجو سأل عن السبب فقبل له بواسطة الهرطقة لا يمكنك الانتصار على الدين المسيحي ما لم تهلك اثناسيوس حامى هذا الايمان . والذي زاده هياجاً على اثناسيوس ووجه خبر عنه بانه عمد بعض النساء اليونانيات اللاتي كن وثنيات واعتنقن الديانة المسيحية فأصدر أمراً قاطعاً لوالي الاسكندرية بنهي اثناسيوس من الاسكندرية حالاً بحجة ان العفو الملوكى لم يشمل . وهذا ما كتبه يوليانوس للوالي « مع انك مهمل كثيراً في أن تكتب لي عن مسائل متعددة وانا اغضي عن هذا الاهمال الا انه كان يتحتم عليك أن تخبرني عن تصرفاتك مع اثناسيوس عدو الآلهة وكاره الاوثان وأنت تعلم حقيقة مقاصدي ضد هذا الرجل الذي اخبرتك عنها من زمن مضى . وعليه فاني أقسم بالاله سيراييس العظيم انه ان لم يبرح اثناسيوس الاسكندرية بل القطر المصري في أوائل شهر ديسمبر فاني أعزم جميع

موظفي حكومتك غرامة قدرها ١٠٠ رطل ذهب قصاصاً لهم . واعلم انني بطيء العقاب ولكنني بطيء العفو والصفح « اهـ

فبلغ القديس هذا الامر في شهر اكتوبر سنة ٣٦٢ م فأسرع ليودع أصدقاءه الذين انقطرت قلوبهم حزناً على ذلك الفراق العاجل أما هو فكان يعزيهم بان هذا الحادث نظير زوبعة عابرة تتلاشى في وقت وجيز . ولما شعر ان الجنود أوشكت أن تقبض عليه نزل حالاً في مركب وسار في النيل قاصداً الهروب الى (طيبة) ولما بلغ الحاكم أمر هروبه أسرع بمجنوده وتبعه في مركب آخر أكثر سرعة من مركب القديس فلما رأى الذين كانوا مع البطريرك ان سفينة الحاكم اقتربت منهم أشاروا عليه بان يخرج الى البر ويهرب الى البرية ويختبئ فيها ولكنه لم يرد بل أمر رئيس المركب بشجاعة وهدوء أن يوجه السفينة نحو طابقي نفسه كأنه منطلق الى الاسكندرية فاما صار بازاء أعدائه نادى الحاكم على من في مركب القديس مستفهماً عما اذا كان اثناسيوس فيها أم لا فأجابه هو بنفسه « هوذا اثناسيوس قريب منكم » فأسرع الحاكم بالسير صاعداً في النيل أما هو فنزل في ممفيس (جيزه) واستمر بها ريثما يكتب رسالة عيد الفصح السنوية التي كانت ترسل الى كل الكنائس

وبعد ذلك قصد (طيبة) ليختفي هناك فعند ما اقترب الى مدينة هرموبوليس (الاشمونين) التقى به ثيودوروس رئيس دير طابانا بقرب سوهاج وكان قد جاء ليحتفل بقدمه احتفالاً باهراً فاستمر البطريرك مدة في هرموبوليس وانطينو واعظاً ومبشراً الى أن بلغه في منتصف الصيف ان الخطر محقق به من كل جانب فركب سفينة صغيرة هو والراهبان اللذان كانا يرافقانه على الدوام وحاولوا السفر ولكن الرياح عاكستهم واضطروا ان يقاسوا التعب العظيم في جبر السفينة وقضى القديس ذلك اليوم وهو يصلي بجمرة دون ان يلتفت الى رقيقته ثم استفاق كأنه من نوم وقال لهم « هبوا اني قتلت » ثم صمت لما رأى الراهبين يبتسمان ثم اخبراه انه في حال صلواته عما بالهام الهى ان يوليانوس قتل

وقد حقت الاخبار قول هذين الراهبين فقتل يوليانوس سنة ٣٦٣ م وتولى عوضاً عنه يوبيانوس فهذا نشر حرية الاديان وقرر الغاء الامر الصادر من سلفه

ضد اثناسيوس فرجع القديس الى كرسيه وحال وصوله بعث اليه الملك رسالة فيها يطريه لثباته وشهامته ويلتمس منه ان يرسل له رسالة تتضمن تعاليم الكنيسة الارثوذكسية فتداول اثناسيوس مع أساقفته في أمر هذا الطاب ثم كتب شرحاً للتعاليم القويمة وقع عليه هو وأساقفته وأرسله للملك الذي سر منه جداً وارسل يستدعي اليه القديس لمشاهدته لانه كان مشتاقاً الى رؤيته . فذهب البابا اثناسيوس الى انطاكية فقابله الملك بمقابلة حسنة ورجع الى كرسيه بكرامة عظيمة ورأى الجو صافياً امامه فجال في ابروشينه للمتعبه يعزى شعبه ويعظمهم وكانت نتيجة مساعيه في انطاكية والاسكندرية رجوع عدد عظيم من الاريوسيين ومع علم الاريوسيين بصحة ايمان هذا الملك فقد تجاسروا وأوقدوا اليه بعضهم وعلى رأسهم رجل كان قد ساءه جورجيوس الكبادوكي يدعى لوسيوس . فقابلوا يوبيانوس بانطاكية وطلبوا منه ان يعين للاسكندرية بطريكاً . فاعلمهم انه سبق وكتب الى اثناسيوس ليرجع الى كرسيه فاخذوا يفوهون بمذمات ضد اثناسيوس مما دعى الى سخط الملك عليهم وتقدم احد المساكر وافهم الملك بان هؤلاء هم النفاية الباقية من حزب جورجيوس المحروم فطردهم من امامه طرداً مخزياً ولكنهم تبعوه في طريقه فسخط على البحارة الذين لم يطوحوا لوسيوس في اليم عند سفره معهم من الاسكندرية الى انطاكية

غير ان الدهر لم يبتسم للبطريك الاسكندري سوى سبعة أشهر اذ مات يوبيانوس الذي كان يرجو القديس كل خير للمسيحية على يديه وخلفه في الملك والنتينوس ومع ان هذا كان موالياً لعقيدة الكنيسة الا انه أخذ لنفسه الغرب وسلم الشرق لآخيه فالنص الاريوسي فأمر حال جلوسه على كرسي الملك بنفي جميع الاساقفة الارثوذكسيين الذين سبق نفيهم بواسطة قسطنس ورجعوا بسماح يوليانوس . وبناء على ذلك أراد والي مصر ان يطرد اثناسيوس من كرسيه ولكن ما شعر بذلك وجهاء الشعب والاعيان حتى تجمروا وجاءوا الى الوالي محتجين عن بطريركهم بانه لا يدخل تحت هذا الأمر اذ لم يرجع من منفاه بأمر يوليانوس بل بأمر يوبيانوس خلفه . ولما لم يقتنع الوالي اعانوه بانه لا يمكن نفي اثناسيوس وشعر الوالي بحركة عظيمة قام بها الشعب فادرك ان نفي البطريك

يجر وبالا عظيمًا فإظهر رضاه مؤقتًا

وفي شهر أكتوبر بينما كان القديس مقيما بزاوية في كنيسة القديس ديونيسيوس علم ان الوالي مصمم على القبض عليه فاسرع بالفرار حتى ان جنود الملك فتشوا عنه في تلك الليلة في كل مكان بالكنيسة فلم يقفوا له على أثر . أما هو فاختبأ في قبر أبيه واستمر هناك اربعة أشهر كانت كلها اضطرابات وقلق بسبب ابتعاده مما اضطر الوالي الى ان يكتب لوالنص يقول له « انه لا يسكن هياج القوم الا بوجود بطيريركم بينهم » ولما علم والنص بذلك خاف من ان يفتاظ اخوه والنتينوس عليه وسمح للقديس بالاستقرار في كرسيه فرجع اليه في سنة ٣٦٨ م وله من العمر يومئذ ٧٢ سنة

ولم تكن شيخوخته لتحول بينه وبين استئناف العمل الروحي فجدد جهاده مبتدئًا في سنة ٣٦٨ م بترميم كنيسة سيزار يوم التي كانت قد حرقت في شغب احده الوثنيون في الاسكندرية في غرة شهر يولييه سنة ٣٦٦ م (١) ثم وضع أساسًا لكنيسة أخرى دعيت فيما بعد باسمه . ثم وصل اليه خبر هرطقة ابوليناريوس اسقف اللاذقية الذي اعتقد ان لاهوت المسيح حل محل نفسه فوضع كتابين في تنديد هذه البدعة . ولم يفتر عن مقاومة للمبتدعين في كل مكان بل كان جادًا في استئصال شأفتهم ولاجل ذلك كاتب داماسوس اسقف رومية يحثه على توقيع العقاب الكنسي على اورانس اسقف ميلان ونصير الشيعة النصف الاربوسية فأطاع داماسوس أمره وتقد رغبته في سنة ٣٧٠ م . وبعد ان طهر

(١) هذه الكنيسة كان قد أتم البابا انناسيوس بنائها في سنة ٣٦١ م وكانت مبنية على اطلال القصر المسمى (سيزار يوم) اي قصر القيصر وهو قصر قديم للامبراطرة الرومانيين وكان لم يزل خاصًا بالامبراطور . وفي مدة الصوم الكبير سنة ٣٥٤ م كانت كنائس الاسكندرية تزدهم بجمهور المصلين ازدحامًا هائلًا فطاب الشعب من البطريرك ان يقيم صلاة العيد في كنيسة سيزار يوم وكان قد تم بناؤها ولم تسكس فخشي وقتئذ اجابة طلبهم بفتح هذه الكنيسة لان هذا القصر لم يكن قد سلم للكنيسة ووضع تحت تصرفها . فضلا عن ان اقامة الصلاة في كنيسة غير مدسنة امر مخالف للقوانين الكنسية . غير ان البطريرك اضطر الى اجابة طلب الشعب فاغتهر بذلك عند اعدائه ذنبًا جديدًا له . ا هـ

الغرب من جرائم الهراطقة التفت الى الشرق وأخذ في مراسلة القديس باسيليوس اسقف قيصرية السكبادوك وغريغوريوس اسقف نيزينزا وغريغوريوس نيمصن الاساقفة الارثوذكسيين وغيرهم من الاساقفة الارثوذكسيين حاثاً اياهم على قطع دابر الشيع المختلفة ومقاومة مبتدعيها

وفي ذلك الوقت طلب منه ان يقيم أسقفاً لاهالي مدينتين في مقاطعة بنتابوليس فرسم لهم بحسب طلبهم ايسوذورس. وبعد هذا العهد حرم رجلا عظيماً هو حاكم (ليبيا) وأرسل منشوراً الى الكنائس يوضح فيه الاسباب التي دعت به الى ذلك. وهكذا استمر يجاهر ويكافح ويناضل عن الحق الانجيلي مدة الخمس السنوات التي قضاها على الكرسي بعد رجوعه الاخير حتى انتهت حياته الدنياوية وابتدأت حياته السماوية الخالدة في ٧ بشنس سنة ٩٠ ش وريبع سنة ٣٧٣ م بعد ان جلس على السدة البطريركية ٤٦ سنة وخمسة عشر يوماً. ولما شعر بقرب حلول الاجل أوصى بتعيين بطرس أحد اساقفته خلفاً له

وقيل ان القديس اثناسيوس كان قصير القامة جداً حتى اشار اليه يوليانوس الجاحد بالقزم تعبيراً وتقريباً ولكن غريغوريوس النزينزي يؤكد لنا انه كان حسن الطلعة جميل الحيا عليه سياء التقوى والورع يخال للرأي انه ملك من الملائكة. وينقل عنه انه كان ايضاً محدودباً بعض الاحديداب ذا انف مقوس وفم دقيق ولحية قصيرة متصلة بشاربين كبيرين. وكان ذا شعر خفيف اسمر اللون ضارب الى الحمرة

هذا ولما كان هذا الرجل العظيم قد ساهم الرسل في جهادهم المدهش عن الايمان القويم وشاركهم في اكاليلهم النورانية فقد جعلته الكنيسة بلقب «الرسولي» الذي كان يلقب به معاصرو الرسل وخلفاؤهم وتلاميذهم الذين حذوا حذوهم ونسجوا على منوالهم في جهاد الخدمة وتعب الكرازة والمحاماة عن الايمان. وقد شاطرهم ذلك البطريرك جهادهم واستحقاقهم ونال شرفهم ولقب ايضاً «بالاكبر» باعتبار مقامه الذي ارتفع بسبب جهاده وقد قال عنه القديس غريغوريوس النزينزي «ان من يمدح اثناسيوس يمدح الفضيلة نفسها» اه وأما عن تصانيفه فقد قال الانبا قزما «ان من يجد شيئاً منها فليكتبه حالاً على قرطاس. وان كان

لا يجد قرطاساً فليدونه على اثوابه « اه وابلغ وصف لعظم ذلك الجهاد الذي قام به اثناسيوس ذلك المثل الذي اشتهر حينئذ القائل :

« كل العالم ضد اثناسيوس واثناسيوس ضد العالم »

قال احدهم « ولعل الترجمة اللاتينية لهذه العبارة التاريخية اصل المثل الا فرنجي المشهور Athanasius . Contra Mundum اي اثناسيوس ضد العالم الذي يضرب لمن يثبت على رأيه رغم اجماع الناس على معارضته « اه فلا غرو اذا نظم فيه شاعر الفرنجة من قصيدة سماها « القيثارة الرسولية » قوله :-

اثناسيوس العظيم قلباً اضحى مليك القلوب طراً
من بولس زانه رداء فازداد قدساً ونال برأ

وباغ اعجاب الغربيين به ان نقلوا رفاته تدريجاً نحو بلادهم من الاسكندرية الى القسطنطينية فالبنديقية ففرنسا فاسبانيا وللقديس اثناسيوس مؤلفات عديدة جداً وكلها تبحت خصوصاً عن البدعة الاربوسية وما يتعلق بها وهي هذه :-

(١) رسالة ضد الامم (٢) رسالة في التجسد (٣) اربع رسائل ضد الاربوسيين (٤) خطاب ضد الاربوسيين (٥) رسالة في هربه (٦) احتجاج بعث به الى الامبراطور قسطنطين الكبير (٧) تاريخ البدع الاربوسية والمانيكية (٨) كتاب في تجسد الكلمة (٩) رسالة جامعة الى الاساقفة (١٠) رسالة في قوانين مجمع نيقية (١١) رسالة الى اسقف مصر وليبية (١٢) اربع رسائل الى سيرابيون (١٣) رسالة مجمعي ارميني وسلوكيه المحليين (١٤) رسالة الى روفس (١٥) رسائل الى اهالي انطاكية (١٦) جدول الاسفار الالهية . وله ايضاً رسائل في الخطيئة غير المغفورة وفي سفر المزامير وغيره من اسفار العهد القديم وكذلك تنسب اليه سيرة انطونيوس الاناسك والآن نأتي بذكر بعض ما اثبتته العلامة ستانلي من نودار البابا اثناسيوس واقواله وآرائه ننقله ملخصاً :- (١)

قيل انه سئل عن رأيه في عماد الاشخاص وهم على فراش الموت فأجاب بهذه الاستعارة المفحمة « لقد قال أحد الملائكة لسلف سلفي (أي البابا بطرس خاتم الشهداء) لم ترسل الي هذه الخرائط محكمة الختام وهي خالية خاوية لاشيء فيها؟ » وكان ماراً ذات يوم في إحدى ساحات الاسكندرية فلقى دهماً من غوغاء الوثنيين وحدث ان غراباً كانت طائراً ينمق من فوقه وهو مار فسأله الغوغاء سخريه ومزحاً ماذا يقول الغراب فضحك اثناسيوس من وراء كفه ثم التفت اليهم مجيباً بقوله (ألا تسمعونه يقول لكم « غاق غاق غداً غداً » فهو يندركم بشر لاحق بكم غداً اذ يصدر الامبراطور أمراً رسمياً بمنع اقامة عيدكم الوثني) وفعلتم في الغد ما أنبأهم به من قبل حتى بهتوا ولم يدروا كيف أتاه العلم بتعطيل عيدهم

أما الآراء المسيحية التي كان له الفضل في الدفاع عنها وحفظها سالمة فمنها: -
(١) كانت عقيدة اريوس التي تقول بفصل الآب عن الابن مأخوذة عن مبادئ تؤدي الى تعدد الآلهة أو بالحري اعتقاده ان المسيح من جملة المخلوقات جعل عبادته وثنية محضة فقاوم البابا اثناسيوس هذه البدعة معتبراً ان اتحاد الابن بالآب ضروري لفهم الاعمال الالهية على الوجه الافضل
ولما كانت في الكتاب ما يدل على عدل الآب ورحمة الابن اهتم البابا اثناسيوس ليزيل كل اعتراض بالتوفيق بين العدل والرحمة . على ان رأيه الاساسي كان ان « الفدا » نشأ عن الحب الغير المنقسم الصادر من الآب والابن على السواء لارجاع الانسان الى الاتحاد بالله

(٢) وكان من رأي اريوس عدم امكان فهم ما يختص بالله الغير المحدود بعقل الانسان المحدود حتى انه قال « ان الله غير مدرك ليس من الناس وخدم بل ايضاً من نفس الابن الوحيد المولود » (١) فنهض البابا اثناسيوس منادياً بكمال الآداب والطبيعة الالهية معلماً ان الكمال الالهي انما يتمثل امامنا وتعرف به في صورة الكمال البشري

(٣) وكان اريوس يعتقد بوجود ذوات أخرى تجمع بين بعض صفات الله

(١) فيلوستورجيوس ٢ : ٣

وبعض صفات الانسان دون البعض الآخر فانتقل بذلك الى الاعتقاد بدين يخالط ما بين المسيحية والخرافات الوثنية فاثبت البابا اثناسيوس ان الدين ينحصر بين اثنين فقط الله والانسان وحفظ المسيحية ببساطتها من تلاعب أهل البدع

(٤) وكان يذهب البابا اثناسيوس الى اعتبار الانجيل الاربعة متفوقة عن باقي اسفار الكتاب المقدس اعتقاداً منه بان سر التجسد يتطلب ذلك . وهذا التفوق لا يعتبر امتيازاً كما توهم البعض بل اظهاراً لان سر التجسد هو النقطة الجوهرية في الديانة

وكان في أوائل القرن الرابع ان قام خلاف بسبب اسفار الانجيل فوضع البابا اثناسيوس جدولاً بالاسفار الصحيحة الموجودة بيننا الآن وسارت كنائس الشرق والغرب على ترتيبه وسقطت الاسفار المزورة

ومن محاسن أعمال البابا اثناسيوس وفضائله وتسامحه العجيب ما يأتي :-

(١) ألف بين المتوحدين الذين كانوا يعتبرون التزهد التعبدي أفضل من أصول الدين وبين الرهبان الذين كانوا يعتبرون هذه أفضل من ذلك فكان يجتمع بالطرفين وقال غريغوريوس التريزي انه كان يبرهن للمتوحدين على ان الدين يستطيع ان يكون فلسفياً ويعلم الرهبان بان الفلسفة في حاجة لارشاد الدين

(٢) وبما وضعه من القوانين في مجمع نيقية ان لا يرسم اسقف بأيدي أقل من ثلاثة أساقفة وحدث ان اسقفاً توسم الكفاءة في شاب فرسمه اسقفاً فلم يشأ البابا اثناسيوس ان يتمسك بحرفية المبدأ عند ما تأكد من كفاءة الاسقف الموسوم بل زاد ان رقاہ مطراناً

(٣) ومع انه اول من وضع كلمة (أومؤوسيو س) أي « مساو في الجوهر » وقد كان هذا التعبير محبوباً لديه للغاية ولبت يعلم به طول حياته وكان قد اقنع مجمع نيقية بضرورة استعماله الا انه اضطر ان يترك استعماله لما رأى كثيرين يسيئون فهمه

(٤) وعقد البابا اثناسيوس مجمعاً عاماً سنة ٣٦٣ م للبحث في أمر الدين كانوا قد ضلوا مع الاريوسيين وأتوا الآن خاضعين نادمين فحكم بقبولهم ووافق الكل على حكمه

وفي هذا المجمع عمل على حسم الخلاف العظيم الشأن الذي قام حينئذ بين اللاتين واليونان على بعض الفاظ فكان اللاتين يستعملون لفظة « ايوستاتيس » بالمعنى الذي وردت به في قانون الايمان النيقاوي أي كمرادف للفظة « أوسيا » ويترجمونها بلفظة الجوهر Substantia التي هي ترجمة حرفية للفظة الاصلية « ايوستاتيس » أما اليونان فكانوا بدأوا يستعملون هذه اللفظة بمعنى « ابروس أوبون » أي « شخص وذات » ودعوا اللاتين سابليوسيين (أي مغربي الاقانيم على مذهب سابليوس) وفي الوقت نفسه اتهم اللاتين اليونان بانهم اريوسيون. واقترح بعضهم ازالة للخلاف ان تستعمل اللفظتان معاً

فلما رأى البابا اثناسيوس نيران هذا الخلاف تستعرج جمع بين الفريقين وخاطبهما بشفقة مبيناً لهما صحيح المعنى المقصود فاذا كلا الفريقين متفق معه فيما اراد فلما أنس منهما ان لا اختلاف بينهما أجاز لكل منهما اختيار ما يشاء من الالفاظ بعد ان قيدهما بما يراد به من الحقائق

(٥) وآخر فضائله انه قام بنصرة القديس باسيلوس الذي كتب اليه يستغيث به من شعبه الذي يعده من اهل البدع فارسل البابا اثناسيوس خطاباً لاهل آسيا الصغرى يقول « ان الذين يتهمون القديس باسيلوس يعذبون انفسهم لغير داع الا انه قد تنزل لضعف الضعفاء فعدوا انفسكم سعداء اذا تولى رعايتكم مثل هذا الرجل الممتليء حكمة وصدقاً » اه وقد كان القديس باسيلوس يشتهي ان يرى من أحسن اليه ولكن حالت الايام دون امنيته فكتب يصفه عن بعد ملقباً اياه بصموئيل الكنيسة ومثله بمنارة فاروس بالاسكندرية مشيراً بذلك الى انه كان نوراً وهدى للكنيسة في عصره وستكون تعاليمه نبراساً لها في مستقبل عصورها

(٥) بطرسي ٢ - البطريرك الحادي والعشرون. كان تلميذاً للبابا اثناسيوس

الرسولي فتهذب بعلمه وتمثل بقداسته حتى رآه معامه جديراً بالارتقاء الى رتب الكهنوت فرسمه قساً ونظمه في سلك الكهروسه وبمد ذلك سامه أسقفاً وكثرة ثقته بعلمه وتقواه أوفده الى سورية سنة ٣٧٢ م لمقاومة انتشار البدع فيها

بالاشتراك مع القديس باسيليوس الكبير أسقف الكبادوك في ذلك الجهاد .
ولما شعر القديس اثناسيوس بقرب حلول الاجل أوصى بتعيينه خلفاً له فاطاعة
لامره ولمعرفة الشعب بما كان متصفاً به من الفضائل أجمعوا على انتخابه ورفعوه
الى الكرسي المرقسي في شهر بثوونه سنة ٩٠ ش و ٣٧٣ م في عهد فالنس قيصر
وكان معلمه اثناسيوس قد غرس بثوواده أصل الكراهة للهرطقة ففسج على
منواله في محاربتهم الامر الذي ذكر الاريوخسين بانخذاهم المتوالي امام القديس
اثناسيوس فهاج لذلك هياجهم وقامت قيامتهم على البابا بطرس ووشوا بحقه لدى
الملك فالنس الاريوخسي بانه لا يستحق أن يكون بطريكاً للاسكندرية فصادف
قولهم ارتياحاً من فالنس ولشدة تغيظه من أن المصريين انتخبوا لهم بطريكاً حسب
اختيارهم أراد أن ينتقم منهم في شخص بطريكهم

وكان يوجد رجل مصري اريوسي يدعى لوسيوس نال رتبة الاسقفية بطريقة
غير قانونية خارج القطر المصري وقد طمع في الاستيلاء على الكرسي المرقسي
في عهد البابا اثناسيوس وقدم للاسكندرية لنوال بغيته ولكن ما كاد يصل الى
بيت أمه حتى انتشر جوله الارثوذكسيون كالجراد وحاولوا الفتك به لولا ان
والى مصر أنقذه من أيديهم وطرده الى خارج القطر المصري لينجو بحياته

فهذا الشقي لما رأى ان فالنس صدق نعمة الاريوخسين ضد البابا بطرس انتهمز
هذه الفرصة لقضاء مأربه فرضى به الملك بديلاً للبطريك الاسكندري وفي الحال
أرسل الى بلاد يوس والى مصر الاريوخسي بأمره بنفي البابا بطرس ليأخذ مركزه
لوسيوس الهرطوقى . وسار لوسيوس الى مصر وخوفاً من هياج الشعب عليه
أرسل معه القيصر جيشاً جراراً تحت قيادة ماجينوس أمين خزانة المملكة
وأوزوبوس بطريك انطاكية الدخيل وهجم القائد على الكنيسة التي كان فيها
البابا بطرس رجاء اغتياله ففر البطريك هارباً واختفى في قصر خرب قريب من
شاطىء البحر وهناك كتب رسالة رعوية لم تزل باقية الى الآن يصف فيها هذه
الحوادث التي وقعت يومئذ

وكان داماسوس اسقف رومية قد أتعد رسولا من قبله الى الاسكندرية
يحمل رسائل سلام ومحبة الى البابا بطرس فعند وصوله قبض عليه الوثنيون

وسجنوه ايدشتغل في المناجم واذا رأى البطريرك الاسكندري انه لا فائدة لرعيته من استسلامه للهلاك حول وجهه شطر مدينة رومه ليختفى فيها من وجه الشر ووصل اليها سنة ٣٧٤ م فقابله اسقفها داماسوس بما يليق به من الاحكام واستضافه عندد خمس سنوات كاملة

وكان ذهاب البابا بطرس الى روميه من حسن حظ كنيستها اذ انه حرك الاسقف الروماني على أن يعقد مجماً مكانياً يحرم فيه بدع ابوليناريوس ومارسيل ومكدونيوس لينفى عن كنيسة رومية شبهة موالاتها للهراطقة. فحضر داماسوس لمشورته وعقد ذلك المجمع سنة ٣٧٨ م وحرمت تلك البدع وكان القديس ملاتيوس اسقف انطاكية قد اجتمع وقتئذ بتلك المدينة هو و١٤٦ اسقفاً شرقياً فبعث لهم داماسوس بقرار ذلك المجمع فصادقوا عليه جميعهم . فالفضل في تطهير كنيسة رومية من البدع حينئذ راجع الى الكنيسة الاسكندرية الا انها فتحت صدرها للخرافات والبدع بعد انفصالها عن تلك الكنيسة المجيدة مركز الارثوذكسية وخزانه التعاليم الرسولية

أما لوسيوس الاريوسي الاسقف الدخيل فحضر بمن معه من الجنود الى الاسكندرية ودخل اليها دخول الظافر المنتصرفاً كرم والي مصر وقادته وساعده على اختطاف الكرمي المرقسي اختطافاً وجلس عليه بالقوة رغم ارادة الشعب الذي أبى مطلقاً أن يعترف بهذا اللص رئيساً عليه . وهجر الارثوذكسيون الكنائس مفضلين الاقامة بمنزلهم على الصلاة خلف الهراطقة . ولما نصحتهم القائد وأبوا قبول نصيحته اضطهدهم بشدة

غير ان الشعب . مع كل ما حل به من الويلات لم ينفك طالباً عزل لوسيوس الدخيل واعادة بطريركهم وأساقفتهم المنفيين وكانوا اذا رأوه يقولون له « انك يا لوسيوس تحارب الله باضطهاد قديسيه » وفي شهر مايو سنة ٣٧٨ م اذ كان الملك فالنص مشغولاً بمقاتلة سكان شمالي أوربا رجع البابا بطرس من رومية الى الاسكندرية لما رأى لوسيوس بدون سند ولا عضد . وحالما وصل الى مقر كرسيه قام الارثوذكسيون على لوسيوس وطرده خارج الاسكندرية وأجلسوا بطريركهم الشرعي على كرسيه ثانية . فاشتكى لوسيوس الشعب الاسكندري الى فالنص ولكن

هذا لم يلتفت اليه لانهما كه في الحرب ثم قتل الملك الاريوسى في السنة ذاتها
نحابت آمال لوسيوس

ولما رأى الملك ثيودوسيوس الذى خلف فالنص ان كنيسة القسطنطينية
قد تأخرت وانحط شأنها بسبب اهتمام ملوكها باضطهاد الارثوذكسين أناط
البابا بطرس القبطى باصلاحها وذلك لثقة الملوك العظمى في رؤساء الكنيسة
القبطية . فاستمر البطريرك الاسكندري مدة يعالج امراض كنيسة القسطنطينية
وبعد ذلك كلف صديقه البار غريغوريوس النزيني بالاهتمام بها فلبى طلبه وبدأ
باتمام عمله . ورفع مسيحيو القسطنطينية عريضة لاغريغوريوس ممهورة بامضاء
عدد كبير من الاساقفة ومصديق عليها من بابا الاسكندرية يطلبون فيها ان
يأتي اليهم لاصلاح كنيستهم فقبل الطلب وجاء الى القسطنطينية ورسم عليها
بطريركا واهتم باعادة مجد الكنيسة اليها ومع انه رفض كثيراً أن يرتقى الى رتبة
الكهنوت ولكنه قبل اكراماً لخاطر صديقه البابا بطرس

غير أن مكسيموس الكلبي وهو رجل ردىء السلوك تظاهر بالصدقة
لاغريغوريوس وكان غرضه ان يدس له الدسائس لينال منه كرسي بطريركية
القسطنطينية . وفعلا جاء الى الاسكندرية وأخذ يستعمل حيلته ومكره عند البابا
بطرس ليحول نظره عن غريغوريوس ويقيمه بدله وكانت مكسيموس يصف
غريغوريوس بكل الصفات المذمومة فلبساطة البابا بطرس واخلاصه صدق
وشاياته وأرسل وفداً الى القسطنطينية ليقوم بزيارة مكسيموس . وحال وصول
الوفد كان غريغوريوس مريضاً ولكن تقواه أجبرته على أن يذهب الى الكنيسة
ليشترك مع المختلفين برسامة مكسيموس الذى لازال يعتبره صديقاً له . ولكن
مسيحيي القسطنطينية طالما شعروا بالامر رفضوا قبول مكسيموس وثاروا عليه
وطردوه من المدينة . فسار الى القيصر وتظلم لديه لكي يعيده الى مركزه فلم يصغ
لشكواه فأتى البابا بطرس وطلب منه أن يستخدم نفوذه في اعادته . وكانت أخبار
صفاته السيئة قد وصلت الى مسامع البابا فلم يشأ أن يساعده بل طلب من الوالي
أن ينفيه فنفاه

واستمر البابا بطرس بعد ذلك مواظباً على رعاية شعبه كوكيل أمين حتى أتم

جهاده وتنيح في ٢٠ امشير سنة ٩٧ ش وفي شهر فبراير سنة ٣٨٠ م

(٦) تيموثاوس ١ - البطريرك الثاني والعشرون . جلس على الكرسي

الاسكندري بعد بطرس أخوه تيموثاوس في شهر برمات سنة ٩٧ ش و ٣٨٠ م في عهد ثيودوسيوس قيصر وقيل انه كان يلقب بالفقير وذلك لانه وزع كل ما يمتلكه من حطام الدنيا . ومن أمره انه كان تهنيداً للبطريرك القديس اثناسيوس الرسولي وشاطره في كثير من اتعابه ومصائبه . وهو الذي فضح مكيدة الاريوسيين للقديس اثناسيوس في مجمع صور وذلك عند ما أتى الاريوسيون بالمرأة الزانية لكي تتهم اثناسيوس بانه اغتصب بكارتها فوقف امامها تيموثاوس واوهما بانه هو اثناسيوس مما سجل على المرأة الكذب وعلى محرضيها الخجل

ولم تكن اتعاب هذا البابا بأقل من اتعاب سالفه فانه كان مشتركاً مع أخيه البابا بطرس في معظم اعماله وكان عضواً في مجمع الاسكندرية الذي كان يقوم بتدبير شؤون كنيسة القسطنطينية . وله عمل شريف في المحافظة على قانون المجمع النيقاوي بدون زيادة أو نقص وذلك فان الكنيسة القديمة لم تسلم الا بالعشرين قانوناً النيقاوية ولكن أساقفة رومية اجتهدوا في القرن الخامس ان يعتبروا بعض قوانين مجمع سرديكا كقوانين مجمع نيقية فقاومهم عند ذلك اساقفة افريقيا وارسلوا الى بطاركة الاسكندرية وانطاكية والقسطنطينية يطلبون نسخاً كاملة لكل القوانين النيقاوية المعروفة عندهم فنسخ البابا تيموثاوس العشرين قانوناً الاصلية ووزعها على كل الكنائس معلماً بان الكنيسة لم تقبل الا هذه العشرين قانوناً

وقد ابتداء جهاد هذا البابا بعد ذلك فانه ما كادت الكنيسة تتطهر من وباء بدعة اريوس حتى ظهرت هرطقة أخرى قام بنشرها مكدوننيوس النصف الاريوسي بطريرك القسطنطينية ومؤداها انكار ألوهية الروح القدس . فانهقد بسببها المجمع القسطنطيني (المسكوني الثاني) سنة ٣٨١ م كما سيأتي وحضره البابا تيموثاوس ورهط من اساقفته واشترك مع أعضاء هذا المجمع في القضاء على تلك البدعة وحرموا ايضاً اناساً آخرين لعقائد أخرى شنيعة تظاهروا بها في المسيح

وكان لكرسي الاسكندرية المركز الاول بين كراسي المسكونة أجمع ولكن لما أخذ هذا المجمع في ان يجعل هذا الكرسي في الدرجة الثانية بعد رومية والقسطنطينية التي دعيت « رومية الجديدة » مراعاة لخاطر ملكي رومية والقسطنطينية اللذين ارادا رفع شأن اسقفيتي عاصمتيهما. انسحب البابا تيموثاوس هو واساقفته من المجمع وعاد الى مصر احتجاجاً على تصرف المجمع المخالف لتصرف الكنيسة بالاجماع مدة نحو اربعة قرون

ورجع البابا تيموثاوس الى الاسكندرية وصرف ما بقي من حياته في اتمام ما رآه واجباً عليه عمله فكتب تاريخاً لحياة كثيرين من القديسين ووضع قوانين للكهنة وفي أيامه بنيت عدة كتائس واستتب جماعة كثيرة من مقالة اريوس ثم رقد في الرب في ٢٦ ابيب سنة ١٠٢ ش و ٣٨٥ م

(٧) ثاوفيلس - البطريرك الثالث والعشرون. روى عنه يوحنا النيقاوي

المؤرخ القبطي انه ولد من أبوين مسيحيين في مدينة ممفيس وتيم منها وهو طفل وله أخت صغيرة فقامت بتربيتهما جارية حبشية وثنية كانت لابويهما. وحدث أنها ذات ليلة أخذتهما معها الى الهيكل لتؤدي فروض العبادة الوثنية فحال دخولها سقطت الاصنام الى الارض وتحطمت. فغرت بهما الجارية خوفاً من انتقام كهنة الوثنيين واختفت قليلا ببلدة نيقوس ثم جاءت الاسكندرية. وقد دبرت العناية الالهية أن تأخذهما الى كنيسة مسيحية لكي تتعرف هذا الدين الذي طرقت شهرته كل أذن. فولجت باب كنيسة القديس ثاؤنا وجلست بازاء كرسي القديس اثناسيوس الذي لما رآها مع الطفلين أمر بابقائهم حتى تنتهي الخدمة. ثم استخبرها البطريرك عن حقيقة حالها ولما قصت عليه خبرها ردها الى الديانة المسيحية وأخذ منها الطفلين ووضعها تحت عنايته الخصوصية. ولما كبرا قليلا وضع الفتاة في دير لبثت به الى يوم زواجها برجل من بلدة المحلة (غربية) وفيها ولدت كيرلس الذي صار فيما بعد خلفاً لحاله ثاوفيلس

أما ثاوفيلس فنظمه القديس اثناسيوس في سلك تلاميذه فما عالماً تقياً ولما شوهد فيه من الحدق والنشاط اختاره معلمه كاتماً لاسراره بعد أن رقاها الى درجة

الكهنوت . وبعد وفاة معلمه استمر في مدينة الاسكندرية يخدم في كنائسها الى أن رقد البابا تيموثاوس فانتخب بطريركا مكانه بالاجماع في شهر مسرى سنة ١٠٢ ش و ٣٨٥ م في عهد ثيودوسيوس قيصر لما رآه فيه الشعب من حسن السيرة وعظيم الغيرة على دين المسيح مما جعله موضعاً لثقة ثيودوسيوس الملك الارثوذكسي الذي أمر بتعميم الديانة المسيحية في كل مكان واعتبارها الديانة الرسمية للمملكة الرومانية .

ومما يدل على ثقة هذا الملك بالبطريرك الاسكندري تكليفه اياه بان يصلح ما وقع من الخلل ثانية في مسألة عيد الفصح فانه في سنة ٣٨٧ م صار الفرق بين العيد المصري والعيد الروماني مدة خمسة اسابيع كاملة . فوضع البابا ثاوفيلس تقويماً للاعياد لمدة ٤١٨ سنة ووضع جدولاً يحتوي على الايام التي يقع فيها عيد الفصح لمدة مائة سنة ابتداء من سنة ٣٨٠ م ولا تزال صورة هذا التقويم باقية الى يومنا هذا وفيها أوضح البطريرك بان السيد المسيح صلب في اليوم الخامس عشر من شهر نيسان (ابريل) لاني الرابع عشر منه . ثم وضع هذه القاعدة وهي : - « اذا كان اليوم الرابع عشر من الشهر القمري يوافق يوم الاحد فعيد الفصح يتبعه باسبوع » اهـ

ثم ان البابا ثاوفيلس دخل يوماً يصحبه بعض الرهبان الى بستان للقديس اثناسيوس فتذكر انه كان يأكل مرة مع معلمه هذا وهو كاتم أسرار له وقال له القديس انه يشتهي أن ينظف الاكوام التي رآها ويبنى في موضعها بيعة على اسمي اليسع النبي ويوحنا المعمدان فتحدث بذلك كثيراً فسمعتة امرأة كانت قد أتت من رومه بعد وفاة زوجها ومعه ولداها وصورة الملاك روفائيل فتحركت بغيرة الهية وقدمت الاموال اللازمة لتنظيف الاكوام وبعد اتمام العمل ظهر كنز مغطى ببلاطة قد نقش عليها ثلاث ثينات (جمع حرف ثيتا القبطي) اشارة الى (ثاوس) أي الله و ثيودوسيوس أي الملك و ثاوفيلس أي البطريرك وقد استدل مما كتب على البلاطة ان ذلك الكنز يرتقى الى عهد الاسكندر الاكبر المكدونى فاخبر البطريرك الملك ثيودوسيوس بأمر الكنز فقام الملك الى الاسكندرية بنمسه وعابن الكنز ثم اقتسمه بينه وبين ثاوفيلس . فأنشأ البطريرك بنصيبه

كنيسة في جانب البستان وكنائس حجة على اسم السيدة العذراء والملاك روفائيل في جهات مختلفة بالاسكندرية. ثم شاد جملة أديرة منها « الدير المحرق » (١) ورسم ولدي المرأة فيما بعد أسقفين

وكان القديس اثناسيوس قد تذبذباً عن تلميذه ثاوفيلس قائلاً « انه سيكون مطرقة قوية لهدم معابد الوثنيين » فبدأت هذه النبوة تم عند مارأي هذا البابا ان المسيحيين في مصر قد كثر عددهم وقل عدد عبدة الاصنام ونجم عن ذلك ازدحام شديد في الكنائس أثناء احتفالات النصراري في أعيادهم رغمًا عما جرده من الكنائس فخطر له بعد استشارة أعيان الشعب أن يخاطب الملك ثيودوسيوس لكي يستصدر منه أمراً بتحويل معابد الاصنام المهجورة الى كنائس. فوهبه القيصر جميع هياكل الوثنيين ليستولى عليها ويتصرف فيها كما يريد وأمر والي مصر ايواجريوس أن يساعده بقوته اذا تعرض له احد (٢)

فبدأ البطريرك سنة ٣٨٩ م بهدم اطلال هيكل دارس خاص بباخوس (اله المحرق) في الاسكندرية وبنى مكانه بانقاضه كنيسة باسم الملك ثيودوسيوس وبينما كان البناء قائم بالبناء عثروا على تماثيل قبيحة الشكل عرضها البابا ثاوفياس للفرجة اظهاراً لقبح الديانة الوثنية. فتهيج لذلك الوثنيون وقد زادهم غضباً عليهم بان ديانة المسيح ترتفع على اطلال دياناتهم. فاعتصبوا على المسيحيين بقيادة الفيلسوف أولمبيوس وفتكوا بكثيرين منهم وكانوا يقتلون كل من رأوه ماراً بالشوارع حتى اضطر الوالي أن يخاطب الملك عما يعمله تلقاء هذه الحالة. فرد هذا عليه بان المسيحيين الذين قتلوا يعتبرون شهداء ولذلك ينبغي مسامحة قاتليهم من الوثنيين فلما رأى أهل الاسكندرية ذلك ثارت ثورتهم على الاقلية الوثنية منهم

(١) سمي المحرق لوجوده بقرب حوض زراعي اشتهر بالحوض المحرق وذلك لتضروب المياه منه قبل غيره من الحياض

(٢) يلاحظ في هذا المقام ان كثيرين يتهمون البابا ثاوفيلس بالتعمدي على حرية الاديان لهدم معابد الوثنيين واكن يلاحظ ايضاً انه لم يقدم على ذلك الا لما رآها مهجورة لا تجري فيها عبادة فان قسطنطين الملك كان قد ابطل الذبائح الوثنية خصوصاً التي كانت تجري تحت جنح الظلام لانها كانت ذبائح بشرية تتمبر كقتل وجنابات فظيمة. فضلاً عن ذلك فان معابد اليهود كانت موجودة ومع ذلك لم يتعرض اليها البطريرك لانهم كانوا يقومون فيها عبادتهم. اهـ

فتحصن هؤلاء في هيكل سيرا بيوم وأخذوا يداقعون عن أنفسهم ويصدون هجمات الجماهير العديدة التي قامت ضدهم . وكان هيكل سيرا بيوم هذا على جانب عظيم من المتانة والاتساع وكان مبنياً على قمة تل يصعد إليه بسلم يبلغ مائة درجة وكانت حجارتها من الرخام والمرمر وحيطانه من داخل مغطاة بالنحاس والفضة والذهب . وفي وسطه ردهة واسعة وتحت سراديب وطرق سرية وهو مقسم الى غرف يختص بعضها بالكهنة وبعضها بالمصلين وبعضها بالضيوف وفيه مكتبة كبرى ففي هذا الصرح الشامخ تحصن الوثنيون وكانوا كلما شاهدوا مسيحياً قريباً منهم قبضوا عليه وجذبوه عندهم وعذبوه لكي يبخر لاصنامهم واذا أبي كانوا يقدمونه ذبيحة وقد افتخر بعد ذلك هيلاريوس كاهن الاله جوبيتير بانه ذبح مرة بيده تسع ذبائح آدمية على مذبح الاصنام الكاذبة . ولما ازدادت تعدياتهم نصحهم الوالي بالحسنى ليكفوا عن شرهم ولكن أولمبيوس قائدهم كان يغيرهم بقصاحته على عدم التسليم . ولما لم يدعنوا اضطر القائد أخيراً يشهر أمر الملك القاضى بهدم هيكل سيرا بيوم . فوقع الرعب في قلوبهم وتركوا الهيكل تحت جناح الظلام وتفرقوا أيدي سباً . فلما علم ذلك الوالي والبطريرك أتيا باحتفال عظيم لكي ينقضا هذا الهيكل وكان آخر ما بقى من آثار الديانة الوثنية

وكان فيه صنم كبير جداً يدها ممتدتان من الحائط الواحد الى الآخر وهو مصنوع من الخشب ومغطى بالمعادن ومطعم بحجارة كريمة وقد اسود لونه لتقدم عهده اذ كان موضوع اجلال المصريين مدة ٦٠٠ سنة وكانت تخرج منه أصوات لا يعرف مصدرها فكانوا يعتبرونها دليلاً على عظمة هذا الاله الكاذب . فلما تقدموا لتحطيم ذلك الصنم خاف بعضهم اذ كانوا لا يزالون مصدقين بخرافات أجدادهم ووقفوا جامدين ظانين انه اذا كسر هذا الصنم يخرب العالم ولكن البطريرك أمر جندياً باجراء العمل حالا ورفع يده وضرب الصنم ضربة أزعجت جميع المشاهدين كأن عدواً قوياً فاجأهم . ولكنه على أثر ضربة أخرى انكسرت بها رأس الصنم تحول خوفهم الى ضحك عند ما رأوا انه قد خرج من جوفه جملة فيران كانت معشقة فيه وحينئذ تقدم الآخرون وأكلوا تحطيمه وأحرقوه وذرروا رماده في الريح ونقضوا جميع أبنية هذا الهيكل وبنوا فوقها كنيسة

احداها شيدت في مكان معبد ايزيس وسميت باسم الملك هونوريوس والاخرى
أقيمت على اطلال معبد سيرابيس وعرفت باسم الملك اركاديوس
وقد كتب سقراط المؤرخ الكنسي فيما بعد عن ذلك الهيكل ما يأتي —
« عند ما تهدم هيكل سيرابيس وأصبح أنقاضاً بالية وجدت كتابة منقوشة على
حجارته باللغة الهيروغليفيه لها شكل صليب وهيئة تماماً. فلما رآها المسيحيون
والوثنيون قال كل فريق منهما ان هذه اشارات ودلائل من ديانتنا خاصة بنا
دون الغير ذلك لان المسيحيين يعتقدون ان الصليب علامة الفداء وتذكارا للخلاص
الذي عمله المسيح للجنس البشري ولذلك قالوا ان هذه الاشارات التي وجدت
على الحجارة تدل على ديانتهم وتنبىء بها. أما الوثنيون فقالوا لا يبعد أن تكون
هذه العلامات دلائل على المسيح وسيرابيس في آن واحد وذلك لانها مشتركة
بين المسيحيين من حيثية الشكل وبين الوثنيين من جهة الكتابة والحفر. وبينما
كان الطرفان يتباحثان ويتجادلان في هذا الشأن ظهر لهم وثني اعتنق الديانة
المسيحية وكان ملماً بمعرفة الهيروغليفيه عارفاً باللغة المصرية القديمة فترجم لها
هذه الكتابة الموضوعه بشكل صليب واذا هي « الحياة الآتية » فلما سمع
المسيحيون هذه الترجمة قالوا لم يبق بعد دليل على انها تشير الى ديانتنا وانها وضعت
لتنبىء عنها. ثم ظهرت كتابات أخرى باللغة المصرية أوضحت معنى شكل الصليب
هذا ايضاً تماماً ومعناها « انه عند ما يبتديء الناس يعيشون العيشة الجديدة
(أى يصيرون مسيحيين) فلا بد من سقوط هيكل سيرابيوم » فلما طرقت هذا
القول مسامع الوثنيين اقتبل الكثيرون منهم الديانة المسيحية معترفين بخطاياهم
تائبين الى ربهم عما فرط منهم ثم تعمدوا بمعمودية التوبة الصحيحة « اه
وكان لنهر النيل مقياس محفوظ في هيكل سيرابيوم من عهد حكم البطالسة
وقد نقله قسطنطين القيصر الروماني الى كنيسة الكبرى سيزاريوم ثم أعيد الى
هيكل سيرابيوم بأمر يوليانوس الجاحد. ولما هدم هذا الهيكل حمله المسيحيون
باحتفال عظيم الى كنيسة بما حدا بالوثنيين لأن يتنبأوا بغیظ بان الآلهة ستنتقم
منهم بانقاص مياه النيل جزاء اهانتهم لها. واتفق ان النيل في تلك السنة لم يرتفع
الى معدله فظن ضماف العقول من الوثنيين أو المسيحيين ان ذلك نتيجة انتقام

الاله سيراييوم وأخذوا ينتقمون على البطريرك والوالي فنكتب هذا الى القيصر يخبره بالامر فرد عليه قائلاً « اذا كان النيل لا يفيض الا بواسطة السحر أو الرقى أو بذيخ الدبائح وتقديم المحرقات للاوثان فخير له أن لا يفيض وأن تبقى مصر ظلمة الى الأبد »

وقد ذهب البابا ثاوفيلس بعد ذلك الى القسطنطينية مرتين الاولى في سنة ٣٩٤ م ليحضر مجماً عقد لفحص بعض المسائل ولحضور الاحتفال بتشييد كيسة كبرى بنيت على اسمي الرسولين بطرس وبولس . وذهب ثانية في سنة ٣٩٨ م ليقوم القديس يوحنا فم الذهب بطريكاً على كرسي القسطنطينية وعاد الى كرسيه وفي سنة ٣٩٩ م قصد البابا ثاوفيلس ان يضع حداً للخلاف الذي كان قائماً بين يوحنا اسقف اورشليم وهو من رهبان وادي النطرون وبين اورنيموس وكان الخلاف بسبب العلامة اوريجانوس فرد اورنيموس بحجاب جاف على البابا ثاوفيلس يقول « انك لم تعرف كيف يكون الجدل والمناقشة لانك تعيش مع رهبان يجلون قدرك ويرفعون مقامك »

وكانت حياة البابا ثاوفيلس فيما بعد ذلك مملوءة بالقلق والاضطرابات . وقد بدأت اتعابه بسبب بدعة انتشرت بين رهبان سكيتي كان رأسها أفوديوس من بن النهرين مؤداها ان الله ذو صورة بشرية وذو أعضاء جسمية . وفي نفس تلك السنة نشر البطريرك رسالة عيد الفصح السنوية فاغتاظ اولئك الرهبان من عبارة وردت فيها وهي قوله « ان الله روح لا يدركه الفهم وليس هو مجرد انسان يقع تحت الحد والحصر » اه فهاج لذلك هياجهم على البطريرك لما رأوه يخالفهم في الاعتقاد وترك اكثرهم صوامعهم و جاؤا كجيش جرار الى الاسكندرية وعزموا على الفتك بالبطريرك حالما يقع بصرهم عليه واحتشدوا حول داره وهم يتهددونه ويتوعدونه . واذ رأى ان قلوبهم ملأى بالغیظ ولم يجد له عضداً أسرع الى مرتفع وصعد عليه وخاطبهم بعبارات رقيقة تهديء الخواطر الهاججة ومن ذلك قوله لهم « اني اذا رأيت وجوهكم أشعر كأني أشاهد الله لانكم على صورته ومثاله » فسكن ثورانهم قليلاً وكانوا يظنون ان العبارة التي أوردها عن الله في رسالة عيد الفصح اقتبسها من مؤلفات اوريجانوس ولذلك طلبوا اليه

بشدة ان يحرم اوريجانوس وكل من يطالع كتبه فوعدهم بذلك . ثم انعكف على مطالعة مؤلفات اوريجانوس اذ لم يكن قد طالعها قبلا فتبين من بعض الفاظها ما يشعر بضلاله . وفي اوائل السنة التالية شكل مجمعا حرم فيه اوريجانوس وندد بتعليمه في رسالة عيد الفصح

وكان يوجد بين رهبان جبل نيثريا (الفرما) اربعة اخوة يلقبون «بالطوال القامة» نظراً لطول قامتهم كان اكبرهم يدعى أمونيوس وهو الذي سافر مع البابا اثنلسيوس الى رومية وكان هؤلاء الاخوة من أب واحد وأم واحدة وقد اشتهروا بتقواهم الزائدة وغيرتهم الشديدة على الايمان . وكانوا للبابا ثاوفيلس خير نصير وأفضل مساعد في ما قام به سابقاً من جلائل الاعمال . لذلك رأى ضرورة مكافأتهم على خدمتهم له فعين احدهم ديوسقوروس اسقفاً لواحة هرموبوليس (المنيا والاشمونين) واستحضر لديه الباقين واقام منهم يوساب وانتيموس قيسين في كنيسة الاسكندرية . وهؤلاء الاخوة كانوا من انصار العلامة اوريجانوس المولعين بمطالعة تصانيفه . فلما رأوا البطريك قد شجب فيلسوفهم غضبوا وتركوا الاسكندرية بدون اذنه وعادوا الى قلايتهم بالدير والتجأوا الى رهبنتهم وتحزبوا معها وارسلوا وقدأ الى أحدهم ديوسقوروس اسقف هرموبوليس وطعنوا له في ثاوفيلس وفي تنعم عيشته فقبل شكواهم وتحزب معهم واصبح الرهبان منقسمين الى قسمين رهبان سكيثي الذين يعتقدون ان الله صورة بشرية ورهبان نيثريا الذين يعتقدون ان الله روح

ثم حدث حينئذ خلاف آخر بين البطريك وبين ايسوذوروس امين صندوق كنائس الاسكندرية وكانا قبلا صديقين ويظهر ان العداوة نشأت ايضاً بسبب ميل ايسوذوروس لاوريجانوس والاخوة الطويلي القامة (١) بدليل ان ايسوذوروس رجع ايضاً الى دير نيثريا وانحاز لمعضدي اوريجانوس مما حمل البابا ثاوفيلس على ان يظهر مقتته لمن خالفوه في الرأي بسبب اوريجانوس وأرسل منشوراً الى رهبان دير سكيثي يأمرهم فيه ان يتجنبوا أولئك الرهبان ثم قطع

(١) ويرى ان سبب الخلاف هو ولع البطريك بتشبيد الكنائس والاديرة وحرف اموال طائفة عليها وكانت رغبة ايسوذوروس توزيع المال على الفقراء والمساكين

استقف هرموبوليس لانه قبلهم في شركته . فارسل اليه رهبان دير نيثريلا وغداً
يرأسه أمونيوس اكبر الاخوة الطوال القامة ليحتج على تصرفه ضد اوريجانوس
فكان هذا الاحتجاج سبباً لزيادة الخلاف فرجعوا الي صوامعهم والتضرب
بملائم . وخشي البطريرك نتيجة زرع الشقاق بين الرهبان فأخذ معه الوالي
وقصد اليهم خوفاً من تعديهم عليه وذلك لكي يقنعهم ويبرهن لهم من أقوال
اوريجانوس انه مبتدع فلم يقتنع الرهبان وقللوا كنيسته الدير في وجهه
وتسلحوا بالنبايت المغطاة بسعف النخل فلما منهم ان البطريرك أتى ليقنعهم بقوة
الوالي فاستعدوا لمقاومة كل من يعترضهم وبذلك وقعوا تحت طائلة الحكم الذي
يقضي بالحرم على كل من ينحاز الى اوريجانوس

أما الاخوة الطوال القامة فلما رأوا خطر مقاومتهم للبطريرك عظيماً تركوا
القطر المصري قاصدين فلسطين وكان جماعة المسيحيين في فلسطين يرمقونهم بعين
الاحتقار والفتور لعلمهم انهم محرومون من بطريركهم ولكن بعض الاساقفة
قبلوهم ولما لامهم البابا ثاوفيلس على ذلك لم يعودوا يمتزجون بهم

وكان عدد الرهبان التابعين للأخوة الطوال القامة يبلغ الخمسين فصمموا على
الذهاب الى القسطنطينية لرفع دعواهم أمام بطريركها القديس يوحنا فم الذهب .
وفي سنة ٤٠٤ مثل أمامه أولئك الرجال وهم بثياب رثة ووجوه شاحبة بسبب مشقة
السفر فشفق عليهم وسألهم عما يطلبون فالتمسوا منه أن ينصفهم من بطريركهم أو
يرفعون دعواهم الى الامبراطور . فوعدهم فم الذهب خيراً وأعطاهم أما كن لراحتهم
وأخبرهم انه سيكتب أخاه ثاوفيلس في أمرهم . وكان حينئذ بالبلاط الملكي بعض
الكليروس الاسكندرية الذين كانوا قد جاءوا اليه لاشغال تختص بوظيفتهم . فلما
استشارهم فم الذهب في الامر حذروه من قبولهم في شركته لان بطريركهم منهم
قد حرمهم وانه اذا قبلهم بدون اذن منه يعتبر عمله اهانة له

غير أن فم الذهب كان قد قبلهم في شركته فلما أحس البطريرك الاسكندري
بذلك وبلغه ان الاخوة الطوال طازمون على رفع دعواهم للملكة افدوكسنا فلن
ان فم الذهب هو المهيج لهذه الحركة وغدا الاخوة الطوال عنده أمراً ثانوياً وعون
على معاداة فم الذهب خصوصاً عندما وصل اليه خطاب فم الذهب القائل « اني

مخضتهم باعتناء فلم أجد في اقرارهم ما يخالف الحق على أن الحزن قد استوعب قلوبهم ويخشى أن يقدموا عليك الشكاية للامبراطور فأرجو إذاً أن تصفح عنهم لينتهي الامر والا طرحت هذه الدعوى المحزنة أمام المجمع « ففضب لذلك البابا ثاوفيلس غضباً شديداً ورد عليه بفيظ قائلاً « اذا كنت لم تقف على مضمون الدستور الذي وضعه المجمع النيقاوي القاضي بعدم تداخل أسقف أو بطريرك في المسائل التي لا تنحصر ضمن دائرة سلطته فأرجوك أن تتطلع على هذا القانون وتدرسه حتى تريح نفسك من التعرض لي وتكف عن الصدام والجدال معي . أما اذا قضى علي الزمان بالمحاكمة فدوف يحا كني أساقفة مصريون لا أنت ولا غيرك ممن هم بعيدون عنا يقتضى لوصولنا اليهم أو وصولهم الينا سفر ٧٥ يوماً كاملاً »

فقرأ قم الذهب هذا الخطاب الشديد اللهجة بالرضى والاذعان وأخذ يسعى جهده في استرضاء خاطر الاخوة الطوال القائمة ولكنهم أصروا على رفع دعواهم للملكة . وذات يوم بينما كانت افدوكسيا را كبة في مرصبتها الملكية تقدم الرهبان المصريون وطرحوا انفسهم أمامها وشكوا اليها حالتهم فوعدهم بالنظر في طلبهم واستدعاء بطريرك الاسكندرية الى القسطنطينية . وكان لهذه الامبراطورة تأثير يذكر على قلب زوجها فأقنعتة بضرورة عقد جمع لمحاكمة ثاوفيلس برأسه قم الذهب . وهذا العمل يعتبر من وجهة قانونية اجحافاً بحق بطريرك الكرازة المرقسية ولهذا عندما بلغه الخبر استحكم فيه سوء الظن بقم الذهب وكتب الى ابيفانيوس اسقف قبرص الذي كان ضريباً له في شدة الكراهة لمؤلفات اوريجانوس وافهمه بان قم الذهب من انصار ذلك العلامة . فمقد ابيفانيوس مجعاً من أساقفة قبرص وحرماً من يقرأ تلك المؤلفات . ثم تبعه ثاوفيلس في عقد جمع بالاسكندرية صادق فيه على قرار جمع قبرص وأرسل قرار المجمعين الى قم الذهب الذي عرف من خلالها المكيدة التي تدبر له فقال « هذان الرجلان يريدان خلعي غير اني سأثبت في مركزي لان الله هو الذي أقامني فيه »

وفي سنة ٤٠٣ م سافر البطريرك الاسكندري الى القسطنطينية لاستقبال فيها



« القديس يوحنا فم الذهب »

باحتراف باهر من بحارة المراكب المصرية التي كانت راسية هناك حاملة ضريبة
الحنطة . وكانت الاحوال في القسطنطينية قد تغيرت وتحول قلب الملكة عن
فم الذهب بسبب تبيكيتها لها على افراطها في الخلاعة فطلبت الى البطريرك الاسكندري
أن يعقد جمعاً يحرم فيه فم الذهب ويحكم عليه بالنفي وقد تم ذلك في مجمع عقد

بالقرب من خلكيدون في مكان جميل يدعى بالسنديانة ونفي فم الذهب رغماً عن
سخط شعب القسطنطينية على ذلك الامر . غير أن الله أعاده في نفس ليلة نفيه
بسبب زلزلة كادت تقوض المدينة وترك البابا ثاوفيلس مدينة القسطنطينية راجعاً
الى الاسكندرية

غير انه بعد مدة نصبت للملكة ثيمالا لها في ساحة قريبة من كنيسة أجيا صوفيا
فكانت أصوات الطرب حول تماثيلها تختلط بأصوات المرتلين في الكنيسة ولذلك
ندد فم الذهب بهذا العمل تنديداً قاسياً فعملت مرة أخرى على التخلص منه فطلبت
من الاساقفة عقد مجمع آخر بما كمن فيه فم الذهب مرة أخرى وطلب من البابا
ثاوفيلس أن يحضر ولكنه أبى واكتفى بإبداء رأيه وهو « ان القانون الثاني
عشر من قانون مجمع انطاكية المنعقد سنة ٣٤١ م قرر ان الاسقف اذا عزله مجمع
ما لا يسوغ ارجاعه الا عن يد مجمع آخر أعظم من الاول وان الاسقف اذا التجأ
الى الامبراطور بغية رجوعه الى وظيفته بدون تبرئة المجمع له يجب عزله أبداً من
الوظيفة الاسقفية » اه و بناء على ذلك نفي فم الذهب نفيماً مؤبداً حيث قضى نحوه
في منفاه هذا

أما الأخوة الطوال القائمة فكان قد تم الصلح بينهم وبين بطريركهم وذلك
ان البابا ثاوفيلس كان قد اتهم فم الذهب في مجمع (السنديانة) بأنه حرض رهبانه على
العصيان عليه فطلب المجمع الشهود في هذه القضية فوجد ان ديسقوروس اسقف
هرموبوليس قد تنيح ولم يبق سوى امونيوس أخيه الذي حمل الى السنديانة وهو
يحتضر فلما رآه البطريرك في حالة الموت ذرفت عيناه دمعاً مدراراً من شدة
التأثر وزال من قلبه كل جناء

ولا ريب ان تاريخ البابا ثاوفيلس قد تشوه بمقاومته لفم الذهب الرجل الذي
أجمعت كل الكنائس على محبته ولكن التاريخ نفسه يخبرنا انه فيما بعد تجلى له
سوء صنيعه وشدة تطرفه ضد أخيه فم الذهب فندم على ما بدا منه ضده ثم قضى
بقية حياته في الاعمال النافعة فأضاف بعض القوانين الى الكنيسة يحتوي أحدها
على ان الاكليروس يجب أن يختارهم الاكليروس عند تعيينهم ويختبرهم الاسقف
ويختبهم الشعب بعد تمام رضائه ورغبته . ثم اشتغل في انجاز بعض الامور المهمة

بنشاط تام حتى اصابه الهزال والضعف ومات باراً تقياً كما يشهد بذلك مؤلف كتاب « الدلالة اللامعة » ص ١١٧ حيث يقول « ان ثاوفيلس قدمات باراً وانه معدود من كبار معلمي الكنيسة الجامعة » وكانت نياحته في ١٨ يابه سنة ١٢٩ ش (١) و ١١٥ اكتوبر سنة ٤١٢ م وخلف لنا تآليف جليلة مملوءة بالتعاليم المسيحية النقية وكلها تدور حول المحبة والرحمة والنصح والتناول والقيامة والعقاب والثواب . وهو اول من أطلق على الكنيسة المصرية اسم « الكنيسة القبطية »



القسم الثاني

رؤساء الرهبنة ومناهب الكنيسة

وبعض مجهوداتهم

- (١) مكار يوس المصري (٢) مكار يوس الاسكندري (٣) باخوميوس
- (٤) يوحنا (٥) يمين واخوته (٦) ديديموس الضريير (٧) تأسيس
- كنيسة مسيحية ببلاد الحبشة بواسطة انعاب المصريين (٨) نشر الرهبنة
- في العالم بواسطة بطريرك الاسكندرية (٩) نشر الدين المسيحي بين
- السودانيين والبدو بواسطة افاضل الكنيسة القبطية (١٠) بعض الذين
- وقدوا على مصر في هذا القرن لدرس نظام الرهبنة

(١) بحسب الجدول الذي وضعه الاسعد ابن العسال من علماء القرن ال ١٣ تعتبر نياحة البابا ثاوفيلس سنة ١٤٧ ش لا في سنة ١٢٩ كما ذكرنا عن الانبا ساويرس المؤرخ وذلك لان ابن العسال يذكر ان مدة رئاسة البابا ديونيسيوس ٤٠ سنة بينما يذكر الانبا ساويرس انها ١٦ فقط واسكننا سنضطر لسير بموجب جدول ابن العسال منذ الآن لانه قام وتاريخ الانبا ساويرس يقف عند القرن الثامن ولهذا لا يجب ان كنت ترى فيها بعد ان البابا كيرلس ارتقى الكرسي سنة ١٤٧ ش مع انه اخذ مكان سلفه حالاً

(١) مكاروريوس المصري - (ابو مقار الكبير) ولد بالصعيد (وقيل

ببلدة شنشور بالمنوفية) سنة ٣٠١ م من أبوين مسيحيين فقيرين هذبا على روح
النسك وكان مشتغلا في حدائقه برعاية البقر . واتفق يوماً أنه برفقة بعض أتباعه
سرقوا جانباً من التين الذي لم يأكل منه هو سوى تينة واحدة ومع ذلك انتبه
إلى زلته وعرف أنه أغاظ الله بها وأخذ يبكي ويندم عليها وبمرارة نفس كانت
يتذكرها طول حياته .

وقيل إن أبويه رأيا قبل ولادته أنه سيولد لها ولد ينتشر صيته في كل مكان
ولذا سمياه مكاروريوس أي طوباوي . ولما نشأ في القامة زواجه بغير إرادته فتظاهر
بالمرض أياماً . ثم استسمح أباه بأن يمضي إلى البرية لتبديل الهواء وشاهد كل البرية
شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وكأنه علم أنها ستكون ميراثاً له ولبنيه من بعده .
فترك كل أعماله الأولى وتمسك بأذيال الفقر وسعى جهده في اقتناء الفضائل حتى
نمي خبره إلى أسقف جهته فكرسه شماساً لخدمة الكنيسة . ولما كانت هذه
الخدمة غير ملائمة لأمياله أراد أن يهرب إلى مكان بعيد عن الأماك المأهولة
وأخذ يباشر فكرته الأولى وكان يصنع سلالاً ويعطيها لرجل صالح يبيعهما ويأتيه
بمعنهما ما يقتات به . ومن أظهر صفاته التواضع والوداعة حتى إن الشيطان حسده
وحرك عليه بعض الأشرار فاتهموه بصنيع فعل الدنس مع عاهرة وضربوه بقساوة
وجروه في الشوارع مستهزئين به ولسكنه لم يفتح فاه كخلصه بل صبر على كل
ما أصابه . والأب باع من ذلك أنه لم يرفض ما ألزم به وهو أنه يعول تلك المرأة
بتقديم الدراهم اللازمة لمعيشتها مدة حبسها في صنع السلال وكان يخاطب ذاته
عندما يستحوز عليه الكسل قائلاً « اشتغل بنشاط يا مكاروريوس فقد صارت لك
امرأة » ولما دام المرأة الطلق تعذبت جداً واضطرت أن تعترف ببراءة مكاروريوس
مما اتهمته به فذهب إليه الذين أهانوه وطلبوا منه الصلح عن أذيتهم له

أما هو فخوفاً من أن يجلب له حسن تصرفه كرامة واجتراماً من أولئك
الناس هرب من ذلك المكان وتوجه إلى صحراء ليبيا بيرية الاسقيط بوادي
النطرون وكان قد بلغ من العمر ثلاثين سنة . ثم قصد القديس انطونيوس أبا

الرهبان فقال عنه « هذا امراييلي حقاً لا غش فيه » وتعلمذ له مدة ولبس منه اسكيم الرهبنة وأقام بيرية الاسقيط وكان قد شاع صيت فضائله في العالم فخرج اليه الجماهير من المؤمنين ليتعلموا منه . فلما رأى كثرتهم شادلهم ديراً فخيماً لا يزال قائماً الى اليوم وكان يعرف اولاً بدير مكسيموس ودوماديوس (١) ثم عرف باسم دير السيدة بروس (اي الدير الذي يسبق دير موسى) واعقبه بأخر وهو دير أبي مقار . وكانت تلامذته تنهج على مثاله في حب الفضيلة والتقشف وكانوا جميعاً يداومون الاشتغال بأيديهم لا كتساب معاشهم مثله

ولما بلغ الاربعين من عمره سنة ٣٤٠ م التزم ان يرسم كاهناً لخدمة الاسرار الربية وتوزيعها على أولئك السياح الهائشين تحت تديره . ومن فضائله انه كان يحب الصمت والانفراد ايتمكن من ان يختلي بالله متفاوضاً معه ومناجياً اياه . وكان يفضل عيشة النسك على عيشة الترف واستمر محافظاً على صرامة عيشته بفطنة تامة . وذات يوم كان أحد تلاميذه يكلمه وقت الظهر وقد شعر بعطش شديد فطلب منه اذنأ بتناول قليل من الماء فاجابه قائلاً « اکتف الاكن بان تستريح تحت هذه الشجرة في ظلها متذكراً بانه يوجد كثيرون من البشر في هذه الساعة سائرين برأ وبحراً من دون ان يحصلوا على هذا الی الذي أعطى لك لتستظل تحته » ثم قال له « تشجع يا ولدي فانا قد جرت مدة عشرين سنة كاملة من غير ان اصنع ما كانت تطلبه مني أميالي الطبيعية لافي الماء كولات ولا في المشروبات ولا في النوم . لأني لم آكل سوى كمية قليلة من الخبز الذي كنت قبل ان آكله أزنه كيلا يتجاوز القدر المعتاد ولم اكن اشرب الا مقداراً صغيراً من الماء . وأما نومي فكان برهات وجيزة متباعدة غير متصلة وذلك باسناد رأسي على الحائط حيناً لم يعد في جلد على فتح عيني » اه

ومن الطرق التي وضعها القديس مكار يوس لهبانه ليتمكنوا بالسير فيها من اماتة أجسادهم قوله لهم « انه يلزم السائح ان يعود ذاته على الاصوام كأنه يجب ان يعيش مائة سنة وان يضاد ميله ويقهر آلامه النفسانية . وان يتناسى الاهانات

(١) هما ولدا فالنتيانوس الاول قيصر القرب الذي تولى العرش سنة ٣٦٤ م هجرا العالم

هجرة الملك وتنامذا للقديس مكار يوس

التي تصنع في حقه وان يتجلد في احتمال المكاره . وان يصبر على الاوجاع ويتكبد المصائب كأنه في كل يوم مزعم ان يفارق الحياة . على ان التفكير في النوع الاول وهو استقالة الحياة يحجز عن الراهب والسائح كل نوع من الالهة والتراخي في الخدمة الالهية المسبب من الخوف ومن الامراض الجسدية . وأما التفكير في النوع الثاني وهو ان كل يوم يمكن ان يكون هو الأخير من الحياة فهذا يصيره ان يحتمر الخيرات الارضية . ويتهاون بالاعتاب والامراض والشدائد متأملاً في الوطن الذي كل يوم يمكن ان يدعى من الله للانتقال اليه في الحياة الابدية « اه ولما سئل هذا القديس عن النوع الملائم لحسن الصلاة أجاب قائلاً « انه ليس بضروري ان تكون الصلاة مستطيلة بل يكفي ان ترفع الايدي نحو السماء بالقول « يا رب اصنع معي الرحمة بالنوع الذي يرضيك » واما حينما تحاربنا تجربة ما فيلزمنا ان نقول « يا الهي أعني » على ان الله يعلم جيداً ما هو الموافق لنا فلا يتغافل عن معونتنا »

ولكي يوارى الله فضيلة صفيه وأعماله النسكية تحت غطاء التواضع جعله وهو يصلي ذات يوم يسمع صوتاً يقول له « انك لم تبلغ بعد يا مكار يوس درجة سامية من الكمال الذي بلغته امرأتان عاثستان في بيت واحد بالاسكندرية وهما فلانة وفلانة » فما سمع القديس هذا الصوت الا ونهض لساعته وجد في السير حتى اذا وصل الثغر المذكور واستدل على بيتهما قرع بابهما ففتحت له أحدها فاستدعاها وخاطبها قائلاً « اني من أجلكما قد عانيت مشقة السفر على بعد الشقة ومتاعب البرية وما ذلك الاشوقاً لا علم ماذا تصنعان وما هي حالة معيشتكما » فقالتا له « هل يمكنك ان تجد صلاحاً في امرأتين متزوجتين يعيشان في لذة ونعيم ؟ » فألح عليهما فقالتا له « اننا اقترنا بسر الزواج مع أخوين من مدة ١٥ سنة وقد مضت هذه المدة بدون ان تخرج من فم الواحدة كلمة تغيظ الأخرى ولم يحدث بيننا خصام أو شبه خصام قط وان الواحدة منا لا تميز اولادها عن اولاد سلفتها بل تهتم بما يرضي اولاد الأخرى قبل اولادها » ثم قالتا له « اننا قد رغبتنا الى رجلينا في ان يمنحانا رضاها الطوعى لكي ننفرد للعبادة في أحد اديرة الراهبات ولما لم يصرح لنا تعاهدنا أمام مخلصنا ان نعيش هكذا

الى آخر رمق من حياتنا . ونطلب منه تعالى ان يساعدنا على القيام بعهدنا »
فلما سمع القديس خبرها هتف قائلاً « حقاً ان الله يمنح المتزوجين كما يمنح المتبتلين
وانه تعالى لا ينظر الا للضمائر والقلوب ويمنح روحه القدوس لجميع الذين يخدمونه
من أية هيئة كانت »

وفي سنة ٣٧٥ م امر فالنص قيصر الاريوسي بطرد جميع رؤساء الدير
الذين حافظوا على الايمان الارثوذكسي القديم فنمذ لوسيوس هذا الامر بان
نهي القديس مكاروريوس وسميه القديس مكاروريوس الاسكندري وكثيرين من
الرهبان الى جزيرة فيلي في الصعيد الاعلى (١) . وكانت هذه الجزيرة لا تزال
وثنية بالمرّة وفيها هيكل للاصنام مشهور وكان كاهن هذا الهيكل محترماً في
نظر السكان حتى كادوا يوثهونه . فلما وصل هذان القديسان ومن معها من
الرهبان الى تلك الجزيرة كانت ابنة ذلك الكاهن الوثني مصابة بروح نجس
فانطلقت الى الشاطئ الذي رسي فيه القديسان وصاحت قائلة « لم اتيتم يا عبيد
الله الى هذا المكان الذي استوطنناه من زمن بعيد . اطمعتم في الاستيلاء على
هذه الجزيرة بعد ان استوليتم على القطر كله . ها نحن نتركها لكم اذ لا قوة لنا
على مقاومتكم » ولما صلى النساك على الفتاة فارقتها ذلك الروح الشرير فبرئت .
ولاحال اعتمد معظم أهالي تلك الجزيرة الوثنية . ولما سمع الشعب الاسكندري
بهذا الخبر طالب لوسيوس بشدة بارجاع هذين البارين فأصدر أمراً خصوصياً
بالرغم عنه باعاده هذين الرئيسين ومن معها حوالي سنة ٣٧٦ م

وما رجع القديس مكاروريوس الى بريته حتى استأنف اعماله التقوية فظل يعلم
المتوحدين ويرشدهم الى ان رقد بالرب في ٢٧ برمهات سنة ١٠٨ ش بالغاً من العمر
٩٠ سنة تاركاً بركة الاسقيط تحاكي السماء موطن الملائكة ومقر التسبيح
والتمجيد (٢) وقد نما عدد رهبانه الى ١٥٠٠ راهب . وكانت لهم مكانة كبرى
ومنزلة عليا لما اشتهروا به من كثرة الحكمة ووفرة العلم

ولهذا القديس مؤلفات جليلة رد بها على مؤلفات الوثنيين ضد الديانة المسيحية

(١) جنوبي اسوان وبينهما ثمانية كياو مترات وتعرف عند العوام باسم « أنس الوجود »
(٢) سرق جسد القديس ودفن بكثيسة شبير طملاي بمر كيز متوفى ٤٤٠ سنة ونقله اليابا
ميخائيل ٣ الى البرية ولم ينزل بها لايوم

لم يعثر العالم المسيحي منها او بالحري لم يصل ليده من تلك العصور المتقدمة الا كتاب عظاته المحتوي على خمسين عظة وكتب في المبدأ باللغتين القبطية لفائدة رهبانه وأمه وباليونانية لفائدة أهل هذه اللغة الذين كانوا منتشرين بمصر. ومع ان اكثر مؤلفات آباء الكنيسة اغتالها يد الضياع الا ان نسخة عظات هذا القديس ظلت محفوظة حتى وقف عليها الانكليز وطبعوها بلغتهم ثم ترجموها الى العربية. وللقديس خلاف المواعظ بعض اقوال اخرى روحية منثورة في كتاب بستان الرهبان. وله سبع رسائل لاهوتية طبعت بالفرنسية في مدينة طولوز بفرنسا سنة ١٦٨٤ م

(٢) مطريوس الاسكندرري. ولد في الاسكندرية في اوائل القرن الرابع

من والدين فقيرين ولهذا اشتغل خبازاً بضع سنين وكان يصنع الفطائر ويبيعها لينفقها في ما يحتاج ولما كان الله قد انتخبه اناء مقدساً له لبث بين الموعوظين الغير المعمدين ثلاثين سنة. الا انه بعد ما اعتمد وتقوى بالنعمة لم تطب له عيشة اهل العالم فكان يتوق الى سماع اخبار النساك والسياح العائشين في البراري والغفار وعزم على الاقتداء بهم قائلاً « ان قيعة تقسى توازي قيعة تقوس اولئك القديسين فلهذا لا انسج على منوالهم »

ثم انطلق الى القديس انطونيوس وتلمذ له وترهب بوادي النطرون في ايام الانبا مكاروريوس الكبير وبعد ذلك توجه الى برية موحشة واقام يعبد فيها سبع سنين بغاية التعنف اقتصر في الثلاث السنين الاخيرة على اكل الحشيش والعروق النيئة المرة. وقد انتهى اخيراً الى حد الامساك فكان لا يأكل الا مرة في الاسبوع لاعتقاده ان جسده هذا هو عدوه الالد ويقول عنه انه شريك الشيطان في الاضرار بي فينبغي ان اذله واضعفه حتى لا يقوى على مجاربتى.

وكان يصرف نهاره في الترتيل وليله في الصلاة واذا غلب عليه النعاس كان يعذب نفسه بحيث يبقى أياماً وليالي بدون أن ينام وقد ألزم نفسه بان لا ينام في كل ليلة أكثر من ساعتين واستمر هكذا طول حياته. ولكنه في صوم الاربعين المقدسة كان يزداد في تقشفه وقد قضى مرة هذا الصوم واقفاً لم يجلس ولم ينام

بل كان يصلي واقفاً أم جاثياً ولم يأكل ولم يشرب الا في أيام الآحاد
وذات يوم سمعته نحلة فقتلها ولكنّه ندم فيما بعد على قتلها واراد الشيطان
ان يدخل في عقله الافكار النجسة فمضى وسكن في مكان مملوء بالزنابير لا تقدر
الحيوانات ان تسكن فيه خوفاً من لسعاتها فأقام هو فيه ستة أشهر يتحمل لسع
الزنابير الساسة ولما ترك ذلك المكان كانت هيئته قد تغيرت الا انه انتصر على
الافكار الشريرة

وبعد كل ذلك الجهاد الطويل لم يكن يشعر بانه عمل شيئاً يؤهله لنيل الحياة
الابدية وما كان يظن انه ابتداء بالسير في طريق الفضيلة ولهذا عزم على الذهاب
الى بعض السياح ليسألهم عن كيفية العبادة الحقيقية ومن ثم قام الى برية الصعيد
وتنكر بلبس أثواب خادم لئلا يعرفه أحد وقصد مجمع القديس باخوميوس بصفته
عامياً يريد ان يترهب فلما رآه رئيس الدير شيخاً منعه لعدم اقتداره على العيشة
المتعبة أما هو فألح عليه بدموع ليقبله فقبله ودفع له جانباً من الخوص لكي
يضفره . فانهرد في مكان وظل يشتغل واقفاً على قدميه ثلاثة أيام بلا أكل ولا
شرب حتى قال أحد الآباء للقديس باخوميوس « اخرج عنا هذا الرجل لان
ليس له جسد »

أما القديس باخوميوس فقد عرفه بارشاد الهي فاستقبله باحتفال عظيم فشق
عليه هذا الامر وخرج من تلك البرية ولجأ الى مكان فوق جبال نيتريا . ولم يلبث
في هذا الموضع طويلاً حتى بلغ خبره الى البطريرك الاسكندري فأرسل اليه
أناساً أتوا به ورسمه كاهناً فلما رأى نفسه قد اكتسب درجة كهنوتية أراد ان
يزداد في تفشفه واكتساب الكمال فترك كل البراري المعروفة وانهرد في أخوف
براري ليديا التي أطلق عليها فيما بعد اسم بزية القلالي نظراً لكثرة القلالي التي
ابتناها القديس هناك لتلاميذه الكثيرين

وكان قد التف حوله اكثر من ٥٠٠٠ راهب ومتوحد فكان يرشدهم وينفعهم
فضلاً عن قيامه بواجبات عبادته الشاقة فكان يصلي في النهار مائة مرة ويقضي
اكثر الليل في الصلاة المتوالية . وروى انه بقي مرة يومين كاملين يصلي دون ان
يتوه عقله دقيقة واحدة . أما موضوع تأملاته فما كان الا يسوع المصلوب .

فكان يقطع كل أوقاته بالتأمل في آلامه ويرثي لحال أمه التي كانت واقفة تحت صليبه ولهذا أوصى تلاميذه باكرامها والتشفع بها وقد أتاه يوماً الانبا بلاديوس واعترف عليه بان الافكار الباطلة تزعجه وبين له ميله لترك رياضات الصلاة فقال له القديس اياك ان تغلب بهذه التجربة الشديدة الخطر واني أشير عليك بان تطيل الصلاة كل ما تبلبث بتلك الهواجس واياك ان تنقص منها شيئاً البتة وقل للعدو ان كنت لا أقدر ان أصلي كما يجب فاني استمر في مخدع الصلاة حباً بالمسيح .

وكان لهذا القديس قوة اخراج الشياطين بمجرد اشارة الصليب . وقد أتى اليه أحد الكهنة مرة وهو يشكو من آكلة مريضة وخر قدامه طالباً عونه فتحنن عليه القديس وشفاه ثم قال له انما أصابك هذا المرض لانك تجاسرت على ان تقدم ذبيحة القديس الالهى في حال الخطيئة المميتة ثم أمره ان لا يقدر ان يتوب لله توبة صادقة

واضطهد فالنص الإريوسى هذا القديس وتقاه مع القديس مكاريوس المصري كما سبق معنا . وحدث بينما كان القديس مسافراً في النيل مع اثنين من قواد جيش الملك دنا منه أحدهما وقال له طوبى لكم انتم الذين تستهزئون بالعالم فاجابه القديس مكاريوس حقاً ما قلت ويا لسوء حظكم انتم الذين لا تدرون ان العالم يستهزى بكم

ولما رجع من منفاه سكن بريته الاولى ثم مات في ٦ بشنس سنة ١١٢ ش و٣٩١ م وكان عمره ٨٩ سنة . وقد ذكر بلاديوس الذي عاش القديس زماناً مديداً انه كان قصير القامة وضعيف المزاج . وله قوانين كثيرة طبعت في باريس سنة ١٦٣٧ م ورسالة في تقوس الابرار بعد الموت طبعت في أوترخت بسويسره سنة ١٦٩٦ م

(٣) باغروبيوس . هو الملقب بابي الشركة لانه أول من ابتدأ بالعيشة المشتركة في الأديرة تحت قانون واحد ورئيس تعيش الاهبان تحت طاعته . ولد بطيبة (١) من أبوين وثنيين مثرين ربياه وأرشداه في الاعتقادات الوثنية الكاذبة

(١) هي الآن الاقصر ومن بقاياها مدينة ابو وذراع ابى النجا والقرنة

ولما أدرك رشده حاول يوماً أن يرغمه على عبادة الاصنام فلعنها وهزأ بعابديها
وفي يوم آخر سقياه خمرأً كانت قد قدمت للاوثان فتقيأها لساعته فاستنتج والداه
من ذلك انه سيكون عدواً للاوثان .

ولما بلغ العشرين من عمره تطوع في الجيش الروماني وحارب في بلاد الحبشة
تحت قيادة والد قسطنطين الكبير الذي كان وقتئذ قائد جيوش ديوكلتيانوس
قيصر وحضر مواقع حربية أظهر فيها شجاعة فائقة وهمة عالية . ودخل يوماً
مع بعض الجنود مدينة ديوسبولي حيث كان يقطن كثيرون من المسيحيين الذين
شفقة منهم على هؤلاء الجنود قدموا لهم ما لزم من الأكل والشرب وأعدوا لهم
وسائل الراحة فتعجب باخوميوس من هذه الشهامة وسأل عن السبب الذي جعل
أولئك الناس على معاملتهم بالمحبة والرحمة دون أن يعرفوهم فأجابوه بأنهم مسيحيون
وديانتهم تأمرهم بصنع الخير مع كل أحد مهما كانت جنسيته وديانته . ومع انه
كان قد درس علوماً كثيرة ولكنه لم يعرف شيئاً عن المسيحية التي مال بقلبه اليها
وتوسل الى الله قائلاً « أيها الاله القادر على كل شيء امنحني ان أعرف بأي نوع
تريد أن أسجد لك وأخدمك »

ثم غادر الجندية بعد نهاية الحرب وعاد الى وطنه وذهب حالاً الى كنيسة
ثيتوسكوپوس وانخرط في سلك الموعوظين وهكذا في عيد فصح سنة ٣١٤ م
اعتنق المسيحية ونال سرالعماد من الانبا سيرابيون (سرابامون) اسقف دندره (١)
وله من العمر يومئذ خمس وعشرون سنة . وفي ليلة عماده شاهد في الحلم في رؤيا
ساوية ان يده اليمنى ممتدة تحت ندى السماء الذي استحال على الفور الى تفاحة بيده
وسمع صوتاً يقول له « احتفظ يا باخوميوس على ما يأتي عليك الآن الذي هو
علامة النعمة العظيمة التي أراد المسيح أن يسكبها على قلبك »

وبعد عماده شعر بميل زائد نحو عيشة الكمال للمسيحي واشتاق للعزلة
والانفراد فتوجه الى اسوان وتنازل للانبا بلامون أحد شيوخ البرية الذي قال
له « ان حياة السواح يا ابني هي أكثر صعوبة مما تتصورها حتى ان كثيرين ابتدأوا
بها ولم يستطيعوا أن يتمموها . فتأمل في نوع عيشتي في فصل الصيف آكل



« القديس باخوميوس ابو الشركة »

مرة واحدة في كل يوم وفي فصل الشتاء كل يومين مرة . وطعامي دواماً الخبز
والمالح دون أن أستعمل زيتاً أو خمراً . كما انني أقضي نصف الليل وأحياناً الليل
كله في تلاوة المزامير وفي التأمل في الكتاب الالهي . ولهذا أنصحك أن تروض
نفسك مدة على هذه العيشة وبعد ذلك تأتي الي وأصبرك رفيقاً لي « فأظهر

باخوميوس مزيد خوفه ولكنه تقوى داخلاً بنعمة الله وأجاب الانبا بلامون قائلاً « انى أتكل على نعمة المسيح وأستند على صلواتك من أجلى لانال قوة أستطيع بها أن أعيش متمماً واجباتى لغاية الموت » فسر القديس بلامون من حسن جوابه وألبسه اسكيم الرهبنة . فسار التلميذ في طريق الكمال وبالغ في اماتة جسده حتى فاق معلمه في صرامة العيش وطول الصوم والسهر . واتفق ان سائحاً مريضاً بمرض الكبرياء كان يصنع العجائب بقوة ابليس حتى انه كان يمشى على حجر نار مذهب فلا يحترق فجاء الى القديسين وقال لهما هل حصل أحدكما على مثل هذا الايمان الذى حصلت عليه فانى أمشى في وسط النار بدون أن تمسني فأجاب الآب بلامون ان احسنا التواضع فيكون حينئذ ايماننا حسناً . فلما سمع باخوميوس هذا الكلام بدأ يزداد في فضيلة التواضع وأما ذلك المغرور فأسقطه ابليس في الزنا ومات شرمية

وبعد مدة سنتين تباعد يوماً عن قلايته في مقر قريب من طابانا (١) ليلتقط حطباً ماشياً بين الشوك حافياً كعادته ولما كان يصلي جائياً ظهر له ملاك الرب وأشار عليه ببناء دير في تلك الجهة التي كانت بلدة قديمة خربة . فمضى الى شيخه وقص عليه الرؤيا ثم ذهباً وسكناً في المكان المعين وبنيا هذا الدير وبعد أن شيدا عدة أمكنة هناك ترك القديس بلامون تلميذه باخوميوس فيها ورجع الى مكان عزائه ولم يعد يواجه احدهما الآخر الا مرة واحدة في كل سنة . وتوفى القديس بلامون بعد مدة ولكن باخوميوس تعزى بحضور أخيه البكر يوحنا لانه لم يكن قد شاهد أحداً من أقربائه منذ تركه لوطنه وسر لان أخاه اعتنق الديانة المسيحية وعشق سيرة الرهبنة . ولكنه كان غليظ القلب فتعب القديس باخوميوس كثيراً في سبيل تهذيبه حتى صيره انيساً وديعاً وبعد أن قضى خمس عشرة سنة في ذلك الدير مات باراً تقياً

(١) وبالقبطية « طابنيسيس » وتربيتها « نخل ايزيس » وهي بلدة تابعة لابروشية دنندرة . قيل انها جزيرة في النيل تعرف الآن بجزيرة الغريب . وقيل انها مدينة كانت على الشاطئ الايمن للنيل جنوبي « فار » بمديرية قنا (٢) لانبا بلامون دير بناحية القصر والصيداء بمركز نجع حمادي بمديرية قنا لم يزل عامراً الى اليوم

فاستمر القديس باخوميوس بعد موت أخيه مواظباً على عيشة الوحدة والتشف في ذلك الدير واخذ الشيطان في محاربتة بالافكار الرديئة التي كانت ينتصر عليها بتأمل نار جهنم التي لا تطفأ ودودها الذي لا يموت . ثم ظهر له الشيطان بأشكال متنوعة لذيذة ومخيفة ليوقفه عن عبادته ولكنه تسلح ضده بالاسلحة الروحية وقضى بمعونة الله عز وجل اربعين ليلة لم ينم البتة ممارساً الصلوات والقراءة في الكتب الالهية حتى انقلب العدو امامه كما انه استمر مدة خمس عشرة سنة لا ينام فيها الا برهات وجيزة مستنداً على عكازه من دون ان يقرب من الخائط . وقد اعطاه الله سلطاناً على تماسيح نهر النيل فلم تكن تضره ابداً .

واذ كان يصلي ليلة ظهر له ملاك الرب واعلمه بان يتخذ العناية لتهديب الآخرين فشرع يقبل في ديريه جميع الذين احبوا السير على منواله حتى انه في زمن وجيز جداً وجد عنده مائة راهب اما القرائن الرهبانية التي وضعها فقليل انه اقتبلها من الملاك نفسه

ولا يخفى ان الطريق التي سار فيها الانبا انطونيوس وجعلها فريضة لرهبانه من بعده وهي ان يحصل كل واحد منهم على قوته بتعب يديه كانت عسرة وشاقة وغير كافلة بحفظ الرهبانية ودوامها في عالم الوجود والفضل للانبا باخوميوس صاحب الشركة الذي اتخذ طريقة سهلة قدر الناس بواسطتها ان يعتنقوا الرهبنة وينظموا في سلكها في كل زمان وهي انه وضع كل قنية الرهبان ومحصول تعب ايديهم في مجمع واحد تحت سيطرة احدهم وتديره وجعلهم يعيشون عيشة روكية ودعا ذلك ايكونونيا (شركة) وفرض عليهم ان يشتغلوا بأيديهم لربح الدير ولكنه ترك الحريه لكل واحد ليشغل حسب قوته ونشاطه . ولم يكن الرهبان يأكلون الا وهم مجتمعون على المائدة وكما فرض لهم هذا القانون فرض لهم قانوناً آخر لحياتهم الروحية ورسم في ذلك القانون فرائض ليست بمستطيلة جداً اشفاقاً على المتقدمين في السن من الرهبان فكانوا يحضرون يومياً لتلاوتها امام الهيكل بدون كلل ويتناولون الانخارستيا في يومي السبت والاحد . ولما لم يوجد بين الرهبان احد حاصل على درجة كهنوتية (وحفظ هذا الامر في دير طابانا بعد موت القديس باخوميوس

مدة تزيد عن المائة سنة) فلماذا كانوا يحضرون بعض الكهنة من الكنائس القريبة لاتمام خدمة القداس . واما الوعظ فكان يصير مرتين او ثلث مرات في كل سنة .

ووضع للرهبان ان يستعملوا الكتاب المقدس بارشاد الرؤساء حتى في وقت شغلهم وان يحفظوا المزامير غيباً . ومن لم يكن يعرف القراءة فكان يلزم بحفظها قبل لبس شكل الرهبنة ليتمكن من اشباع نفسه بتلاوة الكتب المقدسة . وكان على الرهبان ان يشتغلوا بأيديهم للحصول على حاجتهم وترك القديس باخوميوس الحرية لكل واحد ليشغل حسب قوته ونشاطه وكان كثير النصح لهم بترك الميل لمجد العالم وحدث ان احد الرهبان المكلفين بالنسيج اشتغل في يوم واحد ما يلزمه عمله في يومين ووضعه على باب قلايته لكي يكتسب اطراء القديس فلما رآه وادرك سريرته قال للرهبان الحاضرين « تأملوا ان هذا الراهب يجهد نفسه بالتعب من الصباح الى المساء لاجل الشيطان وهكذا يضني جسده من غير افادة لنفسه » ثم أمر ذلك الراهب بان يحضر في اجتماع الرهبان ويلتمس منهم ان يصلوا لاجله امام الله ليهبه الغفران وفرض عليه ان يبقى في قلايته خمسة اشهر يقتات بالخبز والماء فقط . ولاحظ مرة أخرى ان راهباً كان يصوم كثيراً محبة في نيل الفخر فأمره بان يحضر نصف النهار مع الرهبان الى المائدة لياً كل معهم من الخبز والحبوب المسلوقة افضل من ان يصوم طالباً لمجد الباطل .

وذكر انه رأى يوماً قوماً من الرهبان الحديثين صاعدين الى شجرة تين لياً كلوا سراً فأمر القديس حينئذ بقطع الشجرة فشفع فيها البستاني الذي كان رجلاً فاضلاً معتبراً ولم يرد القديس ان يكسر خاطره فلم يقطعها ولكنه صلى وبعد صلواته يبست التينة . ومن القوانين ان يصلي الرهبان اثنتي عشرة مرة نهاراً واثنتي عشرة ليلاً ويصوم كل منهم حسب طاقته وغير ذلك من القوانين التي سار عليها غيره فيما بعد . وكان القديس يعامل الرهبان بالحلم والشفقة ولا سيما الشيوخ والمرضى منهم اما الشبان فكان يتصرف معهم بالأناة والصبر ويدرجهم قليلاً قليلاً في طريق الكمال ولم يلزمهم بتقشفات الدير الاعتيادية كلها بل امر الطباخ بان يصلح لهم طعاماً خصوصياً فلم يعجب الطباخ هذا الامر حتى

انه في بعض الايام لم يهيب لهم شيئاً من الطعام لانه حسب زعمه لم ير هذا لائقاً
بالراهب ومن جهة أخرى كان يجد فرصة لجدل الجدائل لاجل فائدة الدير .
فاما علم القديس بفعله هذا أمره ان يأتي بكل ما كان صنع من الجدائل وكان عددها
نحو خمسمائة فوضعها كلها امام الرهبان واحرقها ثم قال لهم ان الطاعة لا تأذن
للراهب ان يفحص عن تصرفات رئيسه فان ذلك مما لا يسوغ له انما عليه ان
يطيع بسرعة وسرور . ومرة اخرى ارسل وكيل الدير ليبيع جدائل الدير وعين
له ثمنها فاما مضى ذلك الوكيل اتفق ان اناساً قدموا له اكثر من الثمن الذي عينه
له الرئيس فباعها بالثمن الاعلى فاذا علم القديس بذلك وبخه ايضاً على مخالفته
واوصاه ان يرد للشارى ما كان اخذه فوق الثمن المعين . ثم عزله من وظيفته
وعاقبه بان فرض عليه ممارسة افعال شاقة وامر الجميع ان يذبذوا كتب الهراطقة
وكانت قوانين هذه البار محفوظة في كل الاديرة التي كانت تحت اشرافه . وروى
كاسيانوس الذي زار اديرة القطر المصري بعد ذلك بأزمنة مديدة انه رأى
أوائك الرهبان محافظين تماماً على تلك القوانين لاسيما ما يختص برؤسائهم حتى
اذا كان أحدهم يكتب وناداه الرئيس لا يتم كتابة الحرف الذي ابتداء به بل يقوم
اليه عاجلاً وشهد بانهم لم يكونوا يضعون في قلوبهم الا الضروري لقوتهم حتى
يتلأأ على وجوههم نور الفضيلة وتسلم منها اشعة الصلاح

وكان القديس باخوميوس اشد الناس سروراً بنجاح رهبانه الذين كان يأتي
لمشاهدتهم كثيرون ويتمجبون مما يرونه من الصفات المقدسة في اناس يشبهون
الملائكة من كل الوجوه . غير ان ابتهاج القديس تحول الى حزن لما اعلن له الله
عن حال رهبنته في المستقبل وعن التغيير العتيد ان يحدث فيها من قبل رؤسائها
ولهذا شدد على الرهبان بحفظ قانونه جيداً ومقاومة الميل لمجد العالم مقاومة
مستمرة بقوله « ترى ما الذي يجعل الانسان ان يهمل ذاته الا اذا انجذب الى محبة
المجد الباطل . ولماذا يفتخ متعظماً مع انه ليس الا تراباً ورماداً . فلنبتك
بالاحرى على ذلنا وشقائنا مادام لنا زمان للبكاء . حتى اذا انتهت ايام غربتنا لانحتاج
الى زمن آخر لتتوب فيه دون ان نحصل عليه . على انه طالما نحن في قيد هذه الحياة
نستطيع ان نندب خطايانا وننوح عليها . واما في جهنم فيقول المرتل « لانه ليس

في الموت ذكرك . في الهاوية من يحمذك » (مز ٦ : ٥) فلتلزمنا تيارات من
الدموع لنبكي البكاء الواجب على نفس تميمية تكون بعد رفضها العالم وما فيه
رجعت تشتبك بمهمات وشهواته وتعود الى الافكار اللحمية والرغبات الارضية
وعلى هذه الصورة تسقط من جديد في ذلك الأسر الذي فازت اولا بالنجاة منه .
فلا ترتضي يا اخوتي الاعزاء بان يفقدنا الحياة الابدية هذا العالم الفرار الفاني
الزائل الذي لا يمكننا بوجه من الوجوه ان نتكل عليه » اه

ولما اشتهر أمر القديس باخوميوس وتردد اسمه على الألسنة أتت أخته مريم
لزيارته فلم يرد ان يقابلها ولم يسمح لها بالدخول الى الدير بل ارسل البواب يقول
لها ان أخاك في سلام وقد ودع العالم فلا يود ان يراه ثانية وان كنت
تشتهين التنسك وتصيرين قدوة صالحة للنساء فهو يبتني لك ديراً لتعبدى الله فيه
فلبت أخته دعواه وشيد لها ديراً خاصاً سنة ٣٤٠ م واجتمع معها نساء كثيرات
يعبدن الله تحت اشراف القديس باخوميوس

واستمر القديس على اسداء النصائح للرهبان الذين يري فيهم عيباً ولما يراهم
باقين في حائهم الرديئة يعلي من اجلهم دون ان يؤذهم سريعاً منتظراً فعل نعمة
الله في قلوبهم . وكان بين رهبانه عشرة اشخاص متقشفين للغاية ولكنهم كانوا
ذوي السنة نمامة الامر الذي كان يكرهه القديس جداً . واذا اتفق يوماً ان
احدهم جاء اليه يتكلم معه ضد قريبه كان يتركه ويقوم حالا وهو يقول له كلمات
المرتل « الذي يقع بقريبه خفية كنت أطرده » وهكذا يصدده عن النخيمة ولكن
هذه الطريقة لم تجعل اوائك العشرة يكفون عن ارتكاب خطيئة النخيمة فالتجأ
الى الله بالصلوات الحارة مدة اربعين ليلة من دون ان يرقد مطلقاً أو يأكل سوى
مرة في كل اسبوع الى ان تنازل الرب وأوقف النمامين عن التكلم بالنخيمة . ولما
كان يقدم نصيحة لراهب كان يطليها بكل لطف ومحبة واذا لاحظ ان أحد الرهبان
تألم من كلمة صدرت منه لا يستريح حتى يزيل منه ما ألم به من جرى كلامه

وأما من جهة الاذى الذي يصدر ضده فكان كأنه عديم الشعور به بل يقبله
بكل فرح وسرور . ومن ذلك ان احد رهبان دير طابانا طلب من الرئيس ان
يرفعه الى وظيفة ايكونوموس فقال له هذا ان الآب العام باخوميوس لم يسمح

بترقيته فامتلاً ذلك الراهب غيظاً على القديس وذهب اليه مسرعاً فوجده يشتغل مع الرهبان في ظل حائط الدير فانشأ بهينه بكلمات شديدة . أما القديس فأخذ يمتذر له كأنه مذنب في حقه وأمر الرئيس بترقيته وبهذا اللطف عالج حدة الراهب فعدل عن الوظيفة وطلب الصنح والغفران عما افترط به . وكان القديس لا يميز نفسه عن الرهبان في شيء لا في زمن الصحة ولا في زمن المرض حتى انه لم يخدم منهم بل بالعكس كان هو يخدمهم ولم يتميز عنهم الا باتعابه وتواضعه وصبره على المسكاره

وحوالي سنة ٣١١ م زار القديس اثناسيوس الرسولي جميع ابروشيات كرازته لتثبيت رعيته في الايمان الأرثوذكسي وفي اثناء زيارته لكنائس طيبة رأى ان يمر من ضواحي دير طابانا . فالقديس باخوميوس خرج لملاقاته مع عدد كثير من رهبانه ولسكي لا يعرف من البطريرك ولا من رفقائه زج نفسه بين الرهبان الآخرين كأنه أحقر من فيهم ولما قصد البابا اثناسيوس ان يرسمه قساً هرب الى تبنة (١) فقال البابا لاولاده قولوا لابيكم الذي بنى بيته على الصخرة التي لا تنزعزع وهرب من المجد الباطل « طوبى لك وطوبى لاولادك » وحدث ان شاباً يدعى ثيودوروس ابن امرأة شريفة الأصل تأمل ذات يوم وهو في الثانية عشرة من عمره في زوال هذا العالم وبطلان أمجاده وادرك انه عديم المنفعة لمن يحبونه فعزم على السير في طريق الزهد وتوجه الى القديس باخوميوس وعرض عليه نفسه فقبله لعلمه ان الله اصطفاه ليكون رئيساً للرهبان بعده

وعلمت أم ذلك الشاب بما نواه وسار فيه فاستولى عليها الحزن وتوجهت الى الدير وطلبت من القديس باخوميوس ان يرد لها ابنها فأجابها انه نذر نفسه لله فالتمت منه ان يدعوها اليها لتراه فأبى ابنها ان يراها معتذراً بقوله « من يضع يده على المحرات لا ينبغي ان ينظر للوراء » . فتأثرت الأم من قساوة ابنها بل من هزمه الشديد على السير في طريق الفضيلة وأحبت ان تقتني أثره فانضمت الى

دير النساء (١)

وقد ميز الله صفيه باخوميوس بعو هبة صنع العجايب والتكلم بالنبوات فتوافدت عليه الناس من كل مكان بعضهم لنوال الشفاء وبعضهم للاستشارة في أمورهم . غير ان القديس لم يهتم بشفاء المرضى من رهبانه بل كان يشجعهم على احتمال كل ما يصابون به من قبل الله بشكر زائد حتى يكتسبوا رحمته ورضاه دواماً . وأخص تلاميذه ثيوذوروس المذكور اعتراه يوماً وجع شديد في رأسه وطلب منه ان يشفيه فأجابته « اعتقد جيداً يا ابني بانه لا تأتي علينا الأوجاع والاحزان او أية شدة كانت الا بإرادة الله أو سماحه فاحتمل اذاً بصبر واتضاع هذا الوجع الذي ارسله لك الله وانتظر الى ان ينقذك منه تعالى متى يشاء . وانه اذا كان عز وجل يتنازل لان ينجحك بواسطه هذا العذاب مدة مستطيلة من الزمان فيقدم لعزته الشكر عن ذلك نظير ايوب البار الذي فيما بين اوجاعه وآلامه لم يكن يفتر عن مباركة الرب وتأكد ايضاً انه وان كانت الاصوام أو الصلوات وباقي افعال الامانات ممدوحة بلا ريب فان احتمال ما يفتقدنا به الله من الشدائد بصبر هو أجود وأكثر استحقاقاً للمدح » اهـ

ولما كثر حول القديس ازدحام الناس الذين يقصدون ان يستشيروه في احوالهم بعلمه الالهي أنعم الله عليه بمعرفة اللغات كما انعم بذلك على الرسل وسببه ان راهباً جاءه من رومية وقصد ان يرشد منه فابتهل الآب الى الله من أجل فائدة هذا الراهب وقال « انت تعلم ايها الاله اني لعدم معرفتي لغات لا اقدر ان امنح ربحاً باسمك للذين يأتون الي من أماكن بعيدة فاما ان تمنحني معرفة لغة من يقدم الي لافيده او لا تدع احداً يأتي الي » فاستجاب الرب طلبه وسمع اعتراف الراهب وارشده

وبعد ان بني القديس باخوميوس اديرة كثيرة واجتمع فيها ما ينيف على السبعة الالاف راهب وفي دير طابانا اجتمع ألف واربعمائة راهب اراد الرب ان ينقله اليه . فبعد الصوم

(١) صار ثيوذوروس فيما بعد وكيلاً على الرهبان للقديس باخوميوس وبعد نياحة هذا القديس أقيم رئيساً عاماً عليهم

المقدس لسنة ٣٤٨ م افتقد الله رهبان اديرة القديس باخوميوس بمرض أمات منهم في مدة وجيزة نحو مائة راهب أكثرهم من الاتقياء . ثم ان القديس باخوميوس مرض اربعين يوماً اجتازها بكل سكيننة الروح وبهجة القلب وقبل رقاذه بيومين جمع لديه رهبانه وخطبهم قائلاً « اني أشاهد يا اولادي الاعزاء ان الله عن قرب يريد ان يدعوني اليه . اما انا فمن دون خوف اقبل نحو الموت . لاني واثق بصلاح الله الغير المتناهي . فاحفظوا انتم في ذهنكم الاشياء التي اوصيتكم بها مرات كثيرة . فكونوا ساهرين في الصلوات حارين في اعمالكم . واهربوا من المخاطبات مع اولئك الذين يمكنهم ان يسلبوا منكم فضيلة الايمان او يعكسوا استقامة عوائدكم . بل تقدر ان تتفاوضوا مع أناس خائفين من الله . الذين بواسطة سيرتهم الفاضلة يكونون لديكم نموذجاً صالحاً يفيدكم للبناء ولتعزية انفسكم . فأنا الآن أشعر بالخلال قواي وبدنو ارتحالي بانفصال نفسي من جسدي . فانتخبوا اذاً فيما بينكم بحضوري معكم رجلاً يتخذ على ذاته تدبيركم بعد الله مهتماً في خلاصكم الابدى . أما انا فأرى ان باترونيوس أليق لهذه الوظيفة » . اه

فوافق كل الرهبان على اختياره وقبلوا باترونيوس رئيساً عليهم وكان هو ايضاً مريضاً وقتئذ في دير آخر . ثم اوصاهم القديس باخوميوس باتباع قوائينه وتجنب الطراطة وبالثبات في الايمان الارثوذكسي وقدم لهم ثيوذوروس تلميذه ايضاً ليقبلوا رئاسته في الوقت المناسب واذا رأى ملائكة الله يتقدم اليه بخطوات هادئة رسم على ذاته علامة الصليب واسلم الروح في ١٤ بشنس سنة ٢٢٢ ش و ٣٤٩ م وهو ابن ٧٤ سنة ودفن في المكان الذي اوصى به

وقد ظلت رهبنة هذا القديس قائمة في الشرق حتى القرن الحادى عشر . وقد روى انسلم اسقف هافلبرج بالمانيا من رجال ذلك القرن انه شاهد بالقسطنطينية ديراً باسم القديس باخوميوس وبه ٥٠٠ راهب عاملين بقوانين ذلك القديس العظيم . أما سيرة هذا البار فقد دونها احد رهبانه بالقبطية ونقلها عنه ايرونيوس قديونيوس الصغير . وقد عربها بعض القبط ثم ترجمها الموسيو اميلينو الى الفرنسية وطبعها في باريس سنة ١٨٨٩ م . وبعد القديس باخوميوس ترأس

مكانه باترونيوس كاشارته وبعد هذا ترأس ثيوفوروس المشار إليه اتفاقاً والذي تنيح وبلاير ثلاثة آلاف راهب ورسم القديس اثناسيوس أموزاً حقيقياً على دير طابانا وهو الذي اضطره غريغوريوس الدخيل وتماه

(٤) يوحنا الاسيوطي - ولد في ليكوبولي (اسيوط) سنة ٤٠٥ م

من ابوين فقيرين وكان ابوه نجاراً فتعلم صناعته ومارسها الى ان بلغ الخامسة والعشرين من عمره ورأى في نفسه ميلاً لعيشة الانفراد فانطلق الى البرية وتعلم لناسك شيخ الذي رآه في اتضاع تام فرفعه الى ارفع درجة من الكمال

وكان يوحنا معروفاً بالطاعة الكاملة ومن دلائل ذلك ان معلمه وجد يوماً غصن شجرة فأمره بفرسه وسقيه مرتين يومياً حتى يشمر . فعمل يوحنا بأمر رئيسه الشاق الغير المقبول عقلاً وعادة وبكل خضوع وبدون اشمزاز سار عليه لمدة سنة كاملة وكان يسير نصف ساعة الى العين التي يستقى منها الماء فلغصن وأمره رئيسه مرة أخرى ان يقلع صخرة عظيمة يمجز كثيرون عن تحريكها فأطاع ولبث يفرغ جهده في قلعها مع علمه باستحالته وقال كاسانيوس « ان هذا القديس بتلك الطاعة العمياء رقى في أمد قريب الى درجة سامية من درجات التأمل والبر »

وبعد نياحة معلم القديس يوحنا زار جملة اديرة مدة خمس سنين ثم فيها درس فروض الكمال ثم صعد الى اكمة مرتفعة على جبل بقرب مدينة ليكوبولي وتقر في صخورها مغارة وقطن فيها اربعين سنة لم يشاهده فيها احد ولم يكن يظهر الا من كوة صغيرة في المغارة كان يفتحها نادراً ولم يكن يفتحات الا القليل من البقول والماء ومع ذلك كان يبش في وجوه زائريه ومنع النساء من المجيء اليه

وقد اشتهر بحكمته وعلمه بالمستقبلات حتى ان القائد الروماني الذي كان معسكراً في اسوان كان يستشير في أموره العائلية والسياسية لاعتقاده برجحان رأيه ووفور فضيلته . وطلب منه مرة ان يسمح لزوجته بمقابلته وكانت قد أتت من مكان بعيد لتستشيره فاعتذر له بكونه عزم منذ سكناه بالمغارة على عدم مشاهدة امرأة قط . الا ان القائد قال له ان امرأتى تموت من شدة الحزن اذا لم

تراك فقال له القديس امض وستراي امرأتك في هذه الليلة . فتركه القائد وهو يندهش . وفي تلك الليلة ترى للمرأة في الحلم ونصحها بان تكون رغبته من رجال الله لا ان تشاهدتم بل ان تتمثل بافعالهم التي تسمع عنها ثم دعا لها ولزوجها بالبركة ولما اخبرت زوجها بما شاهدت زادت حيرته وزار القديس مقدماً له شكره .

وبعد ذلك هجم البرابرة من الحبشة على الصعيد فخاف القائد واستشار القديس في أمرهم فقال له لا تخش كثرة عددهم اتكل على الله وهو يوقعهم في يدك قم قوله

وأثناء مرة شريف حبشي كانت امرأته على باب الولادة وطلب منه ان يصلي من أجلها فوعده بنجاتها وسلامة ابنها واخبره انه سيصل اليهما بعد الولادة بسبعة ايام وامره بتربية ابنه في طريق الفضيلة وبعد ان تم له سبع سنوات يضعه تحت اشراف أحد السياح ليروضه على عيشة الناس لينشأ سائحاً متوحداً واتصل خبر هذا القديس بثيودوسيوس قيصر الكبير فأرسل يأخذ رآيه في أمر الحرب التي كانت بينه وبين مكسيموس فأعلمه القديس بخبر انتصاره عليه قبل وقوعه فعمم شأن القديس في نظر القيصر وأرسل أتروبيوس أحد وزرائه يلتبس منه بالحاح أن يأتي الى الملك فأبى يوحنا كلية ترك معبده ولكنه اخبره انه سيغلب في كل حروبه وبعد قليل يموت

واذ أدرك القديس يوحنا ان زمن نياحته قد أزف أمر أن لا يطلبه أحد مدة ثلاثة أيام وصرف ذلك الوقت مصلياً ثم أسلم الروح في سنة ٤٩٤ م وقيل انه وجد بعد موته منتصباً على ركبتيه

وأطلق على هذا القديس غالباً لقب « نبي مصر » ولم يكن يقتصر على خير نفسه ويكتفي بملازمته للعبادة بل اهتم بخير فقراء مديريته فكلف بعض تلاميذه بجمع صدقات من المحسنين وتوزيعها على المحتاجين . ولما رأى المسيحيون حسن عمله اتفقوا فيما بينهم على أن يقدموا له عشر ايرادهم فكان القديس يجمع هذه الاعشار ويوزعها على الفقراء والبائسين وقد سار هذا المشروع سيراً حثيثاً وبرزت شمس من اسبوط فانتشرت أشعته على كل مصر ومنها عم جميع الممالك

المسيحية . وقد أسند المؤرخون مبدأ تقديم الاغشار عند المسيحيين الى هذا الراهب الاسيوطي . وبعد هذا العهد كانت هذه الاغشار تجزأ الى ثلاثة أقسام الاول لرواتب الأكليروس والثاني لعاهرة الكنائس والثالث للفقراء . ولا تزال هذه القاعة في كثير من كنائس القطر حيث يجمع من المصلين صدقات على ثلاث مرات

(٥) يعقبن السامح وانموته . ولد سنة ٣٥٠م وكان له ستة اخوة هم انوبيوس

أ كبيرهم وبايز وسمعان وألون ونسطور الملقب منذ القديم بالناسك وسارماس الشاب . قيل ان جماعة التدميرين الذين غزوا مصر قبلا استولوا على جميع ممتلكات والد هؤلاء الاخوة ثم أوردوه حتفه . وهؤلاء الاخوة السبعة اتفقوا معاً على اعتناق سيرة الرهبنة واعتزل القديس يعقبن عن الناس سنة ٣٨٥م وانقرض في بركة الاسقيط بمصر حيث تبعه اخوته الستة

وكانت العيشة التي آثرها يعقبن شديدة وصارمة للغاية اذ كان يقول « ان اللذة الشهوانية تطرد من القلب الندامة وخوف الله كما يطرد الدخان النخل فرائحتها تحمد النعمة وتنزع من النفس التعزية وحضور الروح القدس أيضاً » غير انه رأى في المستقبل ان هذه العيشة الغير الاعتيادية تنشىء في الانسان زهواً وفخراً ففضل عوضاً عن ان يصوم ثلاثة أيام او اسبوعاً ان يأكل كل يوم بطريقة تجعله دواماً شاعراً بالجوع . وعوضاً عن أن يسهر الليل كله ينام منه أربع ساعات ويقضى نصف الباقي في الترتيل والصلاة والنصف الآخر في عمل يده . أما يومه فكان يقضى منه الى الساعة السادسة في عمله والى التاسعة في صلواته وما بقي يجمع فيه البقول التي يأكلها في الغروب

وكان القديس في حياته يكثر من زيارة الشيوخ لكي يستفيد من آدابهم ولم يضر من تأمل قول الانبا موسى أحد معلميه « يجب ان يكون لخادم الله قلب منسحق بالندامة ولا بد ان يتخضع كل التخضع لاجل ذنوبه ويراه دائماً أمام عينيه على انه لا بد له حينئذ من ان لا يفتكر ابداً في زلات القريب ولا يحكم على احد ما اذا لم يفرض له ذلك اما من باب المحبة واما للقيام بواجبات وظيفته » اه

وفي سنة ٣٩٥ م انغار البرابرة على بركة الاسقيط فانسحب هو واخوته الى
فيزينوت بالقرب من هيكلي قديم للاوثان واقام هناك عدة اعوام يسوس جماعة
قليلة بمساعدة اخيه الاكبر انوبيوس وكانوا يكرهون بعضهم اكراماً عجيباً .
وحدث ان انوبيوس قضى اسبوعاً في ذلك للمعبد يرحم صباحاً بالحجارة تمثالاً
كان فيه قصد اهانتته ويأني امامه مساء جاثياً طالباً الغفران . فبيمين الذي شاهده
تعرف اخيه هذا سألته عن مغزاه فأجابته اني لاجل تعليمك عملت هذا فالتثال لم
يكن يحزن وقت رشقه بالحجارة ولم يبتهج اذ كنت اطالب منه الصنح فعلى هذا
النحو ينبغي ان تتصرف امام احزان وتلدات العالم « ومن هذا الدرس تعلم بيمين
ان يقول « اني اصم لا اسمع ما يقال عني واعشى لا التفت الى نقائص القريب
واخرس لا اتكلم فيها ولا احكم عليها بل اترك الحكم لله »

وكان احد السواح المقيمين تحت اوشاده يذهب احياناً الى احدى البلاد
القريبة ويبيع لمعلمه ما يشتغله من السلال . فجاءه يوماً طالباً منه ان يرشده الى
طريقة يبيع بها السلال فقال له « اذا اراد احد ان يشتريها باكثر من ثمنها فلا
تبعها واما بأقل منه فسلم وكن على الدوام منقبها لكي يربح الناس منك وسر
لانك تخسر لاجلهم » واتفق ان القديس شعر بان رجلاً اشترى منه السلال
فكفي يعمل معه معروفًا فدفع له فضته واسترجع منه السلال قائلاً له « لا اريد
ان اربح بخسارة الغير »

وادرك القديس معنى قول السيد المسيح « من أحب أباً أو أمّاً أو اخوة
أكثر مني فلا يستحقني » بمعنى انه لا ينبغي ان يحبهم محبة تعوقه عن اتمام عمل
خلاصه . فذات يوم جاءته والدته كي تشاهده فهرب منها مخفياً ولكنها
لاحظته فنبهته وهي تبكي متوسلة اليه ان يقف لتشاهده وتخطبه . اما هو فأجابها
« لا تبكي لانك عتيده ان تشاهديني في السماء الى الأبد اذا صرت في طريقى »
ومرة أخرى ارسلت اليه شقيقته تقول ان ابنها مسجون وقد وعد الحاكم باطلاقه
اذا طلبت منه ذلك فرد عليها يقول « ليس ليبيمين بنون يحزن عليهم فليفحصه
الحاكم فان كان مذنباً فليعلقه وان كان بريئاً فليطلقه » فتعجب الحاكم من فضيلته
واملق الشاب

ولم يكن تصرفه هذا قساوة منه على أهله لان محبته وشفقته تجلت لكثيرين من الحزاني والمصابين الذين كانوا يلجأون اليه فيجدون فيه معزياً جليلاً وكان يشعر بمطف كل على الخطاة حتى انه كان يقول « يجب أن نستعمل مع كل الخطاة كل ما نملك من الرحمة والمحبة لانا اذا وبخناهم بشدة حينما يصرحون لنا بذنوبهم يزيدهم حزناً ولكن ان كنا نهديهم روعهم ونطلب منهم أن يكفوا عن حزنهم ويلتقوا اتكاهم على الله ونحذرهم من العودة للخطيئة في المستقبل يمكننا أن نجذبهم الى التوبة بسهولة »

ولما اشتهر القديس بيمين بصفات حسنة كثيرة في أنحاء القطر وأخصها استقراره الاحوال وكشف المكنونات . أصبح مقصداً لكل متحير وكثر القادموون اليه من كل مكان وقال له أحدهم يوماً لقد كنت أخشى أن توصل في وجهي باب مغارتك لانه زمن صيام فأجابه « انى لا أعرف أن أغلق في وجه أي انسان هذا الباب الخشبي بل انى أجتهد بكل قوتي أن أغلق باب لساني » والتجأ اليه مرة أحد الرهبان لكي يعين له عملاً يقوم به خلاف زرع الاراضي واعطاء محصولها للفقراء فأجابه « ان هذا العمل الحسن لا يلزم أن يغير » ولما لامه البعض على تعيين فلاحه الارض كعمل خاص بالراهب قال « ان الذي يريد أن يفعل الخير لا يتخير نوعه بل فليعمل ما في قدرته » وحينما طلب منه البعض أن يرشدهم الى كيفية ابادة الافكار الرديئة أجابهم « اعملوا تلك الافكار نظير المغلوق عليهم من السجن . لا تصغروا اليها ولا ترددوها من جديد في هواجسكم فتبيد من ذاتها كما تهلك الحيوانات التي توجد في مكان ليس فيه هواء » ولما كشف له أحد الرهبان ضميره في انه كان يتعذب من قبل تصورات مختلفة أجابه « كما ان الذباب لا يستقر على وعاء مملوء من الماء المغلي الشديد الحرارة بل يستقر على الوعاء المملوء بالماء الفاتر وهناك يتولد الدود هكذا لا يستطيع الشيطان أن يضرب بتجاربه الذين تتقد في قلوبهم محبة الله بل يستحوذ على الذي يكون قلبه فاتراً في محبة الله »

وأحد الاخوة ارتكب زلة فتعهد له بان يكفر عنها بامائة ثلاث سنين فقال له « أخاف أن لا تثبت على هذا المقصد يجب أن ترضى بامائة ثلاثة أيام وتعملها بحرارة » وأخر جاء يستشير في بعض الوسائط التي يستعملها لينجو من تجربة

شديدة وقوية فأمره أن يبغد عن مسكنه مسافة ثلاثة أيام وثلاث ليال ويصوم كل يوم حتى المغرب مدة سنة . وقيل ان راهباً كان متعذباً جداً من أفكار التجديف وحاول مراراً أن يخطر القديس بأمره ولكنه خشي فامسح منه ذلك وطلب اليه أن يكشفه بأمره فشكى له تجربته فقال له « اذا وسوس اليك الشيطان بمثل هذه الافكار قل له « ان تجديفك يقع عليك أما أنا فلا آخذ منه جزءاً لان قلبي يبغضه » وذات يوم جاءه رجل من سوريه وسأله أي دواء أتفع لصلابة القلب فأجابه « الحرارة في الصلاة والمواظبة » وكان يحث الاخوة على دوام ممارسة الفرائض الالهية ولا سيما سر الافخارستيا فقال لهم « ان الظباء بعد أن تفرس الافاعي في البراري تلتهب من سموها فتطلب الماء لكي تبرد غليتها هكذا نحن نقدر أن نجتاز بادية هذا العالم بدون أن نبتلع شيئاً من سمها ولا ننجو من ذلك الا بتكرار مباشرة الفضائل الالهية »

وكانت الاجوبة الحكيمة التي يجاب بها هذا القديس سائليه ناشئة من كثرة استنارته بشريعة الله ومواظبته على مطالعة الكتب المقدسة حتى انه قال في هذا الموضوع « كما ان الماء الجاري على توالي الزمن يتمكن من اقتلاع الصخور الراسخة هكذا المداومة على تلاوة كلام الله تلين القلوب الجامدة » ولكي يعزي ذلك البار الذين كانوا لا يجدون تعزية من كلمة الله لعدم فهمها قال لهم هكذا « كما ان الرقاة الذين يرقون الحيات لا يفهمون فخوى تلك الكلمات التي ينطقون بها ومع ذلك تفعل مفعولها في الحيات فتمنعها عن اللدغ هكذا كلام الله اذا تلي يستطيع أن يزعج الشياطين ولو لم يفهمه الذي يتلوه »

وأعطى تلاميذه هذه القاعدة « لا تجاروا هواكم بل قاوموه في كل حين لان الذين يتبعون أهواءهم لا يحتاجون للشيطان ليجربهم فهم أنفسهم مجربون أشداء » وكان يقول « لا يمكن أن يطرد الشر بالشر . اذا فعل معك أحد شراً فافعل معه خيراً لتغلب الشر الذي يفعله معك بالخير الذي تفعله معه » وأضاف الى ذلك مانصه « ان المقلق والمتذمر والمتظلم لا يستطيع أحد منهم أن يكون راهباً وكذا ذوو الاميال الرديئة الشديدة ومن يجازى الشر بالشر » وكثيراً ما كان ينصح اخوته أن لا يكتموا التجارب في أنفسهم قائلاً « لا شيء أحب للعدو من

أن يرى واحداً مصراً على عدم اخبار رئيسه أو مرشده بتجاربه» وقوله « يجب أن تكون عيوب المرء دائماً نصب عينيه بحيث ان ذلك يمنعنا عن ملاحظة عيوب الغير » وقوله « ان الصوم والانسحاق يمنعاننا عن رؤية زلات الغير ولو كانت تظهر مسوخاً للذين يغفلون عن خطاياهم . فلا ريب ان الذي يحكم على نفسه يقدر أن يعيش في كل موضع ويحتمل بصبر كل الشتم » وقال يوماً لراهب « ان من يملك تقاوة القلب هذه التي بها تستحق النفس أن ترى الله هو مقتنع ان فساد قلبه قد جعله أروءاً من القتلة أنفسهم » اما اخوه انوبيوس فأثبت هذا الحكم بقوله « ان الدينونة التي يدين بها الانسان نفسه تحجب زلات غيره فليس الانسان عادلاً الا متى حكم على نفسه » وكان القديس ييمين يستعمل عادة هذا التشبيه وهو « رجلان كان لكل منهما صاحب ميت في بيته فذهب الواحد الى الآخر وكلاهما يبكي على جسم حبيبه يتأسف عليه ومن ثم سببنا ان نشفق بعضنا على بعض ونشفق على زلات القريب » . وللقديس خلاف هذه الاقوال كثير ولا سيما فيما يتعلق بالصمت واحتقار الذات . ومما يؤسف له اننا لم نقف على ما ذكرنا الا في مؤلفات الاجانب لفرط اهاننا في حفظ آثار آبائنا

وبعد ان مضى البار ييمين مدة في البرية يرشد ويعلم هجوم البربر ثانياً على الجهة التي كان مقياً بها وكانوا يقتلون كل من وجدوه امامهم حتى اضطر القديس ان يهرب هو والقديس ارسانيوس سنة ٤٣٠ م واخيراً رقد في الرب في اواسط الجيل الخامس

(٦) ريديموس الضرير . ولد بالاسكندرية سنة ٣١٨ م وأصيب

بمرض في عينيه وهو في الرابعة من عمره ففقد بصره ولكن رغبته الشديدة للحصول على العلم ذلت أمامه كل عقبة فلم يمنعه فقد البصر ولا الفقر من تعلم الحروف الابجدية علي لوح محفور وبهذه الطريقة تعلم النحو والمعاني والبيان والفلسفة والمنطق والرياضة وفن الموسيقى . وكان متمكناً من كل علم من هذه العلوم تمكناً جعله متفوقاً على اترابه ومناظريه . وقال ايرونيوس « أنه تعلم الهندسة أيضاً التي تحتاج الى النظر اكثر مما سواها حتى كان أعجوبة لكل ناظر اليه

فانتشر صيته وذاع اسمه في كل مكان »

وكان ديديموس صديقاً حميماً للقديس انطونيوس فذات يوم شرعاً يتخاطبان عن الكتب المقدسة فسأله القديس في أثناء مذاكراته أليطاك لا تحزن على كونك كخفيف البصر؟ فقال له ديديموس ان ذلك ليحزنني جداً . فقال القديس « اني لمتعجب من حزنك على فقد ما تشترك فيه معك أحقر الحيوانات كواسطة للشعور بها ما دام لا شعور عندها غير البصر ولا تفرح متعزياً لان الله خولك نظراً آخر لا يهبه تقديس اسمه الا لمحبيه افأعطاك عينين كأعين الملائكة تبصر بهما الروحانيات بل بواسطتهما ادركت الاله نفسه وسطع نوره امامك فازاح دياجير الظلام عن عيني قلبك فاستمرت » فتسلى ديديموس بهذا القول طول حياته

ولما كانت شائماً حينئذ بين كثيرين أن اوريجانوس لا يمتاز عن المبتدعين والمهرطقة . وكان هذا العلامة من الواقفين على الحقيقة والعارفين بسلامة ايمان اوريجانوس نشر شرحاً وافياً لكتاب اوريجانوس المسمى « المبادئ » أوضح فيه خطأ الذين يعتقدون في اوريجانوس الضلال وان ما يوجهونه اليه من الانتقاد هو مجرد أوهام لا قيمة لها ثم قال « ان الذين يهتمون اوريجانوس بالابتداع هم عديمو الفهم لا مقدرة لهم على ادراك الافكار العالية والحكمة الغامضة التي امتاز بها ذلك الرجل العظيم الذي يعد من النوابغ المشهورين » اهـ

وبعد وفاة مقار السياسي مدير المدرسة اللاهوتية عين البابا اثناسيوس ديديموس خليفة له سنة ٣٤٠ م فكان استاذاً ماهراً ومدافعاً قوياً عن الايمان القويم فتقاطر طلاب العلم اليه من كل مكان وتعلم له روفينوس وايرونيوس اللذان اتيا مصر لدرس أحوال الرهبنة كما سيأتي . ولما كان كثيرون من ذوى البصر يتلقون العلم عن ذلك الضرير لقب حينئذ « الاعشى البصير »

ولما شاخ هذا الرجل العالم كان حزنه عميقاً على المسيحيين الذين كانوا واقفين تحت اضطهاد يولييانوس الجاحد فصرف يوماً كاملاً في الصلاة والصوم وهو يبتهل الى الله أن يرفع البلاء عن شعبه الى أن اضناه التعب فنام وفي اثناء نومه سمع صوتاً من العلاء يقول له « قم وكل وقل لاثناسيوس ان القيصر قد مات » فكتب تاريخ اليوم والساعة اللذين سمع فيهما هذا الصوت فوافق بالتمام الوقت الذي

قتل فيه يوليانوس

قال سقراط المؤرخ « ان ديديموس كان يعتبره الناس حصناً متيناً وسنداً قوياً للديانة المسيحية حتى قبل أن يتولى رئاسة المدرسة اللاهوتية وهو يعد خصماً عنيداً كسر شوكة اتباع اريوس واذلم في مناظراته لهم . وله مصنفات عديدة لم يسبق منها في عالم الوجود سوى اربعة فقط » اه وقد وضع من الكتب كتاب تفسير للمزامير والانجيل متى ويوحنا وكتاباً في عقائد الدين وكتابين عند فيهما ضلال الاريوسيين وكتاباً في الروح القدس ترجمه ابرونييموس الى اللاتينية وعشرة كتب في تفسير نبوة اشعيا وثمانية في نبوة هوشع وبعث الى ابرونييموس بثلاثة كتب في تفسير آيات من الاسفار المقدسة وكتب خمسة كتب في نبوة زكريا اقترحها عليه ابرونييموس وفسر سفر ايوب وغير ذلك . وابرونييموس تلميذه الذي عدد مؤلفاته كتب عنه في سنة ٣٩٢ م يقول « وهو حتى الآن يوجد جلوز الثالثة والثمانين من عمره » وتوفي ديديموس سنة ٣٩٦ م

(٧) نأيسس كنيسته مسيحية يهود الهيئة بواسطة انصاب المصريين .

في بدء صعود البابا اثناسيوس الرسولي الى كرسي البطريركية حدث حادث تاريخي هو فتح بلاد الحبشة للتبشير بالانجيل وذلك أن أحد فلاسفة مدينة صور واسمه ميروبيوس اراد أن يقوم برحلة رياضية لبلاد الهند فاخذ معه اثنين من اقاربه وهما صبيان مسيحيان اسم الاول فرومنتينوس والثاني ايديسيوس ففي اثناء رحلتهم في بحر القلزم (البحر الاحمر) احتاجوا الى طعام فاقتربوا من الشاطئ وراهم البرابرة القاطنون هناك فهجموا عليهم لينتقموا من بحارة في احدى السفن كانوا قد اساءوا اليهم فذبحوا ميروبيوس وجميع البحارة والركاب ولم يستثنوا الا الصبيين اللذين كانا قد هربا الى مسافة قريبة فوجدوها تحت ظل شجرة كبيرة يطالها ان الكتاب المقدس ويصليان الى الله لينتقمها فاحاطوا بهما وأسروهما وقدموهما هدية الى ملك البلاد في مدينة اكسوم في عاصمة اثيوبيا (الحبشة) في ذلك الحين . فجعل الملك ايديسيوس رئيس سقائه وفرومنتينوس امين صندوقه وعند موت الملك اعتقها ولكن ارسله الملك طلبت منها أن يحكها في بلادها

ليساعدوها على تربية أولادها الصغار فقيلوا وساعدا الملكة بمشورتيهما في امور الحكومة حتى صارت حكومة الحبشة في أيديهما على توالي الايام . وفي اثناء ذلك استخدما كل نفوذ لهما في نشر الديانة المسيحية وساعدهما على ذلك تجار مسيحيون رحلوا للتجارة في اقاصي تلك البلاد فنبت البذار الذي زرعه وتما بسرعة وبعد سنوات عديدة صار ولي العهد راشداً فلم يبق لهما وجه في الإقامة بتلك البلاد فرجعا الي وطنهما اما ايديسيوس فسبق الى صور حيث رسم فيها قساً وأخبر روفينوس كاتب القصة بجمالية الخبر ولكن فرومنتينوس عرج على مصر ليسرد الخبر على مسامع البابا اثناسيوس الرسولي

وحدث انه بينما كان هذا البابا جالاً في مجمع مع زمرة من الاساقفة قيل له ان رجلاً غريباً وقد حالاً من البلاد الحبشية يرغب في مقابلتهم . وعندما حظى فرومنتينوس بالمقابلة طلب اليهم ان يعينوا اسقفاً ليرأس كنيسة الله الصغيرة في بلاد الحبشة فصرح البابا اثناسيوس الى مجمع القسوس المجتمعين حوله قائلاً كما قال فرعون عن يوسف « هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله ؟ » ثم قام برسامته وتكريسه اسقفاً للحبشة وسافر فرومنتينوس عائداً الى مقر وظيفته فاستقبلوه هناك افضل استقبال وسرت بذكره الاغانى نورد لك هنا مثالا منها تكاد تكون حرفية

حيوا سلامتنا باصوات السرور وتقدموا بمدح مزميرين
ذا باب رحمتنا مع البر الغزير غيث اتى من فيض رب العالمين

وقيل ان كثيرين من البرابرة شفوا من امراضهم على يده وان عدداً عظيماً اهتدى الى الايمان بالمسيح فاقام لهم كنيسة وترجم الكتاب المقدس الى اللغة الحبشية ولم يمض الا القليل حتى قبل معظم الاحباش الديانة المسيحية . ولقب الاسقف رسمياً في بلاد الحبش (ابا سلامة) اي (ابو السلام) ولغاية يومنا هذا يقال لاسقف الحبشة (ابا سلامة) وصارت الكنيسة القبطية من ذلك اليوم هي صاحبة الحق في ارسال الاساقفة الاقباط اليها

ويقال ان متى الرسول هو اول من نادى بالانجيل في الحبشة وتبعه مارمرقس كاروز الديار المصرية حتى ان فرومنتينوس وجد أثراً للديانة المسيحية في تلك

البلاد وعلى كل حال فلم تقم للمسيحية قاعة ببلاد الحبشة الا في عهد البابا اثناسيوس

(٨) نشر الرهبنة في العالم بواسطة بطريرك الاسكندرية . سبق معنا

ان الكاتب لسيرة القديس انطونيوس هو البابا اثناسيوس الرسولي كتبها في حياة القديس انطونيوس نفسه واختلف الرواة في السبب الذي حمل البابا على تحرير تلك السيرة فقال بعضهم انه كتبها تلبية لطلب نساك مصر اثناء اقامته بينهم وقال آخرون انه دونها في رومية حين استضافه اسقفها وطلب منه مسيحيو تلك البلاد الذين كانت قد وصلت الى مسامعهم انباء القديس انطونيوس اللذيذة ان يقص عليهم خبره ولما أخذ يقص عليهم ذلك البطريرك أخباراً عن ابطال الرهبنة ونظامها كانوا يصغون اليه بكل ارتياح وبعد ذلك كتب لهم ترجمة القديس وقوانينه فصادفت منزعاً في نفوس الغربيين وأخذوا في تأسيس رهبانيات كثيرة تسير على نظام رهبنة مصر وكثر اقبال الشبان الذين هجروا العالم وآثروا المكوث على قم الجبال والقفار والصحاري والمغائر والوديان كما جرى في براري مصر الشرقية والغربية .

ويمكننا ان نوفق بين الروايتين بما نذكره وهو ان البابا اثناسيوس كتب تاريخين للانبا انطونيوس أحدهما بناء على طلب رهبان مصر وثانيهما بناء على طلب مسيحي رومية وهذا هو السبب في وجود بعض اختلاف لا يضر بالجواهر بين مؤرخي الشرق ومؤرخي الغرب في ترجمة القديس وذكر ابرونيوس تأييداً لهذا القول « انه لما هرب هذا البطريرك الى رومية أخذ موجز سيرة القديس انطونيوس الذي كان قد ألفه واناساً كثيرين بعد ان قرأوا الخبر هجروا العالم وترهبوا » اه وكان القديس اثناسيوس قد كتبه باللغة اليونانية وترجمه ابرونيوس الى اللغة اللاتينية .

وانتشر ذلك التاريخ الذي كتبه البابا اثناسيوس عن القديس انطونيوس حتى بلغ مدينة تريف على حدود جرمانيا . وقيل ان اثنين من ندماء الملك سمعا جماعة تقرأ ذلك التاريخ فتأثرا منها جداً وتركوا وظيفتهما وآثرا عيشة النسك .

وبلغت سيرة انطونيوس اسباع اغوستينوس وقد قصها عليه بميلانو صديق زاره فأظهر تأثره الشديد وأتت به هذه القصة الى المسيح .

وبالجملة فقد سار خبر القديس انطونيوس الى جميع الاصقاع الغربية حتى في بريطانيا سموا بعض كنائسهم باسم هذا البطل المصري بل وجد على أقدم الانصاب المسيحية في اسكوتلنده نقش يمثل مار انطونيوس مع صديقه الانبا هولاء . وكذلك المنصورون المسيحيون في اسبانيا وهولاندا وغيرها صوروه مجاهداً ضد التجربة

(٩) نُسِرَ الرهبان المسيحي بين البربر وتمييزهم بواسطة أفاضل

الكنيسة القبطية . من كبار رهبان هذا الجيل الأب موسى القبطي الذي كان يعيش في صومعة موجودة في الصحراء الواقعة بين مصر وفلسطين . وكان مشهوراً بالتقوى وله منزلة سامية لما اجراه الله على يديه من الآيات والمعجزات بين قبائل البدو المقيمين بتلك الجهات تحت رعاية ملكة مافيا كان زوجها متحالفاً مع الرومان وبعد وفاته صاروا يغيرون على كل بلاد المشرق ولم يكن فالتص الملك الاريوسي قادراً على صدحهم عن حدود بلاده لاهتمامه بمقاومة سكان جنوبي فرنسا . فأرسل فالتص للملكة مافيا يطلب عقد صلح معها فاشترطت عليه ان يعين لبلادها موسى اسقفاً مع انها لم تكن مسيحية بعد . فأرسل موسى بأمر الملك ليرسم اسقفاً من بطريك الاسكندرية ولكنه رأى ان لوسيوس البطريرك الاريوسي مضطهد الارثوذكسيين هو الذي يقوم مقام البطريرك الارثوذكسي فرفض مطلقاً ان يرسم من بطريك هرطوقي قائلاً « اننى أحسب نفسي غير مستحق لهذه الوظيفة السامية ولكن اذا كانت دواعي الحال عند الحكومة ماسة لتوظيفي فيها فلا مندوحة لي من قبول هذه الوظيفة ولكنى لا اقبلها من لوسيوس ولا هو يضع يده علي ليرسمني لانها يد ملوثة بدماء الابرار القديسين »

فاغتاظ منه لوسيوس وحاول اولو الامر ان يقنعوا موسى بقبول الرسامة ولكنه أبى بقائناً ان ترتفع يد موسى الائمة على رأسه فأخذ الحراس الى احد الاساقفة المنفيين لاجل تمسكهم بالايان الارثوذكسي فوضع يده عليه ورسمه

ولما تعين موسى أسقفاً انتشرت بواسطته الديانة المسيحية انتشاراً واسعاً بين
جماعة البدو . ولما رقي يوستنيان العرش الامبراطوري صارت جميع هذه البلاد
مسيحية بالمرّة

فن هنا يتضح ان الكنيسة القبطية لم تقتصر على قبول الايمان المسيحي
لنفسها بل عملت على نشر هذا الايمان في الاقطار البعيدة التي لم تكن قد آمنت
بالمسيح وكنيسة تبشيرية أرسلت من قبلها مرسلين الى جهات عديدة من أنحاء
المعمور لهذه الغاية . وهنا نقل ما كتبه في هذا الشأن « لجنة التاريخ القبطي »
بكتابها « خلاصة تاريخ المسيحية في مصر » ص ٢٣٠ : - « وقد كتبت أخيراً في
ذلك الآونة مرغريت مري تقول « بينما كان المسيحيون في افسس وكورنثوس
وغيرها من الاصقاع عبارة عن جماعات صغيرة متفرقة . كان مسيحيو مصر هيئة
منتظمة بلغت من القوة حداً أفضى الى جعل النصرانية الدين الرسمي للقطر المصري
قبل القرن الرابع للميلاد ولهذا يحق لمصر أن تفتخر بانها أول قطر مسيحي في
العالم . والفخر الاكبر انها حتى قبل بلوغها هذا الشأن كانت ترسل للبشرى من
أبنائها الى سكان أوروبا الوثنيين . وقد نخرت سفن أولئك المبشرين في البحر
الايض المتوسط الى أن بلغت سواحل فرنسا الجنوبية . فتخلف بها بعض منهم
وواصل الباقون سفرهم على ظهر سفن ساحلية غالباً حتى عبروا مضيق جبل طارق
واتجهوا شمالاً بمحاذاة سواحل اسبانيا والبرتغال وفرنسا الى أن وصلوا الى التيارات
الخطرة التي تكثف رأس بوشات ثم استقبلوا عرض البحر وشقوا عبايه الى ارلندا
الجنوبية فنزلوا بها وبثوا دعوتهم فيها وأسسوا كنيسة بريطانية أرسلت مبشريها بعد
ذلك الى الاقطار الاخرى . وليس ذلك فقط بل ان بعض المرسلين المصريين سافروا في
الطريق القديم الذي كانت تسير فيه السفن التجارية وبلغوا بريطانيا ذاتها فنزلوا
على ساحلها الغربي الذي لبث الفينيقيون قروناً عديدة يؤمونه للتجارة

« وقد جلب المبشرون المصريون معهم الى الجزر البريطانية نظام الرهبنة الذي أحدث
أثراً بالغاً في أوروبا في القرون الوسطى . وآثار سفراتهم هذه يجدها الباحث مدونه
في بيان كتبه يوخريوس اسقف ليون المتوفي سنة ٤٥٠ م وقال فيه « ان

الرهبان المصريين استقروا في فرنسا « اه
ويجدها أيضاً في تذكارات الرهبان المصريين السبعة الذين ماتوا في ايرلندا
وخلدوا في دعاء أوينجس وأخيراً يجدها في تاريخ تلك الطائفة التي قطنت
جلاستبري وسارت في حياتها على نمط الرهبان المصريين « اه

(١٠) بعضها الزينة وفردوا على مصر في هذا القرن لدرسي نظام الرهبنة .
منهم روفينوس (١) وسيدة تدعى ميلانو (٢) وروى الاول عن حالة الرهبنة في
مصر حينئذ أخباراً كثيرة منها ان أسقف مدينة اوكر سخيووس أخبره أن في
تلك المدينة عشرة آلاف راهب وان معظم الهيكل الوثنية تحولت الى اديرة
وان اثنتي عشرة كنيسة أخرى بنيت في تلك المدينة لهذا الغرض . وشاهد في
القيوم وفي سوهاج اديرة كثيرة تجمع ألوفاً من الرهبان ووقف بالقرب من
هرموبوليس (الاشمونين) على دير به خمسمائة راهب بينهم ابولوينوس وقد ترهب
وهو في الخامسة عشرة من عمره وهو من أصل طيب وتحصل على كثير من العلوم
وكان مقاوماً لجورجيووس البطريك الدخيل وأقامه البابا اثناسيووس أسقفماً وصار
رئيساً على الدير المذكور

وعثر روفينوس في خلوة خلف مدينة انطونيووس (دير البرشا) على راهب
يدعى الياس قطن مغارة واسعة مدة سبعة وسبعين سنة قضاها وحيداً . وكان
عمره حينئذ ١١٠ سنين والقاه مصاباً بالفالج الذي اهزله واضعفه ولم ير الياس
خارج مغارته ولم يسكن مكاناً غيرها كما أنه شفى مرضى كثيرين وكان طعامه ثلاث
أوقيات من الخبز يومياً وثلاث زيتونات كل مساء

(١) من ايطاليا أتى معمر لدرس قوانين رهبانها ليستعين بها على تحسين حالة الرهبان الغربيين ،
وكان مفرماً بكتابات اوريجانوس وتشاخن بسببها مع صديقه ايرونيوموس وبعد رجوعه الى بلاده
ترجم كتاب اوريجانوس الموسوم بالبياديء وصدره بما كتبه اامقياوس بحماسة عن اوريجانوس
وبتقرير ايرونيوموس عنه المصدره به ترجمته لشرح اوريجانوس على - لمرثيد الانشاد وقد
ذيل الكتاب المذكور برالة منه وضع فيها ما ادخله اصحاب اوريجانوس وخصوصاً في كتاباته من
الزخارف والدعاس المضعفة (٢) سيدة رومانية من اصل طيب صحبت روفينوس الى مصر
ومكثت تمهد باحد اديرتها حتى قبض عليها الاربيسيون ونفوها

ووجد مغارة أخرى كان يسكنها ثيون وهو راهب اشتهر بعلمه وتضلعه في اللغات اليونانية والمصرية واللاتينية ومن أتوا مصر أيضاً ايرونيموس (١) وكاسيانوس (٢) وقد أظهر هذا دهشته مما شاهدته من قساوة الرهبان على انفسهم حتى أنهم كانوا يضطرون الى حمل ما يلزمهم على منكبيهم ويسيرون بهذه الاحمال الثقيلة مسافة قد تزيد عن ثلاثة أو اربعة أميال . وروى عن رؤساء الرهبان حينئذ أنهم لم يكونوا يكفون تلامذتهم باية خدمة وحكى أحدهم بان رئيسه كرونيوس في شيخوخته كان يملأ الجرة ويطوف بها على الرهبان ليسقيهم . ورئيس آخر يدعى ثيوذوروس كان يعد المائدة لتلاميذه ولما سئل في ذلك اجاب « لست سيداً حتى اسمح للناس بان يخدموني » ومن اشهر من وفدوا الى مصر أيضاً القديس ارسانيوس (٣) من مدينة رومية

(١) ولد سنة ٣٣١ م في مدينة ستريدون وسافر الى بلاد كثيرة وتقلب في وظائف كهوتية ثم أتى مصر وانخرم بمؤلفات اوريجانوس ثم عدل عنها وصار يتقوّم كل من أحبها وبسببها تخاصم مع صديقه روفينوس كما عادت مع ابيه استعان في مؤلفاته المدينة بكتب اوريجانوس (٢) مكث في مصر بين سنتي ٣٩٠ و ٤٠٣ م ونقل جملة قوائين للرهينة المصرية الى اللغة اللاتينية لتكون نبراساً لرهبان الغرب

(٣) أصله من عائلة شريفة اختير مؤدياً لاولاد نيودسيوس قيصر الكبير ولسكنه آن عيشة النساك وهرب الى مصر الى برية شيهات وقدم نفسه الى رئيس دير يدعى يوحنا والتمس منه ان يقبله فلبسك يمتحنه الرئيس اعرض عنه هو ورهبانه وجلسوا الاكل وهو واقف امامهم ثم طرحوا له لقمة فتناولها بخضوع وأكلها فقبل بين الرهبان وعينت له صومعة فوق جبل المقطم ولما تولى تلاميذه اركاديوس بن نيودسيوس قيصر الملك احب أن يرقيه وبهبه عطايا فأرسل يقول له « ان من مات عن العالم لا يهتم بالدرهم » وطلب منه أن يوزع ما وهبه له لفقراء والنساكين . وقيل أن البابا ثاوفيلس البطريرك أتى لزيارته فطلب منه امرأ واحداً وهو أن يهود بدون ان يقايله لانه عزم على أن لا يرى اناساً قط . وحدث ان احدي شريفات رومية قدمت مصر لزيارة وسارت اليه من الريف الى البرية مشياً على الاقدام فأبى أن يقابلها فتكت منه لبابا ثاوفيلس فطيب خاطرها وقال لها أن قديساً مثله لا ينتظر منه أن يتطلع الى امرأة

وكان يستشير في أموره راهباً بسيطاً ولما سئل عن ذلك أجاب « اني مع ازدياد تفهمني معلوم البصر اقل دراية من هذا الشيخ البسيط » ولما كان كثير السكوت سئل عن ذلك ايضاً فقال « كثيراً ما تكلمت فندمت . واما عن الصمت فلم أندم »

وعاش في البرية اربعين سنة اجهد فيها نفسه بالنساك الزائد حتى كان يصرف ايّله بالصلاة ولا يرقد سوى ساعتين عند الفجر . وكان يديش من عمل يديه ووقت القديس يقف خلف عمود حتى لا يراه احد ومن كثرة البكاء زال جمال منظره وسقط شعر جلوته وألحقت قامته من الكبر ثم تبيح بسلام

الى ديوكليتanos سنة ٢٨٤ م وكان العامل على مصر يومئذ رجل اسمه اخيلوس
انتهمز فرصة الارتبكات التي سادت على المملكة الرومانية واستقل بمصر ونادى
بنفسه ملكا عليها وجعل مقره طيبة واقام فيها اربعة اعوام لم يتمكن غاليريوس
الوالي الروماني في خلالها من اخضاعه . فاضطر ديوكليتanos أن يحضر بنفسه
الى مصر ليقتص من اخيلوس على هذه المخالفة والجرأة ويخلص البلاد من يده
ولدى وصوله حاصر الاسكندرية وضيق عليها تضيقاً شديداً وبعد ثمانية اشهر
فتحتها عنوة واستولى عليها فاحرق المدينة وفتك باهلها فتكا ذريعاً

وكان قد ظن أن المسيحيين هم الذين اثاروا هذه الفتنة وناصروا اخيلوس
فاستعمل معهم الظلم والفساد وتجاوز الحدود في ذلك وارتكب مالا يخظر على
بال أحد من المائيم والمظالم واختفى أثر اخيلوس العاصي الذي هرب الى داخل
البلاد فكان القيصر اينما حل يوقع بهم ويقتلهم ويهدم كنائسهم ويخرب معابدهم ويعذب
رؤساءهم ويسبي نساءهم واولادهم . وسبي كثيرين من مدينة الاسكندرية وأباح
لجنوده باقي اهلها ليفعلوا بهم ما يشاؤون فعاثوا في الارض واهلكوا الحرث
والنسل وقتلوا وفتكوا ونهبوا وسبوا وارقوا الدماء انهاراً واشتدوا شدة
لم يسبق لها مثيل

واستمر ديوكليتanos يعذب المسيحيين بافظع انواع العذاب رغبة في تمزيق
شملهم وجمالهم على السجود للاصنام . وروى بعض الالباء ان ديوكليتanos ركب
ظهر فرسه وأمر جنده ان لا يتركوا القتل حتى تسيل الدماء على الارض وتعلو
حتى تصل الى ركة فرسه . فكان من الالطاف الالهية أن سقطت به الفرس على
الارض فتلوثت ركبتهما بالدم فتم قوله وابطلوا القتل . غير ان كثيرين من
المسيحيين كانوا محبوبين وقد حكم عليهم بالموت او بالنفي ولما شعروا بان ديوكليتanos
ينوي بهم شراً تركوا مصر وفروا الى بلاد اخرى

وقد استمر الاضطهاد جارياً على المسيحيين في مصر ثلاث سنوات ففي نهايتها
اصيب ديوكليتanos بالجنون بعد ان ذاق المسيحيون مالا يوصف من العذاب
وروى اوسابيوس المؤرخ الذي اتى مصر بعد هدوء الاضطهاد بتقليل ورن باذنيه
صدي انين المنكوبين قال : —

« انه يعسر على الكاتب الماهر ان يصف مقدار ما تجرعه الشهداء في صعيد مصر من اعذبة قاسية وآلام تشيب من ذكرها النواصي فقد كانوا يأتون بهؤلاء الشهداء ويخذشون اجسامهم وينزعون عنها الجلد الى ان ينكشف اللحم وهكذا يفعلون بباقي اجزاء الجسم الى ان يموتوا . اما النساء فكانت تربط احداهن في احدى رجليها وترفع في الهواء بواسطة آلة مخصصة لذلك بعد ان يخلعوا عنها ملابسها ويكشفوا كل جسمها وتظهر امام جمهور المتفرجين بمظهر تنفر منه الانسانية وتأباه النفوس الآبية

« وكثيرون ماتوا بواسطة الاشجار بالطريقة الآتية وهي انهم كانوا يقربون غصنين قويين من شجرتين متقاربتين بألة وضعت لهذا الغرض ثم يجيئون بالشهيد ويربطونه بهذين الغصنين ومن ثم يتركانها ليعودا الى اصلهما فهذا يعتدل لجهة اليمين مثلاً والآخر للشمال والشهيد بينهما تتمزق اضلاعه وتسحق عظامه سحقاً ويتطاير جسمه في الفضاء

« ولم تكف هذه الفظائع ايام وشهور بل كانت تستمر سنيناً طوالاً وهي في افظع حالاتها وكثيراً ما كان يصدر حكم بقتل عشرة اشخاص في لحظة واحدة واحياناً يقتلون عشرين رجلاً مرة واحدة واحياناً ثلاثين وستين . ومرة حكم على مائة رجل بالموت فماتوا في يوم واحد مع زوجاتهم واولادهم الصغار وذلك بعد ان ذاقوا من العذاب ألواناً »

وقد روى أوسايبوس ايضاً قائلاً « وقد شاهدت بعيني بينما كنت واقفاً بقرب النطع جماً غفيراً من المسيحيين جمعوا لينالوا الشهادة ولكن بطرق مختلفة فكان بعضهم تجز رؤوسهم وبعضهم يجرقون في أتون النار المتقدة حتى ان السيف الذي كانت تقطع به الرؤوس تلم وقل حده وتخطم تحطيماً لكثرة ماسحق من الرقاب . وكذلك السيفون تعبوا وخارت قواهم من ذبح الآدميين فكانوا يستربحون هنيهة ريثما يتنفسون الصعداء .

« فما تقدم يتضح ولاشك اننا شهود عدول على ماشاهدناه باعيننا من الغيرة الخارقة والقوة الالهية الصحيحة والفرح في الروح القدس الذي ملأ قلوب هؤلاء الذين يؤمنون بالمسيح ابن الله ايماناً متيناً جعلهم يقبلون الموت بصدور منشرحة

وثغور باسمه . حتى انه عند ما كان يصدر الحكم على واحد منهم بالاعدام كان الآخرون يندفعون من كل صوب مزدحمين في المحكمة أمام القاضي معترفين له بأنهم مسيحيون غير مبالين بما يلحق بهم من أعذبة مريعة واضطهادات شنيعة بل كانوا بجاهرون بكل جرأة وشجاعة بديانتهم الحقيقية التي تعلم بوجود اله واحد عظيم خالق السماء والارض والبحر وكل ما فيها

« ومن العجيب الغريب انه عند ما كان يصدر الحكم النهائي بموتهم كانوا يقابلون هذا الحكم بفرح وتهليل حتى انهم كانوا يرتلون ويرتلون أغاني الحمد والشكر لله الذي أهلهم لأن يموتوا لاجله . وكانوا يظنون يفرحون ويضطربون الى آخر نسمة من حياتهم عند ما تفارق أجسادهم أرواحهم

« نعم ان هذا غريب ولكن الاعجب من هذا كله ان الافراد الذين اشتهروا بغناهم وثروتهم والذين عرفوا بطيب معتد هم وشرف نسبهم وذاع صيتهم في الآفاق خصوصاً لانهم برعوا في الفلسفة والعلم ونبغوا في المعرفة والعرفان . هؤلاء كانوا يحسبون كل هذه الامجاد والمزايا من سقط المتاع ويزدرون بها ازدراء في جانب أهمية الدين الحقيقي والايان الصحيح بربنا ومخلصنا يسوع المسيح » اه

(٢) اضطهاد غاليريوس . سنة ٣٠٤ م وكاث غاليريوس صهر

ديوكلتيانوس يؤمل من وراء الاضطهادات القاسية التي اضطهد بها المسيحيين ان يقضي جوعهم ويقلل عددهم ولكنه رأى ان ذلك الدين كان ينتشر انتشاراً عظيماً جداً كل ما اشتدت عليه الوظأة من الحكومة . فأصدر غاليريوس امراً جديداً في خريف سنة ٣٠٨ م يقضي باعادة الاضطهاد على المسيحيين . وقد اشتد غيظه عند ما رأى انهم لا يخشون الاضطهاد بل كانوا يقابلونه بثبات الايمان وقوة العزيمة . فكلف المضطهدون بتشديد الاضطهاد عليهم وكان العامل على اشعال هذه النار من جديد مكسيحيان دازا الذي أفرغ كل ما في وسعه لالحاق كل بلية بمسيحيي مصر فكان يفتك بأغنيائهم ويسخر فقراءهم في مناجم المعادن في مصر واستغنى بهم عن المجرمين الذين كانوا يشتغلون فيها وكانوا يحكمون عليهم بالاشغال المؤبدة

حتى لا يجلوا يوماً بأنهم سيؤمنون من ذلك العمل وكانت منهم كثيرين من الاساقفة والرؤساء الذين افتدوا انفسهم على توالي الزمن بشروط معلومة وفي سنة ٣١١ م ابتلى الله غاليريوس بمرض عضال عز شفاؤه فظن ان ذلك بسبب هياجه على المسيحيين فامر بابطال الاضطهاد وقيل انه اعتنق الديانة المسيحية ولكن المسيح لم يقبل توبته الكاذبة فمضى على حياته

(٣) اضطهاد مكسيميان و مع ان غاليريوس ابطل الاضطهاد الا ان مكسيميان اذا الذي تنازل له ديوكليانوس عن العرش سنة ٣٠٥ م لم يكف عن اظهار غيظه وتوجيه شره للمسيحيين ففاق جميع اعداءهم في القساوة البربرية عليهم وامطرهم وابلا من العذاب راح فيه الوف من الشهداء الا برار قال أحد المؤرخين « حتى كانت القتلى منهم تحمل على عجل وترمى في البحر » واستشهد حينئذ البابا بطرس البطريرك الثامن عشر الملقب « بأخر الشهداء » وذلك لانه صلى قبل قطع راسه بان يكون دمه آخر دم يسفك من دماء المسيحيين وقد حقق الله سؤاله . فان مكسيميان اضطرا ان يبطل الاضطهاد لاشتغاله بالقتال مع قسطنطين غير انه هزم اخيراً ولعظم فتوته تناول سما فاختدت انقاسه .

(٤) تاريخ الشررا . ودام الاضطهاد على المسيحيين منذ أيام ديوكليانوس

عشر سنوات متتالية استشهد فيها الالوف العديدة من المسيحيين وقيل ان الذين قطعت أعناقهم في اضطهاد ديوكليانوس فقط سنة ٣٠٣ م لاجل اقرارهم بالمسيح كان نحو ١٤٠٠٠٠ من النفوس ماعدا ٧٠٠٠٠٠ هلكوا بالحبس والنفى . وبعض المؤرخين يقولون ان عدد الشهداء حينئذ يبلغ ٨٤٠٠٠٠ نسمة ويظهر انه مجموع شهداء اضطهادات الثلاثة الملوك ديوكليانوس وغاليريوس ومكسيميان . ومن ذلك الحين اخذ عدد الاقباط يتناقص من عشرين مليوناً الى عشرة ملايين ولما رآه الاقباط من آيات الظلم وقساوة الاضطهادات التي كان يتفنون فيها المضطهدون اعتبروا اول ملك ديوكليانوس أقسى ملك اضطهدهم تاريخاً لهم تؤرخ به الوقائع ويسمونه « تاريخ الشهداء » لكثرة ما سفك فيه من دماء

المسيحيين ويبتدىء هذا التاريخ المعول عليه الآن بالكنيسة القبطية من يوم
٢٩ اغسطس سنة ٢٨٤ م ليكون تذكراً لا اولادهم يعرفون منه انهم لم يشتروا
حريتهم الدينية الا بدم زكي ثمين . الا ان تاريخ الميلاد القبطي ينقص عن التاريخ
المعلوم الغربي ثمان سنين فسنة ١٩٢٣ الحالية هي سنة ١٩١٥ قبطية

(٥) عمر قسطنطين الملك المؤمن . جلس على العرش سنة ٣٠٦ م كان
مشهوراً بالرأفة وكمال الشفقة وغاية الشجاعة والبسالة . وكان محباً للديانة المسيحية



« قسطنطين الملك المؤمن »

محامياً عنها . واستنجد به يوماً الايطاليون ليخلصهم من جور مقنتوس ملكهم
فسار اليه بعدد قليل من الجنود ولكنه لما رأى كثرة عدد جنود خصمه تردد

في الامر وبينما هو متحير رأى هو وكثير من عساكره شكل صليب على دائرة
كوكب الشمس مكتوباً عليه بالرومية « بهذا تغلب » ثم رأى في المنام ايضاً حبراً
من أحبار المسيحيين يأمره بان يتخذ صورة الصليب شعار ملكه على سلاح
جنوده واعلامه فتقوت عزيمته وأمر فجعلوا شعائر الصليب على جميع الاسلحة
والرايات في المملكة الرومانية . وقد كان قبل هذا شعار القياصرة عبارة عن
صورة صنمية فاتخذ قسطنطين لنفسه برقاً مطرزاً بالقصب ومكلاً بالجواهر على
شكل صليبي ورقم عليه اسم المسيح بالحروف الرومية وصور المسيح متوجاً بتاج
الذهب وأمر جميع جنوده ان يرسم كل منهم صورة المسيح على كنانته وسلاحه
فجعلوا جميعاً . وتقدم لمحاربة خصمه ففاز به وانتصر عليه ومن ثم اعتنق المسيحية
ونال سر العباد .

(٦) اضطهاد الاريوسيين بمساعرة قسطنس . وملك على الشرق

قسطنس ابن قسطنطين سنة ٣٣٧ م فأعز الاريوسيين وناصرهم على الارثوذكسيين
فأضطهدوهم اضطهادات مرة توازي اضطهادات الوثنيين . وعزل قسطنس البابا
اثناسيوس وعين مكانه رجلاً شريراً يدعى غريغوريوس وقواه بجنوده فهجم بهم مرة
على المؤمنين بينما كانوا يباشرون العبادة في يوم جمعة الصليبوت وانضم اليهم رعا
اليهود والوثنيين وأخذوا يبطشون بالمصلين فهتكوا حرمة العذارى الطاهرات وقبض
غريغوريوس الدخيل على اربعين عنراء وعراهن وضربهن بالسياط وقتل عدداً
وافراً من الشعب أملاً ان يكون اثناسيوس بين المقتولين فدنسوا الاماكن
المقدسة وأحرقوا الكتب الالهية ثم نهبوا خزائن الكنيسة وأمتعتها وقتلوا
كثيرين من الرهبان بينما كانوا يدافعون عن كرامة بيت الله

وقد استمر غريغوريوس يرتكب فظائمه حتى انه اضطهد همه البابا اثناسيوس
الى ان ماتت وبعد موتها منع ان تدفن في مقبرة المسيحيين . ثم اتهم الاموال
التي كانت تجمع للأرامل والايتام . واضطهد الراهب بوتامون أحد اعضاء المجمع
النيقاوي وهو رجل لا تزال آثار اضطهادات ديوكلتيانوس له بادية في وجهه
وجسمه فأمر غريغوريوس بجلده حتى مات من تأثير الضرب بعد ايام قليلة ولما
بلغت اخبار هذه المساويء مسامع القديس انطونيوس ابي الرهبان كتب رسالة

لاغريغوريوس يلومه فيه على هذه التصرفات المنافية لروح المسيحية فازدرى
بالرسالة ومزقها

وبعد موت غوريفوريوس عين قسطنس مكانه جوزجيوس ضريبه في الشر
فجدد اضطهاد الارثوذكسين وبدأ فظائمه بان طرد ثلاثين اسقفاً من الاسكندرية
ونفاهم حتى اختفت آثارهم بالمرّة بعد ان عوملوا معاملة قاسية شديدة حتى ان
بعضهم مات في الطريق قبل ان يصل منفاه وغيره مات بعد وصوله بتقليل

وذكر القديس اثناسيوس في احدى رسائله بعض شرور هذا الوغد بقوله
« ولم ينته اسبوع عيد الفصح حتى كنت ترى العذارى الفتيات يطرحن في
السجون اضطهاداً وتمذيباً وكان العساكر يربطون الاساقفة بسلاسل واغلال
ويجرونهم في الشوارع . وكان اعوان جوزجيوس يدخلون مساكن اليتام
والارامل عنوة واقتداراً ويسلبون ما فيها . وكانوا يدفنون المسيحيين احياء
تحت جناح الظلام ثم يضعون علامات على منازلهم ليمرفوها حتى اذا اصبح
الصباح نهبوا ما فيها بدون مقاوم . ولم يقتصر هذا الشر على الاكليروس فقط
بل ان اقاربهم كانوا في خطر لا لذنوب بل لانهم اقرباؤهم ولم يقف الاشرار
المضطهدون عند هذه الفظائع بل تجاوزوها كثيراً وتعادوا في غيهم وعتوهم لدرجة
اوجبت تقور الشعب واشمزازة من هذه الحالة حتى ان اعضاء الكنيسة لم
يطبقوا تأدية الصلاة فيها بعد عيد الفصح بل كانوا يذهبون الى المقابر ويصلون
فيها لانهم كرهوا الصلاة مع جوزجيوس فلما علم هذا الظالم الغاشم بكره الشعب
له حرص ضدّهم ضابطاً من الشيعة الماثوية اسمه سباسيان فصار نحوهم في نفر من
الجند مسلح بسيوف قاطعة وسهام لامعة وحراب نافذة وهجم على هذا الشعب
الضعيف في يوم الرب المبارك الذي قدسه لعبادته لا لقتل الاتفس البريئة . فلما
وصل الى المقبرة لم يجد الا رجالا يعدون على الاصابع لان اكثر الناس قد عادوا
الى منازلهم عندما مال النهار فلم يرحم هؤلاء البائسين الابرياء بل عمل فيهم
الصارم البتار وبرهن بعمله هذا على قسوة وعتو وجدا في مثل هذا المتوحش اللئيم
وبعد ان اودى بالرجال حول نظره نحو اولئك العذارى الطاهرات فاضرم ناراً
تأجج سعيرها وادناهن منها وهددهن بالاعتراف بمذهب اريوس والانحياز اليه

أما هن فلم يعلن عن اعتقادهن ورفضن طلبه هذا كما انهن احتقرن النار وحسبنها ماء زلالاً فلذلك اشتد حنق هذا الوحش الضاري عليهن فجردهن من ثيابهن وظل يضربهن على الوجوه حتى تغيرت سحنتهن ولم يكن احد يعرفهن فيما بعد . ولقد القى هذا الضابط القبض على نحو أربعين رجلاً وجلدتهم بالسياط جلداً تقشع منه الابدان وترتعد لهوله الفرائص وذلك بان مزق ظهورهم بعصى خضراء قطعت من النخل بشوكها حتى ان بعضهم عملت لهم عملية جراحية لاخراج الشوك من لحمه وبعضهم لم يحتمل العذاب والآلام فمات من شدة الضرب . أما الذين عاشوا بعد هذه المصائب فنقفوا الى الواحات الكبرى بما فيهم واحدة من أولئك العذارى ولم يكن هذا المآل يسلم لأقارب الموتى بأخذ جثث موتاهم ولكن لما تعهد له هؤلاء الأقارب بعدم الاحتفال بموتاهم والامتناع عن تأدية الفرائض الدينية المعتادة لهم أذن لهم أولئك القساة بدفنهم كما وافق أغراضهم حتى يخفوا عن أعين العالم دلائل قسوتهم وغلاظتهم التي لم تخف بل ظلت ظاهرة في بطون التواريخ الى الآن . وعلى خطة الجهل والعمه هذه سار أولئك المجانين سيراً لم يؤثر في أهل الايمان الصحيح تأثيراً يذكر لأن أصدقاء وأقارب الذين ماتوا في هذا الاضطهاد كانوا يفرحون ويطربون لان اخوانهم بقوا محافظين على ايمانهم الى ساعة موتهم ولو انهم أسفوا لعدم التصريح لهم بدفن جثثهم وهو عمل يدل على منتهى المظالمة والخشونة في صدور الفجار الذين تجردوا من الانسانية فأصبحت أعمالهم واضحة عند الله والناس « اه

(٧) يوليانوس الجاهل او المرتد . هو ابن عم أخى قسطنطين الكبير

ملك سنة ٣٦٢ م وقد رفض الديانة المسيحية وتمسك بالوثنية فتقوى في أيامه وثنيو الاسكندرية وانتعشت مدرستهم الفلسفية . وكان يوليانوس يحترم المعجل أبليس معبود المصريين احتراماً عظيماً للغاية حتى انه لما كان على أهبة الركوب لقتال سابور ملك الفرس وبعث اليه أوقديقس نائبه على مصر يخبره بان المصريين عثروا على شكل المعجل أبليس معبودهم الذي مات وانه تبين لهم انه معبودهم بعينه فرح بذلك واستبشر بالنصر على سابور اذ كان يجب المعجل المذكور حباً كثيراً

(٨) اضطهاد فالانصى الارميرسى . وجاء بعد يوليانوس يوبيانوس سنة

٣٦٣ م وكان مسيحياً أرثوذكسياً فأحسن للبابا انناسيوس وللارثوذكسين وتمتعت الكنيسة في أيامه بإسلام ورد الى الايمان رجال الجيش الذين كانوا قد زاغوا عن الايمان في أيام يوليانوس واقفرت هياكل الوثنيين . الا ان مدة هذا الملك المؤمن لم تطل أكثر من نصف سنة وخلفه فالنص الارميرسى سنة ٣٦٤ م الذي فاق جميع من تقدموه في اظهار المساواة نحو الارثوذكسين فنفى أساقفتهم وضيق على المؤمنين كثيراً . وفي عهده حدث اضطراب في مدينة الاسكندرية وتعدى الوثنيون على كنيسة سيزاريوم وحرقوها في يولييه سنة ٣٦٦ م

وأقام فالنص بطريركاً دخيلاً على الكرسي المرقسي ولكي يثبت والى مصر الارميرسى مركز هذا الدخيل قصد بفرقة من الجند كنيسة القديس ناؤنا وهجم على هذا المكان المقدس وأوقع الرعب في قلوب المصلين واندس بين الجنود سفلة اليهود ورعاع الوثنيين اذ وجدوها فرصة مناسبة للانتقام من المسيحيين وأخذوا في تدنيس المذابح واهانة المصلين بتوحش زائد قففتكوا بالرجال وهتكوا أعراض النساء داخل الهيكل . وقد بلغ الفحش بأحد هؤلاء الوحوش أن تعرى عن ثيابه وسط النساء وأخذ يجدف على اسم الله القدوس بألفاظ البذاءة التي ترتعد لها الفرائص

ومع ذلك أصر الارثوذكسيون على عدم اعتبار بطريرك فالنص فاستدعى القائد رؤساء كهنتهم اليه وأخذ يحنهم على الخضوع له بالوعدة تارة وبالوعيدة أخرى ولما لم يجد منهم أدنى قبول أنزلهم في سفينة مخلمة وتركهم تحت رحمة الماء والهواء فهلك بعضهم ونجا البعض الآخر حيث قذفته الامواج الى سواحل افريقية وهليوبوليس (سوريه)

ثم عول بلاد يوس الوالي على زيارة الاقباط في منازلهم ليقتنعهم بوجوب الخضوع للوسسيوس واذ لم يجد منهم الا الرفض والاباء أوقع بهم من الويلات أشدها . ثم استحضر هو والبطريرك الدخيل أحد عشر اسقفاً من أساقفة القطر وعرض عليهم الامر القيصري القاضي بوجوب انكار لاهوت المسيح وخيرهم

بين التوقيع عليه والنفي ففضلوا النفي والموت على خيانة الايمان الارثوذكسي
فنهوا الى قرية بفلسطين كان معظم سكانها من اليهود المتعصبين ضد المسيحيين
ثم عمده القائد والبطريرك الدخيل الى زيارة الرهبان سا كني اديرة وادي
النظرون فسار اليهم بفرقة من الجنود قاصدين ارغامهم على انكار ألوهية الابن
فقام الرهبان يدافعون عن أنفسهم دفاع الابطال مفضلين أن يسفكوا آخر نقطة
من دماهم دون أن يثلموا شرف مخلصهم . فضجرا منهم ونقيا رؤسائهم ظنا
منها أنهم هم الذين يقوونهم ولكن أملاهما خاب اذ رأيا ايمانهم أمتنع من
جبهة الأسد

وكان بين الاساقفة الذين حكم عليهم بالنفي ميلاس اسقف رينو كولورالريش
الذي تتلمذ للقديس انطونيوس والذي لم يفارقه الا ليمسح تاج الاسقفية . ومن
بديع ما حفظه التاريخ عن هذا الاسقف انه في الوقت الذي جاءه نواب الوالي
يطلبونه للنفي كانت مشغلا بتنظيف قناديل الكنيسة فقابلهم ويدها ملوثتان
بالزيت وثيابه يعلوها التراب فظنوه خادماً وسألوه عن الاسقف فذهب بهم الى
دار الاسقفية حيث أعد لهم وليمة فاخرة ولما كرروا عليه السؤال قال لهم « أنا
هو الاسقف الذي تطلبونه » فاعجبوا باتضاعه وعرضوا عليه الفرار فإلى الا
الذهاب مع اخوته الاساقفة الذين كانوا يهزأون بالعذاب المعد لهم

ومن الذين قبض عليهم في دير وادي النظرون روفينوس الشاب والسيدة ميلانو
وقد ذكرنا أنها اجنبيان وقد ا على مصر ليرهبها فيها . وكان لميلانو يد طولى
في ايواء كثيرين من الرهبان وانطلقت بنفسها للقائد ودافعت عنهم وسجن
روفينوس مدة ثم نفى خارج القطر المصري . وتفتت ميلانو الى قيصرية فلسطين
هى وكثير من الاساقفة والرهبان . وكان أهالي قيصرية يترحبون بهؤلاء
المصريين المنفيين ويقدمون لهم الاحترام اللائق بهم

ومما يستحق الذكر في هذا الصدد أن فالنص كان قد نفى أسقف مدينة
أورفا (كائنة بين النهرين) بسبب تمسكه بايمان مجمع نيقية واعترافه بقانون البابا
اثناسيوس وأقام بدله أسقفاً آخر وكلف الوالي مودستوس بأن يجبر الكهنة
والشمامسة على الاشتراك مع الاسقف الجديد والا فينفيهم الى اقاصي المملكة

فجمعهم مودستوس وحاول اقناعهم لكنه لم يستفد منهم شيئاً بل أجابه أحدهم باسم الجميع قائلاً « ان لنا راعياً شرعياً ولا نعرف راعياً غيره » فاسلوا جميعاً الى المنفى « فتشجع الشعب بمثلهم وأبوا الاشتراك مع اسقف الزور . فكانوا يخرجون من المدينة وقت تلاوة الفرض ويجتمعون في البرية للصلاة . فلما علم الملك بذلك اغتاض على الوالي وأنبه تأنيباً شديداً لعدم اهتمامه في منع هذه الاجتماعات وأمره بان يجمع كل من كان عنده من الجنود ويشئت بهم هذا الجمع . أما مودستوس ولئن كان مقاوماً للارثوذكسين الا أنه لم يحب أن يبادر الى طريق المساواة فانذر المؤمنين سرّاً بان لا يعضوا اليوم التالي الى مكان الاجتماع للصلاة لان الملك أمره بان يعاقب جميع الذين يجمعون فيه . فكان يؤمل بأن يمنع بهذا التهديد عقد الاجتماع ويهدى بهذه الطريقة غضب الملك . أما الارثوذكسيون فقد ازدادوا بذلك سرعة وتاهفاً للمضى الى مكان الصلاة فبادروا اليه باكرأ جداً وكانوا اكثر عدداً من ذى قبل

فلما أخبر الوالي بذلك استولت عليه الحيرة ولم يدر ما العمل الا أنه أخذ في السير نحو هذا المكان وصحبته جنود كثيرون أمرهم بان يقمعوا ويضجوا ليرعبوا الشعب ويحملوه على الفرار . فلما كان جائزاً في المدينة شاهد امرأة مسكينة تخرج مسرعة من بيتها ولا تبالي بغلق بابها وعلى يديها طفل وهي تهرول في سيرها وتجر ذيل ردائها على الارض ولا تهتم أن ترفعه عن الثرى حسب طريقة البلاد ومرت هكذا في وسط صفوف العساكر السائرة أمام الوالي مجدة في السير بدون أدنى خوف بته . فأوقفها مودستوس وقال لها : أين تمضين مسرعة أيتها المرأة ؟ أجابته اني ماضية الى الحقول حيث جمع المؤمنين . قال لها الوالي : ألا تعلمين بأنه قد صدر أمر الملك بقتل جميع الذين يوجدون هناك ؟ قالت له : نعم أعلم ولهذا أنا أجد في السير لا بلع الى ذلك المكان خوفاً من ان تفوتني فرصة احتمال الاستشهاد . قال لها : ولم تأخذين هذا الطفل معك ؟ قالت له : لكي يشترك معي في هذا المجد

فتعجب مودستوس من بسالة هذه الامراة وعاد الى البلاط الملوكي وأخبر الملك بما جرى واقنعه بالعدول عن هذا العمل حيث لا تعود عليه فائدة من

اضطهاد المؤمنين لان الاضطهاد كان يقويهم ويثبتهم على ايمانهم ويزيدهم شجاعة ومحبة .

(٩) ثيودوروس الملك الارثوذكسي . وكانت احوال الارثوذكسيين قد ساءت بعد موت فالنص فاجهد ثيودوسيوس قيصر الذي تولى سنة ٣٩٢م ذاته في اعادة مجد المسيحية الى رونقه الاصلي واتحد مع رؤساء الارثوذكسيين على ابطال عبادة الاوثان ورجب الى مجلس رومية ليصدر مرسوماً في هذا الشأن فأبى عليه ذلك فابطل ثيودوسوس المجلس والغاه وخلع اربابه ورسم بهدم جميع معابد الاوثان وهياكلها ونهى عن تقريب القربان لها في البيوت وعن ان تقام فيها شعائر دينية وان تكون الديانة المسيحية الديانة الرسمية في سائر الاقطار الرومانية ونهى عن التفرق في الدين وسلوك مذهب الاعتدال



« ثيودوسيوس الملك الارثوذكسي »

ورسم ثيودوسيوس في سنة ٣٩٥م بمحو الديانة المصرية الوثنية وان لا يباح في بلاد مصر الا التمسك بالدين المسيحي فأغلقت الهياكل والمعابد المصرية ومن ثم

عم الدين المسيحي كل القطر واحتفل النصارى بأداء طقوسه علناً . قال بعض المؤرخين « وكان للمصريين يومئذ أربعون ألف صنم للعبادة فخل محلها دين المسيح الأمر بالتوحيد ومع ذلك فقد بقي من العاكفين على دين الوثنية كثير بصعيد مصر ولم يمح هذا الدين الا بتوالي الايام وكرور الاعوام . واشتهر أهل مصر من هذا التاريخ باسم « قبطة مصر » فطائفة الاقباط من أهالي مصر الا ان هم المنصرون من ذرية الامة المصرية القديمة وهم بقية ذلك الشعب الذي قدر واقتدر وقاز واشتهر » اه

.....

الفصل الثاني

منابر الشهراء

- (١) مارميثا العجايبى (٢) القديسه دميانه (٣) القديسه كاترينا
- (٤) القديسه ثيوذوره والقديس ديديموس (٥) القديس تيموثاوس
- وزوجته (٦) شهيدان أجنبيان

.....

(١) مارميثا العجايبى . ولد سنة ٢٥٠ م بمربوط وكان ابوه من مديري الاقاليم في آسيا الصغرى ونقل الى مصر . ولما مات عين ميثا في منصبه . وبعد ذلك وقع اضطهاد ديوكليتيانوس فترك منصبه ولجأ الى البرية غير أن ضميره وبخه على فراره الذى حسبه هروباً من الاعتراف بالايمان فرجع الى المدينة وجاهر بايمانه فحاول الحكام أن يغيروا رأيه شفقة به ولكنه استمر ثابتاً فقبض عليه وعذب عذاباً شديداً وأخيراً قطعت رأسه في ١٥ هاتور بعد أن أجرى الله على يديه المعجزات الكثيرة وبعد زمن وجد جسده فأقيمت عليه كنيسة بأمر ملك القسطنطينية بجهة

مربوط لانتزال آثارها ظاهرة للآن وتوجد عدة كنائس باسمائه في أنحاء القطر

(٢) القديسة دميانة . هي الابنة الوحيدة لمرقس والي البرلس والزعفران

ووادى السيسان باقليم الغربية . وكانت جميلة الطلعة حتى أجمع للمؤرخون على تسميتها « ربة الجمال والكمال » ولما بلغت سن الخامسة عشرة نذرت ان تعيش



(القديسة دميانة وحولها المدارى)

بتولا فابتنى لها والدها قصراً خاصاً اعتزلت فيه واعتزل معها أربعون عذراء قبطية من بنات أكابر الولاية

واتفق ان والدها ارغمه ديوكلتيانوس قيصر على ان يبخر للاصنام فلما سمعت ذلك أمرت اليه وأبنته على سقوطه الشنيع وحضته على الرجوع للسيد المسيح قائلة « خير لك يا أبى أن تموت شهيداً فتجيا مع المسيح من أن تحيا وثنياً فتموت مع الشيطان » اه فتاب وصرح امام القيصر بإيمانه فأمر باعدامه . ولما علم القيصر ان ابنته هي التي حرضته على عدم الامتثال لامره اتقذ اليها قائداً معه مئة جندي لكي يحملها على انكار ايمانها أو يقتلها . فانهرت القائد عند ما باغها امر القيصر وافهمته انها لا تطيعه فشرع القائد يعذبها واللواتي كن معها وتفمن في تعذيبهن والتنكيل بهن فاحتعلن كل ذلك بصبر وبعد ذلك قطعت رؤوسهن

ثم جاء القديس يوليوس الاقفهسى كاتب سير الشهداء واخذ الاجساد ودفنها بالاكرام . ثم اثبت سيرتهن في سجل الشهداء وامر قسطنطين الكبير فبنيت كنيسة فوق قبر القديسة ودشنها البابا الاكسندروس في ١٢ بشنس ورسم لها اسقفاً وقسوساً وشمامسة

وللقديسة دميانه دير عظيم ببلقاس يؤمه المؤمنون في ١٢ بشنس من كل سنة حاملين اليه الهدايا وبنيت على اسمها كنائس عديدة بالقطر المصرى

(٣) القديسة كاترينه . ولدت بالاسكندرية في ختام القرن الثالث من

أبوين وثنيين ولما بلغت من السن ثمان عشرة سنة كانت قد تحلت بالجمال الباهر والعلوم الزائدة التي أوضحت لها بطلان الديانة الوثنية . ورأت ذات ليلة في الرؤيا السيدة العذراء تحمل طفلها يسوع وتطلب منه أن يقبل كاترينه عبدة له وهو يعرض عنها لانها لم تكن بعد قد اعتمدت فاستيقظت من نومها وسمعت لنيل العماد حتى نالته ومن ثم ظهرت لها تلك الرؤيا والطفل يقبل اليها ويظهر رضاه عليها

وفي سنة ٣٠٧ م قدم الى الاسكندرية القيصر مكسيموس الثاني وأصدر أمراً باعدام كل مسيحي لا يضعى للاوثان وحينئذ اشتعلت نيران الاضطهاد

والقديسة كاترينا تواصل جهادها في سبيل تثبيت المؤمنين ولم تكتف بذلك بل بلغت بها الشجاعة أن ولجت هيكل الاوثان ومكسيموس يضحى لها ووبخته على عظم جهله بتقديمه ذبايح لآلهة كاذبة فاندesh القيصر من جاهلها المفرط وشجاعتها النادرة واستدعاها الى بلاطه زاعماً انه ينتصر عليها ويفوز بها . أما هي فطلبت منه أن يحضر اليها علماء الوثنية لتباحثهم في أمر ديانتهم . فحضر منهم خمسون عالماً ونزلت معهم في ميدان الجدال وأخذت تبرهن لهم على فساد عبادتهم للجهادات التي لا تحس ولا تشعر حتى انخمتمهم وصرح بعضهم بتركه لتلك العبادة من تلك الساعة وبعد أن اوضحت لهم فضل الديانة المسيحية ونقاوة التعاليم الانجيلية قبل الايمان باقي الفلاسفة

ولما انتشر خبر هذه الحادثة خشي الوثنيون انتشار المسيحية بينهم بسببها فخرضوا القيصر على قتل كاترينا والفلاسفة والا زالت عبادتهم فاستحضروا لكي ينكروا ديانتهم فابوا فقتل الفلاسفة وطرح كاترينا في السجن لعلها تتبع ديانته وتقبله زوجاً لان جاهلها كان قد سبى فؤاده وجعل ينفذ اليها الرسل لاقتناعها باطاعته فكانت ترسل معهم كلمات التوبيخ حتى استجالت محبته غيظاً وأمر الجنود بان يعروها امامه من ملابسها ويعلقوها من يديها ورجليها ففعلوا هكذا وضربوها بمخالب حديدية حتى تمزقت وملا دمها البلاط واتصلت جراحها ببعضها حتى صارت جرحاً واحداً ثم اعيدت الى السجن ووضعت تحت الحفظ حتى يعود القيصر من رحلته في مدن مصر

وكانت فوستينا امرأة القيصر قد طرق سمعها اخبار كاترينا فعزمت ليلة على زيارتها في سجنها ونامت فرأت القديسه تضع اكليلها على رأسها وتقول لها ان المسيح وهبه اياك فاشتد شوقها اليها وسارت اليها صحبة بيرفيريوس القائد وبعد ان علمتها طريق الحق نالا العهاد بعد ايام قليلة

ولما رجع القيصر من رحلته ورأى كاترينا ثابتة على ايمانها جهز لها دواليب مركبة بسيوف بارزة وتحتها شكل صندوق ووضعها فيه ودارت الدواليب ولكنها تحطمت فجاءت اليه امرأته وقالت له الا تكفي هذه المعجائب لاقتناعك بصحة ديانة كاترينا . واذا علم انها ورفيريوس صارا مسيحيين قطع رأسيهما

حالا . ثم امر بقطع رأس القديسة فتوسلت الى الله حينئذ ان يجيبها الى امرين الاول ان يخلص الكنيسة من الاضطهاد والثاني ان لا يدع احداً يبصر جسدها بعد موتها . ثم صلت وبعد ذلك قدمت رأسها للجلاد فتمطعها وهي في السنة التاسعة عشرة من عمرها

(٤) القديسة ثيودوره والقديسة ديديموس . ولدت القديسة

ثيودوره في نهاية القرن الثالث من أبوين مسيحيين عظيمين واتصل خبر جاهلها الفتان بأولاد الاشراف فطلبوا يدها ولكنها أثرت العفة فنذرت نفسها لله وكانت تقضي أوقاتها بمنزلها تصلي وتقرأ الكتب المقدسة . واشتد اضطهاد ديوكاتيانوس وهي في سن السابعة عشرة واشتكى عليها بأنها مسيحية فاستحضرت امام بركولوس الوالي فأنذهل والحاضرون معه من فرط جاهلها ولما تحقق من شريف نسبها وعظيم أدبها سأها لماذا لا تتزوجين يا ربة الجمال البارع فأجابته لاني وعدت ان اكون عروساً لواحد فقط هو سيدي يسوع المسيح . فاخبرها بالامر الصادر ضد عذارى النصراري بأنهن اذا أبين التبخير للأوثان يطرحن في دور البغا فيخسرن بتوايتهن . فأجابته اني واثقة ان مخلصي يحفظني ويحفظ كل الذين يخلصون له العبادة من كل شر ودنس . ولما أطال معها الكلام اجابته جواباً قاطعاً بأنها لا تنزني عن عزمها مهما هددوها فقال لها اني آسف على جهلك وعنادك وسأمهلك ثلاثة أيام لعملك تشوبين الى رشدك فقاطعته قائلة « هب ان الثلاثة الايام قد انقضت فافعل بي ما تشاء » فأمر الوالي ان تحفظ في مكان أمين

ففي هذه الثلاثة الايام شاع خبر شجاعته في كل مكان فمدحت حتى من الوثنيين أما هي فكانت تستعد للموت واذا رآها الوالي بعد الثلاثة الايام ثابتة على عزمها أمر ان توضع في بيوت البغاء لتفتض ولكنها لم تجزع لانها كانت تنتظر خلاص الرب الذي دبر لها طريقة حسنة لنجاتها . وذلك ان شاباً مسيحياً يدعى ديديموس فكر في خلاصها فلبس أثواب جندي وتقلد سيفاً ومشى مسرعاً ينظر نظرة الوقح وطلب الدخول عليها فسمح له الحراس تلقاء مبلغ من الدراهم اعطاه لهم فدخل عليها ولما رآته استولى عليها رعب مقدس فقال لها لا تجزعي

لاني ارسلت من قبل الله لانقذ طهارتك فافعلي ما أقول لك البسي اثوابي هذه
وانا ألبس ثوبك وانصرفي متنكرة وانا أقوم هنا عوضاً عنك . فقبلت البتول
مشورته وخرجت دون ان يعرفها أحد لانها غطت وجهها بالرداء كمن يستحي
ان يراه أحد عند خروجه من مكان ردي .

وبعد ذلك انكشفت حيلة ديديموس فقدم الى الحاكم بثوب القديسة فسأله
المغتصب قائلاً من ارسلك لتخالف أمر القيصر فأجابه « ان الاله الذي أعبدته هو
الذي ارسلني لاصنع ما صنعت » فقال له الحاكم « ان لم تخبرنا اين تكون ثيوذوره
فوتاً تموت » فأجابه ديديموس « استاعلم عنها شيئاً الا انها خرجت من ماخور
البغاء نقيه طاهرة » فسأله الحاكم عن اسمه ومذهبه فأجابه « اسمي ديديموس
ومذهبي مذهب النصارى وكنت مقيداً بسلاسل الآثام فجعلني السيد المسيح
واطلقني بنعمته » فأمره المغتصب ان يسجد للاصنام فأبى ولما رآه ثابتاً في ايمانه
أمر بقطع رأسه وطرح جسده في النار .

فسمع خبر الحكم في كل مكان وبينما كان الجند يسوقونه لمكان الاعدام
رؤيت ثيوذوره تجري خلفه بسرعة حتى وصلت اليه وقالت له بلمهجة التوبيخ
« لماذا هكذا يا اخي تختلس اكليلي » ؟ فقال لها « اذكري يا اختي احساني اليكي
ولا تكافئيني عليه بعدم المعروف لاني لم اكن أروم بما فعلته الا ان انال حكم
الموت لاجل مخلصي فحكم به علي لا عليك » فأجابته « كلا يا أخى لم يحكم عليك
بالموت الا لاجلي واذ كنت قد رضيت لك بان تنقذ بكوريتي ولسكن لا أرضي
ان تأخذ اكليل الاستشهاد مني فدعني على الاقل اسبقك الى أخذه » واستمرا
يتجادلان في من منهما يتقدم الآخر الى الموت وقد أخذت المشاهدين الدهشة
وكثيرون منهم سكبوا دموعهم لهذا المنظر المؤثر وتعجب الوالي نفسه مما حصل
الا انه لم يجسر ان يطلقهما خوفاً من القيصر فأمر بقطع رأسيهما وهكذا نالا
اكليلي الشهادة في سنة ٣٠٤ م

(٥) القديس نيموثاوس وزوجته . كانا من قرية في الصعيد يقال لها

برابي وكان تيموثاوس شماساً في الكنيسة وتزوج من امرأة مسيحية تدعى مورا

ولكنها كانت اقل منه ايماناً . وبعد زواجه بعشرين يوماً حضر ارسانيوس
والي انصنا (١) وحاكم بلاد الصعيد الى قرينته واستدعى اليه تيموثاوس وأراه
آلات العذاب المرعبة وهدده بها ان لم يدفع اليه ما عنده من الكتب المقدسة .
ويمجد ايمانه المسيحي . فقال له القديس « لو كان لي اولاد لاسرعت بتقديمهم
اليك ولا أقدم اليك الكتب المقدسة كما اني افضل الموت ألف مرة من ان
أترك ديانتي المسيحية » ولما قال هذا تقدم الجنود لتمذيبه فأدخلوا في أذنيه
سيفاً محمى فعمى فقالوا له ها قد عميت لرفضك السجود لآلهة المملكة فأجابهم
« نعم لقد فقدت هذه العيون التي من دأبها النظر الى الاباطيل أما نفسي فيضيئها
عيننا المسيح » فعلقوه برجليه على خشب وعلقوا حجراً ثقيلاً بعنقه وتركوه هكذا
وهو يطلب مساعدة نعمة الله »

وعلم الحاكم ان له امرأة تزوجها من مدة قريبة فاستدعاها اليه وحسن لها
ان تردع زوجها عن عزمه ليفوز بحياته ويظهر انه كان قد بقي له بصيص من
النظر فانطلقت اليه بعد ان لبست انحر ثيابها وتطيبت وجعلت تخاطبه ليرجع عن
الايان وينجو بحياته حتى لا يرملها وهي صغيرة فالتفت اليها القديس ووبخها
بصرامة وقال لها « كنت اظنك تشجعيني على احتمال العذاب لاحظى بسعادة
الله . لا ان تحثيني على ما يفقدني تلك السعادة ويطرحني في أتون النار الابدية
فكوني أمينة للمسيح مثلي حتى تشركي معي في مجده »

فتأسفت مورا على خطيئتها وبإشارة زوجها انطلقت الى الحاكم واعترفت امامه
بالمسيح فأمر بقص شعرها وقطع أصابعها ثم طرح في اناء مملوء من الزيت المغلي
فلم يؤثر عليها وهي ثابتة صابرة شاكرة الرب الذي خلصها من الضلال وبعد ذلك
صدر الامر بصلبها مع زوجها وجعل صليبها تجاه صليبه لكي ينظرا بعضهما

(١) انصنا كانت مركز الولاية وخربت منذ زمان بعيد وعلى اطلالها الآن بلدة الشيخ عبادة
بمركز ماوى . واريانوس حاكمها هذا الذي اشتهر بقساوته الشديدة على المسيحيين لم يلبث في
غياوته بل آمن بالمسيح وذلك انه اذ كان يهذب شهيداً انجرح بسهم كان امر الجلادين ان يرموا
به الشهيد فارتد اليه وانفوس في عينه وبعد موت الشهيد نال الشفاء بأزاء قبره بوضع شيء من
تراب القبر على عينه واعترف يسوع المسيح ومات شهيداً

بعضاً فيشتد حزنهما وعذابهما. وفيما كانت ماضية لمحل الصلب قابلتها أمها وطوفتها
بذراعيها وهي تبكي بكاء مرّاً أما هي فلم تظهر حزناً بل فرت من بين يدي والدتها
حيث وصلت الى المكان وهناك نالت مع زوجها اكليل الشهادة
وغير هؤلاء الشهداء من لا يحصى عددهم حفظ اسماء بعضهم كتاب السنكسار
(٦) شهيدانه اجنوبيانه ومن الشهداء الاجانب الذين تعترف بهم كنيسةنا

شهيدان مشهوران عندنا هما :-

(١) القديس مركوريوس الشهير بابي سيفين . ولد برومية من أبوين
مسيحيين في عهد ديسيوس قيصر وانتظم في سلك الجندي فلقب بمركوريوس
اي رئيس الجند وبأبي سيفين اشارة الى سيف الروح الذي كان له خلاف سيف
المملكة. وبعد ان جاهد في سبيل رفع شأن الديانة المسيحية استشهد في قيصرية
فلسطين في ٢٥ هاتور سنة ٢٥٠ م . وفي ايام البابا يوحنا الرابع والستين نقلت
رقاته الطاهرة الى مصر القديمة في ٩ بؤونه

(٢) القديس جاورجيوس الشهير بمار جرجس . ولد سنة ٢٨٠ م بالكبادوك
(بآسيا الصغرى) . وقد انتظم في الخدمة في عهد ديوكليانوس وارتقى
الى رتبة قائد ولما استمرت نار الاضطهاد الذي اثاره هذا القيصر باع كل ما يملكه
ووزعه على المساكين استعداداً لحمل الآلام لاجل مخلصه . وبينما كان يوماً سائراً
في مدينة نيكوميديه وجد منشور القيصر القاضي باضطهاد المسيحيين فزقه
وتوجه بنمسه الى الملك وانشأ يدافع عن المسيحيين فأمر الملك بتمذيبه فذاق منه
انواع العذاب اشكالا والواناً وكان عليها صابراً حتى آمن كثيرون عند ماراًوا
عظم ثباته ومنهم الملكة نفسها ومن ثم قطعت رأسه ورأس الملكة معاً في ٢٣
برموده سنة ٢٠٣ م وبعد ما دفن جسده في لد بفلسطين التي هي وطن والدته نقل
الى مصر القديمة في ١٩ ابيب . وهذا الشهيد هو موضوع احترام المسيحيين
جميعاً لا سيما مسيحيو مصر وروسيا وانجلترا . ويصوره المصورون بهيئة فارس
بيده رمح يطعن به تديناً اشارة الى انتصاره على الشيطان . وبنيت كنائس قبطية
كثيرة على اسمه



« الشهيد العظيم مار جرجس »

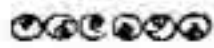
○○○○○○○○○○

القسم الرابع

المجامع والبرع والانشقاقات

(١) مجمع نيقية (٢) مجمع القسطنطينية (٣) درجات الكنائس
(٣٢٢)

- (٤) اريوس (٥) مكدونوريوس (٦) مرقس المصري (٧) شيعة المصلين
(٨) خلاف في مقام السيدة العذراء (٩) انشقاق ميليتس



(١) مجمع نيقية . ويسمى المجمع المسكوني الاول . وكان الداعي لانعقاده انتشار بدعة اريوس الهرطوقي واضطراب الكنيسة وانزعاج المؤمنين بسببها . فكتب القديس الاكسندروس بابا الاسكندرية الى الملك قسطنطين الكبير طالباً منه عقد مجمع مسكوني لفض هذا النزاع وتقرير مسائل أخرى مختلف عليها . وذهب اوسوريوس اسقف قرطبة الى الملك وطلب منه نفس الطلب فارتضى قسطنطين وكتب منشوراً يستدعي فيه جميع اساقفة المملكة للاجتماع في مدينة نيقية (١) فلبى الدعوة حالاً ٣١٨ اسقفاً من كل أقاليم العالم المسيحي ما عدا القليل والاكثر منهم كانوا قد اعترفوا بألوهية سيدنا يسوع المسيح وتعذبوا لاجل ذلك في زمن اضطهادات الوثنيين

وكان اعظم الحضور شأناً الاكسندروس بابا الاسكندرية وهو البابا الوحيد في ذلك العصر وكان بحكم وظيفته هو المدعى ضد اريوس وكان بصحبته اثناسيوس رئيس شمامسته وسكرتيره الخصاص الغير البالغ من العمر ٢٥ سنة وكانت تلوح على وجهه هيئة الملائكة كما روى صديقه غريغوريوس النزينزي . وكان معها من ممثلي كنيسة الاسكندرية الانبا بوتامون اسقف هرقلية باعالي النيل والقديس بنفوتيوس اسقف طيبة العليا وكانا قد عذبا في زمن الاضطهاد وقلعت عيناهما بالسيف وكويت حواجبهما بالحديد المحمي بالنار

ويليهم في الالهية اسطاسيوس اسقف انطاكية ويوساب اسقف قيصرية ومكاريوس اسقف اورشليم وبولس اسقف قيصرية الجديدة ويعقوب اسقف

(١) تقع في ولاية بيشنيه وكانت العاصمة الثانية لها بعد نيكوميديا وكان لهذا المجمع تأثير عظيم على اهل تلك المدينة وكان في تلك الايام كلما ارادوا حصر عدد الآباء الذين حضروا اضافوا واحداً على العدد الحقيقي يرمزون بذلك الى أن الروح القدس كان حاضراً معهم

نصيبين وعطالله اسقف أديسا وحضر غيرهم من ارمينية وبلاد الفرس وايضاً من الغوط القاطنين عبر نهر الدانوب . ومن آسيا الصغرى يوساب عن نيكوميديا وغيره من انصار اريوس ومارسليوس اكبر معارضي اريوس الذي كان ينوب عن اثناسيوس في مجادلة اريوس اذا غاب . وحضر عن جزيرة قبرص الاسقف اسبريدون وغير هؤلاء كثيرون وكان عدد ممثلي بلاد الشرق يبلغ ٣١٠ والثمانية الباقون يمثلون البلاد الغربية التي كانت اقل مدنية وعاماً . وهؤلاء الثمانية كانوا يمثلون ايطاليا واسبانيا والغال وبريطانيا والبيريكوم (البوسنة والهرسك) والسرب والبلغار اودولماطيا . ولكبر سن سلفستروس اسقف رومية اوفد من قبله نائبين هما وئين وويكندس وكذلك مطروفانوس اسقف القسطنطينية اذ كان مريضاً ارسل القس اسكندر نائباً عنه وكان اهم اساقفة الغرب اوسيوس اسقف قرطبه

وحضر اريوس واتباعه وهم اوساييوس اسقف نيكوميديا وثاوغنس مطران نيقية ومارس اسقف خلكيدون ومعهم عشرة فلاسفة وخلاف هؤلاء واولئك كان المجمع مكتظاً بعدد عظيم من الذين اتوا غيرة على لاهوت المسيح ومنهم من اتوا بغية الفرجة لعلمهم باهمية المجمع الذي ضم ممثلي كنائس العالم للبحث في اهم المسائل وبلغ عدد جميع المشاهدين نحو الالفين كان بينهم بعض الفلاسفة الذين لم يسمح لهم بالدخول بل كانوا يقابلون الاعضاء في الخارج ويناقشونهم . وكان الشامسة لابسين رداء طويلا والاساقفة والكهنة برنساء كبيراً من الصوف وكلها من اللون الابيض

واجتمع المجمع سنة ٣٢٥ م ولا يعرف جيداً الشهر الذي اجتمع فيه المجمع فيقول بعضهم في ٢٠ ايار (مايو) وغيرهم في ١٩ حزيران (يونيه) . أما مكان المجمع فكان في الساحة الوسطى في القصر الملوكي . ودخل بعض موظفي البيت الملوكي ورجال البلاط وعدد من الاسرة المالكة ورام قسطنطين ان يحضر المجمع لكي يزيده شرفاً فقط لانه قال للآباء « ان الحكم على قضايا الايمان لا يختص بسلطة ملك بل انما خصه السيد المسيح بالاساقفة فقط »

فدخل الضابط الذي يتقدمه فوقف المجمع ثم دخل هو ماشياً الهويناً ووضع

في الوسط كرسي من ذهب له فأبى أن يجلس عليه وجلس في آخر المجمع ولكن
الاساقفة أشاروا عليه أن ينتقل من مكانه ويجلس في الموضع الذي أعد له ففعل
وبعد أن جلس جلسوا وجلس الاساقفة عن يمينه ويساره ويتقدم الجالسون
من اليمين البابا الاكسندروس ورئيس شمامسته اثناسيوس ويوساب القيصري
ويتقدم الجالسون عن اليسار اوسيوس القرطبي واريوس وأكبر أعوانه واصطف
الجمهور على جانبي القاعة

ومن المعلوم ان اوسيوس اسقف قرطبة اعتبر رئيساً للمجمع الا ان الجميع
سلموا للبابا الاكسندروس أن يتقدمهم في كل عمل . ثم قام الملك والقى خطاباً
باللاتينية ترجمه له يوساب حض فيه على الاتحاد وقض المشاكل بالحكمة . وكان
موعد انعقاد الاجتماع في ٢٠ مايو فدارت فيه بعض المناقشات والمفاوضات لغاية
١٤ يونيو عند ما حضر الملك ووضع قانون الايمان في التاسع عشر من الشهر وختم
المجمع أعماله في ٢٥ اغسطس

وكان أهم الحاضرين في ذلك المجمع وقبلة أنظار الجميع اثناسيوس رئيس
شمامسة البابا الاكسندروس فهو الذي كان يتولى الدفاع ضد اريوس وأتباعه
نظراً لما أظهره من البراعة قبل انعقاد المجمع في مناظرة الاريوسيين في بعض
مجادلات جرت بينه وبينهم فآخضهم وكان يناظرهم في كل مادة من المواد ويكشف
مغالطاتهم ويعرضها على المجمع للنظر فيها . فأعجب به الجميع ولا سيما الملك وصار
الكل يقصدونه للسلام عليه والتكلم معه ويضربون معه مواعيد لمقابلاته وهو
مشتغل بفحص الاوراق وأخذها وردّها . وقد اعترض الاريوسيون على وجود
اثناسيوس بالمجمع بصفة رئيس شمامسة ولكن الملك لم يعبأ باعترضهم معتبراً
وجوده ضرورياً . ولهذا لا تزال الكنائس الغربية تعتبر رتبة « رئيس شمامسة »
من الدرجات الكهنوتية وذلك لأن اثناسيوس مع عظم شأنه بمجمع نيقية لم
يكن الا رئيس شمامسة

وبدأ المجمع أعماله في فحص ما قدمه الرعاة من الشكاوى ضد اخوتهم وما كان
ادهش تصرف الملك اذ أخرج من جيبه ملفاً من هذه الاوراق وبعد أن ونح
مقدميها لعرضهم تهماً ضد اخوتهم وأقسم بالله ان لا يقرأ شيئاً منها ثم طلب

موقداً ودفع اليه تلك المعروضات والتشكيات السرية . ثم أفسح المجال لرئيس
المجمع ولكنه بقي في قاعة الاجتماع واهتم كل الاهتمام بسماع المناقشات وفعلاً
اشترك في بعضها

ثم انعقدت الجلسة الأولى وكان الملك قد اعطى الحرية لكل من يتفاوض
من الاساقفة فكثرت الجدل واللغظ والغضب وانقضت الجلسة الأولى بدون
جدوى . وفي اليوم التالي تقدموا للمناقشة فوقف اريوس وقال « ان الابن ليس
مساوياً للآب في الأزلية وليس من جوهره وان الآب كان في الأصل وحيداً
فأخرج الابن من العدم بإرادته وان الآب لا يرى ولا يكيف حتى للابن لأن
الذي له بداية لا يعرف الأزلي وان الابن له الحصول على لاهوت مكتسب » فقال
سماع الآباء هذه الكلمات ضجوا ضجيجاً هائلاً وصموا آذانهم كيلا يسمعوا هذا
التجديف . وقرئت بعض أناشيد اريوس فزاد سخط الاساقفة لما حوته من الضلال
ولم يطيقوا سماعها فزقوها مما دعى الى هياج أنصار اريوس واضطر الملك ان
يسكتهم بالقوة وأخذ اريوس يدافع عن معتقده فانبرى له اثناسيوس واخمه
بردود قوية . وقد وجدت صورة هذه المحاورة بكتاب قديم بمكتبة البطريركية
القبطية تدرجها هنا لما فيها من الفوائد الغزيرة : — (١)

« قال اريوس ان سليمان الحكيم تسكلم بلسان المسيح قائلاً خلقتني أول طريقه
(ام ٨ : ٢٢) قال اثناسيوس معنى ذلك هو ان الرب ولدني لان النص العبراني
يذكر عوض خلقتني (قناني) اي ولدني كما يقال قني بالله ولداً اي ولد ويؤيد هذا
التفسير ماورد في نفس الفصل اذ يقول : منذ الازل مسحت منذ البدء كنت معه
قبل ان يخلق الجبال وقبل ان يصنع الارض لما ثبت السموات كنت هناك : وما
يتلوه من الاقوال التي تدل على ولادة الابن الأزلية كما نص داود النبي « انت
أبني وانا اليوم ولدتك ومن البطن قبل كوكب الصبح ولدتك (مز ٥ : ٧ و ١٠٩ : ٣)
ار — ان الابن قال ابي اعظم مني (يو ١٤ : ٢٨) فعلى هذا يكون الابن
اصغر من الآب ولا يساويه بالجواهر

اث — ان الابن دون الآب لكونه تجسد كما يتضح ذلك من نفس الآية (لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لاني قلت اني ماض الى الآب لان أبي اعظم مني) اي انه بناسوته يعضى الى الآب الذي هو اعظم من ناسوت الابن والا كيف يتكلم بلاهوته انه يعضى الى الآب حال كونه في حضن الآب (يو ١ : ١٨) ويؤيد ذلك انه في نفس الفصل يتكلم باللاهوت ويبين مساواته لابيه بالجواهر بقوله « من رآني فقد رأى الآب وانا في الآب والآب في وكل ما للآب فهو لي وكل مالي فهو له لاننا نحن واحد »

ار — ان المسيح قال « اعطيت كل سلطان في السماء وعلى الارض » (مت ٢٨ : ١٣) فذكر هنا انه نال السلطان من ابيه لانه اعظم منه وغير مساوله اث — يعني ان الابن بولادته الازلية من الآب قد ملك كل سلطان اوانه قال ذلك بحسب كونه متأنساً لانه في اثر هذا القول ساوى نفسه بأبيه بقوله لتلاميذه عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس

ار — ان المسيح نسب ذاته لعدم معرفة ساعة الدينونة بقوله لتلاميذه « واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها احد ولا ملائكة السموات الا الآب وحده » فاذا كان الابن لا يعرف وقت الدينونة فكيف يكون الها ؟

اث — ان المسيح قال ذلك لتلاميذه لئلا يسألوه عن هذا السر الذي لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه كما يقول صاحب السر اني لا أعلم هذه المسألة اي لا أعلمها علماً يباح به لان بطرس قال له يارب انت تعرف كل شيء

ار — ان المسيح قال انا لا اقدر ان اصنع مشيئتي بل مشيئة من ارسلني (يو ٥ : ٣٠) فاذاً هو عبد للآب ودونه

اث — ان المسيح تكلم في مواضع كثيرة بحسب كونه الها صار انساناً كقوله « ان شئت فلتعبر عني هذه الكأس » « الهى الهى لماذا تركتني » « اني صاعد الى ابي وايايكم والهى والهى » ومثل ذلك صلاته الى ابيه مراراً كثيرة . وبصفة كونه الها قال « من رآني فقد رأى الاب » « انا في الاب والآب في » « وانا والاب واحد » وفي نفس الفصل الواردة فيه آية الاعتراض قال تعالى « كما ان الاب يقيم الموتى ويحييهم كذلك الابن ايضاً يحيى من يشاء ليكرم الجميع الابن

كما يكرمون الاب . وغير ذلك كثير من اقوال المسيح التي تصرح بمساواة لاهوته للاهوت ابيه في الازلية والعظمة والقدرة

ار — ان يوحنا قال في بشارته عن الابن « كل به كان وبغيره لم يكن شيء مما كون » (٣:١) فهذا القول يدل على ان الابن آله استخدمها الاب لصنع الخلائق فالابن اذاً ليس الهاً خالقاً

اث — ان الاب خلق بالابن أي بواسطة الابن الخالق كما يقال بنى الملك المدينة بابنه فالملك وابنه يعدان بانبي المدينة . ولا سيما ان يوحنا صرح بلاهوت الابن وأزليته ومساواته لآبيه في الجوهر والقدرة والابداع في بشارته وفي رسائله حيث قال « الذي كان منذ البدء الذي سمعناه الذي رأيناه الذي لمسناه أيدينا » (١ يو ١ : ١) وأيضاً « الشهود في السماء ثلاثة الاب والكلمة والروح وهؤلاء الثلاثة هم واحد » (١ يو ١ : ٧) وفي الرؤيا « انا هو الالف والياء البداية والنهاية الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء » (رؤ ١ : ٨) وقوله « لاجلاس على العرش وللحمل البركة والكرامة والمجد والسلطان الى ابد الابدين » (رؤ ٥ : ١٣) وفي أول الفصل الواردة فيه آية الاعتراض نص البشير بجلاء عن لاهوت الابن بقوله « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » فكيف يكون معنى قوله بعد هذا التصريح ان الابن ليس باله خالق لسكنه آله لصنع الخلائق . وقد اعترف داود النبي بان الابن خالق كما قال « انت يا رب أسست الارض والسموات صنع يديك » ولا ريب ان هذا القول يخاطب به النبي ابن الله كما فهم ذلك الرسول (عب ١ : ١٠) فقد اتضح ان ابن الله خالق نظير ابيه واله مساو له في الجوهر والعظمة والمجد » اه

وطلب من يوساب القيصري وسميه النيكوميدي ان يتبرأ من هرطقة اريوس فوقها في حيرة وارتباك شديد ولم يتفقا على قاعدة ترضيها وترضي المجمع ثم تلا يوساب القيصري عقيدة قال انه تسامها من الاساقفة الذين سبقوه فظهرها عكس باطنها

فنصح الامبراطور للحضور ان يوافقوا عليها . وكان يوساب وحزبه يقبلون كل عبارة يبديها الارثوذكسيون وليسكنهم يؤولونها بحيث تضعف قوتها في ما

وضعت له وأفاضوا في نصوص الكتاب لتأييد تنصلهم . فسئلوا ان كانوا يقبلون ان يكتب في العقيدة عن طبيعة الابن انه من الله فقالوا نعم لاننا نحن ايضاً من الله والكتاب يقول « لا يوجد الا اله واحد الآب الذي منه جميع الاشياء » (١ كو ٨ : ٦) ويقول ايضاً « هوذا الكل قد صار جديداً . ولكن الكل من الله » (٢ كو ٥ : ١٧ و ١٨) فسئلوا اذا كانوا يعترفون ان الابن ليس مخلوقاً بل هو قوة الاب وحكمته وصورته وانه هو الله حقاً : فنظر بعضهم الى بعض وتشاوروا همياً ثم قالوا . اننا نوافق على ذلك لاننا نحن البشر ندعى صورة الله ومجد الله (١ كو ١١ : ٧) واشياء كثيرة يقول عنها الكتاب انها قوته كقول المزمور « جميع قوة الرب خرجت من مصر » حتى ان الجراد سميت بقوات الرب واما من جهة القول بأنه اله حقيقي فلا مشاحنة فيه اذا انه جعل او تعين هكذا . ولم يلق احد الفريقين اية عبارة يبر بها عن فكرة الاوقام الفريق الاخر باضعاف قوتها وتقيها فاقترح اثناسيوس أن تضاف كلمة Homo-ousion اي « مساوي الجوهر » او « ذو جوهر واحد » للتعبير عن هذه الحقيقة بطريقة موجزة واضحة فعارض اليوسابيون في استعمال هذه اللفظة بدعوى انها ليست من الكتاب وغير ملائمة وقابلة للتأويل ثم اقترحوا استبدالها باللفظة Homoi-ousion اي « مشابه في الجوهر » والفرق بين الكلمتين حرف واحد وهو « يوتا » باليونانية والقبطية ولكن ما أعظم الفرق بين اللفظين في المعنى ! : وبقدر معارضتهم بقدر ما ظهر للاغلبية انها هي العبارة المقصودة بالذات للتمييز بين من يؤمن بصحة لاهوت المسيح وبين من يعتقد بما هو اقل من ذلك . فصودق على اقتراح اثناسيوس باغلبية هائلة ولم تزد الاقلية عن سبعة عشر صوتاً وقوبلت هذه النتيجة بالسرور التام وتقرر ان يكون قانون الايمان هكذا : -

« نؤمن بأله واحد الله الآب الضابط الكل الخالق السماء والارض ما يرى وما لا يرى . نؤمن برب واحد يعوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو الاب في الجوهر الذي به كان كل شيء هذا الذي من اجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصاب

على عهد بيلاطس البنطى تألم وقبر وقام من بين الاموات في اليوم الثالث كما في
الكتب وصعد الى السموات وجلس عن يمين ابيه وايضاً يأتي في مجده ليدين
الاحياء والاموات الذي ليس ملكه انقضاء « اه

ويلى هذا القرار الالهى حرم اريوس واتباعه وحرّم بدعة سابليوس الذي اذاع
اريوس ان معارضيه يقبلونها وبذلك اوضح المجمع النقطتين الاساسيتين في التعليم
عن كلمة الله وهما تمييز الاقانيم في اللاهوت وصحة لاهوت المسيح

وقد وقع على هذا القرار جميع اعضاء المجمع برضاء كلي ولم يبق على عقيدة
اريوس سوى خمسة أشخاص منهم يوساب النيكوميدي ويوساب القيصري الا
انهما امضيا بعد تردد ولم يلبث سوى الاثنيين اللذين حرما بالاسكندرية وهما
سيكوندس اسقف بطليموسه وثيونس اسقف ماريكه وقد وبخ الاول اسقف
نيكوميديا لانه وقع خوفاً من النبي وقال له اني ابلغك من قبل الله بانه في خلال
عام واحد سيصيبك ما اصابني

وبعد ان حكم المجمع بحرم اريوس وبدعته أمر بنفيه وبحرق كتبه وباعداد
من يتستر عليها . وما يأتي يؤخذ منه رأي المجمع في اريوس وهو من رسالة
انقذها المجمع الى كنائس افريقية قال : - « قبل كل شيء وقع البحث امام الملك
قسطنطين الكلى التقوى في اثم اريوس ورفقائه وعدم تقواهم وحتّم بصوت
الجميع ان تعاليمه القديم التقوى ليكن اناثيا وهكذا ايضاً فلتكن اقواله وعباراته
التجديفية التي استعملها لانه قال مجدفاً ان ابن الله من القدم وانه وجد زمان
لم يوجد فيه وقال ان ابن الله من تلاقه ارادته قادر على الفضيلة والرزيلة وقال انه
مخلوق وعمل فكل هذا حرمه . والمجمع المقدس لا يطبق استماع هذا التعليم القديم
التقوى او بالحري هذه السفاهة وهذه الاقوال التجديفية وقد سمعتم أو تسمعون
ماذا جرى في حقه لثلاث نظهر نحن اننا تمديننا على انسان اخذ استحقاق شره
ولكن شره غلب بهذا المقدار حتى أدخل معه في الهلاك ثيونس المرمرىكي
وسيكوندس من عكا لانهما حكم عليهما كما حكم عليه « اه

ولما انتهى المجمع من القضاء على اريوس وبدعته صرف همه للفصل في
مسائل أخرى

(١) منها مسألة تحديد يوم عيد القيامة فقرر بالاجماع ان يكون العيد المذكور في موعد واحد بجميع البلدان اي يوم الاحد الذي يلي البدر الذي يكون فيه عيد اليهود حتى لا يعيدوا قبل اليهود أو معهم وقرروا ان بابا الاسكندرية هو الذي يبلغ الكنائس الأخرى عن اليوم الذي يقع فيه هذا العيد في العام التالي وذلك لان الاسكندرية في ذلك العهد كانت مركز العلوم الفلكية وجرت العادة وقتئذ ان بطريركها يحسب ميقات البدء بعد الاعتدال للسنة القادمة ويبلغ اسقني رومية وانطاكية وهما يبلغان سائر الاساقفة

(٢) ثم نظر المجمع في أمر الشقاق الذي أحدثه ميليتس بهضمه كاسقف حقوق رئيسه البطريرك وتقدمه لرسامة اساقفة وقسوس بلا رأي رئيسه فقرر من جهته في القوانين ٥ و ٦ و ٧ بحفظ حقوق بطريرك الاسكندرية على رؤسياه واعطاه الحقوق التي كانت لاخويه اسقني رومية وانطاكية

ثم ارسل المجمع هذه الرسالة الى المصريين بحكمه في هاتين المسألتين وهما هي : -

« بقي علينا الآن طياشة ميليتس والذين رسمهم والآن أيها الاخوة الاحباء نخبركم قضاء المجمع على هذه القضية . اننا اذا راعينا الحقيقة نجد ان ميليتس لا يستحق اكراماً أو صفحاً على ما اقترفه من أمر الشقاق الذي أحدثه الا ان الشفقة والحنان يحتمان علينا ان نعامله بالرأفة واللطف ولذلك أذن له المجمع بالاقامة في بلده مسقط رأسه وأمره ان لا يمارس أية وظيفة كهنوتية سواء كانت رسامة احد أو ترشيح احد للرسامة ويتحتم عليه عدم الظهور في أي إقليم أو مدينة بهذا المظهر ولا ان يدعى شيئاً حرمة عليه المجمع بل تبقى له صفته الشخصية فقط . أما الذين عينهم هو في وظائف وتثبيتوا فيها بواسطة رسامة قانونية فيجب قبولهم في عضوية الكنيسة بالشروط الآتية وهي : ان تبقى لهم وظائفهم ورتبهم ولكنهم يعتبرون أقل درجة في كل شيء من الآخرين الذين عينهم رئيسنا المحترم البطريرك اسكندر واقامتهم الكنائس الأخرى . كذا لا سلطة لهم على تعيين أو ترشيح من يشاءون ولا ان يعملوا عملاً ما بدون تصديق أحد أساقفة الكنيسة الجامعة الذين يعدون من أنصار البابا اسكندر

ومساعدية . وعند موت أحد هؤلاء القسوس الذين سامهم ميليتس سابقاً ينبغي تعيين واحد بدله من الذين تنطبق حالتهم على النظمات الحديثة على شرط أن يكون ذا أهلية واستحقاق فيختاره الشعب ويصدق اسقف الاسكندرية على انتخابه . فهذا الامتياز يمنح لجميع الاساقفة على السواء الا ميليتس فلا يعطى هذه السلطة نظراً لسلوكه السابق المغاير للصواب والتعقل بل مجرد من كل سلطة وسطوة لاجل طياشته وخيالاته ولانه رجل لا يبعد عليه أن يحدث شقاقاً جديداً مثل الذي أتاه قبلاً . فهذه المسائل تهم مصر وكنيستها الرفيعة الشأن على الخصوص وعليه فاذا سن قانون آخر غير هذا أو حدثت رسامة كاهن ليست قانونية فيكون لغبطة الحبر المفضل البطريرك الاكسندروس حق التداخل في هذا الأمر وان يفحصه فحسباً دقيقاً ويبت حكمه لانه ليس بصاحب صوت فقط في الذي يحدث ولكن له الرئاسة العليا والسلطة التامة في تنفيذ أي عمل يريده

» ولقد يسرنا أيضاً في هذا المقام أن نخبركم بما قر عليه الرأي في مسألة تحديد يوم عيد القيامة المبارك فان هذه المسألة انتهت بمساعدة صلواتكم وأصبح جميع الاخوة المسيحيين في الشرق الذين كانوا يعيدون هذا العيد مع اليهود تماماً يعيدون من الآن فصاعداً مع الرومانيين ومعنا ومع الذين حفظوه منذ القديم معنا « اه

(٣) ثم نظر المجمع في مشكلة معمودية الهراطقة التي كانت بين أساقفة افريقيا وآسيا الصغرى وبين أسقف رومية فاعترف المجمع بمعمودية واحدة وحدد أن لا يقبل بعض من الهراطقة الا بالمعمودية لان معمديتهم المعروفة اسما هي بالفعل غير صحيحة لعدم ارتباطها بالاعتراف بالثالوث الاقدس . والبعض الآخر أن يقبلوا بلا معمودية لكون المعمودية المتعممة عليهم لبثت غير فاسدة ولا ممسوسة من آرائهم لتعلقها بمواضيع أخرى لا تمس المعمودية

فبذلك رذل المجمع رأي اسقف رومية بخصوص عماد الهراطقة ولقد قال في هذا الصدد بنديكتوس ١٢ اسقف رومية (١٣٣٤ - ١٣٤٢ م) « ان اسطفانوس قد علم بوجوب اعادة العماد الذي يتم على يد الهراطقة وعلم كبريانوس بعكس ذلك أما المجمع النيقاوى فقد خالف هذين المعلمين حيث قرر ان المتعمدين من

أيدي الهرطقة عماداً صحيحاً لا يعاد عمادهم بعكس الدين اعتمدوا منهم عماداً فاسداً» اه (١) وقال أوغسطينوس أعظم قديسي الكنيسة اللاتينية «ان الحكم النهائي في قضية عماد الهرطقة كان للمجمع المسكوني الذي له وحده هذا الحق . أما رأي اسطفانوس فانه فضلا عن فساده لم تكن له قوة على اقناع كبريانوس وهكذا كان حكم الكنيسة مجتمعة حجة لاترد لاثبات الحقيقة فيما يختص بالمعقيدة الارثوذكسية» اه (٢)

(٤) حكم على حموي الكهنوت أن يكونوا من أصحاب الزوجات وقد أراد جل الاعضاء أن يقرروا ضرورة تبطل كل رتب الا كليسوس الا ان رأيهم لم يقبل وكان أشد معارضية القديس بنفوتيس اسقف طيبة الذي أشير اليه بأنه فقد عينه اليمنى ويده اليسرى في الاضطهاد وهو أعزب اذ صرح بأنه ليس من الواجب التثقيب على ذوى الكهنوت خشية حدوث ضرر للبيعة عوض النفع فآثر كلامه في الجميع لانهم عرفوا انه لا ينتفع من القرار أو عدمه واكتفى المجمع بالحكم على الكهنة المزمعين بعدم اعادة الزيجة

وبعد ذلك سن المجمع عشرين قانوناً لم تزل بحمد الله موجودة سالمة الى عصرنا هذا . وهذه القوانين وسائر الاحكام أيضاً أنيط نشرها بكل واحد من أساقفة الكراسى الاولى في أبروشيته . ومن جملتهم اوسيليانوس في افريقية واوسيسوس في الغرب كله . ولم يذكر شيء بخصوص اسقف رومية البتة يتعلق بنشرها فلا أحد انتظر منه تصديقاً عليها ولا استأذن منه لينشرها . وكما ان مسألة نشر القوانين في الشرق والغرب تنفي صحة الدعوى بسلطانه فان حموي القوانين أيضاً ينفيها تقيماً واضحاً

وقد اجتهد اساقفة رومية في القرن الخامس ان يجروا بعض قوانين مجمع سرديكا التي توجب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى اسقف رومية الى قوانين مجمع نيقية فقاومهم عند ذلك أساقفة افريقية وارسلوا الى بطاركة الاسكندرية

(١) راجع بوسويه في مقدمة دفاعه عن اقرار الاكليسوس الفرنسي رقم ٤٨

(٢) راجع كتاب العماد لاغسطينوس (ك ٢ ف ٤ : ٥ : ٥ و ك ٣ ف ٢ : ٢)

وانطاكية والقسطنطينية يطلبون نسخاً كاملة لكل القوانين النيقاوية المعروفة عندهم فنقلوا نسختين صحيحتين احدهما من الاسكندرية والاخرى من القسطنطينية فكان غوى الجواب ان الكنائس الارثوذكسية لم تقبل الا هذه العشرين قانوناً وبعض هذه القوانين يعارض كل المعارضة قوانين مجمع سرديكا التي ارادوا أن يثبتوا بها رئاسة اسقفهم المزعومة ويهدمها واليك هي :-

قال القانون الرابع « ينبغي أن يقام الاسقف على الخصوص من جميع اساقفة الابروشية . فان كان عسراً اما لضرورة شديدة او لبعد المسافة فلا بد من اجتماع ثلاثة مما بعد اشراك الغائبين في الاصوات وموافقتهم كتابة وحينئذ يعملون الشرطونية . أما تثبيت الاجراءات فنوط في كل ابروشية بالميترو بوليت » فهذا القانون فضلا عن ايضاحه مساواة رؤساء الابروشيات بعضهم لبعض بلا امتياز هو ضد العادة المرعية اليوم في الغرب بان كل اسقف عندهم حتى بطاركة الطوائف التابعة لهم « المعروفة بالمكتلحة » محتاج الى تصديق من البابا او بالحري ان هذه العادة الغربية هي ضد المجمع المسكوني وهي لاغية

وقال القانون الخامس « لقد رأينا حسناً أن تعقد مجامع في كل ابروشية مرتين في السنة لكي تفحص امثال هذه المسائل (الكنسية) باجتماع عمومي من جميع اساقفة الابروشية » وهنا أيضاً مرجع المسائل الكنسية لا الى البابا بل الى مجامع الابروشيات

وقال القانون السادس « لتحفظ السنن القديمة التي في مصر وليبية والتمس المدن بان تكون السلطة على هؤلاء كلهم لاسقف الاسكندرية . بما أن هذه العادة مرعية للاسقف الذي في رومية أيضاً . ومثل ذلك ليحفظ التقدم للكنائس في انطاكية وفي الابروشيات الاخرى . وبالاجمال ليكن واضحاً ان كل من صار اسقفاً بلا رأى الميترو بوليت قد حكم المجمع الكبير أنه لا يجب أن يكون اسقفاً وأما اذا قاوم اثنان او ثلاثة عن عناد شخصي لبعوث الجميع الامام رغماً عن كونه مصيباً وموافقاً للقانون الكنسي فاعمل بصوت الاكثرين »

وقال القانون السابع « بما أنها جرت العادة والتسليم القديم ان يكون الاسقف الذي في الية « اورشليم » ذا كرامة فلتكن له التبعية في الكرامة مع

المحافظة على رتبة الميتر و بوليت الخاصة بها «
 فواضح هنا أن هذين القانونين يثبتان لسكل اسقف من اساقفة الكراسي
 الاولى رئاسته لا كأنهما يثبتان أمراً جديداً بل بناء على العادة القديمة وعلى
 الخصوص القانون السادس يثبت دائرة الكرسي الاسكندري الذي كانت حقوقه
 قد ديست من ميليتس الاسقف المبتدع المار ذكره الذي ساقه عناده الى انه
 داس حقوق البطريرك الاسكندري وكان يقيم شرطونيات بلا رأيه . ولهذا
 السبب جدد المجمع وثبت حقوق الاسقف الاسكندري المداسة لتكون مرعية
 في دائرته كما أن حقوق أسقف رومية لم تزل مرعية في دائرته . وكذلك حقوق
 الانطاكي وحقوق كل أسقف من الاساقفة المتقدمين . ثم قرر في القانون السابع
 أن تكون التبعية في الكرامة اي الجلسة للاورشليمي بعد الانطاكي

فهذه قوانين مجمع مسكوني صريحة تبين لسكل اسقف دائرته ولا تعين ولا تشير
 الى اسقف عام على كل الكنيسة حالة كون المذاكرة في مثل هذه المسائل كانت توجب
 ذلك لو كان له أصل أو على الاقل كانت توجب وكلاء البابا أن يدافعوا عن
 حقوقه ويقرروها (١) ولنختم بشهادة البابا اثناسيوس الرسولي في رسالته الى
 الانطاكيين وهي : « ان الكنيسة فيها رؤساء كثيرون متساوون في الكرامة
 يقودهم رئيس واحد ربنا يسوع المسيح » (٢)

* وبعد أن انتهى المجمع من اعماله أولم قسطنطين لاعضائه ولحمة عظيمة في بدء
 السنة العشرين للملكه اي في اليوم الرابع والعشرين من شهر يولية فاجتمع الآباء
 الروحانيون على مائدة الملك . ويقول أوسايوس المؤرخ « ان اجتماع آباء
 الكنيسة في سلام وصفاء بهذه المأدبة الفخيمة كان يشبه صورة ملكوت المسيح
 وقد تجلى هذا المنظر أمامي كحلم اكثر مما هو حقيقة . » اه وكان الامبراطور
 يحادث ضيوفه بكل بشاشة ثم ألقى عليهم خطاب الوداع ناصحاً اياهم بالتزام خطة
 السلام . وبعد ذلك وزع عليهم الهدايا وسامهم الاوامر الى حكام البلاد التي هم
 تابعون لها أمراً هو لاء الحكام بأن يوزعوا على الكنائس كل سنة مقداراً من
 الخنطة لمؤونة رجال الاكليروس والارامل والعداري والفقراء التابعين للكنائس

ثم طلب منهم البركة وأعد لهم الركائب لعودتهم الى اوطانهم فعادوا اليها بسلام
(٢) مجمع القسطنطينية . « ويسمى المجمع المسكونى الثانى » وسبب انعقاده

التعاليم الكفرية التي اذاعها مكندونيوس بطريرك القسطنطينية عن الروح القدس
والتي اضطرت البيعة لاجلها . واذ كان الملك ثيودوسيوس الارثوذكسى يرغب في
استئصال شأفة البدع والهرطقات أمر بانعقاد هذا المجمع في مدينة القسطنطينية
سنة ٣٨١ م

وكان في هذا المجمع رجال قديسون عظام نذكر منهم نكتاريوس بطريرك
القسطنطينية وتيموثاوس بابا الاسكندرية وملاطيوس اسقف انطاكية وكيرلس
اسقف اورشليم وغريغوريوس الثاولوغوس وغريغوريوس النيسى وامفيلوشوس
اسقف ايقونية ويلاجيوس اسقف اللاذقية وثيودورس اسقف طرسوس
واكاكيوس اسقف حلب وافلوجيوس اسقف اداسيس وغيرهم كثير ون مجموعهم
١٥٠ أباً ولم يكن من رومية أحد لا اسقفها ولا نواب له ولا تليت رسالة من
الاسقف نيابة عنه حسب عادة الاساقفة الغائبين ومع ذلك فوافق اسقف روميه
وكل الكنيسة الغربية على أعماله ولم يزل هو وكنيسته يعترفون بأنه مجمع مسكونى
وقال المؤرخ صوزومينوس (فاجتمع من الذين يعترفون بمساواة الثالوث فى الجوهر
نحو ١٥٠ وفى رئاستهم تيموثاوس المتقلد ادارة كرسي الاسكندرية خلفاً لآخيه
بطرس الذى كان قد توفى لامن عهد بعيد » (١)

وقد بحث المجمع فى جملة هرطقات أهمها هرطقة مكندونيوس المار ذكره الذى
اعتقد بان الروح القدس مخلوق . ولما طرحت قضيته امام المجمع بدأ يثبت بدعته
فقال ان الروح القدس مخلوق مرتسكناً على قول الكتاب « كل به كان وبغيره
لم يكن شيء مما كان » (يو ١ : ٣) فأجابوه قائلين « ايها الانسان لا يوجد لدينا
الا روح واحد وهو روح الله ومن المعلوم ان روح الله ليس شيئاً غير حياته
واذا قلنا ان حياته مخلوقة فعلى زعمك انه غير حى واذا كان غير حى فهناك
الكفر الفظيع والرأى الشنيع » ولما أبى ان يرجع عن افكاره أنزلوه من درجة

البطريركية وحرّموا كل من يقول بقوله واثبتوا دستور الايمان النيقاوى الذى كان ينتهى بقوله « نعم تؤمن بالروح القدس » فأضاف جمع القسطنطينية عليه هذا القول « الرب المحيى الكل المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن يسجد له ويتمجد الناطق فى الانبياء وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وترجى قيامة الأموات والحياة الجديدة فى العالم الآتى، آمين »

وحرّم المجمع كل من يزيد على هذا الايمان الذى سنه آباء المجمع النيقاوى واكتفى فى هذا المجمع المقدس شيئاً آخر او ينقص منه او يحدد حداً مضاداً لما حدد فيه هذا الحرم على الكنيسة الباباوية التى زادت بعد الروح القدس المنبثق من الآب نعمة والابن كما ستقف عليه فى باب البدع فى القرن الثامن . ثم نظر المجمع فى هرطقة أبولينا يوس استقف اللاذقية ومن امره انه كان شديد المناضلة فى اثبات لاهوت المسيح ضد الارىوسيين ولما كانت مناصلته بدون فطنة سقط فى البدعة اذا انكر وجود النفس البشرية فى المسيح واعتقد ان اللاهوت قام بوظيفتها وامتزج مع الناسوت امتزاجاً كلياً حتى انه احتمل معه اوجاع الصليب والموت وجعل تفاوتاً بين الاقانيم الثلاثة فقال ان الروح القدس عظيم والابن اعظم منه والآب اعظم من كليهما فحرم هذا المجمع تعليمه

وكان رئيس المجمع ملاطيوس الانطاكي ثم توفى قبل انحلاله فتولى الرئاسة غريغوريوس الثاولوغوس . وكان متولياً موقتاً للكرسى البطريركي بالقسطنطينية قبل ذلك بمدة قليلة ولكن تيموثاوس بابا الاسكندرية قاومه فاستعفى مسروراً لانه علم ان الذى يتولى بعده الكرسى البطريركي ورئاسة المجمع صديقه نكتاريوس ثم سن المجمع سبعة قوانين تتعلق بنظام الكنيسة وسياستها وروعي فى وضعها خاطر ملكي رومية والقسطنطينية فوضعت هذه فى الرتبة الثانية بعد رومية ووضعت الاسكندرية بعدهما فاستاء البابا تيموثاوس من تصرف المجمع الذى يدل على تناسيه لجهاد باباوات الاسكندرية الافاضل وعدم اعتبار المعروف منذ القديم وهو ان لكرسى الاسكندرية المركز الاول فاحتج البابا تيموثاوس على هذا القرار وخرج من المجمع غاضباً

ويتبين من مراجعة نص القوانين التي سنها المجمع في هذا الشأن ان اساس النظام الكنسي ليس الاعتبارات الدينية بل المدنية ودونك نص القانون الثاني « لا يتعدى الاساقفة الذين خارج ادارتهم على الكنائس التي خارج حدودهم ولا يشوشن الكنائس . بل وفقاً للقانون لاسقف الاسكندرية ان يسوس امور مصر فقط . ولاساقفة الشرق ان يسوسوا الشرق فقط مع المحافظة على التقدم الذي في قوانين نيقية لكنيسة الانطاكيين . ولاساقفة ولاية آسيا ان يسوسوا امور آسيا فقط . وللذين في البنطس امور البنطس فقط . وللذين في تراكي ان يسوسوا امور تراكي فقط . فلا يتعدى اساقفة خارج ولايتهم لاقامة شرطونيات او معاطاة امور اخرى كنسية من دون ان يدعوا . والمحافظة على القانون السابق تدوينه في الادارات تقتضي صريحاً ان يسوس احوال كل ابروشية مجمع الابروشية كما هو محدد في نيقية . واما كنائس الله التي بين الامم البربرية (يعني خارج المملكة) فيجب ان تساس حسب عادة الآباء المرعية »

والقانون الثالث « اما اسقف القسطنطينية فليكن له التقدم في الكرامة بعد اسقف رومية لكونها (أي القسطنطينية) رومية جديدة » ام
فهذان القانونان ينفيان الرئاسة التي يدعيها الغريغور لاساقفتهم فان القانون الاول منع تعدي أي اسقف كان على حقوق سواه وحكم بان الامور الكنسية المشاعة يفصل فيها مجمع الاساقفة لا اسقف رومية وذلك استناداً على قوانين مجمع نيقية

(٣) درجات الكنائس . ويجدر بنا في هذا الصدد ان نتكلم عن مقام كل كرسي من كرسي الاسقفيات المسيحية لان كل منها ينازع الآخر في الادعاء بالاسبقية والاعتبار . وكل مدقق في الحوادث التاريخية يقر بان المراكز الدينية كانت تقاس قيمتها بقيمة المدن الكائنة فيها . فانه مع ان الكنيسة في مبدأ الأمر كانت تعلم بالتساوي بين جميع افراد الرتب الكهنوتية ولكنه لما دعا الحال الى عقد مجامع للبحث في المشاكل الدينية احتاج الامر الى واحد ليكون هو المتقدم في تلك المجامع فلما لا يفهم احد ان هذا التقدم ناشىء عن امتياز

(٣٤٢)

لاستقف عن الآخر قالوا اذا كان المجمع قاصراً على اساقفة مدينة واحدة وما حولها من القرى يكون التقدم لاستقف المدينة . واذا كان المجمع مؤلفاً من اساقفة مدن عديدة يتقدم فيه استقف المدينة الاكثر شهرة . ويوجد سبب آخر قضى على المؤمنين ان يوجهوا نظرهم الى بعض المراكز الاستقفية اكثر من غيرها وذلك بالنسبة لانها كانت مقراً لبعض الرسل واتصلت الى الاساقفة بسلسلة الخلافة ودعيت « الكراسي الرسولية »

فالمرکز الدينية التي حازت أحد هذين الامتيازين كانت لها أسبقية على التي لم تحزها ولكن التي امتازت بالاكثر من المراكز التي اقترنت اهميتها المدنية بتسلسل اساقفتها عن خلافة رسولية واشتهرت عن سواها هي في الشرق الاسكندرية . وانطاكية . وأفسس . وكورنثوس . وفي الغرب . رومية . ولما كان المركز الكنسي الذي يفقد اهميته المدنية يفقد اهميته الدينية ايضاً فان كرسي اورشليم فقد منذ القديم اهميته بعد خراب هذه المدينة ولحقه بعدئذ كرسي أفسس وكورنثوس ولكن الكرسي الاسكندري ارتفع عن بقية الكراسي لان مقره مدينة الاسكندرية كانت عاصمة الديار المصرية وامتازت بانها كانت محط رحال العلوم والمعاملات التجارية للعالم أجمع

ولما تدخل ميليتس المشار اليه انفاً واحداث انشقاقه وتمدى على سلطة بطريك الاسكندرية برسامة اساقفة بدون أخذ رأيه قرر المجمع النيقاوي ضرورة مراعاة حقوق بطريك الاسكندرية . وكذلك كرسي رومية عاصمة العالم وقتئذ وانطاكية عاصمة الشرق استمر امتمتين بحقوقهما منذ عهد الرسل ولكن الكنيسة الباباوية تنادي ليلاً ونهاراً ان رئيسها هو رئيس الكنيسة العام واليك الادلة على كذب قولها

جاء في كتاب « مختصر تاريخ الامة القبطية » ص ٣٢٧ — ٣٤٠ ما يأتي :
« ان الحق الذي يجب ان يعان هو ان تقدم الكنائس بعضها على بعض لم يكن مبنياً الا على التقدم المدني المحض . ولذلك فاننا نرى آباء المجمع القسطنطيني (المسكوني الثاني) عند ما اصبحت القسطنطينية ممثلة لرومية في الرفعة المدنية قد بادروا الي مساواتها بها في الرفعة الدينية حيث قرروا في القانون الثالث ان

تكون لها الدرجة الثانية بمدرومية وان تلقب رومية الجديدة وهكذا أصبحت اسقفية القسطنطينية (البيزنطية) التي اغفلها المجمع النيقاوي في قانونه السادس لصغر شأنها وقتئذ مقدمة على اسقفيتي اسكندرية وانطاكية

ولقد جاء في القانون ال ٢٨ من قوانين مجمع خلسكيدون الذي ترذله كنيستنا القبطية وتقدسه الكنيسة اللاتينية « ان المدنية التي حظيت بالملك (رومية الجديدة) وجب ان تمتاز في المسائل الكنسية أسوة بمدينة رومية القديمة » وجاء ايضاً في القانون ال ١٧ من قوانين هذا المجمع انه « اذا شاد القيصر مدينة جديدة فلتسكن منزلتها الكنسية ملائمة لمنزلتها المدنية » على ان ذلك القرار لم يكن من مبتكرات مجمع خلسكيدون فقد سبقه اليه مجمع انطاكية المنعقد سنة ٣٤٢ م اذ قرر في قانونه ال ٩ « أن يكون النظام الكنسي تابعاً للنظام المدني » (١) وكذلك قرر مجمع تورينو بإيطاليا المنعقد سنة ٤٠١ م « أن يكون التقدم للاسقف الذي يبرهن على تقدم مدينة اسقفيته من الوجهة المدنية (وذلك على أثر النزاع الذي حدث بين أسقفيتي أرس و فينا (جنوبي فرنسا) بشأن التقدم الكنسي) وعلى ذلك يكون تقدم كنيسة روميه الديني قد بني على تقدمها المدني . لما هو معلوم من انها كانت عاصمة العالم الوثني يومئذ . وهذا هو تليمون الكاثوليكي يقول في تاريخه الكنسي (م ١٦ ص ٧٠٧) « ان مجمع خلسكيدون لم يعمل تقدم الكنيسة الرومانية الا بتقدم مدينة روميه مدنياً » وقال سليدن (في تاريخه م ٩ ص ١٦٢) « ان ملك فرنسا (فرانسوا الاول) لم يكن ليرى في سلطنة الباباوات حقاً الهياً بل بشرياً محضاً » وقال فوشيه في كتاب حرية الكنيسة الجليكانية (الفرنسية) (م ١ ص ٧١) « لم يكن من سبب في تقدم أساقفة روميه سوى عظم مدينتهم » وأخيراً قال ارهاردوس بيليوس استاذ اللاهوت الادبي في كلية الحزويت بكان بفرنسا في كتابه « أرزاق الكهنة » المطبوع سنة ١٦٤٤ م مانصه « ان تقدم الباباوات الرومانيين ان هو الا منة منحت لهم من المجمع والقياصرة (لا من الله) وهكذا كان ذلك التقدم من وضع البشر »

وفضلاً عن ذلك فان الدرجة الاسقفية واجدة لا يؤثر فيها ارتقاء الايبروشية

أو انخطاطها . وهذا هو ابرونيموس يقول في رسالته ال ٨٥ الى ايفاجريوم « ان الاسقف ثابت في وظيفته سواء أقام في روميه أو في رجيو (مدينة صغيرة شمالي ايطاليا) في القسطنطينية أو في جيبيو (مدينة صغيرة بايطاليا) في الاسكندرية أو في تانيس » اه هذا فضلا عما اعترف به البطريرك القبطي الكاثوليكي كيرلس مقار في كتابه « الوضع الالهى في تأسيس الكنيسة » « ان تقدم روميه القديمه كان يرمى الغرض منه الى صفة عرش المملكة وبالنتيجة انه لم يكن له أدنى صبغة الهية » اه

واليك شهادة القديس اغناطيوس (وهو من أساقفة روميه) قال « ان جميع الاساقفة الذين تعينوا الى أقاصى المسكونة هم وكلاء المسيح ورأيهم رأي المسيح » (١) والقديس كبريانوس يقول بصريح العبارة « ان الرتبة الاسقفية واحدة » ويقول أيضاً « كما أنها اقيمت كنيسة واحدة للمسيح في كل العالم منقسمة الى اعضاء كثيرة هكذا الرتبة الاسقفية واحدة منقسمة الى عدد اساقفه كثيرين » (٢)

والدليل على صدق هؤلاء الافاضل وعلى ان الكنيسة لم تكن تعتبر في عصورها الاولى أية كنيسة منها أسمى من الأخرى ما راه في تصرف الآباء في المجامع المسكونية الاولى حيث كانوا يقررون أحكامهم لا باسم كنيسة خصوصية بل باسم الكنيسة المسيحية في كل العالم التي تجمع كل الكنائس رسولية كانت أو غير رسولية . فقط كانوا يقدمون في الكرامة رئيس الكنيسة الذي يعرفون عنه الغيرة على الايمان والشهرة في الدفاع عنه كباباوات الكرسي الاسكندري مثلا اذ طلبوا منهم أن يتأسوا المجامع المسكونية الثلاثة الاولى واذا أردتم برهاناً على ان المجامع لم تكن تحكم الا باسم الكنيسة عامة فاليكم بعض مادونه كيرلس مقار بطريرك الاقباط الكاثوليك في كتابه « الوضع الالهى في تأسيس الكنيسة » من ص ١٩١ - ٢٠٧ « ولكن هل أصدر المجمع النيقاوى حكمه مقيداً باوامر باباويه وهل اعتبر ان ما يصدره من الاحكام يكون باسم البابا؟ ذلك ما يدعيه الغربيون وهي دعوى فاسدة مبنية على أساس واه

لانه من الحقائق المقررة ان البابا سلفستروس لم يبعث برسائل للمجمع حينئذ بل ان المجمع ابلغ حكمه لكنيسة روميه أسوة بباقي الكنائس كحكم الهى سماوى مؤيد بالروح القدس ...

«واليكم شهادة القديس اثناسيوس الرسولي الذى قال « ان آباء نيقية عند ما اصدروا حكمهم في قضية الفصح قالوا « هذا ما وجدناه حسناً » لان هذه المرة كانت الاولى التي فيها سن قانون عام في هذا الموضوع « يوم تعيين الفصح » أما عند الكلام على الايمان فلم يقل الآباء هذا ما وجدناه حسناً بل قالوا « هذا ما تؤمن به الكنيسة الجامعة » ثم جاهروا بمعتقدهم ليدلوا على ان ايمانهم ليس بحديث العهد بل هو نفس الايمان الرسولي وان ما سطرته أيدي هؤلاء الآباء لم يكن من عملهم بل هو الايمان عينه المسلم من الرسل الى الكنائس » اهـ {١}

وما يقال عن مجمع نيقية يقال ايضاً عن مجمع القسطنطينية فانه كان مؤلفاً من ١٥٠ أباً شرقياً ولم يكن لاسقف روميه فيه نصيب البتة حتى انه لما دعي للحضور كباقي الاساقفة اعتذر عن الحضور ولم يرسل حتى من ينوب عنه . وانعقد المجمع بدون ان تكون له أقل علاقة به بالمرّة بل وابلغ من ذلك ان التاريخ يشهد ان داماسوس الاسقف الروماني كتب حينئذ لآباء المجمع القسطنطيني المائة والخمسين ليأتوا الى روميه لكي ينضموا الى مجمع كبير كمنسى غربى مزعوم ان ينعقد ولكن المائة والخمسين أباً رفضوا بتاتاً ان يلبوا هذه الدعوة وأجابوا الاسقف الروماني بشجاعة بان كنائسهم تكبدت الصعوبة حتى خرجت من الزوبعة العظيمة التي صدمتها وأشاروا الى كسل الغربيين الواضح الذين بدل ما انهم يأتون الى القسطنطينية وذلك في طاقتهم يطلبون سفر الشرقيين الى رومه في الوقت الذي ابتدأت كنائسهم ان تمتش واصبحت في حاجة الى وجودهم في حضرتهما .

وقد اصدر المجمع القسطنطيني حكمه في قضية لاهوت الروح القدس مستنداً لا على صوت الكنيسة الرومانية التي لم تكن تعرف عن المجمع شيئاً بل على صوت الكنيسة العام كما يشهد بذلك القديس غريغوريوس النيسى أحد أعضاء المجمع حيث يقول في اثبات ان الروح القدس اله حق ومساو في الجوهر للآب

والابن « انه يكفيننا هذا الدليل التقليدي الذي تسلمناه من آباءنا والذي تسامه آباؤنا من الرسل » (١) واخوه القديس باسيليوس قال لمكدونيوس قبل اشتهار المجمع القسطنطيني « ان احذر ان تفصل الروح القدس من الآب والابن فان التقليد يمنعك من ذلك . هكذا علم السيد وهكذا كرز الرسل وهكذا حفظ الآباء وهكذا اعترف الشهداء ويكفيك ان تقر بما تعامت » (٢) فأين صوت الكنيسة الباباوية وسلطانها اذا . ليحكم الباباويون عقولهم لعلمهم يرتدعون (٣)

وليس من ينكر انه كان للكرسي الاسكندري الاولوية على الكرسي الاسقفية عامة وكان كرسي رومية حسداً منه يتقدغليظاً لتقدم كرسي الاسكندرية عليه واعتبار الملوك له اكثر منه . ولكن بطاركة الاسكندرية الذين اشتهروا بالبرقة والالطف وحسن المجاملة رضوا باشتراك اساقفة رومية في حل المشكلات معهم ولو أفضى الى التنازل عن أفضليتهم . ولكن الرئاسة الفعلية والخطاب العام الذي يصدر سنوياً وفيه تاريخ عيد الفصح كان مصدرهما الاسكندرية

أما الكرسي الاوروشيلى فقد استرد مجده في القرن الرابع واخذ يترقى بسبب اعتبار المسيحيين للاماكن المقدسة . ولهذا في القانون السابع من القوانين التي أصدرها مجمع نيقية وضع الكرسي الاوروشيلى في الدرجة الثانية أما الرئاسة العامة فكانت للاسكندرية فعلاً ولرومية ادعاء . ويتضح ذلك من مراجعة التاريخ حيث يقرر ان الذين قاوموا البدع وعقدوا المجمع وترأسوا عليها وقاسوا الولايات في سبيل تأييد الايمان هم باباوات الاسكندرية الذين كانوا يعتبرون مسئولين امام الكنيسة عن حفظ سلامة الايمان بينما كان اساقفة رومية يتمتعون بالراحة حتى ان ليباريوس لما نفي بسبب تمسكه بتعاليم اثناسيوس الرسولي لم يطق النفي فجدد الايمان ورجع الى كرسيه ثانية

قال العلامة ستانلي في كتابه في تاريخ البابا اثناسيوس الرسولي: — « واصبح البطريرك الاسكندري بعد مجمع نيقية « قاضي المسيحية في كل العالم » تطاع

(١) مؤلفه ضد انوميوس كتاب ٤ (٢) ضد بدعه سا بايوس رسالة ٢٤ (٣) عن كتاب « الوضع الالهى في تأسيس الكنيسة » لسكرلس مقارن بالفرنسية ونقلناه عن كتاب « الخريدة النقيسة في تاريخ الكنيسة » ج ١ ص ٣٧٦ و ٣٧٩

احكامه في جميع انحاء المعمورة المسيحية في كل الامور العلمية دنيويها ودينيها
وبلغ تفوذه أو كاد يبلغ تفوذ باباوات رومه فيما بعد في أمور الكنيسة الغربية» اه
حتى قال غريغوريوس النزينزي « ان رأس كنيسة الاسكندرية هو رأس العالم »
وهذا نص قوله « ان القديس اثناسيوس اذ صار اسقفاً على الاسكندرية اؤتمن
على ادارة الشعب ورئاسته ويقول واحد اؤتمن على كل المسكوتة » اه (١)

واذ كان يظن اسقف رومية انه الرئيس الاول للكنيسة هدم أملاه لما قام
قسطنطين الكبير بتشييد مدينة القسطنطينية ولقد منحها كل امتيازات رومية
القديمه واقتضى الحال ان يحسب اسقفها بدرجة اسقف رومية . ولم يجسر احد
بان ينكر على القياصرة هذه البدعة ففي مجمع القسطنطينية المسكوني المار ذكره
أقيم بطريرك القسطنطينية بموجب القانون الثالث في الرتبة الاولى بعد اسقف
رومية ووضع كرسيها الاسكندرية وانطاكية بعدهما

اما اذا كان قد أعطى لكرسي رومية رتبة أولى فذلك ليس على كل
الكنيسة بل على جميع الكنائس الغربية فقط لانه هو وحده في الغرب مؤسس
من الرسل فيما ان في الشرق كراسي كثيرة مثله مؤسسه من بطرس ومن سائر
الرسل . كما ان الاعتبار المدني لا الديني هو الذي كان يميز بعض الكراسي عن بعضها
كما ذكر

فاذا كان رؤساء كراسي رومية يفتخرون على رؤساء كراسي الاسكندرية
بمصولهم على التقدم عليهم في مجمع القسطنطينية فعليهم أن يتأكدوا ان الاسباب
التي أوجبت تقدم رومية ان الامبراطره الذين كانوا على مذهب اريوس لم يكونوا
يمبأون بها ولا يهتمون بأمرها بل كانوا يصرفون جهدهم في مقاومة بطريرك
مصر والحط من شأن كراسي الاسكندرية لان هذا الكرسي كان الوحيد المقاوم
لهم دون باقي الكراسي الاسقفية في العالم المسيحي أجمع .

(٤) اريوس . ولد في ليبيا القيروان بافريقيا سنة ٢٧٠ م وكان له
المقام بعلوم كثيرة وبالنسبة لفصاحته ولطف معاشرته ومحبته للمجد الفارغ

كان يسعى دواماً لاحداث أمور جديدة فجااء الى الاسكندرية طامعاً بان ينال وظائف كنسية فدخل المدرسة اللاهوتية وتقدم في علومها تقدماً باهراً وداخلته الكبرياء وأحب أن يرقى درجات رفيعة بواسطة فصاحته

وفي مبدأ أمره انضم الى ميليتس اسقف ليكوبوليس وساعده على العصيان ضد القديس بطرس بابا الاسكندرية ولكنه اذ رأى ان انضمامه لحزب ميليتس لا يساعده على التقدم تركه وصالح القديس بطرس فسماه شماساً سنة ٣٠٦م ولكنه كان مشتركاً مع ميليتس اشتراً كخفياً

أما هرطقة اريوس التي بدأ باذاعتها في عهد البابا بطرس فكانت علة لنكبات عديدة حلت بالكنيسة . وأساس هذه البدعة ان الكنيسة كانت تعلم منذ القديم بان الله واحد في ثلاثة أقانيم ولكنها لم تبحث في نسبة أحدهم للآخر وحقيقة الفرق بينهم ولم تحكم في شيء من هذه القضايا غير انه لما ظهر سا بليوس الذي كان ينكر تمييز الثلاثة الاقانيم في اللاهوت قائلاً انه توجد ثلاثة أسماء لاله واحد مخترعة لتبيان مفاهيم اللاهوت المختلفة فكمت الكنيسة مضادة له بانه يوجد فرق بين كل من الآب والابن والروح القدس أي انه يوجد ثلاثة أقانيم متميزون في اللاهوت وكان مذهب اريوس كأنه شرح لتعليم سا بليوس فذهب الى أن الابن يختلف عن الآب في الجوهر وانه (أي الابن) أول وأشرف كل ما خلقه الآب من العدم وانه هو الواسطة التي كون بها الكون . ومع ذلك فهو حسب اعتقاد اريوس أدنى من الآب في الطبيعة والمنزلة والآب اقدم من الابن لان الابن مخلوق به . وتمكن اريوس بدهائه وفصاحته من أن يجذب اليه بعض الانصار فكانوا يجادلون المؤمنين في شوارع الاسكندرية ويصرخ الواحد منهم في وجه الآخر قائلاً « ياهرطوقى من الاكبر . الوالد أم المولود » وآخر يقول « هل من المعقول أن يوجد ابن قبل ولادته » فبالطبع لم يفهم هؤلاء البسطاء السذج ان لفظة ابن نسبية مجازية بل اتخذوها حرفية (١)

(١) أنظر لفظة ابن النور ولفظة ابن جهنم وأمثالهما في الانجيل ولا تنس شيوع لفظة ابن السبيل وابن الفضل الخ

ومن حيل أريوس انه جعل شعبه في كنيسة بوكاليس التي رسمه قسماً عليها
البابا ارشلا انهم يرتلون معاً بعد قراءة كل مزموور كالآتي « المجد للآب بالابن
في الروح القدس » ظناً منه ان غالبية الشعب لا يلاحظون تحريفه للاصل الذي
هو « المجد للآب والابن والروح القدس » وصار أتباعه يعلمون النساء في
الشوارع هذا السؤال « أيمكن أن يوجد ولد قبل أن يولد ؟ »

واذ كان البابا الاكسندروس يعلم أمام اريوس مرة ان الكلمة ابن الله مساو
للآب وان له طبيعة وذاتاً واحدة مع الآب عارضه اريوس وحكم ان هذا التعليم
هو نفس هرطقة سابليوس وقال ان المسيح غير مساو للآب في الجوهر والمظنة
وانه مخلوق بارادة الآب حادث غير أزلي وانه حال كونه أكمل خلق الله كان
بحسب اختياره للمعتوق ذا طبيعة متغيرة يمكنه اتيان الفضيلة والرزية ولكنه
اعتنق الصلاح والفضائل فأشركه الله من أجل أعماله الصالحة بطبيعته الالهية بجملا
اياه بهذه الالقاب أى كلمة وابن وحكمة

وان كان اريوس يحسب كقيم هذه الهرطقة الا انه لم يكن مبتدعها على
الاصح بل القائم بنشرها وامتدادها ويقال انه أشرب هذه التعاليم من لوسياس
الانطاكي . غير أن الذين أخذ عنهم اريوس معتقده لم يكن لهم تأثير كما كان
لاريوس الذي تمكن من نشر بدعته وجعل كثيرين يعتنقونها ولعل سبب ذلك
هو رد الفعل الناتج من شدة تمسك المؤمنين حينئذ بالامور الروحية واحتفاظهم
على معانيها وقوتها احتفاظاً لم يدعهم يسقطون في أزمنة الاضطهادات المرة

وكان اريوس في اول امره يبث تعاليمه خفية ولكنه لما أذاع ضلاله جهاراً
حرم لاجله مراراً وتكراراً وبسببه انعقد مجمع نيقية فحكم بهرطقته ونفاه الى
البر يكون هو ومن شايعه بعد أن قرر القانون الاتي « ان الجامعة المقدسة
والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه
وانه لم يوجد قبل ان يولد وانه وجد من لا شيء او من يقول ان الابن وجد
من مادة او جوهر غير جوهر الله الاب وكل من يؤمن انه خلق او من يقول
انه قابل للتغيير ويعتريه ظل دوران » اه

غير انه فيما بعد تمكن اريوس من الرجوع من منفاه بواسطة اخت قسطنطين

الكبير وحاول الرجوع الى مركزه بالاسكندرية ولكن البابا اثناسيوس الرسولي طرده منها فاجتهد اتباع اوساييوس النيكوميدي نصيره ان يجعلوه يحوز القبول في شركة كنيسة القسطنطينية فاستقدموه اليها واستدعاه الملك ليطلع على ايمانه وكان اتباع اوساييوس قد قرروا للملك بانه متمسك بالرأى القويم فقدم له صورة ايمانه خطأ واقدم له بانه لم يتمسك ولن يتمسك بايمان سواه. وعنى بهذا الايمان ما كان مكتوباً في ورقة مخبأة معه فأوهم ظاهر كلامه انه متمسك بالايمان القويم فانخدع الملك بهذا القسم وامر ان يقبل في شركة الكنيسة ويعرف عند اسكندر بطريرك القسطنطينية كراع. فرفض هذا البطريرك قبوله وجعل يبذل جهده في كشف الحقيقة وان اعترف اريوس بالايمان القويم انما هو مخاتلة. غير ان الملك بقي مصراً على رأيه وعين يوماً لقبوله

فاما اسكندر وكان قد بلغ سن الشيخوخة فمضى الى الكنيسة موعباً حزناً وجعل يذرف الدموع السخينة طالباً الى الله ان يصرف عن كنيسته هذا الخطب الذي الم بها. وفي ذلك النهار عند العصر اذ كان اتباع اريوس وانصاره يطوفون به في ازقة المدينة باحتفال عظيم حتى انتهوا به الى ساحة المدينة اعتراه رعب واقشعرار فأحس كأن احشائه قد تمزقت فسقط فجأة ميتاً. وقيل انه فيما كان في وسط ذلك الاحتفال يروم دخول الكنيسة منتصراً فلم يكذب يدنو منها حتى شعر بنفسه مضطراً الى قضاء امر طبيعى فانفرد بذلك في مكان خفي. ولما ابطأ في الرجوع ذهبوا اليه فالتفوه ميتاً مطروحاً على وجهه ملطخاً بدمائه وامعاؤه مندلقة الى الارض بين الاقدار

اما تعاليمه فلم تمت بموته بل انتشرت بعد موته اكثر مما انتشرت في حياته وامتدت الى امد بعيد وازداد اتباعه كثيراً حتى تمكنوا من محاربة الارثوذكسين وبعد ذلك وقع الانشقاق بين الارثوذكسين فانقسموا الى عدة شيع وهكذا بقيت التعاليم الارثوسية ممتدة في اسبانيا والولايات الجرمانية اكثر من ٣٠٠ سنة واما بريطانيا فلم تمتد فيها سطوتها الا عند انعقاد المجمع الانطاكي سنة ٣٦٣ م وفي ايام ثيودوريوس الثاني صدر امر باستئصال الارثوسية وبلادتها بموجب قانون تقرر في السلطنة الرومانية وذلك سنة ٤٢٨ م ومن ذلك

المهد الى الآن لم تعرف فرقة بالحقيقة اريوسية حسب تعاليم اريوس . لكن يقال ان سرفتس احيائها في حدود القرن السادس عشر وايد هذا القول اراسمس فذاعت تعاليمها وازعجت الكنيسة كما يظهر من حكم كنيسة انكلترا الصادر بهذا الشأن وماآله ان الاربوسيين الذين وجدوا غير قابلين الاصلاح ينفون الى بعض القلاع في شمالي والس او والنجفور لكي يعيشوا هناك من تعب ايديهم ولا يسمح لاحد ان يخالطهم الا خفرتهم ولا ان يخرجوا من هناك حتى يتحقق صدق قدسيتهم ورجوعهم عن غيبيهم الى الايمان القويم

ولا يفوتنا أن نذكر هنا ان كيرلس مقار بطريرك الاقباط الكاثوليك ذكر في كتابه « الوضع الالهى في تأسيس الكنيسة » ان الكنائس الغربية جمعت الايمان ثلاث مرات معتنقة مذهب اريوس قال: « على ان الكنائس الغربية لم تجحد الايمان مرة واحدة بل ثلاث مرات : الاولى سنة ٣٥١ م وذلك في مجمع اريس حيث كان فنسنتوس اسقف كابو نائباً عن البابا ليباريوس . فان هذا الاسقف ومعه جميع الاساقفة الغربيين قد نزلوا على ارادة الامبراطور قسطانس وحكموا على القديس اثناسيوس بالاجرام وقرروا ارتوذكسية الاساقفة الاربوسيين . والثانية سنة ٣٥٥ م وذلك في مجمع ميلانو حيث صدق ٣٠٠ اسقف غربي على خلع القديس اثناسيوس وقبول الاربوسيين في شركة الكنيسة ولم يفضل العذاب وآلام النفي على جحود الايمان ودوس العدل من هذا العدد الكثير الا ثلاثة اساقفة هم اوسابيوس اسقف فرسايل وديونيسيوس اسقف ميلانو ولوسيفورس اسقف كاجليارى . والثالثة سنة ٣٥٩ م وذلك في مجمع ريميني الشهير حيث اجتمع ٤٠٠ اسقف غربي . ثمانون منهم من الاربوسيين والباقيون من الارثوذكسيين وقد آل الامر بهم الا ١٨ منهم الى جحد دستور الايمان النيقاوى والتوقيع على خلع اثناسيوس والاعتراف بارثوذكسية الاربوسيين

أضف الى هذا الاتحاد الذى ارتكبه مجموع الاسقفية الغربية الحاد البابا ليباريوس نفسه بصفته أسقف الكنيسة الرسولية الوحيدة في الغرب كله فان ليباريوس هذا بعد ان سئم من آلام النفي مدة سنتين وتاقت نفسه الى ان يعود الى التربع على كرسي روميه الكبير . . . جحد ايمان نيقية وقطع القديس اثناسيوس

من شركة الكنيسة واعتنق الاربوسيه (١)

(٥) مكرونيوس عمرو الروح الفرسى . كان اولاً من حزب الاربوسيين

وتمكن هؤلاء بواسطة نفوذهم عند قسطنس قيصر من ان يرسموه بطريركاً
لكرسي القسطنطينية سنة ٣٤٣م فدخل المدينة مخفوقاً بالجناد وثار شعب بين المؤمنين
والاربوسيين قتل فيه كثيرون . وكان مكرونيوس يضطهد اتباع بولس البطريرك
الشرعى المعزول حتى قيل انه ارسل فخنته

وفيا بعد تغير قسطنس عليه لانه نقل جثة ابيه قسطنطين من مدفن الى آخر
فأمر بطرده من كرسيه فطرد منه سنة ٣٦٠ م . على انه لما كان بطريركاً لم يكن
يعلم الا تعليم اربوس الا انه لما عزل اراد ان يكون مبتدعاً بدعة جديدة .
وكان المبتدعون الذين سبقوه قد انكروا لاهوت الآب و لاهوت الابن فاراد هوان
ينكر لاهوت الروح القدس فادعى ان الروح القدس عمل الهى منتشر في الكون
وليس باقنوم متميز عن الآب والابن واعتبره انه مخلوق يشبه الملائكة لكنه
ذو رتبة اسمى منهم

ثم أخذ يبث ضلاله في كثيرين وكان قد نفي الى مكان يدعى بيلي فشاخ هناك
وعاجلته نعمة الله الا أن بدعته استمرت بعد موته وكان اخص القاعين بنشرها
تلميذه مارانتينو اسقف نيكوميديا وامتدت بدعته في اديرة كثيرة للرهبان
وانتشرت في تراسه وبيثينييه وكان العامة يدعون اتباع مكرونيوس « اعداء الروح
القدس »

ولما رجع البابا اثناسيوس من منفاه الى كرسيه سنة ٣٦٢ م عقد مجماً
بالاسكندرية شجب فيه هذه البدعة وتبعه بعض الاساقفة فشجبوها . ولما وصل
خبرها الى مسامع ثيودوسيوس قيصر أمر بانعقاد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م
التأم فيه ١٥٠ اسقفاً شرقياً فحكوا على مكرونيوس وقضى المجمع بسلطانه على
تلك البدعة الحديثة الغير البالغة

(٦) مرقس المصري ، اصله من مدينة منفيس (بالجيزة) ذهب الى اسبانيا وتعلم له اولاً امرأة اسمها اغايا ثم جذبت تلك المرأة احد معلمى الفصاحة اسمه البيديوس وهذان الاثنان علما بريشيليانوس الذى سميت البدعة باسمه فيما بعد . اما تعليمهم فكان فى اعتمقه نفس تعليم المانيين ممزجاً ايضاً باضاليل اخزى فكانوا يقولون ان النفوس من جوهر الله وانها تنحدر باختيارها الى الارض جايزة فى السموات السبع بواسطة درجات لقوات للمحاربة ضد الملك الشرير الذى كان يضعها فى اجساد لحمية مختلفة ويزعمون بغير ذلك من الاضاليل التى لا طائل تحتها

(٧) سيمع المصلين . وقد انتشرت فى سوريا ومصر بدعة مؤداها ان فى عقل كل انسان روحاً شريراً لا يمكن ان يفارقه الا بالصلوات المستمرة والترنم المستديم . ومتى هرب الروح هروبا نهائياً تعود النفس الى الله خالية من كل دنس لانها ذرة منه

(٨) خراف فى مقام السيرة العذراء . وقد نشأ فى هذا القرن مذهب اعداء مريم الذين يقولون انها لم تلبث عذراء بل ولدت بعد ميلاد يسوع المسيح اولاداً من القديس يوسف . ويقال انه فى ذلك الزمان بعينه انتشر تعليم آخر يضاد التعليم المذكور وهو ان فى البتول القديسة شيئاً من اللاهوت وقد دعي اصحاب هذا التعليم كوليريديس لانهم كانوا يعبدون العذراء بتقديم بعض اقراص من طحين تسمى باليونانية كوليريديس ومنها اسمهم . وكان اكثر النساء متمسكات بهذا الاعتقاد وكن فى بعض الايام يزين عجلة مع كرسي مربع موشح باقمشة من كتان ويقدمن للبتول خبزاً ثم تأخذ كل منهن جزءاً من ذلك الخبز وذلك عبارة عن اقامة قداس . ويظهر انه من هذا المذهب تسرب الى ذهن نبي الاسلام ان المسيح دعا القوم ليتخذوه واهله من دون الله « من قوله فى سورة المائدة

(٩) انشقاق ميليتسى . هو أسقف مدينة ليكوبوليس (أسيوط) وقد روى عنه البابا اثناسيوس انه فى اثناء اضطهاد ديوكلتيانوس نجى نفسه بأن

ذبح للاوثان رغماً عن النصيحة التي ارسلها اليه اربعة من الاساقفة كانوا في السجن
ثم ذاقوا كأس الحمام . ولم يكتف بذلك بل انتهز فرصة غياب البطريرك وجلس على
كرسي البطريركية وأخذ يتداخل في شؤونها وصار يرسم قسوساً بل سام اساقفة
لابروشيات أخرى غير ابروشيته حتى بلغ عددهم ثلاثين اسقفاً جاھروا فيما بعد
بمخروجهم على الكرسي الاسكندري واستقلالهم عنه وادخلوا انظمة يهودية
في عبادتهم .

فعمد البابا بطرس آخر الشهداء مجماً حكم فيه بحط ميليتس من درجته وابلفه
الحكم فلم يدعن بل صرح بانشقاقه وظاهره اريوس الهرطوقي . وبعد هذا كله
اعتزل ميليتس في بلده عن كل عمل . وفيما بعد نظر مجمع نيقية في امر انشقاق
ميليتس فقرر بشأنه ما ذكر بالرسالة التي ارسلها للكنيسة المصرية وذكرت في
الكلام على اعمال مجمع نيقية

وقد رضخ ميليتس لحكم هذا المجمع وخضع للبابا الاكسندروس خليفة
البابا بطرس الى ان مات سنة ٣٣٠ م بعد ان انضم للاربيوسيين في حبرية البابا
اثناسيوس الرسولي . وقد خلفه في رئاسة حزبه يوحنا اركاف الذي اشتهر بعدائه
للبابا اثناسيوس . أما حزب ميليتس فقد بقي بعد موت اركاف قائماً في مصر
حتى القرن الخامس وكان يقوده بعض الرهبان الذين ادخلوا على مبادئه شيئاً من
قوانين اليهود والسامريين



القرن الخامس

القسم الأول

تاريخ البطارقة

- (١) كيرلس ١ (٢) ديوسقوروس ١ (٣) تيموثاوس ٢ (٤) بطرس ٣
(٥) اثناسيوس ٢ (٦) يوحنا ١

.....

(١) كيرلس ١ - البطريرك الرابع والمشرقي . وهو ابن اخت البابا ثاوفيلس ولهذا اعتنى بتربيته وتعليمه اعتناء زائداً فأدخله لولا للدراسة اللاهوتية بالاسكندرية فدرس العلوم الفلسفية التي تلزم لكل من يقوم مدافعاً عن الدين المسيحي ضد الطراطة والمبتدعين . وبعد ذلك ارسله الى جبل النظرون الى برية القديس أبي مقار ليتعلم لسيرايبون الحكيم الذي اوصاه البابا ثاوفيلس بان يهذب به علوم الكنيسة فاقام هناك خمس سنين يقرأ الكتب الالهية ولم يكن ينقطع عن المذاكرة حتى في أغلب الليالي . فكان يقف يقرأ وفي يده سيف حديد فاذا نعس ينخسه فيستيقظ . ولبت مواظباً على ذلك حتى برع في فهم الاسفار المقدسة براعة غريبة . ومن ثم استدعاه خاله الى الاسكندرية وبقى معه في قلايته يقرأ بين يديه . ولما راه مستحقاً للرتب السكهنوتية رسمه شماساً وكلفه بالقيام بالوعظ فحاز اعجاب سامعيه وكان موضوع فرح جميع الكهنة والعلماء حتى انهم كانوا اذا تكلم يشتهون ان لا يسكت لحلاوة الفاظه . ثم انعكف على مطالعة اقوال آباء الكنيسة حتى ألم بها الماماً كلياً . ففرح به خاله البابا ثاوفيلس وشكر الرب الذي رزقه ولدأ روحانياً مثل هذا نشأ

بالنعمة والحكمة وكانت له سيرة حسنة . فاشبهه بشهرة عظيمة وحاز صيتاً بعيداً حتى انتخبه الشعب والاكليروس بصوت واحد لتبوء الكرسي المرقسي خلفاً لخاله ثاوفيلس في هاتور سنة ١٤٧ ش حسب جدول ابن العسال و١٢٩ ش حسب تاريخ الانبا ساويرس وسنة ٤١٢ م في عهد ثيودوسيوس قيصر الصغير ولو انه قام وقتئذ حزب آخر طالباً تيموثاوس رئيس الشماسة ليكون بطريركاً الا ان مساعي هذا الحزب لم تنجح فتوطد كيرلس على الكرسي البطريركي حيث قام بجهاده العظيم



« البيا كيرلس الاكبر »

ووقت تولي هذا البطل لكرسي البطريركية كان في مدينة الاسكندرية كثيرون من الهراطقة واليهود الذين عظمت شوكتهم وصار لهم نفوذ عظيم . فاهراطقة تقووا بسبب تظاهرتهم بالعبادة الشاقة حتى صار لهم اسقف خاص يدعى

ثيويمتوس . واليهود جعلت لهم الرشوة مكانة عند الولاية والقضاة .

فبدأ هذا البطريرك جهاده باضطهاد النوفاسيين أتباع نوفاسيانوس الهرطوقي الذين كانوا يابون ان يحلوا الناس من خطاياهم فناصرهم وأوضح لهم سوء معتقدتهم الذي يجعل الله جلت قدرته عديم الرحمة . ولما لم يرعوا عن غيرهم ألزمهم بالخروج من المدينة وطرد اسقفهم وجرده من جميع أملاكه ومقتنياته وأخذ منه ذخائره التي كانت تحت يده . أما اليهود فمع انهم أفرغوا كنانة جهدهم حتى يفسدوا عقول الحكام والولاية بالهدايا ولكنهم لم يفلحوا . وبالنسبة لكراهمهم الشديدة للبابا كيرلس أشاعوا ذات ليلة ان النار اشتعلت في كنيسة القديس اسكندر فالتزم المؤمنون بناء على هذا الخبر أن يبادروا اليها من كل جهة زاحمين الشوارع كباراً وصغاراً مسرعين لاطفاء النار . فانتهز اليهود هذه الفرصة وشرعوا يفتكون بهم ويهدرون دماءهم بقساوة وحشية . ولما اتضحت جليلة الامر صباحاً قامت قيامة المسيحيين وعزموا على الانتقام من اليهود ولما لم يقدر البابا أن يمنعهم تنازل لهم بعد عناء شديد بان يكتفوا بطردهم من المدينة بدون أن يمسوا أحداً بضرر فطردوهم وهدموا كل مجامعهم واستولوا عليها وما فيها . ولما بلغ الامر لاورستا والى المدينة لام البطريرك على ذلك فاخبره انه لولا لجرت دماء اليهود في الشوارع كالانهار . وفي هذا الحين أيضاً جرت حادثة الفيلسوفة هباشا الشهيرة التي غدر بها بعض الطائشين بدون ترو وبدون أن يعلم البابا كيرلس مطلقاً

وهذه الحوادث جرت في بدء رئاسة البابا كيرلس ثم اشتغل بعدها بوضع مقالات وميامر حتى ان اكثر رؤساء الاسكندرية استخدموا نساخاً اينقلوا اليهم ما وضعه هذا البطريرك . وكان قد سمع بان يوليانوس الفيلسوف والملك الكافر وضع عشرة كتب ضد الدين المسيحي وكانت موضوع فخر الشباب الوثنيين فحاول أن يجمعها ويحرقها ولما لم يتمكن من ذلك كتب الى القيصر ثيودوسيوس يستعين به على ذلك فلبى القيصر طلبه وجمع كتب يوليانوس وأبادهها وأرسل يلتمس منه أن يصلي من أجله . ثم أخذ البطريرك في الرد على أقوال يوليانوس وطلق يفتنها جميعها حتى قضى عليها

وكان هذا البابا على رأي خاله ثاوفيلس البطريرك من جهة فم الذهب ولذلك

لم يذكر اسمه في صلوات القديس . وكتب اليه اتيكوس بطريرك القسطنطينية فطلب اليه ان يذكره كحسب عادة الكنيسة نظراً الى البطارقة المؤمنين فلم يرض بذلك . فاتفق يوماً انه رأى في الحلم القديس يوحنا فم الذهب في الكنيسة مع زمرة من الملائكة متساحين وهم يخرجونه خارجاً وبينما هو على هذه الحال اذا بالسيدة العذراء قد حضرت وطلبت الى القديس يوحنا من اجل كيرلس ليبقيه في كرسيه . فتنبه حينئذ البابا كيرلس وعلى الفور أخذ يكرم القديس يوحنا وضم اسمه الى قائمة اسماء القديسين (١) وأمر الرعية كلها باكرامة

وفي ذلك الحين ظهر نسطور بطريرك القسطنطينية المناق وابتدع هرطقة شنيعة مؤداها انكار الوهية السيد المسيح وابتدأ فيها بانكار كون السيدة العذراء والدة الاله قائلاً «اني اعترف موقناً ان كلمة الله هو قبل كل الدهور الا اني انكر على القائل بان مريم والدة الله فذلك عين البطلان لانها كانت امرأة والحال انه من المستحيل ان يولد الله من امرأة ولا انكر أنها ام السيد المسيح الا ان الامومة من حيث الالبسوت» اه وبذلك قسم هذا المبتدع السيد المسيح الى شخصين معتقداً ان الطبيعة الالهية لم تتحد بالانسان الكامل وانما ساعدته في حياته فقط . فامتدت بدعته حتى وصلت الى رهبان مصر وبعض الاكابر يكيين القبيحي السيرة فتأثر بعضهم من براهينه السفطية وأرادوا ان يقاتلوا عن تسمية السيدة العذراء بوالدة الاله . وحالما طرقت هذه الاخبار اذن البابا كيرلس أسرع وكتب في رسالة عيد الفصح يفند هذه البدعة تفصيلاً قوياً وأرسل هذه الرسالة الى الرهبان الذين ماكادوا يطالعونها حتى زال كل ريب منهم . وانتشرت هذه الرسالة في جهات عديدة حتى وصلت الى القسطنطينية وتداولها المصريون فيها وبواسطتها تعزى الشعب القسطنطيني وتمكن في الايمان المستقيم

(١) كانت هذه القائمة عبارة عن لوحات مصنوعة اما من الخشب او العاج او الذهب او الفضة ومحفورة عليها الاسماء التي تذكر في القديس وهي (١) اسم العذراء مريم والرسل وبعض مشاهير القديسين و (٢) اسماء الاشخاص المعروفين الذين مانوا على المبدأ الديني الصحيح و (٣) اسماء بعض الاشخاص الاحياء الذين ترى الكنيسة انهم مستحقون للاكرام والابلال

أما نسطور فلم يرتدع ببراهين هذه الرسالة بل ازداد غياً وأوعز الى أحد كهنته المدعو أفوسيوس ليرد عليه مبرراً فيها رئيسه . وشرع نسطور يذبح عن القديس كيرلس بأنه تابع لابو ايناريوس الهرطوقي وأنه اخترع هذه التهم ضده وحرك رهبان مصر ليشيعوا عنه أمثال تلك الاقوال الباطلة . أما البطريرك الاسكندري فكراع امين أرسل لنسطور رسالة يبرر فيها نفسه مما اشاعه عنه ويوضح له حقيقة الايمان وينصحه بمحبة اخوية ان يعدل عن رأيه ويصلح خطاه وختمها بقوله «وعلى ذلك تأكد اني مستعد لاحتمال كل سوء وعذاب السجن والموت لاجل ايمان يسوع» فازداد نسطور شراً وأضر على ضلاله وكتب الى القديس بتكبر ووقاحة محتقراً اياه ومزدرياً به ومخبراً اياه ان العائلة الملوكية راضية عليه وعلى اعماله

وكان لرؤساء الكرسي الاسكندري نواب في مدينة القسطنطينية للقيام بمصالح البطريركية في البلاط الملوكي . فخاطبهم البابا كيرلس بشأن نسطور لكي يلاحظوا تصرفاته ويحيطوه علماً بها . ولكن حدث ان كهنة نسطور تكلموا مع نواب القديس كيرلس قائلين بان اسقفهم صحيح الايمان وأنه يرغب في السلام فمع كون النواب كانوا يعرفون عن نسطور عكس ذلك فقد كاتبوا رئيسهم بهذا الامر وأرسلوا اليه صورة مفادها أن نسطور مبتدع . فبعد فحص القديس كيرلس لتلك الصورة أرسل اليهم طالباً اخفاءها والسعي لدى نسطور ليوقع على صورة الايمان الصحيح لتكون اساساً لاصلاح

وكان القديس كيرلس قد كتب بنفسه لنسطور عدة رسائل يقنعه فيها بالاقلاع عن غوايته ولكن نسطور احتقر رسائل القديس ولم يقتنع بها وينجاز الى الايمان الرسولي . وابتدأت تتقاطر على القديس كيرلس الرسائل من كل جهة تسأله بأن يوضح لهم حقيقة الايمان ليروا ما ذهب اليه نسطور في الاعتقاد . فكان يجيب كل سائل بما يشفي الغليل برسائل اشهر أمرها وحازت رضا الجميع ولما رأى القديس كيرلس ان القيصر يدافع عن نسطور ويجامى عنه لاعتباره اياه رجلاً فاضلاً عالماً كتب اليه رسالة يوضح له فيها ضلال نسطور وكتب أيضاً رسائل اخرى لبعض افراد العائلة القيصرية شرح فيها سر التجسد . فكتب

رسالتين احدهما للملكة افدوكسيا زوجة القيصر وبولكاريا شقيقتها . والثانية لاركاديا وماريا شقيقتي القيصر مذ كانتا ناذرتين العفة لله مع بولكاريا . مبيناً لها في هاتين الرسالتين حقيقة الايمان والاضرار الناشئة للدين المسيحي من بدعة نسطور ويحرض على العمل لاستئصال شأفة هذه المنازعات

وفي سنة ٤٣٠ م وفد على القسطنطينية من اوربا اسقف من اتباع بيلاجيوس (وهم قوم يجولون في البحار والقفار لا مقر لهم) مع جماعة من رفاقه فكتب نسطور الى كليستينوس اسقف روميه يعلمه بوصول هذه البعثة التي تعتبر تابعة له ويسأله رأيه فيما يجب ان يجريه معهم . وقصد بهذه الحيلة أن يستميل اليه جانب الاسقف الروماني ضد خصمه كيرلس ولذلك ختم رسالته اليه بالشكوى من معاملة كيرلس له وتفهيمة آراءه . ولما لم يرد عليه الاسقف بسرعة كتب اليه نسطور ثانياً في هذا الصدد فجاوبه كليستينوس بانه لم يستعجل في الرد ليمكن من معرفة الموضوع . ولما كان الاسقف الروماني عالماً بتفوق البابا الاسكندري عليه في علم اللاهوت كتب يطلب منه ايضاحاً للمسئلة فكتب اليه القديس كيرلس كتاباً يعلمه فيه بحقيقة نسطور وارسله مع واحد مخصوص اسمه بوسيدونيوس واوصاه بان لا يعطي اسقف روميه الكتاب مالم يتحقق ان نسطور كتب له

فلما وقف اسقف روميه على الحقيقة عقد مجماً حكم فيه على نسطور بانه هرطوقي مبتدع وكان قرار المجمع تهديداً لنسطور لكي يقلع عن ضلاله ولذلك كتب اليه اسقف روميه يقول « ان لم ترفض واضحاً وبنية مستقيمة هذا التعليم المضل ولا تعتقد الاعتقاد الصحيح بسيدنا يسوع المسيح في مدة عشرة أيام فاننا افصلك من شركتي واقطع كل علاقة بك » وارسل هذا القرار الى القديس كيرلس ليعان نسطور به . فأرسل هذا البابا الى بعض اساقفة الشرق يطلب منهم ان يقنعوا نسطور بالرجوع عن آرائه ومنهم اكا كينوس مطران حلب الشيخ الثبالغ من العمر يومئذ مائة سنة . ثم عقد مجماً في الاسكندرية قرئت فيه كل رسائله فارتاح اليها وحكم بصحتها وحرر رسالة لنسطور بين فيها كيف ينبغي ان يؤمن . ثم وضع القديس كيرلس اثني عشر بنداً يشمل كل بند منها على قضية

وحرّم كل من يعمل بخلاف ذلك وكلف نسطور بأن يمضي عليها . وهذه هي
الاثنا عشر بنداً التي أصدرها : —



« البابا كيرلس الاول وهو يخطب »

(١) من لم يعترف ان عمانوئيل هو اله حقيقي ومن اجل هذا ان العذراء
الطاهرة هي والدة الله كونها ولدت جسداً انياً الكلمة المتجسد الذي من الله ليكون
الكلمة صار جسداً فليكن محروماً

(٢) من لم يعترف بان كلمة الله الآب صار واحداً مع الجسد كالأقنوم وان
المسيح واحد فقط مع جسده وهو اله وهو انسان فليكن محروماً

(٣) من فرق من بعد الاتحاد بالمسيح الواحد الى اقنومين وضايقهما في بعضهما
بعضاً بالمصاحبة فقط ام بالعظمة ام بالقدرة ام بالسلطان ولم يحسن ان يوحدتها
بوحداً طبيعية فليكن محروماً

(٤) من ميز تلك الاصوات المذكورة في كتب الانجيليين ام في رسائل الرسل ام نطق بها الآباء القديسون ام قالها المسيح على ذاته وفرزها الى اقنومين ام الى اثنين قائم بذاته ويفهم ان البعض منها هي لائقة لانسان خصوصى وحده فقط كأنه غريب عن كلمة الله وان البعض منها ملائمة لله فهو يخصها لكلمة الآب وحده فقط فليكن محروماً

(٥) من تجاسر وقال ان المسيح الذي يستعمل السلطان الالهي انه انسان ساذج ولم يحسن ان يقول انه اله بالحقيقة وابن واحد بالطبيعة الذي كالاتحاد الاقنومى واشترك معنا في اللحم والدم لكون الكلمة صار جسداً على ما في الكتب فليكن محروماً

(٦) من قال ان كلمة الآب هو اله ام رب المسيح وليس يحسن الاعتراف بان المسيح نفسه هو اله وهو انسان لكون الكلمة صار جسداً على ما في الكتب فليكن محروماً

(٧) من قال ان الله الكلمة كان يفعل في الانسان يسوع وان عزة ابن الله الوحيد اتصت به كأنه آخر غير الكلمة فليكن محروماً

(٨) من تجاسر وقال ينبغي ان يسجد للانسان الذي اصعد الى السماء مع الله وان يمجده معه او يسمى معه الهاً كان واحداً مع آخر وهو يضطر ان يعترف ان زيادة في كل حين ولا يمجده عمانوئيل بسجدة واحدة ويوصل اليه هذا المجد فقط لكون الكلمة صار جسداً فليكن محروماً

(٩) من قال ان ربنا يسوع المسيح الوحيد كان ممجداً من قبل الروح القدس بقدره غريبة منه وانه بنعمة الروح كان يستعمل تلك القدرة والسلطان على خروج الارواح النجسة وبه يتم الآيات اللاهوتية في البشرية ولا يقول ان الروح خاصة له وانه كان يفعل به آيات اللاهوت فليكن محروماً

(١٠) ان الكتاب المقدس يقول ان المسيح صار رسولا وعظيم أحبار ايماننا وانه قرب نفسه لله لاجلنا ولاجل خلاصنا بخوراً طيباً لله الآب فأما من قال ان كلمة الله ليس هو الذي صار رسولا ورئيساً للكهنوت وتجسد وصار انساناً مثلنا بل انه أخذ جسداً خارجاً عنه وهو انسان فقط من امرأة دون الكلمة .

ثم ومن قال أيضاً ان المسيح قرب نفسه لله الآب لاجل نفسه ولم يحسن القول انه قرب نفسه لاجل خلاصنا نحن البشر فقط لانه لم يحتاج الى قربان اذ لم يعرف خطيئته فليكن محروماً

(١١) من لم يعترف بان جسد الرب شاف محيي كونه لكلمة الله الآب ويعكس الحق ويقول انه آخر خارج عنه اجتمع بالتمجيد وكان فيه فقط بحلوله ظاهراً يقول انه محيي على ما قلنا . لكون الله الكلمة كان ساكناً فيه غير متحد به باتحاد اقنومي ولم يحسن كما سبق قولنا انه معطي الحياة كونه صار لكلمة الله خاصة الذي هو قادر ان يحيي الكل فليكن محروماً

(١٢) من لم يعترف بان الله الكلمة نألم في الجسد وصلب في الجسد وذاق الموت وانه بكر الاموات مثلما انه الحياة وهو المحيي كالاله فليكن محروماً - اه

فلما وصلت كتابات القديس كيرلس الى نسطور رفض التوقيع عليها بحجة عدم استقامتها وأخذ يكتب على كل فصل منها فصلاً ضده ختمه بالحرم . وكتب كثيرون من اساقفة نسطور ضدها منهم اندراوس اسقف سميساط وناوذوريتوس اسقف كورش الذي كتب بايعاز يوحنا بطريرك انطاكية وكتب أيضاً في تجسد الكلمة ضد آراء القديس كيرلس وكتب اييا اسقف اداسيس (أورفا) مدافعاً عن نسطور . وهكذا انقسمت الكنيسة الى شطرين فكانت كنائس روميه وأورشليم وآسيا الصغرى تابعة للبابا كيرلس . وكنيسة انطاكية تابعة لنسطور ولما انتشرت رسائل البابا الاسكندري في القسطنطينية اقتنع بها الشعب وأبغضوا نسطور للغاية . ولكن نسطور استعمل نفوذه عند القيصر ضد خصومه غير ان هذا وقف في ذلك الحين على رسالة كتبها اليه القديس كيرلس يطلب فيها عقد مجمع عام ويقول له فيها « ان آباءك كانوا غيورين على مجد الكنيسة فيلزمك ان تأمر بعقد مجمع عام تفحص فيه قضية نسطور الذي يحاول ان يشتم بيعة المسيح ونحن تلقاء ذلك نصلي من أجلك ومن أجل مملكتك »

وكان بعض رهبان القسطنطينية قد جاهروا ضد نسطور فطردهم واضطهد بعضهم اضطهاداً شديداً فانضم الشعب القسطنطيني الى القديس كيرلس في طلب

عقد المجمع وكان لما قرأ القيصر الرسالة الكبروليسية تحرك بقوة الرب ولبى الطلب
وأمر بعقد مجمع مسكوني وأرسلت مكاتيب الدعوى الى الاساقفة ونادى بان
يكون هذا المجمع بمدينة افسس سنة ٤٣١ م وعين لافتتاحه يوم عيد العنصرة
فتقاطر الاساقفة من كل مكان الى هذا المجمع واتى البطريرك الاسكندري
يصحبه خمسون اسقفاً مصرياً في مقدمتهم شنودة الاخميمي وبقطر السوهاجي
الراهبان وحضر يوبيناليوس اسقف اورشليم فاستقبلهم ممنون اسقف افسس
وهو مصري الاصل هو وكثير من الاساقفة القويمى الرأي وضموا اصواتهم
الى صوت اخوانهم المصريين ففاقوا في العدد خصومهم النسطوريين
وجاء نسطور الى افسس ومعه اربعون اسقفاً من التابعين له وتأخر عن الحضور
اساقفة الشرق ويوحنا الانطاكي ونواب اسقف روميه . وبعد ان انتظرهم
المجمع ستة عشر يوماً أرسلوا يمتذرون عن تأخرهم ويعدون انهم بعد خمسة أو
سنة أيام يصلون . ثم فهم المجمع من مطرانين شرقيين نقلاً عن فم يوحنا الانطاكي
بانه لا مانع من انعقاد المجمع قبل مجيئه الى افسس . وكان البابا الاسكندري قد
أخذ تحريراً ملوكياً يأمر بعدم تأجيل العمل . وفوق ذلك فقد دعت اعداء صحبة الى
الاستمجال في فتح المجمع وقبل انعقاده أخذ بعض الاساقفة يترددون على نسطور
وينصحونه بالحسنى لكي يكف عن عناده ويسالم القديس كيرلس فلم يذعن لهم
وقد بدأت جلسات المجمع تحتشد في شهر يونيه من تلك السنة وأرسل الى
نسطور ليحضر فأبى ولما وصل الخبر الى القيصر اعتذر لديه نسطور بانه يخشى
من الذهاب الى المجمع وحده لئلا يقتل لان اعداءه اكثر من انصاره ولما كان
القيصر لم يحضر المجمع ليترك له الحرية التامة ارسل من قبله نائباً يدعى كانديديانوس
نسطوري المذهب وأوصاه القيصر بالمحافظة على النظام فقط دون التداخل في
شؤون الاساقفة . قيل ان هذا النائب اراد قبل انعقاد جلسات المجمع ان يضطهد
الارثوذكسين لكي يخافوا ويحكموا لصالح نسطور فأخذ القديس كيرلس ومن
معه وحبسهم في مكان فيه حنطة فسأل البطريرك اصحابه أي شيء تحت أرجلنا
قالوا له قمح فقال : « الشكر لله المبارك الذي أعطانا الغلبة لانهم جعلونا في بيت
الحياة » غير ان ذلك لم يؤثر على الارثوذكسين بل زادهم ثباتاً في ايمانهم

وكان المجمع مؤلفاً من مائتي أسقف تحت رئاسة البابا الاسكندري (١) وحال انعقاده اعترض نسطور عليه طالباً منه انتظار نواب بقية الكنائس وساعده مندوب القيصري في هذا الطلب . أما الآباء فلم يرجعوا عن عزمهم لمعرفة بسوء نيته . ولما كان رؤساء المجمع يقيمون الصلاة انفراداً عنهم نسطور وأبى حضور المجمع فأقعدوا اليه ثلاثة أساقفة يسألونه أن يحضر معهم للصلاة فلم يمكنهم مندوب القيصري من مقابلته وتكررت له الدعوة ثلاث مرات بواسطة الاساقفة والاندازات وأخيراً كتب نسطور كتاباً موقفاً عليه هو و١٦ مطراناً و٥٠ اسقفياً يقول فيه انه لا يحضر المجمع قبل وصول يوحنا الانطاكي وأساقفته . فلم يبال المجمع بهذه الاعتذارات الباطلة وأخذ في عقد الجلسة الاولى

فتليت رسائل القديس كيرلس وبذوده الاثني عشر ورسالة كليستينوس اسقف روميه الى نسطور وقرار مجمي رومية والاسكندرية فصدق المجمع عليها بأنها ارثوذكسية . وصدق على الاحكام السابقة من بيلاجيوس وكليستينوس المطرطوقيين . وقرر أن لايسن قانون غير دستور الايمان المعروف وأن لا يزيد أحد فيه ولا ينقص منه شيئاً وحرّم كل من يفعل خلاف ذلك

أما حكم المجمع ضد نسطور فهذا نصه : — « حيث ان نسطور السكلي النفاق قد رفض أن يخضع لصوت دعوتنا اياه ولم يقبل الاساقفة الذين أرسلناهم اليه من قبلنا فلم يمكننا أن نتأخر عن أن تفحص تعاليمه الاكثية . ولاننا تحققنا من رسائله وتأليفه ومن أقواله ومناضلته عن آرائه قبل افتتاح هذا المجمع في هذه المدينة مما ثبت عليه بشهادات راهنة بانه قد اعتقد الاعتقاد الاثني فالتزمنا ضرورة بناء على القوانين المقدسة بان نبرز ضده هذا الحكم ليس من دون حزن ودموع فهو تعالى بواسطة هذا المجمع المقدس فليعدمه الدرجة الاسقفية وليكن مفروزاً من أية شركة كهنوتية » اه ثم كتبوا اعلاناً الى نسطور هذه صورته « من المجمع

(١) يدعي الباباويون ان البابا كيرلس كان نائباً عن اسقفهم في المجمع اذ اقامه رئيساً عليه عوضاً عنه والقول - اقطع من اصله اذ لو كان كيرلس نائباً عن اسقف رومية او رئيساً من طرفه كما يدعون ما الحاجة الى ارسال النواب من قبل اسقف رومية ولماذا لم يذكر في امضاءات البابا كيرلس انه نائب عن اسقف رومية جرياً على العادة لو كان ذلك صحيحاً ؟

المقدس للتم في أفسس برحمة الله تعالى وبموجب مراسيم ملكنا الكلي العبادة
والحسن الديانة الى نسطور يهوذا الثاني . اعلم انه لاجل تعاليمك الاثيمة النفاقية
وعصيانك على القوانين قد عزلت وقطعت من هذا السينودس (المجمع) بموجب
قوانين الشرائع الكنسية وحكم عليك بالفرز من كل درجة والعدم من كل
وظيفة والابتعاد عن كل خدمة كنسية » اهـ

ثم ان هذا المجمع في تحديده أعلن بحسب تعليم القديس كيرلس والتعليم
المحفوظ في الكنيسة من عهد الرسل بان سر تجسد ابن الله قائم في اتحاد لاهوته مع
ناسوته في اقنوم الكلمة الازلي بدون انفصال ولا امتزاج . وان مريم العذراء
هي والدة الاله . وكانت الجلسة الاولى قد استغرقت من الصباح الى المساء وقد
مكث الشعب الافسي النهار كله منتظراً حكم المجمع .

وحالما أعلن الحكم ضد نسطور كانوا يصيحون « ليحيي كيرلس عضد الايمان »
و « ليحيي الاساقفة الشرفاء المحامون عن لاهوت سيدنا يسوع المسيح وعن
الامومة الالهية لمريم البتول » ثم ان الشعب أوقدوا شموعاً ورافقوا الآباء الى
منازلهم وكانت النار توقد كالنجوم في الشوارع واستمر الشعب يسبحون الليل كله
غير أن نسطور لم يرجع عن غيه واصر على عناده وقصد ان يشين شأن
البابا كيرلس ويعزله عن كرسيه مستعيناً بمندوب القيصر . فهذا النائب ارسل نسطور
الى الملك مصحوباً بكتابات له لم يخبر فيها باخبار المجمع الحقيقية بل طعن فيه وفي
تصرفاته وكتاباته وملاًها بالاقاويل الكاذبة والتهم الشنيعة ضد القديس كيرلس
وممنون اسقف افسس بانها ظالمان قاسيان

والذي عكر صفو السلام اكثر هو انه بعد خمسة أيام وصل يوحنا الانطاكي
ومعه اثنان وثلاثون اسقفاً . فخالما علم بما قرره المجمع امتلاً غيظاً ونسب كيرلس
الى الاستبداد والفساد واعتبر عمل المجمع عجلة ثم الف بوقاحتته جمعاً لصوصياً
مركباً من اربعين اسقفاً نسطورياً وحكم فيه بحسرة حكماً غيائياً بقطع القديس
كيرلس وممنون اسقف افسس من درجة الكهنوت ورفض الاثني عشر قضية
المختصة بالايمان وبفصل آباء المجمع من الشركة الى ان يتوبوا ويجتمعوا ثانية
ويلغوا ما قرروه ويحرموا بنود كيرلس الاثني عشر . وارسل هذا القرار الى

القيصر وامراته والا كليروس وشعب القسطنطينية والمجاس الاعلى وأضاف عليه
تحرير تتضمن الطعن على البطريرك الاسكندري والمجمع واسباب ابطائه ويطلب
اعادة فحص القضية

وفي ذلك الحين وصل نواب اسقف روميه الى افسس وهما الاسقفان
اركاديوس وبرويا كتوس والقس فيلبس . فاجتمع مجمع القديس كيرلس مرة
ثانية في ١٠ يونية وقرئت فيه اعمال الجلسة الاولى ورسالة اسقف روميه . وفي اليوم
التالي عقدت الجلسة الثالثة فوقع فيها نواب اسقف روميه على اعمال المجمع السابقة
وفي ٢٦ يونيه عقدت جلسة رابعة بناء على طلب القديس كيرلس وممنون اسقف
افسس ضد يوحنا الانطاكي لقطعه اياهما فعقدت في اليوم التالي جلسة خاصة
دعى فيها يوحنا مرة ثالثة بانذار . فاتفق رئيس شمامسته الى المجمع ومعه كتاب
يتضمن اقواله فابى المجمع الا حضوره شخصياً فاجابهم يوحنا ان ينتظروا امر
القيصر . فحكم المجمع حالا بالقطع على يوحنا وعلى ثلاثة وثلاثين اسقفاً معه
وأظهروا براءة القديس كيرلس وممنون اسقف افسس . والمجمع أيضاً جلستان
سادسة وسابعة ففي السادسة اثبت دستور الايمان المؤلف في المجمعين الاول
والثاني . وفي السابعة حررت اسقفية قبرس من الخضوع لبطريركية انطاكية
وسنت ثمانية قوانين لم تزل الى اليوم

اما يوحنا الانطاكي فكتب الى القيصصر ضد مجمع القديس كيرلس ملتصقاً
منه ان يحضر امامه ثلاثة اساقفة من كل حزب الى نيكوميديا . ولما اطلع القيصصر
على كل الاخبار الكاذبة التي وصلت اليه من حزب نسطور دون ان يتطلع على
اخبار المجمع الحقيقي اصدر امراً ملوكياً للقديس كيرلس والمجمع مؤنباً موبخاً
محرضاً على الاتحاد وزيادة الفحص عما يخص الايمان وامر بمعد مجمع جديد يقرر
فيه قرارات جديدة يتفق عليها الجميع .

فالشقيون كتبوا للقيصصر يشكون من سوء معاملة كيرلس لهم أما المجمع
القانوني فخاوبه يعلمه بحسن صنيعة وخوفاً من ان يقع جوابه في ايدي اعداده
وجه نظره الى القديس دلماتيوس وهو رجل كان جندياً في الحرس الامبراطوري
واصبح زاهداً حتى ظل مقبلاً في صومعة ثمان واربعين سنة . فارسل اليه القديس

كيرلس ولشريكه في الرهبنة اوظاخي رسالته للقيصر مع رجل امين ضمن قصبة يتوكأ عليها كمكاز حيث امكنه بهذه الطريقة ان يجوز الحراس برأ وبحراً وهو يتظاهر بانه شحاذ حتى اوصل الرسالة الى دلماتيوس الموما اليه . فلما اطلع على الخبر طلب جميع الرهبان الذين في اديرة القسطنطينية وسار هو في مقدمتهم باحتفال مشى فيه جميع سكان هذه المدينة الكبرى وهم يرتلون المزامير بحماس شديد الى ان بلغوا البلاط الامبراطوري حيث واجهوا القيصر ثيودوسيوس واخبروه بالحقائق فاقتنع بها . فخرج دلماتيوس من حضرة الملك ورجع الى كنيسة القديس موكيوس وخطب في الجمهور الارثوذكسي المتحشد فيها مبشراً بان القيصر ادرك الصواب وسمح لنواب مجمع القديس كيرلس ان يطلعوه على صورة اعمالهم . فلما اطلع القيصر عليها ارتاح وطاب خاطره وواعد الارثوذكسين بالتعزيد والمساعدة

الا ان الامور لم تستقر على ذلك لان كونتاً اسمه ايريناوس وقد صار فيما بعد مطراناً على صور غير فكر القيصر وخذعه مرة اخرى فاصبح حائراً لا يدري كيف يفعل ولكن اكا سيوس الشيخ اسقف حلب ابدأ له رأياً هداً روعه وهو ان يعزل القديس كيرلس وممنون ونسطور فابرز القيصر حكماً قضى فيه بذلك وقبض على القديس كيرلس وممنون وسالما الى الكونت يعقوب ليسجنهما اما نسطور فاحتفظ به كانديديانوس الامير

فاغتم آباء المجمع لهذه الالهانة التي حصلت للقديس كيرلس وحرروا رسائل عديدة الى الاكايروس القسطنطيني والى غيرهم محتجين بشدة على التمدي الذي حصل وهؤلاء طلبوا من القيصر ان يفحص عن الحق فسمح بحضور ثمانية اشخاص بالنيابة عن كل حزب لترفع الدعاوى امامه وكان من حزب يوحنا ثاوذوريتوش اسقف كورش وبولس اسقف حمص فقابلهم في خلكيدونية

اما القديس كيرلس فشرع في مدة سجنه ان يؤلف تفسيراً مطولاً لخروماته الاثني عشر . وبعد ان اقتنع القيصر امر بطرد نسطور الى دير القريب من انطاكية وباعادة كيرلس وممنون الى منصبيهما . واقام على كرسي القسطنطينية واحداً من رجال كيرلس اسمه مكسيميانوس . وأمر بنهي المجمع ورجوع الاساقفة

الى مرا كزهم فقام القديس كيرلس من افسس الى الاسكندرية وهناك قابلته رعيته
بابتهاج عظيم وجاء الجمع يهنئونه بانتصاره على عدو المسيح . وعقب وصوله كتب
رسالة مطولة الى القيصر أوضح فيها الحق نافياً عنه كل ما عزي اليه من التهم
ولم يكتف النسطوريون بذلك بل اوقدوا نار الشقاق وعقدوا مجمعين احدهما في
طرسوس والاخر في انطاكية اعادة وافيهما حرم كيرلس وبنوده ورفضوا احكام المجمع
الافسسي واعتبروا اعضائه لصوصاً وكيرلس ذنباً خاطفاً وتمسكوا بمبادئ نسطور .
فاستاء القيصر من تصرفهم هذا و اشار عليه مكسيميانوس بطريرك القسطنطينية
ان يطلب بابا الاسكندرية ويوحنا الانطاكي ويأمرهما بالاتحاد والوفاق . فلم
يرتض القديس كيرلس في مبدأ الامر بصلاح يثلم شيئاً من الآراء القديمة الا انه
أخذ يرسل يوحنا الانطاكي وأرسل اليه كاسينوس وأمونيوس الشمامسين
صحبة اريسطولاوس المعتمد القيصري الى انطاكية برسالة تتضمن قبوله اياه في
شركة الكنيسة ان كان يوقع على الصك المرسل معهم والمتضمن حرم نسطور
ورفض بدعته . فلما وصل هؤلاء الى انطاكية وجدوا البطريرك في جمع عقده
مع اساقفته . فلما عرض عليه الصك قبل التوقيع عليه بعد تغيير بعض كلمات لم
يفهمها وارسله للقديس كيرلس بيد بولس مطران حمص . فلما وصل هذا الى
الاسكندرية سمح له القديس كيرلس ان يلقي خطاباً ففاه بخطاب بليغ سر به
السامعون واظهروا استحسانهم بالتصفيق المتكرر له وكان ذلك سنة ٤٣٣ م .
ثم انه كان قبل هذه الحوادث قد ارسل القديس كيرلس رسالة كانت عنده من
اقوال القديس اثناسيوس الرسولي الي انكيطس اسقف كورنثوس فوقعت
في أيدي الحزب النسطوري فشوهوها ببذعتهم الاثيمة ولما حضر مطران حمص
الى القديس كيرلس اعترض عليه بنجوى تلك الرسالة فأعطاء القديس الصورة
الصحيحة فبعد ما قرأها تحقق صحتها ورجع الى يوحنا الانطاكي وأطلعه عليها
وزاد هذا اقتناعاً شرح كيرلس بنوده الاثني عشر التي كان فيها بعض العبارات
البعيدة للمعنى وهكذا تسالم البطريركان واستلم يوحنا رسالة القديس كيرلس المتضمنة
قبوله في الشركة

غير ان بعض الاساقفة الارثوذكسين لم يعجبهم صلاح القديس كيرلس مع

يوحنا الانطاكي ولاموه على عبارتين وردتا في قرار الصلح وهما اولا قول يوحنا « لانه صار اتحاد الطبيعتين فلذلك نعرف بمسيح واحد وابن واحد ورب واحد وبحسب معنى هذا الاتحاد الخالي من الاختلاط نعرف بان القديسة هي والدة الاله » وثانياً قوله « واما الاقوال الانجيلية والرسولية للمقولة عن الرب فتعلم ان علماء اللاهوت يجعلون بعضها عامة كأنها تفي لأقنوم واحد ويفصلون بعضها لاختلاف الطبيعتين وينسبون تلك الواجبة لله لللاهوت المسيح ويسبون الوضيعة لناسوته » ومن الذين عارضوا القديس كيرلس على قبوله لهذا القرار اكا كيوس اسقف ميليتيني واولوجيوس كاهن القسطنطينة وغيرهم ممن قالوا ان قرار يوحنا هذا دك اركان جمع افسس

كما ان اساقفة الشرق لم يوافقوا على هذا الاتفاق ورفضوا الاشتراك مع القديس كيرلس وخرجوا من تحت طاعة يوحنا واستقلوا بانفسهم تابعين مذهب نسطور . ومع ان امم القديس كيرلس صار يتردد على كل فم واصبح مشهوراً بالغيرة الحقيقية على سلامة الايمان الى ان بعض الاساقفة الاشرار نظير اوثاريوس والاديوس ومكسيميانوس كانوا يشيعون عنه بانه هرطوقى تابع لتعاليم ابو ليناريوس المبتدع وقد زوروا رسالة هرطوقية ووضعوا اسمه عليها ونشروا منها نسخاً عديدة في جهات مختلفة كما انهم زوروا عن القديس كليستينوس اسقف رومية على لسان القس فيلبس احد نوابه بانه برر نسطور الى آخر ما هنالك من الاقاويل التي شاعت ووصلت الى مسامع القيصر حتى اضطر القديس كيرلس ان يضع عدة مؤلفات في سر التجسد مبرراً نفسه من كل ما اشيع عنه . وقد ظهرت اخلاقه المسيحية عند ما صفح عن ثاوذوريتوش اسقف كورش دون ان يضطره الى نبي الاعتراف بالاهانات التي وجهها الى شخص القديس وبذلك اكتسب محبة الجميع

وقضى ما بقي له من الحياة بعد ذلك الجهاد الطويل في خدمة مخلصة بكل امانة وعاش خمساً وستين سنة قضى منها زهاء الثلاثين سنة في رئاسة الكرسي الاسكندري ثم تنيح بسلام في ٣ ايب سنة ١٧٩ ش ٤٤٤ م
 اما مؤلفاته فهي جليلة الشأن وهذه اسماؤها المحفوظة الآن منها . —

(١) تفسير الاسفار الخمسة وسفر اشعيا واسفار الانبياء الصغار وانجيل
يوحنا (٢) كتاب ضد نسطور (٣) وآخر ضد يوليانوس (٤) رسائل
عديدة في الثالوث الاقدس (٥) رسائل عديدة في التجسد (٦) في العبادة الروحية
(٧) مواعظ ورسائل (٨) كتب عديدة شتى . ويطلق على احد الليتورجيات
(القداديس او صلاة القربان) اسم القديس كيرلس وهو القديس الذي وضعه
مار مرقس الرسولي ولكن لما كان القديس كيرلس قد رتبته نسب اليه

(٢) ديوسفوروسى - البطريرك الخامس والعشرون . ارتقى الكرسي

المرقسي في مسرى سنة ١٧٩ ش و ٤٤٤ م في عهد ثيودوسيوس قيصر الصغير
خليفة للقديس كيرلس وكان ضربه في شدة الغيرة على سلامة كنيسة المسيح .
وفي ايام هذا البابا انشطرت الكنائس المسيحية الى شطرين وهما ذوو الطبيعة الواحدة
وذوو الطبيعتين ولناخذ في استدراج تلك الحوادث الخطيرة لكي نقف على
الحقيقة ونذكر سر هذا الانشقاق

انه حال قيام ديوسفوروس على الكرسي الاسكندري لم تكن الكنائس
المسيحية على وفاق تام مع بعضها وعلة ذلك طمع اساقفة رومية الغير المتناهي
ورغبتهم التي لاحد لها في السيادة العامة على الكنيسة المسيحية في كل العالم . ولم
يكن الاسقف الروماني يخشى بطن أحد من رؤساء الكنائس سوى بابا
الاسكندرية . فان القسطنطينية مع كونها كانت عاصمة المملكة الجديدة ولكن
بطاركتها كانوا ضعيفى الشوكة وكثيراً ما تداخل بطاركة الاسكندرية واساقفة
رومية في شئونها بينما الاسكندرية مع كل الجهاد الذي قامت به امام اعداء
الكنيسة وازدياد المقاومات ضدها كل يوم بسبب ذلك فانها لبثت محتفظة بمقام
الرئاسة الفعلية

ولقد سعى اسقف رومية سعياً متواصلاً للاتحاد مع بابا الاسكندرية كما
يظهر ذلك من خطاب ارسله ليو الى ديوسفوروس فى شهر يونيه سنة ٤٤٥ م
يلتمس منه فيه المؤاخاة والعمل على التداخل فى اهم الامور سوية ما دام الاثنان
متساويين فى الرتبة والدرجة الا ان بابا الاسكندرية ضرب بخطابه عرض الحائط

وهذا به لما يعلمه من غاياته الدينية

ولم يكن اسقف رومية وحده هو الذي يحسد رؤساء الكرسي المرقسي لكن اساقفة الشرق بأسرهم كانوا يغارون منهم لتمويل القياصرة على آرائهم في المسائل الكنسية وذلك لما احرزوه من الصيت الجليل في العالم المسيحي اجمع بسبب مقاومتهم للهراطقة وانتصارهم على اعداء الديانة نظير اريوس ونسطور حتى اعتبر رأى رؤساء الكنيسة الاسكندرية هو رأى المملكة ذاتها . لهذا السبب كان اسقف رومية واساقفة الشرق يتحذرون الفرص المناسبة لاذلال شأن الكرسي المرقسي فقاد لهم الحظ ظهور بدعة جديدة في ضواحي القسطنطينية

وذلك انه كان في ايام البابا ديوسقوروس اشمندريت رئيس دير في القسطنطينية اسمه اوطاخى عدو ألد لنسطور لم يكتف بما حدده المجمع الثالث المسكونى ضد تعليمه بل تطرف في تعبيره عن سر التجسد الى ان قال بوحدة طبيعة المسيح وان جسده مع كونه جسد اله ليس مساوياً لجسدنا في الجوهر لأن الطبيعة البشرية على زعمه قد ابتلعت واندثرت في الطبيعة الالهية

فثاوذوريتوش اسقف كورش الذى اشتهر باعتناقه لمذهب نسطور وتطوعه للدفاع عنه اخذ يكتب ضد اوطاخى ويشهر بتعليمه حتى بلغ الامر البابا ديوسقوروس فظن ان النسطوريين الذين كسر شوكتهم سلفه القديس كيرلس يتحفزون للقيام بخوفاً من ان يضيع مجهودات سالفه ولما هو معروف عن فساد مبدأ ثاوذوريتوش وتعريضه برسائل القديس كيرلس كتبه ضده للقيصر ثاودوسيوس الثاني مظهراً الخوف من ان الكنيسة الانطاكية اوشكت ان تكون كلها نسطورية . ولشدة ثقة القياصرة بغيرة آباء الكنيسة القبطية على سلامة الايمان اصدر ثاودوسيوس قيصر أمراً ضد الانطاكيين وحظر على ثاوذوريتوش الخروج من دائرة ابروشيته

غير ان الانطاكيين وطنوا أنفسهم على الدفاع فأرسل البطريرك دمنوس سفارة الى القيصر لتعرفه بان اوطاخى مبتدع مثل ابوليناريوس ولكنهم لم يفلحوا . فقام اوسابيوس اسقف دوريليوم من اعمال فريجييه احد المتحزبين

لنسطور يجمع أوطاخي . ولما لم يقنعه قصد القسطنطينية سنة ٤٤٨ م وشكاه الى فلابيانوس بطريركها وكان هذا أيضاً نسطورياً فشكل مجعاً اقليمياً مركباً من ٢٩ اسقفاً و٢٣ ارشمندريتا ودعي أوطاخي الى هذا المجمع فامتنع في مبدأ الامر خوفاً من غدر المجمع به ولكنه حضر في الجلسة السابعة بصحبة صديقه خريساقيوس من موظفي البلاط القيصر فسأل أوساقيوس أوطاخي « هل يعترف بان المسيح مساو للآب في جوهر اللاهوت ومساو لأمه في جوهر الناسوت ؟ فاجاب بانه يعترف بان للمسيح من طبيعتين قبل الاتحاد وانه بعد الاتحاد طبيعة واحدة . فحكم على أوطاخي بانه مبتدع وجرده المجمع من رتبته الكهنوتية ثم أيد مذهب نسطور بانه ذو طبيعتين من بعد الاتحاد

ولئن كان أوطاخي في مبدأ أمره قصد بعقيدته ازالة بدعة نسطور غير أن تطرفه في المدافعة نظمه في سلك الهرطقة الا انه بعد صدور الحكم عليه أخذ يرفع صوته قائلاً انه مظلوم وكان اسقف رومية مقصداً لكل مبتدع اذ كان يسره ليحس بانه رئيس الكنيسة العام ان يرفع رؤساء الكهنة دطاويهم اليه . ولما كان مستقيماً الرأي يطرحون مشا كلهم أمام أبصار باباوات الاسكندرية لم يكن يطلب مساعدة اسقف رومية الا المبتدعين الذين كانوا يشتكون اليه ويعلقونه فكان ينتصر لهم رغماً عن ضلالهم . فلهذا لما رأى أوطاخي نفسه قد شجب ورفع اليه أمره فرد عليه لاون اسقف رومية برسالة معزية سنة ٤٤٠ م يشججه فيها ويدعوه ابنه في الايمان الكاثوليكي لانه تحقق صدق عقيدته !!

ثم ذهب اوطاخي صحبة صديقه خريساقيوس موظف البلاط القيصري المذكور ورفع دعواه أمام القيصر وتظاهر بانه محكوم عليه جوراً الى ان رضي القيصر بعقد مجمع مسكوني في مدينة افسس (١) وأرسل القيصر الى ديوسقوروس

(١) ان وقائع هذا المجمع والجمع الذي عقد بعده بخلكيدون مأخوذة اصلاً عن كتاب « اعمال مجمع خلكيدون » وهو تاريخ طبع بالامرية في رومية سنة ١٦٩٤ م بأمر الكنيسة الرومانية لهداية مخالفيها والسكنها لما رأيت ان به حقائق كثيرة تتنافى مع رأيها ندمت على طبعه ونشره وحرقت ما تمكنت من جمعه وقد اخذنا نحن صورة هذه الحوادث عما كتبه المرحوم الايفومانوس فيلوتانوس بكتاب « تاريخ الانشقاق » ج ١ وعما نقل عن كتاب اعمال مجمع خلكيدون بكتاب « الخريده النقيسه في تاريخ الكنيسة » ج ١

البابا الاسكندري ثلاثة مكاتيب الاول يطلب فيه منه ان يحضر معه عشرة مطارنة وعشرة أساقفة ويبادر الى افسس ويمنع قبول ثاوذوريتوس . والثاني يأمر فيه بقبول الاشمندريت برسوم بين آباء المجمع بصفته قائم مقام جميع الارشيمندريتين الشرقيين . والثالث يمنع حضور ثاوذوريتوس ثم يقول له « واننا نظن ان بعضاً من اتباع نسطور يجتهدون وقصد هم ان المذكور يحضر في المجمع المقدس . فلاجل ذلك قد تحسن برأينا أن نرسل لحضرتكم هذه الرسالة وبها نعرف قدسك وقدس المجمع اننا مقتدون بقوانين الآباء الاطهار ونوهب لقدسك سلطاناً ونجعلك متقدماً ليس فقط فيما يخص ثاوذوريتوس بل وبما يخص كل المجمع المقدس الخ » اه

فاما شعر فلايانوس بطريك القسطنطينة بانه سيقع تحت الحرم نظير باقي النسطوريين التجأ الى اسقف رومية ملجأً الهراطقة وكتب اليه يستعين به (١) وكان قد وصل حينئذ للاون أسقف رومية اعلان من القيصر ثيودوسيوس يقول فيه « أنه عهد بفض المشا كل الى مجمع يلتئم في مدينة افسس تحت رئاسة البطريرك الاسكندري » فغالما وقع بصره على هذا الخبر طار شعاع الشر من

(١) كتب الآب ملاقيوس الارثوذكسي يستجير عندها قاومه لغير سبب داماسوس اسقف رومية . فاستاء القديس باسيليوس الكبير من استخفاف داماسوس بقوانين الكنيسة واستجار بالببا باثناسيوس الرسولي وبهت يقول له « ان نشر الوية السلام فوق ربوع كنيسة انطاكية منوط بك وحدك . لان ما اصاب هذه الكنيسة يفتقر الى شفقتك الانجيليه وحكمتك الرسولية . ان كنيسة انطاكية ايها القديس لم تمزقها ايدي الهراطقة بل ايدي اولئك الذين يدعون انهم ارثوذكسيون (يريدوا اقامة روميه) وهم شر من الاريبوسيين (راجع رسالته ال ٦٦) ثم اتعبها برسالتين أشد منها لهجة قال فيهما « ان الهراطقة يحتمون بالاساقفة الرومانيين الذين يفرسون بذور الشقاق اينما حلوا » (رسالة ٦٩ و ٨٠)

ثم كتب القديس باسيليوس لاوسايبوس اسقف ساموساط الذي كان موفداً لروميه لغرض ذلك النزاع يقول « لقد علمت بما جرى بينك وبين الرومانيين . وكنت اود لو لم يكن عندي به علم لان ذلك الانسان (داماسوس اسقف روميه) متكبر متعطرس ومن طبيعة اولئك المنتظرسين ان يتفخوا كلاً لاطفتهم . على اننا لا نتظر غير رضى الله بنا فان ادركنا فحسبنا ذلك والا فاني تمضيد يمكن ان نتظره من الفريين الغلاظ الاكباد الذين لا يرفون الحقائق ولا يحتملون ان يتاموها . اي تمضيد يمكن ان نتظره من اولئك الذين فضلا عن تشيع ادعتهم بالآراء الفاسده يحاربون من يذكر لهم الحقيقه فيفرسون الهراطقه بايديهم » (رسالة ٢٣٦) اه فليقرأ الببا باويون لعلمهم يعتبرون

عينيه واحتدمت نار الغيرة والغيظ في قلبه وكثر عن ناب العداء والخصام نحو ديوسقوروس ونسى « محسوبة » اوطاخى الذى وعده بالمساعدة. ولما لم يحصل على أمنيته بالسيادة يوماً ما ويدعى ولو مرة واحدة ليرأس ولو جمعاً واحداً امتنع عن الحضور الى أفسس وأرسل نواباً الى المجمع كما هى عادته فى اظهار الابهة الفارغة وهم الاسقف يوليوس والقسرينادوس والشماس ايلاريوس وكاتب ليكتب الوقائع التى تصير يدعى دولشيسوس . وأعطاهم مكتوباً الى الملك ورسالة أخرى الى فلافيان وهى المعروفة « بالطومس » او « بطومس لاون » (١) شرح فيها رأيه فى هذا المعضل وكان على أتم الموافقة لمعتقد نسطور . وهذه الرسالة التى أرسلها لفلايانوس فقط كان يجب أن يرسلها رأساً الى المجمع ولكنه استبد برأيه مصمماً على اعتبار المجمع غير قانونى حتى قبل أن تعقد جلساته ويظهر تقريره . ومن هنا يتضح أنه كان عازماً على مقاومته ولو قرر كل صواب مادامت الرئاسة انتزعت منه واعطيت لخصمه ديوسقوروس واذا وصل نواب هذا الاسقف تلقاهم فلافيان بمزيد الاحترام واستضافهم عنده بكرم زائد ولما تكامل عدد اعضاء المجمع اجتمع فى كنيسة السيدة العذراء ١٣٠ اسقفاً وأرسل القيصر اثنين من قبله نائبين عنه وهما البيذبيوس واولاجيوس وامرهما بان الذين كانوا قضاة فى امر اوطاخى يحضرون بدون ان يفوهوا بكلمة وان لا يحضر المجمع تاوذوريتوس البتة ولا احد من زملائه ومما قاله لهما فى الرسالة التى زودها بها « تصرفا فى الامور بأحسن نظام . واحضرا فى مجلس الشرع واعلمانا الامر كله » اهـ

وترأس المجمع ديوسقوروس بابا الاسكندرية بأمر القيصر ثم جلس بمده نواب اسقف رومية ثم يوبيناليوس اسقف اورشليم فدمنوس اسقف انطاكية ففلايانوس اسقف القسطنطينية فاسطفانوس الافسى فاسقف قيصرية . ولما افتتحت الجلسة الأولى تليت تحارير الملك واثبت قبول نيابة نواب رومية . ثم قرئ الامر بقبول برسوم . ثم طلب رئيس المجمع (ديوسقوروس) من نواب القيصر ما عندهم فى ذلك فقرئت رسائل القيصر الى نوابه والمجمع بخصوص اجراءات افلايانوس

ثم شرعوا في موضوع الايمان فقال نائب اسقف رومية ان قدس اسقفهم لاون ارسل معهم رسالة فامر الرئيس بقبولها . ولما قدمت الى القس يوحنا سكرتير المجمع ليتهاها رأى نفسه مضطراً الى قراءة رسائل اخرى من القيصر الى رئيس المجمع قبل رسالة اسقف رومية . فتليت رسائل القيصر وبعد ذلك قال الرئيس « يظهر لنا ان القيصر أمر بعقد هذا المجمع بسبب المشاغبة التي جرت في القسطنطينية ولذلك يلزمنا ان نبحث اولاً في هذه المسألة وبعد ذلك نقارنها باعمال آبائنا القديسين التي فرضوها في المجمع المقدسة » فوافق المجمع على رأيه .

حينئذ قال اسقف اورشليم ينبغي ان يحضر اوطاخي بنفسه للمجمع ويدافع عن نفسه . فجاء اوطاخي وقدم اعترافاً مثل اعتراف المجمع الثالث بدون ان يذكر شيئاً عن المسألة المختلف عليها فقريء . ثم طلب البيدوس المقدم قراءة بقية الاعمال فقبل الرئيس طلبه وسأل ابا المجمع عن رأيهم فاجابوا بالقبول الا نواب رومية فانهم طلبوا قراءة رسالة اسقفهم الى فلانيناوس قبل قراءة الاعمال . فوقف اوطاخي واشتكى للمجمع ضد هؤلاء الرجال لانهم لما اتوا المدينة اقاموا في بيت فلانيناوس الذي احسن وفادتهم وقدم لهم هدايا جزيلة والتمس من المجمع ان يمنهم عن ابداء رأيهم لئلا يحكموا عليه تبعاً لأهوائهم . فعمل الرئيس برأى الجمهور وقرئت الاعمال فظهر منها ان أعمدة الايمان الاقوياء هم باباوات الاسكندرية الافاضل الذين جاهدوا الجهاد الابطال في الدفاع عن تعاليم المسيح وحفظوها نقية سالمة فعبقت رائحة فضيلتهم في المجمع كالعبير وذكر بالاخص القديس كيرلس على اثر قراءة رسائله التي أقر المجمع عليها جميعها . ثم قال افسطاثيوس مطران بيروت ما فعل كيرلس حين فهمت كتاباته على غير معناها الى ان اورد عنه قوله « لا ينبغي لنا ان نفهم طبيعتين بل طبيعة واحدة متجسدة في الله الكلمة » وهذا القول اثبتته القديس كيرلس بشهادة القديس اثناسيوس الرسولي فاجاب المجمع « ليس من يقول ان المسيح اثنان بعد الاتحاد ولا من يفصل الغير المنفصل »

ولما وصلوا في القراءة الى سؤال اوسابيوس لأوطاخي « هل تعتقد بطبيعتين

في المسيح بعد التجسد « عارض آباء المجمع بجدّة وقام جملة من الاساقفة الحاضرين وصرخوا بأعلى اصواتهم » ارفعوا اوساييوس واحرقوه . ليشق الى اثنين كما حاول ان يقسم المسيح . كل من يقول بطبيعتين محروم » فقال ديوسقوروس « هل تسلمون بان المسيح بعد التجسد صار له طبيعتان ؟ » ذأجاب الآباء بالاجماع « كل من يقول بطبيعتين بعد التجسد فليكن محروماً » فقال ديوسقوروس « لنؤيد هذا الكلام » فقال الآباء بالاجماع « لأنه اعتقاد الآباء »

وبعد ذلك سأل رئيس المجمع الاعضاء عما يرونه في اوطاخى . فاجاب اسقف اورشليم بما انه اعترف بايمان مجمع افسس الاول (المسكوني الثالث) فانا أرى انه ارثوذكسي واحكم بتشبيته في درجة الكهنوتية وفي ديره . فوافق باقي الاعضاء على رأيه بقولهم « يظهر من قول اوطاخى انه ارثوذكسي » فلما رأى الرئيس هذا الاجماع قال « اني قد ثبت انا ايضاً حكم هذا المجمع وحكمت بان يحصى اوطاخى في عدد الكهنة ويتولى ديره كما كان سابقاً »

ثم قدم للمجمع احتجاج من رهبان اوطاخى على حرم فلابيانوس لهم فقال لهم الرئيس « لا يحلكم من حرمكم الا اعترافكم بالايمان الصحيح » فصاح كبيرهم « ان ايماننا هو ايمان مجمعي الآباء في نيقية و افسس . ايمان اثناسيوس وكيرلس وباقي الاساقفة الارثوذكسين » فرأى اسقف اورشليم ان يقبلوا في شركة المؤمنين فرضي المجمع بذلك وبرأهم جميعاً

وبعد فحص قضايا كثيرة نظير هذه قال الرئيس « يجب ان نطبق أعمالنا على اعمال الآباء الذين سبقونا » ثم اتفقوا على ان تقرأ اعمال المجمع الثالث فقرأه ايمان المجمع وحكم في الجلسة السادسة بالتقصاص على الذين يعلمون الضلال وكان اوطاخى قد ادعى بتحريف اعمال مجمع القسطنطينية مستشهداً بنقيب

الوظائف الملوكية فعارض كلامه فلابيانوس . فطلب الرئيس البينة كتابة فقال له فلابيانوس « انك قطعت امامي السبيل لا يراد كل احتجاج وان كان حقاً » فاستشهد البابا ديوسقوروس بالمجمع المقدس على انه لم يمنعه عن شيء وكرر طلب الاحتجاج منه فاستمر فلابيانوس على عناده من الجهة الواحدة لم يتنازل عن قوله بطبيعتين بعد الاتحاد وأيد رأيه غير مكترث بتحديد المجمع الافسي الاول .

ومن الجهة الاخرى لم يؤمن على الحكم الذي اصدره بجل اوطاخى وبالحالة هذه ظهر مضاداً لأولئك الآباء . فتعين لهم حينئذ عزله من الرئاسة وحكم بذلك جميعهم واحد بعد واحد بما فيهم البابا ديوسقوروس رئيس المجمع

ثم نظر في الجلسة الثانية شكايات كثيرة قدمت الى المجمع ضد اساقفة نسطوريين وبناء عليها حكم المجمع بتجريد كل من تاذوريتوس اسقف كورش وتهمة النسطورية وطعنه في حق القديس كيرلس وهيبا واسقف الرها ودمنوس اسقف انطاكية لمدافته عن تعليم نسطور وعين بدله مكسيموس . وايريناوس اسقف صور الذي كان نسطورياً ومزوجاً بامرأتين ورسم عوضاً عنه فوتيوس . ثم عرض المجمع اعماله على القيصر فأمن على تحديدهم وحكمهم وتقرر حرم فلايانوس وستة من اساقفته وكل من لا يقول أن طبيعة واحدة للكلمة المتجسد حسب اعتقاد كيرلس والمجمع المقدس

واننا نضرب صفحاً عن كل ما يدعيه رؤساء كنيسة رومية بان هذا المجمع استعمل القوة في تنفيذ جميع قراراته وتسميتهم اياه « بالمجمع اللصبي » الذي سمي به جمع افسس الاول من النسطوريين وغير ذلك مما لا يستغرب صدوره من قوم أكل حب الذات صدورهم وأفقدتهم عقولهم فجعلهم يهرفون بما لا يعرفون . وقد كان من المنتظر ان يخلق اساقفة رومية مثل هذه اتهم لما يجدون انفسهم خلواً من فضائل يجارون بها باباوات الكرسي المرقسي وكل من يقف على حوادث ميل اساقفة رومية للرئاسة العامة وكيف انهم في سبيل الحصول عليها اراقوا دماء الابرياء لا يندهش اذا سمعهم ينددون بالمجمع الثاني في افسس واننا اني غاية العجب كيف انهم يعتبرون المجمع الثالث المسكوني الافسسي الاول ويؤمنون على أعمال رئيسه القديس كيرلس وفي الوقت نفسه يشجبون المجمع الافسسي الثاني مع ان المعارضين والذين وقعت عليهم الاحكام في كلا المجمعين هم رؤساء الحزب النسطوري الذين حضروا المجمعين وقاوموها فهل غيرت الايام قلب اسقف رومية من نحو النسطوريين ام ان الميل لمقاومة البابا الاسكندري ألزمه بان يتنازل عن للمعتقد القديم رغبة في ان يجد طريقة لمقاومته فاعتنق مذهباً باطلاً ليؤيد مركزه بانصاره ؟ ومن يطالع كتابات الغربيين عن نسطور لا يعسر

عليهم ان يلمس أثر ميلهم اليه واجتهادهم في الاعتذار عنه
ومما يوضح ما نقول هو انه حدث بعد انقضاء مجمع أفسس الثاني ان نواب
اسقف رومية خرجوا منه بالخيبة اذ لم يتمكنوا من نجاة فلاييانوس وحزبه
فتجمهروا معاً عصبة واحدة وانطلقوا الى رومية يشكون لاسقفهم ما أصابهم
من الخذلان وكان اسقف رومية يتوهم ان الرسالة التي ارسلها لفلاييانوس يتخذها
المجمع كقانون للايمان او كوحى الهى فلما خاب رجاؤه من ذلك أضمر سوءاً لجميع
آباء المجمع وعلى رأسهم ديوسقوروس وبلوح لنا ان الشيطان كان يرسم في
مخيلة اسقف رومية صورة سلطته العامة على كل الكنائس وبذلك يفقده صوابه
ويسهل له ارتكاب كل محرم في سبيل الحصول على تلك السيادة الموهومة

فأخذ لاون الاسقف الروماني يعمل جهده في الحط من قوة خصمه وتخفيض
شأنه فلم يدع واسطة لمقاومة البابا الاسكندري ومناجزته الا وطرق بابها فكتب
كتاباً الى ثيودوسيوس قيصر يقول له فيه ان الديانة المسيحية تكاد تضيع
مالم يبلغ حكم ديوسقوروس في مجمع افسس . ثم كتب لبولكاريا شقيقة القيصر
وكتب لكنيسة القسطنطينية يحرضها على نبذ قرارات المجمع . ولما لم تقده كل
هذه الحيل والوسائل رمى نفسه بين يدي فالنتينيان قيصر رومية والتمس منه ان
يطلب من ثيودوسيوس قيصر الشرق ان يسمح باقامة مجمع عام في رومية حيث
يكون تفوذه أقوى من تفوذ خصمه . قال المؤرخون « ان محبة الذات او
خذلانه في نيل الرئاسة المطلقة اضطرراه الى سكب دموع غزيرة كاذبة امام
افدوكيا زوجة قيصر رومية وأمه ابلاكيديا لكي تحملا القيصر على الكتابة
لثيودوسيوس فلم يسع فالنتينيان الى الاجابة لسكثرة الالجاج وكتب لزميله قيصر
الشرق . « غير ان ثيودوسيوس القيصر الارثوذكسي أبى اجابة الطلب لثقته
في البابا ديوسقوروس ورد على قيصر الغرب قائلاً « ان ما جرى يكفى وهو
حسن ولا حاجة الى مجمع آخر » ومما ينبغى الاشارة اليه ان فالنتينيان كان يلقب
لاون في جواباته لثيودوسيوس بالبابا الاعظم الا ان ثيودوسيوس كان يسميه
البطريك المحترم أو رئيس الاساقفة الموقر . وكان تاريخ هذه الخطابات في فاتحة

غير ان الحظ قد عاد وخدم لاون فانه في شهر يوليه من تلك السنة انتقل ثيودوسيوس الى رحمة مولاہ بدون خلف فقامت مكانه بالملك اخته بولكاريا الراهبة ونكثت عهد العفة وتزوجت بقائد جيشها مركيانوس وسلمته ادارة المملكة . فلما تغيرت احوال المملكة استحضر لاون اسقف رومية زعماء الحزب النسطوري ليستعين بهم على ديوسقوروس ومنهم ثاوذوريتوس اسقف كورش وهيبا اسقف الرها وغيرها وبعث بانصار السوء هؤلاء الى مركيان قيصر يلتمسون منه السماح بعقد مجمع تفحص فيه اعمال مجمع افسس

فلما رأى البابا ديوسقوروس ان لاون تمادى في عدوانه وأفرط في المعاكسة شرع في حرمانه وتجريده من وظيفته وذلك لانه سعى في ابطال قرارات مجمع نظامى شرعى فجمع مجمعا قطع فيه لاون من شركته لقبوله اولئك الهرطقة . وهذا المجمع عقد بعد موت ثيودوسيوس قيصر وبذلك ينهدم قول المفترين الذين يدعون بان بابا الاسكندرية كان يعمل ما يعمل معززا بقوة القيصر .

وكان موظفو بلاط قيصر الشرق الجديد بعضهم يتحزب لنسطور والبعض الآخر للارثوذكسين الا ان الحزب الاقوى كان نسطورياً وذلك لان بولكاريا وزوجها مركيان كانا من هذا الحزب . وكانت بولكاريا شديدة الكراهة للبابا ديوسقوروس بالنسبة لما وصل اليه من السلطة والنفوذ . فرأت هذه الفرصة مناسبة لهدمه واتخذت ذريعة لذلك اتهامه بالهرطقة . وكان اول عمل عدائى وجهته لديوسقوروس هو انه كان لهذا البابا نائب في القسطنطينية فارتقى بواسطته الى كرسي البطريركية : فابتدأت بولكاريا مقاومتها لديوسقوروس بان اجبرت نائبه بالقسطنطينية على حرم اوطاخى ونسطور والمصادقة على مبادئ لاون .

ثم كتب مركيانوس زوج بولكاريا الى لاون يقول له فيه « انى مستعد لعقد مجمع تحت رئاستك واذا كان في السفر مشقة عليك فأنا أقوم مقامك لرئاسة المجمع » فرد عليه لاون بانه ينبغي في هذا المجمع البحث عن طريقة يتمكنون بها من الصنح عن الاساقفة الذين سلكوا مسلك ديوسقوروس ووافقوا على رأيه . وكان يؤمل لاون ان يكون مقر المجمع رومية غير ان القيصر لم يكن يرغب ذلك

فأصدر أمراً باقامته في مدينة نيقية مما اساء لاون ومنه عن الحضور فأرسل نواباً عنه ادعى فيما بعد أنهم ترأسوا الجلسات باسمه ولكن الحقيقة ان مركيانوس انتخب تسعة عشر عضواً من كبار المملكة لترأسوا المجمع بالنيابة عنه .

أما الذين حضروا هذا المجمع فمن قائل أنهم ٣٣٠ ومن قائل أنهم ٥٠٠ وقيل ان البابا ديوسقوروس لما حضر مع أساقفته وشاهد ذلك الجمع الغفير هتف نحو القيصر قائلاً « أبها الملك الاعز ما هذا الجمع الذي أراه وما سبب اجتماعه . ان الايمان نفي غاية الكمال والآن لسنا ننتظر قيام هرطقة توجب اجتماعاً مثل هذا فدع الاساقفة ليذهب كل الى مركزه » فأجابه بعضهم « ان القيصر ليس بمتحقق ان كان المسيح طبيعة واحدة أم طبيعتين » فوقف البابا ديوسقوروس وقال « ان اعتقاد البيعة لا ينبغي ان يزداد عليه أو ينقص منه فالمسيح واحد بالطبع والجوهر والفعل والمشيئة كما كرر الالباء » ولما تردد قائل مثل هذا الكلام قال ديوسقوروس « اسألكم فأجيبوني . لما ادعى المسيح الى عرس قانا الجليل ادعى انساناً ام الهاً فأجابوه انساناً . قال لهم ولما جول الخمر كان تحويله باللاهوت ام بالناسوت . او فوض اللاهوت ان يعمل ذلك والناسوت ان يسكت . وان كان حسب رأيكم باللاهوت فليس ذلك بعجب عجيب وامر غريب اذ كان اللاهوت قادراً على كل شيء وانما العجب بالناسوت لاتحاد اللاهوت به . وها أنا اقول ان ذهبي الفم يدعو مريم والدة الله . ولم يقل والدة نصف الله . وكيرلس يدعو المسيح الهاً واحداً بالحقيقة وابناً واحداً بالحقيقة وان اتحاد اللاهوت بالناسوت يماثل الفولاذ اذا عبر الكور واتحد بالنار فيصير طبع النار وطبع الحديد شيئاً واحداً . اما احتجاجكم عن ذلك بايجاب وقوع الآلام على اللاهوت فعنا الدليل الكافي من الشهداء الذين لما كانوا يعاقبون ما كانت تعاقب انفسهم وتتألم والله قبل الآلام بجسده ولاهوته منزّه عن قبول الآلام بالكلية » اهـ

فاقتنع كثيرون بهذا الكلام ثم خطب البابا ديوسقوروس داعياً للملك حتى انزعج المقطوعون والملاونيون واختلوا بالملك ووشوا اليه بحق البابا ديوسقوروس بانه يريد سلب سلطانه وان لاون يرغب بحط ديوسقوروس استقرار الكلمة له وان ترك الحرية لديوسقوروس لا تتم اغراضهم وطلبوا منه الحرية في اعمالهم

ليخرجوا ديوسقوروس من المجمع. فلم يكده عدد المجتمعين يكمل حتى صدر اليهم الامر حال وصولهم الى نيقية بان يرحلوا الى خلكيدون بالقرب من البوسفور وعقد المجمع بها وافتتحت الجلسات في اليوم الثامن من شهر اكتوبر سنة ٤٥١م في كنيسة خلكيدون. ولما عقدت الجلسة الاولى كانت اول طلبات نواب لاون اخراج ديوسقوروس من المجمع. ولما لم يقبل رئيس المجمع ذلك أصر النواب على طلبهم معترضين بلسان اوسابيوس عدو اوطاخي بان ديوسقوروس عقد مجعماً بدون استئذان الكرسي الرسولي (الروماني) و اضافوا بان ديوسقوروس الذي أتى ليدان لا ينبغي له الجلوس معنا لان ذلك يجلب علينا احتقاراً. فازدري نواب الحكومة بكلام هؤلاء الاشرار وقر رأبهم على بقاء ديوسقوروس في المجمع. وأجاب هذا البابا على نهتهم بكل ثبات قائلاً «اني لم أكن في حاجة الى استئذان اسقف روميه في عقد المجمع التي صدر أمر القيصر بتشكيلها» ثم طلب قراءة القرارات التي صدرت في المجمع الاخير مما يخص الايمان فاجابه الرئيس «ينبغي ان تصبر الى قراءة الاعمال»

وكان لاون قد أعاد ثاوذوريتوس الى كرسيه فسمح له بالدخول الى المجمع حينئذ فحدث دخوله ضجة عظيمة سمع فيها صوت اساقفة مصر وايليريا وفلسطين يقولون «ارحمونا يا قوم. قد اضمحل الايمان. اعلموا ان القوانين توجب طرد هذا خارجاً فاطردوه انتم عنا»

فأجاب أساقفة الشرق النسطوريين «لقد ارغمنا ديوسقوروس فوقنا على اوراق بيضاء اطردها اتباع ماني وابوليناريوس مضادي الايمان اطردها ديوسقوروس».

قال المصريون «ان ثاوذوريتوس شتم المسيح ولعن كيرلس فان قبلناه أهنا المسيح ورفضنا كيرلس»

واخذ الفريقان يتحاوران معاً بمثل هذا الكلام وشرع كل حزب في ان يوجه الى الآخر شديد المطاعن حتى اشرف المجمع على ان يكون ميداناً للمحاربة لولا ان مندوبي الحكومة استعملوا نفوذهم في اعادة النظام والسكينة ووقف واحد منهم وخطب في المجمع قائلاً «انه لا يجدر بالاساقفة وائمة الدين ان

يأتوا مثل هذه الاعمال المشينة من صياح وصراخ بل يجب عليهم ان يكونوا قدوة للشعب في الهدوء والسكينة . ونحن نرجوكم ان تستعملوا البرهان بدل البهتان والدليل عوضاً عن القول وأميلوا آذانكم لسمع ما يتلى عليكم »

ثم أخذ السكاتب يتلو قرارات مجمع افسس الثاني وكان اعضاء الحزبين يقاطعونه بضجيج الاستحسان أو الاستهجان . وكان البابا ديوسقوروس في وسط ذلك الهيجان ساكناً هادئاً مستعملاً الحكمة مجرداً سيف البرهان عوضاً عن الثرثرة الفارغة التي كانت سلاح نواب رومية الوحيد وكان مما فاه به في هذا المجمع قوله « قد علمتم ان القيصر لم يجعل لي وحدي الامر بل ليوبينا ليوس وتلاسيوس ايضاً ومنح لهما التدبير فنحن بما حكم به أذعن لنا المجمع بأسره فلماذا ينسبون الي وحدي تدبير هذه الامور حالة كون سلطان الثلاثة متساوياً وقد استصوب المجمع ما حكم به فأقروا بأصواتهم ووضعوا خطوطهم بأيديهم واخبرنا القيصر بذلك وهو ثبت بأمر عال كل ما حكم به المجمع المقدس » اهـ

فأجاب أساقفة الشرق ما معناه « انهم لم يشتركوا في حرم فلايانوس الا تحت تأثير الارذباب والنخاويف » وكان معظم المتكلمين شامسة . فاعترض الاساقفة المصريون على تداخلهم الغير قانوني طالبين اخراج كل من ليس له حق الكلام في المجمع فلم يسمع لهم ولم يجب طلبهم

وبعد ذلك سأل رئيس المجمع المشتكين على ديوسقوروس « من الذي ارغمكم على الامضاء ؟ » أجابوه ديوسقوروس ورهبان اوطاخي الذين عددهم ٣٠٠ راهب فأجابهم أساقفة مصر « لو كنتم مسيحيين حقاً لما ارهبكم التهديد لان الارثوذكسي لا يخاف . هانحن الآن مستعدون للموت دون ان نحيد قيد شعرة عن ايماننا فلو كنتم مؤمنين حقاً لما وقعتم على الاوراق حسب ادعائكم لان المسألة تختص بجلالة الايمان الذي ينبغي للمؤمن الحقيقي ان يسفك آخر نقطة من دمه في سبيل تأييده »

ولما استأنفوا قراءة بقية الاعمال كثر الهياج واللغط فظهر نواب الحكومة الاستياء الشديد مرة أخرى فقال ثاودوريتوس ان كتبة ديوسقوروس هم علة هذا الضجيج . فأجاب البابا بهدوء « لا يوجد معي سوى كاتبين فقط وهما لا

يقويان على احداث مثل هذا السجس «
ثم سئل البابا ديوسقوروس لماذا لم تقرأ رسالة لاون في المجمع فأجاب أمرت
بقراءتها مرتين . فسأوا يوبينا يوس شريكه فقال « أجلبنا قراءتها حتى ننتهي من
قراءة رسائل القيصر وبعد ذلك لم يطلب منا قراءتها »

وبينما كانت تقرأ الاعمال كان اساقفة الشرق يعترضون اعتراضات سقيمة
فتارة ينكرون ما قالوه أو كتبوه حتى قال لهم ديوسقوروس « لقد تجاسرتم عنى
نكران كل شيء فالأفضل ان تقولوا اننا لم نكن حاضرين بالمرّة » وأخرى
يعترضون على البابا الاسكندري بما أمته عليهم أهواؤهم فمن ذلك انهم أخذوا
عليه قوله في مجمع أفسس « اني أخص قوازين الآباء الذين اجتمعوا في نيقية
وفي أفسس » ولما اعترض اوسابيوس على لفظه « أفحص » اجاب البابا ديوسقوروس
« ان الفحص لازم لان مخلصنا قال « فتشوا الكتب » ولكن كان لكم وجه
للاعتراض لو قلت أجدد »

ولما قرىء ايمان اوطاخي قال البابا ديوسقوروس « فان كان اوطاخي يذهب
بخلاف مذهب البيعة فهو لا يستحق العقاب فقط بل النار ايضاً أما أنا فهمم
بالايمان ولست بشأن احد من الناس بل فكري شاخص الى اللاهوت فلا أبالي
بأحد ولا أهتم بأحد سوى بنفسى وبالايمان المستقيم الصحيح »

وبعد ذلك أنكر باسيليوس خطابه المحرر في دفتر الاعمال فقال رئيس المجمع
« اذاً لماذا وقعت على القرار بحرم فلايانوس » فأجاب « اني التزمت ان أطاوع
١٣٠ أسقفياً » فقال له ديوسقوروس « الآن من فمك تبرر ومن فمك تدان لقد
استحيت من الناس وأهنت الايمان خوفاً منهم »

واذ رأى الاساقفة الشرقيون ان قولهم « أجبرنا على التوقيع » يوجب
عليهم شديد اللوم قالوا أخيراً « أخطأنا كلنا ونطلب الغفران » ولاجل ذلك
قبلوا وانتقلوا الى الجهة الاخرى التي كان فيها الاساقفة النسطوريون فقالوا لهم
« مبارك قدومكم » .

ثم سألوا البابا ديوسقوروس لماذا حكم على فلايان بالحرمة والنفي فأجاب
« ان الاسباب التي بني عليها الحكم على فلايان واضحة صريحة هي انه كان

يعتقد بوجود طبيعتين للمسيح بعد التجسد . أما أنا فلي شهادات من أقوال الآباء اثناسيوس وغريغوريوس وكيرلس تؤيد أنهم كانوا يعتقدون بعدم وجود طبيعتين للمسيح بعد التجسد بل ان الكلمة المتجسدة اتخذت طبيعة واحدة فقط . فاذا كان في اعتقادي خطأ فيكون أسله من خطأ هؤلاء الآباء المحترمين الذين أقول أنا بقولهم ولا أنحول عن مبدأهم . وحتى يكون المجمع على ثقة من قولي أخبره اني نقلت أقوالهم هذه بالحرف الواحد واعتذيت كثيراً في ضبطها على الاصل والتحقق من صحتها « اه

وكان نواب لاون يتذمرون من ترك الحرية لديسقوروس ليبيدي أفكاره فأجابهم الرئيس « ان هذا المجمع يقتضي آثار العدل والحق في أعماله فهو يمنح حرية الافكار الصحيحة لجميع الاعضاء على السواء » وبذلك انتهت الجلسة الاولى وعينوا موعداً لانعقاده بعد خمسة أيام

غير ان اساقفة الشرق ومندوبي اسقف روميه رأوا ان السماح لديسقوروس بالكلام في المجمع يؤول الى تبرئته ولهذا استعجلوا فطلبوا عقد المجمع بمد ثلاثة أيام بدل خمسة وجعلوا حضور المجمع غاصراً على اساقفة الشرق وبعض اساقفة الغرب ومنعوا اساقفة مصر ومندوبي الحكومة وديسقوروس بل وضعوا على باب بيته حراساً حتى لا يتمكن من الخروج . ولما حاول الخروج ليحضر المجمع منعه الحراس باسنة رماحهم

وفي تلك الجلسة بل المؤامرة التي تشابه من كل الوجوه مؤامرة كهنة اليهود على المخلص استحضر النسطوريون شهوداً زوراً قدموا عرائض بطعنون بها عرض البابا ديوسقوروس بما طعن به الاربيوسيون البابا اثناسيوس الرسولي قبله ثم وضع المجمع حكمه بتجريدته من رتبته بدون ان يؤتى به ليدافع عن نفسه واعلن بالحكم حالا وأرسل الحكم الى القيصر وزوجته وأساقفة مصر الموجودين بخلكيدون وكل ذلك جرى بغاية الاستعجال الامر الذي جعل مندوبي الحكومة يحتجون ويطلبون سحب الحكم ولكن بدون جدوى . فخري بالمؤرخين اذا ان يطلقوا على هذا المجمع لقب « اللصبي » فالحقيقة تؤيده عاينه وتنفيه عن مجمع افسس الثاني

غير ان مقاومى البابا الاسكندري رأوا فيما بعد ان حكمهم باطل وغير معتبر
 شرعاً لعدم قيامه على أسباب قانونية توجب عزل خصمهم وكاد ان يذهب صرخة
 في واد بالنسبة لمعارضة مندوبي الحكومة له فجددوا النظر في قضية البابا
 ديوسقوروس وطلبوه للحضور ولكنه لما علم ان مندوبي الحكومة انسحبوا من
 المجمع امتنع وقال لمن دعوه « اني قصدت مراراً الذهاب الى المجمع فمنعني الحراس
 الواقفون على باب منزلي » وكان سبب امتناع البابا عن حضور ذلك المجمع عدمه
 بسوء نية اعضائه وشرماعز مواعليه وهذا ما فهمه من أرسلوا اليه ليذعوه الى المجمع
 أما المجمع فأيد الحكم على البابا ديوسقوروس وكان من بين أعضائه من
 لا يريد الحكم عليه ولكنهم اضطروا خوفاً من بطش القيصر . ولما اطلع البابا
 على قرار عقيدتهم وطلب منه توقيع قرأه امام بعض أساقفته فعلقوا عليه حاشية
 من اربعة أركان الورقة المكتوب فيها تفيد حرم هذه العقيدة ومن يتمسك بها
 ولما بلغ صركيان رفض ديوسقوروس التوقيع على قرار المجمع هو وأساقفته
 هم بقتله فأشير عليه باحضاره امامه فأمر به فحضر وأوماً الى ديوسقوروس ان
 يذعن لرأي القيصر ليستمر في مركزه فقال ديوسقوروس « ان القيصر لا يلزمه
 البحث في هذه الامور الدقيقة بل ينبغي له ان يشتغل بأمر مملكته وتديرها
 ويدع الكهنة يبحثون عن الامانة المستقيمة فانهم يعرفون الكتب وخير له ان
 لا يجيل مع الهوى ولا يتبع غير الحق » فقالت بولكاريا زوجة القيصر وكانت
 جالسة بأزائه « يادسقوروس قد كان في زمان أبي انسان قوي الرأي مثلك فحرم
 ونقي من كرسيه (تعني به يوحنا فم الذهب) فقال لها « نعم وقد عامت ما جرى
 لامك وكيف ابتليت بالمرض الذي تعرفينه الى ان مضت الى جسد القديس يوحنا
 واستغفرت فعوفيت » فحنقت بولكاريا من قوله ولكنته فانقلع له ضرسان
 بالنسبة لشيخوخته وتناولته أيدي الرجال فنتفوا أكثر لحيته فأخذ ضرسيه وشعره
 وأرسلها لابنائها في مصر قائلاً لهم « هذا ثمر جهادي »

حينئذ أصدر القيصر أمراً بنفيه الى غاغرا (١) وذهب يقوده الجندي الى منفاه
 وهم يعاملونه بقساوة كلص قاتل وكان مرافقاً له من اكليروسه القديس مكار يوس

اسقف اتكو والقس بطرس والشماس ثاويسطس كاتب سيرته وتوجه الى محل
تفيه فمير بيت المقدس وفلسطين وعرفهم ايمانه فتبعوه وقالوا بقوله وقدم عدة
اساقفة على أمانته . وبعد تفيه حاول اعضاء المجمع ان يجبروا اساقفته على التوقيع
على قرارهم ولكنهم ابوا بته وبما وعدوهم بحمايتهم من المصريين اذاهم وقموا برفضوا
اطاعتهم وهكذا انقض هذا المجمع بعد ان شق كنيسة المسيح

اما خصوم البابا الاسكندري فلما رأوا ان السماء والارض تعلنان ظلمهم له
ادعوا زوراً وهتافاً بانهم حرموه ونفوه لانه شريك اوطاخى وتلك تهمة كاذبة
فالكنيسة القبطية تشجب اوطاخى وتعتبره هرطوقياً والفرق ظاهر بين اعتقادات
اوطاخى واعترافات وأقوال البابا ديوسقوروس التي صرح بها في هرة المجمع
منكراً فيها الامتزاج والاختلاط والاستحالة بكل صراحة ورفض اوطاخى مادام
حائداً عن استقامة الايمان العام . وتبعته في ذلك الكنائس التي تعتبره كالكنيسة
القبطية والسريانية وغيرها . وقد كتب وهو في منفاه رسالة ضد اوطاخى الى
شخص اسمه ابريطن مسجلة ضمن كتاب « اعترافات الآباء » يقول فيها « يجب
علينا ان نقلع ونخرج عن كل من يقول ان الله الكلمة تألم بلاهوته أو مات
واما نحن فما يؤمن هكذا بل ان الله الكلمة صار جسداً بحق وبقي بلا ألم ولا
موت بالجملة بلاهوته . لكن قوماً يظنون ويقولون اننا اذا قلنا ان المسيح تألم
بالجسد لا باللاهوت نوجد في هذا القول موافقين لمجمع خلقيدون ونحن
نجيهم ونقول « اذا كان أهل مجمع خلقيدون يعترفون ان الله الكلمة تألم
بالجسد لا باللاهوت فانا نوافقهم » ثم يختم البابا ديوسقوروس كلامه بطبيعة
واحدة للأقنوم الواحد الذي هو الابن الواحد المتجسد مستشهداً باثناسيوس
كما تقدم وبكيراس » اه

واذا اعترض الغربيون بقبول ديوسقوروس لاوطاخى في مجمع افسس الثاني
فنقول ان ذلك لا يؤخذ دليلاً على اشتراكه معه في الهرطقة وذلك لان اعتراف
اوطاخى كان في ظاهره مستقيماً موافقاً لايمان المجامع السابقة ولم يكن حجاب
هرطوقته مكشوفاً بعد . وعند ما ظهرت حقيقة معتقد اوطاخى رفضه البابا الاسكندري
ورفض القول بتغير وتألم اللاهوت ورفض آراء ابوليناريوس بانكار النفس

الناطقة ورفض التعليم بالاختلاط والامتزاج والاستحالة خلافاً لاوطاخي ولم يكن يقع شيء يؤثر على وحدة الكنيسة لولا سوء تصرف نواب رومية واستمر البابا ديوسقوروس في منفاه حتى توفي في أول توت سنة ١٩٥ ش و٤٥٧ م بعد ان قضى فيه نحو اربع أو خمس سنين يعاني آلاماً شديدة من سكان ذلك المكان القساة بصبر تام كما كان قد سبق واحتمل بكل اناة وسكون تلك الالهات المرة التي اهانته بها انصار مجمع خلكيدون في القسطنطينية وملك بغاية الحكمة والرصانة ولم يرد بكلمة واحدة على اولئك السفلة الذين كانوا يشتمونه ويحتقرونه اثناء مروره بالشوارع

وروى ان البابا ديوسقوروس ومن كان معه من الاساقفة المصريين شرعوا في منقاهم ينشرون نور الانجيل ويبشرون أهل ذلك المكان حتى تمكنوا من ان ينصروا كثيرين منهم وقد أظهر الله دلي أيدهم آيات وعجائب وحدث ان تاجراً مصرياً زار البابا ديوسقوروس في منقاه فتألم لما شاهد ما وصل اليه من الاحتقار فذكره البابا بما أصاب الرب يسوع من الهوان وأعطى التاجر تلميذ البطريرك قطعة ذهبية ذات قيمة لينفق منها على معلمه ووعد ان يرسل غيرها فلما علم البابا ديوسقوروس بذلك قطع النقطعة ووزعها على فقراء المكان ضد رغبة تلميذه . ومما أجراه هناك من المعجزات ان اعسم طلب منه بحرارة ان يسمح له بنقطة دم يسمح بها نفسه فشرط له القديس جزءاً من جسده وأعطاه من دمه ما ادهن به وصلى عليه ففاز بالشفاء الكلي وارتفع شأن البطريرك الاسكندري في عيون أهل منقاه بعد ان كانوا يعاملونه بقساوة وأصبح موضوع احترامهم واكرامهم

وقال الانبا ساويرس المؤرخ « وقد استمر ديوسقوروس بجزيرة غاغرا حتى أخذ اكليل الشهادة من مركيان الملك « اه ولعله يقصد انه مات من شدة ما لاقى من الصعوبات من ذلك الملك . فناحت الكنيسة المصرية على رئيسها واستمرت محافظة على الايمان الذي قضى حياته في الدفاع عنه . ومع ان الحكومة حاولت ان تقيم للمصريين بطريركا خلافاً الا انهم رفضوا مطلقاً الاشتراك مع الهرطقة واشتركت الكنيسة الحبشية مع أمها الكنيسة القبطية في رفض قرارات مجمع

خلع كيدون وابت الاعتراف بسلطة البطارقة الاروام الذين كان القيصر يعينهم على الكرسي

فليقل لنا الباباويون . من كان يعترف بسلطان اسقفهم العام على الكنيسة حينئذ . ولماذا لم يخضع البابا ديوسقوروس له اذا كان يعرفه رئيساً له واذا كان البابا ديوسقوروس عاصياً فكيف نرى شعباً باجمعه يطيعه وهو الرئيس الاصغر ويعاند الرئيس العام عليهم أي اسقف رومية . فلا يستطيع ان يسلم من له قليل من العقل انه لم يكن يوجد في تلك الامة التي كان عددها حينئذ يربو عن العشرة الملايين ولو مليوناً واحداً مستنيراً يعرف ان اسقف رومية هو رئيس الكنيسة الاعظم فيخضع له ويسلم برأيه .

اما الذين ساموا في مصر برأي مجمع خلكيدون فلم يكن بينهم مصري وطني واحد ولكن جميعهم كانوا من الفئة اليونانية القاطنة بمصر وهي الفئة التي كانت تروج بهذه البلاد كل بدعة يبعثها اليها الغرب ولا ريب ان الطائفة الاربوسية التي شغلت الكنيسة المصرية مثلاً كانت بالضرورة يونانية بينما ان الشعب الارثوذكسي الذي كان يسميه اعداؤه بالسابليين أو قيا بعد بالاوطاخيين كان بالضرورة وطنياً وهذه الطائفة الوطنية الارثوذكسية او ان شئت قل المصرية كانت تشمل تلك الهيئة العظيمة نعتي بها هيئة المتعبدين والرهبان وهؤلاء كانوا اقباطاً صميمين كما يتبين جلياً من اسمائهم ومن جهلهم اللغة اليونانية وكانت تشمل ايضاً الجزء الاكبر من مسيحي الاسكندرية . ونفس الهيئة اليونانية بمصر هي التي كدرت سلام كنيستنا بالتسليم برأي المجمع الخلكيدوني وصار الاقباط من تلك الساعة يلقبون اتباع ذلك المجمع بالسنوديين (أي الجمعيين) او الامبراطوريين احتقاراً لهم كما اختصت الكنيسة المصرية نفسها وكنائس سوريا التي على مذهبها بلقب « الارثوذكسية » اي ذوات الرأي المستقيم

ومع ان اسقف رومية تمكن بواسطة مجمع خلكيدون من سحق خصمه العنيد ديوسقوروس الا انه لم يكن راضياً تمام الرضا على ذلك المجمع وذلك لانه لم يتحصل على غايته القصوى التي كان يسعى اليها وهي التصديق من الامبراطورة أو المجمع بأولوية الكرسي الروماني واعطائه الرئاسة على باقي

الكراسى فضلا عن ان المجمع قرر في المادة الثامنة والعشرين تجريد كرسى رومية من هذه الدعاوى الفارغة وبان لاحق له في الاسبقية على الكنائس الشرقية . وقد اغتاز لاون لانه كان يقصد ادخال هذه العبارة في القرار الذى صدر بحرمان ديوسقوروس وهى « نحن نواب بابا رومية رئيس الكنيسة الجامعة نحرم ديوسقوروس بمصادقة المجمع » الا ان المجمع (ويظهر انهم نواب الحكومة في ذلك المجمع) رفض هذه الجملة واكتفى بالثانية وهى (رئيس اساقفة رومية العظمى) ونفس بروتيوريوس الذى عينه المجمع الخلكيدونى بطريركا لمصر بدل ديوسقوروس مع انه صافى لاون وصادقه الا انه لم يتنازل له عن أولوية الكنيسة القبطية في اصدار رسائل عيد الفصح التى كان يكتبها بطاركة مصر على الدوام

(٣) نيموثاوسى ٢ - البطريرك السادس والعشرون . لم يكن أوقع حزناً

في نفس المصريين نظير الخبر الذى انبأهم بان رئيسهم ديوسقوروس قد عزل بدون حق شرعى فأخذ منهم الفيض كل مأخذ واستمروا معتبرين اياه الرئيس الوحيد وبسبب ذلك اشتعلت نيران البغضاء بين المصريين وبين الرومانيين المقيمين في مصر

ولما تقى القيصر البابا ديوسقوروس ارسل مندوباً من قبله بصحبة اربعة اساقفة لانتخاب بطريرك جديد للمصريين فهاج لذلك سخط المصريين عامة وطارضوا شديد المعارضة في اقامة خلف لبطريركهم طالما كان حياً . غير ان القوة تغلبت وأقام الحزب الرومانى شخصاً يدعى بروتيوريوس بصفة بطريرك على الاسكندرية . وكان هذا الرجل موضع ثقة البابا ديوسقوروس حتى عهد اليه بادارة الكنائس اثناء غيابه الا انه لم يراع الامانة وصادق على اعمال مجمع خلكيدون وعلى رسالة لاون علناً لينال عطف منتخبيه الأروام

ولما قضى الأمر برسامة بروتيوريوس قامت قيامة الامة المصرية واشتد هياجها ضد ذلك الخائن المنافق حتى اضطرت الحكومة لأن ترسل جنوداً من قبلها لأخضاع هذا الشعب الثائر . ولكن المصريين قاوموا تلك القوة باستبسال

حتى هزموها فغضب الوالي وعول على الانتقام منهم فقطع جراية الخبز التي كانت تصرف للتكايا والمساطب وقفل الحمامات العمومية ومنع المجتمعات . ثم ارسل يطلب قوة أخرى من الامبراطورة فأمدته بالفي رجل ولكنهم لم يقووا على قمع الثورة حتى اضطر الوالي اخيراً ان يعقد صلحاً شروطه ابطال كل الاوامر السابقة التي اصدرها ضد المصريين مع استمرارهم على عدم اعتبار الرجل الذي عينته الامبراطورة بطريكاً بدون رضاهم . وكانوا قد عقدوا جمعاً عظيماً حرموه فيه لموافقته الخلكيدونيين ولقبوله مركز بطريك لا يزال حياً

اما بروتيريوس الذي كان عارفاً بشدة كراهة الشعب له لم يكن ينتقل من مكان الى آخر الا بحراسة بعض المساكر . ولما رأى هذه القوة طوع أمره أخذ يسطو على الكنائس والأديرة ويسلبها وينهب مالها حتى جمع ثروة وافرة جعلته مطمح انظار اللصوص . فسطوا على منزله في احدى الليالي وقتلوه وسلبوا كل ما وصلت اليه ايديهم . وقيل انه لما شاع الخبر جاء بعض الرطاع وسحبوا جثته وطاقوا بها في شوارع المدينة وبعد ان مثلوا بها أشنع تمثيل حملوها الى الملعب الذي بناه بطليموس وطرحوها للنار المضطربة فالتهمتها

ولا ريب ان ما وقع ببروتيريوس هذا كان عقاباً من الله لما أتاه من الفظائع ومنها قتل القديس مكاروريوس اسقف ادكو كما سيأتي في تاريخ هذا البار

غير ان الاساقفة الارثوذكسيين استمروا بدون بطريك في حياة البابا ديوسقوروس ثم بلغهم خبر نياحته فبكوه بحرقة واستدعوا تيموثاوس ويلقب بايلورس من منفاه الى الاسكندرية وكان متأصلاً أي من القائلين بوحدة المسيح الطبيعية وكان مركبان القيصر المحامي عن مجمع خلكيدون قدمات وتولى عوضاً عنه لاون الثراكي . فانتهز الاساقفة تلك الفرصة وأسرعوا في تنصيب تيموثاوس على كرسي البطريكية في بابه سنة ١٩٥ ش و٤٥٧م في عهد ذلك القيصر وهذا البابا قال عنه يوحنا النيقاوي المؤرخ « انه عاش عيشة صالحة بينما كان راهباً في دير القلمون بمديرية الفيوم الى أن تعين قساً في كنيسة الاسكندرية ثم خلف ديوسقوروس بعد وفاته وهو مثال التقوى والدين »

وكان والي الاسكندرية متغيباً عنها أثناء انتخاب هذا البطريك فسأه اجراء

الانتخاب بدون اذنه وشرع في تقيته من الاسكندرية لولا ما عرفه في الشعب من احترام رؤسائه الارثوذكسيين . أما البابا تيموثاوس فاستمر مجاهداً ضد أنصار المجمع الخلكيدوني الذين هددوا سلامة الكنيسة فحرم جميع الكهنة الذين تبعوا بروثريوس وأصرروا على التمسك بمبادئه وعقد مجعماً حكم فيه بحرم المجمع الخلكيدوني ورسالة لاون وتبراً من كل شركة مع كنائس رومية وانطاكية والقسطنطينية التي كانت في بدء الامر ارثوذكسية ولكنها انحازت فيما بعد للخلكيدونيين بتأثير القيصر وامراته

فرقع أولئك الكهنة المحرومون وعددهم ١٤ من مائة اسقف أو أكثر شكواهم الى القيصر والى بطريرك القسطنطينية . وأرسل أيضاً البابا تيموثاوس وفداً من الاساقفة والقسوس بكتاب الى القيصر وعضد هذا الوفد جماعة قوية الشوكة ظهرت في القسطنطينية لمقاومة المجمع الخلكيدوني وابطال قراراته . ومع ان القيصر كان من أنصار مجمع خلكيدون ولكنه لم يربداً من الامر بطلب جميع رؤساء الديانة في المملكة بأسرها لعقد مجمع عام تفحص فيه أعمال مجمع خلكيدون عما اذا كانت صحيحة أو باطلة . ويقول المؤرخون ان معظم الاساقفة اضطروا أن يراعوا خاطر القيصر ويؤيدوا معتقده فأقروا بصحة قرارات مجمع خلكيدون الاسقفين فقط اشتركوا مع تيموثاوس البابا الاسكندري في اعتبارها باطلة

ومع ذلك لم يجسر القيصر ان يمد يده بسوء الى البطريرك الاسكندري خوفاً من هياج المصريين عليه . وكادت الامور تهدأ لولا ان اسقف رومية استمر في طغيانه وأقنع الامبراطور بضرورة تقي بابا الاسكندرية . فصدر الامر لوالي الاسكندرية بذلك فأسرع هذا بسرور وتقي تيموثاوس وأخاه اناطوليوس الى غاغرا سنة ٤٦٠ م

وبعد تقي هذا البابا انتخب الملكيون (١) رجلا يدعى تيموثاوس كان يلقب

(١) سمي انصار مجمع خلكيدون بالملكيين لانهم كانوا على رأي الملك أو الامبراطور الروماني في الديانة لان جل الملوك الرومانيين بمد هذا التاريخ كانوا من اقوى انصار الخلكيدونيين ومن اشد اعداء الارثوذكسيين . ودعي الارثوذكسيون بالمتأصلين اي الذين لم ينيروا معتقدتهم

« صاحب القلنسوة البيضاء » قيل انه كان ذا صفات حسنة استمال بها قلوب الشعب اليه مع انهم كانوا يعتبرونه دخيلاً ولكنه كان يذكر في القديس اسم البابا ديوسقوروس الامر الذي أساء اسقف رومية والامبراطور وسر منه الارثوذكسيون الذين كانوا يقابلونه بالتحية قائلين « اننا وازلم نقر على انتخابك فاننا نحبك للغاية » وقيل انه لما رجع تيموثاوس الارثوذكسي من النفي الى كرسيه مرة ثانية رجع تيموثاوس الملكى الى ديريه بدون أن يقاوم أقل مقاومة واستمر البابا تيموثاوس الارثوذكسي منفياً مدة سبع سنوات حتى آل الملك الى باسيليكوس الارثوذكسي فالتس منه قويمو الرأي ان يعيد بطريركهم من منفاه فأمر بعودته ورجع البابا تيموثاوس الى مقره وحال وصوله الى الاسكندرية عقد جمعاً سنة ٤٦٨ م بلغ عدد أعضائه ٥٠٠ من الاساقفة حكم فيه ثانية برفض جمع خلـكيدون وأقر على التعليم بوحدة المسيح الطبيعية ورفع قراره الى القيصر فقبل القرار وأصدر منشوراً ضد المجمع الخلكيدوني ورسالة لاوت قبلته كل الكنائس الرسولية وصار مذهب الطبيعة الواحدة الديانة الاولى في المملكة عموماً . واستمر البابا تيموثاوس في جهاده حتى توفي في ٧ مسرى سنة ٢١٨ ش و ٤٧٧ م

(٤) بطرس ٣ - البطريرك السابع والعشرون . ويلقب « ببطرس منغوس »

كان قبل رسامته قساً وربما كان تلميذاً للبابا ديوسقوروس وكان صديقاً لسلفه البابا تيموثاوس أقيم بطريركاً في توت سنة ٢١٩ ش و ٤٧٧ م في عهد زينون قيصر . ولم يكـد يعتلى الكرسي البطريركى حتى عقد جمعاً بالاسكندرية حرم فيه جمع خلـكيدون ورسالة لاون . وكان القيصر الارثوذكسي باسيليكوس قد نزل عن الكرسي ورجع اليه زينون الخلكيدوني وكان هذا مغتاضاً على البابا بطرس لانه عين بطريركاً بدون تصريح منه فاتخذ عقده لهذا المجمع وسيلة لاضطهاده فأمر بنفيه ورجوع تيموثاوس صاحب القلنسوة البيضاء الا ان البابا بطرس لم يفارق الاسكندرية بل لبث مختلفاً فيها مدة خمس سنوات

ومنعاً للتلاقل فكر تيموثاوس هذا ان يعين قاعدة يجرى بموجبها انتخاب

البطاركة بالاسكندرية فتألف وقد يرأسه رجل يدعى يوحنا التلاوي (نسبة الى تلامنوفية) وسار لمقابلة القيصر يرجوه ان يترك الحرية للاقباط في انتخاب بطاركتهم . فظن القيصر ان يوحنا رئيس الوفد يسعى في الحصول على البطريركية ضد رغبته فخلف يوحنا امامه بانه لا ينبغي ذلك ولهذا اجاب القيصر طلب الوفد . غير انه بعد موت تيموثاوس سنة ٤٨٢ م رشح يوحنا نفسه لمركز البطريركية وأرسل يملن جميع الاساقفة بانتخابه . ومن اخطرهم بذلك اسقف رومية والقيصر وبطريرك القسطنطينية . فوصلت رسالة اسقف رومية في ميعادها وتأخرت رسالة القيصر وبطريرك القسطنطينية . فخذ القيصر عليه لمكاتبة اسقف رومية قبله وتذكر وعده بعدم قبول البطريركية . فارسل القيصر الى اسقف رومية يعلمه بانه غير راض على انتخاب يوحنا لبطريركية الاسكندرية لان ذلك يدعو الى ازدياد الاضطرابات وانه عازم على اعادة بطرس بطريركها الحقيقي . وكان اسقف رومية قد انتفخ بالرسالة التي ارسلها اليه يوحنا وتوهم ان له حق الرئاسة في انتخاب باباوات الاسكندرية ولذلك جاوب القيصر بانه راض عن يوحنا لا بطرس فاستخف القيصر باوهامه الفارغة وطرح خطابه في سلة المهملات وأمر بنفى يوحنا وبرد البابا بطرس من منفاه . أما يوحنا فلم يرجع الى مصر بعد تقيمه مع انه رفع دعواه الى اناستاسيوس خليفة زينون لوجود معرفة قديمة العهد بينهما ظنهما تنفعه ولكن القيصر أعرض عنه واكتفى بتعيينه اسقفاً في احدى الابروشيات وبعد رجوع البابا بطرس من منفاه تلقى رسالة من اكاكيوس بطريرك القسطنطينية يرجوه فيها ان يقبله في امانته . وكان اكاكيوس من انصار جمع خلكيدون ولكنه ندم فيما بعد واراد ان ينضم للارثوذكسين وذلك انه بينما كان البابا بطرس هارباً من امام الخلكيدونيين ومعه الانجيل المقدس قابله الشماس يوليانوس الاسكندري الذي كان بالقسطنطينية وقال له : —

« اني لما كنت في القسطنطينية أرسل الي اكاكيوس شماساً يدعوني الى المكان الذي كان يبني فيه فلما سرت اليه قال لي ايها الشماس يوليانوس هل انت مزعم ان تشترك معي في الصلاة أم لا فاجبته قائلاً لا . لان ذلك من المستحيل فانه لا توجد هنا الارثوذكسيه يعني لا تصل . ثم امرني أن اجلس وكننا كلانا

منفردين في ذلك المكان ولما حمل الانجيل قال لي هكذا انطلق الى الاسكندرية
 وفتش على الانبا بطرس وأحلف له كما حلفت لك انا الآن بقولي وحق
 الكتب المقدسة اني ارجب من كل نفسي ان اتوب واطرح عني هرطقة مجمع
 خلکیدون الدنسة فاني بينما كان المغبوط تيموثاوس موجوداً في هذه المدينة
 بمنزل (باسيليكوس) ارسلت نحوه شماسي (كريزاريون) ويده كتابي المخطوط
 بيدي وفيه ثبت وحرمت مجمع خلکیدون وطومس لاون والاطاخين وكل
 هرطقة غير ان ثيوكتيستيس الوالي المعتقد مذهب اوطاخى المعترف بتعليم باطل لما
 وجد الشماس في الساحة اخذ من يده الكتاب وقرأه ووجد اني قد حرمت فيه
 اوطاخى فضرب الشماس وطرده ومزق الكتاب ولم يكن ليعلم بذلك تيموثاوس
 المغبوط لانه كان ساكناً في الدور الاعلى . وقد كنت ظننت ان الشماس طرد
 بايعاز الطوباني تيموثاوس وبما ان الحزن استولى علي بسبب ضرب شماسي لبثت
 لاأبدي ادنى حركة خائفاً على تكدير سلام تلك الايام وحيث اني الآن أخشى
 أن تدركني ساعة الموت ويحل بي قضاء الله أطلب وانا مستعد ان افعل كل مايرج
 فؤادك واني لمتندم وتائب وحارم لسكل هرطقة « (١)

ثم طلب البطريرك اكاكيوس من الشماس يوليانوس المذكور ان يحمل اليه
 رسالة للبابا ويتوسط عنده ليقبله ومن ثم تبادلت بين البابا بطرس واكاكيوس
 جملة رسائل حتى تحقق البطريرك الاسكندري صدق توبة البطريرك القسطنطيني
 واتفقا معاً على الاتحاد وواعدا اكاكيوس باقناع الملك برفض مجمع خلکیدون
 وارسل البابا بطرس بعض شيوخ الرهبان الاتقياء الى القسطنطينية ليحضروا
 المجمع الذي عقد فيها سنة ٤٨١ م لاجراء مراسيم الاتحاد ووضع مندوبوا الكنيسة
 منشوراً مشهوراً باسم « هيو تيكن » اي « كتاب الاتحاد » وحكم فيه على تعاليم
 اريوس ونسطور واطاخى معاً واثبتت بنود كيرلس وايدت مجامع نيقية
 والقسطنطينية وافسس ورفض طومس لاون ومجمع خلکیدون . ورفع المنشور
 الى الملك فصادق عليه وامر بتنفيذه وارسل الى جميع الاساقفة والقسوس والرهبان
 والعلمايين في الاسكندرية ومصر وليبية والشمس المدن الغربية

ثم تبادلت رسائل اخرى في امر هذا المنشور بين البابا بطرس واكاكيوس حتى اتفقا عليه وبناء على ذلك قبل رؤساء الطبيعة الواحدة التوقيع على « كتاب الاتحاد » فامضاها البابا بطرس منغوس بطريرك الاسكندرية و بطرس القصار اسقف انطاكية . وأمضى عليها من رؤساء أنصار مجمع خلكيديون اكاكيوس اسقف القسطنطينية وكاد المشروع يتم لولا ان بعض اساقفة مصر ومنهم يعقوب اسقف صاومينا اسقف منية طامة لما شعروا بأن بطريركهم اتحد مع اكاكيوس بطريرك القسطنطينية الذي كان معروفاً عندهم بالتحزب لمجمع خلكيديون ولطومس لاون ظنوا ان بطريركهم بقبوله التوقيع على « كتاب الاتحاد » وافق انصار مجمع خلكيديون وطومس لاون فانفصلوا عن شركته غير ان البطريرك تلافى الخطر وأرسل فاستدعى الى الاسكندرية جميع الاساقفة وعقد جمعاً اطلعهم فيه على ما دار بينه وبين بطريرك القسطنطينية من الرسائل وقرأ لهم « كتاب الاتحاد » فافتنع جميعهم سوى بعض المتحزبين الذين لبثوا مصرين على عنادهم وأطلق عليهم لقب (الاسيفايين) « اى الذين بلا رأس » لانهم حرموا من رأسهم أو قائدهم

ثم ان اسقف رومية الذي كان مبدأه ومبدأ اسلافه وخلفائه ان يزيدوا الشقاق استحكماً في الكنيسة المصرية وان يوجدوا شقاقاً آخر بين كنائس الشرق والغرب جرياً وراء ما ربههم الشخصية فلهذا قاوم مشروع الاتحاد لا لسبب الا لأنه لم يخرج من تحت يد جنابه . كما ان بعض المتحزبين من انصار مجمع خلكيديون كتبوا رسالة لأكاكيوس يلومونه فيها على اشتراكه مع منغوس . فلم يكثر اكاكيوس لكتاباتهم بل اقنع كثيرين منهم على موافقة كتاب الاتحاد . وبعضهم لم يوافق وأرسل واحد منهم يدعى كيرلس وهو رئيس دير الذين لا ينامون الى اسقف رومية يستنجد به فارسل اسقف رومية لسفيره بالقسطنطينية ان لا يعمل شيئاً بلا اتفاق مع كيرلس . وعوضاً عن ان يخاطب رؤساء الديانة في الامر كتب للقيصر طالباً نفي منغوس واعادة يوحنا التلاوى وسحب كتاب الاتحاد وارسال اكاكيوس الى رومية ليعتذر عن نفسه . فرد عليه القيصر بان يوحنا نفي لحنثه في القسم وان منغوس صحيح الايمان . واستأ

اكاكيوس من كتابات اسقف رومية التي تدل على كبرياء متناهية وأصر على الأشتراك مع البابا بطرس . فمقد اسقف رومية مجعاً حرم فيه البابا بطرس واكاكيوس . ولما بلغهما الخبر عقد كل منهما في طاصمة بطريركيته مجعاً حرم فيه اعمال جمع خلقيدون ورسالة لاون

ثم توفي اكاكيوس وجاء بعده افراويطاوس ولم تطل حياته خلفه اوفيمبيوس فأرسل اليه البابا بطرس خطاباً عن رسائل سلفه افراويطاوس يحرم فيه الجمع الرابع وكان اوفيمبيوس هذا على مذهب الملكيين فقطع العلاقات الارثوذكسية مع البابا بطرس . والذين اتحدوا مع باباوات الاسكندرية جهاراً من بطاركة القسطنطينية هم افراويطاوس سنة ٤٩١ م وتيموثاوس ١ سنة ٥١١ م وانثيموس سنة ٥٣٥ م وسرجيوس سنة ٦٠٨ م وبيروس سنة ٦٣٩ م وبولس سنة ٦٤٣ م وبطرس سنة ٦٥٢ م وتوما سنة ٦٥٦ م وثيودوروس سنة ٦٦٦ م ويوحنا سنة ٧١٢ م . واستمر هذا البابا على كرسيه مدة ثمان سنوات وثلاثة أشهر ثم لحق بأبائه في ٢ هاتور سنة ٢٢٥ ش واكتوبر سنة ٤٩٠ م

(٥) اثناسيوس ٢ - البطريرك الثامن والعشرون . ولما تنيح البابا

بطرس قدم للكرسي الاسكندري اثناسيوس في شهر كيهك سنة ٢٢٥ ش و٤٩٠ م في عهد زينون قيصر انتخبه الشعب والاكليروس باجماع الآراء وكان كاهناً في بيعة الاسكندرية ووكيلاً لكنائسها مشهوراً بصلاحه واستقامة ايمانه . ويلقب بالصغير تمييزاً له من البابا اثناسيوس الرسولي الملقب « بالكبير » . ولم يكن في ايام هذا البطريرك في الاسكندرية بطريرك آخر سواه وخضعت ابروشيات القطر المصري باجمها له وذلك لان الكنائس الرسولية باجمها رفضت اعتبار جمع خلقيدون وحرمت رسالة لاون

وقد صرف هذا البطريرك همته مشتركاً مع القيصر اناستاسيوس في اعادة السلام الى الشرق عموماً ومصر خصوصاً . وكانت رغبة القيصر ان لا تقوم المنافسات الدينية مرة أخرى بل ينبغي ان تترك الحرية لكل انسان في اختيار أي مذهب أو دين يعتقد به . ولما رأى بعض الاساقفة ميالين للبحث والمجدال

عزم على تغييرهم كي لا يكذبوا صفوف الكنيسة مرة أخرى . وبذلك ساد روح السلام على الكنائس بأسرها الا الكنيسة الكاثوليكية التي لم يكف رؤساؤها المحترمون عن معاكسة كل من لا يوافقهم على اعتبار مجمع خلكيدون . وما أحسن قول بعضهم في ذلك « انهم (اساقفة رومية) لم يكفهم مقاومة الأحياء بل كانوا يجتهدون في معاكسة أناس انقلوا الى الدار الأخرى فكانوا يطلبون بالحاح شطب اسم ديوسقوروس بابا الاسكندرية واكاكيوس بطريرك القسطنطينية من بين اسماء الاساقفة . بينما كان هذان في دار لا رئيس فيها الا الله وحده والتي يقول كل مسيحي حقيقى انه لا يجب البقاء فيها اذا صح ان حضرات اساقفة رومية وكلاء بطرس هم المفوضون فيها » اه

ولم يظهر من الارثوذكسيين الذين اتحدوا مع الكنيسة القبطية أقل تحزب حتى انه لما توفي اكاكيوس بطريرك الاسكندرية وخلفه افرأويطاوس نسج على منواله متبعاً « كتاب الاتحاد » رافضاً مجمع خلكيدون . غير ان اوفيمبوس الذي خلف افرأويطاوس كما سبق طرد الارثوذكسيين فغضب عليه القيصر وعقد جمعاً حكم عليه فيه بالنفي وأقام بدله مكدونوس

واقام البابا اثناسيوس الثاني على الكرسي المرقسي نحو سبع سنين كانت كلها خالية من الاضطراب وكانت الكنيسة سالمة من كل اضطهاد وتوفى في ٢٠ توت سنة ٢٢٩ ش و ٤٩٧ م

(٦) يومنا ١- البطريرك التاسع والعشرون . كان يلقب « بالراهب » رسم بطريركاً في باؤونه سنة ٢٢٩ ش و ٤٩٧ م في عهد لاون قيصر لاشتهاره بالحكمة والتعقل اللذين عرف بهما سلفه . فسلك مسلك من تقدمه من الآباء القديسين وكانت البيعة والشعب في ايامه في أمن وسلام .

ولما توفي زينون وقام مكانه اثناسيوس البار رأى ان مكدونوس بطريرك القسطنطينية قد قطع العلاقة مع الكنيسة الاسكندرية واثبت أعمال مجمع خلكيدون وأخذ يكاتب اسقف رومية فأخذ القيصر يقنع مكدونوس بان يحرم المجمع الرابع فأبى . ولذلك عقد القيصر جمعاً بالقسطنطينية سنة ٥١١ م

حكم فيه بانزاله عن كرسيه وتقويه وأقيم عوضاً عنه رجل فاضل يدعى تيموثاوس وحال ارتقائه عقد مجماً أيد فيه الامانة الارثوذكسية وحرّم مكدونيوس وارسل اليه الحرم مع سفارة وكان الخلكيدونيون يرفضون التسبيحات الثلاثة وهي « قدوس الله قدوس القوي الخ » لان بها القول « يا من صلبت عنا » وكان مكدونيوس قد أبطلها من كنيسة القسطنطينية فاعاد القيصر ترتيبها ثم حرم المجمع الخلكيدوني وعقد وفقاً مع يوحنا بابا الاسكندرية وساويرس بطريرك انطاكية الذي خلف بطرس القصار

واستمرت البلاد المصرية في عهد البابا يوحنا في أمن وطمأنينة دون كل المملكة الرومانية التي كانت في قلاقل مستمرة . ويلاحظ ان القلاقل لم تكن لتنشأ في مصر لولا تداخل اسقف رومية في شؤونها فكانت وظيفته كوظيفة من يحرك النار اذا هدأت لكي يزداد اضطرابها . وفي هذا الوقت كانت يد هذا المدعى أقصر من ان تمتد الى الكنيسة المصرية فساد فيها روح السلام . غير انها تسكدرت أخيراً بسبب داء عياء أصاب كثيرين من الأهالي . ثم تنيح البابا يوحنا في الرابع من بشنس سنة ٢٣٤ ش و ٥٠٦ م بعد ان أقام على الكرسي نحو تسع سنوات

.....

القسم الثاني

مشاهير الكنيسة

(١) شنوده (٢) ايسيدوروس (٣) مكاربوس

.....

(١) شنوده . ولد هذا الانبا (١) ببلدة شندويل (٢) من ابوين مشرين كانا

(١) انبا كلمة دخيلة على اللغة العربية ومعناها سيد وبإضافة الالف واللام اليها هكذا الانبا يعني السيد (٢) بجوار اخميم بمديرية جرجا

يملك قطعاناً كثيرة من الاغنام و كان شنوده يرافق الرعاة الى المراعى ونبتت في قلبه وهو في سن الحداثة بزور التقوى فكان يصرف وقته في الحقل في الصلاة والعبادة والصوم ويترك طعامه للرعاة

ولما اخبر الرعاة والده بذلك أخذه الى دير بالصحراء قرب سوهاج كاتب الرئيس فيه الانبا بيجول وطلب منه ان يضع يده عليه ليباركه فقال له الانبا بيجول « باركني انت لانك ستصير ابا لجماعة كثيرة »

ونشأ شنوده نشأة صالحة واعتنى خاله بتربيته تربية حسنة ومن معاشرته للرهبان الاتقياء اقتبس عنهم كل الفضائل وفاقهم في الزهد وصار راهباً صالحاً استحق ان يتقلد رئاسة الرهبان بعد خاله فجعل يشتغل بهمة عالية فنظم ادارة الدير ووسع نطاقه وبلغ عدد الرهبان في عهده ٢٢٠٠ بالدير الابيض و ١٨٠٠ بالدير الاحمر (١) واكسبه جهاده الحسن نفوذاً سامياً ليس على الرهبان فقط بل على جميع البلاد المجاورة لذلك الدير وكان يأتي اليه ا كابر الامة ليستشيروه في امورهم المهمة فكان يكشف لهم ما خفي من اسرارهم حتى اعتبروه كأحد الانبياء العظام الذين يخاطبون الله رأساً

وحدث مرة ان قائداً رومانياً كان سائراً للقتال فر في طريقه على دير الانبا شنوده لياخذ رأيه في الحرب وكان الانبا شنوده قد اعتزل في مكان بعيد للعبادة واوصى الرهبان بمنع كل زائر يقطع عليه اختلاؤه مع الله . فلما جاء القائد اخبره الرهبان بالامر ولكنه صمم على ان لا يبرح الدير الا اذا قابله وضرب بعساكره حول الدير واستمر الرهبان يقدمون الطعام للجنود حتى ملوا فاوفدوا للانبا شنوده كاتباً كان له دالة عليه ليدعوه للقائد وينقذهم من هذه النفقات . فلما علم الانبا شنوده بالامر قام لمقابلة القائد وقضى معه وقتاً ثم طلب منه القائد ان يهبه احدى حياصاته (احزمته) ليتمنطق بها وقت الحرب فأعطاها . قيل انه لما حى وطيس الحرب لبس ذلك القائد الحياصة فهزم اعداءه هزيمة تامة وكان الانبا شنوده شديد الغيرة على الديانة المسيحية فذات يوم اتاه بعض

{١} الدير الابيض ويسمى دير الانبا شنوده ويجواره الدير الاحمر أو دير الانبا بيتوي .
وما قائمان الآن عربي سوهاج

الكرامين الاقباط طالبين منه ان ينصفهم من سيدهم الوثني الذي لم يدفع لهم اجورهم بحجة ان الكروم لم تثمر جيداً . فسار الانبا شنودة الى ذلك الوثني برهط من رهبانه والزمه بدفع حقوق المسيحيين فدفعها مكرهاً . وحدث ايضاً ان رجلاً يدعى بطرس جاءه طالباً بركته فوبخه توبيخاً شديداً لانه كان متزوجاً بابنة اخته . فقال له الرجل ان للفتاة ارثاً لم يرد ان يزوجها لاجنبى خوفاً عليه . فعنفه القديس شنودة وقال له « ألم تقرأ ما ورد في الانجيل « ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » ؟ فلما سمع الرجل ذلك بكى وطلب من الاب ان يرشده الى طريق الخلاص فأرشده وقام الرجل واحضر ٥٠٠ قطعة من الذهب وقدمها للقديس ليوزعها على الفقراء تكفيراً عن خطيئته . فأبى الانبا شنودة ان يعسكها بيده وأمره أن يبحث عن شخص امين ينقذ له غرضه . فسار الرجل حتى وصل الى انبا بولس رئيس دير بوش وسامه المبلغ وعاد الى امرأته وكشف لها ماجرى ثم وهبها املاكها واملاكه وطلقها ورجع الى دير الانبا شنودة وقضى بقية حياته راهباً .

ولما تولى البابا كيرلس الاول الكرسي البطريركي راى في الانبا شنودة رجلاً فصيحاً غيوراً على كنيسة القبطية وتعاليمها الارثوذكسية فكان يهتدى برأيه في كثير من المسائل المويضة . وفي سنة ٣٤١ م استصحبه البابا كيرلس هو والقديس بقطر السوهاجي الى مجمع افسس المسكوني الثالث فآظمر الانبا شنودة كفهاء عامية كبرى في دحض بدعة نسطور المنافق (١) وقيل ان انبا شنودة دخل مرة الغرفة التي كان الاساقفة يتحاورون فيها وكان في وسطها كرسي وضع عليه الانجيل المقدس . فجاء نسطور ورفع الانجيل عن الكرسي وجلس عليه . فاحتدم الانبا شنوده غيظاً من هذا التصرف المعيب وتقدم الى نسطور وصفعه على وجهه قائلاً « لماذا تحب ان تكرم نفسك اكثر من كتاب الله ؟ » فقال

{١} لم نجد بين اسماء القديسين المهرين الذين اعتبرهم بالسكنيسة الكاثوليكية اسم الانبا شنودة وذلك لمقاومته انصار الطبيعة وقاتلهم انهم باسقاط هذا القديس من بين القديسين قد ناقضوا البابا كيرلس الكبير عماد الارثوذكسية المعتبر عندهم عموداً للدين الذي قرر ان انبا شنوده لم يكن قديساً فقط بل قديساً ونبياً ايضاً (الاجرومية القبطية للملون الجزويت ص ٣ و ٤)

نسطور عنه فقبل له انه احد رهبان مصر فاحتج هو وأنصاره على السماح لراهب بالدخول في مجمع الاساقفة ثم سأل القديس قاصداً الاستهزاء به من انت ؟ فاجابه الانبا شنوده بقوة عارضته قائلاً « ألا تعلم من انا. انا رجل ارسله الله ليزيح النقاب عن شرورك ويطلب لك القصاص على خطاياك وغرورك » فلما سمع نسطور هذه الكلمات خر على الارض كمن اصابه صرع . قيل ان البابا كيرلس في تلك الآونة رقى الانبا شنوده الي الدرجة الكهنوتية التي تخول له الحضور في مجمع الاساقفة وبعد انتهاء المجمع عاد الانبا شنوده الى رهبانته . وفيما بعد اذ علم ان هناك من يحاولون العبث بالتعليم « بطبيعة المسيح الواحدة المتجسدة » ذلك التعليم الارثوذكسي الذي اجتمت عليه الكنيسة منذ تأسيسها ووثب وثبة الاسد وباشتراكه مع القديس ديوسقوروس البابا الاسكندري حارب أولئك المعتدين وكاد يقضي عليهم وعلى ما يحاولون لو لم تحل دون ذلك منيته حيث رقد بالرب في ٧ ابيب سنة ١٦٨ ش

وللانبا شنوده مواعظ بليغة ومؤلفات نفيسة وضعها باللغة القبطية وبقيت محفوظة بالدير الابيض حتى عثر على بعضها المستر ماسيرو وعلى البعض الآخر المستر زويجا فالسيو ميلينو الذي نشرها بالفرنسية سنة ١٨٨٩ م

(٢) ايسوزوروسى الفرعى . ولد في مدينة الاسكندرية سنة ٣٧٠ م من عائلة شريفة نظراً الى التقوى والغنى وكانت بينه وبين البابوين تاوفيلس وكيرلس صلة قرابة . وقد تربى من حدائته تربية حسنة فنشأ عالماً باصول الدين وباقي العلوم ولا سيما اللغة اليونانية حتى انه اعتبر احد آباء الكنيسة الجامعة وأحد علماء عصره

ولكن فضله ظهر واضحاً عند ما طرح مجد العالم خلفه وازدرى بملاذاته وآثر عيشة الوحدة والزهد فاحسن بكل ما يملك على الفقراء والمساكين وهرب ليلاً وانفرد يعيش سائحاً مع بعض النساك في جبل صغير قريب من مدينة ييلوسوس المدعوة الآن فرموس (١) ولذلك دعى باليوناني وباقي اللغات الغربية ايسوزوروس ييلوسيوطا وبالعربي ايسوزوروس الفرعى

(١) ييلوسوس باقليم الوجه البحري وكانت اقوى حصن حربي على حدوده من الشمال الغربي

وصرف هذا البابا جملة سنين مواظباً على العبادة وكان محباً للصمت ميالاً
للاتفراد للصلاة والتأمل مع الله واظهر قساوة شديدة على جسده فأذله بالتقشفات
الشاقة والاصوام الزائدة . وفيما بعد رأى نفسه مدعواً الى الانذار بالتعاليم المستقيمة
والمجاهدة عن الحقائق الدينية والآداب فقام بذلك دون ان يخشى عظماء العالم .
وعقب اقتباله درجة الكهنوت شرع في وضع رسائل عديدة ومتباينة المواضيع
ووجه كل خطاب منها الى كل شخص ذي دعوة أو رتبة أو وظيفة خصوصية من
كل سن وجنس ورتبة حتى انه اتصل الى ازممنتنا هذه من رسائله ما يتجاوز
الالفين . وحقوى رسائله يدل بالاخص على الروح المسيحية التي كانت تملأ قلبه
وتبرهن على تعمقه في معرفة الكتب المقدسة فكان بارعاً في تشويق الناس
الى الفضيلة وتكريمهم في الرزيلة وبليغاً في معرفة تواريخ البيعة والقوانين
والتهذيبات الكنسية المختصة بكل ذي وظيفة منها . وكانت رسائله تقابل من
الجميع بثناء زائد حتى ان بعض المؤرخين يقول انها لم تكن اقل اعتباراً من انقاس
القديس يوحنا فم الذهب نظراً الى الغيرة على استئصال الرزائل والعوائد الرديئة
وتهذيبها بموجب تعليم الانجيل

وكان القديس قد طالع ما كتبه القديس يوحنا فم الذهب بكلف زائد وتشبع
من روحه لا سيما من كتابه المدعو « واجبات الكهنوت » واقتفى أثره
ونسج على منواله حتى انه استحق ان يدعى تلميذاً خصوصياً له . وكان اعتباره
القلبي لقم الذهب شديداً بهذا المقدار حتى انه لم يكتب بان يسلك بموجب تعليمه
فقط ولكنه كان يدافع عنه بجرأة أمام قريبه البابا ثاوفيلس البطريرك
الاسكندري . وهذه المدافعة هيجت عليه اعداء القديس فم الذهب فاتهموه معه
بتهم كثيرة تحمل بسببها اضطهادات قاسية . وهكذا بعد وفاة البابا ثاوفيلس
بذل مجهوده لدى خليفته وابن اخته البابا كيرلس ليوضح له سمو فضل القديس
يوحنا وجملة على ان يضع اسمه بين اسماء القديسين وكان للبابا كيرلس في محاربتهم
للسطوريين النصير الشديد

ومما حرره هذا القديس فيما يختص بواجب ذوي الرتب الكهنوتية أمام
الاهانات التي تصادفهم قوله : « اننا نخطيء على حد سواء حينما ننتقم لانفسنا

بأخذ النار عن الالهات الصادرة في حقنا وحينما لا ننتقم عن الالهات الصادرة في حق الله . فيجب علينا اذاً ان نحتمل بدعة و صبر الالهة حينما تلحق باشخاصنا فقط وان نستعمل الحنو والتساهل في غفرانها . واما حينما تلحق الالهة بالعمة الالهية فوقتئذ يكون عدلا وواجباً ان نتصف بالغيرة وان نظهر الغيظ المقدس والغضب المؤسس على حب الله من اننا نحتمل ذلك بحبابة ونخشى بدناءة اغاظة غيرنا ولكن نحن نصنع ما يضاد هذا الأمر على خط مستقيم . أي اننا نتقد غضباً ونشتمل بنار الغيرة ضد اعدائنا فيما يصادفنا واما فيما يخص الله وكنيسته فنحن فاترون متفاضون خالون من كل حرارة . فومى الاكثر حلاماً ودعة من جميع الناس قد احتمي غضباً ضد الشعب الاسرائيلي حينما صنعوا العجل الذهبي ليسجدوا له . وفي هذا الحادث ظهر غضبه اكثر قداسة من أي تنازل وحلم ودعة كانت . وايليا تسليح بالغيرة المتقدمة ضد عابدي الاصنام . والقديس يوحنا المعمدان ضد هيرودس الملك . والقديس بولس الرسول ضد عليم الساحر . فهؤلاء القديسون انتقموا من الالهة المتصلة بالله في الوقت عينه الذي فيه كانوا يتفاضون عن الالهات التي تتصل باشخاصهم . فأبي نعم ان الله هو اكثر اقتداراً بما يجد على الانتقام لذاته بعدله الرهيب ولكنه مع ذلك أراد تعالى ان الناس الصالحين يشتركون في المحاماة عن الحق منتقمين بقدر ما هو ممكن لديهم عن الافتراء المصنوع في حق عزته الالهية . فهذا هو الترتيب الذي كان القديسون يتصرفون بموجبه وبه كانوا يحصلون على ثبات فضيلتهم وفلسفتهم الحقيقية « اه وغيرة القديس ايسوذوروس المقرونة بالشجاعة في تهذيب الآخرين امتدت الى رئيسه اوسايوس اسقف ييلوسيوس خليفة الانبا آمون فاذا رآه يتصرف تصرفات غير عادلة وينشئ خطابات بعدم حكمة حتى انه سبب شكوكا كثيرة في كنائس الاقليم المصري أخذ يجابه بالحقيقة ويعلمه بانه شط عن الصواب . وابلغ من ذلك قيام القديس بتوبيخ حاكم المقاطعة وتأنيبه على المظالم التي كان يرتكبها وعلى عدم مراعاة حقوق الكنيسة

وقد انت توبيخاته هذه باثمار تامة وكان اسلوبه في التوبيخ بديعاً يتضح من قوله في احدي رسائله « امر ضروري هو ان نوبخ البعض بقساوة والبعض

بعذوبة وايونة لانه لا يمكن اكتساب الجميع بنوع واحد ولا يستطيع معالجة الامراض كلها وشفائها بدواء هو هو بمينه « اه

والمعلوم ان الافاضل الذين أخذوا على انفسهم تقويم المعوج واصلاح الفاسد يكثر اعداؤهم والناقمون عليهم ولا عجب ان وجد كثيرون ينقمون على القديس ايسذوروس ويضطهدونه . أما هو فلم يكن يتألم من اضطهاداتهم لانه كان يعلم انه في هذا الطريق سار القديسون قبله فكان يتسلح بقوة وصبر وثبات على الاحتمال بدون ضجر . وتمكن اعداؤه من طرده من مكان نسكه وأرسلوه الى المنفى فكانت غبطة القديس بما جرى له شديدة حتى انه خاطب صديقاً له في احدى رسائله قائلاً « انه ان كان من يصنع الواجب عليه ويتم حسناً التزامانه يقتضي ان يعامل بالردى وان تحقيق به الاضطهادات والمصائب وان من يصنع الشر يلزم ان يمدح ويكافأ بالانعامات فلا شك بأنه يجب على الانسان ان يختار النوع الاول بصنيع الخير دون ان يلتفت مطلقاً الى الاضطهاد الذي يلحق به من جرى ذلك لاننا اذا قطعنا النظر عن المجازاة السماوية عينها التي وعد الله ان يجازي بها الفضيلة ثم عن العقاب المرعب نفسه المعد في جهنم للانتقام عن الرزية . فالفضيلة وحدها وبذاتها هي اكليل ومكافأة البار . كما ان الشرير يجد قصاصه وعقابه في الشر والرزية . وهذا تجرد الفضيلة دائماً محبوبه على حد سواء ولو انها اضطهدت بالتمم الباطلة نفسها . والرزية هي دائماً مستحقة البغضة مهما تشرفت من الناس الضالين « اه

وقد شاهد القديس مبتدئين كثيرين وانتشرت في أيامه هرطقات متعددة ولكن جميعها لم تكن كافية لان تلبيل افكاره اذ كان يعلم انه لا بد ان تأتي العثرات (مت ١٨ : ٧) ويتأكد ان هذه الامتحانات التي تتلقاها الكنيسة آيلة لنجاحها ولا بد ان تقتصر عليها أخيراً

ولما أكمل القديس جهاده رأى في نفسه اضطراباً شديداً للوصول الى مقر الراحة الابدية ولهذا حينما دامه المرض الاخير تعزى وابتهج وهكذار قد بالرب ههؤو وسلام في ٤ شباط سنة ٤٤٥ م

(٣) مطر بوس اسقف ادكو .^(١) هو أحد مشاهير النساطرة من أبطال الكنيسة القبطية في هذا القرن الذين دافعوا بكل قوتهم وضحووا حياتهم في سبيل تأييد اعتقادها الذي حفظته الكنيسة منذ نشأتها سالماً وهو ما يختص بوحدة مخلصنا الطبيعية . وكان من حدائمه متصفاً بالوداعة والتواضع ولما رسم اسقفاً لا بروشية ادكو كان يصعد على المنبر ليعظ الشعب فيشتد بكأؤه ونشيجه ولما سئل عن سبب بكائه اجاب « اني اشاهد خطايا الشعب كما ينظر الزيت في الوعاء » وظهرت غيرته على مجد ابن الله ومحافظته على كرامته في هذه الحادثة وذلك ان بعض الوثنيين كانوا يختطفون اولاد المسيحيين ويقدمونهم ضحية لاعتناهم فلما سمع القديس هذا الطبر قام الى بلدة الوثنيين المجاورة لمدينة ادكو يصحبه ثلاثة رجال فقط . ولما انتهوا الى الهيكل وشاهدوا ابنيته الشائخة والتفاف الوثنيين حوله كالجراد والاسلحة بأيديهم طار لب الثلاثة الرجال لاسيما عندما فاجأهم الوثنيون وهم يتقدمون نحو الهيكل وقالوا للقديس « لماذا اتيت الى هنا وما حاجتك عندنا » اما القديس فلم يتطرق اليه وجل بل اجابهم بمثل حماسهم قائلاً « لقد جئت لارى ما تفعلونه بأولاد المسيحيين الذين تختطفونهم لتقدموهم ذبيحة لاطتسكم الكاذبة . فقالوا له ان هذا الخبر كاذب ومن ابلك اياه تمام . فأجابهم ان كنتم صادقين فدعوني اتبين الامر بنفسي في داخل الهيكل فسمحوا له بالدخول ودخل معه رجل واحد ممن كانوا معه نظراً لخوف الاثنيين اللذين بقيا خارجاً . وما تقدم القديس داخل باب الهيكل حتى رأى عشرين رجلاً بأسلحتهم متقدمين اليه وهم يهددونه بدنوا اجله وجملوه ليقدم ذبيحة لاحد آطتهم ولم يؤخرهم سوى ان رئيس كهنتهم هو ميرس لم يكن موجوداً فاستدعوه وقد انتهز الرجل الذي كان مغلولاً مع القديس هذه الفرصة وأسر اليه قائلاً : هذا وقت الصلاة فأجابه القديس « لا تخف لا بد ان يسوع يتقذنا من هذا الموت المرعب » ولم ينته من

(١) وجد بالفاتيكان كتاب قديم بخط اليد يؤخذ منه ان ناسخه تلقى ما فيه من الاقوال عن لسان البابا ديوسقوروس البطريرك الاسكندري نفسه حينما كان في منفاه . وهذا الكتاب يحتوي على تاريخ سفرة ديوسقوروس الى مجمع افسس وما تم فيه . ومن ذلك الكتاب أخذت ترجمة القديس مكاربوس أسقف ادكو . وادكو هذه بمركز رشيد بمديرية البحيرة

هذه الكلمة حتى سمع الاثنان على الباب صوت ويبصا احد المؤمنين يطالب
اطلاق سراحهما فان هذا المؤمن لما علم بانطلاق القديس للهجوم على هيكل
الوثنيين خشي عليه منهم فيجمع عدداً غفيراً من المؤمنين وسار الى الهيكل وكسر
الباب وخلص القديس وزميله من الموت وهما على حافته . وقيل انه استخدم
قوته في حرق جميع الاوثان التي وجدها في الهيكل وطاف البلدة يحرق كل
ما تصل اليه يده منها حتى ان الاهلي اذ رأوا آلهتهم تحرق امامهم دون ان تقوى
على انقاذ نفسها أو تؤذي من اهانها اعتمد منهم كثيرون

وبعد ذلك أمر ثيودوسيوس قيصر بمقدّم مجمع في افسس تفحص فيه هرطقة
اوطاخي فسار القديس الى الاسكندرية ماشياً على قدميه وفي عزمه ان ينطلق
أيضاً الى مجمع افسس ماشياً ولما كان القيصر ارسل سفينتين لنقل البابا ديوسقوروس
وحاشيته تقدم ربانها الى القديس مكاريوس وبعد ان اوضح له صعوبة السير
على الاقدام الى افسس طلب منه ان يشرفه بنزوله في مركبه فأبى القديس وقال له
« لا تحلولي الراحة في سبيل خدمة الله بل يطيب لي معها التعب » ولكن ربان
السفينة لم يتركه بل استمر يلح عليه ويلتمس منه الركوب معه فقال له القديس
« الله يباركك يا ابني لا تلحف في طلبك اذ لا يمكنني الركوب كما اني لا املك شيئاً
ادفعه لك كاجر » فقال الربان : اذا كان الاجر هو الذي يمنحك من السفر معي
فسافر في مركب البطريرك مجاناً فابتهج القديس وسر لانه استحق ان يرافق
خليفة مار مرقس ولكنه اتخذ له مكاناً قصياً من السفينة وجلس فيه . غير ان
البابا ديوسقوروس لما علم بوجوده استدعاه اليه وأجلسه في مكان مناسب ولما
كان القديس لا يعرف الا لهجة واحدة من لهجات اللغة القبطية كان المترجم
ينقل أقوال كل منهما للآخر

ونظر احد الشمامسة الى القديس بازدراء ودهش كيف يحتفل البطريرك
واساقفته برجل بسيط كهذا ليس له امام بالعلوم واللغات فوبخه البطريرك توبيخاً
شديداً والزعم بان يطالب منه الصفح والقديس لا ينلم ما جرى ولم يشعر الا
والشمامس يسجد امامه فاقاه متحيراً وسأل عن السبب فأفهمه اياه البطريرك وطالب
للشمامس العفو فأجابه « الشمس من المولى ان يغفر خطاياك يا ابني »

ومن ذلك الحين صار القديس موضوع احترام جميع المسافرين في السفينة ولما وصل الى مجمع افسس قام بخدمات جليلة لبطريكه . وفي مجمع خلكيدون المرذول أظهر غيرة كلية واثباتاً عجيباً في المحافظة على ايمان الكنيسة القديمة فحكم عليه بالنفي مع بطريكه ديوسقوروس

ولكنه فيما بعد تخلص من النفي بمساعدة تجار مصريين كانوا قد اتهموا بسفرهم الى حيث منفي الآباء وجاء معهم متنكراً موفداً من قبل البابا ديوسقوروس لتثبيت المؤمنين . وكان وصوله في الوقت الذي ارسل فيه مركياتوس قيصر رسولا من طرفه يحمل صورة قرار مجمع خلكيدون ليرغم المصريين على التوقيع عليها . فجمع رسول القيصر اكليروس الاسكندرية وعظماؤها وأخذ يحضهم على الاعتراف بطبيعتين ويحسن لهم قبول طومس لاون فانتصب الانبا مكار يوس وأخذ بشجاعة فائقة يلقي على مسامع الحاضرين خطبة زيف فيها ذلك الاعتقاد وروى وقائع ذلك المجمع المزور وبرهن على ان اعماله كانت خلافاً لكل قانون ديني ومدني وحدث ان بروتيوريوس الذي اقامه البابا ديوسقوروس وكيلا عنه قبل ذلك المذهب مشروطاً رسامته بطربركا فحنق الانبا مكار يوس لرؤيته رجلاً يخون من ائتمنه وطفق يوبخه توبيخاً عنيفاً فاغتاظ منه بروتيوريوس ودفعه بقدمه في بطنه فسقط على الارض وتوفي للحال بالنسبة لشيخوخته . وكان البابا ديوسقوروس قد تنبأ له قائلاً « انك تنال الشهادة في الاسكندرية لاجل دفاعك عن ايمان ابن الله » فتم قوله ونال القديس اكليل الشهادة

(٤) بعض مشاهير . واشتهر في هذا القرن ايضاً آباء كثيرون بالفضيلة والتقوى منهم الانبا ايسوذوروس تلميذ القديس مكار يوس المصري والايغومانوس يوحنا استاذ القديس ارسانيوس الروماني والقس يحنس القصير (١) وانبا بشوي والقديس موسى الاسود الحبشي ويضيق بنا المقام عن ذكر تاريخهم وفي كتاب السنكسار عنهم ما يعني

(١) ولهذا القديس دير بمركز ملوي باسمه يقال في بعض الروايات انه لما اضاعهد الماليك الالهالي لجأ المسيحيون منهم الى هذا الدير والى قرية الشيخ عباده لاعتقاد المسامين بانهما مسكونان بالشياطين (تقويم المؤيد لسنة ١٩٠٨ ص ٢٩٤)

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) ارКАДيوس واضطهاد مركيان وبولكاريا (٢) اضطهاد ليو
ومساعدة باسيليكوس وزينون المؤمنين

(١) ارطاريوس واضطهاد مركبان و بولطاريا وملك بعد ثيودسيوس
على الشرق ابنه ارКАДيوس سنة ٣٩٤ م فسار على منهج أبيه وأمر بأن تغلق جميع
هياكل الاصنام في ديار مصر ومنع التدين الا بالدين المسيحي . فتأيد هذا الدين
وصار الناس يدخلون فيه أفواجا حتى هجرت هياكل الاصنام فأعطى القيصر
بطريك الاسكندرية تصريحاً ليتصرف فيها كما يشاء فهدمت وأقيم مكانها كنائس
وضيق ارКАДيوس على الاربيوسيين وأمر بأخذ الكنائس منهم بعد ان حكوها
نحو اربعين سنة واسقط من جيشه من كان اريوسياً وطرده من كان في ديوانه
وخدمه منهم .

وملك بعد ارКАДيوس ابنه ثيودوسيوس الصغير سنة ٤٠٨ م وبعد موته
خلفته اخته بولكاريا سنة ٤٥٠ م وكانت قد نذرت الرهبنة ثم نكثت العهد
وتزوجت برجل متقدم في السن من اكابر المجلس يدعى مركيان . ويلاحظ انه
بعد ان ملك ثيودسيوس الكبير سنة ٢٨١ م عمت مصر الديانة المسيحية وزادت
العناية بتشيد الكنائس وفتح المدارس وتأسيس الاديرة وايقاف الاطيان
والرزق عابها . وكانت بولكاريا تحسد رؤساء الكرسي الاسكندري على
ما وصلوا اليه من الشهرة والاعتزاز وحرصوا على شرف مسام يفوق شرف

الملوك وخشيت امتداد نفوذ بطاركة القبط في القصر الملكي وارتفاع كلمتهم على كلمة الحكام الرومانيين وخافت من استقلال هؤلاء البطاركة ببلادهم وتأكدت ان ذلك في امكانهم لعلها بان البطريرك الاسكندري يستطيع ان يقيم ويقعد ببلاده بكلمة تصدر منه . فعملت على اذلال شرفهم في شخص البابا ديوسقوروس ورأى اسقف رومية ان ذلك من مصلحته ليحل محل البطريرك المصري في السطوة والنفوذ فاتفق معها على تدبير مكيده لذلك القديس فابتدعوا هرطقة مؤداها ان في السيد المسيح طبيعتين ومشيتتين وأرادوا ان يرغموا البابا ديوسقوروس وكنيسته على التسليم بها والا يطرد من مركزه وتضطهد كنيسته وكانت النتيجة انهم عقدوا ذلك المجمع الشرير بخلكيدون وحكموا فيه بنفيه وكتب سركيانوس الى جميع مملكته يأمر بقتل كل من لا يقول بقول مجمع خلكيدون فاضطهد الكنيسة المصرية اضطهاداً عنيفاً ومع ذلك لم توافق الملك والملكة على رأيهما واستمرت معترفة برئاسة بطريركها عليها . وأدى كل ذلك الى تعاظم اسباب الشحناء والبغضاء بين الاقباط الوطنيين وبين الرومانيين المقيمين بمصر وزادت عوامل الجفاء والخصام بينهما خصوصاً عند ما عينت الملكة بطريركاً لمصر غير ديوسقوروس فخضع له الاروام اما الاقباط فأبوا الاعتراف بسلطته عليهم مطلقاً ورفضوا جميع قرارات مجمع خلكيدون رفضاً باتاً وكانوا يعتبرون ان الهزء بأعماله برهان على صدق وطنيتهم واخلاصهم لبلادهم وجههم لكنيستهم . وسارت الكنيسة الحبشية على عقيدة أمها الكنيسة القبطية وأبت الخضوع لبطاركة بولسكاريا ورفضت مطلقاً رسامة مطارنتها بيد غير يد بطريرك الاقباط الارثوذكس ولا تزال على هذا الرأي الى يومنا هذا

واستفحل الخلاف بين المصريين والاروام الذين كانوا معضدين من الحكومة . وانتشب القتال صراراً بينهم وبين المصريين فأريقت دماء كثيرين من هؤلاء . ولما أقيم بروثيريوس بطريركاً من قبل الحكومة ولم يسلم برؤاسته الارثوذكسيون حمل عليهم مندوب الملكة بفرقة من الجنود كانت معه حال اجتماعهم ليلة عيد القيامة للصلاة ففرق شاملهم وقتل كثيرين منهم واستولى على أمتعة الكنائس وأموالها وسلمها للبطريرك الدخيل

(٢) اضطهاد ليو وساعرة باسيليكوس وزينون المؤمنين :

والقيصر ليو الذي جاء بعد بولكاريا سنة ٤٥٧م كان يميل الى ترك الحرية للمصريين في ما يختص بدينهم لولا اغراء اسقف رومية اياه على اضطهادهم فشدد عليهم ونهى بطريركهم وسفك دماء ثلاثين الفاً من مسيحي الاسكندرية بدعوى انهم خالفوا رأيه ، وملك بعده باسيليكوس سنة ٤٧٤م وكان قويم المعتقد فأحسن الى الارثوذكسيين وعقد مجمعاً بالقسطنطينية برئاسة البابا تيموثاوس بطريرك الاسكندرية الذي استدعاه من منفاه وحكم فيه برفض أعمال مجمع خلكيدون وأيد الاعتراف بالطبيعة الواحدة وقرر حرم نسطور واوطاخي

وجلس بعده على العرش زينون الملك البار سنة ٤٧٧م وكان في مبدأ الامر خاكيدوني المذهب فنهى البابا بطرس منقوس من الاسكندرية ولكنه فيما بعد اعتنق مذهب الطبيعة الواحدة فرد البطريرك من المنفى وعقد بمشورته وبمشورة بطرس القصار البطريرك الانطاكي واكاكيوس بطريرك القسطنطينية مجمعاً في هذه المدينة وحكم فيه برفض أعمال المجمع الخلكيدوني فأيد هذا الحكم واثبتته بمرسومه المسمى هينوتيكن « أساس الاتحاد » وكاد ينجح في لم شعث المتنافرين لولا معارضة اسقف رومية ومقاومته كما هو شأن أساقفة رومية الذين كان من دأبهم ان يوسعوا فرجة الخلاف في الكنيسة المصرية لاعتقادهم ان صيدهم لا يجلو الا في الماء العكر . غير ان معارضة اسقف رومية لزينون لم تعد بفائدة فأعز هذا المتأصلين التابعين للبابا ديوسقوروس ورفع شأنهم وكان يحمل الى دير ابي مقار بوادي هيب كل سنة ما يحتاج اليه من القمح وغير ذلك

بمؤتمر القسطنطينية

القسم الرابع

البدع والمدافعات

(١) مجمع أفسس المسكوني الثالث (٢) نسطور (٣) اوطاخي (٤) بدعة

زهبان سيكيني (٥) بدعة مجمع خلكيدون

(١) مجمع أفسس المسكوني الثالث . انعقد سنة ٤٣١ بأمر ثيودوسيوس

قيصر تحت رئاسة البابا كيرلس الاسكندري حضره مائتا اسقف لهاكمة نسطور الذي انكر ان السيدة العذراء والدة الاله وعلم باقنومين في السيد المسيح فحكم المجمع بحرم هذه البدعة وأثبت ان في السيد المسيح اقنوماً واحداً وطبيعة واحدة من بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ثم وضعوا مقدمة دستور الايمان التي هي « نعطمك يا أم النور الحقيقي ونعبدك أيتها العذراء القديسة والدة الاله لانك ولدت مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا . المجد لك يا سيدتنا وملكنا المسيح نخر الرسل اكليل الشهداء تهليل الصديقين ثبات الكنائس غافر الخطايا نكرز ونبشر بالثالوث المقدس لاهوت واحد نسجد له ونمجده يارب ارحم يارب ارحم يارب بارك آمين » ثم أمروا بان يقرأها كل المسيحيين من الكهنة والشعب شيوخاً وصبياناً ورجالا ونساء في الصلوات والقداسات . وبعد ان ثبتوا الكنيسة بالقوانين انصرفوا الى بلادهم

هذا واننا نختتم الكلام على هذا المجمع بقسم من القانون الثامن من قوانينه يتعلق في ادارة الكنائس واستقلالية كل واحدة منها وهو : « لا يجوز لاحد من الاساقفة الوقورين ان يمد يده الى ابروشية غير ابروشيته ليست له من القديم ومنذ البدء تحت رئاسة أسلافه وان كان احد وضع يداً واغتصب ابروشية وجعلها في دائرته فليردها لكي لا يخالف قوانين الآباء ولا يدخل دخان سلطة عالمية تحت برقع الخدمة الكهنوتية ولا نضيع الحرية رويداً رويداً ونحن غافلون . الحرية التي منحها لنا بدمه الخالص ربنا يسوع المسيح محرر جميع البشر فقد رأى المجمع المسكوني ان تحفظ لكل ابروشية حقوقها القديمة القائمة لها منذ الابد سالمة صحيحة وفقاً للعادة المرعية منذ القديم بان كل ميتروبليت له الرخصة ان يحصل على المساواة في الاعمال لصيانتة وان برز احد بقانون يخالف القوانين المسنونة الآن فقد رأى المجمع المسكوني المقدس ان يكون ذلك لاغياً » اهـ

(٢) نسطور . ولد بجرمانيقية المعروفة الآن بمرعش في سورية واطهر

في مبدأ أمره غيرة ضد الاريوسيين والابوليناريوسيين حتى ارتقى الكرسي القسطنطيني وقال في خطاب يوم رسامته « سلمني أيها الملك الارض خالية من الهرطقة فاسلمك السما » ولكنه كان يخفي تحت هذا التظاهر الكاذب كبرياء شديدة وقال بمضمونهم « ان نستور حارب جميع الهرطقات ليمهد السبيل الى هرطقته » فانه ما عثم ان جلس على الكرسي حتى أخذ يعلم انه لما كان الجزء اللاهوتي من طبيعة المسيح لم يولد من العذراء فلا يحق ان تسبحي أم الله بل والدة المسيح الانسان وقصد بذلك ان يمهد السبيل الى انكار ألوهية المسيح الذي قسمه الى شخصين معلماً ان اللاهوت لم يتحد بالناسوت بل ساءده فقط . وصرح مرة في خطبة قائلا « كيف اسجد لطفل ابن ثلاثة شهور قد سجد له المجوس » وقال ايضاً « كيف يكون لله أم فاذا يستحق المعذرة الحنفاء الذين كانوا يأتون بأهتات اهتهم في ملاعبهم وقد كتب الرسول عن لاهوت المسيح انه بلا أب ولا أم ولا ميلاد . ان مريم لم تلد الها بل ما يولد من الجسد ليس الا جسد وما يولد من الروح فهو روح . ان الخليفة لم تلد الخالق بل ولدت انساناً آلة للاهوت » اه

فالحالما سمع مؤمنو القسطنطينية هذا الكلام من نسطور قاموا ضده ونادوا بسقوطه ولكنه تشبث بخطائه وأتاه مرة بعض الرهبان يعلنونه عدم مطابقة اعتقاده للأيمان القديم فأمر بسجنهم في الكنيسة وأمر خدامه بنزع ملابسهم وضربهم فصاروا يرفسونهم ويلطمونهم واوثقوهم بعامود ثم هشموا اكتافهم وطرحوهم على الحضيض وكانوا يضربونهم على بطونهم ولما انتشرت بدعته قاومها البابا كيرلس كما ذكر وقرر حرمة واني الى ديره الاول على يرعوى عن غيه فلم يقلع عنه بل صار ينفث سمومه برهبان ذلك الدير ولذلك نفي الى أخميم بصعيد مصر واخيراً مات ذلك الشقي بغوايته وقيل انه لشدة يأسه كسر رأسه

أما اتباع نسطور فاهتموا بنشر بدعته بعد موته وأسسوا لهم مدرسة بالرها ثم طردوا منها فلجأوا الى نصيبين وشرطنوا لهم رئيساً اطلقوا عليه لقب « جاثليق » واستمروا يذيعون بدعتهم ويوجد منهم لليوم فريق في جبل سنجار

على حدود العجم وفي ملبار بالهند

(٣) اوطاخي . كان راهباً متراًساً على دير بالقرب من القسطنطينية به ٣٠٠

راهب وكان قد قاوم نسطور واساقفته ببسالة وشكاه لمجمع أفسس حيث ذهب بشخصه ليشهد على ضلاله ولهذا كان اصداقاً البابا كيرلس يعتبرونه من المحامين عن الايمان . وفي سبيل المدافعة عن مقام المسيح ضد نسطور تطرف في التعبير عن طبيعته فقال ان طبيعته الناسوتية اندمجت في اللاهوتية وحرّم هذا التعليم في المجمع الافسسي الثاني سنة ٤٤٤ م الذي ترأسه البابا ديوسقوروس الا ان اوطاخي اعترف بايمان مجمع نيقية فخل من حرمة وقام بنشر مذهبه الاكثبارسوما وتلميذه صموئيل بين الارمن سنة ٤٦٠ م الا ان السوريين تركوا بعدئذ نظام التعليم الاوطاخي بفضل جهاد الآب بطرس القصار البطريرك الانطاكي

(٤) برعة رهبان سكيتي . ومؤداها ان الله ذو صورة بشرية واعضاء

جسمية . وقد كان من انصارها راهب اسمه سراييون قد بلغ من الكبر عتياً وكان مبجلاً معتبراً في ديره ببرية شبهات وهذا كان يعبد الله كأنه انسان بمصر اللفظ . ولبت على اعتقاده هذا مدة من الزمن حتى وقعت بينه وبين رئيس الدير وشماس عالم مباحثة اقتنع منهما بخطائه . واهل هذه البدعة سلموا بها من سقم فهمهم للكتاب المقدس وأخذهم بمعناه الحرفي وتفسيرهم لما جاء فيه عن الله كأن له عين أو أذن أو يمين أو شمال أو وجه الخ تفسيراً حرفياً . ولما اقتنعوا بوجوب تفسير بعض اقوال الكتاب روحياً اقلعوا عن بدعتهم الوخيمة

(٥) برعة مجمع فلكيرون . وهو ان للسيد المسيح طبيعتين ومشيتتين

وهو اعتقاد يقرب القائلين به الى مذهب نسطور المبتدع القائل بشخصين في السيد المسيح . وليس من ينكر ان الكاثوليك يعتقدون ان المسيح اثنان لان اصطلاحهم على القول بان المسيح اقنوم الهي بحت لا ينفي اعتقادهم بانه اثنان بعد قولهم انه كيانات وشيئات وذاتان وطبيعتان بل لا ينفي قول لاون اسقفهم

في طومسه المشهور « وحقاً يأتي المسيح اثنان (اثنين) الاله والانسان » (١)
أما الذين يخشون من ان التسليم بطبيعة واحدة في السيد المسيح يجرهم الى
الاعتقاد بالاختلاط والامتزاج فليسمعوا قول القديس ساويرس الانطاكي « اننا
اذا قلنا بطبيعة واحدة للسيد المسيح من طبيعتي اللاهوت والناسوت نقول
ايضاً ان ذلك يكون بغير امتزاج ولا اختلاط ولا فساد بل مع بقاءهما على
ما كانتا عليه فطبيعة الانسان من طبيعتي النفس والبدن وطبيعة الجسم من
طبيعتي الهيولي والصورة من غير ان تنقلب النفس بدنًا ولا الهيولي صورة
وبالعكس » اه {٢}

والغريب ان الباباويين الذين ينكرون وحدة المسيح الطبيعية في الوقت
نفسه يسلمون بها باعتقادهم ان السيدة العذراء هي أم الله لان اعتقادنا بان
العذراء هي أم الله هو عين الكفر ان لم نسلم بطبيعة واحدة في المسيح وفي
ذلك يقول أحد الآباء سائلا المخالفين « هل ولدت مريم الها أم انساناً فان قاتم
الها ضللتم لأن الله لا يولد وان قاتم انساناً كانت أم انسان لا أم اله وذلك
تنكرونه وان قاتم ولدت الها وانساناً كانت أم اله وانسان فلها ابنان احدهما
اله والاخر انسان وهذا قول ينقضه العقل ويزينه فاذاً لا يصح الا ان تقولوا
ان الاله والانسان صارا واحداً ولذلك مريم ولدت واحداً فالذي ولدته لا الها
بالاطلاق ولا انساناً بالاطلاق ولا الها وانساناً بل الها متأنساً وهذا هو الحق » اه
وليس من ينكر ان الكنيسة الرومانية قبل الانشقاق وبعده أحياناً كانت
تسلم برأي الكنيسة القبطية أي بطبيعة واحدة للسيد المسيح واليكم شهادة صاحب
كتاب « تاريخ الانشقاق » وهو أحد كهنة كنيسة الاروام الارثوذكس التي
تتفق مع الكنيسة الباباوية لامعنا في هذه القضية قال في ج ١ ص ١٩٢ « وكان
معلمو الغرب على الغالب متفقين مع الاسكندرانيين في المنهج والتعبير كما يتضح
من رسائل يوليوس بابا رومية الى ديونيسيوس اسقف قبرص في اواسط القرن

(١) راجع كتاب اعمال مجمع خلقيدون المطبوع بالمرية برومية سنة ١٦٩٤ م (٢) مختصر
تاريخ الدول لابن العبري ص ١٤٧

الرابع حيث ينكر الاعتراف بطبيعتين استناداً على قول الأنجيل « والكلمة صار
بشراً » وقول بولس « رب واحد يسوع المسيح » ويعترف بطبيعة واحدة
للاهوت الغير المتألم والناسوت المتألم » اه

والاسقف الروماني انوريوس في سنة ٦٢٥ م دافع عن مشيئة واحدة في
السيد المسيح بشهادة مؤرخي الكاثوليك انفسهم فقال ليفونسيوس ليكوري أحد
الذين يعترفون بقداستهم في كتابه « تاريخ الهرطقات » ص ١٠٨ ان انوريوس
قال « اننا نعتقد مشيئة واحدة في المسيح لان اللاهوت لم يأخذ خطيئتنا بل
طبيعتنا كما خلقت قبل انفسادها بالخطية » اه وقال ليفونسيوس أيضاً « ان البعض
من المؤرخين الكاثوليك استنتجوا من هذا ان انوريوس سقط في هرطقة
المونوتوليتين » اه وشهد بذلك أيضاً المعلم لومنداليسوعى مؤلف كتاب « خلاصة
تاريخ الكنيسة » ج ١ ص ٢٨ و ٢٨٩

ووافق انوريوس على الاعتقاد بمشيئة واحدة أسقف روماني آخر وهو يوحنا
الرابع سنة ٦٤٠ م كتب للملك قسطنطين الثاني يحامي عن انوريوس يقول « ان
البعض كانوا يعتقدون ان في يسوع المسيح ارادتين متضادتين فلهؤلاء أجاب
البابا انوريوس ان يسوع المسيح الأله الكامل والانسان الكامل اذ أتى ليصلح
فساد الطبيعة البشرية فقبل به وولد دون خطيئة وكذلك لم تكن مشيئتان
متضادتان ومشيئة جسده لم تضاد قط مشيئة روحه » (تاريخ الهرطقات
ص ٣٠٩)

وقال ليفونسيوس أيضاً تعليقا على ذلك « لاننكر ان انوريوس أخطأ اذ أمر
بالصمت على من يقول ان في المسيح مشيئة واحدة لانه متى كان الكلام في ضلال
فالامر بالصمت عنه يكون نفس محاماة الضلال وحينما وجد الضلال وجب اشهاره
ومصادمته وبهذا قام نقص انوريوس » (الهرطقات ٣٠٩) اه فهاقد رأينا ان أعظم
قديسي الكنيسة الكاثوليكية يجاهر بخطأ ونقص أحد باباواتها فاين اذاً تلك
العصمة الموهومة ؟

وجاء في كتاب « الايمان الصحيح في السيد المسيح » ص ١٤٢ الذي ألفه
اسقف روماني خطابا لرؤساء كهنة القبط والحبس والارمن والسريان يستدعيهم

به الى الانضمام لرأيه في الطبيعة والمشيئة ما نصه :- « ان الكنيسة الكاثوليكية تطعن بالحرم من لا يمتقد بان المسيح هو طبيعة واحدة للكلمة المتجسدة وانما سألت اين يوجد هذا الحرم اجيبك على الفور كما تدون في المجمع الانزاني المنعقد بامر القديس مرتينوس البابا سنة ٦٤٩ م في القانون الخامس بهذه الالفاظ « من لا يمتقد بموجب رأي الآباء القديسين انها موجودة طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة في المسيح خاصة وحقاً دلالة على ان المسيح الاله اخذ جوهرنا كله كاملاً ما عدا الخطيئة فليكن محروماً » اه والادهى ان هذا القانون لم يصدر قبل المجمع الخلسكيدوني بل بعده وهو يدل صراحة على ان الكنيسة الباباوية كانت تحرم من لا يقول بطبيعة واحدة في المسيح

وقال صاحب كتاب « تاريخ الهرطقات » عن المسيح ليله آلامه « فاني كان الناسوت وحده قد اطاع وصلى وتألم واذا لم تكن مقدمة المسيح وصلاته وتوسطه افعالاً صادرة عن الكلمة بل عن الناسوت فقط بنوع ان الاتحاد اقنومي لم يساعد بشيء ليكون مبدأ افعاله كاملاً فينتج من ذلك ان ناسوت المسيح كان يفعل من ذاته وان كان الامر كذلك فيجب ان يقال انه كان حاصلًا على قيام بنفسه وكان له اقنوم خاص متميز عن اقنوم الكلمة وها هو ذا في المسيح اقنومان كما يزعم نسطور » اه فليسمع الباباويون قول قديسهم هذا الذي نقض به رأي برويار اللاتيني الذي كان يزعم ان ناسوت مخلصنا وحده اطاع وصلى وتألم وان تقدمته وصلاته وتوسطه لم تكن افعالاً صادرة عن الكلمة كأنه مبدأ طبيعي وفعال بل انها كانت افعال الناسوت خاصة وانه في مدة وجوده في القبر بطل ان يكون ابن الله الى غير ذلك من الآراء المرذولة التي كان يمكنه ان يوفر على نفسه تعب الرد عليها بتلك المحاولة اذا سلم بوحدة المسيح الطبيعية

وفي كتاب « اعتراف الآباء » المعتبر بكنيستنا القبطية طائفة كبيرة من شهادات الآباء العظام المعترف بقداستهم من كل الكنائس المسيحية تشهد بطبيعة واحدة للسيد المسيح فننقل بعضها عن كتاب « تمح العبير » ص ٢٠٦ - ٢٢٦ :-
قال القديس اغناطيوس البطريرك الانطاكي الاول الشهيد في رسالة له « نحن نؤمن ان المسيح الاله تألم بالجسد كالانسان وهو غير متألم كالاله وذاق الموت

بالجسد وهو غير مائت كالاله فاذا سمعت ان الله تألم عنا وان الله الكلمة مات
لاجلنا فافهم انا نوصل الطبائع الى وحدانية اللاهوت واللاهوت «
وقال القديس اغريغوريوس المجائبي من كتاب له في الامانة «الله الحقيقي
الغير جسد ظهر في الجسد وهو تام في اللاهوت الحقيقي الكامل ليس هو شخصين
ولا هو طبيعتين ولا نقول انا نعبد رابوعاً الله وابن الله وانساناً والروح القدس
ومن أجل هذا نحرم المنافقين «

وقال القديس اثناسيوس الرسولي من مقالة له على التجسد الالهي وقد استشهد
بها القديس كيرلس الاسكندري اكثر من مرة وهي واردة في تاريخ المجمع
الافسسي دفتين في الجزء الاول والثالث « وليس نقول عن هذا الابن الواحد
انه طبيعتان واحدة نسجد لها والاخرى لانسجد لها بل طبيعة واحدة لله
الكلمة المتجسد «

وقال ايضا في رسالته الى ابيكتيتوس وقد استشهد بها القديس كيرلس وتحررت
في تاريخ المجمع المسكوني الثالث الافسسي دفتين في الجزء الثاني والثالث هكذا
« وكيف يتجاسر الذين يدعون مسيحيين على أن يشكوا في هل ان السيد الذي
ولد من مريم هو ابن الله بالجوهر والطبع وانه بحسب الجسد هو من زرع داود
من جنس القديسة مريم ومن هم الذين يتجاسرون بهذا المقدار حتى يقولوا ان
المسيح الذي تألم وصلب بالجسد ليس هو برب ولا بمخلص ولا اله ولا ابن الآب «
وقال القديس باسيلوس الكبير في تفسيره قول الحكيم « ان الرب خلقني «
« وليس انا نقول على الابن الوحيد انه اثنان ولا نقول ان اللاهوت (منفرد)
بذاته ولا اللاهوت بذاته بل نقول طبيعة واحدة واقنوماً واحداً «

وقال القديس اغريغوريوس اخو باسيلوس المشار اليه في مقالة له على عماد
سيدنا وصوت الآب الشاهد له بالنبوة هكذا : — قال (اعني الله الآب) « هذا
هو ابني الحبيب الذي به سررت « ليس هو ابني وآخر ابن مريم « ليس هو واحداً
الذي ولد في المغارة وآخر غيره سجدت له المجوس . له هو الذي اصطبغ وغيره
لم يصطبغ بل هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت «
وقال القديس يوليوس اسقف رومية الموما اليه في رسالته المذكور انه

ارسلها الى ديونيسيوس اسقف قبرص في اواسط القرن الرابع « وبالضرورة يلزم الذين يعتقدون بطبيعتين أن يسجدوا للواحدة ولا يسجدوا للاخرى وان يعتمدوا بالتي للاهوت ولا يعتمدوا بالتي للناسوت ولكن ان كنا نعلم بموت الرب فهي طبيعة واحدة نعرف بها للاهوت الغير المتألم والجسد المتألم لكي تكون صبغتنا هكذا في الله وتكمل بموت الرب »

وقال القديس غريغوريوس النريزي الناطق بالالهيات في مقالته على اللاهوت « هو ابن واحد وليس المسيح طبيعتين بعد الاتحاد ولا مفترقا ولا مختلطاً في ما اجتمع من الجهتين طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت اجتمعتا الى وحدانية وصارتا واحداً »

وقال القديس العظيم يوحنا الذهبي فه في المقالة الثالثة من تفسيره رسالة افسس « ولكني أبين الامر ان الله الكلمة اخذ الانسان كله من طبيعتنا وهو كامل في كل شيء وله اقنومه فيه اعنى الكلمة فلاجل هذا نقول عنه انه طبيعة واحدة الله الكلمة صار جسداً »

وقال القديس ثاودوطس اسقف انكوريا من خطبة له على الميلاد السيدي وتليت خطبته هذه في المجمع الافسسي المقدس وسجلت بالجزء الثالث من تاريخ المجمع المشار اليه « لان الذي اتحد لا يسمى اثنين بل واحداً وان قسمتهما بالعقل وتأملت كل واحد منهما بمفرده فقد حلت الاتحاد والوحدة »

وخير ما نختتم به هذه الشهادات شهادة البابا كيرلس الاسكندري في ختام كتابه الى ثيودوسيوس قيصر « اننا لانعري الناسوت من اللاهوت ولا نعري الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامض الذي لا يمكن تفسيره بل نعرف بان المسيح الواحد هو من شيتين قد اجتمعا الى واحد مؤلف من كليهما لا يهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما بل باتحاد شريف في الغاية بوجه عجيب » اهـ



القرن السادس

القسم الاول

تاريخ البطارقة

(١) يوحنا ٢ (٢) ديوسقوردوس ٢ (٣) تيموثاوس ٣ (٤) ثيودوسيوس ١

(٥) بطرس ٤ (٦) دميان

.....

(١) يومنا ٢ - البطريرك الثلاثون . قضى بضع سنين راهباً قبل رسامته مقيماً في دير الفار الذي كان على مقربة من بلبيس (بديرية الشرقية) وكان يلقب بالحبيس بالنسبة لبقائه مترهباً في مكان واحد مدة طويلة . وكان ذا قرابة بسلفه البابا يوحنا الاول . وحال ارتقائه الكرسي المرقسي في باؤنه سنة ٢٣٤ ش ٥٠٧ م في عهد اناستاس قيصر كانت الكنيسة المصرية قد أخذت قسطها من الراحة والحرية فأتسع نطاقها واستردت ما فقدته من المراكز الدينية بسبب الاضطهاد . وتلقى هذا البابا عقب جلوسه على السدة البطريركية رسائل عديدة من رؤساء الاساقفة الارثوذكسيين يهنئونه بوظيفته ويؤيدون له الاعتراف بالايمان الصحيح ويرفضون كل هرطقة خصوصاً هرطقات نسطور وأوطاخى وابوليناريوس معترفين بوحدة المسيح الطبيعية

وكانت الرسائل متبادلة على الأخص بينه وبين بطريرك انطاكية المدعو ساويرس الذي اشتهر بالتمسك بالطبيعة الواحدة وبمقاومة مجمع خلقيدون . وكان قبل رسامته مقيماً في الاسكندرية ثم اختير بطريركياً لانطاكية . وقد أسف

القيصر فيما بعد لتعيينه اياه بطريركاً على انطاكية لانه كان لا يعرف للتسامح في عقيدته معنى وقد حاول القيصر ان يجعله يتنازل عن مبدائه سواء بالقوة أم بالدين فلم يجد الا الآباء الشديد

فأرسل الانبا ساويرس بطريرك انطاكية هذا الذي جلس على كرسي القديس اغناطيوس الكبير سنو ديقاً الى البابا يوحنا الاسكندري بالانحداد في الامانة وبيشر فيها بالاتفاق بينهما في الأمانة الواحدة الارثوذكسية التي للآباء القديسين . فقبلها البابا يوحنا شاكرآ هو واساقفته وقرأوها في كنائسهم وفي جميع أنحاء الكرازة المرقسية واصعدوا صلوات وشكروا السيد للمسيح الذي أعاد الاعضاء المقطوعة الى مواضعها . وكتب ايضاً البابا يوحنا الى القديس ساويرس جواباً يشرح فيه الامانة المستقيمة ففرح به هذا الآب فرحاً عظيماً . وأقام البابا يوحنا بطريركاً احدى عشرة سنة وتنيح في الثاني عشر من بشنس سنة ٢٤١ ش و ٥١٧ م

(٢) ديوسقوروس ٢ - البطريرك الحادي والثلاثون . ولما تنيح البابا

يوحنا كان له كاتب يدعى ديوسقوروس ابن عم البابا تيموثاوس الأول . وكان رجلاً كاملاً محبوباً من الشعب حتى طلب القيصر نفسه تعيينه . الا ان الكنيسة القبطية لم تكن لترضى مطلقاً بتداخل القياصرة في انتخاب بطاركتها . فهدأ ديوسقوروس خواطر الشعب بوعدده اياهم برفض تعيين القيصر ويسلم ذاته لهم لينتخبوه او لا ينتخبوه حسب ما يتفق مع ارادتهم ومع قوانين الكنيسة . فلبث المصريون مدة دون ان يرسموه حتى هدأت الاحوال فأقيم بطريركاً بكنيسة مار يوحنا وتمت رسامته في شهر هاتور سنة ٢٤٢ ش و ٥١٧ م في عهد اناستاس قيصر باحتفال عظيم . وقام البطريرك بالخدمة وتناول الاسرار المقدسة .

وقد امتدح المؤرخون هذا البابا بالنسبة لحسن تصرفاته وجميل طباعه التي يندر من يتصف بها . وعقب رسامته مباشرة كتب رسالة الى الآب ساويرس يذكر له فيها نياحة البابا المغبوط يوحنا وجاوسه بعده على الكرسي الرسولي .

فكتب اليه يعزيه ويعلمه انه مشترك معه في الامانة المستقيمة التي ينبغي
للمداومة على التعليم بها والمحافظة عليها

وحدث ان القيصر اناستاسيوس غضب على قوم بالاسكندرية يخاف الجميع
وطلبوا من البابا ديوسقوروس ان يذهب لمقابلة القيصر في القسطنطينية ويتوسط
لديه حتى يرضى عليهم . فسافر البطريرك الى القسطنطينية وتمكن من الحصول
على عفو عام للجميع . وقيل ان هذا البابا الموقر صادف تعديات كثيرة واهانات
مرة من انصار مجمع خلكيدون في القسطنطينية ولكنه احتملها بصبر تام ولم
يرد ان يجاوب اولئك الاشرار بكلمة واحدة بينما كانوا يوجهون اليه قوارص
الكلام اثناء مروره في شوارع القسطنطينية العمومية

ولم تطل حياة هذا البطريرك العظيم فلم يلبث على الكرسي البطريركي سوى
ثلاث سنين وفي قول آخر سنة واحدة ونصف وتنيح في السابع عشر من بابه
ولحق بابائه في سنة ٢٤٤ ش و ٥٢٠ م

(٣) نيموثاوس ٣ - البطريرك الثاني والثلاثون . اختير للكرسي

البطريركي في هاتور سنة ٢٤٤ ش و ٥٢٠ م في عهد يوستينوس قيصر الاول لما
اتصف به من التعقل والحكمة وكان من المتمسكين بوحدة المسيح الطبيعية
والمتعصبين ضد مجمع خلكيدون نظير ساويرس بطريرك انطاكية ولذلك جدد
منه العلاقات حال استلامه مقاليد الرئاسة وحرر له رسالة متضمنة الايمان
الصحيح . واتفق بعد سيامته ان توفي انستاسيوس القيصر المؤمن وأقيم بعده
رجل رديء من انصار مجمع خلكيدون اسمه يوستينوس سنة ٥٢٧ م ، فلما جلس
على كرسي القيصرية بذل جهده ليعيد كل المؤمنين الارثوذكسين الى اعتقاد مجمع
خلكيدون ووجه نظره بالخاص لمسيحي مصر قاصداً اضطهادهم لانهم كانوا
اكثر من غيرهم كراهة للمجمع خلكيدون ورسالة لاون . وعين لذلك قوة عسكرية
وفدت على الاسكندرية لكي ترغم أهلها على قبول قرارات المجمع الخلكيدوني
ولما عرف البابا نيموثاوس الخطر المحقق برعيته أرسل وفداً الى القيصر يطلب
منه الغاء هذه الاجراءات خوفاً من حدوث ثورة تصطك من هولها الركب .

وتقابل هذا الوفد مع امرأة القيصر وكانت على مذهب المصريين فأقنعت القيصر بالمدول عما دبره بخصوص ذوي الطبيعة الواحدة فقبل وأرسل الاوامر الى جيشه بمبارحة الاسكندرية والذهاب الى اقاليم شمالى افريقيا الغربية ولكن القيصر عاد فيما بعد وشرع في عقد مجمع بالقسطنطينية الغرض منه اجبار الارثوذكسيين على اعتناق مذهب الخلكيدونيين ودعا اليه جميع رؤساء الكنائس فحضر منهم كليسوس اسقف رومية وابوليناريوس الذي صيره القيصر بطريركاً ملكياً على الاسكندرية. فيما بعد واوطيخوس بطريرك القسطنطينية والاساقفة الذين تحت ايديهم

وكان اول من حتم عليهم القيصر بحضور المجمع البابا تيموثاوس بطريرك الاسكندرية وساويرس بطريرك انطاكية . فأما البطريرك الاسكندري فلما كان يعلم غرضه السيء ابي قبول هذه الدعوة واستمر في مركزه مديراً رعيته . فهاج لذلك غضب القيصر وأمر بالقبض عليه لينفى فتعرض لهذا الامر الارثوذكسيون وهددوا كل من يمد يده الى بطريركهم . فأمر الملك والى الاسكندرية بان يردم بالقوة فحدثت اذ ذاك مجزرة عظيمة أسفرت عن قتل عدد عظيم من الارثوذكسيين وبذلك أمكن للوالي القبض على البطريرك ونفيه . فاستمر ثلاث سنوات في المنفى قاسى فيها شدايد عظيمة جداً وبعدها رجع الى مركزه

أما الآب ساويرس بطريرك انطاكية فانه قبل دعوة القيصر لحضور المجمع في القسطنطينية وذهب اليه ومعه بعض علماء الاساقفة منهم فيلو كسينوس اسقف مابوغ . فلما وصل الى القسطنطينية اكرمه الملك في البداية اكراماً عظيماً فلاناً انه بذلك يستجابه الى الخلكيدونية ويساعده على تعميم اعتقاد طومس لاون . ولكنه لما جاء يوم انعقاد المجمع حضر جميع الاساقفة الى الآب ساويرس الشجاع فقال ان لم يجرموا اولاً طومس لاون والمجمع الخلكيدونى المرذول فلا أقبل الاجتماع مع أحد . ففي الحال أمر القيصر باضطهاده فنزلت عليه البلايا وحلت به الشدايد والقي في السجن هو وبعض اساقفته والبعض الآخر نفي واقام مكانه رجل خلكيدونى المذهب يدعى بولس . وبعد سنتين افرج عنه بسؤال الملك ثيودوره المؤمنة فهرب من القسطنطينية وجاء القطر المصرى فقابله البابا تيموثاوس

بكل احترام وخوفاً من سطوة الحكومة كان يهرب من مدينة الى مدينة ومن دير الى دير حتى انطلق أخيراً الى مدينة سخا (بمديرية الغربية) واختفى في بيت ارخن (١) يدعى درتاوس كان مشهوراً بالاهتمام بامور الشيوخ والرهبان الذين رفضوا ضلال يوليانوس الهرطوقى وكان الاب ساويرس يكاتب الاساقفة أصحابه الذين بالاسكندرية ويمزبهم ويصبرهم ويوصيهم ان يثبتوا على الشدايد.

أما البابا تيموثاوس فبعد رجوعه من منفاه لبث مستمراً على مبادئه الارثوذكسية حتى ظهر يوليانوس الاليكريشي من القسطنطينية وأخذ في نشر بدعة اوطاخي فخرمه وفصله من شركة الكنيسة . وخرج الآب ساويرس من مكمنه واشترك مع البطريك الاسكندري في مقاومة هذه البدعة وكتب الآب ساويرس رسالة الى يوليانوس يفند له فيها بدعته . ثم قضى البابا تيموثاوس ما بقى من حياته مجاهداً في سبيل الامانة المستقيمة مشتركاً مع الآب ساويرس ودحض جميع مقالات يوليانوس . وكانت مدة مقامه بطريركا على كرسي الاسكندرية سبع عشرة سنة وتوفى في الثالث عشر من امشير سنة ٢٦٠ ش و ٥٣٦ م

(٤) تيموثاوس ١ - البطريك الثالث والثلاثون . وبأمر الله اجتمع

الاساقفة والشعب الارثوذكسى بعد نياحة البابا تيموثاوس الثالث وبتدبير السيد المسيح اتفقوا على اختيار الآب ثيودوسيوس لكرسي البطريركية . في ابيب سنة ٢٦٠ ش و ٥٣٦ م في عهد يوستينيانوس قيصر الاول وكان معروفاً بالعبقريته مشهوراً بالنبوغ في العلوم الكنسية . وبعد رسامته عقد جمعاً حرم فيه جمع خلقيدون ورسالة لاون وسائر الهرطقة وخصوصاً يوليانوس الذي كان ينفت سمومه في القويبي الرأي حينئذ بالديار المصرية . فاغتاظ يوليانوس وأراد ان يدبر له مكيدة . فوقع نظره على ارشدياقن البيعة الاسكندرية . وكان رجلاً طاعناً في السن يدعى قيانوس وكان قائماً وقت رسامة البابا ثيودوسيوس بطريركا مع الاساقفة والكهنة واستمر في البيعة حتى نصبوه وكتبوا تقليده وقدموه لرتبة الرئاسة على الكرسي الرسولي وكمالوه باتفاق جميع الشعب للمسيحي المحب لله .

فاحتال يوليانوس الطرطوقي وبعض الاشرار نظيره على قيانوس هذا وخذعوه بقولهم له انه كان ينبغي ان تكون رتبة البطريركية له لاسواه واستتمروا يغشونه حتى اغتر بأقوالهم الرديئة وسمح لهم ان يأخذوه الى بيت قس رديء الفعل محب للمال يدعى ثيودوروس وهناك رسموا قيانوس بطريركا . ثم مضى يوليانوس الطرطوقي الى صديقه يوحنا والي الاسكندرية وأجزل له الهدايا ورشاه بالأموال حتى رضي بطرد ثيودوسيوس البطريرك من كرسي الاسكندرية وأخفى اولئك الاشرار عن الوالي ما دبروه بخصوص اقامة قيانوس مكانه . ثم قاموا في الحال وعزموا على الهجوم على البطريرك ليلا . وبينما كان القديس في تلك الليلة قائماً بصلاة نصف الليل اذا به يسمع ضجعة عظيمة ادرك منها عظم الخطر المحيط به فخرج من مخدعه حالاً وهرب الى جهة حرمانوس ومكث هناك ستة شهور دون ان يعلم القيصر بكل ما جرى

وقد صادف البابا ثيودوسيوس متاعب حجة من اولئك الأوباش أي قيانوس المخالف ومن معه . وكان الوالي مجتهداً في انقاذه منهم خوفاً من اغتيالهم له فتشاور مع بعض الآباء وانزلوه في مركب في البحر ومضوا به الى قرية ملبج من اعمال مصر واجتمع في الاسكندرية حينئذ ثلاث فرق من المسيحيين احداها (المستقيمو الرأي) وقد نسبوا لبطريركهم المنفى ودعوا بالثيودوسيين والثانية (الخياليون) اتباع يوليانوس وسلفه اوطاخى والثالثة (الملكيدونيون) أو الملكيون التابعون لمذهب المملكة

واستمر البابا ثيودوسيوس سنتين في منفاه حتى قلق الارثوذكسيون وطلبوا من الوالي بالحاح ان يعيده لهم فخاف منهم واخرج قيانوس من المدينة وأرسل يخبر الملكة الارثوذكسية بذلك . فلما بلغ الخبر مسامع الملكة كلت زوجها بحكمة محدثة اياه بكل ما جرى للبابا ثيودوسيوس . ففرح القيصر في قلبه بما حل بمن لم يشاركه في أمانته الفاسدة الا انه ترك الحرية لزوجته تعمل ما تريد . فتصرفت الملكة بتعقل وأرسلت الى والي الاسكندرية تستخبر منه عن قانونية رسامة ثيودوسيوس

فجاء رسل الملكة الى الاسكندرية وحال وصولهم اخبرهم الوالي وكل من نال

رشوة من قيانوس ان رسامة قيانوس حق وانه هو الاولي في الرسامة . غير ان قولهم لم يثبت اذ اجتمع نحو مائة وعشرين رجلا من الكهنة ومقدمي المدينة وكتبوا تقريرا يعترفون فيه بقانونية بطريركية ثيودوسيوس . ثم اجتمعوا يرسل الملكة في البيعة واجتمع معهم جميع اهالي الاسكندرية وأخذوا يستفهمون من جميع الحاضرين عن ثيودوسيوس وهل رسامته شرعية فاجمت كلمة الكل على صحتها وانها تقدمت رسامة قيانوس بشهرين . وبينما هم يبحثون حضر قيانوس نفسه امام تلك الهيئة واعترف بالحقيقة طالبا الصفح عن تعديده ووضع توقيعه مع المعترفين وصرح بانه خادم مطيع للبابا ثيودوسيوس وانه يرتضى بان يكون ارشديا قنأ كما كان . ففرح الجميع بذلك بمجددين الله وزاد سرورهم برجوع بطريركهم المغبوط اليهم بسلام

ولما رجع البطريرك الى كرسيه خضع قيانوس له ثم تقدم بالشكر لرسول الملكة وارسل معهم رسالة للقيصر وامراته يخبرهما فيها بكل ما جرى فلما وصل الرسل وسلخوا الرسالة للقيصر واطلع على كل ما فيها اضطربت افكاره الخلكيدونية وقال في نفسه هوذا انا سلمت كرسي الاسكندرية لثيودوسيوس ولكني لا اضمن مساعدته لي على تعميم عقيدتي ولو اضفت الى كرسيه جميع ولايات افريقية . وفي الحال املى عليه الشيطان كتابا لوالي الاسكندرية ومقدميها وللبابا ثيودوسيوس ليجهنمه فيه الى اعتقاد مجمع خلكيدون وطومس لاون ويساعده على نشره ووعدته مكافأة على ذلك ان يمنحه كرسي البطريركية والولاية في مصر ويكون جميع اساقفة افريقية تحت طاعته . ثم هدده بأنه اذا لم يطع ولم يرض فليخرج من البيعة ليمضي الى حيث يشاء

فلما قرأ البابا المجاهد المغبوط البطريرك ثيودوسيوس المعترف بالمسيح كتاب القيصر هتف امام رسل الملك والوالي والجمع المحتشد قائلا « ان ابليس أخذ السيد المخلص واصعدته على جبل عال وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له كل هذه اعطيكها ان سجدت لي . هكذا اتم اتيتم تعدوني بان اصير غريبا عن المسيح الملك الحقيقي حبا في مجد الدنيا الباطل » ثم رفع يديه امام الجميع وقال « بالحقيقة احرم طومس لاون ومجمع خلكيدون وكل من يعترف بهما فهو محروم من الآن

والى الابد آمين » ثم قال للوالي ولجميع جيش القيصر « ليس لمولاكم سلطان الا على جسدي الفاني ولكن نفسي في يد مخلصي والآن هوذا البيع وكلما فيها امامكم ومهما اردتم فافعلوه وأما انا فتابع لايمان آباي الذين تقدموني اثناسيوس وكيرلس وديوسقوروس وتيموثاوس وغيرهم الذين صرت انا نائباً لهم بغير استحقاق » ثم قام وخرج وقال « من كان يحب الله فليتبعتني » فخرج وراءه الارثوذكسيون . ولم يشأ الوالي ان يقبض عليه بل تركه يذهب الى حيث يشاء كأمر القيصر فخرج من المدينة وقوة السيد المسيح ترشده بل ان الوالي نفسه اهتم بأمره وأعد له كل ما يحتاج اليه وجمعه في مركب الى صعيد مصر حيث أقام هناك اربع سنين يعلم الشعب والسكينة والرهبان في الديارات ويثبتهم على الامانة الارثوذكسية ويصبرهم على احتمال الاضطهاد حتى الموت

أما رسل القيصر فرجعوا اليه واعلموه بانخبر فاندعش هو وجميع رجال بلاطه من ثبات ثيودوسيوس على أمانته ورفضه كل تلك الهبات . وأقام القيصر عوضاً عنه رجلاً يدعى بولس النيسى وكان هذا الرجل اجنبياً عن مصر شب ودب في طرسوس . وبدون ان يعلم المصريون من أمره شيئاً رسمه القيصر في القسطنطينية فصار هذا الرسم قاعدة لبطاركة الملكيين ان يرسموا بالقسطنطينية ويسيروا للاسكندرية . وقد تم هذا كله سنة ٥٤١ م . وجاء بولس الى الاسكندرية تجرسه قوة عسكرية هائلة ولكن المصريين لم يقبلوه ولم يعباؤا به ولم يحسبوا لوجوده بطريقا عليهم أدنى حساب ولم يفتاحه أحد منهم بكلمة واحدة بل كانوا يلقبونه يهوذا الثاني . ولم يكونوا يعرفون لهم بطريقا آخر سوي ثيودوسيوس المنفى الذي كانوا يطيعونه ويخضعون لاوامره التي كان يرسلها اليهم

واستمر بولس سنة على هذا المنوال حتى اضطر أخيراً ان يخبر القيصر بان المصريين يهربون منه كما يهرب الحمل من الذئب . فرد عليه القيصر بكتاب يأمره فيه أن يغلق ابواب البيع التي بمدينة الاسكندرية ويختم عليها بخاتمه ويجعل عليها حراساً حتى لا يدخلها أحد مطلقاً . وقنع بوليس من الرئاسة بوضع يده على الكنيسة الكبرى الممماة بالكنيسة القيصريّة ثم استحوذ بمساعدة الجيش على عدة كنائس مهمة غيرها .

أما المسيحيون فلما سمعوا بأمر قفل الكنائس حزنوا حزناً مفرطاً ومكثوا سنة كاملة بدون ان يصلوا في كنيسة ما ولم يكن يعزيهم ويصبرهم سوى كتب بطريركهم المنفي التي كانت ترد اليهم بين آن وآخر . ولما زاد قلقهم اجتمعوا وتشاوروا في بناء بيعة فتم لهم ذلك وبنوها بقوة المسيح غربي الاسكندرية في الموضع المعروف بالسواري والصربيون على اسم الانجيليين ثم بنوا كنيسة أخرى شرقي الملعب غربي الاعمدة قليلا على اسمى قزمان ودميان وبنوا كنائس أخرى سموها احداها الكنيسة الملائكية نكاية في الكنيسة القيصرية

فلما علم بذلك القيصر اتقذ وفتح جميع البيع وجعلها تحت سلطات الخلكيدونيين . فلما علم البابا ثيودوسيوس ناح وبكى وطلب الرب من اجل ثبات امانة شعبه وكان يصلي ويقول « يا ربي يسوع المسيح انت اشتريت هذا الشعب بدمك الشريف وانت المهتم بهم فلا تتخل عنهم بل لراعهم عنايتك »

ولم يكن بولس البطريك الدخيل مبعوضاً من المصريين فقط بل من بعض الرومانيين ايضاً بالنسبة لدناءة اعماله . ولما رأى قوة الحكومة تحت يده شرع في ان ينتقم من الجميع . وبدأ اعماله بنقل ايلياس قائد جنود الوجه القبلي الى مكان آخر حتى يضعف قوة الاقباط في الصعيد . فشرع بيوس احد شمامسة الكنيسة الاسكندرية بالأمر فأرسل كتاباً لأيلياس يخبره به فوقع الكتاب في يد أحد اتباع بولس فجاءه به ولذلك أمر بولس بالقبض على الشماس المسكين متهماً اياه باهمال مصلحة الكنيسة وتبديد ايرادها وسلمه الى عهدة درون والي مصر فاستمر يعذبه الى ان أسلم روحه

فرفع اقرباء الشماس بيوس دعواهم الى القيصر فأمر بعزل درون الوالي وعين بدله ليبريوس وأمره باجراء تحقيق دقيق في قضية بيوس ولكن بولس البطريك الدخيل ودرون الوالي السابق أخذ كل منهما يلقي التبعة على الآخر فامضى التحقيق عن ادانة كليهما فحكم بالاعدام على درون وبالنفي على بولس وحكم عليه بالعزل والحرمان من بطريركتي انطاكية واورشليم . وعين القيصر عوضه رجلاً يدعى زيلوس . ولم يكن لهذا البطريك أي اعتبار لدى الاقباط وعاملوه بنفس المهاملة التي عاملوا بها بولس قبله غير معترفين بأحد رئيساً عليهم

سوى ثيودوسيوس .

وحدث ان يوستينوس قيصر توفى وملك عوضه يوستينيانوس وكان أشد كرهاً للارثوذكسين غير انه في مبدأ أمره نهج منهجاً يختلف عن خطة سلفه وأظهر لنا نحوه وأمر باستحضار ثيودوسيوس اليه من النبي وترك له نوعاً من الحرية واذ خاف لئلا يتحول ذلك الى تعميم الارثوذكسية تظاهر بانه يريد عقد مجمع بالقسطنطينية ينهى فيه القضايا التي تدور عليها المنازعات وكتب رسالة مملوءة عطفاً للبابا ثيودوسيوس ووعدته بان لا يلحقه أذى وأوصى حامل الرسالة ان ينطلق به حتى يتقدمه الى العاصمة

فعزم البطريرك على مقابلة القيصر واستعان بقوة السيد المسيح وأخذ معه عدداً من علماء كهنته ولما وصلوا الى القسطنطينية دخل الى القيصر وامرأته فلما طابوا سكينته وتواضعه وفضله استقبلوه حسناً وأنزلوه في مواضع أعدوها له ومن معه . ثم استدعاه القيصر اليه مراراً وهو يكلمه بكل رقة ليستميله الى جانب مجمع خلقيدون ولكنه لم يفلح في تغيير عقيدته . ولما تقابل معه البطريرك ثالث دفعة وأخذ يعده بالكرامة ان هو أطاع رأيه قال له « لاحياة ولا موت ولا غلاء ولا عري ولا سيف يصد قلبي عن أمانة آباي » فغضب عليه الملك وألقاه في احد سجون القسطنطينية مدة وبعد ذلك نجاه واستمر في المنفى حتى ادركته المنية فرقد في الرب بعد ان قضى مدة اثنتين وثلاثين سنة بطريركاً صرف منها ٢٨ سنة في أماكن المنفى ووضع من المقالات والتعاليم في مدة بطريركيته الشيء الكثير . وانتقل بسلام الى السيد المسيح الذي كان يحبه في اليوم الثامن والعشرين من شهر باؤونه سنة ٢٨٣ ش و ٥٦٨ م

وكانت علاقة هذا البابا بالآب ساويرس بطريرك انطاكية متينة للغاية . وكان الآب ساويرس في مدة البابا ثيودوسيوس لازال في بيت دروتائوس المار ذكره وكان هذا الرجل قد امكنه ان يمضي الى ارسطاماخوس الوالي وسأله ان يترأف على شيوخ الرهبان الذين في البرية بان ينعم عليهم ويمكثهم ان يبنوا بيماً عوضاً عما أخذه منهم الهراطقة . وكان الآب ساويرس قد وضع كتباً قهر بها انصار الطبيعتين واستمر مجاهداً طول حياته حتى مر عليه ثلاثون سنة منذ رسم بطريركاً

على انطاكية وهو صابر على اضطهاد المخالفين . ثم تنيح مسروراً بمقابلة المخلص الذي دافع عنه طول حياته

(٥) بطرس ٤ - البطريرك الرابع والثلاثون . لما نفي يوستينياوس قيصر البابا ثيودوسيوس المرة الأخيرة وضع منشورات بحرم بعض مشاهير المصريين والفلسطينيين وارسل لبطريركه زويلوس في مصر ان يوقع عليه فرضي في مبدأ الامر ولسكنه رجع وامتنع فنفاه وعين غيره رجلا يدعى ابوليناريوس الذي أتى من القسطنطينية الى الاسكندرية بلباس قائد ومعه قوة عسكرية لتوطيد رئاسته فلما قدم الاسكندرية ودخل الكنيسة نزع ثياب الجند ولبس ثياب البطارقة وقدس فهم الناس برجه فانصرف وجميع عسكره وأظهر انه أتاه كتاب من الملك يقرأه على الناس وضرب الناقوس في الاسكندرية يوم الاحد فاجتمع الناس للصلاة حتى لم يبق احد فصعد المنبر وقال : « يا أهل الاسكندرية ان لم تتركوا مقالة ديوسقوروس أخاف عليكم لثلاث يرسل القيصر من يقتلكم ويستبيح اموالكم ونساءكم » فهموا برجه وهو على المنبر فأشار الى العسكر فوضعوا السيف فيهم فقتل من الناس عدد كثير وفر منهم عدد وافر الى الديارات بوادي هبيب واخذ الملكيون كنائس المتأصلين وأمر القيصر ابوليناريوس ان يجتهد في مقاومة الارثوذكسين حتى لا يظهر احد من اساقفتهم بمدينة الاسكندرية ومن يومئذ صار كرسي الارثوذكسين بوادي هبيب

وبعد وفاة البابا ثيودوسيوس أظهر ابوليناريوس فرجه لظنه بان الجو قد خلا له ليعلم رئاسته العامة على الكنيسة القبطية . وعمل وليمة للكهنة وأهل المدينة وتوهم أنهم يوافقونه لأن الآباء الاساقفة لم يكن أحد منهم يستطيع الظهور بالاسكندرية بالنسبة لتشديد القيصر عليهم . ولكن بمشيئة الله تولى الاسكندرية رجل فاضل فسمح للارثوذكسين ان يقيموا لهم بطريركا في السر . فخرجوا الى دير الزجاج (١) كأنهم يريدون الصلاة وارسلوا الى الوجه البحري واحضروا ثلاثة اساقفة وأقاموا قسماً يدعى بطرس بطريركا وتمزى به الشعب

(١) كان بأرض بلدة معمل الزجاج بمركز كفر الدوار وخرب من زمن بعيد

وتقوت أمانتهم ولكنهم لم يكونوا يقوون على الدخول به الى المدينة علانية خوفاً من ان يعلم بذلك ابوليناريوس أو القيصر وكان ذلك في مسرى سنة ٢٨٣ ش و ٥٦٨ م في عهد يوستينس قيصر الثاني

فلبت البطريرك مقيماً بمكان يبعد عن الاسكندرية مقدار تسعة أميال في بيعة على اسم يوسف البار وكانوا يحملون اليه جميع ما يحتاج . غير انه فيما بعد شعر ابوليناريوس بالأمر فغضب جداً وكتب للقيصر يعلمه بما كان ولكن قبل وصول كتابه الى يوستينيانوس ضربه الرب بمرض عضال قضى على حياته . أما البابا بطرس فكان بهي الطاعة جميل الصفات محباً للمتعمين ولهذا استخبر عن كاتب له يكون ملماً بعلوم الكنيسة فارشدوه الى راهب يدعى دميان بدير تابور فضى اليه البطريرك وتحدث معه وطلب منه ان يشترك في اتعاب تدبير الكنيسة ورجاه بان يذهب ليقوم معه في الدير . فأطاعه دميان ومضى معه الى حيث يقيم . وكان هناك اديرة كثيرة العدد يسكنها جمع غفير من الرهبان وبجوارها ٣٠ ضيعة تسمى (سكاطينا) سكانها ارثوذكسيون . وكانت الأديرة والضيعة جميعها تحت ادارة البابا بطرس . وفي أيام هذا البابا وفد على مصر يعقوب البرادعي وكان من امره ما سيذكر في سيرته

أما شعب انطاكية فلم يكن اضطهاده أهون من اضطهاد شعب مصر . وبعد وفاة الآب المغبوط ساويرس اجلسوا مكانه انساناً اسمه ثاوفانيوس واقاموه في دير يعرف بدير امونيوس لان الهراطقة هناك كانوا نظير هراطقة مصر يضايقون الاساقفة المستقيمي الايمان . ثم ان البابا بطرس قضى حياته مجاهداً في كرم الرب حتى تنيح بعد سنتين من رسامته بطريركاً في الخامس والعشرين من بؤونه سنة ٢٨٥ ش و ٥٧٠ م ومن ايام البابا بطرس صارت قاعدة لزم من طويل ان يرسم البطارقة بدير أبي مقار بوادي هيب

(٦) دميانه - البطريرك الخامس والثلاثون. ولما تنيح البابا بطرس اجلسوا

مكانه كاتبه دميان الراهب في مسرى سنة ٢٨٥ ش و ٥٧٠ م في عهد يوستينس قيصر الثاني وكان قبل ذلك قد أقام في دير ابي يحنس ست عشرة سنة تحت ارشاد رجال

قديسين يتعبد بتقشف زائد . ومن ثم انتقل الى دير تابور اي دير الآباء في زمان
عمارة الاربعة الاديرة بوادي هبيب وحالما ارتقى الكرسي البطريركي قاوم بعض
الذين بقوا من حزب ميليتس لما اشتهروا به من الافعال الرديئة وقد كانوا مختلطين
بالرهبان فأمر بطردهم خوفاً من أن يفسدوا عقولهم

ولما تنيح الآب ثاوفانيوس بطريك انطاكية أقيم مكانه رجل من كهنة
البيعة يدعى بطرس وكان غليظ القلب مظالم في أفكاره مضطرب العقل مقاوماً
للامانة المستقيمة . وبالنسبة للاتحاد الذي كان بين الكنيستين كتب بطرس هذا
الى البابا دميان سنوديقاً ففرح به في مبدأ الامر ولكنه بينما هو يفحص الكلام
المدون فيه وجد فيه عشرة في الاعتراف بالثالوث المقدس ومؤدى كلام بطرس
ان تعليم الثالوث في غير محله ولا داعي لذكره بالمرّة فطلب ان يجذبه الى الايمان
يرفق حتى لا ينثلم الاتحاد بين الكرسيين وكتب اليه مقالة يذكر فيها اعتراف
المجامع المسكونية والآباء القديسين بالثالوث المقدس . فلم يرعو بطرس عن غيه
وكتب للبابا دميان رسالة شديدة اللهجة يؤخذ منها انه مصر على ضلاله فعقد
البابا مجمعاً حكم على بدعته بالحرم وعليه هو بالقطع وكان سبباً لوجود خلاف بين
المصريين والآنطاكيين مدة عشرين سنة حتى قصف الله عمر بطرس المخالف

واستمر البابا دميان يسوس رعيته باهتمام مجتهداً في الابتعاد عن كل مايولد
الانشقاق وهو منزو في صومعة بدير وادي النطرون نظراً لقيام الملكيين
وأخذهم جميع كنائس الاسكندرية وكان ابوليناريوس بطريك الملكيين قدمات
سنة ٥٦٩ م وخلفه بطريك آخر اسمه يوحنا اصله من قواد الجيش تمت رسامته
في القسطنطينية وأرسل الى مصر ليقبض على ايراد الكنائس فيها . والتاريخ يصف
يوحنا هذا بعجبهته للسلام والهدوء ولهذا لم يستعمل القوة في اجبار الاقباط على
ترك مذهبهم بل تركهم يعبدون الله بحرية تامة

أما البابا دميان فقضى بقية حياته بوضع الميامر والمقالات ومقاومة أصحاب
البدع الذين كانوا يأتون اليه ويمجادونه فكان الرب يعطيه الغلبة عليهم الى ان
تنيح بسلام الرب في شيخوخة حسنة بعد ان أقام بطريكاً مدة ست وثلاثين سنة .
وكانت وفاته في اليوم الثامن عشر من بؤونه سنة ٣٠٩ ش و ٦٠٣ م

القسم الثاني

مشاهير الكنيسة

(١) يعقوب البرادعي (٢) من هم اليعاقبة (٣) بعض مشاهير

.....

(١) يعقوب البرادعي . وقد على مصر في ايام البابا بطرس الرابع . كان كثير العبادة والزهد لا يلبس سوى خرق البراذع فسمى البرادعي ويلقب بالزني ايضاً . ولد في بلدة تيلاعلى مسافة ٥٥ ميلا من الرها بمقاطعة ايطاليا في أواخر القرن الخامس . ونشأ اولاً في دير بالقرب من الرها يدعى دير الشقوق وبمدونة اسقف هذه المدينة رسم اسقفاً عليها سنة ٥٤١ م ثم توجه الى القسطنطينية ليدافع عن الايمان الارثوذكسي ويفتقد الآباء البطارقة الذين طرحوا في السجن وتحصل بواسطة مساعدة الملكة ثيوذورة المؤمنة على ان يرسم من الثلاثة بطارقة المعزولين وهم ثيودوسيوس الاسكندري وساويرس الانطاكي وانتيemos القسطنطيني مطراناً عاماً على كل الكنائس الارثوذكسية

وقبل رسامته كانت ايدي ملوك الروم تعبت بانصار الطبيعة الواحدة وكاد هؤلاء يأسون اذ مات بعضهم والبعض الآخر أمر فنهض يعقوب واشتغل مدة اسقفية كلها وهي ٣٣ سنة في لم شعث طائفته وكان لابساً برذعة بمثابة ثوب شحاذ يطوف بها في انحاء الولايات الرومانية لكي يضم سكانها الى حظيرة الكنيسة القبطية ويدخل في اذهانهم مذهبها واعتقادها بهمة لا تعرف الكلل ماشياً تحت الاخطار والاهوال من بلد الى بلد لا يعرف الخوف ولا يشعر بالخطر المحقق به من موظفي الحكومة ومن الكهنة الرومانيين

وصار يشرطن قدوساً واساقفة ويضم الشيع المتفرقة الى مراكز معلومة ويوفق بين المتخاصمين وهدى اتباع اوطاخي وجعلهم يتركون اعتقادهم الفاسد ويتمذهبون بمذهب الكنيسة القديم . الى ان جدد للارثوذكسين مركز بطريركيتهم في انطاكية وترأس جمعين كرس لهم فيهما بطريركين واحداً بعد الآخر بعد وفاة القديس ساويرس وهما سرجيوس وبولس

وهكذا استقر مذهب الطبيعة الواحدة في كثير من جهات آسيا الصغرى وما بين النهرين وسوريا وقبرص وفلسطين وبلاد الارمن وانقسمت طوائفه الى ثلاث وهي السريان والارمن والمصريون وتنطوي تحتهم الحبشة . فالسريان كان عندهم ١١٦ اسقفاً و بطريرك انطاكي يسمى دائماً اغناطيوس ومركزه ماردين . والارمن لهم ايضاً بطريرك يقيم في استراخ ويسمى العام . ويرجع الكل في امرهم الى البطريرك الاسكندري

والذي حدا يعقوب للحضور الى مصر هو السعي في اعادة السلام بين كنائسها وكنائس سوريا وسبب ذلك ان يعقوب كان قد رسم بطريركاً ارثوذكسياً لانطاكية يدعى بولس ولكن لسبب الاضطهاد الذي لحق به اضطر ان يوافق الخلكيدونيين . فاستاء يعقوب منه وأصدر قراراً بحرقه وكان بولس قد فرق القسطنطينية بعد ان جاهر امام الامبراطور پارثوذكسينته وتاب عن زلته وأتى الى يعقوب فقبله وضمه الى عضوية الكنيسة . غير ان المصريين عابوا على يعقوب قبوله بولس مرة اخرى حتى ان البابا بطرس أصدر قراراً بحرق بولس فحضر يعقوب الى مصر للمفاوضة في هذا الامر وترأس جمعاً عقد في الثغر الاسكندري اقتنع فيه برداءة سلوك بولس وسيرته السابقة بالاسكندرية مسقط رأسه فلم يعقوب بعزله ولكنه يبقى عضواً في الكنيسة لانه تاب وأعلن عزله بواسطة ثلاثة اساقفة ومن ثم سافر يعقوب من مصر ليباشر جهاده

اما بولس فكان له انصار عديدون رفضوا قرار جمع الاسكندرية بشأنه وكاد الشقاق يستفحل فعزم يعقوب على زيارة مصر ثانية في ايام البابا دميان ال ٣٥ ولكنه أصيب بمرض في الطريق فعرج على دير في حدود مصر ولما بلغ البطريرك الاسكندري خبر مرضه ذهب اليه ليزوره فوجده قد مات في سنة ٥٧٨ م . وقد

شهد المؤرخون بان هذا الرجل كان باراً تقياً وقادراً في فصاحته وعلمه وانه لولم يهني الله وجوده لما قام للقويى الراى قائمة وبعد موته ترك الكنائس الارثوذكسية نامية احسن نمو في كل تلك الاماكن . وجملة ما كرز من الكهنة والشمامسة مائة الف قسيس وشماس وعشرين اسقفاً ومطراناً وبطريركين

(٢) مصر هم اليعاقبة ؟ . ويدعى المؤرخون اللاتين والاروام ان اصحاب

مذهب الطبيعة الواحدة قد اكرموا يعقوب المذكور بتسميتهم يعاقبه باسمه . ولذلك دعا الخلكيدونيون الكنيسة القبطية بالكنيسة اليعقوبية وهو قول ملقى على عواهنه يدل على جهل قائله اذ لا توجد هناك علاقة بالمرّة بين الكنيسة القبطية ويعقوب كما ان يعقوب لم يكرز في مصر بل كان يكرز في الولايات الاخرى .

ويظهر ان الخلكيدونيين قصدوا باطلاق لقب « اليعقوبية » على الكنيسة القبطية ان ينتقموا لانفسهم منها لانها اطلقت عليهم لقب « الملكيين » ولكن لسنا بمخطئين في تسمية الكنيسة الرومانية بالكنيسة الملكية لانها انحازت الى الملك او الامبراطور الروماني مذهباً وسياسة . واول من اطلق اسم اليعاقبة هو افتيخوس بطريك الملكيين في القرن العاشر ولكنه اطلقه على السريان الذين كانوا خاضعين رسمياً ليعقوب اليرادعى . ولما نشرت كتابات افتيخوس بين الافرنج ورأى بعض مؤرخيهم ان تعاليم الاقباط لا تختلف عن تعاليم السريان فخرج هؤلاء المؤرخون من هذا الراى الى تسمية الاقباط باليعاقبة ايضاً

وربما اطلقوا هذا اللقب سهواً او جهلاً منهم ولكنه كان سبباً في جر كثيرين الى الوقوع في هذا الخطأ حتى من بعض ابناء الكنيسة القبطية ومنهم ابن المسال وابو دقن الذي قال ان هذه التسمية وصلتنا من ابي الاسباط تماماً لنبوة الملك جبرائيل للعذراء ان المولود منها « يملك على بيت يعقوب الى الابد » وقال المقرئى المؤرخ المسلم « ان اصحاب مرقيان دعوا اصحاب ديوسقوروس باسم اليعاقبه او اليعقوبية واطلقوا عليهم جميعاً هذا الاسم واختلف في تسميتهم بذلك فقيل ان ديوسقوروس كان يسمى قبل بطريركيته باسم يعقوب وانه كان

يكتب وهو منفي الى اصحابه بان يثبتوا على امانة المسكين المنفي يعقوب . وقيل بل كان له تلميذ اسمه يعقوب وكان يرسله وهو منفي الى اصحابه فنسبوا اليه . وقيل بل كان يعقوب تلميذ ساويرس بطريرك انطاكية وكان على رأي ديوسقوروس فكان ساويرس يبعث يعقوب الى سائر المسيحيين ويثبتهم على امانة ديوسقوروس فنسب النصراني الى يعقوب المذكور « اه وقال آخرون ان ذلك نسبة الى يعقوب الرسول

فيتضح ان المؤرخين الذين اتفقوا على تسمية كنيسة مجمع خلکیدون بالكنيسة الملكية لم يتفقوا في روايتهم على نسبة تسمية اليعاقبة للكنيسة القبطية وكل اقوالهم في هذا الشأن مردودة اذ قد التبس عليهم فيها وجه الصواب لاسيما وان البابا ديوسقوروس لم يعرف باسم يعقوب ولم يكن له تلميذ بهذا الاسم ولم يبشر يعقوب الرسول بمصر ولا كرز يعقوب البرادعي بمصر راداً الاقباط الى مذهب الطبيعة الواحدة بل كانوا هم المتمسكين به دون غيرهم ولم يعرف الاقباط منذ اول عهدهم بالمسيحية الى اليوم الا بالاقباط الارثوذكس وكنيستهم « الكنيسة القبطية الارثوذكسية »

(٣) بعض مشاهير . وممن اشتهر في هذا القرن من الاقباط :

اولا - يوحنا البرلسي . أحد الذين وضعوا كتاب السنكسار (١) راهب بيرية شيهات ثم رسم اسقفاً على البرلس في رئاسة البابا دميان ال ٣٥
ثانياً - قزمان . أولع بالسياحة فطاف أما كن عديدة ومع انه وضع كتاباً كثيرة الا انه لم يبق منها الا كتاب « وصف البلدان طبقاً لقواعد الدين المسيحي » .

ثالثاً - ديوسقوروس . عالم قبطي وضع كتاباً في علم النبات بناء على طلب أميرة رومانية

(١) ان الذين جمعوا كتاب السنكسار واهتموا بتدوينه هم (١) يوليوس الاقفصي (نسبة لاقفص بمركز القطن) وكان ممتدداً بآثار الشهداء في اضطهاد ديوكليانوس في آخر القرن الثالث (٢) يوحنا البرلسي (نسبة الى البرلس بمديرية الغربية) (٣) ميخائيل اسقف اتريب (من اطلالها تل اتريب بجوار بنها العسل)

رابعاً - أعمال أخرى للمصريين . وكتبت في هذا القرن نسخة من سفر التكوين محفوظة في مكتبة فينا ببلاد النمسا وهي تحتوي على أكثر من ٨٨ صورة . كما ان علماء العالم بأسره كانوا يقدون على الاسكندرية لتصحيح ما بأيديهم من النسخ القديمة التي لا يوجد من يعرف باصولها سوى علماء الاسكندرية

القسم الثالث

المملوكة والكنيسة

- (١) اناستاسيوس (٢) يوستينوس (٣) يوستينيانوس (٤) ثورة الاقباط في عهد موريس

.....

(١) اناستاسيوس . تولى هذا الامبراطور سنة ٤٩١ م وكان واقفاً على احوال مصر وملماً بكل ما فيها لانه مكث بها مدة منقياً من وجه سلفه وكان مقيماً في مركز منوف بمديرية المنوفية حيث كان له اصدقاء كثيرون . وحدث ان احد الاعيان اشار عليه بزيارة راهب اشهر بالتقوى يدعى ارميا يقيم في احدى بلاد ذلك المركز ليدعوه بالخير . فزاره يصحبه بعض اصحابه الذين طلبوا من الراهب ان يباركه فباركهم جميعاً ولم يبارك اناستاسيوس ببركة خاصة . وبعد انصرفهم صرح اناستاسيوس بحزنه لذلك وأظهر خوفه من ان يكون الراهب قد عرف ان خفاياه سيئة فأبى ان يباركه فحاول اصحابه ان يزيلوا هذا الظن منه ولكنهم لم يفلحوا فعادوا الى الراهب واخبروه بالأمر فاستدعاه اليه ولما اختلى به هو وثلاثة من اصحابه اخبره بانه رأى يد الله مرفوعة فوق رأسه فلم ير

(٤٦٢)

ما يجعله يباركه بعد الله ثم أوصاه قائلاً « ان الله الذي عينك لمنصب الملك يطلب منك ان تعيش صالحاً بعيداً عن الافعال الرديئة غير موافق لانصار مجمع خلكيدون لأن من يصادق على ذلك المجمع يحل عليه غضب الله »

وقد تمت نبوة الآب ارميا فجلس اناستاسيوس على عرش الملك وطلب بعض وجوه الاقباط من هذا الآب ان يوفد اليه بعض تلاميذه لزيارته فأرسلهم تحت رئاسة راهب يدعى وريدنوس من أقارب ذلك الناسك واوصاهم بان لا يقبلوا منه هبة أو عطية الا ان يكون بخوراً وبعض أوان تحتاج اليها الكنائس . ولما كان هذا الامبراطور منفيًا بنى كنيسة أرسل اليها مع اولئك الرسل أواني من الذهب والفضة وبخوراً وندوراً عظيمة المقدار كما انه أهدي بعض اصحابه من المصريين هدايا فاخرة وعين بعضهم في وظائف سامية في الحكومة

وصفوة القول انه لم يقم بين القياصرة من عمل مثله على اسعاد مصر وارجاع السلام اليها . وكان نظير سلفه في احترامه للمذهب القديم وامداده لذويه بمهارة كنائسهم واديرتهم واحسانه الى رهبانهم ودفع المرتبات السنوية لهم . ولما رأى ان الانشقاقات الدينية هي التي تبدد السكينة نفى كل الاساقفة الغربيين الذين رأهم ميالين لزرع بذور الخصام والمنافسة فهدأت الأحوال في كل الكراسي البطريركية الا في كرسي رومية فان اساقفته كانوا قد استمرأوا عيشة المناشدة والمناجزة فخرج من بين تابعيهم رجل يدعى ويطاليانوس متمللاً بأخذ الثأر للكثلكة وهو في الحقيقة انما يطلب الملك فجمع الجموع الكثيرة حوله وحاول ان يفتصب العرش من اناستاسيوس ولكنه انهزم شر هزيمة

وفي ايام هذا القيصر هجم الفرس على مصر وانتشب القتال بينهم وبين الرومانيين مدة أصيبت فيها البلاد بمجاعة فادحة . وفي اثناء اشتدادها تبرع أحد المسيحيين اليهود بتوزيع مقدار عظيم من الخنطة على المحتاجين في يوم عيد القيامة فتزاحم الجياع على ابواب الكنائس حتى هلك منهم ٣٠٠ ألف نفس في ذلك اليوم

(٢) يوستينوس ١ - تولى سنة ٥١٨ م وكان رجلاً عامياً أميناً فتشيع

للمجمع الخلكيدوني جهلا منه وصرف همه في مقاومة الارثوذكسين . ومن دلائل الفطرسية التي درسها عن اسقف رومية أمره بقطع رأس القديس ساويرس بطريك انطاكية . ففر القديس من وجهه ولجأ الى مصر فأخذ في اضطهاد بطريك الكنيسة القبطية وأمر بنفيه وبسبب ذلك جرت مذبحه هائلة هلك فيها نحو مائتي ألف نفس . ثم نفى اساقفة ارثوذكسين في جهات كثيرة

(٣) يوستينيانوس ١ - تولى سنة ٥٢٧ م وكان في اوائل ملكه مشغولا بتوطيد دعائم عرشه وبعد ذلك اهتم باجراء صلح بين الكنيستين اليونانية والرومانية . ثم أدار وجهه نحو المصريين فاضطهدهم بشدة قاصداً ان يرغمهم على الاعتراف بقرارات مجمع خلكيدون واضطهد الاكثريين ودوسيووس طويلاً كما مر بسيرته وخلع الاساقفة الارثوذكسين في القسطنطينية وارغم كثيرين بعد التعذيب على الاعتراف بالطبيعتين

غير ان الملكة ثيوذورة وسائر علماء البلاط كانوا من حزب المتأصلين أو ذوي الطبيعة الواحدة ولم يكونوا راضين بهذه المعاملة الرديئة والقساوة الشديدة اللتين سار بهما الملك ضد الارثوذكسين وكانوا يعززون المضطهدين ويقومون بكل ما يحتاجه المسجونون من القوت . وكان لثيوذورة السلطان المطلق على زوجها لجمالها وحكمتها فنصحته بالترام خطة الاعتدال فهذا قليلاً ولكنه رجع الى تهوره فيما بعد واضطهد الارثوذكسين وسلب كنائسهم حتى اضطر الاقباط الى تشييد خلافتها وسموا احداها الكنيسة الملائكية نكايه في الكنيسة القيصرية الكبرى التي اغتصبها منهم القيصر

وحدث مرة انه أمر اسقفاً ارثوذكسياً ان يعترف بقرار مجمع خلكيدون أو يعمل اعجوبة فاجابه ان العجائب لغير المؤمنين وطلب من الله ان يظهر اعجوبته في نفس الملك فاصبح وجهه متورماً فجزع وطلب من زوجته ان تطالب من الراهب ان يصلي من اجله فصلى فنال الشفاء . واعتزل الراهب مدة الصوم الكبير فوشى الخلكيدونيون للملك فاستدعاه اليه فأبى بحجة ان قانون الوحدة يوجب عدم تركها قبل يوم خميس العهد ولكن الملك عاجلته المنية قبل مجيء ذلك اليوم

وقد ساعد ولاية مصر بطاركة الأروام على سلب حقوق بطاركة المصريين .
فتمصب الاقباط ضد اليونانيين وابطلوا لغتهم من كنائسهم ومجتمعاتهم وصاروا
يصلون بلغتهم الاصلية وترجموا كل الكتب الدينية اليها

وفي عهد هذا القيصر حدثت فتنة في الاسكندرية بسبب بطريرك الأروام
فانتزها اليهود وفتكوا بكثيرين من المسيحيين . ولبت الخلكيدونيون يعيشون
في الأرض فساداً واشتد غيظ المصريين من القيصر عند ما أصدر أمراً يحرم فيه
اوريجانوس بطل الكنيسة الاسكندرية حتى لم يعد يطبق أي مصري ان يرى
رومانياً أمامه فانفصلوا عنهم وصاروا قسمين واختص كل جماعة منهما بلون فاختر
المصريون اللون الأخضر والرومانيون الأزرق

(٤) ثورة الاقباط في عهد موريس . وجاء بعد يوستينيانوس

يوستينس ٢ سنة ٥٦٥ م وكان أشفق على العباد من سلفه ويظهر ان ذلك من
تأثير زوجته ابنة اخت الملكة ثيودورة فترك الناس يدينون بما يشاؤون
فتمكنت الكنيسة القبطية من استرجاع مراكز كثيرة من التي اغتصبت منها
وتحسنت احوال شعبها ورعيته . وخلف يوستينوس طيباريوس ٢ سنة ٥٧٨ م
الذي تنازل عن الملك لموريس سنة ٥٨٢ م وفي اوائل حكمه حدثت ثورة في
مصر في الوجه البحري تحت زعامة ثلاثة أخوة من الاقباط هم ابوسخيرون ومينا
ويعقوب من بلدة عقيلة (١) وسببها ان حاكم قسم سمبود (غربية) التي القبط
على رجلين قبطيين من ذوي الوجاهة والاعتبار احدهما يسمى قسا بن صموئيل
والآخر بانون بن أموني فهجم الثائرون على الرومانيين في جهة بنا وابي صير
(بالقرب من سمبود) وطردهم منها فارسل اليها الى الامبراطور يشكوه أمره
فأمر الامبراطور يوحنا والي الاسكندرية بقمع الثائرين الذين كانوا قد وضعوا
يدهم على أقاليم الوجه البحري وحاولوا الاستيلاء على الاسكندرية فاغتصبوا
الحنطة التي كانت مرسله اليها .

وحدثت من جراء ذلك مجاعة اهتاج منها سحق القوم على الوالي وكادوا

{١} هي الآن زاوية صقر بمركز ابي حمص بحيرة

يفتكون به لولا بعض اعيان الاقباط الذين ردوا عنه اعتداء الفوغاء
ومع ان يوحنا والي الاسكندرية كان صديقاً للثلاثة الاخوة الا انهم استمروا
في مقاومتهم فعزله القيصر وعين بدله رجلاً يسمى بولس وتمكن اسحق ابن اكير
الثلاثة الاخوة من الانتصار على الرومانيين فاستولى على كثير من مراكزهم وسمى
خلفهم الى قبرص يكتسح امامه قوتهم الحربية حتى خاف الامبراطور من سوء
النتيجة وطلب الى يولوجيوس بطريكه في مصر ان يعقد صلحاً مع الثلاثة
الأخوة .

وكان يوليوس البطريرك الروماني على جانب عظيم من دماثة الاخلاق
فاكتسب رضاء المصريين عنه واجتمع مع الثلاثة الاخوة لاجراء الصلح في مسقط
رأسهم فأبوا القبول الا اذا أعاد الامبراطور صديقهم يوحنا الوالي فاجاب طلبهم
ورجع الوالي الى منصبه وعين لقيادة الجيش رجلاً يدعى ثيودوروس

وحدث ان قائد الجيش الجديد أخذ القبطيين المأسورين وثلثة آخرين من
عظماء المصريين كانوا قد سجنوا معهم ووافقهم على شاطيء النيل المقابل للشاطيء
الذي احتشد عليه الثائرون وأمرهم بطرح السلاح والا يقضي على الخمسة الرجال
فتوسل المأسورون الى الثائرين ان يكفوا عن القتال شفقة بهم فالتى معظم
هؤلاء الاسلحة وعبروا النهر وتقابلوا مع اصحابهم المقبوض عليهم ولم يبق في
ساحة النزال الا الثلاثة الاخوة وبعض اصداقائهم وظلوا يقاتلون الجيش الروماني
باستبسال ولكنهم غلبوا أخيراً وفروا الى مدينة صان (شرقية) فقبض عليهم
الرومانيون ومضوا بهم الى الاسكندرية ومروا بهم في الشوارع ليعتبر بهم
المصاة ثم طرح الثلاثة الاخوة وابنهم اسحق في السجن . ولبت يوحنا الوالي
يدافع عنهم طول مدة ولايته بدون جدوى حتى تعين مكانه وال جديد فقطع
رؤوس الاخوة ونفى اسحق تقياً مؤبداً . وأمر الامبراطور بأخذ ممتلكات
الثائرين وحرقت مدينتي عقيلة وسان

ولم تكد نار هذه الثورة تجهد حتى قامت ثورات اخرى في خمس مدن وهي
صان وخربتا وبسطة وسنهور وأخيم وغيرها وانتهت جميعها بمذابح وحشية من
الوطنيين الذين لازمهم الفشل في كل تدبيراتهم

وبالجملة فلم يكفد ينتهي القرن السادس حتى بلغت العداوة بين المصريين والرومانيين أشدها خصوصاً عند ما أتخذ القيصر أمراً الى نائبيه بمصر بطرد جميع الاقباط من خدمة الحكومة وعدم قبول احد منهم في مصالحها قصداً منه في اذلالهم فكان ذلك من اقوى البواعث على قنوط الاقباط واعتزالهم الروم بالكلية وقطع كل العلاقات معهم . وكان كل ما اشتد الضيق بالاقباط كلما ازدادوا تمسكا برأيهم وطمعاً في نوال الاستقلال الديني الذي اشتروه بسفك دماء الالوف المولفة منهم

القسم الرابع

البرع والاشتقاقات

- (١) اختلاف في ماهية جسد السيد المسيح (٢) اختلاف آخر في ماهية الاقانيم الالهية وفي لاهوت المخلص وناسوته (٣) بدعة بقرية حزب ميليتس (٤) الاسيفيايون (الذين بلا رأس) (٥) نزاع بسبب العلامة اوريجانوس (٦) نزاع على الثلاثة التقديسات (٧) مسألة الفصول الثلاثة

.....

- (١) اختلف في ماهية جسد السيد المسيح . غلبت بين انصار الطبيعة الواحدة في هذا القرن اختلافات قامت بسبب البحث في ماهية جسد المسيح . فيوليان الهيليكار نسوسي سنة ٥١٩ م اعتقد ان الطبيعة الالهية اتحدت بجسد المسيح منذ قبل به حتى تغير الجسد في طبيعته وصار عديم الفساد فوافق على ذلك قيانوس ومنه تسمى المعتقدون بهذه العقيدة قيانيين . وانقسم المقرون بهذا

التعليم الى ثلاثة أحزاب . فنشأ بينهم اختلاف في هل كان جسد المسيح مخلوقاً أم غير مخلوق فانقسموا الى قسمين سمي الواحد بعبدة المخلوق والآخر بتبعية الغير المخلوق وخرج منهم حزب ثالث اعتقد ان جسد المسيح قابل الفساد ولكن بقوة اللاهوت لم يصر بالحقيقة فاسداً . وأقلع الغيانيون ورجعوا الى حضرة الكنيسة في عهد البابا الاكسندروس ال ٢ بعد ان تمسكوا بضلالهم ١٧٠ سنة وعارض رأي يوليانوس طائفة اخرى علمت بان جسد المسيح كان نظير جسدنا قابل للقناء والفساد فالذين يسمون بالكر بتيكوليين ولاسيما ثيومتستيروس شماس اسكندري استنتجوا من هذا التعليم ان المسيح وان كان باللاهوت يعلم كل شيء ولكن ناسوته يجهل اموراً كثيرة ولانهم يعتقدون بوحدة المسيح الطبيعية استنتج الآخرون من تعليمهم انهم اشركوا الطبيعة الالهية في الجهل ولهذا سموا اغنيتيين . وروى موسيم المؤرخ البروتستانتي ان البابا ثيودوسيوس الاسكندري كان من أصحاب هذا الرأي وانه حمل في حدة الجدل ضد الهرطقة على ان يقول « ان انسانية المسيح كانت تجهل اليوم الاخير » فقالوا انه نسب الجهل لللاهوت لاعتقاده بوحدة الطبيعتين . الا ان هذا الرأي لم يدم لان الذين صرحوا به في معرض الدفاع عن الايمان انتبهوا الى غلطتهم وعدلوا عنها

(٢) اختلف آفر في ماهية الاقنيم الالهية وفي لاهوت المخلص

وناسوته . وروى مؤرخو اللاتين والاروام ان البابا دميان البطريرك ال ٣٥ ذهب بان لكل من الاقنيم الثلاثة وجوداً خاصاً وان للثلاثة معاً وجوداً رابعاً تاماً وهكذا قامت شيعة مربعي اللاهوت وسموا اربعيين أو دميانيين . وعنها انشقت شيعة قاومت تعليمها باتباعها مذهب سابليوس القديم . ثم قام واحد من معلمى الفلسفة في الاسكندرية اسمه استفانوس النيوبي ذهب انه لا فرق بين اللاهوت والناسوت في المسيح فتبعته شيعة سميت بالنوبيين . الا ان كل هذه الاختلافات التي قامت بين اشباع الطبيعة الواحدة تلاشت جميعها عند ما قام يعقوب البرادعي وأخذ يؤلف بين آرائهم ويرد من ضل منهم الى محجة الصواب . وصاروا الكل على رأي واحد هو رأي ديوسقوروس البابا الاسكندري

(٣) بدعة بغيمة حزب ميليتس . وظهرت بدعة أخرى بين الذين بقوا من

حزب ميليتس الذي انشق عن الكنيسة في عهد البابا بطرس آخر الشهداء فكانوا اذا قصدوا ان يقدموا الاسرار الالهية يقضون الليل كله يترنحون بشرب الخمر وحتجتهم في ذلك ان السيد المسيح قبل ان يسلم لتلاميذه السر المقدس شرب معهم خمرأ . فقاوم البابا دميان هذه الفئسة ولما لم يدعنوا امر بنفيهم من بين الرهبان خوفاً من ان تمتد البدعة اليهم

(٤) الاسيفيايون (الذين بهل رأس) وهم الذين انفصلوا عن الكنيسة في

ايام البابا بطرس مغوس البطريك ال ٢٧ لانه قبل الاتحاد مع بطريك الاسكندرية الذي كان أحد الذين حكموا على البابا ديوسقوروس . ثم انقسمت هذه الشيعة الى احزاب ثلاثة هي الاثروبومرفيتيين والبارسنوفيتيين والأسأسنتيين وتبع هذه الاحزاب أحزاب أخر وقد بقي من كهنة الذين لا رأس لهم اربعة قسوس في ايام البابا دميان وكانوا يسكنون شرقي مصر فتسلط عليهم فكر شيطاني بانهم يقيمون لانفسهم اسقفأ خوفاً من ملاحاة ذكرهم فاختروا أكبرهم يارسنوفة ورسمه الثلاثة القسوس اسقفأ . فلما سمع اهل غربي مصر منهم بذلك غضبوا جداً لانهم فعلوا ذلك بغير مشورتهم فانفصلوا عنهم ولم يساعدهم وبذلك لم يكن لهؤلاء من يعمدهم او يقربهم او يصلي لهم فوسموا لهم اسقفأ ولكنهم استمروا ينقصون شيئاً فشيئاً حتى بادوا بالكلية

(٥) نزاع بسبب العلامة اوريجانوس . ان الحروم الكثيرة التي صدرت

ضد العلامة اوريجانوس لم تؤثر على مقامه ومركزه عند رهبان مصر المطلعين بتدقيق على مؤلفاته العديدة والعارفين باتعابه وظهرارة سيرته . فترجم انسان اسمه بلاثر في الغرب بعض مؤلفاته الى اللاتينية . وفي الشرق ولاسيا في سوريا وفلسطين كان الرهبان يدافعون عنه بغيرة صحيحة ووافقهم على ذلك بعض الاساقفة ولاسيا ثيوذورس الذي من قيصرية كبدوكية

فحدث ان افرآم بطريك انطاكية حكم على اوريجانوس وأضاليله لاعتباره

اياها مساعدة مذهب الطبيعة الواحدة الذي كان يكرهه فطلب اولئك الرهبان من بطرس الاورشليمي قطع افرام فأبى وارسل مندوبين من قبله الى القسطنطينية ليقدموا ليوستينيانوس قيصر شكاية ضد اوريجانوس . فعقد القيصر مع ميناء بطريرك القسطنطينية مجعاً أصدر منه أمراً مستوفياً يحرم اوريجانوس وعقائده ونهى عن مطالعة كتبه . وبعد ذلك حكم في مجمع مسكوني عظيم جمعه القيصر سنة ٥٥٣ م على آراء اوريجانوس بانها سامة للكنيسة

(٦) نزاع على التلمذة التقديسات . ان الكنيسة منذ القديم رتبت قراءة التريساكيون (أي الثلاثة التقديسات) وقيل ان اول من اذاعها هو اغناطيوس الثاوفورس والذي أمر بترتيبها قبل قراءة الانجيل هو بطرس الرسول وجاء في كتاب البصخة المطبوع حديثاً « ان يوسف ونيقوديموس لما شرطا في تحنيط السيد أمسك يوسف يده وقال هذه اليد العظيمة التي كونت المخلوقات وانا اكنفها ففتح المسيح عينيه وتبسم في وجهه فصرخ عند ذلك يوسف قائلاً « قدوس الله الخ » اه وهذا نصها : —

« قدوس الله قدوس القوي قدوس الحي الذي لا يموت . يامن ولدت من العذراء ارحمنا »

« قدوس الله الخ . يامن صلبت عنا ارحمنا »

« قدوس الله الخ . يامن قمت من بين الاموات وصعدت الى السموات . ارحمنا »

ولما ظهر نسطور بطريرك القسطنطينية واراد ان يحذف من طقوس الكنيسة كل ما يدل ولو ظاهراً على نسبة الآلام للاهوت منع اطلاق لقب والدة الاله على السيدة العذراء ولما رأى ان بعض عبارات هذه التقديسات تخالف مبادئه حذفها واكتفى بان تكون هكذا « قدوس الله قدوس القوي قدوس الحي الذي لا يموت . ارحمنا » وامر جميع الكنائس بترتيبها على هذه الصورة فحفظت لاشارته الكنائس التي نشأ فيها ودرس علومه بينها وهي كنائس سوريا والشرق

وفي أيام البابا بطرس مغوس بطريك الاسكندرية كان معاصراً له الأب بطرس القصار بطريك انطاكية أحد الذين وقعوا على منشور الاتحاد فأشار البطريرك الاسكندري على البطريرك الانطاكي بان يعيد للثلاثة التقديسات ما حذف منها لكي تحفظ كما رتبت في العصر الرسولي . فاصدر بطريك انطاكية منشوراً لجميع الابروشيات التابعة له يأمر فيه بترتيب الثلاثة التقديسات كما وضعها الرسل فعملت الكنائس بأمره ولا سيما كنيسة القسطنطينية

ولما انتشرت هذه الزيادة لم يرض عنها الخلكيدونيون فاشاعوا بان بطرس القصار يقصد بذلك ان ينسب لللاهوت الولادة والآلام والموت واطلقوا عليه لقب « صائب اللاهوت » غير ان الملكة ثيوذورة اقنعت القيصر يوستينيانوس فصدق عليها رسمياً . قال العلامة موسيم المؤرخ « وكانت النتيجة ان المسيحيين الغربيين رفضوا التريثيم لانهم فهموا انها تشير الى صلب الاقانيم الثلاثة وأما المسيحيون الشرقيون فاستمروا يستعملونها دائماً الى وقتنا هذا بدون خطيئة لانهم يعيدون التريثيم الى المسيح وحده أو الى اقنوم واحد فقط في الثالث » اه (١)

فيقثم من قول هذا المؤرخ ان الذين ابوا ان يرتلوا التريثيمون بالصورة الاصلية ظنوا ان ذكر قدوس فيها ثلاث دفعات في كل مرة اشارة الى الثالث الاقدس فلهذا حكموا بانها بدعة ولكن الكنيسة لا تعتبرها هكذا ولم تقصد بها ان تخاطب الثالث الاقدس كأنها تقول « قدوس الله الاب قدوس القوي الابن قدوس الحى الذي لا يموت الروح القدس » بل المراد مخاطبة الابن المتأنس فقط معترفة في الاولى بولادته وفي الثانية بصلبه وفي الثالثة بقيامته وصفوده .

قال الشيخ حبيب ابو رابطة أحد علماء الكنيسة السريانية في القرن الحادي عشر من رسالة له ضد احد النساطرة أيد بها التقديس المثلث كما تترجم به الكنيسة القبطية « ان الاربعة الحيوانات رتلوا التقديس المثلث بقولهم « قدوس قدوس قدوس الرب الاله القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي »

(رؤ ٤ : ٨ و ٩) ولا ريب انهم كانوا يخاطبون الابن فقط كما يستدل من قرينة الكلام ومن مراجعة (رؤ ١ : ٧ و ٨ و ٢٢ : ١٢ و ٢٠) وان اعترض معترض بان قول الحيوانات « والذي يأتي » انما يريدون به اقنوم الابن لكن لا يفهم منه سوى كونه لاهوتاً مجرداً فنحجبه قائلين . ان هذه العبارة التي قيلت من بعد التجسد لا يراد بها في الانجيل أو خلافة الابن حالة كونه متجسداً . فاسمع ماذا قال الملاك ان وقت صعود المسيح له المجد « ان يسوع هذا ارتفع عنكم الى السما سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً الى السما » (اع ١ : ١١) اهـ

وقال العلامة موسيم أيضاً « وحدثت منازعة جسيمة بين اليونانيين سنة ٥١٩ م في انه هل يليق القول ان أحد الاقانيم صلب فاستعمل كثيرون هذه العبارة لكي يالحوا على الناظرة الذين تطرفوا في تفريق طبيعتي المسيح والرهبان السيكيثيون في القسطنطينية الذين هم أصل هذه المنازعة ولكن الآخرين حسبوا هذه العبارة مطابقة لضلال صالبي اللاهوت أو الإفتيخيين فرفضوها ووافق اورمسداس اسقف رومية حين استشاره الرهبان السيكيثيون وحصلت منازعات جسيمة سامة . وأخيراً المجمع الخامس ويوحنا الثاني خليفة اورمسداس استرجع الصلح للكنيسة باستصواب استعمال العبارة » اهـ (١)

ولا تزال كنيسة الموارنة والسريان الكاثوليكيتين التابعتين لقصر الفاتيكان ترمان هذه التريمة في جمعة الحاش (الآلام) وتشيران بها الى اقنوم الابن المتأنس . ومؤلف كتاب « تاريخ سوريا » وهو ماروني ذكر في كتابه ج ٥ ص ١٤٩ عن مؤسس كنيستهم وهو يوحنا مارون ما يأتي « ويعزى الى يوحنا مارون رسالة في التريساكيون أي التقديسات الثلاثية قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت عنوانها جواب على من يزعمون اننا نعزو الصلب الى الثالوث الاقدس اذ نزيد على التقديسات « يا من صلبت من أجلنا » ثم ذكر في ص ١٥٠ فقرة من كتاب ليوحنا مارون في هذا المعنى في شرح رتبة القدياس فصل ١٩ قال فيها « اننا نبين لسؤالكم أيها الابناء الاحباء هل ينبغي أن يترنم بالتقديسات مع الزيادة عليها « يا من صلبت من أجلنا » ومتى يترنم بذلك ؟ فاعلموا ان هذه

التسبحة توجه تارة الى الثالوث الاقدس وتارة الى أحد الاقانيم الالهية فقط واذا
وجهت الى الثالوث الاقدس المسجود له لم يسغ البتة أن يلحق بها «يا من صلبت»....
ومتى وجهت هذه التسبحة الى الابن فلا مانع من أن يزداد عليها ذكر الآلام
والصلب والموت والدفن والقيامة وباقي أسرار تدبير مخلصنا اذ لامراء ان الابن
ألم و صلب ومات من أجلنا « اه هذا وان يوحنا مارون المشار اليه قضى حياته
يدافع عن وحدة مشيئة المسيح خلافاً لمذهب الكنيسة البابوية بان في المسيح
طبيعتين ومشئتين

(٧) مسألة الفصول الثلاثة . علمنا انه كان من أنصار الطبيعة الواحدة

في بلاط القيصر الملكة ثيوذوره المشهورة بالتمسك بايمانها ودوميتيانوس كاتم
أسرار القيصر فانضم اليهم ثالث وهو ثيوذوروس القيصري المذكور الذي كان
القيصر يعتبره ويحمله فسافر الى القسطنطينية وبينما كان بوسستينانوس ينكل
بالارثوذكسين أقنعه بالاتفاق مع الملكة ان يجمع خلق كيدون أخطأ بقبوله
النسطوريين قبل أن يحرم مؤلفاتهم ثم أفهمه ان الخلكيدونيين قبلوا بينهم
ثيوذوروس المبسوسيتي و ثاوذوريتوس اسقف كورش وايباس الذي من اديسا
(الرها) وان هؤلاء هم أصل الشيعة النسطورية والمدافعون عنها وكتب كل منهم
كتاباً ضد القديس كيرلس ومع كل ذلك قبلهم المجمع الخلكيدوني وأعز شأنهم .
فما وقف يوستينيانوس على الحقيقة أصدر سنة ٥٤٤ م منشوراً يحرم فيه الفصول
الثلاثة وهي مؤلفات ثيوذوروس المبسوسيتي وكتابات ثاوذوريتوس ضد
القديس كيرلس والرسالة التي أرسلها ايباس خطاباً الى مارس الفارسي ثم حرم
مؤلفيها وطلب من جميع البطاركة والاساقفة في أنحاء المملكة الرومانية المصادقة
على هذا الحرمان والتوقيع على المنشور الصادر به وكان عبارة عن تسفيه أعمال
جمع خلكيدون وتسفيه آراء القائلين بصحة قراراته لان أولئك الكتاب الثلاثة
كانوا من معضديه فاضطر كثيرون من الاساقفة على توقيع المنشور وتهدد من
يتمنع بالعزل

وكانت الملكة ثيوذوره قد استدعت ويجيلIOS اسقف رومية الى حرم مجمع

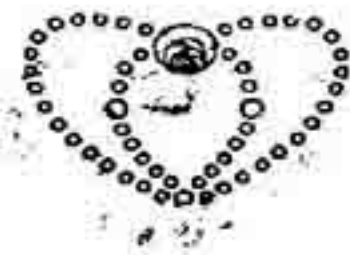
خلكيدون ومساعدة البطارقة انقيموس القسطنطيني وثيودوروس الاسكندري وساويرس الانطاكي والقول بقولهم فاجاب طلبها ووافق على رأيها وحرّم من يعتقد بطبيعتين في المسيح ولا يعترف بجوهر واحد فقط ومن يقول انه صلب من حيث هو انسان ولا يعترف ان ابن الله نفسه صلب وشجب الفصول الثلاثة ومؤلفيها النسطوريين الذين قبلهم جمع خلكيدون . أما اساقفة افريقية واليريكوم فالزموه ان يسترجم ذلك الشجب لانه لا أحد منهم يحسبه اسقفاً وأخاً ان لم يستصوب الفصول وذلك المجمع

وبعد ذلك طلب منه يوستينيانوس ان يهر منشوره فراوغ كثيراً وماطل فطلب منه القيصر بان يحضر الى القسطنطينية فقام من رومية وبينما كان يركب السفينة في نهر تير أخذ شعب رومية يرشقه بالحجارة قائلاً « فليرافك صيتك الردي . فليرافك الموت . لقد صنعت شروراً في رومية . فلنلاقينك الشرور حيث تذهب » ولما قابل الملك سامه كتاباً معروفاً « باسم جوديكاثم » حكم فيه على الفصول الثلاثة وقد اجتهد في جمع عقد في العاصمة ان يقنع الاساقفة الغربيين ليمضوه فلم يستطع بل قاموا ضده وطعنوا فيه بانه خان الايمان ودنس الكنيسة بمقيدة خبيثة (فليسمع الذين ينادون بعصمة باباواتهم في تعاليمهم)

ولم يكتف يوستينيانوس بذلك بل عقد مجعاً ثانياً سنة ٥٥١ م دعا اليه اساقفة افريقية والكريكوم وأمرهم بشجب جمع خلكيدون فلم يوافقهم منهم كثيرون . وفي تلك السنة نفسها اصدر امراً ثانياً ضد مجمع خلكيدون أشد من الاول وطلب من اسقف رومية ان يوقع عليه فأبى وفر واختبأ بكنيسة مار بطرس بالقسطنطينية فطارده يوستينيانوس ولكنه تمكن من الهروب الى خلكيدون وبعد ذلك أمنه الملك على حياته ليحضر مجعاً مسكونياً عقده في القسطنطينية سنة ٥٥٣ م وحضره ١٦٥ اسقفاً خلكيدونياً حكموا جميعهم على الفصول الثلاثة! وكان ويجيلIOS في المدينة متراضاً فعرضت عليه قرارات المجمع ليوقعها فامتنع فنفاه القيصر ثم ندم وأمضى تلك الاحكام وعاد الى كرسيه ولكنه وجد اساقفته قد انفصلوا عنه لانه بامضائه على ذلك القرار قدر ذل مجمع خلكيدون وقد حضر هذا المجمع ابوليناريوس البطريرك الامبراطوري بالاسكندرية

أما الكنيسة القبطية فمع كونها كانت ترى قرارات يوستينيانوس طبقةً لا اعتقادها
ولكنها أثبتت أن تشترك معه في تدبير المسكائد للآخرين ورفضت منشوره رفضاً
قطعياً إذ كانت قد آلت على نفسها أن لا تحرم انساناً اتقل من هذا العالم إلى العالم
الآخر بل إذا رآته مخطئاً كتفت بأشهار خطائه

فالآن لنا فرصة نقارن فيها بين تصرفات اساقفة رومية وتصرفات بطاركة
الاسكندرية وكيف ان هؤلاء كانوا يرفعون عن السعي للايقاع بالغير بينما كان
اولئك لا يجدون فرصة يتمكنون فيها من نشر الأذى على رؤساء الكنائس
الأخرى حتى ينتهزوها . ولنا ايضاً ان نقارن بين ارثياب اساقفة رومية بايمانهم
وتمسك بطاركة الاسكندرية به . وكيف لا يحجل الغربيون اذا ذكروا مع تاريخ
اسقفهم ويجيلوس تاريخ ديسقوروس البابا الاسكندري ورأوا البون
العظيم بين تلون ذلك وثبات هذا وكيف ان التهديدات المرة لم ترعجه بل استمرراً
محافظاً على ايمان كنيسته الى ان جاد بأخر انقاسه . واما اسقفهم فكان يتلون
كل يوم بلون وسهل عليه اخيراً ان يسلم في ايمانه حياً في سواد عيون المنخفضة
السكرابية .



القرن السابع

القسم الاول

تاريخ البطاركة

- (١) انسطاسيوس (٢) اندرونيقوس (٣) بنيامين (٤) اغاثو
(٥) يوحنا ٣ (٦) اسحق (٧) سيمون ١

.....

(١) انسطاسيوس : البطريرك السادس والثلاثون . كان من أبوين وجيهين
أقيم بعد البابا دميان وكان رجلاً حكماً مزيناً بالفضائل وكان قساً في كنيسة
الأنجيليين وكنيسة قزمان ودميان بالاسكندرية مشهوراً بالتضلع في كتب البيعة
وقدم الأمانة فاجتت كلمة الشعب على انتخابه في أبيب سنة ٣٠٩ م و٦٠٣ م في
عهد فوقا قيصر المقتصب وقد عرفنا فيما سبق ان البطاركة كانوا ممنوعين من
الدخول الى الاسكندرية ولكن هذا البابا كان قوي القلب يعضي الى المدينة
ويدخلها في كل وقت ويرسم فيها الكهنة . ثم أخذ يعمل مع قومه حتى استمر
ما استولى عليه الملكيون من كنائس المتأصلين ورسم منها ما انشئت في أيام
الاضطرابات . فأخذ البيعة التي هي بريرة اثاراً وبيعة على اسم رئيس الملائكة
ميخائيل . وكان له تعب عظيم من جماعة تيباريوس وابلساريوس الذين صار عليهم
اسم قيانوس وأصحاب المجمع الخلكيدوني
وعين وقتئذ رجل شرير يدعى اولوجيوس بطريركاً للملكيين وكان جانتقاً
على البابا انسطاسيوس جداً وحاول ان يوقع به ولكن الله لم يسلمه في يديه وفي

الغالب كانت وظيفته البطارقة الملكيين سياسية أكثر منها دينية بدليل انه لم يكن لهم عمل سوى تنفيذ ارادة الامبراطور واتفق انه قام حينئذ رجل يدعى فوقاً وقتل القيصر وجلس موضعه وكان ظالماً عاتياً فسكتب له اولوجيوس في البابا انسطاسيوس باقوال كاذبة منها قوله ان البطريرك لما كرز في بيعة يوحنا المعمدان حرمه هو وجميع الملوك المنتصرين للمجمع اخلسكيدوني فلما سمع فوقاً ذلك كتب لوالي الاسكندرية أن يغتصب من البطريرك بيعتي قزمان ودميان وجميع اوانيهما ويدفعها لاولاجيوس. فأخذت البيعة بالقوة ورجع البابا انسطاسيوس الى الدير وقلبه ملآن بالحزن .

وفي ايام البابا انسطاسيوس افتتح كسرى ملك الفرس بلاد الشام ووصل حدود مصر يتهدها ويتوعدها وكان كثيرون من مسيحيي سوريا قد فروا الى مصر ملتجئين اليها من ظلم الفرس فعمل البابا انسطاسيوس كل ما في وسعه لتخفيفه ويلائهم وتنفيث كربهم . وكان البطريرك الروماني الذي خلف تاودروس الذي جاء بعد اولوجيوس يدعى يوحنا المقلب (بالرحيم) وذلك لانه كان على جانب عظيم من رقة الاخلاق المسيحية فتسابق مع البابا الاسكندري في مؤاساة هؤلاء المنكوبين والحق يقال ان يوحنا قدم مساعدة تذكر للبابا انسطاسيوس اذ كان أوسع منه ثروة لأن البطارقة الملكيين كانوا واضعين ايديهم على ايراد الكنائس القبطية ودخلها كله ولم يكن لدى البطريرك المصري سوى ما يجمعه من المحسنين لسد احتياجاته . فسار البابا انسطاسيوس مع يوحنا بغاية الوداد والصدقة الخالصة من كل تقاق لما تبينه فيه من التقوى الصحيحة

وكان البابا انسطاسيوس في ايامه يشتهي ان يجمع الله بين الكرسيين الاسكندري والانطاكي الذي فرقه بطرس فسمع الله لطابته ومات بطرس المذكور وجلس عوضه على كرسي انطاكية رجل صالح عالم يدعى اثناسيوس فسبق البابا انسطاسيوس وكتب له سنوديقاً مملوءاً حكمة وجعله فيه شريكاً له وأخاف في اصلاح ما أفسده بطرس الضال فقبل انسطاسيوس رسالته وجمع الاساقفة واخبرهم بالامر فسروا جميعاً لعودة الاتحاد بين كرسيي ثيودوسيوس وساويرس اللذين كانا يعملان لتأييد الايمان جنباً الى جنب فقام الاب اثناسيوس وأخذ

معه خمسة أساقفة وسار في موكب الى الاسكندرية فلما وصل اليها وبلغ خبره البابا الاسكندري قام باكليروسه وخرج ماشياً حتى تلقاه بالتسبيح والفرح ودخلوا جميعاً الدير القائم على ساحل البحر شرقي الاديرة وجلسوا هناك بسلامة ثم أقاموا الصلاة وتناولوا من الاسرار المقدسة وخطب فيهم الآب اثناسيوس خطبة بليغة واستمر ضيفاً كريماً لدى البابا انسطاسيوس شهراً كاملاً وها يتجاوزان ويتسامران في الامور الروحية

وكان البابا انسطاسيوس مهتماً بامور البيعة بحرص عظيم ومشتغلاً بالعلوم الروحانية وأقام على الكرسي اثنتي عشرة سنة حافظاً للامانة المستقيمة كتب فيها اثني عشر كتاباً رتبها على حروف الهجاء القبطي أي انه ابتداءً فيها أول سنة بحرف (الفاء) وفي الثانية بحرف (فيتا) وهكذا الى ان كتب الكتاب الثاني عشر ووسمه بحرف (لقلا) ثم أراد السيد المسيح أن ينقله الى كورة الاحياء في الثالث والعشرين من كيهك سنة ٣٢٠ ش و ٦١٤ م

(٢) اندرونيقوسى - البطريك السابع والثلاثون . جلس على الكرسي

بعد البابا انسطاسيوس فى امشير سنة ٣٢٠ ش و ٦١٤ م فى عهد هرقل قيصر وكان عالماً غنياً جداً محباً للصدقة شامساً فى كنيسة الانجيليين وكان أهله من مقدمى المدينة حتى انهم ولوا ابن عمه ديوان الاسكندرية ومن أجل قوة سلطانه لم يقدر الطراطة أن يخرجوه من الاسكندرية الى الاديرة فأذنت له الحكومة بالبقاء فى الاسكندرية بغاية ما يكون من الحرية فجلس فى قلاية فى بيعة الانجيليين أيامه كلها ولذلك مد السلام رواقه على الكنيسة المصرية طول حياته

وكان كسرى ملك الفرس قد استولى على مصر سنة ٦٢٠ م ولشدة تضيقه على المصريين لم يتمكنوا من اقامة خلف للبابا اندرونيقوس وكان يوحنا بطريك الملكيين قد توفى قبل البطريك المصرى بسنة ولم يتمكن هرقل قيصر الرومان لشغوليته بالدفاع عن القسطنطينية عاصمة ملكه ان يعين لهم بطريكاً فى مصر فاستمرت السكندرية المصرية والرومانية بلا رئيس حتى شرع المصريون فى انتخاب بطريك لهم فتذبه الاروام وأرادوا محبتهم خوفاً من أن يستقل

البطريرك المصري ويستولى على ايراد الكنائس الذي صار في حيازتهم ولم ينتظروا أمر القيصر بل انتخبوا رجلاً يدعى جرجس ورسموه بطريركاً لهم أما الاقباط فوقع اختيارهم على رجل خائف من الله وؤمن اسمه بنيامين من دير يعرف بدير قنوبوس أتى إليه في ذلك الوقت لان هذا الدير لم تخربه الفرس مع ما اخبروه وكان بنيامين هذا من أهل مريوط (١) من عائلة اشتهرت بالثروة الكثيرة والنقوذ الواسع مما ساعد هذا البطريرك في ما قام به من الاعمال العظيمة لخير الكنيسة وجعل له شهرة فائقة وكان في الدير تحت ارشاد شيخ قديس يدعى ثاؤنا رباه بخوف الله حتى برع في العلوم الروحية وبلغ درجة فائقة في القداسة وكانت اكثر قراءته في انجيل يوحنا حتى حفظه ورأى في احدى الليالي في نومه رجلاً فقيراً وقف به وقال له « افرح يا بنيامين الحمل المتواضع والراعى معاً الذي يرعى قطيع السيد المسيح » فاضطرب مما سمع واخبر به معلمه فافهمه ان هذا صوت شيطان ليقوده الى الكبرياء ثم قال له ان لي خمسين سنة في هذا الدير ولم أر شيئاً مثل ذلك

غير ان بنيامين كان يتزايد كل يوم في الفضيلة حتى كان وجهه يتلألأ كوجه ملاك والكثرة اعجاب معلمه به أخذه ومضى به الى البابا اندرونيقوس وشرح له حاله فطلب البابا ان يقدمه اليه فلما شاهده رأى نعمة المسيح عليه فسأله عما شاهد فروى له الحقيقة فامسكها البطريرك تلك الليلة ولما كان الصباح عزم ثاؤنا على الرحيل للدير ببنيامين فمنعه البطريرك عن ان يأخذه وابقاه لديه ثم رسمه قسيساً وصيره وكيلاً له وفرح به البابا اندرونيقوس فرحاً عظيماً ولما دنت وفاته أوصى ان يكون بعده ثم تنيح البابا اندرونيقوس بعد ما قضى على كرسى البطريركية ست سنين ورأى اضطهاد الفرس الكريه للمسيحيين وصبر على ما حل به ومات شيخاً وهو حافظ الامانة المستقيمة امانة آباءه وكانت نياحته في ٨ طوبه سنة ٣٢٥ ش و ٦٢٠ م

(٣) بنيامين ١ . البطريرك الثامن والثلاثون . جلس على الكرسى

(١) هي الان تبغ الغيثة بمرکز كفر الدوار وخربت من زمان بعيد

الاسكندري في امشير سنة ٣٢٥ ش و ٦٢٠ م في عهد هرقل قيصر بعد معامه اندرونيقوس . وجميع بطاركة الكرسي المرقسي قبل البابا بنيامين كانوا من الاسكندرية وهو اول بطريرك اقيم من المدن والبلاد وكان مسقط رأسه مريوط كما ذكر وكانت حياته كلها سلسلة أوجاع وآلام . فانه لم يكدر رسم بطريركاً حتى أوفد هرقل قيصر الرومان والياً الى أرض مصر يدعى كيروس ليكون بطريركاً ووالياً عليها . ولسكي ينال هرقل رضاء المصريين كلف كيروس بنشر مشروع الانحاد الذي سياتي ذكره القائل بان للمسيح « مشيئة واحدة » بدل قولهم « طبيعة واحدة » . فأبى البابا بنيامين قبول اي تعاليم يؤثر على ماتقلده من آباءه . فأخذ الوالي في اضطهاده حتى رأى حياته في خطر وقيل ان ملاك الرب تراى له وقال له « اهرب انت ومن معك من هنا لانه شدائد عظيمة تنزل عليكم ولكن تعز فلا يستمر هذا الجهاد سوى عشر سنين » فكتب منشوراً الى سائر الاساقفة في اقاليم مصر ينصحهم فيه ان يخنثوا من وجه التجربة آلا تيه عليهم . وجمع كهنة الاسكندرية وأوصاهم بالسهر على الرعية ثم خرج من طريق مريوط وهو ماش على رجليه ليلا ومعه اثنان من تلاميذه حتى وصل الى اسطيطة القديس مكاريوس وكان هذا عقب الخراب الذي دهم هذه البرية من الفرس فلم يجد فيها الا نفرأ قليلا فتركهم وانصرف الى الصعيد وسكن هناك في بلاد تيباس واختفى في دير صغير حتى تمت العشر سنين

وفي هذه الاثناء هجم العرب على مصر بقيادة عمرو بن العاص واستولوا عليها وقرب عمرو منه كبار الاقباط وكان بينهم رجل يسمى شنوده فتقدم اليه وأعلمه بخبر البطريرك وما كان من أمر هروبه واختفائه وطلب منه أن يأمر بعودته فلبى طلبه وكتب اماناً وارسله الى جميع الجهات يدعو فيه البطريرك للحضور دون ان يخاف مطلقاً ولما حضر وذهب لمقابله ليشكره على هذا الصنيع أكرمه واظهر له الولاة واقسم له بالامان على نفسه وعلى رعيته وقيل انه طلب منه ان يصلي لاجله حتى اذ رجع منتصراً من حروبه الاخرى يجيبه الى كل ما يطلبه فدعا له البطريرك وتم لعمرو ما اراد بدعائه وعزل البطريرك الذي اقامه هرقل . ورجع البابا بنيامين الى مركزه معزراً مكرماً وهكذا عادت المياه الى

بجاريها بعد غياب ثلاث عشرة سنة منها عشر سنين في عهد هرقل وثلاث سنين قبل ان يفتح المسلمون الاسكندرية واعطاه عمرو الكنائس التي اغتصبها الاروام ثم اخذ في جذب الذين اضلهم هرقل فرجع منهم كثيرون وظهر الارثوذكسيون الذين كانوا مختلفين حسب مشورة بطريركهم ثم ظهر ملاك الرب للبطريرك طالباً منه ان يبني بيعة بدير مطرا لانه لم يتجنس بافعال الخلكيدونيين الرديئة دون كل الكنائس والاديرة التي هتكوا فيها الاعراض واهرقوا فيها الدماء

ثم وجه البطريرك التفاته نحو الاديرة التي اخرجها الفرس اثناء تملكهم لمصر واجتهد في تصليحها فرم عمارات اديرة برية شيهات بوادي النظرون فبنى دير الانبا بشوي واعاد اليه رهبانه ولما نما عددهم واخذوا قسطهم من الراحة قصد بهم الى دير ابي مقار فرمموه وبنوا به كنيسة عظيمة ودعوا البطريرك لتكريسها. وكان شنوده كبير الاقباط حينئذ قد كلف البابا بنيامين ببناء كنيسة على اسم القديس مرقس ولكن الأجل لم يفسح له

وكان مع هذا البطريرك انسان مملوء نعمة وحكمة اسمه اغاثو وكان قساً في الكنيسة وهو من اهل مريوط كان في زمن هرمل يتزيازي العلمانيين في مدينة الاسكندرية ويطوف في الليل ليثبت الارثوذكسيين المختلفين ويقضي حوائجهم ويناوهم من الاسرار المقدسة وفي النهار كان يحمل على كتفه قفة فيها آلات النجارة ويتظاهر امام المضطهدين بانه نجار حتى لا يعترضوا سبيله . فكث هكذا ١٠ سنين الى حين ظهور المسامين ورجوع البابا بنيامين فجعله وكيله في تدير البيعة . واصيب البابا بنيامين بمرض في رجليه استمر فيه سنتين وقيل وفاته ارسل مطراناً جديداً الى الحبشة ومعه راهب اسمه تكلاهيمنوت عرف بقداسته وتقواه ولا زال الحبش يكرمونه ويحجلونه الى هذا اليوم ويقولون انه اول من اوجد الرهبنة في بلادهم . ثم لحق البابا بنيامين بابيه وتنيح في اليوم الثامن من طوبه سنة ٣٦٤ ش وسنة ٦٥٩ م بعد ان جلس على كرسي البطريركية تسعاً وثلاثين سنة

اما البطريرك الروماني كبروس فقد مر بنا خبر عزله وقيل انه لشدة حسرته لسبب خيبته وفشله مص خاتماً مسموماً فمات لوقته ولا يعلم من من القيصر او

الملكيين بمصر اختار خلفه بطرس الذي لما عرف ان للبابا بنيامين السلطة والرئاسة في مصر لم يعجبه البقاء فيها فأب الى القسطنطينية مع المهاجرين اليها واستمر الكرسي الروماني بعد بطرس خالياً مدة ستين سنة

(٤) اغاثو - البطريرك التاسع والثلاثون . جلس على كرسي البطريركية

بعد معلمه بنيامين وكان صالحاً كاسمه وهو من الاسكندرية واحزنه كثيراً رؤية اولاده في ايدي الامم وتحت سلطانهم . ولما فتح العرب عدة ولايات وجزر للروم في امشير سنة ٣٦٤ ش وسنة ٦٥٩ م في عهد خلافة علي بن أبي طالب . نهبوا كل ما فيها وسبوا اهلها وأتوا بهم الى مصر فكان البابا اغاثو يبتاع منهم الرجال والنساء بالفضة والذهب ويأتي بهم الى بيوت المسيحيين خوفاً من ان يسلموا

وقد تضايق هذا البابا كثيراً من تصرفات رجل اسمه ثيودوسيوس من اتباع كنيسة الأروام بمصر كان ردياً في جماعة الخلكيدونيين فهذا مضى الى دمشق وقدم رشوة وافرة الى الخليفة يزيد بن معاوية واخذ منه أمراً يتسلط به على شعب الاسكندرية ومربوط وكما يتبعهما واستمد هذا الرجل سلطته من الحاكم الاسلامي بواسطة الخداع والمكر فسعى في مضايقة البابا اغاثو واقلقه وطلب منه مالا واخذ منه ٣٦ ديناراً جزية كل سنة عن تلاميذه وقرر عليه دفع كل ما ينفقه على النواتية في الاسطول . ثم ضيق عليه ضيقاً عظيماً فما كان البابا يستطيع الخروج من باب قلايته حتى ان ثيودوسيوس أوصى اتباعه قائلاً « اذا رأيتم بابا الارثوذكسين خارجاً ليلاً أو نهاراً ارجوه بالحجارة واقتلوه وانا المجاوب عنه » وكان غرضه من ذلك ان يكون بطريركاً عوضه اما البابا اغاثو فكان يصلي من اجله حسب وصية السيد المسيح

وفي ايام هذا البطريرك عمرت البيعة التي على اسم ابي مقار وكثر الاخوة حتى انهم بنوا القلالي بقرب البهلس . وحدث ان رجلاً تقياً حكيماً يدعى يوحنا من سمند كان راهباً بدير انبا مكاريوس في الاسقيط اصيب بمرض عضال عديم الشفاء وفي ذات ليلة رأى في نومه انساناً مهيباً لمسه فأبراه وخاطبه بان يقوم بالواجب الذي سيكلف به فقام من وقته ومضى الى دير من اعمال الفيوم ومعه

تلميذاه واختفى هناك . فظهر للبابا اغاثو في رؤيا ايضاً من قال له ادع اليك القس يوحنا ليمينك ويساعدك وهو الذي يجلس بعدك على الكرسي . فاتفق كهنته الى انبا مينا اسقف الفيوم يطلب منه ان يرسل يوحنا اليه . ومع ان اسقف الفيوم كان يحب يوحنا الا انه لم يستطع مخالفة البطريرك . فأتى يوحنا الى الاسكندرية ففرح به البابا و اشار عليه البعض بان يرسمه اسقفاً لبعض الكراسي ولكنه أبى .

وقضى البابا اغاثو بقية ايامه مهتماً برسامة الكهنة المستحقين للشرطونية الخائفين من الله والناس يشكرون الله على افعاله حتى اكل كل ايامه بشيخوخة حسنة وأقام ١٧ سنة على كرسيه وتنيح في ١٦ هاتور سنة ٣٨٣ ش وسنة ٦٧٧ م وجعل جسده مع البابا بنيامين .

وحدث عندما توفي هذا البطريرك ان اسرع ثيودوسيوس الخلكيدوني الى البطريركية وأوصد جميع ابوابها وختمها بالشمع الاحمر بدون مسوغ شرعي وبدون قانون يخول له هذا التداخل المذموم واستاء الارثوذكسيون من هذه الوقاحة وقاومه ارخن بسخاً يدعى اسحق مستميناً عليه بوالي سخا ورفع الارثوذكسيون الامر الى الوالي المسلم فنظر في الامر ورفع هذا الحيف الثقيل الى ان انتقم منه الرب بضربة قوية في احشائه وهي علة الاستسقاء وصارياً كل بدون شبع حتى مات ميتة سيئة .

(٥) يوحنا ٣- البطريرك الاربعون . بعد نياحة البابا اغاثو كان الآب يوحنا قد حاز صيتاً حميداً واكتسب شهرة في القداسة والفضيلة فانتخب بالاجماع لكرسي البطريركية في اول كيهك سنة ٣٨٣ ش و ٦٧٧ م في عهد خلافة معاوية بن ابي سفيان وكان ابن ثيودوسيوس الخلكيدوني قد تولى عوضه ولكنه كان احسن منه اخلاقاً وصار للبابا يوحنا كالولد وكان يحبه ويثق به ويهديه الى الطرق المستقيمة .

وكانت معظم الكنائس الارثوذكسية في الاسكندرية حينئذ في يد الملكيين منذ وضع اليد عليها ثيودوسيوس فلما استولى عهد العزيز على مصر اتخذ له كاتبين

ارثوذكسين وهما اثناسيوس وكان له ثلاثة اولاد وهو من اهل الزها من اعمال
سوريه والآخر اسمه اسحق له ولد واحد من شبرا . فكتب البطريرك الى
هذين الكاتبين يعرفها حال الكنائس وكيف هي بيد الخلكيدونيين الذين
لقلة عددهم لم يكونوا يشغلونها بل اغلقوها وختموها بالشمع حتى لا يصلي فيها
الارثوذكسيون . واستخدم هذان الكاتبان نفوذها وارسلوا رسلا الى
الاسكندرية كلفاهم بفتح الكنائس وتسليمها جميعها للبطريرك القبطي .

وكان هذا البابا بهي الطلعة يلوح لكل من يرى وجهه انه يرى وجه ملاك
وقد اوتي من عند الله نعمة شفاء المرضى وعفة النفس والجسد ومسألة جميع الناس
حتى بلغ صيت افعاله الحميدة الى العظماء فاجزلوا له الهدايا . وحدث ان الوالي وهو
سعيد بن يزيد مضى الى الاسكندرية كمادة من يتولى لياخذ خراجها بدون ان
يبلغ خبر وصوله اذن البطريرك فلم يخرج لمقابلته فسمى حينئذ قوم اشرار من
الاروام في مقدمتهم ثاوفانيس وهو زوج اخت ثيودوسيوس الخلكيدوني
وقالوا للوالي ان البطريرك ابي الاحتفاء بك لكثرة تبججه وازدياد كبريائه ووفرة
ماله . فغضب الوالي واستدعاه اليه وأوقفه بين يديه وسأله عن سبب تأخيره عن
الخروج للقاءه فأجابه « يعلم الله اني لم افعل هذا لغلظ رقبة ولكن لعدم علمي
وذلك لضعفي ولعدم امكاني الخروج من المدينة الى موضع آخر » فاضطرم
غيط الوالي وسامه لجنوده الى ان يقوم بدفع مائة ألف دينار . وكان ممن استلموه
رجل يدعى سمعديم الرحمة قاسي القلب فأخذه الى بيته اول يوم في جمعة
الآلام ليعذبه حتى يقوم بالمال

وكان مع البطريرك رجلان من اولاد الاخيار اراس القس الامين على مال
البيعة معروف بالدعة عند كل أهل المدينة والشماس كاتبه رجل حكيم محب
للناس . فلما أوقف ذلك الرجل البطريرك أمامه وقال له اريد منك المائة ألف دينار
التي أمر الوالي ان تقوم بها فاجابه البابا بسكينة وهدوء « اتطلب مني مائة الف
دينار ولا أملك منها الف درهم لان الهى في شريعتي امرني ان لا اقتني المال لانه
أصل كل الشرور . فكل ما تشاء افعل جسدي بيدك ونفسي بيد الله » فلما سمع
الكافر ذلك حنق على البابا للغاية وأمر ان يحضر له وعاء نحاس مملوء آجرأ وأوقف

البطيريك عليه ليقول انه يقوم بالمال حتى ذاب شحم القدمين من قوة النار ولكن
البطيريك لم يتحرك ولم يلفظ كلمة استغاثة كأنه كان واقفاً على وتير الفراش غير
ان الله جلت قدرته اوقع بزوجة الوالي ضيقاً فأنقذت رسولا يقول له « احذر
أن تفعل سوءاً بالبطيريك رجل الله لاني بليت الليلة بسببه »

فأمر الامير سعيد بان لا يسهه بسوء بل يجتهد ليأخذ منه ما يقدر عليه بلطف.
فعاد سعيد الى بيته وكان يوم الثلاثاء البصخة وأخذه الى السجن والاعلال في عنقه
والسلاسل في يديه ورجليه وجعل يتهدهه بان يدفع للمال واستحضر له ثياب
يهودي واقسم انه اذا لم يدفع ما هو مقرر عليه يلبسه اياها ويلطخ وجهه برماد
ويطوف به حول المدينة . أما البطيريك فكان يجاوبه بكل شجاعة قائلاً
« لا تستطيع ان تمد يدك الي بسوء بغير أمر الله » فقال له اني اترك نصف المبلغ
فادفع النصف الآخر لكي اطلقك . فأجابه البابا كل ما أمركه هو ثيابي التي
على جسدي واستمر الرجل ينازعه الى ان انتهى بالقيمة المطلوبة الى عشرة آلاف
دينار . فأفهمه البطيريك انه لا يقوى على دفعها

واتصل الخبر بالكتاب الاقباط الموظفين بالاسكندرية ان المبلغ انتهى الى
عشرة آلاف دينار فأوعزوا اليه سرأ ان يقبل الدفع وهم يجمعونها خوفاً من
ان يجري على البيعة اضطهاد بسبب ذلك ثم تقدموا الى الوالي وطلبوا منه ان
يحضر البطيريك امامه ليسمع قوله فلما شاهد وجهه الملائكي رق لحاله واستحضر
له وسادة ليجلس عليها ثم قال له الوالي « السلطان لا يقاوم » فاجابه البطيريك
« يطاع السلطان فيما يجب ويخالف فيما يبغض الله فقد قال الانجيل « لا تخافوا ممن
يقتل الجسد وليس له سلطان على النفس ولكن خافوا ممن يقدر ان يهلك النفس
والجسد جميعاً يعني الله القادر على ذلك وحده » فقال له الوالي « اهلك يحب الحق
والصدق » فأجابه البطيريك « الهى كله حق وليس فيه كذب بل يهلك من ينطق
بالكذب » فقال له الوالي « كل مادفعه لك النصراني فادفعه لي ولا اطلب منك
سواه » فأشار الموظفون على البطيريك ان يقبل فقبل واطلقه الوالي بكل كرامة
ففرح المؤمنون ونال اعداء البيعة خزي جسيم
وخرج البطيريك من دار الأمانة راكباً والارثوذكسيون يحيطون به

واستمروا يسبحون ويرتلون حتى وصلوا الى البيعة وكل في يوم خميس العهد فعمل
على اللقمان ونحلق أرجل الشعب وأقام الصلاة وقرب الاسرار ورجع الى قلايته
بسرور زائد بمجد الله

أما ثاوفانيس رئيس مريوط الذي اشتكى البطريرك فغضب عليه الامير
لاشتهار فضائحه وسامه الى أحد كتابه ليلقيه في السجن ثم أرسل من يقتله بعد
أن عذبه عذاباً شديداً . وأعطى الله البطريرك حظوة ونعمة لدى الوالي فأمر في
جميع المدينة أن لا يخاطب أحد البطريرك الا باللين ولا ينبغي لاحد أن يذكر
أمامه عنه كلمة سوء وأن لا يتعرض له أحد لافي دخوله ولا في خروجه . وقد
ساعد الرب البطريرك فجمع هو والاراخنة والكتاب المؤمنون وجميع الشعب
الارثوذكسي حتى أوفى الامير ما قرر له ، وبعد ذلك اهتم مع رعيته ببناء بيعة
القديس مار مرقس الانجيلي وأتمها في ثلاث سنين بكل زينة واشترى لها دوراً
كثيرة وأملا كما بمصر ومريوط والاسكندرية وبني طاحون كمك ومعصرة
زيت حار .

ومما حدث في أيامه اشتراك الارثوذكسين مع أهل اغراوه وأهل اسخيطس
لأنهم كانوا اخلصيدين ونيين وكان هذا البابا كثير الصدقات فحدث في زمنه غلاء استمر
ثلاث سنين وأعانه الله على القيام بحال ضعفاء المدينة طول تلك المدة ولولاه لهلكوا
من شدة الجوع فكان يدفع لهم قوتهم دفعتين في كل جمعة ويدفع لهم
أيضاً دراهم .

وقد شاء الرب أن يصاب بمرض النقرس في رجله فتعذب منه كثيراً وسار
الوالي الى مصر فسار معه الى ان وصل اليها فلحقه نحس في جنبه فأخبر الوالي
بذلك فحزن عليه وأتخذ الكتاب ليفتقدوه وأعدوا له مركباً لينحدر الى
الاسكندرية وحال وصوله كان الآباء الاساقفة قد علموا بخبر مرضه فدخلوا
اليه وكلن صغبتهم غريغوريوس اسقف القيس ويوحنا اسقف نقيوس ويعقوب
اسقف ارواطه ويوحنا اسقف سخا وتيدر اسقف مليدس وجماعة من الشعب
وكانوا كلهم في حزن عميق لعلمهم بدنو أجله ثم حملوه الى بيعة مار مرقس التي
بنها هو وأدخلوه أمام المنبج الكبير فوقف بقوة الروح وقال صلاة الشكر

وبعد ان اكتملها اعترته غيبوبة فحملوه الى مخدعه وفيه أسلم الروح في ١٠ كيهك سنة ٣٩٢ ش وسنة ٦٨٦ م وجعل جسده في المكان الذي بناه لنفسه قبل نياحته في كنيسة مار مرقس الرسول

وبعد نياحته أصدر عبد العزيز أمراً يقضى فيه على الاقباط بان لا ينتخبوا بطريركهم الا في بايليون وكانوا قبلاً ينتخبونه في الاسكندرية ومن ذلك الحين لغاية القرن الحادى عشر والبطاركة ينتخبون ببايليون ولكن رسامتهم تم في كنيسة الملائكة بالاسكندرية كما انه على البطريرك المنتخب ان يدفع مبلغاً من المال لكنائس الاسكندرية لاجل تميرها وحفظها من الزوال

(٦) ١٤٤٥ - البطريرك الحادى والاربعون. وكان قبل نياحة البابا يوحنا

انه طلب من الرب ان يرشده الى من يصلح للجلوس بعده على الكرسي ولما علم عن أخ تقى متمبذ في دير ابى مقار كان قد تتلمذ لذكريا ايغومانس ذلك الدير والذي ارتقى فيما بعد الى كرسي اسقفية مدينة سياس فكتب البطريرك واحضره اليه وطلب منه ان يكتب كتاباً فافسده حتى لا يعين في وظيفة ما زهداً منه في مجد العالم فلما علم البطريرك نيته قال له حسنا ما كتبتة ووضعته تحت عنايته . وكان هذا الراهب يدعى اسحق مجتهداً في أعماله وفي الكتابة والنسخ فأشركه معلمه معه في خدمة البيعة وحدث بعد نياحة البطريرك انه اجتمع الاساقفة وفي مقدمتهم غريغوريوس اسقف القيس ويعقوب اسقف ارواط ويوحنا اسقف نيقوس وجماعة من الشعب وتشاوروا مع كهنة الاسكندرية ومع الكاتب المتولي واتفقوا على أن يقدموا الشماس جرجس من سخا بطريركا بدون أخذ رأي الوالي وكان حينئذ عبد العزيز بن مروان وقالوا في أنفسهم ان تقمقم علينا الوالي اخبرناه اننا اقننا جرجس بطريركا بوصاية سلفه يوحنا . ثم أخذوا الشماس وقسموه قساً وألبسوه اسكيم الرهبنة وأذاعوا الخبر بانه غداً يقام البطريرك وغاب عن ذاكرتهم قول الرب « في قلب الانسان مشورات كثيرة ولكن مشورة الرب هي التي تثبت »

فلما كان الغد اجتمعوا بارشدياقن المدينة وكان اسمه مرقس وهو رجل فاضل

فمنعهم وقال ان لم تحضروا يوم الاحد كما جرت العادة لا أرسمه . وحينئذ وصل قوم من أتباع الوالي وطلبوا أخذ البطريرك الذي رسموه ليمضوا به الى الوالي في مصر فساروا بهم وهناك ظهر ان الذي أوصى به البابا يوحنا هو اسحق لا جرجس فغضب الوالي وأمر بتقديم من سبقت الوصاية عليه وقد حاول الشماس أن يدفع أموالاً يستميل بها الوالي الى حزبه ولكنه لم يفلح فقطعه الاساقفة من درجته ثم عادوا الى الاسكندرية ووضعوا الايدي على الآب اسحق وأجلسوه على الكرسي في نفس الشهر والسنة اللذين توفي فيهما سلفه في عهد خلافة عبد الملك بن مروان

ومن أمر هذا البابا انه ولد في شبرا من أعمال الغربية وقيل من البرلس من ابوين اشتهرا بالعلم والشرف ولما تقدم قليلا في العمر أدخل المدرسة فكان فيها آية في العلم والتقوى حتى عين كاتباً في الديوان فنال ثقة جميع رؤسائه وأصبح معروفاً بالصفات الحسنة عند الجميع . وكان في عيشته متقشفاً للغاية يلبس على جسده من داخل لباس شمر وفوقه رداء فاخر وكان يكتفي من الطعام بما يسد سقمه

وقد حركه والداه الى الزواج كثيراً بدعوى اقامة نسل ولكنه أبى وتبينت اغراضه السامية عند ما استعفى من وظيفته وقصد دير أبي مقار وتلمذ للاسقف زكريا وقد لاح له من جمال وجهه وبهاء طلعتة وحسن صفاته انه من عائلة ذات شرف فخشي سطوة اهله وارسله الى الطرانه ليقيم بها عند احد الكهنة الافاضل حتى يقف على حقيقة امره

وكان ذووه بعد مبارحته لهم قد اخذوا يبحثون عليه في كل مكان ولا سيما في الاديرة حتى كلفوا البطريرك بان يساعدهم في التفتيش عنه ولكنهم لم يفلحوا ولم يثروا له على اثر فحزنوا عليه حزناً مفرطاً . وبعد ذلك استدعاه الاسقف زكريا والبسه اسكيم الرهبنة ووضع تحت ارشاد شيخ يدعى الانبا ابراهيم وامره بان يذهب ليختفي في دير (باماهو) حتى ينتهي الانزعاج الحاصل بسببه . فاستمر الشاب اسحق في ذلك الجبل مدة ستة اشهر خطر له في نهايتها ان يزور اهله ليهدي بالهم ويوفر عليهم تعب البحث عنه . فعرض الامر على الشيخ ابراهيم واقنعه به

فسارا سماً الى بلده حتى صار ا بالقرب منها وقد آذنت الشمس بجانغيب انقلابها الى مكان
 يملكه اهل ليبيتا فيه فوجدوا راهباً استقصى منه عن احوال اهل قنطرة بما جرى
 لهم بعد فراقه ولذلك عرفه بنفسه وطلب اليه ان يستدعي له رجلاً يدعى الشمامس
 فيلوثلوس من اقربائه وكان مملوفاً من خوفه الله فلما تقابل معه طلب منه ان
 يخبر اهل قنطرة بأمر مجيئه بشرط ان يضمن له عدم سحرهم اياه والسماح له بالرجوع الى
 المدير . فقبل ذلك وانطلق الى والمدى اسحق واخبرها بالامر فذهبا الى مكان
 لمقمتهم ومنها جمع كثير من اهل ومعارفه وكانت ساعة التقابل بهم مفضلة بالسروود
 الزائد . ثم التمسوا منه ان يبقى عندهم شهراً فقبل وبعده رجع الى منزله
 الاسقف زكريا ولبث عنده حتى استدعاه البطريرك اليه كما سلف

ونما جلس هذا البابا على الكرسي المرقسي أخذ في اتمام واجباته فقام البيعة
 للكبيرة التي للقديس مرقس وكانت حيطانها قد مالت وجددت عمل البطريركية
 بالاسكندرية وعلى يديه تجددت كنائس عديدة للارثوذكسين ثم يتمكنوا من
 ان يبنوها اولاً وبني بيعة بجلوان وسبب بنائها ان الوالي ابنتى له بها قصرآ جوامر
 اراخنة الصعيد وسائر الاقاليم بان يبني كل واحد منهم لنفسه مكاناً بجلوان وقد
 أصيب هذا البابا بمصائب متنوعة بعضها من اثناسيوس جاني الطراج ولكنه
 فيما بعد كف عن اتصال الأذى اليه عند ما أشرف ابنه على الموت فاضطر لن
 يستدعي البطريرك ليصلي عليه وبواسطة صلواته نال ابنه الشفاء

وعقب ذلك حضر للبطريرك وفد من احدى ممالك السودان يشرح له سوء
 الحالة في تلك البلاد ويقول له انه لم يبق عندهم من الاساقفة ما يكفي للخدمة
 الدينية ويطلب تعيين من يلزم . وكان حينئذ خلاف شديد بين ملكي النوبة
 وملك الحبشة بسبب ان الاول كان مسيحياً بالاسم واتفق مع المسلمين على محاربة
 الثاني وغرضه من ذلك الحصول على العبيد المخصصين للجزية السنوية فغشي
 البطريرك ان يرسل اساقفة لثلاثيناهم أذى من جرى هذا انطلافه فرأى ان
 يكتب للملكين ليصطلحا ويكفيا عن المشاحنة وكتب لملك النوبة الذي أظهر
 العداوة للمسيحيين يقول له « ان عليك مسئولية عظيمة من الله اذا عملت على
 تعطيل بشارة الخلاص وتسببت في خراب الكنائس الجنوبية واضرعت لاهلها »

ويظهر انه كتب اليه يحذره من التحالف مع المسلمين
 فسمى قومه من اهل المسكر لدى حيد العزيز والي مصر قائلين انه اخذ في
 مكتبة طوك السويديان والطبقين ليمتدحهم على خلع نير المسلمين عن مصر
 غضب الوالي وقبض على البطريرك وأمر بقطع رأسه ولكن بعضهم توسل في
 الأمر وربما الوالي ان ينتظر حتى تسترجع الخطابات ويعرف ما فيها . فارجأ
 الوالي تمهيد الحكم على البطريرك وانتهز كتاب الاقباط الماهرين تلك الفرصة
 وكتبوا خطابات قلدوا فيها خط البابا اسحق وسطروا بها كل ما في الخطابات
 الأولى وحذفوا منها كل ما يخص المسلمين وانما فعلوا هذا الأمر خوفا على
 البطريرك ولئلا يلحق البيعة ضرر . وقبل ان يصل البطريرك الى الوالي عرضوه
 ان الرسل حضروا معهم الخطابات فاسرع في طلبهم وقرأ الكتب فلما وقف
 عليها لم يجد شيئا يذكر فسكن غضبه واتخذ للوقت بواغاد البطريرك الى
 الاسكندرية لكنه حرمه فيما بعد من مزايا كثيرة . واستمر البطريرك جند ذلك
 بجهدها في خدمة كنيسة حتى انتهى على الكرسي البطريركي ثلاث سنوات وتوفي
 في اليوم التاسع من هاتور سنة ٣٢٥ ش و ٣٨٤ م وبعد نياحته جعل جسده في
 المكان الذي انشاه في بيعة مار مرقس .

(٧) سيمون ١ - البطريرك الثاني والاربعون . وبعد ان تبيح البابا
 اسحق كان الشعب والكهنة مهتمين في من يقدموه بعده على كرسي البطريركية .
 فوقع بين كهنة بيعة مار مرقس الانجيلي وكهنة بيعة الانجيليين في المدينة خصام .
 فبعضهم كان يزكي يوحنا الاينو مانوس بدير الزجاج بدهوى انه رجل عالم كاتب
 وآخرون يرشحون انسانا يدعى بقطر اينو مانوس دير قصر وكان رجلا فاضلا
 وقد مال الكتاب الاقباط الى رأي كهنة بيعة الانجيليين لانها هي البيعة الكبيرة
 وكان بها مائة واربعون كاهنا غير ان الفريق الاول الذي رشح يوحنا كان
 يساعده الكتاب للتولي وكتب تادرس من ارض مدينة الاسكندرية الى الوالي
 يذكر بطم يوحنا اينو مانوس دير الزجاج وهو الذي وقع عليه الاختيار ليكون
 بطريركا .

غير ان ارادة الله له تصادق على تعيين هذا أو ذاك بل أقامت رجلا كان في دير الزجاج قديس خائف الله فاضل عالم يدعى سيمون من بلاد الشرق سرياني الجنس ارثوذكسي المذهب جاء به أبواه الى الاسكندرية منذ صباه ودفعا به الى ذلك الدير اكراماً لجسد القديس ساويرس البطريرك الانطاكي الذي كان مدفوناً فيه وفي أيام البابا اغاثو اخذ تادرس ارخن الاسكندرية المذكور سيمون هذا الى يوحنا ايفومانوس دير الزجاج ليدرس عليه العلوم فنال منها قسطاً وافراً حتى رآه البابا اغاثو لائقاً لدرجة الكهنوت فرسمه قساً وكان الثاني بعد معلمه يوحنا في طقس الدير . فكتب الامير وارسل يستحضر يوحنا فسار معه سيمون تلميذه وبعض كهنة الاسكندرية والأرخن تادرس فلما وصلوا دفعوا الكتاب للامير وفيه اسم يوحنا فطلب ان ينظره فلما حضر امامه سر به جداً لانه كان شخصاً بهي المنظر ثم سأل الاساقفة عنه فأطروا حسن سلوكه ولهذا اظهر موافقته على تعيينه بطريركا

وكان هذا التدبير خلافاً لمشيئة الله ولذلك تحرك احد الاساقفة يقول هذا لا ينبغي ان يكون لنا بطريركا . فنزل على الجميع سكوت حتى لم يقو على مجاوبته احد فسأله الوالي من تراه يصلح اذا . فاجابه ان المستحق لهذه الرتبة هو سيمون . فامر الوالي باحضاره ولما شاهده سأل عن جنسه فقيل له انه سرياني من اهل الشرق . فقال للأساقفة أما كان الافضل ان تختاروا لكم بطريركاً من بلادكم فاجابوه ان الذي اخترناه أحضرناه بين يديك والامر لله ولك . فسأل الوالي سيمون عن يوحنا وهل يليق ان يكون بطريركا فاجابه انه لا يوجد في كل مصر ولا في الشرق من يستحق هذه الرتبة مثل يوحنا فهو ابي الروحاني من صغري وسيرته كسيرة الملائكة . فتمجب الامير من كلامه وحينئذ خرج صوت من جميع الاساقفة والكتاب والاراخنة قائلين ليحيى الله الامير لنا سنين كثيرة سلم الكرسي لسيمون فهو مستحق للبطريركية فلما سمع الامير شهادتهم عن انسان غريب لم يعرفوه الا منذ يومين فقط سمح لهم باقامته بطريركا فمضوا به وقدموه على الكرسي في بيعة الانجيليين في شهر كيهك سنة ٣٩٥ ش و ٦٨٩ م في عهد خلافة عبد الملك بن مروان ولقد امتنع سيمون كثيراً عن قبول الرسامة

ولكنه رضي اخيراً وقبل يوحنا ذلك بكل فرح وابتهاج حباً في راحة رعيته وميلاً منه الى السلام والوئام . وكانت نتيجة هذا ان العواطف الحسنة والمحبة للتبادلة ملأت قلب سيمون وأفعمت فؤاد يوحنا فعينه سيمون وكيلاً له وبتصرفاً وكان يهتدي برأيه ويسير على نصيحته مدة الثلاث سنوات التي عاشها يوحنا بعد تعيين سيمون وعند وفاته وضع البطريرك يده على عينيه وكفنه بنفسه وأخذ بركته ودفنه وأقام عنده اربعين يوماً حتى بنى له قبراً ووسمه حتى اذا مات يدفن معه فيه

ثم كتب البابا سيمون سنوديقاً الى يوليانوس بطريرك انطاكية وارسلها مع اساقفته يذكر له فيها الاتحاد بين الكرسيين الاسكندري والانطاكي . فلما وقف عليها وجدها مملوءة من الحكمة والعلم ففرح جداً وخطب في بيعته باسم البابا سيمون وكتب له جوابها وأعاد رسله باكرام زائد فكان فرح عظيم من الشعب الارثوذكسي وسلام واتحاد في البيعة التي كانت تنمو كل يوم وقد بقي هذا البطريرك يحافظ على نواميس الرهبنة كما لو كان في دير . وكان البابا سيمون على جانب عظيم من التقوى والتقشف ولم يكن يعطى نفسه راحة ولم يتمتعها بطيب الأكل بل كان غذاؤه دواماً خبزاً وملحاً مخلوطاً بكمون وبقل وماء وقيل انه لم يأكل لحمًا قط ولم يكن يحضر مع الاساقفة ولا الكهنة لانه كان يطلب الاتفراد لاتمام قواني الصلاة وكان اذا قابل الكهنة يحرضهم على النسك والامانة ويوبخهم على عيشة الافراط حتى ضجر منه بعض الكهنة العالمين وصاروا يبغضونه بغضاً شديداً وتآمروا فيما بينهم على اهلا كه فضى قوم منهم الى بعض السحرة وقدموا له مالا ليركب لهم سما قاتلاً فأخذوا السم ووضعوه في الاناء الذي كان يشرب فيه البطريرك وجاءوا به اليه ليشرب منه . وكان قد تناول من الاسرار الربانية فلم ينله سوء فأعادوا عملهم مرة ثانية فلم يصب بأذى وتم قول الانجيل « يحملون حيات وان شربوا سما مميتاً لا يضرهم » (مر ١٦ : ١٨)

فاندهش الكهنة والساحر مما جرى فأخذوا تيناً وجعلوا فيه سما أقوى فعلا عن الاول وكلفوا أحد الكهنة بان يطعمه اياه صباحاً قبل أن يأكل شيئاً فلما

تناول منه تحركات عليه أحمداؤه ولزم القرائن مريضاً واستمر كذلك اربعين يوماً وهم يفتظرون موته، غير ان الرب أظنه صحيحاً. اما اولئك الاشرار فقد جزاهم الرب حسب فعلهم وذلك ان الوالي لما جاء الى المدينة ورأى البطريرك متغيراً مما جرى له سأل عن السبب فقيل له من الكتاب ان اربعة من الكهنة سقوه سما فأمروهم بحرقهم انجباء مع الساحر فلما اخرجوهم الى موضع يسمى الفاروس لكي يحرقوا ركب البابا على وجهه امام الوالي وبكى بدوه وعجزيرة وطلب منه ان يعفو عنهم ولا يؤذيهم بسببه فتمعجب الوالي من جميل اخلاقه وعفى عن الكهنة ولكنه احرق الساحر عبوة لسواه

وبعد ذلك ولي الآب يوحنا النيقاوي تدير الاديرة وكان من امره ما سيأتي ذكره في باب المشاعر. ثم ولي بعده آخر اسمه مينا من دير ابي مقار وكان رجلاً وجيهاً قوي الحجة محباً للأخوة وحدث ان الاساقفة اجتمعوا عند الوالي للبحث في بدعة للطلاق التي تفشت بين بعض انجباء الاقباط وكان بينهم اساقفة من اتباع الهرطقة ثاو فيلسطس الخلكيوني وتلودرس الاوطاخني وجرجس البرسنوفي وغيرهم وبينما كانوا مجتمعين في احد الاعياد طفق الوالي يشتم عليهم بانهم كفرقة يحملون لله زوجة وولداً ثم عيرهم بعدم اتفاقهم والتفت الى كل من الثلاثة الاساقفة الهرطقة وسأله « من من هؤلاء الاساقفة الثلاثة اقرب اليك » فاجاب كل منهم « البابا سيمون » ثم سأل البابا سيمون اخيراً هكذا فاجابه بصوت علك وقل « لا احب ولا اقرب الي واحد من هؤلاء وانا احرمهم واحرم هرطقاتهم واعتقاداتهم المرذولة » فصادق الجميع على كلامه واجلبوا ان قوله هو الصواب وجرى بعد ذلك ان نصارى بلاد الهند وخاصة اقليم مليبار كان منهم من هاجر من بلاد سورية وبعضهم آمن بكرازة توما الرسول وساروا على منوال نصارى الشرق بواسطة معاشرتهم لهم وصاروا يساسون دينياً من بطريرك انطاكية كما تساس الحبشة من الاسكندرية ولذلك كلوا معتاديين ان يرسلوا اليه بطريرك انطاكية وقدأ يرمم لهم من هم في حاجة اليهم من الاساقفة ولما لم يتمكن الوفد من الوصول الى بلاد سورية سلكا كان في طريقها من المواضع والمعونات وجاء الى الانبيكندرية الى البابا سيمون يطلب منطلق يقيم لهم اسقفاً للهند فنحن البطريرك

بأس الوالي واعتذر بأنه لا يمكنه أن يقوم بهذا العمل بدون إذن منه . فخرج الوفد من عنده فاجتمع به قوم من أتباع جمع خلكيدون وحضروا به الى بطريك الملكيين فأخذ انساناً من مريوط ورسمه لهم أسقفاً ووسم لهم كاهنين وسيرهم سراً الى الهند

وبعد أن ساروا مدة عشرين يوماً قبض عليهم في الطريق قوم من العرب فهرب القس الهندي وعاد الى مصر ومضوا بالثلاثة وأحضروهم موثقين الى الخليفة مروان في دمشق فلما علم أنهم من مصر ومريوط اقتصر منهم وأرسلهم الى ابنه عبد العزيز والى مصر موبخاً اياه لعجزه عن معرفة الامور الجارية في بلاده ويخبره ان بطريك النصارى المقيم بالاسكندرية قد بعث باخبار مصر الى الهند مع رسل من قبله ويأمره بضربه مائتي سوط وتغريمه بمائة الف دينار يرسلها له بسرعة مع الرسل الواصلين اليه

فوصلت الاخبار الى عبد العزيز في الساعة الثانية من الليل وكان الباباسيمون حينئذ بحلوان صحبة أحد أساقفته فأرسل واستحضره لديه مع اثنين من كتبته وهدده بالقتل ان لم يعترف بالحقيقة فروى له الخبر بان قسا هندياً جاء يطلب منه اقامة اسقف فاجتمع بدون اذن من الوالي فلم يصدق بل زاد في توعده وأخبره بما حكم به عليه الخليفة وهدده بهدم جميع البيع وقتل كل الاساقفة فطالب منه أن يسأل الأشخاص الذين قبض عليهم ليعرفوه ان الذي أرسلهم خلافه . فقال له الوالي انا لا أعرف بطريكاً بالاسكندرية سواك فأبى البطريك أن يخبره بما فعل بطريك الملكيين لئلا يوقعه في بلية شأت المسيحي الحقيقي الذي لا ينسى في ضرر الآخرين . ولما كان الوقت ليلا طلب البطريك من الوالي مهلة سبعة أيام ليدعو فيها الله ليكشف عن الحقيقة فقال له لعلك تريد أن تهرب أو تقتل نفسك فأجابه اني تحت تصرفك فمهما أردته بي فافعله فأعطاه مهلة ثلاثة أيام فخرج من عنده وسأل الله بدموع أن يظهر براءته فعند مغيب شمس اليوم الثاني نظر أحد كتبة البطريك القس الهندي ماشياً على شاطئ البحر فمضى به الى البطريك فأخذه في اليوم الثالث الى الوالي والتمس منه أن يعفو عن يقع عليهم اللوم بعد ظهور الحقيقة فوعده بذلك فقدم اليه القس الهندي فأعلمه بكل ماجرى فلما علم

الامير الحقيقة أرسل الهندي الى السجن وأمر بطلب بطريك الملكيين وكتب الى آبيه يخبره ان بطريك النصارى بالاسكندرية ليس له ذنب فيما جرى وذكر له صلاحه وفضيلته. ثم تقدم البطريرك للوالي طالباً منه أن ينجز وعده بالعفو عن المذنبين فعفى عن الهندي وبطريك الملكيين واطلق الاساقفة الى كراسيهم وأمر لهم ان يبتنوا بيعتين بجلوان وكان الاساقفة ينفقون من عندهم على عمارتيهما ووكل الوالي غريغوريوس اسقف القيس بتشيدهما

ولم يكد البابا سيمون يتخلص من هذه المحنة حتى وقع في غيرها فان قسماً يدعى مينا كان أقامه وكيلا على الوقف وترك له حرية التصرف على كل ما تملكه البطريركية غير انه أساء التصرف وبدد أموال الوقف وسار سيرة غير حميدة وكان البطريرك ينصحه دواماً قائلاً له « احذر من أن تبقى في منزلك شيئاً مما لله لثلا ينزل بك البلاء » فلم يسمع لقوله بل سلط لسانه على البابا سيمون وأنشأ يسلبه بالاقاويل الكاذبة . فوقعت عليه من قبل الله صاعقة قوية عقدت لسانه عن الكلام . فحزن البطريرك لاجله ولأجل مال البيعة الذي كان تحت يده وسأل السيد المسيح ان يقيمه . فلما كان نصف الليل بلغ البابا ان مينا على حافة الموت فأرسل من قبله كاتباً يسأل زوجته عما اذا كان زوجها أخبرها بشيء عن مال الوقف فلما وصل الكاتب الى البيت علم ان مينا قد مات . ولما توفى ألبسوه ثوب الكهنوت وأضجموه على السرير كمادة أهل الاسكندرية فدخل اليه رسول البطريرك وانحنى عليه ليقبله فقام لوقته وتعلق برقبتة وقال « الله الواحد اله الآب الطوباوي البابا سيمون » . وأخذ الرجل يبيدي علامات شكره لله الذي أعاد اليه الحياة بدهاء البابا سيمون . فأسرع التلميذ وأخبر البطريرك بما جرى ثم توجه القس مينا الى البابا سيمون وسلم له جميع مال البيعة وطلب منه الصنح عن كل ما فرط منه . أما البابا سيمون فومم جملة أساقفة مختبرين في العلوم منهم زكريا اسقف سخا واطلموس اخوه اسقف منوف العليا وغيرها وأقام تسع سنين ونصفاً ثم اعتل في يوم الخميس وكان حينئذ بجلوان بسبب رسامته الاساقفة وارسالهم الى الجهات المختصة بهم فقال لتلميذه هيا بنا نمضي الى وادي هيب لناخذ بركة الآباء القديسين فضى الى الاديرة وبمدها رجع للاسكندرية حيث توفى في الرابع والعشرين من

اييب سنة ٤٠٢ ش و ٧٠٠ م ودفن بدير الزجاج كطلبه وقيل ان المسلمين سموه
فات مسموماً .

القسم الثاني

مناهب الكنيحة

.....

يوحنا النيقاوي (١)

كان اسقفاً لبروشية نقيوس في النصف الثاني من القرن السابع . ولما كان
خبيراً بأحوال الرهبان قلده البابا سيمون البطريرك ال ٤٢ رئاسة الاديرة .
وحدث ان احد الرهبان المحبين للشهوات أخرج عذراء من ديرها ودخل بها
وادي هيب وارتكب معها الاثم . فلما ظهر ذلك بين الرهبان جزعوا وارتعبوا
وانتهى الخبر الى مسامع الانبا يوحنا فقام بتأديب الراهب وخر به ضرباً وجماً
حتى مات بعد عشرة ايام من شدة الضرب

فلما بلغ الاساقفة في مصر خبر موت الراهب اجتمعوا سرّاً وسألوا الانبا
يوحنا عن القضية فاعترف امامهم انه هو الذي ضربه فاجبوا عليه القطع لكونه
تعدي على الواجب وحرموا عليه ان يتقدم لرفع الاسرار الربية بل يتناولها
كراهب . فلما سمع الحكم وقف في وسطهم وقال « لقد قطعتموني ظلماً هكذا
يجعلكم الله غرباء عن كراسيكم الى تمام الزمان الذي حكتم به علي » وجرى فعلاً
ان بعض الاعيان كانوا يخالطون غير زوجاتهم ولما منعهم الاساقفة وشوا بهم الى

(١) نسبة الى نقيوس بمركز متوفى وتسمى باللغة القديمة (ابشاني) وبقرها الآن زاوية رزين
وآثار الكنائس باقية بها

الحاكم فاستحضرهم من بلادهم وظل مدة يستجوبهم حتى مات الانبا يوحنا وكان حينئذ قد بلغ من العمر أقصاه ويظهر ان تلك الاساءة أحرزته فقضت عليه

وكان هذا الانبا كثير الاطلاع على صحف الاقدمين حاصل على قسم موفور من المعارف الدينية والأدبية ومن أهم ما آثره المؤلف الذي وضعه في تاريخ مصر باللغة القبطية وهو يعد من أفضل كتب التاريخ نظراً لاحتوائه على كثير من الحوادث التي جرت في أيام الفتح العربي ومنها ما وقع في أيامه وشاهده بعينه . وقد وجد ما دونه به مطابقاً لما كتبه كبار المؤرخين عن تاريخ مصر القديم . وقد ترجم هذا المؤلف الثمين من القبطية الى اليونانية فالعربية فالحبشية ولكن لم تبق من ترجماته سوى النسخة الحبشية التي نقلها الى العربية الشماس غبريال المصري الراهب الذي كان قائداً للجيش الحبشي منذ ٣٠٠ سنة . وقد اهتم الدكتور زوتنبرج بنشر هذا التاريخ باللغتين الفرنسية والحبشية معاً

.....

القسم الثالث

المملكة والكهنة

- (١) هرقل (٢) فتح الفرس (٣) عودة هرقل لفتح مصر (٤) أصل
- المقوقس (٥) الفتح الاسلامي (٦) محاولة سرقة رأس مار صرقس (٧) فتح
- السودان والخمس المدن الغربية (٨) الاقباط في صدر الحكم الاسلامي
- (٩) خلافة مروان بن الحكم

.....

(١) هرقل . في زمن تولي فوقا كرسي القيصرية قام ضده هرقل والي

افريقية قاصداً الاستقلال بحكم مصر فناصره المصريون على فوقا لاسيما أهالي
نقيوس الذين اعترفوا بحكم هرقل عليهم وساروا اليه تحت رئاسة استنفهم
ثيودوروس ووكيله مينا . ولكن جيش هرقل هزم أخيراً وأسر الاسقف ووكيله
فرغما الكتاب المقدس بأيديهم ليعفوا عنهما ولكن بعض انصار فوقا اتهموها
بكسر رأس تمثال للملكهم كان بنقيوس فقطع قائد جيش فوقا رأس الاسقف
وعذب وكيه بالجلد بالسياط الى ان دفع ثلاثة آلاف قطعة من الذهب فدية
ولكنه مات بعد يومين من اطلاقه من شدة ألم الضرب . ورفع القائد يد
القساوة على الذين تظاهروا بالميل لهرقل فجلد كثيرين منهم وقطع رؤوس
الباقيين .

غير ان هرقل عاد فشد ازره وهجم على الاسكندرية وقام المصريون بأسرهم
معه . وكان يوجد راهب بسمنود يدعى ثاوفيلس اشتهر بالقداسة وقضى اربعين
سنة فوق قمة عامود يعبد الله فتوجه اليه قائد جيوش هرقل واستنفهم عن مصير
جيشه فتنبأ له خيراً وغاز القائد بجيش فوقا واستتب الملك لهرقل في مصر
سنة ٦١٠ م

(٢) فتح الفرس . ولم يكديتم النصر لهرقل حتى قام الفرس لغزو بلاد

الشرق وبعد ان أتموا فتح بلاد الشام وأخذوا خشبة الصليب الى بلادهم زحفوا
على القطر المصري وتمكنوا من الاستيلاء عليه فهجموا على الكنائس والاديرة
وطأوا فيها فساداً . واعلن القائد الفارسي في الاسكندرية انه مستعد ان يعطى
كل مصري من ابن ثمان عشرة سنة الى ابن خمسين عشرين ديناراً فلما خرجوا
الى خارج المدينة ساط عليهم السيوف فقتل منهم ثمانين ألف رجل . ولما فعل
هذا رحل الى الصعيد وكان في مدينة نقيوس قوم دسوا اليه بان الرهبان الذين
في الجبال والمغائر وعددهم سبعة آلاف راهب يملكون خيرات جزيلة فارسل
جيشه ليلا وأحاط بهم وفي الصباح أمر بقتلهم جميعاً . وبلغت الاديرة التي أخرجوها

بضواحي الاسكندرية ٦٢٠ ديراً كان يسكنها رهبان وواهبات ودمروا أديرة
الرهبان بوادي النظرون . وبقيت مصر في يد الفرس عشر سنوات ساموا فيها
المصريين الخسف والعذاب أشكالا

(٣) عودة هرقل لفتح مصر . وفي مدة فتح الفرس لمصر كان هرقل
مشغولاً بتوطيد ملكه على جميع المملكة الرومانية ولما تم له ما أراد حول وجهه
نحو مصر ارادة استخلاصها من يد الفرس الا انه شعر بضرورة الاتحاد مع الاقباط
ليفوز بغرضه فاستدعى اليه اثناسيوس بطريرك انطاكية وطلب منه الانضمام
للكنيسة الملكية فأبى مدافعاً عن ايمانه القديم قائلاً « لو اعتقدت ايها الملك
الجليل بطبيعتين في المسيح فينبغي ان تسلم ان لكل طبيعة منهما فعلاً خاصاً
قائماً بها وانها تفعل على حدها بدون اتحاد الطبيعة الاخرى واشتراكها في الفعل .
فيكون المسيح اذاً بناء على هذا الاعتقاد واحداً بالاسم واثنين بالفعل لان الفاعل
فيه ليس واحداً بل اثنان » قال هرقل الى كلامه ومضى الى القسطنطينية وسأل
سرجيوس بطريركها عما اذا كان الفاعل في المسيح واحداً أم اثنين فأجابه ان
الفاعل واحد لان المشيئة واحدة والارادة واحدة غير منقسمة فافتنع بذلك
وأراد ان يوحد المذاهب المسيحية على هذا المبدأ وهو ان المسيح واحد وفعله
واحد ومشيئته واحدة بدون ان يأتي بذكر للطبيعة الواحدة أو الاثنتين

ثم كلف هرقل سرجيوس بطريرك القسطنطينية وكيروس أحد أساقفة المملكة
الغربية وبعض أساقفة اليونان بان يضموا منشوراً يسمونه « الاكثيسيس »
أي « مشروع الاتحاد » لا يذكر فيه اسم المجمع الخلكيدوني الذي يبتغضه
المصريون بل يقررون فيه ان للمسيح « مشيئة واحدة » ومن ثم عين كيروس
المذكور بطريركاً للاسكندرية وانتدبه الى مصر بهذا المنشور وطلب من بطريرك
الاقباط ان يقبله فرفض بحجة انه لا يبحث في منشور يجره ملك كل اهتمامه
بالغزو والفتح ولا شأن له بالمسائل الدينية . ولما رأى كيروس بطريرك الملكيين
ان الاتفاق السياسي بين هرقل والمصريين يتوقف على الاتفاق الديني حاول ان
يرغم البطريرك القبطي البابا بنيامين على توقيع المنشور رغماً فهدد حياته وحياءه

كثيرين من وجهاء الاقباط حتى اضطر معظمهم ان يتركوا مدينة الاسكندرية وهرب البابا بنيامين ولما لم يقف له على اثر قبض على أخيه مينا وانزل به بلايا عظيمة واشعل في جنبه المشاعل حتى خرج شحم كليتيه الى جنبه وسال على الارض وقلع اسنانه باللحم لاعترافه بالامانة الارثوذكسية . وكان هرقل قد أوصى جنوده بانه اذا قال احد ان جمع خلكيدون حق أعفوا عنه ومن قال انه ضلال اطرحوه في البحر ففعلوا ذلك وملاوا جملة جوالق زملا وطرحوا مينا في البحر وهم بمسكون الجوالق وقالوا له قل ان جمع خلكيدون حق ونحن نرحمك فأبى وكان هذا على ثلاث دفعات ثم دفعوه الى عمق المياه فراح شديد التمسك بإيمانه .

وكان البابا بنيامين قد أوصى الاساقفة ان يختلفوا من وجه الاضطهاد فأطاعه بعضهم وبقى الاكثرون فلما أمر هرقل بالزام الارثوذكسيين بقبول جمع خلكيدون ضل عدد كبير من اولئك الاساقفة بعضهم بالمذاب وآخرون بالمواعيد وغيرهم بالخداع ومن هؤلاء كورش اسقف نقيوس وبقطر اسقف القيوم ثم اقام هرقل اساقفة خلكيدونيين في بلاد مصر كلها الى انصنا وكان يبلي الارثوذكسيين بلايا صعبة وما زال يطارد رعاهم ويضطهدهم ويذل افرادهم ويغتصب كنائسهم ويسلب منازلهم وهم صاغرون ويفتك بهم وهم صابرون بدون ان يتبصر في عواقب الامور حتى اشرفت مملكة الرومان على الهلاك واصبحت في حال انحطاط زائد بسبب التعصبات الدينية والاختلافات المذهبية

وقد رجعت سلطة الرومانيين الى مصر في وقت بلغ فيه سخط المصريين عليهم اشده لاسيما لما رأوا ان ملوك القسطنطينية كانوا يرون شغلهم الوحيد هو ارغامهم المصريين على التمدد بذهب مجمع خلكيدون ولكن هؤلاء لم ينفخوا عن هذا فثبتوا في مبادئهم وحفظوا لغتهم وحافظوا على شريعتهم الدينية وترجموا جميع تعاليمهم الى لغتهم ولا يخفى ان ذلك جمع كلمتهم وشد عرى اتحادهم ففوقوا وثار في خاطرهم امر الاستقلال . ولهذا السبب كثرت التلاقل في البلاد وصغرت الحكومة الرومانية في عيون المصريين لاسيما لأنهم كانوا يشاهدون قرب سقوطها وما كان يهددها من كل الجهات . فاستعمل الحكام والولاة العنف والقوة في تنفيذ

اغراضهم فكان هذا داعياً الى انقلاب الاهالي على الحكام وتمديهم عليهم
والسعى في اخراجهم

وكانت معظم هذه القلاقل تتناول الوجه البحري . اما الوجه القبلي فكان
احسن حالا وانعم بالا لان الامبراطرة لم يكونوا يهتمون به كثيراً فكان اهله
معروفين بالغيرة الدينية والعمل على تقدم المسيحية وارتقائها فأزهرت فيه
واشرق نورها ولهذا السبب عينه نجد للآن ان اغلب الاقباط يسكنون الوجه
القبلي لأنه كان أكثر أماناً لهم من الوجه البحري

(٤) أصل المقوقس . وقد اقام هرقل على مصر والياً من قبله هو

« المقوقس » ومقوقس على ما ذكر بعضهم كلمة يونانية معناها حاكم والعرب
يسمونه عظيم القبط اما اسمه فكان جرجس بن مينا وهو يوناني الاصل الا
انه كان يعيل للقبط ويرثي لحالهم . ولا ريب في رومانية المقوقس اذ لم يكن
قيصرة الرومان يقيمون ولاية بمصر الا اذا كانوا من جنسيتهم . واذا كان الامر
كذلك فلماذا تواطأ المقوقس مع العرب على قومه الرومان ؟ الواضح ان المقوقس
لما رأى انتفاض قسبة المملكة الرومانية في مصر وكان محباً للمال للدرجة القصوى
ضم لحوزته كل الضرائب التي كان يأخذها من المصريين للحكومة . ولما رأى
ان هرقل مزعج أن يعيد سلطته لمصر ولا بد يطالبه بدفع ما اختلسه من المال
اضطر ان يسهل للعرب سبيل الاستيلاء على مصر

وزوى المؤرخون ان محمداً صاحب الشريعة الاسلامية أرسل في السنة
السادسة للهجرة كتاباً الى المقوقس يدعو فيه الى الاسلام فأكرم المقوقس رساله
وأرسل معهم هدية من ضمنها جارية قبطية تسمى مارية اتخذها سرية فرزق
منها بولد سماه ابرهيم ولكنه لم يعش ولم ترزق منه بغيره . وقد استنتج ان من
ذاك الحين كان بين المقوقس وزعماء العرب صلات وعلاقات مريية . وقيل ان
المقوقس كان يرسل صاحب الشريعة الاسلامية وبقى المر مكتوماً لا يعلم به
أحد حتى استخلفه عمر بن الخطاب فتم للمقوقس ما أراد من استيلاء العرب على مصر .

ويقال إن الخطاب الآتي هو الذي أرسله نبي المسلمين للمقوقس : -
« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط .
سلام على من اتبع الهدى . اما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام . اسلم تسلم يؤتتك
الله أجرك مرتين فان توليت فعليك اثم كل القبط . يا أهل الكتاب تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا
بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » الله

رسول محمد

وهذه صورة جواب المقوقس : - « بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد بن
عبد الله من المقوقس عظيم القبط . أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت
فيه وما تدعو اليه وقد علمت ان نبياً قد بقى وكنت أظن انه يخرج بالشام وقد
أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لها مكان من القبط عظيم وكسوة واهديت
لك بغلة لتركبها والسلام » والكتابان مرتاب فيهما

(٥) الفتح الاسلامي . وكان جيش العرب في فاتحة هذا القرن حاملاً لواء
الظفر في كل مكان وظل يفتق الهضاب والبطاح ويجوب الفيافي والبلاد حتى
وصل الى حدود مصر تحت قيادة عمرو بن العاص فدخل مدينة العريش وذلك
في سنة ٦٣٩ م ومنها وصل الى بابيس وفتحها بعد قتال طال أمده نحو شهر ولما
استولى عليها وجد بها ارمانوسه بنت المقوقس فلم يمسه بأذى ولم يتعرض لها
بشر بل ارسلها الى ابيها في مدينة منف مكرمة الجانب معززة الخاطر فقد
المقوقس هذه الفعلة جميلاً ومكرمة من عمرو وحسبها حسنة له

واحتلت جيوش العرب الوجه البحري فصاروا يرتكبون فيه المظالم
فوقف في وجههم اثنان من الاقباط هما ميناوقزمان وراسا جماعة مدربة
فكانوا يدفعون عنهم غائلة الاعتداء الاجنبي عربياً كان أم رومانياً . قيل ان
عمرو عندما وصل الى نقيوس فتك باهلها فتكا ذريعاً ولم يبق أحداً ممن كانوا
في الشوارع أو الكنائس وصار يتقدم الى داخل البلاد حتى وصل الى بايليون
ودام القتال بين عمرو وبين الروم سبعة أشهر كان يتظاهر المقوقس في اثنائها بلفه

ضد العرب وهو معهم نخابر الروم في أمر التسليم بالتي هي أحسن فأبوا كل الاباء
فانسحب من الحصن ولم يبق فيه سوى عدد قليل من القبط لم يقووا على مقاومة
العرب فعمدوا الى الحرب قاصدين منف فتبعهم العرب وكان يفصلها جسران
من المراكب فرفعها القبط فبقى العرب محاطين بالماء من كل الجهات .

ولما رأى المقوقس اشتداد بأس العرب تفاوض معهم فكتب اليه عمرو يقول
ليس لك ولقومك سبيل للنجاة الا اذا اخترت واحداً من هذه الشروط (١) اما
الجزية (٢) أو الاسلام (٣) أو استمرار القتال . فجمع المقوقس رجال حكومته
وتفاوض مع رسل من قبل عمرو واتفق رأيهم على ايثار الجزية ورضوا بها على
صلح يكون بينهم يعرفونه . فاجتمع المقوقس وعمرو وتقرر الصلح بينهما بوثيقة
مفادها ان يعطى الأمان للاقباط ومن اراد البقاء بمصر من الروم على انفسهم واموالهم
وكنائسهم وفي نظير ذلك يدفع كل قبطى دينارين ما عدا الشيخ والولد البالغ
من العمر ١٣ سنة . والمرأة وأحصي من دفع الجزية في تلك السنة من القبط فكان
عددهم ستة ملايين . وكان عدد الاقباط قد نقص بعد اضطهاد ديوكليانوس
ولكنه أخذ يتزايد بعد انتشار المسيحية حتى بلغ مجموعهم ابان دخول العرب
اربعة وعشرين مليوناً تقريباً

ولما رأى هرقل ما كان من استيلاء العرب على مصر مات محزوناً مرذولاً
واقسم عمرو الايمان المغلظ بتنفيذ وعده مع المصريين . وذكر المؤرخون انه
بعد استتباب السلطان للعرب في مصر وبينما كان الفاتح العربي يشتغل في تدبير
مصالحه بالاسكندرية سمع رهبان وادي النظرون وبرية شيهات ان أمة جديدة
ملككت البلاد فسار منهم الى عمرو وسبعون ألفاً حفاة الاقدام بثياب ممزقة يحمل
كل واحد منهم عكازاً يخاف عمرو ان يكون هذا الجيش قوة مقاومة ولكنهم
تقدموا اليه وطلبوا منه ان يمنحهم حريتهم الدينية ويأمر برجوع بطيركهم من
منفاه فاجاب عمرو طلبهم وأظهر ميله للاقباط فازداد هؤلاء ثقة به ومالوا اليه
خصوصاً لما رأوه يفتح لهم الصدور ويبيح لهم اقامة الكنائس والمعابد في وسط
الفسطاط الذى بناه بمساعدة الاقباط وجعله عاصمة الديار المصرية ومركز الامارة
على حين انه لم يكن للمسلمين معبد فكانوا يصلون ويخطبون في انحاء

وقرب عمرو اليه كثيرين من الاقباط واعتمد عليهم في اصلاح شؤون البلاد ووظفهم بوظائف عالية فكان منهم الحكام والرؤساء والكتاب وجباة الخراج فقاموا بخدمة البلاد بامانة حتى عم الرخاء وساد الامن وقسم عمرو القطر المصري الى كور أو أعمال يرأس كلا منها حاكم قبلى تأتيه القضايا ينظر فيها ويصدر أحكامه . وخطب عمرو في جيش المسلمين وكان من خطبته قوله « حدثني عمر أمير المؤمنين (رضه) انه سمع رسول الله (صلعم) يقول ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فان لكم فيها صهراً وذمة فكفوا أيديكم وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم » اه ثم بنى عمرو جامعه المعروف بهمة مهندس قبلى يدعى بقطر

وذكر ابن القفطى وابو الفرج اللطى وغيرهما ان عمرو لما فتح الاسكندرية كان من جملة علمائها رجل اسمه يحيى (يوحنا) الغراماطيقى فدخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو وسمع من الفاضل الفلسفية التي لم تكن للمغرب بها أنسة ما هاله ففتن به وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه . ثم قال له يحيى يوماً « انك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الاصناف الموجودة بها فما لك به انتفاع فلا نمارضك فيه وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به » فقال له عمرو « ما الذى تحتاج اليه » قال « كتب الحكمة التي في الخزانة الملوكية » فقال له عمرو « هذا ما لا يمكنني أن أمر فيه الا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » فكتب الى عمر وعرفه قول يحيى فورد عليه كتاب عمر يقول فيه « وأما الكتاب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله (القرآن) ففي كتاب الله غنى عنها وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليها فتقدم باعدادها » فشرع عمرو في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحرقها في مواقدها فاستنفدت في مدة ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب

(٦) محارقة رأسى مار مرقس . بعد استيلاء المسلمين على الاسكندرية دمروا أسوار المدينة واشعلوا النيران في معظم الكنائس وبينها الكنيسة القديمة لمار مرقس حيث كانت بقايا جسم القديس مدفونة . ويؤخذ

من رواية الانبا ساويرس المؤرخ ان بقايا القديس خلصت بمعجزة الالهية لانه
 بينما كانت النيران متأججة في الكنيسة دخل اليها بحارة المراكب وفتشوا تابوت
 القديس ظانين ان فيه مالا ولما لم يجدوا اخذوا الثياب من على جسمه وبقيت
 عظيمة فيه . وجاء بعد ذلك رئيس مركب شنوده احد عظماء الاقباط فوجد رأس
 القديس فأخذها وخبأها في جوف مركبه ولما اراد ان يسير خارج الاسكندرية
 لم ينتقل فأخبر شنوده بذلك ففتش السفينة فوجد بها رأس القديس فحضر واعلم
 البابا بنيامين بالخبر وكان شنوده قد شاهد في رؤيا القديس مرقس يطلب منه ان
 يبني له كنيسة في موضع عينه له فاعترف بان شكل الرأس كالشكل الذي شاهده
 في الرؤيا وحالا اخذها من المركب فقلت فوراً لجميع الذين شاهدوا هذه
 المعجزة كانوا يعجبون الله . وقيل ان عمرو بن العاص عندما قص عليه البطريك
 هذه المعجزة اعطاه ١٠٠٠ دينار لكي يبني بها كنيسة احتراماً للرأس وسميت
 بالملقاة وكانت قائمة جنوبي الاسكندرية

وعاد البابا بنيامين الى المدينة والرأس في حضنه وصنع لها تابوتاً من الابنوس
 وبني عليها بيعة ومن ذلك الوقت صار كل البطارقة الذين يرسمون يضعون
 الرأس امامهم وقت التكريس مغطاة بقرع جديد ويقدمونها للشعب لتقبيلها
 وفيما بعد جدد هذه البيعة البابا يوحنا السموودي البطريك ال ٤٠ وفي مدة البابا
 زكريا البطريك ال ٦٤ وجد احد الامراء الاتراك رأس القديس مار مرقس ولما
 سمع بان المسيحيين يعلقون عليها اهمية كبرى عزم على حملها الى القاهرة وتمكن
 الشماس بقيرة احد مستخدمي الحكومة ان يشتريها منه بمبلغ ٣٠٠ دينار وقدمها
 للبطريك حيث كان في دير ابي مقار . وفي ايام البابا خريستوذلو البطريك ال ٦٦
 كانت الرأس المقدسة محفوظة في منزل ابي يحيى بن زكريا وقد مرض مرضاً
 شديداً فخشي المؤمنون ان تختم الحكومة بيته بعد موته لحفظ ما فيه فأخذوا
 تابوت الرأس وحملوه الى بيت مجاور واذ رأوا المحل غير آمن ارادوا نقله الى
 بيت الآب مانهوب راوي هذا الخبر ولكن هذا الرجل الذي كان مقرباً للسلطان
 ابي حفظ التابوت عنده فهد به الى القس سمعان . الا ان رجلاً افريقياً اسمه علي
 ابن بكير من اهالي برقة وقف على امر المسألة ورفعها الى الحاكم في رسالة فلتقى

القبض على كل المهتمين بالأمر ولما سئلوا العلم حكم الاسكندرية كوكب النولة طلب منهم ان يردوا رأس القديس او يدفعوا مبلغ عشرة آلاف دينار التي كانت يظن بحسب فكره ان اليونانيين كانوا مستعدين له فقها ثمناً لبقية الاعضاء وبعد ان لبثوا مكبلين بالحديد ٣٧ يوماً دفع احدهم ابو الفتح ٦٠٠ دينار فاطلق مراحه بعد ثلاثة ايام واعدت رأس القديس الى المسيحيين فكانت موضوع احترامهم في مدة حكم الملك الكامل . ووجدت رأس القديس في منزل ابن السكرى حيث كانت قد اكتشفت من عدة سنين مضت .

وقيل ان رجلاً رومياً اشترى الرأس في عهد البابا خروستوفولوس باو بمائة دينار وبني عليها حائطاً خشبياً له وصول الايدي اليها وان البابا امر قس الى ٧٣ سنة هضماً للار وبلغ هناك الى ثلثي يوم وكيرلس ابن القلق ال ٧٥ لما وضعت عليه اليد خرج الى دار ابن السكرى التي فيها الرأس . وقيل انها كلفت رأس البابا بطرس خاتم الشهداء لانس وأسن ماز مرقس كانت معه على جسد له نقله الزويم الى البندقية والله اعلم

وكنيستنا القبطية تخبر انه وأسن الرسول موقس نقلت من فلان ابن السكرى الى ضريح البطاركة بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية ولم تزل باقية فيه وذلك لانه لما جلس البابا بطرس ال ٤٠٤ واحتضن الرأس علم ان هناك من يحاولونه سرقة الرأس فأمر بحفظها بكل عناية في ضريح البطاركة بالاسكندرية

(٧) فتح السودان والخمس المارنه الغربية : وكانت البلاد السودانية

والخمس المدن الغربية قد صارت قبيل الفتح الاسلامي العربي كلها مسيحية تعترف بسيادة بطريك الاقباط عليها . وكان السودان عبارة عن ممالك مسيحية عديدة مستقلة ومنظمة . فسير اليها عمرو قوة عسكرية تحت قيادة عبد الله بن سعد فلزم قتالهم مدة وفي اثناء محاصرته لمدينة دنقلة دمر كنيستها الكبرى فجزع النوبيون وسلموا للعرب فاشترط عليهم هؤلاء ان يسمحوا للمسلمين بلأقطعة منهم وان يبنيوا لهم جامعاً يقومونهم بانواته ونظافته ثم حكموا عليهم بدفع ضريبة سنوية من العبيد الاقوياء وكان هذا مبدءاً تجارة الرقيق . أما الخمس المدن فلم يستطع

عمرو اخضاعها واكتفى بما أخذه منها من الغنائم والأمرى الذين جعلهم عبيداً .

(٨) الاقباط في مصر والحكم الاموي . وكانت مدة ولاية عمرو بن

العاص في مصر وخلافة عمر بن الخطاب أحسن أوقات الراحة التي ذاقها الاقباط وقيل ان قبلياً فقيراً أتى عمر الخليفة وشكا اليه ان بن العاص لطمه فاستدعى عمرو وقال له « ولد الناس احراراً فلماذا تستعبدوهم » وأمر القبطي ان يلطم الامير . ولكن لما تولى الخلافة عثمان بن عفان سنة ٦٤٤م فصل عمرو وعين بدله عبدالله بن سعد فاشتد على الاهالي وجمع منهم ضرائب باهظة فجبا في اول سنة اربعة عشر مليوناً من الدنانير بزيادة مليونين عما كان يجبوه عمرو فسر الخليفة بهذه الزيادة وقال لعمرو « يا أبا عبدالله درت اللقحة باكثر من دورها الاول » فأجابه عمرو « لقد أضرتهم بولدها ان لم يمت للفصيل » أي ان هذه الزيادة لا بد ان تضر اهل البلاد اذ لم يزد عددهم عن الاول

وفي اثناء ذلك انقذ الروم حملة من جنودهم لاسترجاع مصر من المسلمين وفي اثناء قتالهم بالاسكندرية كانوا يعيشون فساداً في القرى وينهبون ما بها ويقتلون سكانها فخشي القبط استيلائهم على البلاد مرة ثانية فناصروا العرب وباء الروم بالخبية والخذلان

وبعد انتهاء دولة الخلفاء الراشدين بموت علي بن أبي طالب الذي خلف عثمان بن عفان ابتدأت الدولة الاموية التي كان اول خلفائها معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٦١ م . وفي مبدأ الدولة الاموية كان الاقباط ملازمين الهدؤ والسكينة لاستقامة الحال معهم وظلوا محافظين على شروط معاهدتهم مع عمرو فلم يطلبوا الاستقلال وكان حينئذ في استطاعتهم نواله اذا طلبوه . ولما زادت شرور عبدالله بن سعد طلبوا استبداله بصديقهم عمرو فأعيد اليهم فصار فرحهم عظيماً ولما مات حزنوا عليه وكان لهم الحق في ذلك الحزن لأنه لم يتول مصر واحد أحسن اليهم مثله كما سترى . واستخلف الخليفة معاوية على مصر بعد عمرو سعيد بن يزيد فاضطهد بطريك الاقباط اضطهاداً شديداً

(٩) شهرة مروان بن الحكم سنة ٦٨٤ م . ولي على مصر ابنه عبد العزيز وكان في مبدأ امره محاسناً الاقباط ولما بنى مدينة حلوان نقل اليها بيت المال وكان الأمين عليه رجل قبلي يسمى انتناس وابتنى بها القصور الشاهقة ولعله بان الاقباط هم اصحاب البلاد وذوو الثروة والاقتدار كلف اغنياءهم ان يبني كل منهم له داراً بمدينة الجديدة والسكي بحسب اليهم سكنهاها أمر البطريك ببناء بيعتين فيها لسكي يزيد في حسن رونقها بالنسبة لجمال الكنائس في تلك الايام وقد سبق معنا انه وكل بعارة البيعتين الانباغريغوريوس اسقف القيس (١) وكان بين عبد العزيز والبابا اسحق ال ١٤ ائتلاف فكان البطريك يكثر التردد على حلوان لزيارة الأمير وبعد ذلك داخل عبد العزيز فكر بعد ان أخضع البلاد كلها له بانه لا يوجد فيها من له السلطان مثله الا البطريك فتغير عليه وأمر الاقباط بان لا ينتخبوا بطريكهم بمبدأ عنه أي في الاسكندرية كما جرت العادة بل في بايليون وأعلى الضرائب عليهم وكان الاكليروس الى ذلك الحين معافين من الجزية فانهم كل واحد منهم يدفع دينار في السنة والبطريك بثلاثة آلاف دينار . ولما انتهى اليه خبر الانحطاط الزائد الذي وصلت اليه المملكة الرومانية لم يعد يعاً بعبادة الاقباط فد اليهم يد الاذى وشرع في نهب اموالهم وسلب مقتنياتهم وأمر بكسر الصليبان التي في كورة مصر حتى صلبان الذهب والفضة ثم كتب عدة رقاع وجعلها على ابواب البيع بمصر والريف يقول فيها « محمد أعظم رسل الله وعيسى ايضاً رسول الله والله لم يلد ولم يولد »

.....

القسم الرابع

البرع

(١) مشروع هرقل (٢) بدعة الطلاق

(١) بمديرية المنيا كانت مدينة عظيمة اشتهرت بصناعة المنسوجات الصوفية التي كانت تسمى بالمرعز وقد تخربت الآن ولم تبق الا اطلالها

(١) عن شيوخ نهر قمل . وقد مر بنا في الكلام عنه في حوادث المملكة

والكنيسة « وهو ات في المسيح طيبتين ، ومشيدة واحدة ، وتقب بذهب
ظلمونو ثبته . ومع ان بطريرك الروم الارثوذكس بالقسطنطينية قبله حينئذ الا
ان رايها ، يونانياً ، اسكندرياً يدعى حفر ونيوس قلوب . هذا المنصب واذاع في
اما كن كثيرة . تعليم المشيختين وفيها بعد لقيم بطريرك الاورثوذكس في مجمع مجمعاً ايدييه
وايه الا ان القيصر اثبت التعليم بمشيخة واحدة في مجمع عقده بالقسطنطينية تحت
رئاسة مرجيوس بطريركنا . وتبعه في الر اي خلفاً لـ مير بين وجولس وبطريرس وتوحنا
وثيو دورس وبوحننا . ودعا مرجيوس انور يوس المسقف رومية لقبول منذهب
البايد قبله ، ونفادي به الا ان خلفاءه شجبوه . وكذلك قسطنطين اللحياني حرم
تعليم المشيخة الواحدة و بطاركة القسطنطينية وانور يوس في مجمع عقده سنة ١٦٨٠ م
ونقض اليونان حرم هذا المجمع بقرار في مجمع آخر سنة ١٧١٢ م ثم ايدها مجمع آخر
وهكذا استمر الشقاق سائداً بينهم الى ان بطل التعليم بالمشيخة الواحدة من
الكنايس الخلكيدونية ولم تستمر تعلم به الا كنيسة الموارنة التي اسسها يوحنا
مارون فان هذا قضى حياته يدافع عن ذلك التعليم وسارت طائفته على مبدئه الى ان
انضمت تلك الكنيسة البابوية سنة ١١٨٢ م

(٢) برعة البطالون . وجرى في ايام البابا سيمون ال ٤٢ ان قوماً من

الاقباط تركوا نساءهم واخذوا غيرهن فجعل الاساقفة يردعونهم عن هذا الصل
فاغتاظوا منهم ومضوا الى الوالي وقالوا له ان الاساقفة منم ناعن الزواج واضطرونا
الى ارتكاب فعل الزنا فغضب وجمع الاساقفة من كراسيم الى مدينة الاسكندرية
فاجتمع منهم ٦٤ اسقفاً ولم يظلموا سبب حضورهم ولما علموا السبب اطلعوا الوالي
على الحقيقة وبعد مناقشة فيما بينهم حكموا بقطع اولئك القوم ان لم يتركوا
النساء الغريبات

القرن الثامن

القسم الاول

تاريخ البطارقة

.....

- (١) الاكسندروس ٢ (٢) قزمان ١ (٣) ثيوذوروس (٤) خائيل ١
(٥) ميئا ١ (٦) يوحنا ٤

.....

(١) الاكسندروس ٢ - البطريك الثالث والاربعون . وبعد وفاة البابا سيمون لم يتمكن الاساقفة من اقامة خلف له فخلا الكرسي بعده ثلاث سنين وبعد ذلك طلب اثناسيوس احد موظفي الاقباط في الديوان من الوالي ان يسمح للأنبا غريغوريوس اسقف القيس ان يتولى ادارة اعمال الكنيسة فكتب له امراً بذلك واستمر الانبا غريغوريوس اربع سنوات يدير الحركة حتى سنة ٧٠٣ م فقد انتخب باجماع الآراء القس الاكسندروس من نياموسير وكان راهباً وديعاً عالماً بالكتب المقدسة وبعد الاستئذان من الوالي أقيم بطريركاً في يوم عيد مار مرقس الذي هو آخر برمودة سنة ٥٠٤ ش و ٧٠٣ م في عهد خلافة عبد الملك بن مروان وكانت ايامه الاولى كلها صفاء وهناء وشمل الجميع سرور عظيم وساد السلام على البيعة المقدسة

غير ان الشيطان الذي لا يدع كنيسة الله في راحة اثار ضيقاً تألم هذا البابا

بسببه كثيراً وذلك انه بعد عبد العزيز ولى الخليفة ابنه عبدالله على مصر فسار في طريق الجور حتى ان البطريك لما مضى للسلام عليه كعادة البطارقة سأل عنه فقيل له انه بطريك النصارى فقبض عليه وسلمه لاحد حجابيه وقال له انزل ما تريد به من الهوان حتى يدفع ثلاثة آلاف دينار فاخذه واقام مدة ثلاثة ايام والمسيحيون يتوقعون ان يتنازل عن شىء من القيمة فلم يمكن ولهذا وقع خوف عظيم على جميع المؤمنين بالنسبة لذلك للمبلغ الباهظ الذي لم يكن في طاقتهم دفعه ثم تقدم الشماس جرجس الى الحاجب وقال له « هل تطلب نفس البطريك أم المال » فاجابه المال فقال له اذا سلمه لي مدة شهرين انا أطوف به على اولاده المؤمنين فاجمع له هذا المال فجال به الشماس في الوجه البحري حتى حصل على المال وسلمه للوالي .

ثم تولى بعد عبدالله الامير قره سنة ٧٠١ م وكان متولي ديوان الاسكندرية من الاقباط رجل يدعى تاودروس كانت بينه وبين البطريك عداوة فلما وصل قره الى مصر توجه اليه البطريك ليؤدي واجب السلام عليه فنسج على منوال سلفه وقبض عليه وألزمه ان يدفع من المال مقدار ما دفع لعبدالله فقال له البطريك اني لا أملك هذا المبلغ لان مخلصنا أمر جميع تابعيه بان لا يقتنوا ذهباً ولا فضة وما اتاه عبدالله معي كان من قبيل الظلم الفاحش وقد استعطيت كل المبلغ الذي ارغمني على دفعه فطلب منه الوالي ان يبرر كلامه هذا بقسم فابى البطريك ان يحلف فقال له الوالي لا بد من دفع هذا المبلغ ولو بعث لحك فالتمس منه البطريك ان يسمح له بزيارة الوجه القبلي ووعدته بان يرسل له كل ما يتحصل عليه ففرح اهل الصعيد بالبطريك فرحاً عظيماً لعدم مشاهدتهم بطارقة بعد البابا بنيامين الذي كان مختفياً عندهم . وحدث ان سائحاً يدعى فيلسطس وهو مقيم على صخرة وكان معه ولداه الراهبان . فأمرهما بان يهيتا له مكاناً خلاف الصخرة . فبينما هما ينظفان الارض وجدا كنزاً عظيماً في خمسة أوان فأخفيا عنه واحداً واظهرا له الاربعة فشكر الله وقال هذا نصيب البابا الاكسندروس الذي رأى الرب ضيقته . ثم استدعى كاتب البطريك والراهب جرجس وكيله واعطاها الاربعة أوان ليسلماها للبطريك . فجر بهما الشيطان فدقناها اما الراهبان فقسا

ما اختلاسه وتركه عيشة الرهبنة ولبس الملابس الفاخرة وظهرها بمظهر سيء حتى ارتاب في امرها الوالي فقبض عليهما فاعترف احدهما بكل ما جرى وان الاربعة اوان الباقية طرف وكيلى البطريك فامر حالاً بغلاق الابستويون (الدار البطريكية) واخذ كل ما فيها من الأواني والذهب والفضة والكتب والمقتنيات واستحضر البطريك وهم بقتله بسبب قوله انه ليس معه ذهب وكبله بالحديد وطرحه في السجن سبعة أيام ثم أخرجه ليقوم بدفع ال ٣٠٠٠ دينار فرجع يستعطي من المسيحيين حتى تحصل على المبلغ ودفعه

ولم يكف يستريح من هذه المشقات حتى سعى به أناس أشرار لدى الوالى بان لديه قوماً يضربون الدنانير وبينما كان جالساً في الساعة التاسعة من النهار لتناول طعام الافطار رأى ان البطريكية قد أحيطت من كل جانب بالجنود فقبضوا عليه وعلى أصحابه وطرحوه على الارض وضربوا أصحابه وعوقبوا حتى سالت دماؤهم وكادوا يموتون . وما زالوا يوسعونهم اهانات وضربات حتى اليوم الثاني من امشير سنة ٣٤٠ ش اذ تحقق لهم كذب التهمة التي وجهت اليهم

ولم تكف هذا البطريك البائس هذه البلايا الخارجية ولم تقف ويلاته عند هذا الحد حتى قامت عليه زوابع داخلية من نصارى الاسكندرية وكهنتها طالبين منه أن يؤدي لكنائسها ما كان مقرراً على البطريكية دفعه لها وكانت هذه الموائد قد انقطعت من مدة سنين بسبب الغرامات الفادحة التي اضطر البابا الاكسندروس أن يقوم بدفعها للحكومة . فأخذ البطريك يترضاهم ويطيب خاطرهم بالكلام اللين معتذراً عن عدم الدفع بما شاهدوه من نهب جميع مال البيعة حتى صارت الكاسات التي كانت ترفع فيها الاسرار المقدسة من زجاج عوضاً عن الذهب والفضة ولكنهم لم يراعوا وأخذوا يوجهون اليه شديد التوبيخ فعرفهم ان كنائس الاسكندرية لاحق لها في ما تطلب لان تلك المرتبات كانت انعاماً من الحكومة وأول من رتبها قسطنطين الكبير للمساعدة ولكنها انقطعت فيما بعد . فصارت البطريكية تجري صرفها باختيارها . فغالما سمعوا هذا الكلام ضجوا وطلبوا منه بالخامح أن يدفع ما لهم فلما رأهم لا يرتدعون بالكلام اللين انهرهم وطردهم من عنده فخرجوا يشتمون عليه ولم يكفوا عن المقاومة الا بعد مدة

وكان في أيام هذا البابا على كرسى انطاكية البطريرك يوليانوس الذى اقام على الكرسي من ايام البابا يوجنا بطريرك الاسكندرية الى ايام البابا الاكسندروس ثم توفى وحاول اساقفة المشرق اقامة آخر عوضه فمنعهم الوليد الوالي بدعوى انه لا يمكن اقامة اسقف في حياته . ولكنهم عمدوا الى انسان خائف الله يدعى ايليا واجلسوه على الكرسي وحال جلوسه كتب سنوديقاً الى البابا الاكسندروس صحبة اسقف يدعى استفانوس فجاء الى البابا بينما كان يتفقد ديارات وادي هبيب فقبله بفرح وكتب للبطريرك الانطاكي جواباً لرسالته

وكان ارخن مدينة الاسكندرية يدعى تادرس فاستعان به لدى الامير طيب يدعى انويس من اهل الاسكندرية لكي يقدمه بطريركا وكان رومياً خلكيدونياً وذلك ايضاً بمساعدة كاتب اسمه انسطاسيوس من الاسكندرية دفع للوالي الف دينار ليوافق على رسامته بطريركا فقبل الوالي هذا الطلب واقيم هذا الهرطوقي بطريركا وكان يهزأ بالبابا الاكسندروس لاسيما اذا لحقته تجربة حتى ظهرت افعاله الرديئة فقام عليه الشعب طالباً قطعه فاحتفى بالبابا الاكسندروس والتمس منه أن يغفر له ما بدا منه ورغب أن يقبله في الامانة الارثوذكسية فصصح عنه . ثم حدث حينئذ وفاة ايليا بطريرك انطاكية فقام عوضه اسقف تقي يدعى اثناسيوس فكتب هذا سنوديقاً للبابا الاكسندروس فجوابه عليها جواباً مملواً بعبارات المحبة .

ولما تولى حنظله بن صفوان سنة ٧١٣ م أراد ان يرسم على أيدي كل من النصراني صورة الأسد . ثم قبض على البطريرك ليسمه فامتنع فلم يدعه الوالي فالتمس منه أن يسمح له بمهلة ثلاثة أيام فدخل البطريرك الى مخدعه وسأل الرب ان لا يتركه يوسم بل ينقله من هذا العالم بسرعة فنظر الله لضيقته وافتقده بمرض في اليوم الثالث وكان يتزايد عليه كل يوم وقبل وفاته أرسل قوماً من قبله للوالي يستعطفونه لكي يسمح له بالانطلاق الى كرسيه لاشتداد المرض عليه فابى الوالي ظاناً انه يكذب ولما اشتد عليه المرض استدعى تلاميذه وطلب منهم أن ينزلوه في مركب الى الاسكندرية فبعث الوالي قوماً وراهه ليمسكوه ويحضروه امامه فوجدوا قد توفى فقبضوا على تلاميذه وعذبوهم عذاباً شديداً وكانت مدة اقامة هذا

البابا على الكرسي ٢٤ سنة ونصفاً وكانت وفاته في ٢ امشير سنة ٤٣١ ش و ٧٢٦ م

(٢) قزمه ١ - البطريرك الرابع والاربعون . كان راهباً قديماً من

برية ابي مقار وكان من اهل بناموسير فأجلسوه على الكرسي البطريركي بغير اختياره في شهر برمهاث سنة ٤٣١ ش و ٧٢٦ م في عهد خلافة هشام بن عبد الملك وكان ميالاً الى الانفراد والعبادة ولما رأى رتبة البطريركية ثقلاً عظيماً عليه وواجباً خطيراً غير قادر على القيام باعبائه اخذ يتوسل الى السيد المسيح بحرارة ليلاً ونهاراً ان ينقله من هذا العالم فلما كان تمام خمسة عشر شهراً تنيح بمجد وكرامة في آخر يوم من بؤونه سنة ٤٣٢ ش و ٧٢٧ م

وكان بظاهر مربوط دير يعرف بطمنوه تحت رئاسة رجل اسمه يحنس اعطى نعمة جزيلة وكان الرب يشرفه بصنع المعجائب على يديه وكان له تلميذ يخدمه اسمه ثيودوروس فاق من في الدير بافعاله الصالحة وفي حياة البابا الاكسندروس قال له معلمه يحنس . اعلم يا ابني انه في السنة التي يتنيح فيها الاكسندروس اتنيح انا معه وانت تجلس على كرسي الرسول الجليل مار مرقس وليس بعد البابا الاكسندروس ولكن بعد الذي يأتي بعده

(٣) ثيودوروس - البطريرك الخامس والاربعون . قم قول هذا الشيخ

الجليلي اذ ان الاراخنة والاكليروس حالما سمعوا نبأ وفاة البابا قزمان اهتموا بانتخاب من يصلح للبطريركية فذكر لهم بمشيئة الرب الاب ثيودوروس من دير ابي يحنس فمضوا الى الدير واخذوه واحضروه الى الاسكندرية وكرسوه في شهر ابيب سنة ٤٣٢ ش و ٧٢٧ م في عهد خلافة هشام بن عبد الملك ونالت الكنيسة في أيامه اكل قسط من الراحة بفضل عدالة الخليفة هشام . الا ان البطريرك صادف متاعب جمة لدى مشاهدته الفظائع التي اتاها الولاة واستمر صابراً على مارأي حتى افتقده الرب واخذه اليه بشيخوخة حسنة وبنعمة السيد المسيح كانت البيعة تنمو بلا مقاوم لها ولا شقاق فيها في جميع ايامه واقام على الكرسي الرسولي ١١ سنة ونصفاً وتنيح في سابع يوم من امشير سنة ٤٤٤ ش و ٧٣٨ م

وبعد وفاة هذا البابا استمرت الاضطهادات قائمة على قدم وساق فلم يتمكن المصريون من اقامة خلف له وزادت الصعوبة حينما بدا الانشقاق بين كنائس الاسكندرية وباقي الكهنة في القطر المصري . فانتهز الخلكيدونيون هذه الفرصة وعقدوا مجمعا بمصر واحضروا ثلاثة اشخاص ليختاروا منهم واحداً ليجعلوه بطريركاً .

ولما بلغت فظائع القاسم الوالي الى الخليفة أمر بطرده من مصر فذهب بعض الاساقفة وقابلوه وهو منطلق وطلبوا منهم السماح لهم باقامة بطريرك فطلب منهم رشوة فأبوا ان يعطوه وتنبأوا عنه بانه لا يرجع الى مصر مرة أخرى . فرجع الاساقفة فوجدوا الخلكيدونيين قد سبقوا وأخذوا واحداً منهم كان خياطاً يدهى قزمان وجمعوا مالا طالا وقدموه للقاسم قبل سفره ليأمر باقامته بطريركاً ووسموه مفتخرين على الارثوذكسيين

وتولى مصر بعد القاسم جعفر بن الوليد فاجتمع مجمع الاساقفة في ٢٨ مسرى سنة ٤٤٤ ش وكان معهم كهنة الاسكندرية والاراضنة . وكان بين هؤلاء الاساقفة الذين اجتمعوا لتقديم البطريرك الانبا موسى اسقف اوسيم فمضوا الى الوالي وسألوه ان يأذن لهم باقامة بطريرك فقال لهم اذا استقر رأيكم على واحد أروني اياه فانطلقوا الى بيعة أبي شنودة في مصر وشرعوا يصلون ويطلبون من الله ان يوفق لهم من يصلح للبطريركية فذكر لهم ابرام اسقف الفيوم الانبا بطرس اسقف مريوط وكان هذا قد أقام جميع ايامه في برية أبي مقار ولكنه كان ضحيفاً لكبر سنه فلم يقر الرأي عليه فاجتمعوا في اليوم الثاني فقدم احد الشعب اسم احد الاساقفة فقال اسقف مصر اذا رضي به الجميع فهو أصلح من سواه فقال المقدم انتخاب البطريرك من حق الشعب والرسامة من حق الاساقفة فقال اسقف الفيوم لكم الحق في ان تنتخبوا أي انسان ولكن اذا لم يكن صالحاً في نظرنا فلا نرسمه واستمروا في مباحثة ومناقشة مدة عشرة ايام فكان كهنة الاسكندرية وبعض الاساقفة متفقين على رسامة واحد ويقولون لا نرسم سواه وكان اساقفة الصعيد غير موافقين على رسامته فلما كانت يوم ١٤ توت وقع بينهم انشقاق عظيم لحقهم بسببه حزن وبكاء فاستحضروا بينهم الانبا موسى اسقف اوسيم

والانبا بطرس اسقف ترنوط وكان الاول مريضاً والثاني معه مقيمين بجبل اوسيم
بدير نهبيا الذي في بر الجزيرة غربي مصر فاستدعيا الى المجمع فجاءوا بالانبا موسى
محمولاً على قطعة خشب نظراً لضعفه وعدم اقتداره على ركوب الحيوانات وأتى
الانبا بطرس راكباً دابة . وحضرا الى المجمع ورأيا المناقشات الحادة التي كانت
تجري فيه وكل حزب يتشبث بتزكية من وقع اختياره عليه وكان الانبا موسى
ملقياً وسط المجمع من شدة الوجد فغضب من هذا الانشقاق وأمسك بيده
جريدة وطرد كهنة الاسكندرية واتباعهم الذين كانوا اكثر تعصباً وانقضى النهار
ولم تتفق الآراء على أحد .

فلما كان نصف الليل استيقظ شماس مع الانبا موسى وقال له أعرف انساناً
يستحق الانتخاب دون غيره فسأله عنه فأجابه هو القس خائيل بيعة ابي مقار
وهو انسان فيه روح الله ومشهور بالتقوى والعلم فصرخ الانبا بطرس وقال
هذا الشماس تكلم بروح المسيح وفي الغد عند ما ذكر اسم هذا القس اجمعت
الآراء على انتخابه وقاموا بسرعة وتوجهوا للوالي واخبروه بما جرى وسألوه
ان يكتب لشيوخ وكهنة وادي هيب ليساموا لهم الآب خائيل المذكور فكتب لهم
وبينما كانوا ذاهبين اليه قابلوه في الطريق مع زمرة من الرهبان قاموا من الدير
وقصدوا المضي الى الوالي ليلتمسوا منه رفع الحيف عن الكهنة لاسيما الغرامة
الباهظة الذي كانت تدفع عند انتخاب البطاركة فمكروا السيد المسيح على هذا
التدبير الحسن ورجعوا به الى قصر الوالي فوافق عليه فمضوا واقاموه بطريقاً
باحتيال عظيم في ١٧ توت سنة ٥٤٥ ش وسنة ٧٣٩ م وحدث بعد رسامته مطر
استمر ثلاثة ايام فتساءل الشعب خيراً وذلك لانقطاع المطر عنهم مدة سنتين .

(٤) خائيل ١ - البطريرك السادس والاربعون . جلس على كرسي البطريركية

في ١٧ توت سنة ٤٤٥ ش وسنة ٧٤٣ م في عهد خلافة هشام بن عبد الملك وسمى
نفسه خائيل أي الاخير ولم يرض ان يدعى ميخائيل تواضعا منه حتى لا يكون
اسمه كاسم رئيس الملائكة ونال حظوة لدى الوالي حوثة الذي كان يحضره
ويتعاهد معه في أمور بيتي ولما آلت الخلافة الى مروان تقدم اليه قوم من

الخلكيديونيين برئاسة بطريركهم قزمان برشوة قائلين كان لنا كنائس كثيرة بمصر اخذها منا الاقباط وليس لنا الآن بيعة واحدة ونرجو ان تكتب للوالي ان يسلمنا بيعة ابي مينا بربوط فأعطاهم الخليفة اوامر الى الوالي عبد الملك ليكشف الجال بين الارثوذكسيين والخلكيديونيين ليعرف من بنى هذه البيعة ليسلمها اليه . فاستدعى الوالي بطريركي الاقباط والروم وكان الصوم قد قرب ورافق البابا خائيل موسى اسقف اوسيم وتادرس اسقف مصر وطالت المناقشة بين الطرفين مدة اربعين يوماً حتى مل الوالي وطلب من وكيل له اسمه عيسى ان يستكتب كلا الطرفين حقيقة مستندة فتقدم اليه الخلكيديون بالهدايا وجمع البابا خائيل اساقفته وكتب كتاباً مملواً بالادلة الكافية لاقتناع الوالي بان كنيسة مار مينا ملك الارثوذكسيين غير ان الرشوة اعمت عيني الذي كلف بالبحث في القضية ومال الى جانب الخلكيديونيين مع ظهور الحق في جانب الارثوذكسيين غير ان الله لم يدعه يقرر شيئاً فمزل قبل ابداء الحكم وولى آخر عادل فلما سمع اقوال الطرفين حكم باثبات ملكية الكنيسة للارثوذكسيين ولما رأى الخلكيديون حبوط مؤامراتهم الشيطانية حاولوا الاتحاد مع الارثوذكسيين ولكن بعد استجوابهم اتضح لهم سوء نيتهم فأبوا قبولهم

وحدث بعد ذلك انه كان في دنقله من بلاد النوبة ملك شرير يدعى ابراهيم وقعت بينه وبين اسقفها كريا كوس خصومة بسبب اجتهاد الاسقف في ردع الملك عن خلاله الرديئة فاغتاظ الملك منه وكتب للبطريرك طالباً قطعه والايحمل رعاياه على السجود للاصنام فبعث البطريرك اليه يسترضيه ولكنه اصر على عناده فحضر كريا كوس الاسقف الى مصر وانعقد مجمع بسببه رأى ان يبقى كريا كوس باحد اديرة الاسكندرية ويرسل اسقف آخر للنوبة خلفه فلم يرض كريا كوس قبول هذا الحكم لانه مظلوم فحكم المجمع بتوقيفه عن الخدم بالكنيسة وكرسو اسقفاً آخر يدعى يوانس وارسلوه ليأخذ مركزه ومضى كريا كوس الى دير من اديرة النوبة ومضى فيه بقية حياته منفرداً عن العالم

وجرى بعد ذلك ان تولى خفص بن الوليد فاضطهد المسيحيين اضطهاداً مريعاً للغاية واعتنق كثيرون الاسلامية ولما الاساقفة الى الاديرة خوفاً من خطر

السقوط فجمع البطريرك والاساقفة مجماً حكم فيه بضرورة استمرار الاساقفة في كراسيهم وحرّم من يتجاوز هذا الحكم

ثم آل الحكم بعد حفص الى عبد الملك بن مروان فاستفرغ جهده في مضايقة الاقباط وقضى على البابا خائيل وطلب منه مبلغاً جسيماً لا يقوى على القيام بدفعه فأمر ان يقتل البطريرك وتوضع رجلاه في خشبة عظيمة وتطوق رقبتة بطوق حديد ثقيل وكان معه انبا موسى اسقف اوسيم وتادرس اسقف مصر وغيرها فوضعوهم في خزانة مظلمة تقرت في صخر لا تصل اليها أشعة الشمس واستمروا في هذا الضيق من ١١ توت الى ١٢ بابه وكان معهم ايضاً ٣٠٠ من الرجال والنساء وكان المرضى والمعتلون يأتون الى البطريرك في السجن لكي يصلى عليهم ويشفيهم وكان بعضهم محكوماً عليه بالسجن لذنب جناه فانتهز البابا خائيل تلك القرصة وجعل ينصحهم ليركوا آثامهم ويتوبوا الى الله فرجع منهم كثيرون

وكان على مائدة الخليفة رجل مؤمن فكان مراراً يفتقد البطريرك ويعزيه ويطيب خاطره . فلما تمت سبعة عشر يوماً من الشهر المذكور أمر الوالي باحضار البطريرك ومن معه وطالبه بدفع المبلغ فالتمس منه البطريرك ان يترك له فرصة يمضي فيها الى الصعيد وما يتمكن من الحصول عليه من المسيحيين يدفعه له . فسار الى الصعيد وناله تعب جسيم وكان المصريون قد أصابهم العسر المالي بسبب كثرة المغارم القادحة . لكن البابا خائيل كان يمر بينهم كلاك سلام يشفي المرضى بقوة الرب ويرد الذين هجروا الايمان الارثوذكسي وأتى الوالي بما جمعه فلم يرتض به وألقاه في السجن فشمع بذلك كريا كوس ملك النوبة فغضب وقدم بجيوشه الى مصر وقتل من كان في طريقه من المسلمين حتى جاء القسطنطين فمسكر فيه وهدد عبد الملك الوالي فاطلق البطريرك ورجاه ان يتوسط بينه وبين ملك النوبة فأجرى بينهما صلحاً . ومن ثم صار البطريرك موضوع احترام الوالي لا سيما لانه شفى له ابنته التي كانت مصابة بروح نجس

وبعد اطلاق سراح البطريرك رفع الامرار المقدسة في بيعة الشهيدين سرجيوس وواخس وتناول من يده جمهور غفير من الشعب وقد منع أحدهم لانه أكل قبل مجيئه الى الكنيسة وعلم ان قوماً من المسيحيين كانوا يأكلون قبل

التناول ولا يعتبرون ذلك خطيئة فخر منشوراً قضى فيه بمنع جميع الذين يتقدمون للتناول وهم غير صائمين . ثم ابتداء بتعمير الكنائس التي كانت في زمان البابا الاكسندروس قد سلب منها رخامها وخشبها فأعادها الى رونقها الاصيلي

غير ان الزمان على ما يظهر لم يدع الكنيسة المصرية تذوق طعم الراحة وقتاً الا ليذيعها الشقاء أوقاتاً فقد حضر مروان الى مصر ونكث هو وعبد الملك عهدهما للاقباط وأخذوا في اضطهادهم بقساوة بربرية حتى هاج هياج الاقباط وقاموا يدافعون عن انفسهم ببسالة وتمكنوا من ان يهزموا جيش مروان ولكنه فيما بعد استجمع قواه وقاتلهم بشدة وكانت الكنيسة القبطية والرومية بجانب بعضهما في الدفاع ضد مروان فهزم الاقباط أخيراً وقبض على البطريركين القبطي والرومي . وقد افتدى قزمان بطريرك الاروام نفسه بدفع ألف قطعة ذهب أما البابا خائيل فارس الى الوالي يقول ادفع مقدار ما دفع قزمان وانا اطلقك فاجابه ليس في بيعتي شيء وانا اجعل نفسي عوضاً عن المال . فثقل رجليه بقطعة حديد وألقاه في السجن وابتداء يعذبه مدة تسعة أيام ثم أحضره لديه وأمسك بيده وجذبه على وجهه وطرحه على ركبتيه وكان في يده قضيب فضربه به مائتي دفعة على رأسه بكل قوته ولكن عناية للمسيح لم تسمح بان يناله ضرر وبعد ذلك أمر الوالي بضرب عنقه وانزل قلنسوته على وجهه حتى تؤخذ رأسه فقدم رقبته بسرعة وشرع السيف في الضرب وكان يصبح انه سيأخذ رأسه ثلاث دفعات كما جرت العادة وفي ثاني دفعة عدل الوالي عن قتله لما سمع انه كان ينصح البشامرة الثائرين من الاقباط بالعدول عن مقاتلته وارتأى أن يرسله الى رشيد وكلفه بان يكتب للثائرين يأمرهم بالكف عن العصيان مخبراً اياهم بان كل ما ناله من الاذى حدث بسبب عصيانهم

فلما بلغ الخبر البشامرة الثائرين تهبجوا اكثر وقاوموا مقاومة عنيفة حتى اكرهوهم على الهرب بعد ان أصيبوا بخسائر فادحة . فعزز مروان قوة جيشه وسمح لهم ان يذيقوا الاقباط العذاب اشكالا وألواناً فاقوموا بهم من الولايات ما تصطك لسماع اخبارها الركب وتشيب لها نواصي الولدان . ومما زاد الخطب هولاً ان في سنة ٧٥١ م دخل أبو العباس مصر بجيش زاخر وهو يقصد أخذها

من يد مروان . وكان الاقباط في ضيق شديد فأنجازوا اليه وطلبوا مساعدته
وعند ما وصل السفاح الى مصر عسكر بجيشه على شاطئ النيل تجاه مروان
الذي كان لا يزال قابضاً على البابا خائيل وموسى اسقف اوسيم وبعض
الاساقفة .

ولما علم مروان ان بعض الاقباط عقدوا صلحاً مع ابي العباس اشتد به
الغضب واستدعى اليه البطريرك واوقفه امام الاقباط الذين كانوا مع خصمه في
الجهة المقابلة وأمر جنوده باهانتهم فدوا اليه ايديهم بسرعة وشرعوا يفتفون شعر
لحيته من عارضيه ورموا شعره في البحر . وكان المصريون وجيش ابي العباس
يشاهدون ذلك بغضب شديد وكانوا يتمنون لو يجدون مراكب يعبرون بها النهر
ليقتصوا من مروان على هذا الظلم الفظيع . ثم عادوا الى الانبا موسى واذاقوه
العذاب مما لا يطيق احتمال الاقوياء فضلاً عن شيخ ضعيف مثله

ثم رحل مروان وأمر ان يقف البطريرك ومن معه في الشمس على الشاطئ
واستمر بقية اليوم وليلته وفي الغد جاء مروان ومعه الجلاد وجلس على شاطئ
البحر وأمر باحضار البطريرك اليه فأبى الاساقفة الذين معه الا مرافقته فجاءوا
جميعهم الى مروان وأوقف البطريرك بين يديه عشر ساعات ووجهه اليه وحوله
عدة سيوف مسلولة وآلات الحرب . واما الذين رافقوا البطريرك من
الاكليروس والشعب وعدتهم عشرة فاقفهم على يساره في ناحية وسلمهم الى
قوم قساة وجعل مع كل واحد ثلاثة من الجنود وجعلوا يضربونهم باعصاب
البقر ولما اشتدت حرارة الشمس أعد مروان آلات العذاب المختلفة لانهم لم
يتفقوا على طريقة يقتلونهم بها . وكان البابا خائيل في تلك الاثناء يبسط يديه
ويصلب على وجهه ويبارك من معه . وكان الاقباط وجيش ابي العباس يشاهدونهم
من البر الشرقي وجماعة من المسلمين يبكون عليهم . ثم أمر مروان يزيد أقسى
جنوده ان يأخذ البطريرك الى بحري المتنزعات فاقتيد ومن معه بمظاهرة متناهية
والبطريرك يصلي للرب ان يثبت ايمانهم . وقد بلغت القساوة على اولئك البائسين
مبلغاً استدعى اشفاق عبدالله بن مران الكبير فبكى عليهم وتقدم وهو يسكب
الدموع الغزيرة الى ابيه طالباً منه ان يطلق سراحهم ثم قال له . انت تعرف اننا

لا تقدر على مقاومة جيش الخراسانيين فنضطر الى الذهاب للسودان واهله كما
نعلم من اولاد هذا الشيخ البطريرك فان قتله لا يقبلونا
فتطلع مروان الى جيوش الخراسانيين فرآهم في كثرة ازعجته وايقن انه لا
يقوى على محاربتهم فاطاد البطريرك ومن معه الى الاعتقال وكان ذلك المكان
بالجزيرة وكان فيه أربعة سجون فأدخلوهم فيها موثقين وربطوا في قدم كل واحد
منهم قطعة حديد ثقيلة وجملوهم خلف ثلاثة ابواب من الخشب دون أن يشاهدوا
ضوءاً أو ينفذ اليهم هواء وكان واحد منهم ينظر الى الشرق وآخر للغرب .
واستمروا في ضيق شديد حتى أشرفوا على الموت غير أنهم تعزوا بأقوال البطريرك
المزوجة بالمواعيد الالهية التي كانت تخفف عنهم آلامهم وتنبأ لهم الانبا موسى
أنهم يخرجون من السجن ومروان في قيد الحياة . ولم يجسر احد بالسؤال عنهم
والا عرض نفسه للموت . واستمروا عشرة ايام والكنيسة تصلي من أجلهم
وقد تمت نبوة الانبا موسى عند ما قام الخراسانيون وعدوا البحر الى الجهة
الغربية وضيقوا الخناق على مروان وجيشه فانهم ترك جيشه وهرب
وجاء ابنه الصغير ليحرق السجن الذي كان فيه البطريرك بالنار وما كادت النار
تشتعل حتى اكرهه اعداؤه على الهروب وجاء بعض ذوى الشفقة واطفأوا النار
واطلقوا المسجونين وحلوا قيودهم وجاءوا بهم الى كنيسة مار مرقس بالجزيرة وكانت
ليلة الاحد الاول من مسرى (١)

ولما استولى ابو العباس على مصر أحسن الى المسيحيين ورثى لحالهم وسامح
البشامرة الثائرين بالخراج ودفع لهم خراجاً وطلب منه البطريرك ان يعطيه مؤونة
للبيع في كل البلاد فأجابه الى ما التمس . غير ان هذه الراحة لم تدم سوى اربع
سنين كانت كاحلام النائم وتغيرت بعد سفر السفاح من مصر وتركه الولاية
لسواه فأساء الولاية التصرف واعادوا الكرة على النصارى فهم البطريرك يدافع

(١) اما أسماء الذين كانوا معتقلين مع البطريرك فهي : - البطريرك وموسى اسقف اوسيم
ويحس كاتب - بيرة البطريرك واسقف طنبيذا وميا كاتبة وذكربيا اسقف اتريب وبطرس اسقف
بوصير وجرجس تلميذه واثنا-يوس ارشي بيعة ابي مقار ويعقوب اسقف سنچار وتلميذه بطرس
من سنود

عنهم محتجاً بما اظهره ابو العباس من الامان لهم ولكنه لم يفلح في دفعه عنهم واستمر المسيحيون في ضنك حتى شوهدت مياه النيل ناقصة عن منسوبها المعتاد ذراعين وذلك لاظهار قوة الله . وكان الاساقفة حينئذ قد أخذوا يتوافقون على البطريرك في عيد الصليب كما جرت العادة ان يعقدوا مجمعين في السنة

ولما كان اليوم السابع عشر من شهر توت وهو يوم عيد الصليب فكر الاساقفة ان يقيموا صلوات خصوصية فيها يرفعون تضرعاتهم لله حتى يرحمهم ويزيد في مياه النيل وتقدموا يصحبهم جميع كهنة الجيزة واكثر اهل القسطنطينية وهملوا الاناجيل والمباخر ودخلوا البيعة الكبيرة التي كانت للقديس مرقس وكان أساسها في البحر ولم تكن البيعة تسع الناس لكثرتهم حتى ان باقيهم اقام بالحقول والحدائق

فتقدم البطريرك ورفع الصليب وكان معه انبا مينا اسقف منف يحمل الانجيل المقدس وباقي الكهنة يتبعونهما وهم يحملون الصليبان والاناجيل المقدسة ووقفوا على شاطئ البحر قبل طلوع الشمس وصلى البطريرك وانبا مينا والشعب يردد عليهم « كيريا ليصون » (يارب ارحم) الى تمام ثلاث ساعات من النهار حتى بهت جميع الموجودين من يهود ومسلمين وغيرهم من صراخهم الذي سمعه الله تعالى اسمه وزاد النيل ذراعاً فبلغ الخبر مسامع الوالي وجميع الناس فغار علماء المسلمين والتمسوا منه ان يرافقهم في الغد لاقامة الصلاة حتى يرفعوا مياه النيل كالنصارى . فالتزم من ثم الوالي ان يدعو ارباب الاديان ليصلوا الى الله بشأن ذلك فدعا علماء الاسلام فصلوا وجاء بدمهم حاخامات اليهود فصلوا والمياه لم ترتفع بل اخبرهم احد قياصي النيل ان مازاده امس نقصه اليوم

فاغتاظ الوالي والمصلون وامر بالسكف عن اقامة الصلاة بالمرة خوفاً من ان يزيد النيل مرة ثانية بصلاة الاقباط فيعتريهم الخجل الا انه لما رأى الخطر يهدد البلاد من قلة المياه اضطر ان يدعو النصارى للصلاة فحضر البطريرك وحاشيته واحتفل برفع الاسرار الربية واستمروا الى الساعة السادسة من النهار ولما التقوا مياه غسل الاواني المقدسة في البحر فحلت على مائه البركة الالهية واخذ يرتفع حتى زاد ثلاثة اذرع

فأجب ابو عون الوالي النصارى وواساهم وعمل الخير في كنائسهم واستمر البابا خائيل بعد ذلك يجاهد في خدمة الله فكان يطوف على رعيته مفتقداً اياها شافياً المرضى راداً الضال . ثم كاتب البقية الباقية من حزبي ميليتس ويوليانوس الهرطوقيين ليردهم عن ضلالهم فلم يردوا عليه فسار اليهم بنفسه واخذ يقنعهم فلم يسمعوا قوله فتركهم ساخطاً عليهم فحل عليهم غضب الله واصابهم وباء شديد فافنى جلهم

اما كنيسة انطاكية في عهد البابا خائيل فكان قد توفى بطريركها اثناسيوس واقيم بعده يوحنا الذي اقام ثلاث سنين ثم لحق بسلفه واستمر كرسيه بعده شاغراً . وحدث بسبب البطريركية نزاع شديد بين بعض اساقفة سوريا وبين البابا خائيل وذلك ان امرأة المنصور ابي جعفر كانت عاقراً فسمعت عن تقوى اسحق اسقف حاران وعمله العجائب فاستدعته فحضر لديها وصلى لاجلها فتم لها ما ارادت ورزقت ولداً فصار الاسقف اسحق عندها موضوع الاكرام والتبجيل . وحدث بعد وفاة يوحنا بطريرك انطاكية ان اسحق سأل الوالي ان يخلفه فأجيب سؤله حالاً وتهدد بالموت كل من يتعرض له . وقيل انه تسبب في قتل مطرانين قالوا له انك بصفتك اسقف حاران لا يلزمك ان تتقوى بالسلطان وتغتصب الكرسي

وبعد ذلك كلف الخليفة بان يكتب الى والي مصر يأمره بان يتمم كافة رغائب اسحق لدى بطريرك مصر . ثم كتب كتاباً الى البابا خائيل وارسله صحبة مطراني دمشق وحمص وكاتبين له أحدهما قس والآخر شماس . فلما اطلع البابا خائيل على الكتاب لم يقدم رأياً قبل مشورة الاساقفة فاستدعاهم اليه ولبث مجتمعاً بهم مدة شهر وقرر أخيراً انه لا يشترك مع بطريرك أخذ رتبته بقوة السلطان . وكان الامر للوالي من قبل الخليفة انه اذا رفض بطريرك مصر اجابة طلب اسحق يرسل اليه . فخير البطريرك بين المصادقة على بطريركية اسحق وبين السفر للسلطان فقبل السفر لولا شفقة الوالي عليه لشيخوخته ومشقة الطريق وحاول ان يقنعه بالمصادقة فأبى واخذ يتأهب للسفر ولم يؤخره عنه الا بلوغه خبر وفاة اسحق سبب النزاع وقيام آخر مقامه يدعى اثناسيوس وهذا ايضاً توفى في اليوم الثالث لرسامته

وقام بعده رجل كان خلكيدونيا واعتنق الامانة الارثوذكسية يدعى جرجس فلم ير عليه الا القليل حتى قبض عليه وأودع السجن بسعاية اسقف من اساقفته يدعى داود يرغب ان يأخذ مكانه وكانت أمه خادمة لابي جعفر المنصور . ومن ذلك الحين انقطعت العلاقات بين الكنيستين الانطاكية والاسكندرية مدة ما . وكانت البيعة في ايام البابا خائيل الاخيرة في سلام . ثم تنيح ومضى الى الرب في ١٦ برمهات سنة ٤٦٨ ش و ٧٦٧ م بعد ان أقام على الكرسي ثلاثة وعشرين عاماً .

(٥) مينا ١ - البطريرك السابع والاربعون . وبعد نياحة البابا خائيل

اجتمع الشعب والاساقفة لانتخاب خلف له فذكر القس مينا الراهب من سمهود ببيعة ابي مقار وكان قيماً من شبو بيته وتلميذاً للبابا خائيل . وما جلس على الكرسي في شهر برمودة سنة ٤٦٨ ش و ٩٦٧ م في عهد خلافة المنصور بن محمد حتى أخذ يصلح ما أفسدته يد الاضطهاد وذاقت الكنيسة طعم السلام بعد ان حرمت منه مدة طويلة . غير ان الشيطان عدو السلام اثار الشر على البابا مينا بواسطة راهب يدعى بطرس من قرية تسمى دسيمه طمع في نوال الاسقفية ولم ينلها لعدم استحقاقه فأخذ يشيع المذمات على البطريرك حتى استدعاه اليه وجعل ينصحه لكي يعدل عن شره فلم يرعو بل سافر الى سورية وزور مكاتيب باسم البابا مينا الى بطريرك انطاكية ومطارنته يقول فيها ان كنيسة مصر وقعت في شدة وأصيبت باضطهاد عظيم فاعتنى به البطريرك وجمع له مالا وزوده بتوصيات الى العطاء لينال منهم خيراً واستمر مستعملاً غشه حتى وصل الى مدينة دمشق التي يقيم بها الخليفة فبدأ يذيع الاخبار بان بيت مال الخليفة خال من المال وبطريرك نصارى مصر له دراية بعمل كيميا الذهب ولاجل هذا ملا كنيائسه من الاواني للمصنوعة من الذهب والفضة وعزز كلامه هذا بدفع رشوة لموظفي بلاط الخليفة حتى يقدموه له

وكان ابن الخليفة قد مات فلما وقع نظره على بطرس رآه يشبهه في صورته صورة ولده الميت فدخل به الى زوجته النائحة لكي تنعزى فصرت بمراه وأقام

عندهم عدة شهور ونال حظوة في عيني الخليفة حتى صرح له باستعداده لقضاء جميع ما ربه فطلب منه ان يقيمه بطريركا عوض مينا بطريرك مصر فكتب الخليفة الى الوالي عبد الرحمن وكلفه بان يجهز لبطرس ثياباً فاخرة ويرقم عليها بالخط العربي « بطرس بطريرك مصر » وكتب اسم الملك فكتب بطرس من جهله بعد اسمه لفظة « عبد الملك »

ولما وصل الخبر للوالي أرسل يستدعي البطريرك القديس فتوسل الى الرب ان يخلصه من هذه التجربة وسار للوالي الى مصر منشرحاً لاستحقاقه ان يتألم من أجل المسيح . فاعلمه الوالي بجمالية الخبر فشخص الى بطرس وشجبه بشجاعة فأراد الوالي ان يقنعه بالحسنى باطاعة امر الخليفة فاجابه « لا ينبغي ان اطيع الخليفة وأقاوم الله » فسأل الوالي بطرس عما يريد ان يفعله فاجابه انه يزوم ان يستحضر لديه كل الاساقفة ويلزمهم بطاعته ويشخص الى الاسكندرية ليستلم كنائسها فاعتقل البطريرك وتادرس اسقف مصر حتى يدعوا البطريرك ببقية الاساقفة فكتب اليهم يستدعيهم الى القسطنطينية فاسرعوا في الحضور وقام بطرس يوم الاحد بينما كانوا يقيمون الصلاة في الكنيسة وتقدم بجسارة وصعد الى الهيكل ليقول صلاة الشكر كالبطريرك والقلنسوة المكتوب عليها اسم الملك على رأسه فاما شاهد الآباء الاساقفة هذا التصرف الشنيع أسرع انبا مينا اسقف صنبو وانبا موسى اسقف أوسيم وأمسكا بالقلنسوة ورميا به من على الهيكل وقال له ببقية الاساقفة « لاتقف أمام الهيكل لثلاث نجسه » فأمر بان توضع في رقابهم وأرجلهم السلاسل الحديدية وطرحوا في السجن فاستمروا فيه أياماً قلائل وطلب بطرس من الوالي ان يأتي بهم من السجن ويوقفهم بين يديه ففعل فأمر بطرس ان يستحضر الاواني المصنوعة من الذهب والفضة لتحمل الى بيت الملك فاجاب البطريرك بان الكنيسة لتوالي الاضطهادات عليها عدت كل اثائها » وقال له بطرس « انا أعرف ان لديك كتاباً تستطيع ان تصنع به ذهباً وفضة » فاجابه البطريرك « اني لا أعرف شيئاً من ذلك » خلف بطرس برأس الخليفة ان يلزم البطريرك ومن معه ان يشتغلوا في طلي المراكب بالزفت فلزم البطريرك والاساقفة هذا العمل مدة سنة ووجوههم تكاد تصهرها الشمس حتى كان يبكي عليهم كل من شاهدهم

ثم أعيدها الى السجن وما زال بطرس يطالبهم بتسليم أواني الكنائس وكان الوالي غير راض على تصرف بطرس القبيح ولكنه لم يشأ مقاومته خوفاً من الخليفة . غير انه لما رآه تجاوز الحد في شره عنفه على ما يأتيه ضد كبير النصارى . فهدده بطرس قائلاً « أتريد ان أطيع البطريرك وأخالف الملك » فخشي الوالي ان يتم فيه لدى الخليفة قبض عليه وكبل يديه ورجليه بالحديد وطرحه في السجن وألقاه في مطبق ضيق وأفرج عن البطريرك ومن معه فمضوا الى الاسكندرية ودخلوا البيعة بفرح عظيم وواصلوا جهادهم في خدمة الكنيسة ولما تمت ثلاث سنين و بطرس في السجن تغير الوالي الذي كان يمقته وعين عوضه فاطلق جميع المسجونين ومنهم بطرس فانطلق الى الخليفة وأعلن اسلامه وروى من الاخبار الكاذبة ضد البطريرك والوالي المعزول ما شأت له نيته السيئة وطلب من الخليفة ان يعطيه قوة كبيرة لكي ينتقم من البطريرك أشر انتقام لكن الرب لم يسمح فقبل وصوله الى مصر مات الخليفة فخزي بطرس ومضى الى بلده فعرفه كل من التقاه وأبى جميع معارفه الاختلاط به حتى اضطر ان يستغفر الاساقفة ليرضى عنه الناس ولكنهم رذلوه وظل مرذولاً حتى مات أشر الميتات .

وبعد ذلك تنيح البابا مينا بسلام بعد ان مضى مدة ثمان سنين على الكرمي للرقسي وكانت وفاته في آخر يوم من طوبة سنة ٤٧٨ ش و ٧٧٦ م وبعد وفاة البابا مينا بقيت البيعة بدون بطريرك حتى اجتمع الاساقفة وفكروا في اقامة خلف له وذكروا عدة اسماء وأقاموا عدة أيام حتى ينتخب الرب من دعاه لهذه الخدمة . وكان آباءنا اذا اجتمعوا للاتفاق على اقامة بطريرك يكتبون أسماء كثيرة في رقاع صغيرة ويضعونها على الهيكل ويصلي الاساقفة والكهنة والشعب الارثوذكسي الى الرب بنية خالصة ويصيحون (كير ياليسون) ثم يجعلون غلاماً صغيراً يمد يده لياخذ رقعة من جملة الرقاع فالذي يخرج اسمه يقدمونه بطريركاً

فلما فعلوا ذلك كان بيعة القديس أبي مينا قس اسمه يوحنا تلميذ للبابا خائيل وهو مولود في نبا وأبي صير وترهب في وادي هبيب ولم يكن اسمه بين

المكتوبين فذكره لهم شيخ شماس معدداً فضائله فكتبوا اسمه وصلوا وفعّلوا
كما تقدم ذكره ثلاث دفعات نخرج اسمه في الثلاث المرات والجميع يتمجبون
ويقولون « حقاً مستحق » فقدموه وجلس على الكرسي

(٦) يومنا ٤ - البطريرك الثامن والاربعون . وبعد جلوس البابا يوحنا

على الكرسي المرقسي في شهر أُمشير سنة ٤٧٨ ش و٧٧٦ م في عهد خلافة محمد
المهدي كتب سنوديقاً ممتلئة حكمة الى الآب المغبوط جرجس بطريرك انطاكية
يحدد له فيها اتحاده معه في الامانة . وكان الآب جرجس قد القي في السجن كما
ذكر وجلس عوضه ابن خادمة الخليفة الذي لم يخاطب الكرسي الاسكندري بته
حتى مات وعاد الآب جرجس بعد عشر سنين وجلس على كرسيه ثانية فلما وقف
على رسالة البابا يوحنا سر منها للغاية ورد عليها بمثلها

وكان البابا يوحنا حسن الخلق والخلق ونال حظوة عند الملوك والولاة مداوماً
لعمل الخير فاهتم ببناء بيعة ومسكن بطريركي فشيدها باتم زينة وزين كل بيع
الاسكندرية بمساعدة الولاة والشعب . وفي أيامه كان علم السلام يخفق على
الكنيسة بأسرها حتى عمل تذكراً له بهذه المدينة وانتشرت سيرته الصالحة على
كل لسان حتى ان المخالفين كما هي عادتهم أخذهم الحسد وكان رئيس الهراطقة
حينئذ رجل يسمى يوليانوس وكان طبيباً ماهراً مشهوراً ومحترماً لدى الملوك
المسلمين لاجل صناعته فحاول كثيراً ان يستولي على بعض الكنائس القبطية غير
انه لم يستطع طياج الشعب وخاب مسعاه فضلاً عن ان تهمة لم تلق من يصفى اليها
لثقة الجميع باستقامة البطريرك الاسكندري

فواصل البابا يوحنا جهاده في بناء البيع حتى ان الشعب الارثوذكسي لما
شاهد شغفه بثييد الكنائس كان الكثيرون منهم يسلمون له أموالهم ليبنى بها
البيع تذكراً لهم . وكان في بيعة ابي مينا فيما يدعى مرقس من الاسكندرية اشتهر
بتقواه وعلمه واجادة القراءة والترتيل في الكنيسة حتى كان الكثيرون يبكرون
الى البيعة لثلاث تقوتهم قراءته فاتخذ البطريرك له تلميذاً وقدمه في الرتب
الكنهنوتية ولكنه كان يزداد تواضعاً وطلب منه معلمه ان يلبسه اسكيم الرهبنة

فأخذته الى دير ابي مقار وكرسه فيه وتنبأ عنه أحد الشيوخ قائلًا « انه سيكون خليفة مرقس الرسول »

ولما رجع البطريرك من الدير طلب منه رجلان صالحان يدعى احدهما كوريا والآخر برنابا أن يستأنف اهتمامه ويشيد كنيسة باسم الملك ميخائيل فكلف شماسه مرقس بالاشراف على عمارتها فكان نشيطاً ناجحاً في عمله فوسوس الشيطان الى يوليانوس الهرطوقي ان يذكر أمام الخليفة ان البابا يوحنا أخذ أملاك الحكومة وبني فوقها كنائس غير انه بعد الفحص ظهر كذب ذلك المخالف وجعل الرب في قلب الخليفة ان يأمر البطريرك باتعام البيعة فتم بناؤها في مدة خمس سنين وكانت تدعى بيعة التوبة . وكان مساعداً للبطريرك شماس كاتب اسمه يوحنا صار فيما بعد اسقفاً لكنرسى سخا بعد وفاة البطريرك

وبعد ذلك نزل غلاء عظيم على مدينة الاسكندرية فحل البلاء بكثيرين من الناس حتى حزن قلب البابا عليهم وصلى طالباً رفع هذا الويل عنهم وكلف تلميذه مرقس أن يمد يده لاغاثة كل محتاج وكانت مخازن البيعة وحسابها تحت يده واستمر يحض الاغنياء على مساعدة الفقراء حتى شفق الرب ورفع الغلاء

وحيثئذ تنيح الاب جرجس بطريرك انطاكية وأقيم عوضه انسان قديس يدعى كريا كوس فلما اتصت به اعمال البابا يوحنا كتب اليه يحدد معه علاقة الاتحاد التي كانت قد انقطعت مدة بسبب الاضطهاد الذي كان واقعاً على الكنيستين فرد عليه البابا يوحنا برسالة كلها اخلاص ومحبة

وحدث أيضاً ان انبا جرجس اسقف مصر تنيح فكتبت رعيته الى البطريرك تلتمس منه اقامة شماسه مرقس عوضه فأجاب طلبهم واستدعى الشماس ليقيمه اسقفاً فأبى بته فشدد عليه وأرغمه على قبول القسوسية ليصير اسقفاً بعدها ولكنه التمس منه ان يعفيه من هذه الخدمة الشاقة فلم يقبل البطريرك طلبه فلاذ مرقس بالهروب واضطر البطريرك ان يكرس لشعب مصر قساً يدعى ميخائيل اسقفاً لهم

فقد البطريرك على مرقس بسبب هروبه منه وكتب لشيخ قديس بالبرلس يسمى جرجس يخبره فيه انه وجد على مرقس لعصيانه عليه وعدم قبوله للاسقفية .

فأرسل إليه الشيخ جرجس يقول له ان عدم قبول الاسقفية من الله الذي
سيجعله بطريركا بعدك . فتمجّب البطريرك وطلب الشماس مرقس اليه ورفع شأنه
ووضعه عنده موضع الاحترام والتبجيل

وتوجه البطريرك الى فسطاط مصر ليجمع خراج الكنائس فحرك الشيطان
والياً مبغضاً للمسيح على ان يهدم بيع مصر ولكن الرب اماته قبل ان يبدأ بعمله
للذموم وعين مكانه انسان محب للنصارى فساعدهم على ترميم البيع التي كان سلفه
قد شرع في هدمها . وكان البطريرك قد قضى اشغاله بمصر وعول على العودة
للاسكندرية وكان عيد الميلاد قد قرب فطاب منه شغب بمصر ان يبقى عندهم
ليرفع لهم الاسرار المقدسة ويناوهم . فلما دخل البيعة رآها بغير سقف فتهد
وطلب من الرب ان يقويه ليكمل بناء كافة البيع غير ان الرب ابقى هذا العمل
الجليل تخليفته . فلما اكل الخدمة شعر بضعف اصابه ولحقه وجع برأسه فطلب
من الاساقفة ان يمضوا به الى الاسكندرية ليموت فيها فحملوه في مركب وكان
معه ميخائيل اسقف مصر وجرجس اسقف منقيس فلما وصل الى الاسكندرية
ثقل عليه المرض ولحق بأبائه بعد ان اوصى بمرقس ليكون بعده في اليوم السادس
عشر من شهر طوبه سنة ٥٠٢ ش و٧٩٩ م . قيل ان يوم موته هو يوم ميلاده
ويوم تعيينه بطريركا . واقام على الكرسي اربع وعشرين سنة

.....

القسم الثاني

مآثر الكنيصة

(١) انبا صموئيل اسقف اوسيم (٢) انبا موسى اسقف اوسيم

(١) انبا صموئيل اسقف اوسيم . عاش عيشة الزهد فلم يقن لنفسه شيئاً

من مقتنيات العالم فلم يكن له سوى ثوب واحد وكان بهي الطلعة حسن السيرة يعظ الخطاة والمرتدين عن الايمان فيسمعون له ويطيعون قوله . وكان مع البابا الاكسندروس الثاني وقت ان دعاه جابي الخراج وهو ينوي به شراً فقرا كلاهما معاً فتبعهما الجابي فوجد البطريرك قد مات والتي القبض على هذا الآب وأتى به الى عبدالله الوالي الذي اتهمه بانه حرض البطريرك على الهروب وطلب منه ان يدفع عوضه ألف دينار : وكان الانبا صموئيل فقيراً لا يملك قوت يومه فاعتذر للوالي بعدم قدرته على دفع المبلغ فلم يقبل منه وسامه الى شرطيين لتعذيبه فاخذاه وقدماه الى قوم من البرابرة لهم طباع الوحوش فحذبوه وصاروا يجرونه في شوارع مصر حتى أتوا به الى باب بيعة مار جرجس وجمع كثير يجري خلفه

وبعد هذا العذاب عادوا يطالبونه بدفع المبلغ ولما رأوه عاجزاً عن تقديمه زعوا عنه ثوبه وألبسوه مسح شعر وعلقوه بذراعيه وهو عريان وجميع الشعب ينظرونه وهم يضربونه بسياط من جلود البقر حتى جرى دمه على الارض واستمروا معه على هذا الحال اسبوعاً وكبار الموظفين يتوسطون له عند الأمير وافهموه بان لا يد له في هروب البطريرك حتى اطلقوه بعد ان تجرع كؤوس الآلام اشكالا ولا ريب ان ذلك العذاب قضى عليه فلحق بأبائه

(٢) انبا موسى اسقف اوسيم . من اعلام آباء الكنيسة في هذا الجيل

نشأ على حب الطهارة والبتولية من صغره وتعلم علوم البيعة وصار شماساً ثم قصد برية شيهات وترهب عند رجل قديس فكث في خدمته مدة ثمان عشرة سنة سالكا طريق الفضيلة والنسك الزائد . ولما اشتهر أمره أختير أسقفاً لاوسيم فرعى رعيته أحسن رعاية ولم يقن شيئاً في كل زمانه وعرف بالتقوى والشجاعة وكان يقضي جل أوقاته في الاصوام والصلوات حتى لم يكن يتيسر للناس مقابلته الا في يوم السبت والاحد . وكان غيوراً على الايمان المستقيم ففي اول رسامته كان في مدينة اوسيم اديرة كثيرة لاصحاب ميليتس المنشق فوعظهم بكلام كثير وكان جلهم قد لبسوا الاسكيم من يده فلما لم يطيعوه تقاهم جميعاً

وأعطاه الرب موهبة صنع الآيات والمعجائب فشفي كثيرين من أمراض مختلفة وتنبأ كثيراً عن حوادث قبل وقوعها فكان كما قال . وقبل انتخاب البابا خائيل الأول كان والي مصر يضيق الاقباط فتنبأ الانبا موسى عن آخرته السيئة وتم قوله وتولى بعده حفص بن الوليد فطلب منه الانبا موسى أن يسمح لهم بانتخاب بطريك فسمح لهم

ولما جرى الاضطهاد على البيعة هرب كل الاساقفة الى كراسيمهم الا ان ابروشية الانبا موسى تعلقت به لكي لا يتركها فريسة للذئاب فكان يطوف الجزيرة وأعمال مصر مفتقداً للؤمنين ومثبثاً اياهم . واثاه يوماً بعض أراخنة مصر وطلبوا اليه ان يصلي الى الله ليرفع الكرب عنهم وعن شعبه لانهم كانوا قد أحصوا الذين اعتنقوا الاسلام فوجدوهم اربعة وعشرين ألفاً فقال لهم آمنوا يا أولادي « ان الوالي الذي يضطهدكم يهلك في بحر هذا الشهر » فكان كما قال ولما بلغ أمره حوثة الوالي الذي خلف ذلك قرب اليه القديس وكان يستشير في الامور المهمة وحدث بعد ذلك خلاف بين الارثوذكسيين والخلكيديونيين على البيع بخاف الشماسة ان يدفع الخلكيدونيون رشوة للوالي فيسلم لهم في بيع الارثوذكسيين ولذلك طلبوا من الانبا موسى ان يرشي الوالي مثلهم فاجابهم « يا أولادي لا يلبق بالبطاركة والاساقفة ان يدفعوا رشوة لاحد كما لا يلبق بهم ان يأخذوها من احد فان الله لا يتخلى عنا حسب وعده » وقد حقق الرب قوله بحكم بالكنيسة للارثوذكسيين

وفي أثناء ثورة البشامرة ضد الحكومة سأل تلميذ له عن النتيجة فأجابه لا يترك الله بيعته الى التمام بل يخلصها وهذه المملكة تبعد وتحل أخرى محلها . وبعد مدة وجيزة ضيق ابن مروان الوالي على البابا خائيل فأتى هذا صباح يوم احد الى اوسيم والجنود تقوده فعند ما ابصرهم الانبا موسى قال هذا هو اليوم الذي اتوقعه ومن اراد ان يبذل نفسه فليتبني لأني اشتهى من زمان ان اسفك دمي الدنس عوضاً عن الدم الزكي المسفوك عنا . ولكن عظيم هو حزني لان جيل القديسين قد اضمحل وافتقرنا جداً اذ لانجد انساناً يشاركنا في هذه التضحية . ولبس القديس ثوباً وترك جميع ما في بيعته وتبع البطريرك ولما مثلوا أمام

الوالي طرح الانبا موسى على ركبتيه ورفعت رجلاه الى فوق وضرب بدبايس نحاس على جنبيه ورقبته وكان الجنود المكلفون بضربه يقولون له اعطنا مالا ونحن نتركك فلم يكن يجاوب بكلمة واحدة

وأمر الوالي بقطع رقبة البطريرك وساقه السياف الى موضع القتلى فجرى الانبا موسى خلفه ولم يشأ ان يتركه فنعه السياف وهو لا يجتمع حتى غضب منه ورفع عليه دبوس نحاس ليضربه به فمد القديس رأسه الا ان بعض الموظفين منعوا الجلاد من ان يضربه. وكان الجنود يشهدون عنه قائلين بلغتهم العربية « نعم هذا الخادم لربه » ثم وضع في السجن مع البطريرك وقيدت رجلاه مع كثيرين من الاساقفة فتنبأ لهم الانبا موسى بانهم يخرجون بالسلامة وتم قوله لان مروان مضطهدهم انهزم فخرجوا من السجن سالمين الى كراسيمهم

واستمر القديس موسى مرافقاً للبابا خائيل طول ايام تجاربه ولما اكمل ايام جهاده مرض وعرف ان وفاته قد دنت فاستدعى اليه رعيته واوصاهم ثم باركهم وتنيح بسلام

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

- (١) هرقل (٢) فتح الفرس (٣) عودة هرقل لفتح مصر (٤) أصل المقوقس (٥) الفتح الاسلامي (٦) محاولة سرقة رأس مار صرقس (٧) فتح السودان والخمس المدن الغربية (٨) الاقباط في صدر الحكم الاسلامي (٩) خلافة مروان بن الحكم

عهد الدولة العباسية (١٢) خلافة ابي جعفر المنصور (١٣) خلافة هرون الرشيد

.....

(١) عصبه بن عبد العزيز . وولي بعد عبد العزيز على مصر ابنه عصبه (ويسميه الانبا ساويرس الاصم) فبذل جهده في اضطهاد الاقباط وساعده على ذلك شرير يدعى بنيامين كان شماساً في الكنيسة ولكنه اعتنق الديانة الاسلامية وتصادق مع عصبه وصار يوفر صدره على الاقباط حتى فسر له الانجيل باللغة العربية وكان يقرأ كتب النصارى عليه يجد فيها طعنات بالمسلمين وتمكن من ان يجعل عصبه يستخدم ضدهم كل طريقة جائرة ليقلل عددهم ويذل من شأنهم فألزمهم بدفع مغارم باهظة . ولما رأى الاقباط ان المسلمين معافون من دفع الجزية التي قد اصبحت وقرأ ثقيلاً على عاتقهم بسبب الزيادات التي كانت يضعها عليهم الولاة خلافاً للعهد وما كان يصيبهم من متولي الخراج من الجور والفسف في تحصيلها آثر بعضهم الاسلام تخلصاً من المغارم الفادحة ومن هؤلاء بطرس والي الصعيد وتادرس اخوه وتاوفانس ابن عمدة مريوط وكهنة وعلمانيون لا يحصى عددهم

وتسبب عن اقبال الاقباط لاعتناق الاسلام نقص في الايراد فوشى اليه بنيامين بان الرهبان قوم اغنياء ينفقون من أموالهم الوافرة على طيب المأكول ولذيذ المشروب فاراد عصبه ان يعرض بما يفرضه عليهم ما خسره من الدين اسلموا . فانفذ صاحباً له يدعى يزيد ومعه آخر فأحصى جميع الرهبان في سائر الاماكن ولا سيما في وادي هبيب حيث وجد اكثر من ستة آلاف راهب وفرض على كل واحد منهم ديناراً وامرهم ان لا يرهبوا احداً بدون اذنه ثم ألزم الاساقفة بدفع النبي دينار كل سنة خلاف الجزية المقررة عليهم

غير ان الله لم يسمح لعصبه ان يستمر في طغيانه فأدبه تأديباً قاسياً وذلك انه لما كان يوم سبت النور دخل الى كنيسة حلوان ووقع بصره على صورة السيدة العذراء وابنها السيد المسيح في حضنها فسأل الاساقفة عنها فافهموه مغزاهما

فلما فيه بصلقا وتقل عليها وأخذ يبدف قائلًا من هو المسيح حتى تبدوه واقسم
انه اذا طال به الزمن سيمحق كل النصراني . ولكنه في تلك الليلة انزل الله به
انتقاماً مريعاً وفي صباح عيد القيامة توجه الى ابيه وهو جالس مع اعيان الامة
وقص عليه حلاً هائلاً شاهده وهو انه أبصر انساناً بهيأ جالساً على عرش وحوله
ألوف ورويات يحملون الملاح فسأل من هذا الذي اخذ الملك من أبي فقيل له
انه يسوع المسيح ملك الملوك ورب الارباب الذي بصقت في وجهه ثم تقدم اخذ
الجنود وطعن بحربة في جنبي . ولم يكذب انتهى من قصته حتى ضربه الله بحمى
قتاله لم تم له سوى ساعات قليلة تمرح فيها من العذاب فخرق عليه ابوه حزناً مفرطاً
ولحقه بعد اربعين يوماً

وكان الموظفون المسلمون اقل علماء بشؤون وظائفهم من الموظفين الاقباط
وقد فكروا مراراً في الاستغناء عنهم ولكنهم رأوا ان الاحوال لا تستقيم
بدون وجودهم فكان بقاء الاقباط في وظائفهم سبباً من الاسباب التي كانت
تخفف من وطأة الاضطهاد عليهم ولو ان الموظفين لم يكونوا يستطيعون المجاهرة
بالدفاع عن اخوتهم . ومع ان الحكومة كانت تدرك شدة الحاجة اليهم في
اصالح الهندسية والطبية والحساب وفي كل شغل يحتاج الى الذكاء والانتباه الا
انها لم تعفهم من اضطهادها وجورها مراراً حتى اضطر كثيرون منهم الى السير
تبعاً لرغبة رؤسائهم فاهملوا في اتمام واجبات دينهم التي كانت توجب السخط
عليهم .

(٢) هزفة الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥ ووليد عبد الله ابن أحمه .

تولى عبدالله هذا مصر وكان كريهاً للنصارى فاشتد عليهم وبلغ ظلمه عنان السماء
حتى انه كان في اكثر اوقاته اذا جلس على المائدة يأمر بذبج بعض الاقباط أمامه
ليتلذذ برؤية دمهم يسيل على الارض أو يطير على مائدته . فاحتمل الاقباط من
الاهوال ما يشيب طولها الولدان وحكم بالموت على كثيرين منهم وقضوا شهداء
ولسكن الحكومة لم تسمح بدفن جنثهم الا اذا دفع اهلهم مبلغاً من المال
فاضطر كثيرون الى اعتناق الدين الاسلامي . وغيرهم هاجروا القطر للمصري هرباً

من الضيق الذي استحكمت حلقاته عليهم . وآخرون ماتوا من شدة الجوع .
وهدمت كنائس كثيرة وتعطلت شعائر العبادة في كثير من الانحاء حتى عزل
عبدالله فتنفس المضطهدون الصعداء

وفي اول هذا الجيل امر عبدالله ان تجمل الكتابة في دواوين الحكومة
بمصر باللغة العربية وكانت الى ذلك الحين بالقبطية وكان القائم بها وبسائر الاعمال
الادارية الاقباط تحت رئاسة انتناس الذي كان اميناً على بيت المال كما تقدم
فعرله وولى مكانه ابن يربوع الفزاري من اهل حمص . ولما رأى القبط ان هذا
التغيير يعود عليهم وبالأول الى رقتهم من وظائفهم جدوا في تعلم اللغة
العربية فاتقنوا في الكتابة والحساب بها في وقت قصير بل تفننوا فيها وجعلوا
لحساباتهم قواعد وروابط مخصوصة . ونقلت ايضاً اسماء البلاد الى العربية
فتحرقت عن اصلها كما نرى

(٣) ولادة قررة بن سربك سنة ٧٠٩ م . وقد سار قررة على منوال

سلفه في اضطهاد الاقباط وطملمهم بطريركهم بقساوة بربرية وثقل الجزية على
الرهبان وامر بضم تركة كل قبطي غني يموت الى حوزته . وكان قد مات كاتب
في ديوان الاسكندرية وغيره كثيرون فأخذ ما لهم ثم نفذ امره على الاساقفة
وزاد عليهم مائة ألف دينار غير المقرر عليهم . واشتد قررة في جوره فكانت
يحتقر عبادة الاقباط ويدخل احياناً الى كنائسهم ومعه رجال حاشيته ويوقعهم
عن صلاتهم . ولما سمعت الولايات ظهر ان الاقباط يهجرون بلادهم بكثرة متناهية
فكلف رجلا من سخا يدعى عبد العزيز بالوقوف في وجه كل الهاربين وتقييد
كل من يراه هارباً وارجاعه الى مكانه

وكأنه لم يكف البلاد ما اصابها من الوالي فحل بها وباء عظيم حصده الالوف
من الارواح ولكنه أحسن اذ دخل قصر قررة فنهب نساءه وكان هو يهرب منه
الى كل مكان ولكنه اصابه وأودى بحياته

والذي جاء بعد قررة لم يلبث سوى ثلاثة اشهر خربت فيها اكثر كنائس
الاسكندرية واخذت اعلمتها الرخام والمرمر وبقي انواع الزينة والزخرفة

ووضعت في الجوامع التي لم تكن تزيد الا بقلة الكنائس

(٤) معرفة سليمان بن عبد الملك سنة ٧١٤ م وولاية اسامة بن زبير.

وعين الخليفة سليمان اسامة جانياً لخراج مصر فلم ير الا قباط حاكماً اشد منه قساوة واعظم شراسة فكانت مدة ولايته عليهم من ابلغ ايامهم هولاً . ولما رأى انه يوجد في برية شيهات وحدها عدد عظيم من الرهبان خشي قيامهم ضد الحكومة الظالمة فأمر بمنع الترهيب وبالغ في التنكيل بهم لينقل جوعهم فزاد الضريبة الموضوعة عليهم ورتب طريقة جديدة بها يتأكد من دفعهم اياها فأمر بان يلبس كل راهب خاتماً من حديد في أصبعه مكتوباً عليه اسمه وامم ديره يسلمه اليه جابي الخراج عند ما يدفع ما هو مقرر عليه من الجزية واذا وجد واحد منهم غير لابس له تقطع يده واذا أصر على المخالفة يقتل

وتكرر الطحجوم على الاديرة وهدمها وقتل من بها من الرهبان غير الحاملين هذا الوسم ولم يكن يحصى عدد من قطعت ايديهم لهذا السبب ومن حاققت لحاقم وقلعت عيونهم وجلدوا بالسياط وكثيرون ذاقوا باقي انواع العذاب التي اودت بحياتهم وكانت تضم ممتلكاتهم الى مال اسامة الخاص . وكان من محبته للمال يأمر الولاة بان يتهموا الاقباط بما هم براء منهم حتى يتمكنوا من اعدامهم واحضار ما لهم اليه بل أمرهم قائلاً « سامت اليكم أنفس الناس فتحصلوا ما تقدرون عليه من اساقفة او رهبان او كنائس او كل الناس واحملوا الي القماش والمال والبهائم وكلما تجدونه ولا تراعوا احداً وفي أي موضع زلتموه فاخر بوه » فكانوا يخربون البيوت والكنائس ويقلمون الاعمدة والاشباب ويبيعون ما يساوي عشرة دنانير بدينار فارغم الاقباط على اخفاء كل ما عندهم وتظاهر اغنياؤهم بالفقر وكثيرون منهم صاروا يحملون امتعتهم ويفرون بها من البلاد فلما يتلافى اسامة هذا الخطر اصدر امراً يحتم على كل من يمر في النيل صاعداً او نازلاً او من يبرح مصر بأخذ جواز للسفر حتى اذا انتقل من مكان الى مكان داخلها وان يدفع مقابل ذلك عشرة دنانير او ستمائة قرش صاغ ومن يخالف هذا الامر فمهم من يقتله ومن يصلبه ومن يقطع يديه ورجليه حتى خلت الطرق من المارين

فيها وانقطع السفر وكف البيع والشراء لقيام الناس حول دار اسامة شهرين او اكثر لاستخراج جواز المرور . واذا اتلفت العوارض جواز انسان وبقي معه قطعة منه او تغير رسمه يلزمه ان يستخرج عوضه . ومما يحكى ان ارملة سافرت في النيل مع ابن لها بعد دفع المفروض ونيل تذكرة المرور بكل مشقة نظراً لضيق ذات يدها . فحدثت وهي في اثناء المسير ان ابنها هذا تطاول الى النيل مستقيماً فاخطفته تمساح وابتلعه وثيابه والناس ينظرون وكانت تذكرة المرور في جيبه . فلما وصلت المرأة المكان المقصود اعترضها صاحب التذاكر وأبى الا ان تبرز تذكرتها فاخبرته ما كان من امر ضياع ابنها على مشهد من الناس فأغلق أذنيه عن صراخها ولم يفرج عنها حتى باعت كل ما في يديها ودفعت الفلوس الاخير

ثم اتقد اسامة رسلا للرهبان ليفحصوهم فوجدوا بعضهم بغير الخاتم الذي أمر ان يوضع في يد كل راهب فاحضروهم اليه فمنهم من ضربت رقبتة ومنهم من مات تحت السياط ثم انه سمر باب احدي الكنائس بالحديد وطلب منهم الف دينار وجمع مقدمي الرهبان وعذبهم وخيرهم بين ان يدفع كل واحد منهم ديناراً او يهدم البيع ويحرقها ويهلك جميع الاساقفة . فقلقت الكنيسة كلها وارتفعت الاصوات الى العزة الالهية لتدفع عنهم هذا البلاء فسمع الله صوتهم

(٥) خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ٧١٧ م . وتولى الخلافة عمر بن

عبد العزيز فرفع اليه المصريون شكواهم على اسامة فارسل خلفاً له ايوب بن شرحبيل وأمره ان يقبض على اسامة ويكبله بالحديد ويسمر يديه ورجليه باطواق من الخشب ويرسله اليه ففعل فمات اسامة في الطريق . أما ايوب بن شرحبيل فكان عادلاً نزيهاً فأجرى اطلق مجراه وأنسى للمصريين ما كان من استبداد اسامة وغلاظته فألغى الضرائب عن الرهبان وخفف الخراج عن اهالي البلاد فأحبوه وزادوا في اعتباره

وكان على الجيش في مصر حيان بن شريح فبلغ عمر انه يطلب الانقلاب بالنين اسلموا بلجيزية فنظم عليه ذلك فكتب له « أرى يا حيان ان تضع الجزية عن أسلم عن أهل النمة فخذ الله تطلي قال « هان تأجروا وأقاموا بالصلاة والزكاة خفلوا

سبيلهم ابن الله غفور رحيم » وقال «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون بدِين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » فاجابه حيان « أما بعد فان الاسلام قد أضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين الف دينار تمت بها عطاء اهل الديوان فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر بقضائها فعل » فكتب اليه عمر « أما بعد فقد بلغني كتابك وقد وليتك جند مصر وانا عارف بضعفك وقد أمرت رسولي بضربك على رأسك عشرين سوياً فضع الجزية عمن أسلم قبض الله رأيك فان الله بعث محمداً (صلعم) هادياً ولم يبعثه جانياً ولعمري لعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم الاسلام على يده » فرفعت الجزية عمن أسلم من النصارى ووزعت على اخوانهم الباقين على دينهم وكذلك كانت توزع جزية من يموت منهم على الاحياء ويلزمون بادائها طوعاً أو كرهاً

(٦) همدان يزير به عبر الملك سنة ٧٢٠ هـ . ولى على مصر بشر بن

صفوان ومع انه انتهج منهجاً حسناً الا ان يزيد ألزمه بان يضع على الكنائس والاساقفة الخراج الذي رفعه عنهم عمر سنة واحدة وزاد في الضرائب فاصبحت الاقامة في البلاد وبالاً على اهلها فتركها منهم كثيرون لا سيما عند ما أتى امر من يزيد يشدد على الوالي بان يحتم على كل من يقيم في البلاد ان يكون على دين محمد مثله ومن لا يريد فليخرج منها تاركاً كل ما يملك . فاعتبر الاقباط السماح لهم بالخروج من البلاد رحمة منه فهجروا كثيرون حتى انقرت مديريات بجمعتها وترك الموظفون منهم وظائفهم ووضعوا على الدين لم يتمكنوا من الفرار جزية باهظة واعتنق كثيرون الدين الاسلامي فراراً من المغارم . وانتهز المتعصبون هذه الفرصة وهدموا كنائس كثيرة

ثم تولى حنظلة بن صفوان فشرع يتم امر الخليفة بكسر جميع الصلبان التي في سائر الاماكن ومحو الصور التي في الكنائس وتحويلها الى جوامع . وتولى بعد حنظلة جملة ولاية لم يكن شغلهم سوى التفتن في تعذيب الاقباط وسلب منازلهم

(٧) فمروفت هتاسم بن عبر الملك سنة ٧٢٤ م . كان عادلا محباً في

اجراء الانصاف بين افراد رعيته فشكا اليه الاقباط من ظلم عمال الخراج فأصدر أمره للوالي بوجوب معاملتهم بمقتضى العهد الذي بيدهم ولكن لم يجد هذا تعاملاً ولا فائدة بل كان سبباً في مشاركة الوالي مع عمال الخراج على التضيق والتشديد عليهم . ولما لم ير الاقباط من الولاة الا الاصرار على عدم تغيير خطتهم وشاهدوا سيل الظلم قد طفق . نزعوا في ولاية الحسن بن يوسف وجباية رجل ظالم اسمه عبد الله الى التوقف والمقاومة وعزموا على القيام بثورة يدافعون فيها عن حريتهم وحياتهم

وقد بدأت هذه الثورة سنة ٧٢٥ م فاعتصب اهل تنو وبعي وقريط وعامة اهل الحوف الشرقي (الشرقية) بالوجه البحرى وتوقفوا عن دفع الاموال فارسل اليهم الوالي جنداً فخار بوهم وقتل في هذه الواقعة من الفريقين خلق كثير وهزم الاقباط اخيراً لندرة تدريبهم على القتال غير انهم لم يهربوا بل استمروا واقفين امام جيوش اعدائهم حتى ذبحوهم عن آخرهم

ولما بلغ الخليفة خبر هذه الحادثة وعرف سببها خشي سوء العاقبة بانتقاص جميع الاقباط في الوجهين القبلى والبحرى فعزل الوالى المذكور وولى مكانه حفص بن الوليد وأمره ان يحصى اهل البلاد ويوزع عليهم الخراج بطريقة عادلة والا يخرج في ربط الجزية عن حد ماصولحوا عليه مع عمرو بن العاص وبمقتضى العهد الذي بيدهم . ففعل كما أمر وبلغ عدد القبط في هذا الاحصاء اكثر من خمسة ملايين من الذين يدفعون الجزية عدا النساء والشيوخ والصبيان فاستراح الاقباط من الاضطهاد مدة سبع سنوات بل تمكنوا في زمن ولاية الوليد بن رفاعه من الحصول على اذن ببناء كنيسة بمصر القديمة على اسم مار ميثا فاغتاز وهيب اليحصبي وتجمهر كثيرون من المتعصبين وحاولوا احباط عمل الكنيسة ولكن الله اوقف اعتداهم بارسال ضربتين على سكان مصر وهما الجوع والوباء فافنيا منهم الالوف

(٨) ولادة منظر بن صفوانه . هذه ثاني مرة تولى فيها مصر وكانت سنة

٧٣٦ م وكان هذا الرجل ظالماً طائفاً غشوماً رغم رغبة الخليفة اليه ان يعامل الناس بالرفق واللين والمعروف . وكان عمله كأسمه فلم يكتب بالضرائب المقررة على الانسان من ابن عشر سنين الى ابن مائة ففرضها على الحيوانات وحكم بقطع يد كل مسيحي لا يكون معه وصل بالبراءة او لا توجد على يده صورة الاسد . ولم يقف حنظلة عند هذا الحد بل لما أراد ان يبني له دوراً بالقسطنطينية فاستخدم فيه الاقباط وضغط عليهم ضغطاً شديداً لم يطيقوه فهاجوا في مدنتهم بناوصا وسمنود وما يجاورها وفي بلاد الصعيد وقاموا على عمال الخراج واخرجوهم من بلادهم وحصلت بينهم وبين جنود الوالي واقعة عظيمة قتل فيها كثيرون كل هذا وحنظلة لا يزيد الا جوراً وعسفاً فشكوه الى الخليفة فعزله وولى مكانه حفص بن الوليد ثانية فلم يسر هذه المرة في خطة مولاه فزاد الضرائب واشتد على المسيحيين وطلق يذهب أموالهم ويجور عليهم فعم البلاء الذي حمل الناس على اكل الجيف وصار يموت من اهل القاهرة كل يوم ١٥٠٠ نفر وبلغ الاقباط خبر موت الخليفة هشام فتأسفوا وحزنوا لانه لم يكن يعز في أحكامه بين احد مها كان دينه . وفي ايامه حارب المسلمون الروم وأسروا منهم خلقاً كثيراً فكان الاقباط يشترون منهم عدداً وافراً ويطلقون سراحهم فنالوا اكل نحر وأجل ثناء

(٩) هارون الوليد بن يزيد سنة ٧٤٣ م . ولى على مصر حمدان بن

عتاهية الذي زاد الضرائب وضايق الاهالي واضطهد الاقباط فأبدل بحفص ثالثة فلم يسر الا على خطة اضطهاد المسيحيين واثقال كاهلهم بمضاعفة الخراج وامرهم ان يعتنقوا الاسلام كرهاً فسقط منهم عدد ليس بقليل قيل انهم ٢٤ ألفاً عدا من ثبت على ايمانه ونال اكليل الشهادة

وخشى كثيرون من الاساقفة نتيجة هذه القساوة وخافوا على انفسهم من السقوط ففروا من ابروشياتهم وكنوا في الاديرة تاركين رعيتهم فريسة للذئاب وكانت تلك فرصة أخرى كثر فيها الدين اعتنقوا الاسلام اما تخلصاً من اضطهاد شنيع او باغراء الولاة الذين وعدوهم بالعمى اذا نطقوا بالشهادة فقط ويلبثون

مسيحيين فعلا ومسلمين اسما ولكن النتيجة كانت سيئة في الحالتين لان اولاد هؤلاء المساكين صلبوا مسلمين فعلا لا اسما

وفي ذلك الوقت قام مروان بن محمد سنة ٧٤٤ م واغتصب الخلافة من ابراهيم بن الوليد وولى مصر حويزة بن سهيل ظراح الاقباط قليلا من ذلك الظلم الهائل الذي كلف واقعا على رؤوسهم ولذلك صرف بطريك الاقباط حينئذ وهو البابا خائيل الاول اكثر اوقاته في قبول توبة الذين انكروا المسيحية .

(١٠) ولاية عبر الملك بن مروان سنة ٧٥٠ م . تولى مصر بعد حويزة

فانهز افسخا مروان في القتال وشن الغارة على الاقباط واضطهدهم اضطهادا فظيما . وفي اثناء ذلك أتى مروان فارا من وجه ابي العباس الملقب بالسفاح الذي نزع منه جميع الولايات ولم تبق له سوى مصر فاراد ان يحتفظ بها ولكنه وجدها في اضطراب بسبب سوء ادارة الولاية وعمال الخراج

وكان قبط الوجه البحري في الجهة المعروفة بالبشمور وهي مديرية الدقهلية والمنزلة ودمياط وفي جهة شبرا بسنيوط قد قاموا على عمل الخراج وقتلواهم فجرد الوالي عساكره فخاربههم الاقباط وانتصروا عليهم دفعتين وكان القائد للبشموريين رجل قبلي منهم يسمى مينا بن بقيرة . وبعد ان تمتع الاقباط مدة بالراحة استجمع مروان قوته وحاربهم فهزهم هذه المرة وتركوا ميدان القتال وتحصنوا في بلادهم فلم يتمكن مروان من متابعتهم بسبب الوحل الذي كان في طريقهم فضرب العساكر حولهم يجرسونهم فكان للبشموريون يخرجون اليهم ليلا من طريق يعرفونه ويقتلون من قدروا على قتله ولما طال عليهم الامر رحلوا عنهم

وجاء أبو العباس الى مصر فلم يقو مروان على الوقوف أمامه فهرب الى الوجه القبلي وسمح لسعاكره ان ينهبوا البلاد فصاروا يقتلون الارباخنة ويسبون نسلهم واولادهم ويسلبون اموالهم ويهدمون الكنائس . وفيما هو هناك اعتصب اهل طحا (بمديرية المنيا) وتوقفوا عن دفع الخراج فارسل اليهم اميرا من امرائه

فقتل ونفى كثيرين منهم. ولستباح كل ما لهم وكان عدد سكان هذه المدينة أكثر من ٢٠٠٠٠٠ نفس كلهم نصارى فهدم كنائسهم ولم يبق فيها غير واحدة كانوا التزموا بثلاثة آلاف دينار في نظير بقائها فأعطوا ألفين وعجزوا عن الباقي فجعل ثلثها جامعا

ثم ولج عساكر مروان الاديرة ونهبوها واغتصبوا الراهبات طهتكم اعراضهن واكراههن على البغاء وظلوا يقتلون وينهبون البلاد وأخربوها من منف الى مدينة تاوصنا . وامعنوا في اثناء سيرهم في الافساد حتى وصلوا الى الشرق بجهة اخميم وكان هناك دير راهبات تسكنه ثلاثون عذراء فنهبوه ووجدوا بين العذراى صبية ترهبت وهى ابنة ثلاث سنين وكانت ذات جمال بارع فراقت في نظرهم وارادوا ان يقرعوا عليها ولكنهم استحسنوا ان يأخذوها هدية للسلطان . فلما سمعت قولهم تقدمت الى قائدهم وقالت له انا أعبد الله بطهارتي منذ سنين ولا يجعل بكم ان تفسدوا عبادتي واذا أوليتموني هذا المعروف انا أ كافئكم عوضه بدواء أصفه لكم يحمي اعناقكم من فعل السيوف فتمجبوا من كلامها فقالت لهم ان أبائي كانوا قوما مقاتلين ومن الشجعان وقد دعوا لي دواء كانوا يتدهنون به اذا خرجوا للقتال فكانت السيوف الحادة تكمل ولا تضر اجسادهم وان كنتم لا تصدقون فما أنا أدهن رقبتى به وليستحضر أشجعكم أحد سيف ويضربني به فلا بد ان يرجع مفلولا وقصدت بذلك ان تدبر طريقة للموت دون ان تنجس جسدها الطاهر

ثم دخلت قلايتها وأخرجت قنينة فيها زيت قد صلى عليه القديسون وكانت محتفظة به فدهنت به رقبتها ووجهها وجميع جسدها ثم جثت وبدأت تصلي وهى تمد عنقها للسياف فظن الجهال ان الامر صحيح ولم يعلموا ما في قلبها ثم قالت لهم « من كان فيكم قويا وسيفه ماض قاطع فليقدم » فوثب شاب شجاع بسيف يقتخر به فسترت وجهها بردائها وأحنت رأسها وقالت له أضرب بكل قوتك ولا تبال فضرب القديسة فطارت رأسها فعلموا حينئذ انها خدعتهم فندموا وحزنوا حزنا عظيما ووقع عليهم خوف شديد ولم يلتفتوا بعدها لراهبة أخرى بل تركوهن ومضوا يعبدون الله

ثم رجع مروان من الصعيد فوجد جيوش أبي العباس قد حلت قرب القسطنطين فاطلق فيها النار . وفي هذه الاثناء كانت البيعة معرضة للسقوط في كل مكان ولم يكن فيها أمن لأحد من بنيتها الا للذين لجأوا الى بركة النطرون أو الاماكن المنفردة في الجبال . ولم يأتهم الفرج الا بعد انتصار أبي العباس على مروان وقتله اياه وبموته انقرضت الدولة الأموية وقامت مكانها الدولة العباسية واستولت على مصر

أما حالة الاقباط في ذلك الوقت فكانت سيئة للغاية فالاضطهادات والأوبئة والمجاعات كل هذه فتكت بهم فتكا ذريعاً وتسبب عن ذلك نقص عظيم في عدد هذه الامة التعيسة الحظ السيئة البخت . وباختلاط القبط بالعرب أخذت لغتهم تنحط شيئاً فشيئاً حتى لم يبق منها بتوالي الايام الا رسمها واقتصروا على استعمالها في الطقوس الكنسية ولولا ذلك لأمحى أثرها بالكلية . وما الفضل الا لرؤساء الدين الذين كانوا يمامون الناس ان المحافظة على لغتهم الاصلية ولو بغير المعاملة بها في الاحوال للميشية من الواجبات الدينية

(١١) مصر في شهر الرولة العباسية سنة ٧٥١ م . ولما كان الاقباط

قد ظاهروا ابا العباس على مروان نادى العباسيون بعد استتباب الملك لهم بالامان على المسيحيين وكانت نواياهم لاقباط مصر حسنة الا أن بعد البلاد عن مركز الخلافة وعدم بقاء الولاة في مناصبهم جعلهم يستبدون ويعملون في الناس كيفما شاءوا كما كان يفعل الولاة في ايام الدولة الاموية وبعضهم لعلمه ان منصبه غير باق له لم يكن يهتم الا بمصلحته الشخصية

(١٢) هزيمة ابي جعفر المنصور سنة ٧٥٤ م . ولى عنه بمصر يزيد بن

حاتم فوقع ببطريق الاقباط البابا مينا الاول اضطهاداً عظيماً فساء الاقباط ما لحق برئيسهم من الاهانة وانعكست الحال ثانية فتمرد قبط رشيد وسخا وغيرها وجاهدوا بالعصيان وطردوا المستخدمين من بلادهم وصاروا يديرون أعمالهم بانفسهم وأرسلوا الى مصر جيشاً قوياً ليحاربهم ويخضعهم ولكن الاقباط استطاعوا ان يفوزوا بذلك الجيش كله ولو كان مسموحاً لهم ان يتدربوا على القتال ويحملوا

الاسلحة لا انتصروا على الجيش الثاني الذي حاصرهم ولكنهم انكسروا بعد أن
ثبتوا أمام اعدائهم مدة ثبوت الرواسى حتى اضطروا الى أكل جثث الموتى

(١٣) هزيمة هرون الرشيد سنة ٨٧٦ م . ولى مصر علي بن سليمان

فاشتم غضبه على النصارى وعمد الى ما كان يلجأ اليه غيره من الولاة السالفين
وهو هدم كنائسهم فعزم على هدم كنائس القسطنطينية فعرض عليه النصارى خمسين
الف دينار لكي يتجاوز لهم عن كنيسة كانت قائمة في حصن قسطنطين فأبى
وهدم جميع الكنائس ولم يبق منها سوى كنيسة انبا شنودة الواقعة بين القسطنطين
وبابيلون .

وتولى بعد علي موسى بن عيسى فراح الاقباط وأذن لهم ببناء الكنائس التي
تهدمت وكان ذلك بمساعدة الليث بن سعد وعبدالله بن طهية القاضي ومشورتها
بمحجة ان بناءها من عمار البلاد فشدداهم على ذلك . وخلف موسى بمضى ولاة لم
يعرفوا لهم عملا سوى اضطهاد الاقباط . وكأن المصائب أتت الا ان تكون وقفاً
على هؤلاء المساكين فتوالت المجاعات التي فتكت بثروتهم وصار الفقراء يموتون
جوعاً أو تقتلهم الحكومة تخلصاً من اعالتهم . ومن الغريب ان أحد ولاة مصر
تنبه الى أن المجاعات تتوالى بسبب اهمال تطهير الترع وتنظيم أحوال الري فساق
اليها عدداً عظيماً من الاقباط ليس لديهم قوت يوم فماتوا من الجوع وبقيت جثثهم
مكومة في الاماكن التي ماتوا فيها ونشأ عن عفونتها طاعون زاد في شقاء البلاد
وكان من رأي هرون الرشيد أن لا يبقى والى مصر حاكماً لها أكثر من
سنة وكان يشدد عليهم باجراء قواعد العدل والانصاف فاستراح الاقباط في مدة
خلافته من الاضطهاد غير انه كان ينظر اليهم والى بطريركهم بعين الريب خوفاً
من انتقاضهم عليه فبذل جهده في التضيق عليهم . ولما تولى مصر اخوه عبيدالله
ابن المهدي اهدى الخليفة فتاة مصرية آية في الجمال فطاب بها قلبه وحدث انها
مرضت فحزن كثيراً وبحث عن أمر الاطباء ليعالجوها فانتدب له عبيدالله
يوليانوس بطريرك الاروام في مصر وكان طبيباً بارعاً فداوى محظية الخليفة ولما
برئت رغب اليه هرون ان يطلب منه أجراً فسأله بعض الكنائس القبطية فاجيب

سؤله ونال منته . وشيد الببا يوحنا الء كنيسة عظيمة للملاك ميخائيل فغطاظ
منه الاروام وشكوه للخليفة ووجدها الوالي فرصة مناسبة لفرض غرامة باهظة
على البطريك فدفعها هذا راضياً دون ان يوقف بناء الكنيسة يوماً واحداً
وبلغ الولاية الذين تقلبوا على مصر في مدة سبع سنوات سبعة آخرهم يسمى
اسحق بن سليمان الذي لما وصل الى مصر زاد في خراج المزارعين زيادة اجحفت
بهم فخرج عليه اهل الحوف فخاربههم فقتل كثير من اصحابه فكتب الى الرشيد
بذلك فمقد لخرثة بن أعين في جيش عظيم وبعث به فنزل الحوف فتلقاء أهله
بلظلمة وأذعنوا فقبل منهم واستخرج الخراج كله . وفي سنة ٧٩٨ م ولي الليث
ابن الفضل فبعث بمساح يمسخون الاراضى ومن جملتهم اراضى أهل الحوف
فانتقم لهم من القصبه أصابع فتظلموا الى الليث فلم يسمع لهم فتجهزوا وساروا
الى النمسطاط فخرج اليهم الليث في اربعة آلاف من جنده والتقى بهم فانهزم عنه
الجند وبقى في نحو المائتين فحمل بمن معه على أهل الحوف فهزمهم حتى بلغ بهم
غيفة وبعث الليث الى النمسطاط بثمانين رأساً من رؤوس الثائرين

القسم الرابع

البرع

.....

التعليم بانبثاق الروح القدس من الآب والابن

.....

علمت الكنيسة منذ البتة بان الروح القدس منبثق من الآب فقط كما نص

الأنجيل المقدس بالحرف الواحد (يو ١٥ : ٢٦) وفي المجمع القسطنطيني المسكوني الثاني المنعقد برئاسة البابا تيموثاوس البطريرك الاسكندري ال ٢٢ حرم من يقول أو يعلم بغير ذلك . وسارت الكنيسة على هذا للبدأ الى نهاية الجيل الثامن حتى ظهر لوكيوس المبتدع في عهد لاون الثالث اسقف رومية سنة ٨٠٨ م وعلم في فلسطين اولاً بان الروح القدس منبثق من الآب والابن فشجبه الاساقفة وطرده من بلادهم فلجأ الى رومية فلم يتفق له النجاح فتوجه الى فرنسا وفيها تمكن من ان ينفث سمومه بين الاكليروس مساء ٥ كركوس الاكبر ومن ثم رجع الى رومية ببعض اتباعه فقاومهم لاون الثالث الذي جلس على الكرسي الروماني سنة ٧٩٥ م . ولما رأى هذه البدعة تمتد في رومية ولم يكن في كنيسته رجال متضلعون في العلوم اللاهوتية ليدفعوها طلب من توما بطريرك اورشليم ان يرسل اليه رجالاً حكماء اتقياء ينقدون كنيسة رومية من صلاحيات كركوس القيصري اضهد رسل بطريرك اورشليم ولم يدعهم يصلون الى رومية وعقد مجمعاً سنة ٨٠٩ م قرر فيه الزيادة وحاول اقماع اسقف رومية بها فلم يفلح بل حابه لاون « اني لا أعلم ما اذا كان الآباء القدماء عملوا عملاً أفضل بكم هذه الكلمة ولا اقدر ان اؤكد انهم لم يعملوا جيداً هذا الأمر كما تعلمه نجر لاني لا نجاس ان أشبه نفسي بهم فضلاً عن ان أفضل نفسي عنهم ومهما كانت غايتنا حسنة فيجب علينا ان نخشى لئلا نضر نحن ما هو في ذاته حسن ببعدها عن النهج القديم في التعليم . لان الآباء لما منعوا كل زيادة في الدستور لم يقسموا النيات الى نية صالحة ونية رديئة بل منعوا الزيادة منعاً مطلقاً حتى انهم لم يسمحوا ولا بان يفكر احد لما عملوا هكذا » اهـ

ولكي يمنع لاون كل تغيير في دستور الأيمان عقد مجمعاً سنة ٨١٠ م ونقش الدستور على لوحين من فضة باليونانية واللاتينية صحيحاً سالملاً بدون الزيادة ونصيهما امام الباب المقابل قبوري بطرس وبولس وكتب عليهما هذا العنوان « انا لاون قد نصبت هذين اللوحين حباً بالايان الارثوذكسي وحفظاً له » { ١ } وكان لكرلوس قيصر في ايجاد هذه الزيادة مصلحة خاصة اولاً لكي يثبت سلطته على

اسبانيا التي نشأت عندها هذه الزيادة ثانياً لكي يفصل الغرب عن الشرق في العقيدة ويحفظ استقلالته فتأمل

ولما أقيم بناديكتوس الثالث على الكرسي الروماني قام عليه قوم وعزلوه واهانوه ونزعوا عنه حلة الكهنوت وحبسوه وانتخبوا بدلاً منه قساً مقطوعاً يدعى انسطاسيوس ققام الشعب ضدهم وطرد انسطاسيوس واعاد بناديكتوس فسيم من مجمع الاساقفة (١) ولما كانت بدعة الانبثاق آخذة في الامتداد بين الشعوب الغربية كتب دستور الايمان بحروف لاتينية خالياً من الزيادة وسن قانوناً بوجوب تعليمه لكل واحد من الشعب الايطالي منعاً لدخول الهرطقة وكتب رسائل الى بطاركة الشرق بان رؤساء كهنة رومية لا يقبلون الشركة مع أحد ما لم يكن محافظاً على دستور الايمان سالماً كما سمعت المجامع المسكونية السبعة وحددت المحافظة عليه بان الروح القدس ينبثق من الآب فقط لا من

(١) نقل المؤرخون ان بين البابا لاون الرابع والبابا بناديكتوس الثالث قام في سنة ٨٥٣ بابا اسمه بوحنا الثامن وهو المعروف بالبابا حنه لانه كان اثني جرمانية وقصتها كما رواها موهيم المؤرخ في كتابه ص ٣١٤ هي كالتالي :- « كانت ابنة مرسل انكليزي ترك انكلترا ليبشر الصكصونيين المهتمدين حديثاً فولدت في انكلهم وحسب قول المؤلفين المتنوعين دعيت حنه واغنس واغربت وايزيبيلا وماركريت ودوروثي ووجدت فاشتهرت منذ حدايتها بذكاء العقل وحب العلم واذ لحظت من راهب شاب من فولد الغرام بها انسرقت من والديها وهي مفرومة به ايضاً وتزيت بزي الذكور ودخلت دير فولدا واذ لم ترتض بالحجز هنا انسرقت ايضاً مع محبوبها ومضيا الى انكلترا ثم الى فرنسا وايطاليا واخيراً الى اينا في بلاد اليونان حيث انصبا على طلب العلم . وحين مات الراهب كانت حنه عديمة التعزية فركت اينا واتت الى رومية حيث فتحت مدرسة وحصلت على شهرة عظيمة بالعلم والقداسة السكاذبة وحين مات ليون الرابع سنة ٨٥٥ م انتخبت بابا وجلست على الكرسي الباباوي نحو سنتين ممدوحة السيرة بدون ان يشك أحد في جنسيتها ولكنها أخذت واحداً من اهل بيتها يمكنها ان تنق به الى فراشها فحبلت منه . واخيراً اذ كان زمانها لتضع اقرب مما كانت تظن تجرأت في اسبوع الآلام ان تشترك مع كل اكليروسها في الطقس السنوي وفيها كانت مارة في الشوارع بين كنيسة مارا كليمنديس والمرسح اتي عليها آلام شديدة وواتت الى الأرض بين المزدحمين وفيما كان الواقفون عليها يجتهدون في ان يالجوها ولدت ابناً فالت الولد والبعض يقولون ماتت ايضاً جالا والآخرون يقولون عاشت وارسلت الى السجن حالا هداً لمن العموم (انظر بورو بلاينا)

الابن كما علم ابناء الفساد . وقد حافظ اكثر خلفاء هذا الاسقف على سلامة دستور الايمان الى ايام استفانوس الخامس نحو سنة ٨٩٥ {١} ولكن نيقولاوس خليفة بناديكتوس سنة ٨٥٨ م حاول ان يدخل الزيادة في بلاد البلغار فقاومه فوتيوس بطريرك القسطنطينية في مجمع عقد بهذه العاصمة وقع عليه نواب الاسقف الروماني بهذه العبارة « انه يجب ان لا يسن قانون جديد بل ان يصدق على دستور الايمان النيقاوي » أما خلف نيقولاوس يوحنا الثامن سنة ٨٧٢ م فانه قرر حرم كل من يعترف بالزيادة وكتب لفوتيوس يدافع عن كنيسته بقوله « اننا نحن فضلا عن كوننا لا نقول ذلك (يعنى « المنبثق من الآب والابن ») نحكم بان الدين تجاسروا من الاصل أن يعلموه هم مخالفون للوصايا الالهية ومغترون للاقوال اللاهوتية أقوال السيد المسيح والرسل وسائر الآباء الذين التأموا مجمعا وسلموا الدستور المقدس ونحسبهم مع يهوذا لانهم ارتكبوا ارتكابه لا بانهم دفعوا جسد الرب للموت بل بانهم شقوا وفصلوا المؤمنين أعضاء جسده بعضهم عن بعض ودفعوهم بذلك للموت الابدي أو بالحري خنقوا انفسهم كما فعل التلاميذ الملتوى المذكور »

ولكن فرمودوزس سنة ٨٩١ م قبل الزيادة فشجبه خلفه استفانوس السادس سنة ٨٩٧ م وأخرج جثته وحاكها وقطع أصابع يده التي كانت يقدر بها القرايين وبيبارك الشعب والقي تلك الجثة في نهر تيزر فعثر بها صياد ودفنها الا ان مرجيوس الذي جلس على كرسي رومية سنة ٩٠٥ م اخرجها وبعد ان فصل الهامة عنها طرحها في النهر ثانية واطاد رسامة كل الذين رسمهم بدعوى انه لم يكن اسقفا شرعيا ولبثت الزيادة تنقل بين ايدي اساقفة رومية فواحد يقبلها وآخر يشجبها حتى قام بناديكتوس الثامن سنة ١٠١٢ م فقرر قبولها رسمياً سنة ١٠١٤ م فتم بذلك انشقاق الروم عنهم كما قرروا قبلا الاعتقاد بطبيعتين ومشيتين في السيد المسيح فكان الانشقاق بينهم وبين الكنيسة المصرية

واليك شهادات الآباء المعترف بقداستهم من كل الكنائس والتي تبرهن على ان اعتقاد الكنيسة منذ عصورها الاولى هو ان الروح القدس ينبثق من

الآب فقط : —

قال القديس اثناسيوس الرسولي « ان لنا الهاً واحداً وهو الآب الذي لا بداية له وهو مبدأ الاشياء كلها لان منه الكلمة يولد والروح ينبثق »
وذكر القديس كيرلس الاسكندري في الحزم التاسع « ان الروح خاص بالابن فجاوبه » تاوذوريتوس عما يعنى بقوله فاجابه « ان الروح القدس ينبثق من الله الآب حسب قول المخلص لكنه ليس غريباً من الابن » وقد شرح قوله « ليس غريباً من الابن » بقوله في رسالة الى نسطور « انه ليس غريباً من الابن بحسب الجوهر . يعنى مساوياً له في الجوهر للأبد »

وقال الاسقف الروماني داماسوس سنة ٣٦٦ م في اعتراف ايمانه الذي كتبه للاسقف باولينوس « انه يقبل قبولاً كاملاً اعتقاد المجمع الثاني المسكوني في انبثاق الروح القدس ويلعن كل من يتجاسر ان يقول « ان الروح القدس كان بواسطة الابن والذين لا ينادون بكل حرية ان للروح القدس جوهرأً واحداً أو سلطة واحدة مع الآب والابن » (١)

وقال القديس باسيليوس الكبير « في مقالته المشهورة بالرد على انوميوس » كما ان الروح القدس ليس له الولادة بحالة ما هكذا والابن ليس له الانبثاق وكما ان الابن ليس هو من الروح القدس هكذا والروح القدس ليس هو من الابن وكما ان الابن مولود من الاب وحده هكذا والروح القدس ينبثق من الاب وحده »

وقال القديس غريغوريوس نيصص في ميمره المختص بالافادة والتفهم عن اللاهوت « ان الخاصة الابثاقية هي موجودة في الآب فقط »
وقال القديس يوحنا فم الذهب في ميمره الذي على البنديكستي « ان الآب علة واحدة للابن والروح القدس »

وقال أوغسطينوس في رده على هرطقة اريوس فصل ٢٣ « لا يظن ان الروح بواسطة الرتيب هو مته (أي الابن) كما انه هو ذاته (الابن) من الآب بل كلاهما من الآب . الابن يولد والروح ينبثق »

وقال ابرونيموس في مخاطبته داماسوس « اننا لمؤمنون بالروح القدس
أيضاً الذي من الآب خاصة ينبثق » {١}
ونختم بان نقل ما وجد من الشهادات في كتب الاقباط التابع المطبوعة
برومية التي تصرح بانبثاق الروح من الآب واليك هي :-
ورد في ص ٢٥٧ و ٢٥٨ من كتاب الخولاجي للطبوع برومية سنة ١٤٥٢ ش
و ١٧٣٦ م ما يأتي « الروح القدس الغير المستحيل المتسلط المحيي المنبثق من
الآب الذي نطق في الانبياء حل على آباءنا كوعد المسيح وتكلموا بكل لغة »
وورد في كتاب اللقان والسجدة المطبوع برومية سنة ١٤٧٨ ش و ١٧٦٢ م
في صحيفة ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤١٦ و ٤١٧ قول صريح بان الروح
منبثق من الآب فقط فليراجع في محله ولعلمهم بعد ذلك يرعوون



القرن التاسع

القسم الاول

تاريخ البطاركة

.....

- (١) مرقس ٢ (٢) يعقوب (٣) سيمون ٢ (٤) يوساب (٥) خائيل ٢
(٦) قزمان ٢ (٧) شنوده ١ (٨) ميخائيل ١

.....

(١) مرقس ٢ - البطريك السابع والاربعون . بعد وفاة البابا يوحنا ٤
اجتمع الاساقفة والشعب الارثوذكسي بالاسكندرية وتشاوروا في من يقيمونه
بطريكاً فاتفقت كلمتهم على القس مرقس وكتبوا الى انبا ميخائيل اسقف مصر
بشأنه فمضى الى الوالي يطلب منه الترخيص للمسيحيين بتكريس بطريكهم
فأذن له .

ولما بلغ القس مرقس خبر اختيار الشعب له وهو من عائلة مشهورة في
الاسكندرية بالشرف والتقوى عول على الهروب فارسل الانبا ميخائيل يفتش
عليه حتى وجده وبعثه الى الاسكندرية وقدم في اليوم الثاني من أمشير سنة
٥٠٢ ش و٧٩٩ م في عهد خلافة هارون الرشيد . وحال جلوسه على الكرسي
قرأ على الشعب حقيقة اعتقاد الارثوذكسين واظهر ضلال المجمع الخلكيدوني .
وبعد تكريسه باسبوع كانت جمعة الرفاع فمضى الى دير الزجاج ليقضي فيه

ايام الصوم بالصلوات ومن هناك ارسل الى انبا ميخائيل اسقف مصر يخبره فيه بعزمه على الذهاب الى الوالي بعد عيد الفصح ليسلم عليه ويطلب منه الترخيص ببناء الكنائس للتهدمة . فلما جاء عيد الفصح قصد البطريرك فسطاط مصر ليسلم على الوالي فتلقاه الانبا ميخائيل باحتفال عظيم ثم استأذن في الدخول على الوالي فسر منه جداً واعجب بحسن كلامه ووعدته بقضاء جميع ما ربه وخرج من عنده يستشير اولاده في الأمر الذي يلتمسون من الوالي ان يجيبهم اليه فأقروا على طلب بناء البيع فزاروه في اليوم التالي والتمسوا منه ذلك فأعطاهم أمراً ببناء كافة البيع فاهتم البابا مرقس بالكنائس وعمر ما خرب منها

ثم سعى في تجديد العلاقات بين الكنيستين الاسكندرية والانطاكية وكتب سنوديقاً الى كرياكوس بطريرك انطاكية فتلقى منه جواباً حسناً . وعمل بعد ذلك على رد الضالين وكان حينئذ منهم قوم يعرفون باتباع بارسنوفة الذين لارأس لهم السابق ذكرهم واستمروا لغاية البابا مرقس مصرين على انفصالهم فحزن عليهم وصلى الى الرب لكي يساعده على ردهم فسمع الله له وجاءه رئيساً تلك الشيعة مستغفرين عن ذنوبهما فاراد ان يختبر توبتهما فافهمها ان ما نالاه من الرقب الكهنوتية بايدي الهراطقة باطل فقبلا ان يقبلها بدون رتب كهنوتية ومن ثم أتى بها ورسمها اسقفين بيعة مار ميخائيل بمريوط في ١٥ هاتور احدھا للمدينة طنطا والثاني لاتريب (بجوار بنها)

فلما نظر البرسنوفيون ما كان من انضمام رئيسيها للكنيسة الارثوذكسية كتبوا للبابا مرقس ايضاً لكي يقبلهم ويأتي اليهم ليكرس بيعتهم فلبى نداءهم وانطلق اليهم واظهر رضاه عنهم واقام لهم قداساً وناولهم من الاسرار للقدسة وكان فرح عظيم حتى انه بعد ايام رأى ان البيعة التي كرسها لبرسنوفيين ضيقة فدعا الصناع واتفق عليها حتى اتسعت ودعيت « بيعة البطريرك » ولما رجع الى الاسكندرية طلب منه وجهاء الشعب ان يبني بيعة السيد المخلص ويوسعها لأنها في وسط المدينة فاعتذر لهم خوفاً من ان يتبيع عليه الاشرار ويعلموا ضده بالوشاية لدى السلطان ولسكنهم ألحوا عليه فاجاب طلبهم وبدأ في تهيبه الكنيسة حتى اتتھا بكل زينة فكانت موضوع فرح الارثوذكسيين وكو

للخلكدونيين واجتمع الاساقفة وكرسوها في عيد الصليب في ١٧ توت
واعطى الله هذا البابا موهبة اجراء الآيات والمعجائب فكان يدهن
الكثيرين من المرضى بزيت باسم السيد المسيح ويضلي عليهم فيبرأون طابلاً
وكثيرون تم لهم الشفاء بصلواته . وفي تلك الايام اقام البابا رجلاً على الخدمة
البطريكية كان مملوئاً حسداً لكل انسان وخصوصاً لكاتب البطريك فكان
يشيع عنه كل قبيح حتى وصل الخبر للبابا مرقس فطقق ينصحه بان لا يعود فيما
بعد يذيع مدماته ولكنه لم يسمع النصيحة بل استمر في شره حتى كان يوم
عيد نياحة البابا يوحنا فحضر ذلك الشرير وابتدأ يتكلم في حق الكاتب . فضجر
منه البطريك ولعنه ان كان ما يتكلم به زوراً فاقسم انه يتكلم حقاً ولأنه حلف
كذباً أصيب سريعاً بالفالج الى يوم وفاته

وظهر في ذلك الحين جراد كثير في البحيرة والاسكندرية فأكل جميع
اعمار الارض والكروم فحزن البطريك وأمر جميع الشعب الارثوذكسي ان
يخرجوا بالمباخر والصلبان والانجيل ليسألوا الله ان يرفع عنهم هذا الغضب فما
كادوا يصلون الى المكان الذي انتشر فيه الجراد وارتفع صوت صلاتهم حتى
رأوه يتعالى الى الجو ويسقط في البحر

وبينما كان البطريك راجعاً الى مصر وهو يفتقد رعيته اجتاز ببلدة تسمى
اغروة فخرج الكهنة والشعب يستقبلونه بالاكرام كالمادة وكان بين المحتفلين
به انسان به روح نجس فصرعه بين الناس فطلب البابا مرقس ان يقدم اليه ثم
رسم على وجهه علامة الصليب وهو يصلي فخرج منه الشيطان وقام سالماً . ومع
انه شفى كثيرين من مرضاهم كان هو نفسه مصاباً بمرض عضال استمر به اثني
عشرة سنة دون ان يطلب الشفاء منه بل كان يشكر الله على الدوام الذي جربه
نظير باقي اصفيائه

أما الشيطان فلم يطق ان يرى كنيسة الله ناجحة فأخذ يكيد لها وذلك انه
في ذلك الحين هجم مساسو الاندلس على مصر وبدأوا ينهبون كل ما تصل اليه
أيديهم ويقبضون على النصراري ويبيعونهم كالعبيد لا فرق بين روماني وقبطي .
وقد أظهر البابا مرقس في هذه الازمة شجاعة تادرة للمثال فكان يشتري كثيرين

من القسوس والشمامسة والعداري والنساء والأولاد وبلغ عدد ما اشتراه منهم ست آلاف نفس . وكان عند ما يشتريهم يسلمهم كتب انعتاقهم حالا ويقول لهم من أراد منكم البقاء عندي أسلمه للمعلمين يعلمونه علوم البيعة ومن أراد الرحيل الى بلده ادفع له ما يوصله اليها . واستمر مشاراً على هذا الجهاد الحسن حتى شاع ذكر فضائله واقترن اسمه بكل مدح وثناء

وسلط الشيطان قوماً أشراً على بيعة المخلص فاطلقوا يدهم فيها فذهبوا كل ما بها ولم يبقوا شيئاً وذلك لانهم كانوا قد رأوا جثث بعض موتاهم ملقاة على بابها فظنوا ان النصارى قتلوهم وأخذوا يضطهدونهم بشدة حتى لبس البابا مرقس في تلك المدة ثياب الحداد على ما لحق كنيسته من الويل ومع ما كان محيطاً به من الاخطار لم يتأخر لحظة واحدة عن اتمام واجباته وكان اولاده يأتون اليه معزين اياه ويسألونه الذهاب الى بيوتهم وهو يأبى حتى قام الارخن مقار النبراوي من كرسي سمنود ومضى الى عبد العزيز المتولي على المشرق واوقفه على ما أتاه الاشرار ضدهم ظلماً وكيف ان بطريركهم اضطر فراراً من الاضطهاد ان يختبئ مع اساقفته في أحد الاديرة المقفرة فأعطاه الوالي كتاباً ليأوي البطريرك اليه حتى يزول الخطر فاقام البطريرك بنبروه مدة

ومع ذلك لم يكن هذا البابا يتخلى عن الاهتمام بالبيع المقدسة واعادة الاعضاء التي افرقت من كنيسة انطاكية بواسطة ابرهيم المطران . وجرى حينئذ على برية الرهبان بوادي هبيب بلايا عظيمة ولما وصل خبرها مسامع البابا مرقس زاد حزنه فنظر الرب لكثرة همومه واراد ان يريحه من تعب هذا العالم فظهر له مرقس الرسول في رؤيا يقول له « افرح يا مرقس خليفتي لانك ستعتق من هذا الجسد » ولما استيقظ من النوم كلف الاساقفة بعمل قداس وتناول الاسرار المقدسة ثم أسلم الروح فكيفنه الآباء والاساقفة ودفنوه ببيعة نبروه بعد ان أقام على الكرسي مدة عشرين سنة وقيل اكثر وكانت نياحته في الثاني والعشرين من برمودة سنة ٥٢٥ ش ٨١٩ م وكتب في ايامه رسائل كثيرة

(٢) بمقرب - البطريرك الخسون . كان قساً بدير أبي مقار ترك وادي

هبيب على أثر خراب الاديرة ومضى الى دير في طيبة وهناك تجلت له رؤيا علم
منها ان الرب يدعوه للذهاب الى البرية المقدسة فعاد اليها مسرعاً

أما الارثوذكسيون فبعد موت البابا موقس لحقهم حزن عظيم لاسيما لوفاته
بعيداً عنهم وكان الخطر قد زال فاجتمع الاساقفة والشعب وطلبوا من الرب ان
يرشدهم الى الراعي الأمين فذكر عدد غير قليل و بينهم القس يعقوب فاجمعوا على
انتخابه واستدعوه من دير ابي مقار وهو لا يعلم وساروا به الى مدينة الاسكندرية
وكرسوه بطريركا وهو يبكي في شهر بؤونه سنة ٥٢٥ ش و ٨١٩ م في عهد خلافة
عبدالله المأمون

وحال جلوسه على الكرسي قاوم اصحاب البدع ولاسيما اتباع المجمع الفاسد
الخلكيديون واتباع اوطاخى الذين ينكرون آلام المسيح بالجسد وفي بعض
الايام قدم الاسرار المقدسة ليناول الشعب . وكان بعض الهرطقة قد حضروا
للصلاة على سبيل التفرج واختلطوا بالارثوذكسين فلما علم البابا بذلك رفع
صوته بشجاعة قائلاً « أية خلطة لاولاد الله مع اولاد بليعال » نغزي المخالفون
وخرجوا جميعهم متسرلين بثياب الخجل وكان فيهم رجل موسر موظف بحماية
خراج الاسكندرية وكانت له دالة عند الاندلسيين فمضى مسرعاً اليهم متكلماً بحق
البطريرك حتى غير قلب الوالي عليه وارسل الهرطوقي يهدد البطريرك قائلاً له
« سأفقدك السلام وأشتت شعبك حتى اذا رفعت صوتك في الكنيسة قائلاً
« السلام لكم » لا تجرد من الشعب من يرد عليك « ومع روحك » غير ان البابا
تنبأ قائلاً له « الشر الذي تتوقعه غيرك لا بد يحل بك » وقد تم قوله اذ بعد
قليل تشاجر الرجل المخالف مع آخر فقتله وسلب جميع ماله ووقع الرعب في قلوب
بقي المخالفين وصار بطريركهم يوقر البابا يعقوب ويحمله

وكانت اعمال هذا البابا تتقدم وتنجح الا ان الاخطار الاخيرة التي وقعت
بالببيعة أورثتها فقراً عظيماً فساعد البطريرك بعض المساعدة رجل قريب له من
وجهاء نبروه ارسل اليه ما تحتاجه البيعة . وقد زاده شعوراً بالفاقة مطالبة بعض
الكنائس له بانخراج الذي كان مقرراً لها على البطريركية فلم يقو على اجابة طلبها
وكان شماس اسمه جرجس بكنيسة الاسكندرية أخذ يتكلم معه بمجارة وطلب

منه ان يعود الى دير اذ لم يقوم بتأدية خراج البيع فتألم منه البطريك حتى لم يكده الشماس يصل الى بيته وقد أصابته هي عظيمة فضت عليه طاجلا فاغدر المطلبون بالخراج وهدأوا

ولما جاء الصوم المقدس قصد دير أبي مقار ليقضيه فيه كما جرت عادة الآباء البطارقة واخذ معه للرهبان كل ما يحتاجون اليه من الخيرات . وكان في أيام رهبنته قد بدأ بعماره هيكل على اسم القديس شنودة قبل هيكل القديس أبي مقار فكله وجدد البيع ليأوى اليها الرهبان عوض البيع المتهدمة

فاغتاز الشيطان من نجاح عمله وكان له شماس يمتني به ليقدمه في درجة الكهنوت فسولت له نفسه ان يتصرف تصرفاً سيئاً فكان يعمل ما يشاء بدون استئذان رئيسه ومن ذلك انه ضرب احد التلاميذ حتى مات فلما شاهد ذلك خفوا الهير شددوا على البطريك ليعطيهم القاتل ليقتلوه فاجتهد البابا ان يخلصه فلم يفلح ولما علم الخفراء انه يعتنى به طلبوا منه مالا جزيلا ولما لم يكن معه ساعده الاساقفة والشعب حتى وفي ما طلبوه وخلص الشاب من ايديهم

ثم قصد البابا يعقوب الصعيد ليفتقد الشعب والاديرة فقوبل بمقابلة عظيمة، وبعد ذلك جاء اليه رجل كان رئيساً على بعض البلاد يدعى عبد العزيز وطلب منه ان يوسعه اسقماً فلم يرض ان يخرج على قوانين البيعة فاغتاز عبد العزيز وظاف بلاداً كثيرة يضطهد اهلها ويذلهم حتى أوقع بلايا شتى بأناس كثيرين وللهلك طلب الارخن مقار النبراوى من البطريك ان يرسمه وكان عبد العزيز قد توعد امام مقار قائلاً « ان لم يجتمع في البطريك أهدم البيع واقتل الاساقفة » فسار اليه يعقوب يصحبه القس يوساب الذى صار فيما بعد بطريركا ولما كان يوساب خائفاً من مواجهة عبد العزيز هدأ البطريك اضطرابه وقال له « لا تخف فاننا لا نشاهد حياً » وفعلوا فقد جاء الخبر بانها بينما كان شارعاً في هدم أحد الحصون وقع عليه حجر قضى على حياته الشقية

ثم تولى بعده ولده المدعو علي فنزع الظلم واستراح الكثيرون ورجع الرهبان الى وادى هيب بعد هروبهم منه ورأى البابا يعقوب ان هيكل القديس شنودة لا يسع الرهبان فبنى بيعة باسم أبي مقار وكرزها في اول يوم من برمودة

وكان يوم تذكّار للبطريرك

وكان مقار النبراوي يشتهي ان يرى البطريرك فدعاه الى منزله ليبارك حائلته
فجاء اليه البطريرك وعمل له وليمة عظيمة وقدم صدقات كثيرة وبينما كان السرور
شاملاً مرض ابن الارخن ومات فجزع الجميع أما البطريرك فأظهر السكون التام
وطلب الغلام ورسم على وجهه علامة الصليب وصلى لاجله فرد الرب اليه الحياة
ومجد الجميع الله وزاد الارخن في عمل الخير نحو المحتاجين ودفع ثلث ماله للارامل
والايتام وبنى في مدينة اورشليم بيعة لاستراحة الارثوذكسيين وهي تعرف
ببيعة المجدلانية وتمهد بان لا يرد لأحد سؤالاً ولا يغلق بابه في وجه أحد
ولما انتشر ذكر البابا يعقوب واشتهرت اعماله الصالحة سمع به الأب
ديونيسيوس بطريرك انطاكية واشتهي ان يراه وجهاً لوجه ولم يمنعه سوى
كثرة الحروب التي استمرت قائمة في ارض مصر اربع عشرة سنة . واتفق له فيما
بعد المجيء الى مصر مرتين الاولى ليحتج امام عبدالله بن طاهر والي مصر على
تصرفات أخيه في اديسا حيث بلغ من الظلم والغشم مبلغاً عظيماً وقد تحصل
ديونيسيوس على جواب من عبدالله لأخيه يحذره فيه من اتيان أي تعد على
الكنائس في انطاكية . ونزل بطريرك انطاكية في مدينة صان (شرقية) فخرج
سكانها وعددهم نحو ثلاثين ألف قبلى يتقدمهم البابا يعقوب والاساقفة واستقبلوا
الأب ديونيسيوس استقبالا عظيماً حتى كتب هذا البطريرك بعد رجوعه لكرسيه
عن الاقباط يقول « وجدت بطريركهم واساقفتهم اتقياء ورعين متواضعين
يحبون الله ويخافونه من كل قلوبهم وقد اكرموا مثوانا وأظهروا لنا كل بشاشة
ولطف مدة وجودنا في مصر مما نشكرهم عليه شكراً مستفيضاً »

وكان البابا يعقوب يعلم ان تلميذه يأتي اعمالاً بغير ارادته فدعاه اليه ونصحه
بعدم الاستمرار في طفيلانه خوفاً من وقوع بلايا على الكنيسة فلم يطع قوله
وأصيبت الكنيسة بنكبة فشدد الوالي على البطريرك في طلب الخراج ولم يكن
معه فاضطر ان يقدم له أواني البيعة . غير انه بينما كان الصائغ يكسر كأساً مقدسة
جرحت يده وسال منها دم كثير فخاف الوالي ومن معه وامر ان لا يكسر منها
شيئاً وأعادها الى البطريرك وشدد عليه في دفع الخراج فنالت صموبة شديدة

حتى وفاه . وبعد ذلك عزل الوالي وأصيب بمرض عياء فكلف أولاده ان يردوا
المال للبطريك ففعلوا كما اوصاهم

وتولى على جباية الخراج رجل يدعى ايليا بن يزيد وفي ايامه تنيح اسقف
بالصعيد على كرسي قاو فاوقف اهل المدينة انساناً للبطريك ليقيمه عوضه فخشي
الرجل ان يمتنع البطريك عن رسامته فضى الى الجابي وقدم له مالا ليأمر
البطريك برسامته فأبى البطريك مخالفة القوانين الكنسية ولكن الاساقفة
خوفاً من حدوث ضيق على البيعة بسبب ذلك أزموه بان يرسمه ولكن هذا
الاسقف لم يكده يصل الى ابروشيته حتى مرض ومات

وبعد ذلك توجه البابا يعقوب لافتقاد الكنائس والشعب ولما وصل الى
ضبعة تسمى تسمت احضروا له شاباً به شيطان قد أخرسه وأصمه وسألوه ان
يضع يده عليه فصلى ودهنه بزيت فخرج منه الشيطان فوراً وتكلم وسمع . ثم
اشتهى البطريك ان يقيم بمدينة تنتدا اياماً قليلة لدى مروره عليها وهو يطلب
من الله ان يريه من سيكون خليفة له فعلم ان انه تلميذه سيمون

وكانت عادة هذا البابا اذا اراد ان يقيم اسقفاً ان يسهر ويصوم حتى يظهر
له الله اعماله وكان يحفظ ايام نياحة الآباء البطارقة من مرقس الرسول الى مرقس
ايه بالروح ويعيد لهم . ثم اراد السيد المسيح ان يخلصه من مشقات الحياة فاعتل
وضعت قوته وتنيح في ١٤ امشير سنة ٥٤٤ ش و ٨٣٦ م وليلة موته سمع
يقول في الساعة الرابعة من الليل « يا أبوي ديوسقوروس وساويرس ها أنذا
أجي اليكما » وكانت مدة جلوسه على الكرسي ١٨ سنة و ١٨ شهراً ودفن حيث
توفي بتنتدا

(٣) - يوم ٢٠ - البطريك الحادي والخمسون . ولما تنيح البابا يعقوب

قدم بعد مدة يسيرة عوضه الآب سيمون وهو من مدينة الاسكندرية من
اصل شريف وكان مقيماً بقلاية البطريك وتربى منذ صباه مع البابا مرقس .
ولكن البابا سيمون لم يقم على الكرسي المرقسي سوى خمسة شهور و ١٦ يوماً
وتنيح في ٣ باه سنة ٨٣٧ م على قول من روى انه عاش هكذا وسنة ٥٤٨ على

قول من روى انه عاش ثلاث سنين وسبعة أشهر وقضى مدة رئاسته كلها وهو مصاب بداء المفاصل يتوجع منه وجعاً شديداً الى ان اسكنه الرب الراحة الأبدية .

وبعد نياحة البابا سيمون اجتمع الاساقفة واعيان الطائفة ليقيموا عوضه فاختلقت كلمتهم وذلك لان اهل الاسكندرية افتكروا ميلاً منهم للمجد العالمي ان يقيموا رجلاً علمانياً (متزوجاً) لانه كان غنياً وذا اعتبار يدعى اسحق وكان على رأس هذا الحزب زكريا اسقف اوسيم وتادرس اسقف مصر وكلفاه ان يكتب كتاباً لكهنة الاسكندرية يعدهم فيه بالخير الجزيل

وكان في ذلك الزمان اساقفة قديسون يفارون على بيعة الله منهم انبا ميخائيل اسقف بلبس وانبا ميخائيل اسقف صا وانبا يوحنا اسقف بنا وغيرهم فلما بلغهم ما نوى عليه الاسقفان واهل الاسكندرية اجتمعوا وتوجهوا الى الاسكندرية ووبخوا الذين فكروا بانتخاب رجل متزوج مخالفة للشريعة . ووفقت النعمة الالهية حينئذ ان يذكر قس فاضل يدعى يوساب كان مقيماً ببيعة ابي مقار فاتفقت عليه كلمتهم وارسلوا وقد استدعيه وقالوا اذا كان الرب قد اختاره نجد باب قلايته مفتوحاً ولما وصلوا اليه الفود قائماً يعلق باب قلايته ~~تلف~~ تلاميذه وقد خرجوا ليملاؤا الماء وقالوا له انك تدعى للبطريكية فبكي بكاء مرأ وامتنع فأخذوه عنوة في اليوم الثاني عشر من هاتور عيد الملاك ميخائيل وودعه آباء الدير بحزن عميق وساروا به حتى أتوا الى الاسكندرية واعلموا الوالي وكان اسمه عبدالله بن يزيد باختيارهم لهذا الآب وطلبوا اخذ رأيه قبل تكريسه فامتنع لان اسحق المذكور كان قد وعده بألف دينار اذا جلس على الكرسي ثم قال لهم اذا اردتم ان يرسم هذا بطريكاً فاعطوني ما وعدني به اسحق .

فلبت الآباء الاساقفة في منزل الوالي متوسلين حتى يصادق لهم على الانتخاب وهو يأبى طالباً منهم المال حتى أغضبهم فافهموه انهم ليسوا تحت سلطانه بل تحت سلطان والي مصر وعرفوه انه اذا لم يقرهم على رأيهم ينطلقون الى فسطاط مصر ويطلبون من واليها ترخيصاً فلما رأى ثباتهم اذن لهم فاجتمعوا في بيعة مارمرقس

وتعموا الرسامة في ٢١ هاتور سنة ٥٤٨ ش و ٨٠٧ م في عهد خلافة الماءون
وخلافة محمد المعتصم

(٤) يو-اب - البطريرك الثاني والخمسون . كان من ابوين قاضلين بمدينة

منوف العليا معروفين لدى الحكام وبعد موتهما تركا له ثروة طائلة وبقى يوساب
يتيماً حتى نظر اليه ارخن تقي كان متولياً بإدارة مصر اسمه تادرس من نيقوس
فأخذه اليه ليصيره له ولداً فاقام عنده مدة حتى رأى في نفسه شوقاً للعيشة
الذسكية فأخبر الأرخن بعزمه ولما لم يقدر ان يحوله عن غرضه ارسله الى مدينة
الاسكندرية الى البابا مرقس وكتب له كتاباً يذكر له فيه تاريخ حياته . وقبل
قيام يوساب الى البطريرك وزع كل امواله على الفقراء والمساكين

ففرح به البابا مرقس وسامه الى شماسه ليعلمه الكتابة باللغة اليونانية
فكان ذكياً غير انه لم ينثن عن عزمه فلما اقام عند البطريرك مدة التمس منه ان
يسمح له بالذهاب الى البرية فسر من ميله الصالح وارسله سريعاً الى دير ابي مقار
ووضعه تحت ارشاد ايغومانوس يدعى بولس وفي سنة ٧٩١ م استحضره
البطريرك فاقام عنده مدة ولما اراد الرجوع الى البرية رسمه قساً وارسله فمكث
هناك مدة من السنين . ولما اعتل الشيخ بولس معلم يوساب وقف على خدمته
بدون انقطاع ليلاً ونهاراً وتحصل على بركته وقبل وفاته تنبأ عنه بأنه سيكون
رئيساً للكرسى وينال تبعاً جزيلاً

وحال رسامة هذا البابا كانت البيعة تنوء تحت عبء فقر مدقع فشرع يفرس
كروماً وبنشياً طواحين ومعاصر ولكن بعد قليل اخذت نبوة الشيخ تم اذ
انتشر وباء عظيم في شرقي مصر وغربها وحدث غلاء فاحش فأصيب من احوالها
الكثيرون من رعية البابا يوساب وناله حزن عظيم على ما جرى لهم وهو يدعو
الله ان يرفع هذه الولايات عنهم . ولشدة التجارب التي اكتنفتها لم يتمكن من
مكاتبة بطريرك انطاكية مع انه كان يشتهي ان يجدد العلاقة بين الكنيستين
ولكنه لم يجد يوماً واحداً يستريح فيه ويتم هذه الامنية المقدسة
وحدث ان اسقفاً على كرسى تفيس يدعى اسحق سعى به بعض شجبه بكلام

ردىء لدى البطريرك وطلبوا منه خلعه والاهجروا الارثوذكسية . وبمثل ذلك تصرف اهل مصر مع اسقفهم وتوعدوا برجه ان لم يرفعه البطريرك من ابروشيتهم . فكان ذلك سبباً في زيادة احزان هذا البطريرك التعيس فصلى الى الرب ان يثبت شعبه وكهنته وطلب جميع الاساقفة من كل الاماكن واوقفهم على ما جرى فأوا حفظاً لسلام الكنيسة ان يرفعوا الاسقفين من كرسيهما وكان البطريرك يتهد على ما جرى

وجرى ان اهل البشمور خرجوا على الحكومة وجاهاوا بمصيانهم فكتب الوالي الى الخليفة المأمون يأخذ رأيه في ذلك وكان الخليفة محباً للنصارى بسبب معاشرته لعلمائهم فحضر الى مصر ومعه ديونيسيوس بطريرك انطاكية فلما علم البابا يوساب بنخبر مجيئها سار الى القسطنطينية ليسلم عليها ففرح به كلاهما ثم كلفه الخليفة ان يقوم بديونيسيوس بطريرك انطاكية الى اهل البشمور ليقنعاهم بالخضوع له بالحسنى والا يسلط عليهم سيف انتقامه

فتمام البطريركان وسارا الى البشمور بين وأخذوا ينصحانهم ويوبخانهم على افعالهم ولما لم يسمعوا لقولها ويخضعوا لمشورتها رجعا الى المأمون واخبراه باصرارهم على العناد فأرسل اليهم افسحين الوالي ليقنعهم بالقوة . ثم سأل الآب ديونيسيوس عمادعاهم الى العصيان فتأسف وحدث الخليفة بما سمع من ظلم الولاة فقال له المأمون لا تفقه بمثل هذا الكلام لان متولي الخراج كانوا من قبل أخى المعتصم ولو سمع ما قلت لما أبقاك بمصر ساعة واحدة . فاسرع الآب ديونيسيوس ليودع البابا يوساب وعيناه تفيض بالدموع وسافر طاجلاً . وبعد رحيله باغ المعتصم الخبر فأرسل وراءه من يقتله ولما لم يتمكن من العثور عليه غضب جداً . وبعد ان توفي المأمون وملك المعتصم عوضه هرب الآب ديونيسيوس ولم يبق بانطاكية حتى طأهده الخليفة على ان لا يقتله فرجع اليها

ولما كان البابا يوساب بمصر رأى ان اسحق الذي كان مرشحاً نفسه للبطريركية محتقراً من جميع الطبقات فاحب ان يوآسيه فدعاه اليه وطيب خاطره بالكلام الحسن وقلده وكالة البطريركية فانشرح صدره واعلن خضوعه له ولما حضروا في بيعة السيدة العذراء بقصر الشمع يوم عيد الشعانين رسم الارخن اسحق

شامساً امام عدد كبير من الشعب

ولما كان المأمون بمصر اعطى البابا يوساب فرماناً بخط يده باقراره رئيساً عاماً روحانياً على الامة القبطية وجميع كنائس مصر وخدامها غير انه لم تكذب تنتهي هذه الحوادث حتى دخل الشيطان في نفسي اسقفي مصر وتأسيس المقطوعين فمضيا الى افشين الوالي بمد ان وقع ثورة البشموريين ودسا اليه بان البطريرك هو الذي حرض البشموريين على العصيان واخبراه انه مجتمع في البيعة مع ما لا يحصى من الشعب وكلهم طوع امره . وكان الافشين حينئذ سكراناً فغضب ووجه أخاه الى البيعة بجند كثير ليحضر البطريرك ليقبله فسار امامهم اسحق اسقف تنيس حتى دخلوا البيعة واثار الى البطريرك وكان في الهيكل فدخل اليه اخو الافشين ليأخذ رأسه امام المذبح فسقط السيف من يده على عامود رخام وانكسر فاشتد غيظه واستل مديّة كانت معه وطعمه بها . فاضطرب جميع المصلين وصاحوا بصوت عظيم متوهمين انه مات ولكنهم عند ما اقتربوا اليه وجدوا السكين قد مزقت ثيابه وقطعت منطقتة ولكنها لم تضح حسده

فلما نظر اخو الافشين هذه الاعرابية احدث لهضي به الى اخيه كما أمره وفيما هم يجذبونه تعلق به الشعب وهم يبكون فهدأهم . خرج وهم يتبعونه فغضب اخو الوالي ورفع يده وضربه بسوط على رأسه فاجرحت عيناه ودخل الى الافشين وحدثه بخبره مع الاسقفين وكيف انه قطعهما ولكي يفتقها منه دبراً له هذه المكيدة . فلما تحقق الافشين برأة البطريرك استشاط غيظاً على الاسقفين وعول على الانتقام منهما فتقدم اليه البطريرك حينئذ وطلب منه العفو عنهما كما تأمر ديانتهم فتمعجب الوالي من هذه المبادئ السامية واطلق الاسقفين . ولما بلغ الخليفة خبر هذه الحادثة ارتفعت قيمة البابا يوساب في عينيه وأمر باكرامه .

وبعد ذلك اراد البطريرك ان يرسم اسقفين لابروشيقي مصر وتأسيس عوض المقطوعين فوسم اسحق الارخن الذي صيره شامساً ونائباً عنه اسقفاً على اوسيم ووسم آخر اسمه ديمتريوس على تنيس وبقي فسطاط مصر تحت تدبير اسقف اوسيم الذي استمر مشرفاً على الكرسي الى نهاية حياته

ثم وجه البطريرك نظره نحو الحبشة والنوبة وافتقدهما برسائل بعثها يستفسر فيها عن حال الكنائس فيها ولم يتمكن من انجاز مشروعات مهمة بسبب الخلاف الذي كان قائماً بين ملوك الحبشة وولاية مصر وهو يطلب من الله ان يحل السلام ليبلغ غرضه . ولبتت الحرب قائمة بين الفريقين اربع عشرة سنة وبعد ارسل الخليفة المعتصم لجعل حراساً على الطريق التي بين مصر وبين النوبة والحبشة وكان ملك النوبة حينئذ يدعى زكريا فكتب اليه المعتصم يطلب منه ان يدفع خراج اربع عشرة سنة والا أشهر عليه السيف . وكان لوالي مصر كاتب بالصعيد يسمى جرجس فكتب للبطريرك يعرفه بما جرى فانتهز هذه الفرصة وارسل كتاباً لملوك الحبشة يعرفهم فيه انه انقطع عن الكتابة اليهم بسبب ما حل به من الاضطهاد ونصحهم بتجنب الخلاف مع المسلمين وهذه الرسالة باغها لثكريا بواسطة والي اسوان

فلما وصل كتاب الخليفة الى ملك النوبة ارسل ابنه الى مصر بهدايا جزيلة وابتعد عن التحزب اكراماً لخاطر البطريرك . فاستقبل البابا يوساب جرجس بن ملك النوبة بفرح عظيم ثم ودعه ليقوم الى الخليفة ببغداد فتأقاه للمعتصم باحترام زائد وانتهى الخلاف على ما يرام

وكان في بلاد الحبشة حينئذ اسقف يدعى يوحنا وسم ييد البابا يعقوب وحدث ان ملك الحبشة انهك في حرب فعمد اهل البلاد الى طرد الاسقف من البلاد بايعاز الملكة واقاموا آخر عوضه . فأتى يوحنا الى مصر ونزل في دير البرموس الذي ترهب فيه بوادي هيب . وبعد قيامه من الحبشة أصيبت بنكبات مختلفة ورجع الملك وهو لا يدري ما جرى فلما وقف على الخبر ارسل حالاً الى البابا يوساب معلناً خضوعه له ومعتذراً عن ضلال القوم ومخبراً اياه بما اصاب البلاد من الأوبئة وتأخير المطر بعد ترك الاسقف يوحنا لها والتمس السماح بعودة الاسقف على جناح السرعة . فاستدعى البطريرك يوحنا وعزاه وثبته ودفع له نفقة السفر وسيره الى الحبشة ففرح به الملك فرحاً عظيماً وعمل الشيطان في قلوب بعض الاشرار فتقدموا الى ملك الحبشة طالبين منه ان يأمر الاسقف بالاختتان اسوة بهم والا طردوه ثانياً فخشي الاسقف من تعب الطريق

إذا رجع لمصر ثانية ووافقهم على ما طلبوا

ثم اهتم البابا يوساب برسامة اساقفة كثيرين أوغدهم الى كل موضع من كرمي مار مرقس الرسول الى افريقية والحس المدن ومصر والحبشة والنوبة . ولم يكديشع بالسرور حتى بلغه خبر من الخليفة يأمر به والي مصر ان يجرد الكنائس من زيناتها ويأخذ منها الاعمدة الرخام . وكان وصول ذلك الامر وتديره بواسطة رجل نسطوري يدعى لعازر . ولما وصل مصر اجتمع عليه امثاله من الهرطقة الخلكيدونيين المقيمين بالاسكندرية ولم يكفوا عن السعي ليلا ونهاراً يحسنون له هدم البيع ويرشدونه الى ما فيها من الاعمدة حتى أتوا الى بيعة الشهيد مار مينا بمريوط ووقفوه على جمال رونقها فتمجّب وبهت من حسن زينتها وقال هذا ما يحتاج اليه الخليفة

فلما بلغ الخبر البطريرك تقدم اليه وقال له هوذا كل الكنائس امامك فافعل بها كما أمرك الخليفة فقط ارجو منك ان تحفظ هذه الكنيسة ومهما طلبته مني اعطيك فأبى المخالف سماع كلامه وشرع في أخذ الرخام الملون والبلاط النادر من تلك البيعة . ولما وصل الرخام الى مدينة الاسكندرية لحق البطريرك والشعب حزن عظيم واهتم البابا يوساب باصلاح ما عبثت به أيدي الاشرار من كنيسة مريوط وساعده الرب حتى أعاد اليها بهاءها الأصلي

وقد انتقم الرب من لعازر المذكور انتقاماً مريعاً فأصيب بداء عضال القاه طريحاً في الفراش لا يقوى على الجلوس أو القيام مدة طويلة ناله فيها فقر مدقع وضنك شديد حتى اضطر ان يلتجئ الى البابا يوساب ويلتمس منه الصلاة لاجله فقابل البطريرك شره بالخير وعداوته بالمحبة وأواه عنده ولكن كلمة الرب كانت قد تفذت فيه فراح ضحية قساوة قلبه واهانته مقادس العلي

ومن المخالفين الذين كانوا بمدينة الاسكندرية رجل خلكيدوني من ذوي اليسار خرج يوماً ليتنزه في كرومه فوجد احدى سواقيه مكسورة فطلب لها نجاراً فقيل له عن نجار شيخ وكان يوم الجمعة العظيمة فأبى النجار ان ينتقل في ذلك اليوم الذي صلب فيه مخلص العالم فأخذ الهرطوقي يجدف بكلام رديء على كلمة الله فوبخه الشيخ ومضى الى البطريرك بوادي هيب وروى له الخبر فتنبأ

البابا يوساب قائلاً « تخرس الشفاه المتكلمة بالاحاد » وبعد وقت وجيز أصيب ذلك الخلكيدوني بالفالج وانقطع لسانه عن الكلام الى يوم وفاته حتى اضطر بطريك الملكيين المدعو صفزون ان يوقر البابا يوساب ويحضر عنده ليسلم عليه .

وحدث بعد ذلك ان توفى الانبا اسحق اسقف اوسيم فاقم مكانه الشماس يوحنا إسقوال وجهاء مصر وقدم على كرسي اوسيم الشماس بقيرة ولكنه تنيح بعد مدة وجيزة وكان للانبا اسحق تلميذ يدعى تادرس كان يلتمس كرسي اوسيم بدون رضا الشعب فامتنع البطريرك عن رسامته فترك تادرس خوف الله واستعان بعلي بن يحيى الارمني الوالي وتوسل اليه ان يلزم البطريرك برسامته فابى البابا يوساب مطلقاً ان يثلّم قوانين الكنيسة فحنق عليه الوالي حنقاً عظيماً وشرع في هدم بيع فسطاط مصر وبدأ بهدم بيعة « المعلقة » القائمة بقصر الشمع فهدم أعلاها والبابا يوساب يبكي بكاء مرّاً واخيراً تقدم اليه قوم وطلبوا منه ان يعدل عن رأيه خوفاً من ضياع البيع ويرسم ذلك الانسان وهو مسئول عن نفسه . فلم يكف الوالي عن الغضب بل طلب ثلاثة آلاف دينار مقابل عدم هدم البيع . فقلق الشعب والاساقفة وقسطوا المال عليهم حفظاً للبيع فهداً غضب الوالي وأمر برسامه الاسقف فرسم غير ان الله انتقم من الوالي شر انتقام فقتل في الحرب بعد قليل

ودخل الشيطان قلب يوحنا اسقف مصر فكان يطلب من البطريرك ان يرفع رتبته وكان حينئذ بمصر قاض يدعى محمد بن عبد الله رجل شرير قاس وكان يعقت المسيحيين ويحذف على عبادتهم فصاحبه اسقف مصر ليتمكن به من الحصول على أمانيه وملاً قلبه بالغيظ على البابا يوساب ففكر القاضي في أي سبيل يسلكه ليمسئ الى البطريرك

وذاث يوم دعا اليه وكان خرا اتفاق اسقف مصر معه قد بلغ مسامحه فاستند على ذراع القدير وأتى اليه فوجد معه جملة اساقفة انحازوا لاسقف مصر فلما مثل البطريرك امام القاضي سأله بحدة قائلاً « من الذي جعلك رئيساً على كافة النصارى » فاجابه البطريرك عاجلاً « الله » فالتفت القاضي الى الاساقفة

وقال لهم عليكم من الآن أن تنكروا رئاسة هذا عليكم مكتفين برئاسة اسقف مصر « فأظهروا الطاعة ومن ثم وبخهم البابا يوساب باللغة القبطية على ضلالهم وكان أحد علماء المسلمين الجالسين يفهم تلك اللغة فابلق القاضي ما قاله البطريرك فغضب منه وقال له « هل لك أن تقاوم سلطاني » فاجابه البابا بشجاعة « اذا استطعت ان تحجب ضوء الشمس بكفيك أمكنك أن تفعل ما أمرت به لان بيدي اعتماداً من الخليفة وهؤلاء الاساقفة تحت سلطاني ولي الخيار في عزلهم اذا انصرفوا عن جادة الصواب » فهدأ القاضي وطلب منه أن يطلعه على الاعتماد وكان بيد البابا يوساب اعتمادات منحت له من الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق فلما وقف عليها القاضي أطلقه بكرامة فخرج البطريرك وهو يطلب من الله لاجل الاساقفة قائلاً « يارب لا تقم لهم هذه الخطيئة »

ولم يكذب يسلم من هذه التجربة حتى أثار عليه الشيطان غيرها وذلك انه كان من عادة البطاركة ان يبعثوا ارساليات الى بلاد الحبشة وغيرها من افريقية وكانت تلك الارساليات تؤلف من شبان من افريقية كان ملوك الحبشة والنوبة يهدونهم الى البطاركة رجاء تعليمهم قواعد الدين المسيحي وارسالهم ليكرزوا بين المسيحيين وغيرهم في بلاد افريقيا . فكان البابا يوساب يعتنى بتعليم هؤلاء الشبان ففتح لهم مدرسة في البطريركية واهتم بان يقدم لهم جميع حاجاتهم فبسعاية اسقف مصر المقطوع علم القاضي بأمرهم فأرسل من أتى بهم اليه من البطريركية رغماً واستدعى البطريرك وعنفه قائلاً « لا ينبغي لك ان تختطف أبناء المسلمين لتعصرهم » فاجابه البابا « هؤلاء نصارى اولاد نصارى ارسلوا الي من ملكي النوبة والحبشة » فأثى القاضي بالاولاد امام البطريرك ولعظم التهديد اعترفوا بالاسلام امامه وهو يذرف الدموع السخينة . فقال له القاضي « هاهم قد اصبحوا مسلمين فخذ عنهم واتركهم » فاجابه « لا يصح لي ان اعمل على استعباد الاحرار اما انت فسيطالبك الرب ويقاضيك على ذلك » فأمر القاضي باقتسام الاولاد بين اعيان المسلمين فأتخذوهم عبيداً وخداماً

وفي السنة الخامسة عشرة من بطريركية البابا يوساب اي في سنة ٥٦٢ م توفي الأب ديونيسيوس بطريرك انطاكية واقام عوضه آخر اسمه يوحنا وكان (٥٩٠)

رجلاً كمنلاً فكتب رسالة محبة الى البابا الاسكندري كالمادة وارسلها مع مطراني
اوفيمية وحمص فتلقاها بسرور وقرأها على مسمع الشعب وكان لذلك القاضي
المذكور نائب بالاسكندرية يفوقه ظلماً وشرأ يدعى محمد بن بشير فاشار عليه
بعض الاشرار ان يهين البطريرك أمام المطرانين السوريين فاطاع مشورتهم
واستداه اليه مع المطرانين وسأله عن الغلمان الذين أمره قاضي مصر بعدم قبولهم
فاجابه لم أرهم منذ أخذوا مني فأمر به فضربه الجنود على رقبتة بغير رحمة
ولكوه لكما موجعاً مدة طويلة ولبثوا يضربونه وهو مطرق برأسه لا يرفعها
ولم يسمع منه سوى قوله « اشكرك يا سيدي يسوع المسيح » فبكي جميع
المشاهدين وتمجب المطرانان من ثباته وبعد خروجه من حضرة القاضي كتب
رسالة لبطريرك انطاكية وودع رسولييه وهما يطوبانه على حسن جهاده

وفي السنة الثامنة عشرة من بطريركيته ولي على مدينة الاسكندرية هرثة
بن نصر وكان ظالماً حاتياً فأتى هو وسراريه الى البطريركية وأكل وشرب معهم
ثم قام وطاف جميع مساكن البطريركية حتى انتهى الى المخدع الذي يضطجع فيه
البابا فطرده منه وادخل سراريه اليه ونام معهم فيه . فانتقم منه الله بمرض اصابه
في احشائه واوقفه على حافة الموت . وبعد وشي اليه بان ملوك الروم يعطون
البطريرك مالا وهو يكاتبهم ويحثهم على المجيء لمصر فأمر باعتقاله في موضع ضيق
وعول على معاقبته الى ان يدفع له ألف دينار وما زال يعذبه وهو صابر حتى
استقر الحال على اربع مئة دينار

وفي اثناء ذلك كانت ضربة القاضي تزداد كل يوم والدم يتدفق من جسمه
دون ان يستريح ليلاً ونهاراً وضاعت فيه حيلة الاطباء واستمر يتهدد البطريرك
حتى دفع للبلغ ولم يكذب يستلمه حتى أذيع خبر موته وخرج البابا من السجن
محفوظاً بالاكرام واستمر مجاهداً ومحملاً التعب حتى اراد الرب ان يريحه من
هذا العالم فنقله اليه في اليوم السابع من مرضه وتنيح في ٢٣ بايه سنة ٥٦٧ ش
٨٤٩ م وكان يوم احد وقت تناول الاسرار . وكانت مدة قيامه على الكرسي
١٢ سنة وقيل ١٨ و ١١ شهراً

وقبل موته كانت قد تفتياً بان الله سيعاقب قاضي مصر على ظلمه فتم قوله

وأرسل الخليفة رسولا من قبله ليكشفه اخوال مصر فوقف على مظلالم القاضي فأخذه وتخلق لحيته ووأسه وأشهره في شوارع مصر ونهب كل ما جمعه ظلماً ثم نقاه ببغداد وظل منفياً حتى موته . ولما سمع قاضي الاسكندرية بذلك هرب مراً ولم يعد يسمع عنه خبر

(٥) فرائيل ٢ - البطريرك الثالث والخمسون . وبعد ان تنيح البابا يوساب

أقرت جميع اصوات الكهنة وابناء الامة على اختيار الآب خائيل من دير ابي يحنس خلفاً له وسيم بطريكاً في ٢٤ كيهك في نفس السنة التي توفي فيها سلفه في عهد خلافة المتوكل بن المعتصم ولم يكده يجلس على الكرسي حتى تمرض له الولاية الظالمون طالبين منه مبالغ طائلة على سبيل رشوة او يمنعون من الجلوس على الكرسي فاضطر ان يبيع ذخائر الكنيسة ويوفي المطلوب . ولم تطل مدة هذا البابا سوى سنة واحدة وخمسة أشهر لم يحدث في خلالها ما يستحق الذكر سوى ما جرى على طائفته من الاضطهاد ثم توفي في ٢٢ برمودة سنة ٥٦٨ ش و٨٥١ م

(٦) فزمان ٢ - البطريرك الرابع والخمسون . وبعد وفاة البابا خائيل

اجتمع مجمع الكهنة والاعيان وانتخبوا بالاجماع لكرسي البطريركية الآب فزمان من رهبان دير ابي مقار وتمت رسامته في ٢٤ ابيب في نفس السنة التي توفي فيها سلفه في عهد خلافة المتوكل وهو من سمعود وجرت في ايامه اضطهادات عنيفة وسنت قوانين صارمة ضد المسيحيين

وفي ايام هذا البابا امر قيصر الروم بمحو الصور من الكنائس فبعث اليه هذا البابا وناظره حتى اقنعه ورجع به الى حسن الاعتقاد فرسم باعادة الصور الى ما كانت عليه . ولبت البابا فزمان على كرسي البطريركية سبع سنوات وسبعة أشهر و١٣ يوماً ثم توفي في خلال تلك التقليل التي كانت تهدد سلام طائفته وكانت نيابته في ٢١ هاتور سنة ٥٧٦ ش و٨٥٩ م

(٧) شوره ١ - البطريرك الخامس والخمسون . وبعد نيابة البابا فزمان

حدث اختلاف بين الاساقفة في من يخلفه ولكنهم عادوا واتفقوا على تقدمه الآب شنوده من رهبان دير ابي مقار وأصله من البتنون واتفق انه دخل الكنيسة فجأة في وقت تلاوة القداس وكان الكاهن يقول «مستحق وعادل» فسر الشعب لهذا الاتفاق واعتبروه صوتاً سماوياً يزكي الآب شنوده فاجروا تكريسه في ١٣ طوبه في السنة التي توفي فيها سلفه في عهد خلافة المتوكل في كنيسة القديس ابي مرجه

وكان هذا البابا عالماً تقياً فالما استلم عصا الرعاية سعى جهده في ملاءمة البدع واهادة المطرقات من بين المؤمنين . وكان أهالي قرية في مريوط لا يزالون متمسكين ببدعتي ابوليناريوس واوطاخى فسار اليهم وأرشدهم الى الاعتقاد الصحيح حتى أتى بهم الى الرأي الصواب . ثم قصد الوجه القبلي ليفتقد رعيته فوجد نصارى البايينا قد خرجوا على اسقفيهما واعتنقوا بدعتي سابليوس وفوتيوس اللذين كانا يعتقدان بالام لاهوت المسيح وقت الصاب فأخذ يقنعهم من أقوال الالباء القديسين بخطأ اعتقادهم وطلب منهم الانقياد لاسقفيهم اللذين حادوا عن تعليمهما ولبت يرشدهم حتى عادوا الى حضن الكنيسة

غير انه في عهد الخليفة المنتصر تولى مصر يزيد بن عبد الله سنة ٨٦١ م وكان هذا الوالي ظالماً قاسياً فأتى بالبابا شنوده اليه وأمره أن يدفع له خمسة آلاف دينار وقرر عليه ان يقوم بدفع مثل هذا المبلغ سنوياً . ولما أدرك البابا شنوده انه ليس في طاقتة القيام بدفع مثل هذه الضريبة الفاحشة لاذ بالهروب واختفى في أحد الاديرة البعيدة . ولما لم يعرف الوالي مقره شرع ينهب الكنائس ويسلب الكهنة ويهين الرعية فلما سمع البطريرك بان أولاده يعذبون مضى الى الوالي وسلم نفسه له فداء لراحتهم فأمسكه الوالي وشدد عليه ليدفع سبعة آلاف دينار منها أربعة آلاف خراج الكنائس مدة سنتين وثلاثة آلاف خراج الرهبان سنة واحدة فأخذ الاساقفة والقسوس يجدون في جمع هذا المبلغ من الشعب ليقوموا بدفعه ولكنهم لم يتمكنوا الا من جمع أربعة آلاف دينار قدموها للبطريرك فسلمها للوالي وتعهد له بدفع مثلها سنوياً اذا عفى عنه فقبل وأطلقه وبعد ذلك بقليل استولى على كرسي الخلافة المعتر باله سنة ٨٦٦ م فانتخب

البطريرك رجلين من كبار الاقباط المعترين من الشعب وهما الارخن ساويرس والارخن ابراهيم وأوفدهما الى الخليفة لييسطاه ماذاقته مصر من المر والعلقم لجور ولأثما وظلم حكامها ويرجوا بان يرحم بلادها ويقيم فيها نصاب العدل والشفقة ودعا لها البطريرك بالتوفيق فلما مثلا بين يدي الخليفة أحسن استقباطها وأجاب مطلبها وأعطى لها أمراً يقضي بان جميع الاراضي والكنائس والاديرة وأواني المذبح التي سلبت منهم أيام التعدي والاعتساف ينبغي ان ترجع اليهم ثانية فجاء الرسولان الى البابا شنوده بذلك القرار فكتب منه عدة صور ارسل لكل أسقف في القطر المصري صورة منها طالباً منهم ان يشكروا الله على هذه المنحة المظيمة ويقدموا الثناء الواجب للخليفة

وقد أنجز هذا البطريرك اصلاحات عديدة في القطر كانت البلاد في حاجة شديدة اليها ومن أعماله المبرورة انه انتهمز عهد الراحة في ولاية مزاحم فاشتغل بتوصيل المياه الى مدينة الاسكندرية في قناة بني لها صهريجاً مرتفعاً في المدينة ومد منه المواسير والمجاري الى المنازل والمسكن فصار سكان الاسكندرية يشربون ماء زلالاً أفضل من مياه الوقت الحاضر وعمت بواسطة هذا الخليج المياه لسقى الاراضي فكانت سبباً في زيادة الخصب والنماء

وقد ميز الرب هذا البابا بان أجرى على يديه آيات وعجائب ومنها انه حدث في أيامه شرق عظيم بسبب عدم نزول الامطار فجاء اليه الكثيرون في ليلة أحد الاعياد وهم يشتكون من قلة المياه التي كادت تدفعهم هم ومواسيهم الى الخطر وطلبوا منه أن يطلب من الله لسكي يمنع عنهم هذا البلاء فلما بدأ الصباح احتفل بالعيد وفي حال تقديم الامرار الربية توسل الى القدير ان يفرج كرب شعبه فلم يكادوا يخرجون من الكنيسة حتى فتحت السماء طاقاتها وهطلت الامطار والجميع بفرح بمجدون الله

وحدث فيما بعد لما استتب الملك في مصر لاحمد بن طولون انه أخذ ينظر الى البطريرك القبطي نظر النفور والكراهة لتوهمه بانه في امكانه ان يتاومه ولذلك كان يتحين الفرص المناسبة لاضطهاد الاقباط الى ان رأى ما يبرر تداخله في شئونهم عند مقام شماس قبطي خائن وطلب من البطريرك ان يرسمه اسقفاً

وقدم له رشوة مقابل ذلك فوبخه البابا شنودة على تصرفه الرديء وافضأ رشوته
 فتوعداً اياه بتجريدته من رتبة الشموسية اذا لم يكف من عمله السيء
 فراد الراهب ان ينتقم لنفسه فاغرى راهباً سورياً بقتيل من المال اعطاه اياه
 لكي يعترف بانه البطريرك امام ثلاثة شهود من المسلمين لا يعرفون البطريرك
 ذاتياً وكتب له امامهم صكاً بانه اقترض منه مبلغاً جسيماً جداً يدفعه له بعد مدة.
 وبهد ذلك عزم الشماس على تقديم السند للقاضي ليخلص له حقه من رئيسه غير
 انه قبل ان يتم عمله شعر به كبار المستخدمين الاقباط فاخطروا البطريرك بالامر
 وفي الحال استدعى لديه أحد أعيان المسلمين المعروفين بالشرف والصدق
 وطلب منه ان يحضر امامه الثلاثة الشهود من المسلمين حتى يميزوه من بين الجالسين
 ان كانوا يعرفونه فلما حضروا لم يستطيعوا تمييزه واعترفوا انه ليس هو الشخص
 الذي شهدوا عليه ومن ثم علمت الحقيقة وكيف دبر ذلك الشماس المكيدة ليوقع
 بطريركه . ولما رفع الشماس دعواه وطلب البابا شنودة امام القاضي طلب الشهود
 ليقرروا الحقيقة فما وقع نظرهم على الشماس حتى اخذوا يوبخونه على وقاحته المتناهية
 فاتشح بالخزي وندم على ما فعل مستغفراً رئيسه

وقد نسج كثيرون من المسيحيين بالاسم على منوال ذلك الشماس فكانوا
 يتهمون اخوانهم تهماً باطلة حتى ينالوا حظوة لدى الولاة المسلمين الذين كانوا
 يتذرعون بتلك الوشايات الكاذبة الى اضطهاد الاقباط قادهى راهب على البطريرك
 انه يعرف علم الكيمياء وعنده من الذهب والفضة مالا يحصى ومن ذلك ان راهباً
 من اعمال البشمور قدم لابن طولون شكوى كاذبة يدعى فيها ان بطريرك النصارى
 يجمع الاموال بطريق الاختلاس ويبذرها . فقبض الوالي عليه مع رهط من
 اساقفته وغلظهم بالقيود وساقهم الى باييليون مصر حيث تخلع عنهم ملابسهم
 الكهنوتية وألبسهم ثياباً قدرة واركبهم على دواب بدون براذع وامر ان يطاف
 بهم في الشوارع ليكونوا موضوع سخرية وهزه الناظرين . وبعد نهاية هذا
 التحقير وضع البطريرك في سجن لبت فيه شهراً كاملاً وهو يتعذب من مرض
 المفصل ثم اتى به امام الوالي فلم يستطع المبلغ الكاذب ان يثبت تهمة واشتد
 غيظ الاقباط عليه وقصدوا ان يفتكوا به فاسرع وطرح نفسه تحت قدمي

البطريرك ملتصقاً منه العفو عما نزل به فعامله البطريرك معاملة المسيحي الحقيقي
وصرح له بصفحة عنه وبرهن على ذلك بان اعطى له مبلغاً من المال واركبه جلا
يصل به الى بلدته ووهب له ثلاث حلل ثياب واظهر له منتهى اللطف حتى عنقه
وكيله على هذا الدين المنتهى الغير المحمود لشخص لا يستحق سوى القصاص
الشديد . وقد صدق ظن هذا الوكيل فان ذلك الراهب رجع الى شره وعمل على
اضطهاد المسيحيين وذهب الى الاسكندرية وشرع يضطهد التجار والمسافرين
فرفعوا أمره الى الحاكم وثبت له صدق شكواهم فأمر بضربه بأعصاب البقر حتى
تمزق لحمه وقضي عليه من تأثير الضرب

وادعى راهب آخر بما هو اعظم من جميعه بقوله ان البطريرك اغتصب بعضاً
من المسلمين وردمهم عن الاسلام جبراً وجعلهم نصارى ثم صيرهم رهباناً ولبي
يثؤكد للوالي صدق قوله طلب منه ان يسير معه جنداً الى احدى الاديرة
ليحضر منها من كان مسلماً ثم اكرهه البطريرك على النصرانية والرهبنة ولما
وصل الى الدير اخذ يملق بعض الرهبان ليجذبهم اليه فلم يوافقوه فأمر الجند
بالقبض عليهم واتوا بهم الى الوالي فاقام الرهبان الادلة القاطعة على انهم مسيحيون
اولاد مسيحيين وكان هذا الراهب يكره راهباً آخر من دير ابي يحنس فأكد
للوالي انه كان مسلماً فاستحضره وجالده بالسياط ليمترف بذلك ولما رأى اصراره
ارسل الراهب الشرير مع بعض الجنود الى البطريرك لياتوا به اليه حتى يدافع
عن هذه التهمة فبينما كان الراهب بقلالية البطريرك وقع بصره على بعض صناديق
فتوهم انها مملوءة مالا فاحضرها لدى الوالي ولكنها لما فتحت وجدت مملوءة
بنسخ قديمة بخط اليد ذات أهمية كان البطريرك مولعاً بجمعها فلحق الراهب
الخلج ولذلك اتهم تلاميذ البطريرك بانهم سرقوا الاموال التي احضرها فبدأ
الوالي يحقق هذه التهمة الجديدة ولسكن البطريرك اثبت برأة تلاميذه وبين فساد
التهمة الموجهة ضده موضحاً بان دخله لا يكاد يكفي نفقاته التي ينفقها دوماً على
الكنائس دون ان يدخر شيئاً له

فصدقه الوالي واشتد غيظه على ذلك الراهب التمام وصرف الرهبان الذين
اتهموا بانهم كانوا مسلمين الى اديرتهم وافرج عن البطريرك وحاشيته وضرب على

ذلك الراهب الكاذب غرامة جسيمة ألزمه بدفعها

وهكذا استمر اشراار الرهبان الذين كانوا يسمون لبث الفتن لعدم موافقة الآباء على تقليد الوظائف الدينية العالية لعدم لياقتهم زحماً عن المبالغ التي كانوا يعدونهم بنقدها وآخر تلك الحوادث ان راهباً طاعناً في السن اتفق مع بعض اليهود على تجديد اضطهاد النصارى فاخذوا يطوفون ليهيجوا المسلمين عليهم في كل مكان متذرعين بالتهمة المقدمة وهي انهم يسمون رد المسلمين الى المسيحية فقام عليهم المسلمون يقتلون الكثيرين منهم وينهبون اموالهم ثم اوقعوا بالبطريرك واساقفته واجبروا الحاكم على اضطهادهم

وكان البابا شنودة قد اعتاد هو وبعض الاكليروس والشعب ان يتوجهوا سنوياً الى دير ابي مقار في برية شيبات قبيل عيد الفصح . وحدث في احدى السنين ان العربان الذين كانوا يملأون تلك البرية تعدوا على المسيحيين ونهبوا متاعهم ولم يبقوا عند هذا الحد بل هجموا في يوم الخميس الكبير على الدير حال ازدهامه بالمسيحيين لكي ينهبوهم ويخربوا الدير فاستولى الخوف الشديد على الرهبان والشعب وارتزعجوا جداً عند ما رأوا خطر الموت يهدد اليهم فرفعوا اصواتهم بالبكاء والنجيب وبينما هم كذلك تقدم البابا شنودة بشجاعة وخرج بعكازه الى العربان الهاججين دون ان يمنعه استعطف ابناؤه كي لا يخرج وتقدم الى الاشرار وطلب منهم ان يأتوا اليه ليقتلوه فلما رأوا منه هذه البسالة وتطلعوا الى هيئته الموقرة رجعوا الى الوراء تاركين الدير ولما اظهر الرهبان خوفاً من قيام الغربان عليهم مرة اخرى ابتنى لهم في كل دير حصناً منيعاً

وبالجملة كانت حياة البابا شنودة مملوءة بجلال الالهال واستمر مجاهداً على كرسي البطريرك ١١ سنة و٣ شهور و١٨ يوماً وورقد بالرب في ١٤ برمهات سنة ٥٩٧ ش و٨٦٩ م

(٨) مفاتيح ١ - البطريرك السادس والخمسون . أقرت اراء جميع ابناء الطائفة والاساقفة بعد نياحة البابا شنودة على اختيار الآب ميخائيل خلفاً له وكانت رسامته في شهر برمودة في نفس السنة التي توفي فيها سلفه في عهد خلافة

المعتد بن المتوكل ولم يتعرض لرسامته احمد بن طولون. لان شغله في الحرب مع
اجنه . بفقده . كانت عادة الولاة التعرض للشعب في تنصيب بطاركة عليهم رغبة في
سلب اموالهم . ولما رأى البيايا ميخائيل الجوصافياً امامه نهض الى تصير الكنائس
التي تهدمت في ابان الاضطهاد وتشيد بعضها مما ازيلت مملته . وكانت قائمة
اعماله عقب رسامته بقليل قبوله دعوى تلقاها من مسيحيي دنوش من اصمال
سخا يطلبون منه الحضور مع الاساقفة لتدشين كنيسة بنيت باسم مار بطولومايس
الشهيد . وفي صباح اليوم الذي عين لتكريس هذه الكنيسة سار البطريرك مع
الاساقفة وكثير من الشعب الى الكنيسة للقيام بالفروض الدينية ولكنهم لم
يجدوا اسقف الكنيسة فأخذ البطريرك في اتمام الخدمة الدينية مع اساقفته
حتى انتهى الى رفع القرايين بدون ان ينتظر قدوم ذلك الاسقف وبعد تقديم
الجل وحال تلاوة صلاة الشكر دخل اسقف سخا المشار اليه وهو ممتلىء غيظاً
لان البطريرك تمدى على حقوقه ورفع القرايين في ابروشيته وكنيسته بدون
اذن منه . ثم سار نحو المذبح وامسك القربانة وطرحها في الارض وخرج غاضباً
ولم تكن تلك القربانة قد تقدست بعد فاستبدلها البطريرك بغيرها وتم القداس
واعطى البركة للشعب

وفي اليوم التالي عقد البطريرك مجمعاً من الاساقفة الذين شاهدوا تلك الحادثة
واجتمعت الآراء على قطع ذلك الاسقف الشرير واقاعة آخر بدله فكان ذلك مدعاة
لزيادة التهاب حرارة الغيظ في نفس الاسقف واراد ان يكيده لرئيسه فتوجه الى
احمد بن طولون وكان حينئذ على أهبة القيام الى سوريا للحرب وفي احتياج
للأموال للصرف منها على الجيش فلما علم بذلك الاسقف المعزول ذهب اليه واخذ
يهون الامر عليه قائلاً ان بطريرك الاقباط عنده من الاموال والثروة ما يكفي
لهذه النفقات وما هو اكثر منها وان مثله لا يحتاج لغير القوت واللباس وانه
لا يتأخر عن المساعدة ببعض ما عنده لو طلب منه ذلك فشكره ابن طولون
واستدعى اليه البطريرك حالاً وقال له « انت تعلم ان مساعدتنا للخليفة بالرجال
والاموال امر واجب ولا يخفى عليك الحروب القائمة علينا بسوريا واستمدادنا
للقيام بها واحتياجنا للنفقات وقد علمت انك ذو ثروة وافرة ومثلك لا يحتاج

غير الطعام واللباس وقد استدعيتك بالاكرام لتدفع لي بطيب خاطر ما لديك لمساعدتنا فتحظي من الخليفة بالرضا ومني بالمنة الجزيلة « فعلم البطريرك ان هذه مكيدة محبوكة فأخذ يحتج ويدافع عن نفسه مبرهنًا للوالي كذب التهمة التي وجهت اليه من ذلك الاسقف الخائن . ولكن ابن طولون لم يقبل منه اعتذاراً وطلب منه ان يسلمه جميع الاواني الذهبية والفضية الموجودة في الكنائس القبطية في القطر المصري وكل معدن يمكن تحويله الى نقود فرفض البطريرك هذا الطلب بتاتا ممتذراً بان هذه ملك لله لا له ففي الحال قبض عليه وزجه في السجن مع شماس له يدعى ابن المنذر وقد بقي هذا البطريرك المسكين سنة كاملة في السجن

وكان في معية ابن طولون اثنان من كتبة المسيحيين مقرين اليه احدهما يدعى يوحنا والآخر موني فاجتهدا في انقاذ البطريرك بالاتحاد مع وزير الوالي احمد بن المارديني . وكان لهذا الوزير كاتبان في ديوانه وهما يوحنا ومقار ابنة فوقما عليه وطلبا منه ان يكشف للحاكم حقيقة الامر ويسعى في اطلاق سراح البطريرك تلقاء مبالغ يقدمونه له فداء له وللكنائس . ولما علم ابن طولون ان السجن والموت لا يربحان البطريرك ولا يحملانه على تسليم اواني الكنائس قبل وساطة وزيره بشرط ان يضمن كاتبان البطريرك ليدفع عشرين ألف دينار فاضطر البطريرك البائس حياً في خلاص ابنائه من شقاء يحيط بهم واضطهاد يقع فوق رؤوسهم ان يكتب صكا على نفسه متعهداً بدفع المبلغ على قسطين ريثما يتمكن من جمعه من ابنائه وكان عليه ان يدفع النصف بعد شهر والنصف الآخر بعد اربعة شهور .

ولما حان ميعاد القسط الاول دفع اوائك الكتاب التي دينار وتبرع الوزير بألف واقترض البطريرك من التجار المسلمين سبعة آلاف فصارت الجملة عشرة آلاف سددها لابن طولون وأخذ بعد ذلك يجتهد في الجمع ليني دين التجار من جهة ويسدد القسط الثاني من جهة أخرى فقرر على كل اسقف مبلغاً وافراً ولكن كل ذلك لم يكف فجعل يزيد من الضرائب على ابناء الكنيسة وفرض على كل راهب ديناراً فلم يف ذلك ايضاً بالمطلوب . ولما ضاق به الامر بدأ يبيع

بيوتاً موقوفة للكنائس وارضى خارج القسطنطينية كان يسكنها جماعة من الاحباش وأضاف ثمنها الى المال الاصلي فظهر ان كل هذه المبالغ زهيدة بجانب المطلوب فضلا على ان الاربعة الاشهر المضروبة لدفع نصف الغرامة الثاني كانت قد مرت مر السحاب فوق البطريك في يأس وقنوط ورأى الموت المريع امام عينيه ولكن كل خوفه كان على حياة يوحنا الكاتب وابنه اللذين ضمناه في تسديد الغرامة

فاضطرته الحالة القسوى الى رسم عشرة اساقفة على عشرة ابروشيات كانت خالية حينئذ مقابل مبلغ دفعه كل واحد منهم . وقد تألم البابا ميخائيل اسد الألم لذلك غير ان عذره واضح حيث انه لم يأخذ لنفسه شيئا مما جمع بل دفع تلك النقود لرفع ضيم واضطهاد كان وقوعهما محتما على أمته كما انه لم يقل أحد من المؤرخين ان البابا ميخائيل كرس اسقفاً غير كفو لانه قدم ذهباً وفضة (١)

وقد انتهز اليهود هذه الفرصة وأخذوا يساومون البطريك على كنيسة للاقباط كانت قد خربت وتهدمت ولم تكن تؤدي فيها خدمة فاضطر البطريك أن يبيعها اياهم ولم تزل تحت يدهم الى يومنا هذا (٢) وباعهم أيضاً أرضاً بالبساتين لدفن موتاهم بها . ثم عمد الى طريقة أخرى يجمع بها بعض المال وهي تأجير مقاعد

(١) قالت المؤرخة الانكليزية مدام بوتشر: « ولا يفرح عن ذهن اللبيب ان اساقفة الاقباط قديماً دفعوا تلك المبالغ فدية لكنيسةهم ولكن اساقفة الكنيسة الانكليزية الذين يتمتعون بالسلام والامن في ظل حكومة ملك مسيحي لا يزالون يدفعون الى يومنا هذا مبالغاً لا يقل عن ٣٠٠ جنيه يؤديونها ضريبة للحكومة ورئيس الاساقفة يوم رسامتهم » ا هـ (٢٧٤ : ٢)

(٢) كان بيابايون كنيس لليهود بني قبل خراب اورشليم للمرة الثانية بنحو ٤٥٥ سنة ولما ظهرت المسيحية بمصر اعتنتها اغلب اليهود ونحو الكنيس الى كنيسة . ولما حدث الانشقاق بين الكنيسة القبطية واليونانية استولى الملكيون على تلك الكنيسة وبقيت في حوزتهم حتى انقرضوا في الجيل التاسع فاستولى عليها القبط ولما رأى اليهود ضيقة البابا ميخائيل وحاجته الى المال ليسد غرامة ابن طولون استأجروا منه هذه الكنيسة لمائة سنة وقيل انهم اشتروها وعلى كل حال فهي في يدهم الى الآن ويعتبرونها من اقدس الاماكن اذ يزعمون ان فيها قبر ارميا النبي

خاصة بالكنائس للأفندياء . ولما لم يكن كل ذلك كافياً للسداد رأى أن يسأل
للمشرفين على ادارة كنائس الاسكندرية لكي يبيعوا النقوش والزخارف الموجودة
في كنائسهم ويرسلوا له ثمنها ليدراً به آلام الاضطهاد . فقاومه اكليروس
الاسكندرية مقاومة شديدة ولكنهم لما رأوا ضيقته رضوا بشرط ان يؤدي
هو وخلفاؤه الف دينار كل سنة لكنائس الثغر الاسكندري

وبعد ذلك كله وجد البابا ميخائيل ان جميع ما تحصل عليه أقل من المطلوب
فانطلق الى تانيس وهو في حيرة كبرى وبينما هو كذلك وافى راهب الى تلاميذه
بثياب بالية وقال لهم قولوا لمعلمكم ان الرب يمزق عنه صك الغرامة بعد اربعين يوماً .
قال هذا واختفى عنهم وحاولوا بعد ان أخبروا البطريك ان يجدوه فلم يقفوا له
على أثر . ولم تمض الاربعون يوماً حتى مات ابن طولون وخلفه ابنه خمارويه
فطيب خاطر البطريك ومزق صك الغرامة وأطلقه مكرماً معزراً

وقد استمر البابا ميخائيل على الكرمى البطريكى مدة ٢٥ سنة وشهر واحد
و٩ أيام وتوفى في ٢٠ برمهات سنة ٦٢٠ ش و٨٩٤ م



القسم الثاني

المملوك والكنيسة

- (١) سرقة اهالي البندقية لجسد القديس مرقس (٢) خلافة المأمون
- (٣) المتوكل وابنه المنتصر (٤) المستعين وغيره (٥) المعتز (٦) احمد بن طولون

(١) سرقة الهيكلية لجرس القديس مرقس - لبث خلفاء مرقس

ينتخبون على قبره وكذلك ظلوا مدة الثلاثة القرون الاولى يدفنون بجانبه .
وشهد السنكسار (٤ ايب) أن كنيسة القديس مرقس بيوكاليا كانت لاتزال
تضم جسده في القرن الخامس وشهد أيضاً بأنه كانت هناك كنيسة أخرى جنوبي
الاسكندرية باسم القديس مرقس ايضاً . وقد ظلت كنيسة بيوكاليا قائمة للقرن
السابع ثم خربت على يد العرب . ثم صغرت تلك الكنيسة واطلق عليها اسم
« الكنيسة التي تحت الارض »

قال ابو المكارم للؤرخ « لما حصل الخلاف في الايمان الارثوذكسي بمدينة
خلكيديون سنة ٤٥١ م طلب الملكيون ان تقسم كنائس الاسكندرية بينهم
وبين القبط فاخص الملكيون بالكنيسة التي تحت الارض والتي أبقى بها جسد
الرسول واخص القبط بالكنيسة الاخرى الجنوبية التي نقل اليها رأس الرسول
فما كان من الافرنج الا ان سرقوا هذا الجسد بوضعه في عمود مجوف من الرخام
ولما وصلوا بغنيمتهم الى البندقية قابلهم اهلها بفرح عظيم وجعلوا جمهوريتهم
الحديثة تحت حماية الاسد المرقسي لما كان لمركس الانجيلي من المآثر بايطاليا اه
ووجدت قطعة في احدث الكتب التاريخية البولندية وهي تخبرنا عن كيفية
سرقة اهالي البندقية لجسد الرسول مرقس وهالك ملخصها :-

« الامبراطور ليون الارمني الذي حكم من ٨١٣ الى ٨٢٠ منع رعيته من
معاملة مدينة الاسكندرية تجارياً نظراً لامتلائها وقتئذ بالمسلمين أعداء اليونانيين
واللاتينيين . ومع ذلك فبعض التجار البندقيين كانوا ملزومين بحكم العواصف
والرياح ان يلتجئوا الى ميناء الاسكندرية ليمضوا فيها بعض الزمن الى ان يتمكنوا
من استئناف المسير وفي ذلك الحين عزم سلطان مصر على تشييد قصر فخيم له في
قاعدة ملكه فأمر برفع العمدان والأواح الرخام المزينة بها الكنائس وباقي الاثار
ليقيمها في قصره وقد هدمت كنيسة مار مرقس الموجود بيوكالي القريبة من شاطئ
البحر كغيرها وأخذت اعمدها وأحجار الرخام للموضوعة بها حول قبر الرسول
وأوسلت الى مصر رغماً من معارضات وتوسلات البطريرك واكليروس المدينة

وفي هذه الاثناء فكر التجار البندقيون في مشروع خطير وهو اخذ بقايا القديس الذي هو عندهم موضع احترام وتبجيل كي يذهبوا كل يوم للسجود امام قبره ولما رأوا ان في استعمال القوة هياج الشعب المسيحي ضدهم عزموا على ارشاء حراس قبر القديس بقولهم ان بقاياها ستحفظ في بلد مسيحية وتكون موضع احترام وتعظيم ساكنيها بدلا من تركها في بلدة قد لا تمكث بها طويلا بل تلعب بها أيدي الكفرة واما عندهم فيمكنهم ان يحرصوا في المحافظة على بقايا القديس حيث تكون في مأمن من كل طارئ وقد اقتنع الحراس بهاته الوعود والاقوال وسلموا بقاياها الى هؤلاء التجار ووضعوا جثة أحد القديسين مكانها فأقلع البندقيون بالجثة الى ايطاليا ولكي يخلصوها من العمال المسلمين وضعوا فوق الصندوق قطعة من لحم الخنزير الذي تحرمه الشريعة الاسلامية . ولما وصلوا الى البندقية عرضوا الجثة على حاكم المدينة الذي وضعها في كنيسة قصره ريثما يتمكن من تشييد معبد يليق بهذا القديس العظيم . ومن ثم أسعدت تلك المدينة بامتلاك تلك البقايا المقدسة ويتخذ اهالي البندقية مار مرقس نصيراً لهم ويعتقدون انه سبب سعادة جمهوريتهم ويحيون ذكرى ذلك النقل في أول فبراير « اه

ولقد يوجد بالبندقية نسخة اصلية يونانية من انجيل القديس مرقس يقال انهم اخذوها بين سنة ١٤٥٢ م و ١٤٧٢ م ووجود هذه النسخة الاصلية باللغة اليونانية مما يكذب ادعاء الغربيين ان مرقس الرسول كتب انجيله برومية باللغة اللاتينية ويثبت انه كتب في مصر باللغة اليونانية ومنها نقل الى القبطية

(٢) معرفة الامور سنة ٨١٣ ص . وبعد موت هرون الرشيد وقع خلاف

بين ابيه وقام كل منهما يطالب بالخلافة فانهز مسلمو الاندلس هذه الفرصة وهجموا على مصر . وكثيرون من الاقباط الذين اخنأهم الذل ساعدوا الاندلسيين على اخذ الاسكندرية ولكن مسلمي الاسكندرية قاوموا الاندلسيين واشتبكت الحرب بين الفريقين مدة اطلق فيها البغاة ايديهم لسلب ونهب الاقباط فهجموا على البيوت والمنازل فنهبوها ثم دمروا الكنائس ومنها كنيسة المخلص واغتصبوا ما فيها من الامتعة وسلبوا الاواني المقدسة وأثمروا بالمقادس . وغارت قبائل

العرب على وادي النطرون فأخربوا أديرتة ونهبوها وفتكوا برهبانها وطردهم فلم يبق منهم الا القليل . وآلت ولاية مصر بعد ذلك لرجل اسمه عبد الله بن طاهر فاباح لجنوده نهب الاديرة واحراق الكنائس والتمثيل بعابديها واستقل المأمون بن الرشيد فيما بعد بالخلافة وولى مصر اخاه المعتصم فوكل عنه عمر بن الوليد فغار وجار فقام الاقباط بثورة تعتبر آخر ثوراتهم قاصدين بها التخلص من النير الاجنبي الثقيل فامتنع اهل الوجه البحري عن دفع الخراج فكان بينهم وبين عساكر الوالي حروب هائلة قتل فيها من الفريقين خلق كثير وقتل عمير فاستخلف مكانه عيسى الجلودي واقتدى اقباط الصعيد باهل الوجه البحري فاصبحت البلاد جميعها في حالة فوضى فقدم اليها المعتصم باربعة آلاف جندي وقتل اهل الحوف . واستمر الاقباط ثائرين واخرجوا العمال لسوء سيرتهم والولاة يوقعون بهم ويقتلون ويأسرون حتى بلغ خبر الثورة للخليفة المأمون فقدم الى مصر وشاهد ظلم الولاة فسخط على عيسى وحل لواءه وأخذ بلباس البياض عقوبة له وقال له « لم يكن هذا الحدث الا من فعلك وفعل عمالك حماك الناس ما لا يطيقون وكنتمم الخبر حتى تفاقم الامر واضطربت البلاد »

ثم حمل المأمون على البشموريين بمساكره فشنت شملهم وفرق جمعهم ودخل بلادهم وقتل رجالهم وسبي نساءهم واطفالهم وسلب اموالهم وهدم كنائسهم وبالجملة لم يبرح تلك الجهة حتى خرب منازلهم وجعل بلادهم العامرة اطلالا بالية ومن ثم ذل القبط ولم يتجرأوا فيما بعد على المقاومة . وكان المسلمون في اثناء قيام المأمون باخضاع الثائرين الاقباط يطوفون في البلاد لينتقموا منهم فقتلوا كثيرين ونهبوهم واخذوا عدداً كبيراً منهم وباعوهم كالحيوانات حتى اضطرت الطبقة السفلى الى اعتناق الدين الاسلامي هروباً من تلك الفوارج التي كانت مامة بهم . فأخذ عدد الاقباط يقل حتى صار اقل من عدد المسلمين . وقبل هذا الزمن كان المسلمون لا يوجدون الا في الجيش أو في المدن الكبرى فامتلات بهم حتى القرى الصغيرة لاعتناق ربع سكان القطر المصري الديانة الاسلامية وهؤلاء صاروا يفلحون اراضي اخوانهم الاقباط الباقين على دينهم ويغتصبونها منهم

وبذا زاد عدوهم وقويت شوكتهم

وحدث في اثناء وجود المأمون بمصر ان مر بقرية طأ التل ولم يشأ ان يمرج عليها لصفرها فخرجت خلفه عجوز قبطية وطلبت منه ان يشرف قريتها فلبى دعوتها وقامت العجوز وولداها بتقديم طعام فاخر له وحنوده حتى استعظم ذلك ولما اصبح الصباح وعزم المأمون على الرحيل حضرت اليه العجوز ومعهما عشر وصايف في يد كل وصيفة طبق عليه كيس من ذهب مطبوع في عام واحد فاندهص المأمون وطلب منها ان تعيد ذهبها فأبت وقالت له لا تكسر قلوبنا ولا تحتقرنا . ولما سألتها من أين لك كل ذلك تناولت قطعة طين وقالت له « ان هذا الذهب من هذا الطين . ولا تنس عدلك يا أمير المؤمنين » فاعجب بها وبسعة حالها وقبل هديتها وأقطعها عدة ضياع ووضع عنها خراج مائتي فدان

ومكث المأمون بمصر مدة شهرين حتى نظم احوالها ومن ثم برحها الي بغداد فبلغه ان الدواوين صارت على خطة لا يرضاها من حيث قبول الزيادات في الاراضي ونزعها من يد من كابد مشقت وتحمل نفقات جسيمة في اصلاحها وتسليمها لمن يدفع الزيادة من غير كلفة ولا تعب فاصدر أمره بعدم قبول هذه الزيادات مادام يكون الناس قائمين بدفع ما عليهم من الأموال

(٣) موقعة المتوكل سنة ٨٤٧ م وابنه المنتصر سنة ٨٦١ م .

وولى الخليفة المتوكل على مصر ابنه المنتصر وكانا كلاهما يفتضيان الاقباط . ومع انهما كانا يشعان بشدة الحاجة اليهم في انجار الاعمال الهندسية والحسابية والطبية وغيرها الا انهما عاملاهم بالقوة والجور قاصدين ان يغيرا هيئة مملكتهم فاجروهم فاضطر الاقباط الى الامل في واجبات دينهم وتراخوا في خدمة الحكومة .

وبلغت الاستهانة بالاقباط الدرجة التي لم يكتفوا فيها بان ينهبوا حجارة الرخام والمرمر الموجودة في كنائسهم ونقلها الى بغداد لتوضع في قصور الخليفة بل قاموا الى مدافنهم في القطر ونبشوا قبورهم التي كانوا يعنون بتشيدتها وأزالوها ولم يبقوا فيها حجراً على حجر

واستمر الخليفة المتوكل يصدر أوامره ضد جميع المسيحيين المقيمين في مملكته خصوصاً في مصر راعياً ازواج خاطرهم وتكدير صفوفهم . ومنطوق تلك الاوامر يفيد على انه قصد بها اذلال شأن المسيحيين وازعاج سميتهم . فالنساء في ذلك الحين كن يلبسن المناطق والاحزمة والحياصات حياً في الحشمة والتواضع فصدر أمر المتوكل بمنعهن عن لبس ما تعودنه والزام الرجال بلبس الطيالس العسلية وشد الزناير وان يخيط كل رجل على ثيابه قطعتين طول الواحدة اربعة ارباع و لون كل واحدة تختلف عن الاخرى و لون الاثنتين يخالف لون الثياب . أما النساء فاذا اردن الخروج يتنقبن ببرقع عسلي اللون وهو ما كان خاصاً بالبغيات . وحظر على النصراني أيضاً ان يركبوا سوى البغال والحمر الحقيمة يبراذع قدرة عليها علامة خاصة ويعملوا كرتين في مؤخرة البرذعة والركابات تكون من خشب واللجام قطعة من حبل

وأمر الاقباط ايضاً بان يجعلوا على ابواب دورهم صور شياطين وقرود من خشب ومنعوا من اشعال النور في احتفالاتهم او اعراسهم وان لا يطبخوا طعاما على مرأى من الناس كما جرت عادة الفقراء في كل بلاد المشرق وان يساووا قبورهم بالارض وحجز عليهم استعمال الصليب المقدس في احد الشمانين وأمر بهدم كنائسهم المحدثه وأخذ العشر عن منازلهم

ثم بعد ذلك بربع سنين أمروا ان يلبسوا دراعيتين على الدرايع والاقبية ونشر الخليفة اوامره هذه في كل الاماكن فذل الاقباط ذلاً عظيماً ولم يعودوا يرفعون رؤوسهم وأسلم منهم عدد لا يحصى والذين لم يسلّموا كان كثيرون منهم لا يقوون على التظاهر بالمسيحية وكانوا اذا اجتمعوا للصلاة لا يستطيعون رفع أصواتهم بل يصلون باصوات ضعيفة حتى لا يسمعها المسلمون فيهجمون عليهم ويدنسون مقادسهم ويتردون من فيها وينهبونها وبخربونها

وقد ضجر الاقباط من كثرة توالي تلك الاوامر الصارمة ولا سيما لبس الرجال المنطقة التي كانت خاصة بالنساء فكان الاساقفة يبذلون جهدهم ليحملوهم على الخضوع لهذه الاوامر حقناً للدماء وافهموهم ان لبس المنطقة حتى في أوقات الصلاة من دلائل الحشمة ولكي لا يجعلوهم يزدرون بركوب الحمر قالوا لهم بان

السيد للسيح نفسه ركب جحشاً وان الخيول للمتكبرين ولا تستعمل الا في الحروب .

وبعد ذلك صدر أمر اكثر قساوة وهو عدم الاستعانة بالاقباط في أعمال الحكومة فرقت منهم كثيرون وانحط بذلك شأن عائلات كثيرة أصابها الفقر المدقع . ولم يقف الأمر عند هذا الحد فصدر أمر يراد به القضاء على المسيحية في مصر وهو ابطال الصلاة على كل ميت واغلاق جميع الكنائس فلا تؤدي فيها خدمة واستئصال جميع الكروم ومنع بيع النبيذ حتى لا يجد الاقباط خيراً لاتعام مر الانخارستيا . ويقول المؤرخون « وقد نفذ هذا القرار الاخير بالدقة حتى صار من المستحيل ايجاد عنب او نبيذ في جميع أنحاء القطر المصري . الا ان الكهنة الذين كانوا لا يهابون الموت لم يكفوا عن تأدية هذا السر المقدس وكانوا يبذلون قصارى جهدهم ليحصلوا على الخمر من خارج القطر المصري . ولكن هذا العنب كان ينشف حين وصوله لمصر ويصير زيبياً فيضعه الكاهن في الماء برهة ثم يعصره قبل ان يختمر لعدم وجود وقت كاف . ومن ذلك الحين صار الاقباط يستعملون على الدوام نبيذاً غير الخمر للمناولة » اهـ

وفي نحو سنة ٨٥٢ عزم الرومانيون على استرداد مصر من يد العرب فسارت جيوشهم واحتلت دمياط وكان عملهم هذا آيلاً الى ضرر مسيحي مصر والاقباط منهم بنوع خاص فضايقتهم الوالي خوفاً من ان يقوموا بمساعدة للرومانيين اخوتهم في الدين . ولكي يزيد من ضيقة الاقباط طلب منهم مبلغاً طائلاً واذ لم يتمكنوا من تأديته نهب القسوس وقتل جميع الكنائس في الفسطاط وبايليون الا واحدة

(٤) فهزلة المستعين سنة ٨٦٢ م . وقد قتل المتوكل بيد ابنة المنتصر

وجلس بعده على كرسي الخلافة ولكن لم تطل مدته اكثر من سنة فملك بعده المستعين الذي اراح الاقباط ورد لهم ماسلب منهم من الكنائس فاصلح المتخرب منها من الاسكندرية شمالاً الى اسوان جنوباً وصارت تمارس فيها الخدمات الكنسية كالعادة

(٥) فهزفة المعتز وغيره سنة ٨٦٦ م. عين لمصر رجلاً تركياً يدعى مزاحم بن

خاقان وكان الاتراك يحتقرون العرب فوجد في ولايته نوع من العدل والتساوي بين الاقباط والمسلمين ، وبعد مزاحم تولى رجل تركي اسمه بيك سنة ٨٦٨ م ولكنه لم يحضر الى مصر بل اوفد مندوبين من قبله احدهما احمد بن المدير لجمع الضرائب والآخر احمد بن طولون لقيادة الجيش. فتجبر اولهما على الاهالي وضاعف الضرائب على المسيحيين والمسلمين سواء ولكن وطأته كانت أشد على المسيحيين فأحصى الرهبان والقسوس وعين عليهم ضريبة بعد ان كانت رفعت عنهم وألزم البطريرك بدفع ما فرض عليهم وهو يحصلها منهم بمعرفته وبلغ مقدار ما فرض عليهم اكثر من ستة آلاف دينار في السنة فاضطر البطريرك ان يفرض عوائد على الاساقفة وأفراد الناس ليتمكن من دفع هذه الغرامات فحصلت لهم مضايقات شديدة فأثر كثير منهم الاسلام تخلصاً من الشدائد. وفي هذه الاثناء هجم العرب على بعض بلاد الصعيد وأضروا بالبلاد والعباد وأخربوا عدة أديرة منها دير انبا شنوده ودير القامون بالفيوم ودير انبا باخوم بناحية طحا

ولما اشتد الضيق بالاقباط عرضوا أمرهم على الخليفة فكتب لوالى مصر يأمره بصرف الكرب عنهم فاستراحوا قليلاً. وجاء بعد المعتز المهتدى سنة ٨٦٩ م فتحصل الاقباط منه بواسطة مقدمهم ابراهيم على تأييد امر المعتز. ولما تولى الخليفة المعتمد بن المتوكل سنة ٨٧٠ م قام في عهده قائد جيش مصر احمد بن طولون ونادى بنفسه ملكاً على مصر ولكي يجذب قلوب المصريين اليه خفف عنهم الضرائب فتساوى الاقباط بالمسلمين. الا ان ابن طولون كان يفضل الاتراك على العرب والاروام على الاقباط

(٦) فهزفة اصغر به طولونه سنة ٨٧٠ م. لما علم ان الاقباط هم ارباب

الفنون والصنائع في مصر طلب اليه مهندساً قبطياً ماهراً فلباه ابن كاتب الفرغاني وطلب منه ان يوصل المياه الى المدينة التي بناها بمصر القديمة. فعمل المهندس القبطى قناة عجيبة أدهشت جميع الذين رأوها من عظم اتقانها ولكن لسوء الحظ بينما كان ابن طولون يتفرج عليها عثر حصانه بكومة تراب أهمل العمال في

نقلها ففضب على المهندس والقاء في السجن . وفيما بعد ظن ابن طولون ان الاقباط
أغنياء فزاد عليهم الضرائب وعول على نهب اموالهم
وفكر بن طولون بعد ذلك في بناء جامع يكون أعظم ما بني من الجوامع
في مصر الى ذلك الحين يقيمه على ٣٠٠ عمود من الرخام فقيل له ان مثل
هذا العدد من الاعمدة لا يمكن الحصول عليه الا اذا هدمت كنائس ومعابد
النصارى . واذ كان يوماً يسمع القرآن علم بعدم جواز استعمال ادوات مسروقة
في بناء الجوامع فشق ثيابه وصاح قائلاً « انه يستحيل علي تشييد الجامع بدون
نهب مواده من الكنائس فاني ما سمعت من يوم وجودي ان جامعاً بني دون
ان تؤخذ أعمدته من كنائس المسيحيين . وحيث انه لا يمكنني الا مخالفة هذا
الامر فسوف أخالفه واستغفر ربي عن هذا الذنب ان لم يكن بناء الجامع كافياً
للغفران » .

ولما سمع ابن كاتب الفرغاني وهو في السجن ما كان من رغبة ابن طولون
وتردده كتب اليه عريضة وهو مسجون يفيد انه قادر على اتمام مشروعه
ومستعد لتنفيذ مرغوبه بغير احتياج لاكثر من عمودين يجعلهما في القبلة .
فلما قرأ العريضة تذكره وأمر باطلاقه من السجن واستحضره امامه وعهد اليه
في بناء الجامع بالكيفية التي رسمها فشيد جامعاً فخماً لم يسلب له ولا عمود
واحد من الكنائس . بل كان يوجد في الكنائس قديماً حوض ماء للاغتسال
في يوم خميس العهد فكان المسلمون ينقلون هذه الاحواض الى المساجد لتكون
لهم « ميضة » للوضوء . فصنع المهندس القبطي البارع ميضة جميلة لجامع ابن
طولون وتم الجامع على ما يرام . وخلع ابن طولون على المهندس خلعة فاخرة وقرر
له راتباً يتقضاه مدة حياته . غير انه فيما بعد أزم هذا المهندس المسكين باعتناق
الدين الاسلامي فأبى فقطعت رأسه

وقال المسعودي في كتابه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ان ابن طولون
سمع عن فيلسوف قبطي طاف بلاداً كثيرة يسكن أعالي بلاد مصر وله من
العمر ١٣٠ سنة فأمر نخمل اليه وسأته عن سبب طول عمره فأجابته الاعتدال في
المأكل والمشرب والملبس . وقيل ان ابن طولون سأل هذا الفيلسوف عن منابع

النيل فأجابه « ان منابع النيل في اعلاه قلوبحيرة الواسعة الاطراف وهي عند
المكان الذي يتساوى فيه الليل والنهار طول الدهر أي تحت الموضع الذي يسميه
المنجمون « الفلك المستقيم » وما ذكرت فمعروف وغير منكور » اه ومعلوم
ان العلماء والمستكشفين لم يهتدوا الى منابع النيل الا في القرن ال ١٨ ولكنها
كانت معروفة لذلك العالم القبطي قبل ذلك بالف وست مائة سنة وما البحيرة
التي اشار اليها سوى بحيرة البرت نيازا التي استكشفتها (سيدك) عند خط
الاستواء { ١ }

والغريب ان ابن طولون بعد ما اضطهد الاقباط وبطيريركم اضطهاداً قاسياً
طلب في مرضه الاخير من اساقفتهم وقسوسهم ان يحملوا الاناجيل ويشتركوا
مع رؤساء الدين الاسلامي في الصلاة لاجله عسى الله يمن عليه بالشفاء ولكنه
مات وملك بعده ابنه خماروية سنة ٨٨٤ م وكان صديقاً للانبا باخوم اسقف
طحا فأحسن للاقباط ورفع عنهم الجزية واعطاهم صكا بذلك حتى لا يعود احد
الى مطالبهم بها . وقيل ان خماروية هذا كان ميالاً للمسيحية والمسيحيين حتى
انه كان يصرف ساعات من النهار واقفاً امام صورة في كنيسة الاروام بالقصر
بهيئة التعميد والخشوع . وكان هو صديقاً حميماً للرهبان في القصر ونظراً لميله
اليهم ومحبته في البقاء معهم ابنتى لنفسه غرفة وسط صوامعهم لكي يتمكن من
مشاهدتهم وقت العبادة والتمتع برؤية الصور المقدسة

وتوالى بعد ذلك اولاد ابن طولون على كرسي السلطنة واحداً بعد آخر الى ان
تولى الحكم في مصر رجل يدعى عيسى بن الجراح فضيق على النصارى ولا سيما
الرهبان والقسوس وفرض عليهم ضرائب باهظة فسار وفد منهم الى الخليفة ببغداد
ورفعوا اليه احتجاجاً فالتفت اليهم الخليفة وكتب الى الوالي بمصر يأمره ان
يعاملهم بمقتضى العهود التي بأيديهم وألزمه ان يترفق خصوصاً بالكهنة والرهبان
الفقراء . وفي آخر أيام الدولة الطولونية كان عدد الاقباط قد تدهور الى النقصان
وصاروا الى اقل من خمسة ملايين فنازلا

القرن العاشر

القسم الاول

تاريخ البطارقة

.....

(١) غبريال ١ (٢) قزمان ٣ (٣) مقار ١ (٤) ثاوفانيوس (٥) ميناس

(٦) ابرآم ١ (٧) فيلوثاوس

.....

(١) غبريال ١ - البطريك السابع والخمسون . لم تتمكن الكنيسة بعد

وفاة البابا ميخائيل من تنصيب خلف له بالنسبة للمصائب الشديدة والكوارث القاسية التي ألمت بها . ولبتت الكنيسة اربع عشرة سنة بدون بطريك قفلت في خلالها كنائس كثيرة وتعطلت حركة بعضها واخذت عوامل النزاع مكانها بين المسيحيين حتى سخر الرب لهم الانبا باخوم اسقف طحا وكانت له مكانة سامية لدى الوالي خماروية فتوسط لديه فسمح باقامة بطريك للكنيسة القبطية واعطاه تصريحاً بذلك واختير باجماع آراء الشعب والكهنة الآب غبريال الراهب من دير أبي مقار واصله من الميه منوفية فرسم في شهر بشنس سنة ٦٢٥ ش و ٩١٠ م في عهد خلافة المقتدر بن المعتضد

وكان هذا البابا تقياً ذا شعور رقيق ولكنه للضرورة سار على خطة البابا ميخائيل في فرض ضريبة على كل اسقف يرسم جديداً لكي يدفع الرسم المطلوب

لكنائس الاسكندرية التي تعهد بها البابا ميخائيل في اوقات ضيقاته كما انه لم يبلغ الضريبة الشخصية التي كانت مضروبة على اعضاء الكنيسة القبطية سداداً لطلبات ابن طولون بل ظل يتقاضاها ليعتد بها من ترميم الكنائس للتهمة ولم يتضايق هذا البابا من الحروب الخارجية فقط بل تألم كثيراً من حروب داخلية انتشرت في داخله اذ حرك فيه عدو الخير الاميال الباطلة ولما رأى ارادته أضعف من ان تطني هذا الاضطراب هرب الى برية شيهات واعترف بحاله لاتقياء الرهبان فقدموا له النصيحة قائلين « اعلم ايها البابا ان اشتعال الشهوة ينشأ من العظمة والفخر كما ان خطية التجديف دليل الاعتداد بالذات فان كنت تروم ان تحتمى من حرب الشهوات فعليك بملازمة فضيلتي الوداعة والتواضع فانهما أنجع دواء وافضل رادع لمقاومة الافكار الرديئة لا سيما اذا اضيف اليهما فضيلتنا النسك وصرامة العيش فانهما يذلان الاميال الباطلة ويقمعان الاهواء البهيمية » فاذعن البطريرك لنصيحة الآباء وواظب على افعال التقشف والزهد ثلاث سنوات وكان يحمل نفسه على ممارسة اقل الاعمال التي تذلها حتى بلغ به الاتضاع بان كان يمر على قلالي الرهبان وينظفها بمكنسة من الاوساخ . فنظر الرب لمسكنته ودرعه بنعمته وخلصه من التجربة ومن ثم استأنف جهاده في خدمة كرسية حتى أتم ١١ سنة في الرئاسة وتنيح في ٢١ امشير سنة ٦٣٦ ش و ٩٢١ م

(٢) قرمانه ٣ - البطريرك الثامن والخمسون . انتخب بطريركاً عقب

وفاة البابا غبريال مباشرة وتمت رسامته في شهر برمهاث في السنة التي توفي فيها سلفه في عهد خلافة المقتدر . وكانت الاضطهادات التي وقعت على الكنيسة والنكبات التي حلت بها قد جعلت العلاقة التي بين الكنيسة القبطية وابنتها الكنيسة الحبشية تفرق قليلا مدة قرن او اكثر . وحال جلوس البابا قزمان على الكرسي أوفد اليه ملك الحبشة رسلا يطلبون منه تعيين مطران قبطي لكنيستهم لداعي شيخوخة الملك وقرب وفاته ورغبته في أن يقيم المطران وصياً على ولديه الصغيرين فرسم لهم البطريرك مطراناً يدعى بطرس وسار معهم الى الحبشة حيث قوبل فيها باحتفال عظيم . وبينما كان الملك يجود بانقاسه الاخيرة استدعى اليه

المطران بطرس وكافه بان يتولى وصاية ولديه وعند بلوغهما سن الرشيد يعين منهما ملكاً من يراه أجدر من الآخر من حيث الكفاءة لا السن . وبعد مدة عهد المطران الى الابن الاصغر وتوجه ملكاً اذ رآه أوفر عقلاً وأسد رأياً ومع ان الابن الاكبر استاء من ذلك الا انه لم يبد ادنى معارضة

وحدث بعدئذ ان راهبين من مصر احدهما يدعى بقطر والآخر مينا من الذين تعودوا التجول للتسول سافرا الى الحبشة وطلبوا من الانبا بطرس دراهم طابى ان يعطيها وازدرى بهما . فخفدا عليه وأرادا أن يكيدا له فزورا ختاباهم البابا قزمان البطريرك وكتبوا رسالة الى كبار مملكة الحبشة مؤداهما ان المدعو بطرس مطران غير شرعى لم يعين من قبله وانه غير راض عن تعيين الابن الاصغر ملكاً لان الاكبر أولى منه بالملك وأحق « ولذلك يطلب ان ينقوا كلام من المطران والملك الجديد ويعتبروا مينا حامل هذه الرسالة وقيموا الابن الاكبر ملكاً

ثم ذهب مينا بهذا الخطاب وسلمه للان الاكبر فاطاع ارباب دولة الحبشة أمر البطريرك واقروا على تقى المطران والملك واجتمع حول الابن الاكبر بعض المشاغبين ودارت بينه وبين اخيه حرب اهلية انتهت بأمر الملك وسجنه وتقى المطران الى مكان بعيد ثم قام الابن الاكبر ملكاً ومينا مطراناً وبقطر وكيلا له غير انه بعد وقت وجيز حدث خلاف بين مينا وبقطر فانتهز هذا مرة فرصة كان فيها المطران المزور غائباً وطرد خدمة المطرانية ونهب كل ما فيها من النقود والاشياء الثمينة وحملها واتى بها الى مصر واعتنق الديانة الاسلامية . وانتهى الخبر الى البطريرك فارسل بسرعة رسلاً بخطاب الى الحبشة يحرم فيه مينا ويشجب اعماله ويأمر باعادة المطران الحقيقى . فقام ملك الحبشة المغتصب على مينا وقتله شرقتة طمعاً منه فى استجلاب رضاء البطريرك وارسل يستدعى المطران بطرس فوجد انه قد مات لشدة ما لحقه من انواع العذاب فى منفاه . وكان له تلميذ فأخذه الملك وأقامه عنده مطراناً دون ان يسمح له بالذهاب لينال الرسامة من البطريرك خوفاً من ان يوصيه بنزع الملك عنه واعطائه لآخيه . ولما علم البطريرك بما جرى سخط على الحبشة ولم يشأ ان يرسم لها مطراناً ونسج على منواله اربعة بطاركة لم يريدوا ان

رسموا مطراناً للحبشة واستمرت مدة سبعين سنة لم يرسل اليها من الكنيسة
القبطية مطران واحد

وبعد ان مضى البابا قزمان ١٢ سنة و ١٢ يوماً على كرسي البطريركية تنيح
في ٣ برمات سنة ٦٤٩ ش و ٩٣٣ م

(٣) مقار ١ - البطريرك التاسع والخمسون . اختير للبطريركية بعد قزمان
الآب مكار يوس من قرية شبرا قبالة وكان وحيداً لأمه العجوز ولكنه تهرب
من صغره في دير أبي مقار ولما صار بطريركا وتمت رسامته في برمودة سنة
٦٤٩ ش و ٩٣٣ م في عهد خلافة القاهر بن المعتضد انطلق الى دير ابي مقار
كعادة اسلافه وعند عودته منه تلقى دعوة من اهل بلده يرجونه فيها المجيء
اليهم ولم يكن له في بلده قريب سوى والدته العجوز وكان يحبها محبة زائدة
لأنها أحسنت تهذيبه وكانت لذلك الحين على قيد الحياة فعزم على زيارتها ليسر
فؤادها بوظيفته السامية

وسار الى البلدة مع حاشيته ولما اقترب منها أسرع واحد الى والدته فوجدها
قبشرها بقدم ولدها بموكب عظيم . فلم تحفل بالبشرى ولم تلتفت لكلامه بل
لبثت تشتغل والدموع تجري على خديها فاندesh ذلك الشخص من أمرها ورجع
من عندها بنجمل عظيم . أما البطريرك فاستقر في البلدة ريثما ينتهي الاحتفال
بقدمه وبعد ذلك انطلق بمن معه نحو منزل أمه فلما وصل اليها رآها وهي
تغزل لم تتحرك من مكانها فقط رفعت نظرها اليه مرة واحدة وطادت الى عملها
وقد ارسلت من عينيها دمعتين حارتي دون ان تفوه بكلمة

فتقدم اليها بالسلام فردت عليه واستمرت في شغلها . فظن انها لم تعرفه
وتجهل مركزه السامي الذي وصل اليه فقال لها « اعلمي يا أماء اني انا ولدك مقار
الذي ارتقى الى اشرف رتبة في الكنيسة وقد صرت بطريركا فابتهجي ومري
بما احرزته ابنتك من المقام الرفيع » فرفعت عينيها اليه والدموع تتساقط منها
بنفازة وقالت له وهي تجهش في البكاء « كنت آتمنى ان ارى نمشك محمولا على
الاعناق وخلصك النسوة يبكين حزناً من ان اراك متقلداً هذه الوظيفة الخطيرة

يحيط بك الاساقفة والقساوسة ذلك لانك لما كنت علمانياً كتبت مسئولاً عن خطاياك الشخصية فقط ولكنك لما صرت بطريركاً فسوف تسأل عن خطايا كل الشعب وزلاتهم فتيقن انك في خطر عظيم هيئات ان تنجو منه بسهولة لانه من المعلوم ان المجد العالمي يحجب عن الانسان نور الحق . فمن أين يا ولدي تقدر ان تكون بصيراً وقد وضع مجد الرئاسة برقعاً على عينيك . فما قد انذرتك بما انت فيه من الخطر فكن محترصاً واذكر والدتك التي تعبت في تربيته « قالت هذا واستأنفت الغزل كما كانت فلما سمع البطريرك خرج من عندها وجلا كثيراً واستمرت هذه الكلمات تطن في أذنيه طول حياته وكانت سبباً في استقامته وحرصه على اتمام واجباته بكل امانة مدة العشرين سنة التي قضاها بطريركاً حتى تنيح في ٢٤ بؤونه سنة ٦٦٩ ش و٩٥٣ م

(٤) ثاوفانيوس - البطريرك الستون . وبعد نياحة البيايا مقار انتخب

خلفاً له ثاوفانيوس من الاسكندرية في شهر مسرى سنة ٦٦٩ ش و٩٥٣ م في عهد انوجور بن الاخشيد . وكان هرماً وفي اوائل ايام بطريركيته شمعت الكنيسة بعسر مالي عظيم ونظمت مخازن البطريركية من الاموال بسبب الضريبة التي كانت معينة لسكتائس الاسكندرية كما ذكر آنفاً فضلاً عن النهب المتواصل الذي كان واقعاً على الاقباط من الحكام والولاة . وقد رأى البطريرك ان للشعب ضجر من هذه الغرامات الباهظة فطلب من كنيسة الاسكندرية التنازل عن هذه الغرامة أو تخفيفها قليلاً . ولكن كنيسة الاسكندرية لم تتنازل عن هذه الغرامة وأصررت على المطالبة بحقوقها

وكان البطريرك ثاوفانيوس حاد الطبع مريع الغضب كثير الحق غير قادر على كبح جماح غيظه وقيل ان ذلك كان بسبب روح نجس تسلط عليه ونال بعضهم انه نشأ عن مرض عصبي كالصرع أو خلافة كان يفاجئه فيغير اطواره فلما رأى تصميم اقباط الاسكندرية على المطالبة بالغرامة أخذ يشتمهم ويوجهم بما خرج به عن دائرة التعقل حتى استاء منه السكينة واظهروا غيظهم منه بكلمات قاسية وجهروا اليه فازداد عيجهان وصياده فخذله بعضهم الى مركب الى جايليون

لظنهم انه يهدأ اذا استنشق نسيم النيل ولكنه اذ لم يكف عن هياجه تقدم اليه
أحد الاساقفة بالصلاة لتوهمه بان فيه روحاً نجساً فتشجعت اعصابه ووثب عليه
وهنا اختلف في سبب موته فقيل انه لما يقو الاساقفة على تهديته ظلوا به
الى ان اخرجوه في البحر وجعلوا على وجهه مخذة ورقدوا عليها الى ان
مات ورموه في البحر ويقول واضح سير البطاركة انه مات مسموماً وقتل
مختنقاً والله اعلم وكانت وفاته في ٤ برمات سنة ٦٧٤ ش و ٩٥٦ م ومدته رئاسته
ثلاث سنوات

وفي سنة ٩٤١ م كان بطريركا على كنيسة الاروام بمصر او طوخوس
الطبيب وكان عالماً ضليماً واضطهدت كنيسته في عهده من الولاة المسلمين اضطهاداً
عنيفاً جعلها تسقط في وهدة الانحطاط والتأخر وظلت خمسمائة سنة بعد هذا
التاريخ وهي مطموسة الاثر عارية من كل خبر لا يعرف عنها شيء سوى اسمها
البطاركة الذين قاموا فيها قياماً اسمياً بدون عمل يذكر

(٥) مينا ٢ - البطريرك الحادي والستون . وبعد وفاة البابا ثاو فانپوس

انتخب للكرسي البطريركي راهباً قساً ولكنه رفض قبول هذا المركز اظهر
وذكر اسم الآب مينا احد رهبان دير ابي مقار واصله من صندلا غربية وقبل
ان يصير هذا الآب راهباً كان امه قد ارغموه على الزواج فتزوج بامرأة هنيئة
واتفقا معاً على عيشة البتولية . وحدث انه لما رسم بطريركا قاوم بعضهم رسلته
بدهوى انه كان متزوجاً والقانون يمنع المتزوجين من ان يكونوا بطاركة وتمجزبوا
مع بعض الاساقفة واتفقوا على خلعهم من وظيفته فمقدوا مجماً واستحضروا
أمامهم زوجته ليقيموها دليلاً على عدم شرعية بطريركيته فوقفت الزوجة في
الجمع واعترفت بانه لم يعرفها معرفة زواج البتة فمدلوا عن رأيهم واعتبروا
البابا مينا مستحقاً لرتبته وكانت رسامته في شهر برموده سنة ٦٧٤ ش و ٩٥٦ م
في عهد انوجور

وقد جلس هذا البابا على السدة البطريركية ١١ سنة وقعت فيها على طائفته
بنوع خلص والأمة المصرية بنوع عام كل انواع الضيق والسكراب لئلا في

اثنائها الى سيدة قبطية غنية اسمها دينة من محلة دانيال (غربية) وبقي في ضيافتها حتى انتهت حياته في ٣ كيهك سنة ٦٨٧ ش و ٩٧٥ م

(٦) ابرآم - البطريك الثاني والستون . وبعد نياحة البابا مينا انعقد

بجمع الاساقفة في كنيسة ابي سرجه بمصر القديمة لانتخاب بطريك جديد . وبينما هم يتباحثون دون أن يقر رأيهم على واحد دخل عليهم رجل كان مشهوراً بالآداب ومكارم الاخلاق يدعى ابرآم السرياني فلما وقع نظرهم عليه أجمعت آراؤهم على تزكيته لهذا المنصب ووضعوا عليه الايدي في شهر طوبه سنة ٦٨٧ ش و ٩٧٥ م في عهد خلافة المعز لدين الله

وكان هذا البابا في مبدأ أمره تاجراً كبيراً في مصر معروف بالدي المعز وكانت بينها صداقة قوية فلما عين بطريكا وزع جميع مقتنياته في سبل الخير وأفرغ جهده للقيام بواجبات وظيفته الخطيرة . وكان في عهده قزمان بن مينا الوزير القبطي الذي لما عين والياً على فلسطين ترك لدى البابا ابرآم مبلغ مائة الف دينار بصفة أمانة وأوصاه ان يحتفظ بها حتى يعود وان لم يرجع وأدركته المنية يفرقها على المشروعات الخيرية . وحدث انه لما وقعت فلسطين والشام في يد (هفتكين) صرف البابا ابرآم تلك الاموال على من يستحقها ولكن فيما بعد رجع الوزير الى مصر بعد كسرة هفتكين وطلب من البطريك الامانة فاخبره بما فعل فسر منه سروراً عظيماً

وكان المعز الخليفة قد عهد ليعقوب بن يوسف جباية الخراج وكان هذا الرجل يهودي الاصل ولكنه أسلم بغية الحصول على المراتب العالية وكان يعقت المسيحيين ويشيع عليهم المذمات حتى طلب من الخليفة ان يأتي بامام النصراني لكي يحجه ويبرهن له بطلان ديانتة . فاستدعى الخليفة اليه البابا ابرآم لهذا الغرض فأخذ البطريك معه الانبا ساويرس اسقف الاشمونين العالم الكبير صاحب كتاب « تاريخ البطارقة » المشهور ودار بينه وبين ذلك اليهودي جدال فالحقه هذا الآب يراهين قوية مربلته بالحلل أمام الخليفة

فاغتاظ ذلك اليهودي من المسيحيين اكثر مما كان وازدادت بغضته لهم

وأخذ ينسج لهم برد مكيدة أخرى حتى وقف على الآية الواردة بالإنجيل المقدس
القائلة « لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من
هنا الى هناك فينتقل » (مت ١٧ : ٢٠) فامرع واطلع المعز على هذه الآية وقال له
اذا كان دين النصراني صحيحاً فهو ذا جبل المقطم ينقلونه لنا فمتهربهم والافهم
أهل للطرد من هذه البلاد لتخلوا مساكنهم للمسلمين

فأنخدع المعز بكلامه ورأى اذا كان كلام المسيح حقاً فان جبل المقطم الذي
يكتنف القاهرة اذا ابتعد عنها يكون مركز المدينة أعظم واذا لم يكن حقاً فهناك
فرصة مناسبة لسلب المسيحيين . ولذلك استدعى البابا أبرام وخيره بين أمور
ثلاثة اما نقل الجبل أو اعتناق الاسلام أو ترك البلاد . فوقع البابا في حيرة
ولكنه التمس منه ثلاثة ايام ثم رجع الى البطريركية وأصدر منشوراً عاماً يأمر
فيه جميع مسيحي مصر بالصوم ثلاثة ايام الى الغروب وباقامة الصلوات الحارة
لسلامة الكنيسة

أما هو فانطلق الى كنيسة السيدة العذراء المعروفة بالمعلقة بمصر القديمة
وانعكف فيها على الصوم والصلاة حتى شاهد في نومه السيدة العذراء تشير عليه
بان يخرج من باب الدرب الحديد الذي يقود للسوق الكبير فيجد هناك رجلاً
يحمل جرة ماء وهذا الرجل يعلمه ما ينبغي عمله . فلما استيقظ أطاع الرؤيا فوجد
الرجل وأتى به الى الكنيسة وافضى اليه بالامر فاعتذر الرجل بضعفه ولكن
اذ رأى البطريرك يلح عليه هدأ روعه وارشده الى الخطة التي يجب السير عليها
وفي صباح اليوم الثالث اخبر البطريرك الخليفة بانه عازم على نقل الجبل فسار
الوالي الى خارج المدينة هو وجميع العظماء ولحقه البطريرك واساقفته وكبار
العلمانيين والرجل الساقى بملابسه الرثة . وبعد تقديم الاسرار الربية سجد البطريرك
يتبعه الشعب ثم وقفوا وهم يصرخون قائلين « كير ياليصون » فحدثت زلزلة عظيمة
ولاح الجبل للناظرين كأنه يتزحزح من مكانه وبعد ذلك ارتفع حتى ظهرت
الشمس من تحته ثم عاد الى مكانه . واخذ البطريرك في السجود والتهافت
« كير ياليصون » والجبل يسقط ويقوم معهم في سجودهم وقيامهم والشمس تظهر
في اسفله حتى اكملوا ثلاث مرات . ففزع الخليفة ومن معه وعادوا الى البطريرك

على ظهر الجواد والتمس منه ان يكف عن عمله لثلاث تنقلب المدينة

وبعد هذه الحادثة غدا البابا ابرام محبوباً عند الخليفة وقيل ان المعز اقترح على البطريك ان يطلب منه ما يشاء فطلب اليه البطريك ان يعيد له موضع كنيسة القديس مركوريوس التي تخربت واستولى عليها المسلمون مدة الاضطهاد السابق وان يسمح له بترميم كنيسة المعلقة بقصر الشمع وكان قد انهدم من سورها جزء عظيم . فأمر الخليفة ان تعطى له كنيسة ابي سيفين في الحال . وكتب ابو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود صاحب كتاب « الكنائس والاديرة » عن ذلك ما يأتي « ولما شرع البطريك في اعادة بناء الكنيسة هاج عليه رعايا المسلمين واعترضوه بدعوى انها تخربت من زمان طويل ولم يبق منها سوى بعض جدران آيلة للسقوط قد جعلها المسلمون مخازن لقصب السكر ولكنهم كفوا عن المقاومة عند ما علموا ان الذي امر ببنائها هو الخليفة نفسه . وامر ايضاً بصرف كل تمقات البناء من خزينة الحكومة فأخذ البطريك الدراهم وردها الى خزينة الحكومة والتمس من الخليفة ان يقبلها منه ثانية ولا يجبره على قبولها قائلاً « ان الذي نبى له كنيسته قادر على ان يساعدنا حتى نتممها وهو غير محتاج الى مال العالم » فرضي الخليفة وبعد ذلك بمدة بدأ البطريك في العمل فعاد الاشرار الى المقاومة واوقفوا البناء ولما وصل الخبر الى الخليفة اتقذ اليهم قوة عسكرية اخذت هياجهم فواصل البطريك العمل بكل طمأنينة وقيل ان الخليفة نفسه وقف على جدار الاساس وامر البطريك ان يضع الحجر الاول ولما شرع في البناء طرح شيوخ مسلم نفسه في الاساس قائلاً « اما ان يمنع البناء او اموت في سبيل الدين » فنضب الخليفة وهم برجه لولا ان البطريك توسل اليه ان يسامحه ففعل وهو يشعجب من هذه الاخلاق السامية . ثم تقدم المسيحيون الى البابا بمساعدة مالية قبلها شاكراً وبعونة الرب تم له ما كان يرجوه من اتمام الكنيسة وتشيدتها اه ومن ماثر البابا ابرام انه ادخل في الكنيسة القبطية فرض صوم نينوى الذي يصومه السريان وذلك انه لما حل اول الصوم الكبير صامت الكنيسة القبطية اسبوع هرقل فخاراهم البطريك اذ لم يره لائقاً ان يكون فاطراً واولاده صائمين ولما ابطأ صوم نينوى صامه طاقتدى به بنوه ومن ثم حفظت

الكنيسة القبطية على هذه العادة ليومنا هذا . ثم الحق بصوم الميلاد ثلاثة ايام بعد ان كان يصام اربعين يوماً فقط وهذه الثلاثة الايام هي التي صامها المسيحيون في عهد هذا البطريرك ليرفع عنهم الويل الذي كان مزماً ان يحل بهم بسبب ثقل جبل للمقطم

ومن فضائل هذا البابا ايضاً انه اجتهد في مقاومة كل العوائد الذميمة التي كانت متفشية بين شعبه بسبب اختلاطهم بالغرباء . فالغنى أمر بيع الرتب الكهنوتية والمناصب الكنسية التي اضطر للسير عليها بعض البطارقة لتتخلص من الغرامات الفادحة التي فرضها عليهم الولاة وجعل رسامة القسوس وتقليد الوظائف الدينية من اعماله الخصوصية ويحصل على ذلك شيئاً معلوماً من الشعب . ومن اعظم اصلاحاته التي قام بها بكل غيرة محاربة عادة التسري التي انتشرت بين الاقباط انتشاراً هائلاً شوش حالتهم الداخلية ولا سيما الموظفين منهم في مصالح الحكومة وذلك بينما كانوا متمتعين بالراحة والرفاهية في ظل الدولة الفاطمية متقلدين المناصب الرفيعة ولهم الكلمة النافذة في دواوين الحكومة ناسين الاتعاب والمصائب التي كانت تتوالى عليهم فكثرت تهاقهم على السراري فكان الواحد منهم يجلب الى بيته عدداً منهم بدون عقد شرعي مما ينافي روح الدين المسيحي . ولم يجحدوا من يعارضهم او ينكرها عليهم لاهتمام البطارقة بجمع الغرامات المفروبة عليهم فقام البابا ابرآم وانكر عليهم هذه العادة وطالب منهم ان يقلعوا عنها وانذ كانت قد تأصلت فيهم واعتادوا عليها وانفوها ومضى على اتباعهم اياها زمن طويل لم يسهل عليهم التنازل عنها مرة واحدة فلم يلق منهم سوى الالباء والمقاومة وعدم الرضوخ وكان اشد المقاومين له رجل مشهور بالغنى وتقوذاً الكلمة يدعى ابا السرور وهو من الحاصلين على المناصب العالية في الحكومة وكانت لديه عدة سراري وحظيات فاعترض عليه البطريرك في ذلك وعنفه كثيراً ولما لم يرتدع اصدر عليه حرماناً من الكنيسة فما كان من هذا الغشوم الا ان سعى في موته ففس له السم وراح البطريرك شهيد الواجب ولم يتم على الكرسي سوى ثلاث سنين وستة ايام ورقد في الرب في ٦ كيهك سنة ٦٩١ ش و ٩٧٩ م

(٧) فيلوثاؤسى . وخلف البابا ابرآم في شهر طوبه من تلك السنة في

عهد عبد العزيز بن المعز الراهب فيلوثاؤس من دير أبي سيفين وقيل انه من دير
أبي مقار . وهذا البطريك مع انه لم يعارض الامة في حادة التسري التي كان
يستقبلها سلفه الا انه كان مبغوضاً . وقد ذكر التاريخ عنه أموراً مذمومة فلم
يكن يهتم بغير صالح شخصه وارضى العنان للملاذ الجسدية ومحبة الأكل
والشرب وتدخير المال ولذلك لم يكن أحد يرتقى الى درجة الاسقفية في عهده الا
بعد دفع جعل عظيم

وتلقى هذا البطريك في ايامه رسالة من بلاد الحبشة بمد الانقطاع الطويل
الذي كان بين الكنيستين فيه يطلب ملكها بواسطة جرجس ملك الزوبة من
البطريك ان يهتم بانقاذ الحبشة من التعاسة الدينية التي وصلت اليها بسبب عدم
رسامة مطارنة لها واعترف في خطابه ان ما حل ببلادها هو قصاص عادل لما
اقر فوه ضد الكنيسة القبطية فأسرع البطريك ورسم الراهب دانيال من دير
ابي سيفين اسقفاً للحبشة وسار اليها فاستقبله ملكها الشاب الشرعى الذي كانت قد
اغتصبت الملك منه امرأة فأجلسه المطران على عرش اجداده وحرّم للمرأة المقتصبة
فأنزلها الشعب عن الكرمى وحكموا باعدامها

وطالت مدة هذا البطريك فاستمر ٢٤ سنة على كرسي البطريكية لم يقع
فيها اي ضيم على الكنيسة وبينما كان قائماً مرة بخدمة القداس سقط فجأة فاقد
الرشد فحل محله أحد القسوس وتمم القداس وفي النهاية حملوه للبطريكية حيث
اسلم الروح في ١٢ هاتور سنة ٧١٦ ش و ١٠٠٤ م



القسم الثاني

مشاهير الكنييسة

.....

(١) ابو المكارم (٢) الانبا ساويرس اسقف الاشموين (٣) قزمان

ابن مينا

○○○○○○

(١) ابو المطرسم . هو سعد الله بن جرجس بن مسعود كان من افاضل القبط ومؤرخيهم وضع سنة ٩٢٥ م كتاباً في تاريخ الدير والكنائس القبطية عثر على جزء منه راهب كاثوليكي يدعى فانسليب أتى مصر في القرن السابع عشر واشترى بثلاثة قروش وطبع بعد موته وهو يباع اليوم بمائة وخمسين قرشاً وينسب الى ابي صالح الارمني خطأ لان اسمه وجد مكتوباً عليه ويظهر انه ناسخ الكتاب او مقتنيه ووجد المرحوم الايفومانوس فيلوثاوس ابرهيم رئيس الكنييسة المرقسية بالقاهرة بقية هذا الكتاب وادرك ذلك البعثة جرجس افندي فيلوثاوس عوض ولكن ليس بين كتاب الاقباط من له همة كافية ليقوم بطبعه ونشره كاملاً .

(٢) الانبا ساويرس اسقف اشموين . الاشموين كانت مدينة زاهرة

ومشهوره عند القبط القدماء . وكان يعبد فيها انوبيس وهرمس وغيرها . وظلت شهرتها ممتدة الى العصر المسيحي وكانت بها الى زمن قريب تماثيل قديمة وكنائس كثيرة لانها كانت مركزاً لاسقفية ومن اشهر اساقفتها الانبا ساويرس (٦٣٢)

المذكور . كان طالماً فاضلاً وهو اول من اعتنى بجمع تاريخ البطارقة السالفين جمعه من السجلات المكتوبة باللغتين القبطية واليونانية المحفوظة بدير أبي مقار ودير نهبيا ونقله الى اللغة العربية مظهراً أسفه لانصراف بعض موظفي القبط في ذلك العهد عن لغتهم القبطية الى اللغة العربية وأتمه وهو في سن الثمانين وقد اضاف الانبا ميخائيل اسقف تانيس { ١ } على هذا الكتاب تاريخ البطارقة لغاية سنة ١٢٤٣ م .

وللانبا ساويرس جملة مؤلفات تدل على تمكنه من العلم والمعرفة وضعها باللغة العربية التي ترجم اليها ايضاً كثيراً من المؤلفات القبطية واليونانية لفائدة ابناء جلدته الاقباط ولا سيما سكان القسطنطينية والقاهرة الذين كانوا قد هجروا بالكلية لغتهم القبطية بسبب اشتغالهم بالدواوين كما ذكر . وقد عد صاحب كتاب « الجريدة النفيسة » اثني عشر مؤلفاً لهذا الحبر الفاضل جميعها باللغة العربية وهي (١) التوحيد (٢) الاتحاد الباهر رد به على اليهود (٣) الشرح والتفصيل رد به على النساطرة (٤) مبادئ الدين كتبه للوزير قزمان بن مينا (٥) نظم الجوهر (٦) المجلس (٧) طب الغم وشفاء الحزن (٨) المجامع (٩) تفسير دستور الايمان (١٠) كتاب فدد به مزاعم سعيد بن بطريق بطريق الملكيين (١١) الايضاح . ويظهر ان الباباويين نقلوه ببعض مدعياتهم (١٢) ترتيب الكهنوت

هذا غير ما لم يقف له على خبر . وقد ترجم « تاريخ البطارقة » الذي اعتمدنا عليه كثيراً في كتابنا هذا الى كثير من اللغات الاوروبية وكذا « تاريخ المجامع » وغيرها ومما يؤسف له ان نرى انفسنا اقل غيرة على آثار آبائنا من الغير . فالغربيون يعنون بها ويبحثون عنها بحثاً دقيقاً ويحفظونها في مكاتبهم ويترجمون النافع منها الى لغاتهم واما نحن فان لم تصلنا منهم فلا نقف لها على أثر

(٣) قزمان بن مينا . كان من كبار رجال حكومة المعز لدين الله . وكان

(١) تانيس أو تانيس هي مدينة صان بمديرية الشرقية بقرب بحيرة المنزلة في الشمال الغربي للصالحية . وذكرت هذه المدينة في التوراة باسم صوعن { عدد ١٣ : ٢٢ } ويقال ان موسى النبي صنع عجائبه فيها

في الوزارة وقتئذ يعقوب بن كلس اليهودي المار ذكره نخشى ان يأول ميل الخليفة الى قزمان الى حلولة في منصبه واتفق ان خلا منصب ولاية فلسطين التي كانت تابعة لمصر وفكر الخليفة في رجل امين يوليه هذا المنصب فأشار عليه يعقوب بان يختار له قزمان بالنسبة لطهارة ذمته وحسن تدبيره وهكذا تمكن من ان يبعد منافسه عن مصر . وحدث بعد ذلك ان رجلا من بغداد يدعى هفتكين هجم على الشام وهزم الجيوش المصرية التي كان يقودها جوهر واستولى على قسم عظيم منها وأحس قزمان بعظم الخطر فجمع كل ما كان للولاية من المال والنفائس وخبأه في دير وبعد ان تم الصلح بين جوهر وهفتكين أخذ يعقوب يوغر صدر الخليفة على قزمان ويصفه بالخيانة واغتيال اموال الولاية ليحمل الخليفة على قتله ولم يرض الخليفة بالصلح الذي عقده جوهر فقام بنفسه الى الشام وحارب هفتكين وفاز به وعندئذ تقدم اليه ابو اليمن ومعه اموال الولاية وسلمه اياها فشكر له حسن امانته واقره في منصبه

.....

القسم الثالث

المملكة والكنية:

.....

(١) الدولة الاخشيدية (٢) حكم الفاطميين . الخليفة المعز وقائده

جوهر وابنه العزيز (٣) تنصر الواضح بن دجا

○○○○○○

(١) الرولة الاخشيديية . وبعد انقراض الدولة الطولونية قامت هذه

الدولة مكانها فحكمت مصر باسم الدولة العباسية مدة اربع وثلاثين سنة من سنة ٩٣٤ — ٩٦٨ م ومحمد الاخشيدي رأس هذه الدولة لما رأى احتياجه للمال لينفقه في الحروب زاد الضرائب المطلوبة من الاقباط . ونشأ عن ارتباك الحكم في البلاد مجاعة فادحة يقول المؤرخون نشأ عنها زوال ابروشيات كثيرة برمتها واضمحلالها لان اقباطها ماتوا من الجوع ولم يبق منهم واحد

(٢) حكم الفاطميين - الخليفة المعز وقائده جوهر وابنه العزيز سنة ٩٦٩ م .

وبعد انقراض الدولة الاخشيديية آل الحكم في مصر الى الدولة الفاطمية واول خلفائها المعز لدين الله . وفيما مضى أغار ملوك مصر مرات متوالية على الممالك المسيحية في السودان وحاولوا اكرام اهلها على اعتناق الدين الاسلامي ولكنهم لم يفلحوا حتى ان جوهر قائد جيش المعز ارسل وفداً الى جرجس ملك النوبة يدعو الى الاسلام فرد عليه بكتاب يقول فيه « بعد السلام والتحيات . ندعوكم الى اعتناق الدين المسيحي » وبعد ذلك انتهت المخابرات وعاشت ممالك السودان المسيحية بأمن باقى هذا الجيل

وفي الوقت الذى احتل فيه الفاطميون مصر كان المسيحيون في مصر يسكنون مدينة بايبيون (مصر القديمة) التى كانت معتبرة أقدم مدن القطر المصري ورغمما حل بالاقباط من المصائب كان عددهم حينئذ كما ذكر خمسة ملايين وكانوا هم أهل البلاد والاساطين فيها والدين بيدهم مقاليد الامور والاعمال على اختلاف انواعها

وعزم جوهر القائد على بناء جامع يفوق كل الجوامع التى بنيت في المدينة الجديدة التى بناها وسماها باسمه « القاهرة » فاخذ أغلب أعمدة هذا المسجد من الكنائس المسيحية . وحدث ان اسلام مدينة تانيس قد خرجوا على المعز واستقلوا بانفسهم وساروا يعيشون في الارض فساداً فنهبوا اغنياء النصارى وخطفوا البنات والنساء منهم وفضحوهن ولبثوا يرتكبون هذه الفظائع مدة طويلة حتى اضطر

قوم من النصراني يعرفون باولاد قشلام ان يبعثوا برسائل سرية الى المعز
يلتمسون منه ان يسعى في انقاذهم فلبى دعواهم وارسل جنوداً أحاطوا بالعصاة
وحاصروهم مدة ثلاثة أشهر والعصاة يجرّون الفتك بالمسيحيين فاضطر هؤلاء الى
عقد صلح معهم ودخل قائد جيش المعز ودعى العصاة اليه وأولم لهم وليمة عظيمة
ولما طاب قلبهم بالخطر هجم عليهم وذبّحهم عن آخرهم

(٣) تنصر الواضح بهر رجا . وقد روى المؤرخون انه في ايام الخليفة

المعز حدث ان احد رجاله اعتنق الدين المسيحي ومن أمره انه كان يدعى الواضح بن
رجا تعلم القرآن صغيراً ونشأ كارهاً للدين المسيحي كراهة زائدة . وفي ذات يوم
كان مجتازاً رأى قوماً ملتفين حول شاب مسلم تنصر فسأل عن الخبر ف قيل له انه قد
حكم عليه بالموت حرقاً وهو يساق الى المكان الذي أعدت فيه النار وهم يحاولون
اقناعه بالرجوع الى دينه فتأسف الواضح عليه وأنشأ ينصحه ليجذبه الى
الاعتراف بالدين الاسلامي ويقول له « كيف تعتنق دين الثلاثة الآلهة » فاجابه
المسيحي « انا أو من باله واحد وسيأتي عليك وقت فيه تؤمن مثلي وتتألم لاجل
هذا الدين نظيري »

فلما سمع الواضح قوله اغتاظ منه ورفضه برجليه وقال له « أيها الضال المختل
هل أصير نصرانياً مثلك وكافراً نظيرك حاشاً ثم حاشاً » ثم تناوله الواقفون
بانواع الاهانات والرجل ساكن هادئ وبعد ذلك ساروا به الى موضع الاعدام
والواضح معهم وشاهد المسيحي وهو يقدم عنقه للسيف بهدوء ويحتمل العذاب
بصبر وبعد قطع رأسه القى جسده للنار ولما انطفأت جاء قوم من المسيحيين
فوجدوا جسده سالماً

فرجع الواضح من ساحة الاعدام وقد هاله ما رأى من ثبات المسيحي وأدهشه
اقدامه على الموت بمثل تلك الشجاعة وقضى ليلته وهذه الافكار تتردد على خاطره
وشعر بأسف في قلبه على الاهانة التي أوقعها بذلك الشاب الوديع وخشى ان يقوده
هذا الفكر الى اتمام نبوءة ذلك الشاب عنه فاراد التسلي بالذهاب الى الحج وفيما
هو في الطريق حلم ان أحد شيوخ الرهبان دعا اليه ثلاث مرات وقال له « ان

كنت ترغب في خلاص نفسك فقم واتبعني « فقص حامي على رفاقه فافهموه انه
أضغاث أحلام

وبينما هو راجع من الحج ضل عن الطريق قبل وصوله القاهرة وتاه في الصحراء
عن القافلة وهجمت عليه جيوش الظلام وهو يرتعد خروصاً عند ما سمع زئير
الوحوش الضارية القريبة منه فاستغاث قائلاً « اذا نجوت من هذا الخطر أعتبر
نجاتي برهاناً على صدق الدين المسيحي وأرغم على اعتناقه » ولم ينته من قوله حتى
أقبل عليه فارس وطلب اليه ان يتبعه فسار خلفه حتى أوصله الى دير القديس
مركوريوس (ابو سيفين) بمصر القديمة . ورفع الواضح عينه فاذا به في كنيسة
مسيحية فلم يعد يرتاب في ان ماجرى معه كان بتدبير العناية الالهية لخلاصه
بايمانه بالمسيح

ولما أصبح الصباح وراه خادم الكنيسة جزع منه وخاله لصاً ولكنه اذ
رأى ائاث الكنيسة باقياً حسيه مجنوناً ولكن الواضح طمأنه وسأله عن المكان
الذي هو فيه فاخبره انه في كنيسة القديس مركوريوس وقص عليه خبر جهاد
هذا القديس وأراه صورته في الايقونه فاندش الواضح عند ما الفهاها تشبه تمام
الشبه صورة الفارس الذي قاده الى تلك الكنيسة . فصمم على اعتناق الدين
المسيحي واطلع خادم الكنيسة على سريره نخبأه الشماس في مكان وارسل اليه
أحد الكهنة فحفظه في الدير مدة وعنده سرأ خوفاً من الشر الذي يحيق بالكنيسة
اذا شعر أحد أقاربه ودعى اسمه بولس

واتفق انه خرج ذات يوم الى خارج الكنيسة فشاهده أحد أصدقائه
فاندش وصار بين الشك واليقين لما أشيع عنه بانه مات تائباً في طريق مكة ثم
سار واخبر اهله بذلك فتنكر اثنان من اخوته ووقفا امام باب الكنيسة حتى
خرج ولما تحققاه قبضا عليه واتيا به الى اييهما فلما شاهده بكى بدموع غزيرة
ولمن شيخوخته وضرب بوجهه الى الارض فاجابه الواضح « لماذا تبكي يا ابي اذا
احزنتك الثياب الرثة فان باطني متجدد بالنعمة وبالقوة المسيحيتين » فاستخبر
منه ابوه عما اذا كان قد ضل وصار مسيحياً فاجابه « اني لم اضل ولكني اهتديت
واسمي بولس » فازداد الشيخ بكاء وعويلاً وهو يقول له « هل اردت ان

تطلع حياتي بالعار وتزريني امام طارفي التمس منك ان تمنع عني هذا الخزي اكراماً
لشيخوختي برجوعك الى دينك الاول » فأجابه الواضح قائلاً « ينبغي ان يطامع
الله اكثر من الناس من أحب أباً أو أمّاً أو ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني »
(مت ١٠: ٣٧) هكذا قال السيد المسيح واعلم اني مسيحي وعلى اسم المسيح اموت »
فهدده والده بالموت ان لم يرجع ولما رآه مصرأ طرحه في بالوعة ماء دون أن تكل
وشرب مدة اسبوع كانت أمه في اثناائه تتردد عليه من كثرة شفقتها وتلقى له
بعض الطعام . ولما شاهد رجا ان أمه تكاد تقتل نفسها من شدة الحزن اتفق
مع أولاده على اطلاق سبيله سرأ فسار الى أديرة وادى النظرون ولبس شكل
الرهينة ولكن أحد الرهبان حسن له الرجوع الى وطنه بدعوى انه لا يستطيع
ان يمجّد الرب الا باعلانه ايمانه في نفس وطنه . فأسرع الراهب بولس بالذهاب
الى بلده وهناك صرح علانية بانه مسيحي فعرفه اهله وأتوا به الى منزلهم فلم
يعد اليه احد يد الاذي نظراً لمحبتهم له ولكنهم نصحوه كثيراً ان يعود لديانته
الاولى فلما رأوا منه اصراراً زائداً سجنوه في ذلك المكان المظلم مستودع القذارة
مدة ستة ايام بدون طعام . وكان للواضح زوجة جميلة له منها ولد صغير فصارت
تردد عليه تلك المدة وتستمطفه ليرجع اشفاقاً على ولده وهو لا يرد جواباً فأخرجه
ابوه ودعاه الى الاقرار بالاسلامية فأبى فأراد ان ينتقم منه انتقاماً هائلاً فأمر
كبير أولاده ان يأتي بزوجة الواضح ويزني بها امام عينيه ففعل وعينا الواضح
تريان ومع ذلك لم تكن هذه التجربة المرة لتثني عزمه بل ظل ثابتاً فهدده ابوه
باننقام آخر قائلاً له « ان لم ترجع عن ضلالك لا غرقن ابنك وانت ترى » فأجابه
الواضح « لا ريب اني احب ابني فلذة كبدي ولكن بلا شك احب المسيح
اكثر منه » فأخذه رجا من امه ودفعه لقوم وامرهم ان يجروا الواضح الى
البحر ويفرقوا ابنه امامه اذا هو لبث مصرأ على ضلاله فساروا بهما ولما وصلوا الى
البحر اخذ احدهم الولد وغطسه حتى رقبته ودعى اياه الى الارتداد فصاح الواضح
بحرقة « انت تعلم ايها المسيح مقدار محبة الوالد لولده ولكن لا تسمح بان تكون
هذه المحبة سبباً للكفر بك ولهذا أقدم ابني باختياري ضحية لك كما قدم
ابراهيم ابنه اسحق » ثم التفت نحو الرجل وقال « اني أفضل المسيح لا على ابني

فقط بل على كل ما يوجد في الارض بأسرها « فترك الرجل الولد يفوض في الماء
وعاد بالواضح الى ابيه فسلمه للحاكم ليقتص منه فتوسلت زوجته الى الحاكم
ليبقه حياً فشفق عليها وأطلقه فانطلق الى اسقف الاشموين ولبث معه مدة
قصيرة وبعد ذلك مضى الى اقاصي السودان جنوباً وبني كنيسة بانتم رئيس
الملائكة ميخائيل . ثم رجع الى مصر ليرسم كاهناً وعرض أمره على فيلوثاؤس
البطريك وكان كما ذكرناه محباً للسيمونية فأبى ان يرسمه الا بعد دفع مبلغ من
المال فحزن لهذا الامر والبطريك يصر على طلبه حتى دفع المبلغ أحد اغنياء
الاقباط ورسم بولس كاهناً . فبلغ أباه الخبر فاستمظمه واستأجر قوماً من الاعراب
ليفتكوا به ولكن بعض الاقباط اخطروه بما دبر ضده فهرب الى بلدة تدعى
صدقا واقام خادماً في كنيسة للقديس تادرس فلما شعر به المسلمون هاجوا عليه
يريدون قتله ولكنه مات قبل ان يتمكنوا منه . وعند موته هجم المسلمون على
الكنيسة وسلبوها . وكان قد أوصى وكيل البطريكية بجثته خوفاً من ان تعبت
بها ايدي المسلمين فاحتفظ الوكيل بها وقص خبره على ميخائيل اسقف صان
للتورخ .



القرن الحادي عشر

القسم الاول

تاريخ البطارقة

.....

(١) زكريا (٢) شنودة ٢ (٣) خيروستوذولو (٤) كيرلس ٢

(٥) ميخائيل ٢

.....

(١) زكريا - البطريك الرابع والستون . في مبدأ هذا الجيل انعقد

مجمع الاساقفة والكهنة والعلمانيين لانتخاب البطريك وفي اثناء انعقاده كان ابراهيم بن بشر احد تجار الاسكندرية المشهورين بالغنى والمعروفين لدى كبار المملكة قد مضى الى الملك في القاهرة والتمس منه ان يكتب للمجمع كتاباً يأمره فيه بانتخابه بطريركا . فكتب اليه وسار الى الاسكندرية وقبل ان يصل اليها كان المجمع قد وسم الاب زكريا في شهر طوبه سنة ٧١٦ ش و ١٠٠٤ م في عهد الحاكم بأمر الله . وقيل ان ابراهيم المذكور كان معضداً من بعض اعيان الاسكندرية ولما رآه الاساقفة يحمل امرأ ملكياً خافوا لئلا يوقع بهم الحاكم وسعوا في ترضية خاطره فرسموه قساً ثم قصاً ووعده بالاسقفية عند خلوا أية ابروشية فطابت نفسه بذلك وقيل انه رسم فيما بعد اسقفاً على مدينة ممفيس

اما الآب زكريا فاصله من الاسكندرية وتأدب من حدائته بالآداب
المسيحية ونظراً لحسن سيرته رسموه قساً بكنيسة الملك ميخائيل بالاسكندرية
ولما رسم بطريركاً سار في خطة آباءه الاطهار وجعل همه التدقيق في رسامة الاساقفة
لكراهته عادة السيمونية (أي بيع الرتب نسبة الى سيمون الساحر الذي اراد
ان يشتري موهبة الروح بدراهم) فكان شديد الوطأة على اولئك الذين كان
يظن انهم ارتقوا بهذه الواسطة . وقد أقام عنده مجلس اساقفة لحل المشاكل
الدينية وكان جلهم من اقربائه فلم يراعوا الأمانة في خدمتهم فكانوا يقبلون
الرشوة من المتقاضين لتنفيذ ما ربههم وقيل ان احدهم جمع اكثر من ٢٠ ألف
جنيه من هذا الطريق ونشأ عن هذا التصرف ضيق شديد للبطريرك سيأتي
ذكره .

فن ذلك ان رجلاً يدعى القس يوحنا كان كاهناً على قرية ابي نقر «بالجزيرة»
بلغ به الشوق لمنصب الاسقفية لدرجة انه سار الى البطريرك وطلب منه ان
يتم رسامته فقدم البطريرك طلب يوحنا الى مجمع الاساقفة فلم يره المجمع لائقاً
فرفض طلبه قيل لانه كان متزوجاً . وكان للبطريرك ابن اخ يدعى ميخائيل اسقف
سخا وهو محب للرشوة فطلب من القس يوحنا مالا يساعده على بلوغ غرضه
فاعتذر يوحنا ووعده بالوفاء بعد تعيينه فعمل ميخائيل على معاكسته الا ان
البطريرك لم يقطع امله بالمرّة بل وعده بنيل مراده بعد حين . ولكن القس الخ
عليه باجراء الرسامة حالاً وهدده بان يوقع به اذا امتنع فازدري به البطريرك
لوقاحته وطرده . فأضمر له القس الشر ولما كانت له كلمة في دوائر الحكومة عزم
على تقديم شكواه للخليفة . فشر الكتاب الاقباط بذلك وخافوا ان تأول تلك
الشكوى الى اضطهاد عنيف فأخذوا يلاطفون القس وكتبوا له تزكية منهم وخطاباً
للبطريرك يطلبون منه تعيين يوحنا اسقفاً

وكان البطريرك غائباً بوادي هبيب فتادت القس يوحنا الصدف الى الوقوع
بين يدي عدوه، ميخائيل فلما علم بأمره خشي ان يقابل البطريرك فيرسمه وأسرع
في تسليمه لقوم من العرب وأمرهم بان يلقوه في بر و يرحموا حتى يموت فأخذوه
وفعلوا به كما أوصاهم ولحسن حظ يوحنا كان في تلك البر كهف فتواري فيه

ونجا من الخطر واذ ظن الاعراب انه مات تركوه
وبلغ الخبر بعدئذ البطريرك فغضب على ابن اخيه جداً وكانت مساوئه وميله
لقبول الرشوة قد ذاعت وانتشرت فسخط عليه وأمر قوماً ممن يثق بهم ان يذهبوا
ويخرجوا الرجل فوجدوه حياً . فلما مثل امامه وعده برسامته ابعثوا عند خلو
أية ابروشية وفيما بعد اضطر البطريرك ان يخلف وعدد ليوحنا بالنسبة لحكم جمع
الاساقفة ولما سمعه عن تصرف يوحنا المعيب فلما خلت اول ابروشية عين لها
واحداً بدله وقيل ان ميخائيل ابن اخى البطريرك هو الذي مازال به حتى رسم
غير يوحنا

فاغتاظ يوحنا من ذلك وعول على الانتقام من البطريرك فكتب تقريراً شائناً
بحقه ورفع الى الحاكم بامر الله وكانت عادة البطارقة الى هذا الزمن مكاتبة ملوك
الحبشة والنوبة مباشرة فوشى القس للخليفة ان البطريرك يكتب هؤلاء الملوك
ويكشف لهم كل مايجرى في البلاد ويعرفهم سوء معاملة النصارى خلافاً للمهود .
فغضب الحاكم وأمر بالقبض على البطريرك وعلى بعض الاساقفة والقاهم في السجن
ثلاثة شهور ثم طرح البطريرك بعد ذلك للاسود هو وراهب يدعى سوسنة النوبي
فلم ينلها منها ضرر بل تأكست بهما ومما ذكر ان أحد الاسود كان يأتي وينظر ح
تحت قدمي الراهب سوسنة ويلحسهما . فعاقب الحاكم متولي أمر السباع وتوهم
ان امتناعها ناشيء عن كثرة أكلها فأبقاها مدة بغير طعام ثم ذبح خروفاً ولطخ
بدمه أثواب البطريرك والراهب والقاهما أمامها ففعلت كالاول فأعيدا الى الحبس
واستمر الحاكم مدة تسع سنين يضطهد الاقباط والبطريرك زكريا في أعماق السجون
يهدده تارة بالحرق ويمده تارة بالهبات والمطايا اذا تدين بالاسلامية وحمل الاقباط
على اعتناقها

غير ان البطريرك لبث ثابتاً كالصخر أمام كل هذه الزوابع حتى مل منه
الحاكم وتوسل اليه أحد الامراء ان يشفق عليه فأتى بالبطريرك ونقاه في أحد
الاديرة البعيدة في برية شيهات وأمره ان لا يخرج منه ابداً وان لا يكتب البطارقة
ملوك النوبة والحبشة مباشرة والا يقبلوا منهم مكاتبات الا بعد عرضها عليه
ومعرفة ما فيها وكذلك طلب من هؤلاء الملوك ان تكون المكاتبات منهم واليه

مباشرة وبقى الامر هكذا مدة طويلة فكان اذا اتى الخليفة أو السلطان كتاب يقتضى الرد يطلب من البطريرك ان يشرح له ما عليه نصارى مصر من الراحة والحرية في الدين وعدم التعرض لهم في عقائدهم ولو كانوا في أشد عذاب ويوصيه خيراً بالمسلمين الذين تحت رعايته

وحدث ان راهباً يدعى بيمين تدين بالاسلامية وتزلف الى الحاكم ونال منه حظوة وتمكن من استصدار أمر برفع الاضطهاد عن الاقباط وعاد الى كنيسة ابي سيفين وزاره الخليفة في تلك الكنيسة لمحبتة له فسأله ان يأذن للمسيحيين في العودة الى مدينة باييليون فاجابه الى طلبه ورجع البطريرك واقام في كنيسة ابي سيفين مع بعض الاساقفة والكهنة والراهب بيمين وزار الخليفة الكنيسة مرة أخرى فعرفه بيمين بالبطريرك فاندعش من حقارة ملابسه وعدم تهيبه وسأل عن مقدار نفوذه فاجابه انه بحالته البسيطة هذه يستطيع ان يخضع الناس له برسالة يوقع عليها باسم الصليب اكثر من خضوعهم لجيوشك الجرارة

فادار الخليفة وجهه وخرج من الكنيسة وهم لا يدرون على ما عزم ان يفعل بهم ولبثوا في الكنيسة ينتظرون الهلاك المريع وزادهم رعباً حضور القس يوحنا كاهن ابي نرعة كل المحن الى الكنيسة في ذلك الوقت وتقدم الى البطريرك وهناك برجوعه سالماً وعاد يطلب منه الطلب القديم فاغتاظ الاساقفة من هذه الدفاعة وطابوا على البطريرك مقابلته يوحنا بالحنو وقالوا له لسنا ندرى الى أية مهواة تريد ان تقودنا ببساطتك . وكان أشدهم مقاومة ليوحنا واطهاراً للغيظ منه ميخائيل ابن اخي البطريرك نخاف منه يوحنا واحتفى ببعض الواقفين فاقنعوا ميخائيل بضرورة الصفح عنه فصفح ورفعوا يوحنا الى رتبة الايغومانوسية وهي أعلى درجة يستحقها بصفة كونه متزوجاً

وبعد بضع ساعات ضجت الكنيسة كلها لسماعها نبأ رجوع الخليفة اليهم وارتفعت جميع الاصوات بالبكاء والعيويل حتى شاهدوا الخليفة بالعيان يدخل الكنيسة بمحاشيته فكادت البابهم تطير واذا بالحاكم يسلم البطريرك فرماناً باباحة الحرية للاقباط ورد جميع ماسلب منهم فتغيرت لهجة حزنهم بلهجة الشكر لله على هذه النعمة الجزيلة ثم تفرغ البابا زكريا لترميم ما تهدم من الكنائس بدون كلل

مدة ١٢ سنة فجدد منها الكثير وساعده على ذلك فرمان الحاكم بأمر الله والتاريخ يمدح البابا زكريا ويصفه بالتقوى الزائدة حتى استحق ان تجرى على يديه آيات وعجائب بقوة الله ومن ذلك ان شماساً اختلف مع امرأته وتركها فخر به الشيطان بارتكاب خطية الزنا مع خنثي ولانه أحد خدام بيعة الله انتقم منه طاجلابان ضربه بالبرص . ولما مضى الى بيته رأته امرأته على تلك الحال فقدمت عليه شكوى للبطريرك فاستجضره لديه وفرض عليه قانوناً بان يصوم اربعين يوماً الى المساء وياً كل ويشرب فقط مايسد الرمق والسغب وبعد انقضاء هذه المدة منحه الحل والغفران ومسحه بزيت فنال الشفاء العاجل

واستمر البابا زكريا بطريركاً مدة ٢٧ سنة قضى منها منتهياً مدة تسع سنين بيرية شيهات وبني في عهده دير شهران (١) المعروف الآن بدير العريان بناه الراهب يمين بأمر الحاكم . وكانت نياحة البابا زكريا في ١٣ هاتور سنة ٧٤٥ ش و ١٠٣٢ م

(٢) سنوده ٢ - البطريرك الخامس والستون . وبعد وفاة البابا زكريا

انتخب مجمع الاساقفة والشعب راهباً يسمى سنوده من دير ابي مقار وأصله من طنان وقيل تلبانه وكانت العادة ان الخليفة لا يصرح بتقليد البطريرك الا اذا أورد مبلغاً مقداره ٦٠٠٠ دينار نقداً أو يكتب به صكاً ليدفعه في ميعاد معين وكان بين الاقباط رجل مسموع الكرامة يسمى ابن بكر فمضى لدى الخليفة فأصدر امرأ برفع هذه الغرامة واذن برسامة الاب سنوده بطريركاً فرسم في شهر كيهك سنة ٧٤٥ ش و ١٠٣٢ م في عهد خلافة الظاهر بن الحاكم

وفي وقت ترشيح سنوده اشترط عليه اكليروس الاسكندرية ان ينفق على كنائسهم كل سنة ٥٠٠ دينار واشترط عليه اعيان الطائفة ان يرفض قبول أية رشوة لاسيما ممن يروم ان ينال درجة كهنوتية . ولكن هذا البطريرك لم يكده يستقر به المنصب حتى اظهر من محبته للعالم ما أوجب اعتراض اهل ابناء امته عنه لاسيما

(١) اسم البلدة التي كان بها الدير وكانت عامرة أهلة وقد خربت وتلاشت كغيرها وفي موقها الآن قرية حقيرة تسمى المودرة

ابن بكر الذي نصحه بالسير في طريق الاعتدال فأمانه وتجاوز عهده ولم يكن
يسمح برتبة الاسقفية او القسوسية الا لمن يجزل له الرشوة . ويقال ان
الايغومانوس يوحنا الذي طالب بالاسقفية في عهد البابا زكريا ولم ينلها رأى الفرصة
مناسبة للحصول عليها فقدم للبطريرك ما جعله اهلاً للاسقفية على ابروشية العريش
وصار يدفع ستين ديناراً سنوياً لحصوله على امنيته . وباع البطريرك اسقفية
بانقيوس للاسقف روفائيل بالف ومائتي دينار واسقفية ليكو بوليس «اسيوط»
بمبلغ فادح . غير ان شعب ليكو بوليس رفض قبول هذا الايغومانوس اسقفاً
عليه لعلمه بنواله الرتبة بالسيموونية فطلب من البطريرك اما ان يقنع الشعب او
يعطيه مادفعه فرفض اجابة الطالبين

واصدر هذا البطريرك قراراً يقضى بان تكون جميع مقتنيات الاساقفة
ملكاً للبطريركية بعد وفاتهم وكان اول من نفذ فيه هذا القرار اسقف شنان فأمر
اخاه ان يسلم كل ما كان لآخيه الى البطريركية فالتمس منه ان يترك له ولو شيئاً
يسيراً يمش منه فلم يقبل فاعتنق الرجل الديانة الاسلامية ورفع دعواه للمحاكم
الشرعية التي حكمت له باحقية امتلاك جميع مقتنيات اخيه . غير ان هذا القرار
اي تحويل مقتنيات الاساقفة الى البطريركية بعد وفاتهم صار نافذ المفعول وعمل
به لغاية يومنا هذا

وفي السنة الثانية من رئاسة هذا البطريرك أظهر رفضه لدفع الاعانة التي
قررها للاسكندريين واعتذر بعدم كفاية ايراد البطريركية لمصروفاته فرفع عليه
اكليروس الاسكندرية دعوى في مجمع انعقد بالقاهرة حضره ابن بكر ولما طال
الجدال بين البطريرك والاسكندريين تعهد ابن بكر هو ووجهاء الطائفة بدفع
هذه الاعانة اذا اقلع البطريرك والاساقفة عن بيع الرتب الكهنوتية فقبل
التوقيع على صورة قرار بهذا الشكل . وكان بعض الاساقفة قد أخذوا اموالاً
من بعض العلمانيين ليكرسوهم كهنة فرفضوا التوقيع معتبرين عملهم شريفاً .
فتقدم اليهم ابن بكر ونصحهم بالمدول عن هذا التصرف الوخيم فظهر البطريرك
ارتياحه لكلامه وطلب منه القرار ليعيد قرأته على مسمع الاساقفة فأعطاه اياه
ابن بكر مطمئناً ولكنه اندهش اذ رآه ممزقاً بين يديه وانتهى المجمع على هذه

الحالة المحزنة .

غير ان الاساقفة الذين أثار فيهم كلام ابن بكر اجتمعوا في كنيسة ابي سيفين واطهروا رضاهم على قراره واتفقوا على السير بموجبه . فتحزب البطريرك ولبث في كنيسة الملاك ميخائيل ثم توجه في اليوم التالي الى كنيسة ابي سيفين وتقابل مع الاساقفة وابن بكر وأخذ في مناقشتهم حتى قبل اخيراً ان يمضي ذلك القرار ولكنه اذ رأى ابن بكر يتداخل في شؤونه المليية رجع الى عناده وعمل على اهانتة وقضى بقية حياته مبغوضاً حتى ادركته المنية في ١٢ هاتور سنة ٧٦١ ش و ١٠٤٧ م بعد ان قضى بطريركاً ١٤ سنة و ٧ أشهر و ١٥ يوماً

(٣) هيروستونولو - البطريرك السادس والستون . كان راهباً بصومعة سنجار ويلقب بالحبيس واصله من بلدة بورا وتمت رسامته في شهر كيهك سنة ٧٦١ ش و ١٠٤٧ م في عهد خلافة المستنصر بن الحاكم فلما استقر به المنصب قام من مدينة الاسكندرية الى مصر واتخذ كنيسة المعلقة بظاهر القسطنطينية مقراً له ولم يكتف بكنيسة المعلقة بل جدد كنيسة القديس ماركوريوس وجعلها كاثدرائية كبرى ومركزاً لسكrsية وجعل كنيسة العذرا في حي الاروام مقراً له يأوى اليه عند اللزوم ورضي اسقف بابيليون بذلك . والذي دعاه الى ذلك انتقال عظمة مدينة الاسكندرية الى مدينة القاهرة وكثرة ما في هذه من المسيحيين وعلاقة وظيفته بالحكومة ومن ذلك الحين صار يعين اسقف للاسكندرية بلقب وكيل الكرازة المرقسية

وكان اول من سعى في اىصال الأذى لهذا البابا رجل كان بين كتاب الدولة يسمى يوحنا بن الظالم أحب الاسقفية وسعى لدى البطريرك وما زال به حتى أجاب طلبه وولاه اسقفية سخا . ويظهر ان مطامعه لم تقف عند هذا الحد وكان هذا سبب نزاع حدث بينه وبين البطريرك عقب انتقاله لمصر فضم اليه بعض الاساقفة منهم خائيل اسقف قطور وايليا اسقف طمويه وجرجس اسقف الخندق ومرقس اسقف البلينا وميخائيل اسقف تديس وتحالفوا مع جمهور من الشعب على عزل البطريرك وادعوا بان رسامته غير قانونية لان الفصول المختصة بسيامة البطاركة

لم تقرأ عليه . ولكن كان في بلاط الخليفة رجل يسمى أبا زكريا يحيى بن مقارم وهو شيخ فاضل مسموع الكلمة فتلافى الامر وتداخل بينهم وصالح البطريرك مع اسقف سخا وطيب خاطر الباقيين وصرفهم الى مراكزهم وبهذا انتهت هلى احسن حال . وبعد ذلك حدث انقسام بين مجمع الاساقفة بسبب اثنين منهما تشاحنا على حدود ابروشيتيهما ولم ينته الخلاف ويحل السلام الا بعد تعب شديد .

ومن اعمال هذا البابا انه اهتم باصلاح ما تخرب من الكنائس وحدث انه في يوم واحد دشن خمس كنائس قام بتشيدها اعيان الطائفة باسماء القديسين يوحنا الانجيلي ومركوريوس ومينا وجرجس وروفايل . ورسم في ذلك اليوم كاهناً وستين ملامساً وكان الفرح شاملاً والسرور عاماً

ثم وجه نظره نحو الخلل الذي ساد على الكنيسة في ايام سلفه الذي لم يكن يهتم باتمام طقوس الكنيسة كما هي وكان ذوو النفوذ يتداخلون في قلب نظامها حتى فترت الغيرة الدينية واقبل الكثيرون على اعتناق الديانة الاسلامية . فقال البابا خير وستوذولو في جميع انحاء القطر المصري يتفقد احوال الكنائس ويتبين شؤونها فبنى كنائس كثيرة حتى وصل الى دمهور فشيدها بيعة نخمة واتخذها مقراً لكرسيه فزادت قيمتها ووفد عليها الكثيرون من الاقباط وذلك لأن بعدها عن مركز الحكومة منع وصول الاضطهاد اليها

واول تهمة وجهت اليه من المسلمين انه استعمل سلطانه على جرجس ملك النوبة للضرر بمصالح المسلمين وألزمه بان يقطع العلاقات التجارية معهم ويمتنع عن ارسال الجزية الممتادة من الرقيق . وكان البطريرك قد أوفد اسقفاً من قبله الى ملك النوبة ليدشن كنيسة بنيت في عهده ولما احضر البابا ليحيب عن هذه التهمة أخذ يقنع بأزوري وزير الخليفة في مصر بان مصالحه ببلاد الحبشة لاتتعلق مطلقاً بالمسائل السياسية بل بمسائل خاصة بالديانة فسلم الوزير بصحة كلامه ولبث البطريرك هو وقومه مدة متمتعين بالراحة الكاملة

وفيما بعد قام لمقاومته عبد الوهاب ابو الحسين أحد قضاة القاهرة الذي انتقل الى دمهور وهناك واجه البطريرك وكان يتوهم ان البطريرك سيهبه شيئاً

فلما خاب أمه استخدم كراهة الوزير للبطريرك للانتقام منه فوشى به انه سلب اموال كثيرين ظلما وبنى بها عشرين كنيسة وفي دمنهور شيد كنيسة عظيمة وقصراً شاهقاً نقش عليه البسمة المسيحية وأتهمه بانه يحتقر الاسلام واذ كان الوزير يتوقع فرصة لاضطهاد النصارى استعظم هذه التهمة وارسل بمجلة من يهدم تلك الكنائس التي بتلك الجهة وناصره على اتمام هذا الأمر ابو الفرج البابلي من كبار المملكة وكان حينئذ وكيلاً على الوجه البحري وأزم البطريرك ان يمحو البسمة المنقوشة على باب قصره فلم يمانع في ذلك لكنه قال « ان يمحوها من على السور لا يمحوها عن صفحات قلبي »

ثم قبض على البطريرك وبعض اساقفة الوجه البحري واعتقلوا وارسلوا الى القاهرة مدعين عليهم بدعاو باطلة لا اصل لها . أما الخليفة فانه رغماً عن تمويهات الوزير لم يجد عليهم ما يوجب هذه الالهانة فأخلى سبيلهم وطيب خاطرهم وصر فهم الى اماكنهم فشق هذا على الوزير ولشدة غيظه أمر بقفل جميع الكنائس المسيحية في القطر المصري فثار الشعب القبطي وبلغ الخبر للخليفة الذي تلافى الامر بالقبض على هذا الوزير المستبد ونفاه الى جهة تيسر باقصى الوجه البحري وبعد ذلك قتله لما رآه يسعى في تهيج المسلمين على النصارى

ولم يكد البطريرك يستريح قليلاً حتى جرى عليه اضطهاد آخر عند ما حاول ان يفتح الكنائس فتعميت ضريبة باهظة على اقباط الاسكندرية دفعوها مقابل تسليم البطريرك مفاتيح كنيسة واحدة لاقامة العبادة فيها وتركوا له بيت انيانوس البطريرك الثاني وذكر كاترمير المؤرخ نقلاً عن كتاب مخطوط ان رأس يوحنا المعمدان التي كانت محفوظة الى ذلك الوقت بالاسكندرية خبأها الاقباط خوفاً من وقوعها في يد المسلمين

وعاد المسلمون ثانية وألقوا القبض على البطريرك ووجدوا في خزينته تسعة آلاف دينار نهبوها واقتسموها ثم اطلقوا سراحه بتوسط ذوي النفوذ من موظفي الاقباط وكانت العادة ان يزور البطاركة أديرة وادي النطرون في أحد السنين بينما كان البابا خيروسستوذولو بوادي النطرون هجم اتباع ناصر الدولة زعيم الترك على الأديرة واضطهدوا الرهبان وذبحوا كثيرين منهم وأخذوا

البطيريك أسيراً معهم وأوسعوه اهانة وتعذيباً ولكن الله نجاه بواسطة رجل
قبلي يدعى أبا الطيب كان رئيس كتبة ناصر الدولة فتوسل الى مولاه ان يطلقه
ففعل اكراماً لخاطره ودفع ابو الطيب فدية له مبلغ ثلاثة آلاف دينار

وأصيبت البلاد فيما بعد بجوع شديد مات بسببه ميخائيل اسقف تديس
وكان جرجس ملك النوبة قد ارسل رجلاً يقال له بامون ليرسمه البطيريك مطراناً
لبلاده فرسمه واوصاه ان يخبر للملك بالحالة السيئة التي بات فيها الاقباط فشفق
عليهم ملك النوبة وارسل لهم زاداً وافراً غير ان جنود ناصر الدولة اعترضوا
رسل ملك النوبة عند وصولهم الى حدود مصر وارجموهم بالمؤونة خائبين الى
ملكهم .

وفيا بعد قبض على زمام الولاية في مصر بدر الدين الجمالي فوشى له أحد
المسلمين بان فكتور مطران النوبة أمر بهدم جامع للمسلمين هناك فغضب لذلك
وأمر بالقاء القبض على البطيريك وأتى عليه تبعة ذلك العمل ولسكن البطيريك
برهن له على فساد التهمة فاطلقه وأخلى سبيله . وهرب احد العصاة من وجه بدر
الجمالي الى بلاد النوبة فكلف البطيريك بان يبعث اسقفاً من قبله الى ملك النوبة
يطلب منه تسليم ذلك الثائر فاجاب البطيريك طلبه وعين لذلك اسقفاً يدعى
مركوريوس سار مع مندوبين من قبل بدر وبلغوا الطلب لملك النوبة فقبض على
ذلك الرجل وسلمه اليهم فجاءوا به الى القاهرة

ووشى مرة أخرى الى بدر بان كيرلس مطران الحبشة الذي كان يدعى قبلاً
اينا عبدون يقرر بمساعي الحبشة الضعيفي الايمان ويدعوهم الى شرب الخمر عند
تناول الطعام فقبض بدر على البابا خيروستوذولو بصفته رئيساً لذلك المطران
ليعاقبه عوضاً عنه ولحسن الحظ لم يكن كيرلس المذكور قد سيم مطراناً بعد
فدفع المطران عنه هذه التهمة وصرح بانه لم يرسم بعد وانه سيرسل له الانبا
مركوريوس لتتميم رسامته وينصحه بان يكف عما يعمل ان كان ما شاع حقاً فاقتنع
بدر الدين واطلقه ولكن غيظ ولاه المسلمين من البطيريك كان يزداد يوماً
فيوماً خصوصاً لما رأوه من تعوذه على بلاد الحبشة فكانوا يفضون المراسلات
المتبادلة بين الفريقين ويردونها الى جهاتها منفضوذة أو يمزقونها حسبما يترأى لهم

أما البابا خير وستوذولو فصرف باقى حياته في وضع قوانين كنسية نافعة لشفاء
داء الخلل الذي كان عاماً وقتئذ وجعل هذه القوانين سارية المفعول في كل
كنائس القطر المصري وكان عددها ٢١ قانوناً حرم في بعضها على الارثوذكس
من رجال ونساء الزواج بالاجانب وغير الارثوذكس . وكانت العادة ان يصنع
القربان المقدس خالياً من الزيوت والادهان ولكن اهالي سوريا كانوا يضعون
الزيوت في قرايبتهم فانكر عليهم البابا خير وستوذولو ذلك واتفق انه كان يقدر
مرة في كنيسة ابي سيفين بحضور طبيب سوري له اتصال بالخليفة فاحضر قرباناً
مما يصنع في بلاده وطلب من البطريرك ان يصلي عليه فافهمه ان ذلك مغاير
لقوانين الكنيسة فأصر الطبيب على طلبه حتى أمر البطريرك رجال الكنيسة ان
يخرجوه رغماً فعمل هذا الطبيب على القاء بذور العداة بين البطريرك والخليفة

وبعد ان قضى هذا البطريرك مدة تسع وعشرين سنة وثمانية شهور و ١٩
يوماً على الكرسي البطريركي رقد في الرب في ٢٤ كيهك سنة ٧٩٢ ش و ١٠٧٨ م
ودفن بكنيسة المعلقة ببايليون ثم نقلوا رفاته الى وادي النطرون

(٤) كبرلسي ٢ - البطريرك السابع والستون . كان حبيساً بصومعة سنجار
واسمه جرجس وهو من اهل اقلقه بحيره انتخب للبطريركية في ٢٢ برمهات سنة
٧٩٢ ش و ١٠٧٨ م في عهد خلافة المستنصر بقرار مجمع انعقد في الدار البطريركية
مؤلف من الاساقفة وكبار الشعب . وقوبل انتخابه بالارتياح في جميع دوائر
الحكومة حتى ان عقلاء المسلمين طلبوا اليه ان يبارك قصر الخليفة فباركه باحتفال
عظيم وتفاءل الاقباط به خيراً

وعقب رسامته بقليل تنازل سامون ملك النوبة عن الملك لابن اخته المدعو
جرجس وآثر العزلة والانفراد في دير تقر يوس الواقع في البرية بين حدود مصر
والنوبة ملازماً الصلاة والعبادة فحاصره أهل اسوان طمعاً في ضم الدير الى مصر
وأخذوه أسيراً وأتوا به الى أمير الجيوش بدر الجمالي فقابله البطريرك وكبار
الاقباط باحتفال عظيم ولقى من أمير الجيوش اكراماً زائداً وخصص له قصرأ
لإقامته فيه وبقي به في مصر حتى توفي بعد ذلك بقليل ودفن بالاكرام بدير

الخدق المعروف الآن بدير انبارويس خارج القاهرة
وفي أثناء اقامة سامون بمصر تحقق بالعيان ما كان بين القبط والنوبيين من
الرابطه الدينية وتبادل البطريرك معه الزيارات واحتفى به وجهاء الطائفة وكان
وجوده بينهم هذه المدة سبباً في رفع شأنهم عند ا كبار الدولة وعظماؤها لا سيما
عند امير الجيوش الذي لما شاهد علامات الاخاء بين الاقباط والنوبيين والحبش
رغب في عقد معاهدة مع ملوك هانين الامتين لتسهيل طرق التجارة وامتدادها
بين الديار المصرية وتلك البلاد فكاشف عظام الامة القبطية وعقلاءهم بما يكنه
في صدره وطلب منهم بذل الجهد في مساعدته فلبوا طلبه وشرعوا في فتح باب
المخبرات مع ملوك الحبشة والنوبة بواسطة البطريرك وهكذا تم الاتفاق على
مايروم امير الجيوش الذي أنعم على البطريرك بمال يستعين به على اصلاح الاديرة
والكنائس المتخربة

وجرى بعد ذلك ان شخصاً اسمه كيرلس انطلق الى بلاد الحبشة وادعى انه
مطرانها وتسلط على كنائسها ولما بلغ أمره الى البابا كيرلس حزن وقصد ان
يقيم غيره اسقفاً شرعياً يدعى ساويرس ويرسله اليها فقاومه أمير الجيوش وأبى
ان يرخص له بسفر المطران الا اذا وعده بان يبني في الحبشة خمسة مساجد وان
يرسل له المطران كل سنة هدية فلم يسمع البطريرك الا الرضوخ وسار ساويرس
الى الحبشة فهرب من وجهه كيرلس الى بلدة (دهلك) من بلاد الحكومة المصرية
وبلغ أمره أمير الجيوش فاستقدمه اليه وأخذ كل ثروته وقتله ولاقى المطران
ساويرس متاعب حمة لا سيما عند ماشرع يبذل مجهوده في اصلاح الكنيسة
الحبشية ومقاومة العادات الفاسدة الشائعة بينها وكان جل الامراء يأخذون جملة
من الجاريات فوق الزوجة الشرعية فقصد المطران ان يستأصل شأفة هذه المادة
ولكن مساعيه لم تأت بفائدة تذكر لانهم كانوا يدعون انهم باقون على شريعة
موسى في أمر تعدد الزوجات واعتقدوا ان ذلك ليس محرماً الا على القسوس
والشماسة فقط مع اعترافهم بان ذلك مخالف لروح المسيح

وحدث فيما بعد ان ساويرس أرسل اخاه الى امير الجيوش بهدية لم تصادف
منه قبولا لحقارتها فاشتد غيظه وأتى بالبطريرك مع عشرة اساقفة وأخذ يعنفه

بشدة على تقصيره في القيام بما وعده به فشرع البطريرك يدافع عن نفسه فقاطعه
وتوعده واساقفته ان لم يكلفوا اثنين منهم بالسفر الى الحبشة ليلزما مطرانها بوفاء
وعده وان يرسل ضريبة ٥٠ سنة سلفاً وان يحذر الحبش من التربص لتجار
الاسلام في الدروب وأمر ان يبقى البطريرك والاساقفة تحت تصرفه وان يدفع
كل منهم اربعة دنانير يومياً نفقة اعالة حتى يرجع المطرانان اللذان يرسلان الى
الحبشة ولكنه فيما بعد عدل عن هذا الرأي واكتفى بتدوين اسمائهم وجعلهم
تحت مراقبة الجنود واطلق سراحهم فاقاموا في كنيسة المعلة واتفقوا على ان
يرسلوا الانبا مرقس اسقف اوسيم والانبا تادرس اسقف سنجار واحاطوا
امير الجيوش بما دبروه

ولكن هذا الامر لم ينفذ بتدبير الهى وذلك ان باسيل ملك النوبة ارسل
ابن الملك المتوفي الى امير الجيوش بهدايا فاخرة طالباً منه ان يكلف البطريرك
بتكريسه مطراناً على النوبة وخشي امير الجيوش ان يظهر سخطه على البطريرك
امام ابن ملك النوبة فسمح له ان يمثل امامه هو واخو ساويرس المطران فدفع
البطريرك عن نفسه واخبره اخو المطران ان اخاه بنى سبعة جوامع بدل اربعة
ولكن الحبش هاجوا عليه واتهموه بالتحيز للمسلمين وقاموا على الجوامع وهدموها
وقصدوا الفتك بالمطران حتى اضطر الى الهروب ولم يخافه من ايديهم الا الملك
الذي امر بسجنه حينئذ

ولما سهر ابن ملك النوبة بخرج حالة البطريرك والاساقفة طلب من
امير الجيوش اطلاق سراحهم فقبل وامر البطريرك بارسال الاسقفين الى الحبشة
لاعادة بناء الجوامع المتهدمة فساغر الاسقفان واخبرا ملك الحبشة بالامر واخبراه
ان جميع كنائس القطر المصري تحت خطر الانهدام ان لم تسرع ببناء الجوامع
فاستشاط الملك غيظاً وارسل يقول لبدر « ان تجاسرت ومددت يدك بسوء الى
كنيسة واحدة فاعلم اني اقلب مكة رأساً على عقب ولا ارضى باعادة بناء حجر
واحد الا اذا اخذت وزنه ذهباً »

غير ان بدر الجمالي هذا على رأي اكثر المؤرخين لم يكن مسلماً بل مسيحياً
وانما اظهر التحيز للاسلامية حباً في بقله سلطانه مرفوع الشأت . وقد تجت

اخلاقه الطيبة في الحادثة التي نذكرها وهي ان الاسقف يوحنا الظالم الذي سبق واضطهد البابا خير وستوذولو بقي مصرآ على تشويش راحة الامة فصار يترقب فرصة لاظهار ما كان يخفيه في صدره فلما تقلد البابا كيرلس الرئاسة اتحد مع اربعة اساقفة وهم اخوه مرقس اسقف سمنود ويوحنا اسقف دميرة وخائيل اسقف ابي صير ومقارة اسقف القيس ومعهم الشماس ابو غالب احد اعيان مصر المشهورين وتواطأوا على عزل البطريك فكتبوا تقريرآ بالظمن في حقه مدعين عليه بدعاو توجب عزله وقدموها لبدر الدين الجمالي بواسطة يسيب رئيس بستانه وكان قبطياً . وكان البطريك متغيبآ حينئذ في الاقاليم يزور الكنائس ويفتقد الرعية ويدشن البيع التي بنيت حديثآ

فلما اطلع أمير الجيوش على التقرير رأى انه ليس من شأنه ان يحكم في أمر مثل هذا من تلقاء نفسه بمجرد اقوالهم فأمر البطريك بعقد مجمع من اساقفة الوجهين القبلي والبحري وكبار الامة يرأسه أمير الجيوش ليبحثوا في الأمور المنسوبة اليه على البطريك ليعرف عما اذا كانت صحيحة او غير صحيحة فحرر البطريك كشفآ باسماء الاساقفة الذين يطلبون لحضور الاجتماع فحضر في مدة قصيرة ٢٧ اسقفآ من الوجه البحري و٢٢ من الوجه القبلي و٣ اساقفة بايليون والخذق والجيزة

ولما تكامل عدد الحضور انعقد المجمع تحت رئاسة امير الجيوش في قطعة ارض له خارج القاهرة . ثم وضع الكتاب المقدس في الوسط وجلس اساقفة الوجه البحري على الكراسي في صف واساقفة الوجه القبلي على الكراسي في صف واساقفة مصر وضواحيها في صف وجلس المشتكون واصحاب الدعوى معآ . وبعد الصلاة قدم ابن الظالم تقريره الذي يتهم فيه البطريك بتهم شنيعة فقام البابا كيرلس وفند كل تهمة تفنيديآ لا يدع مجالآ لمدع فاقتنع الجميع وعلى رأسهم أمير الجيوش براءة البطريك ولذلك وقف امير الجيوش في وسط المجمع ووبخ الاساقفة على هذا التنابد قائلاً لهم « كان يجدر بكم ان تكونوا انتم المثال في المسامحة حتى يقتدي بكم الشعب الذي ترشدونه ثم حث الاساقفة على الخضوع لرئيسهم والاخلاص له وطلب منهم ان يطلبوا منه العفو فنصافح الجميع امامه

وكلف احد رجاله بان يسلمهم اوراق العفو . ثم أمر بقطع رأس عامل بستانه الذي سمى بالشر ضد بطريكه فخبجل الاساقفة من تأنيب الجمالي لهم ورجعوا الى كنيسة ابي سيفين واخذوا يتضرعون الى الله ليغفر لهم خطاياهم وبعد اسبوع كلفوا البطريرك بان يقيم لهم صلاة القداس وتناولوا من بين يديه القربان المقدس .

ولما كان بدر الدين الجمالي امير الجيوش ارمني الاصل تكاثر عدد الارمن المهاجرين الى القطر المصري حتى انتخبوا لهم بطريكاً يدعى غريغوري ولما كان الارمن تابعين للكنيسة القبطية في اعتقادها بالطبيعة الواحدة فقام البابا كيرلس برسامة غريغوري بطريك الارمن وحرر منشوراً لكافة الكنائس يخبرها فيه ان كنائس مصر والحبشة وانطاكية وارمينية متحدة في الايمان الارثوذكسي المستقيم

وبعد ذلك اشتغل البابا كيرلس بوضع قوانين جديدة للكنيسة سارت عليها الى ما بعد وفاته بزمن . واهتم ايضاً باصلاح الكنائس واقتقاد الفقراء . وكانت اللغة القبطية تتضاءل شيئاً فشيئاً وتحل محلها اللغة العربية حتى رأى البطريرك نفسه مضطراً الى تعلمها . ويقول المؤرخون ان البابا كيرلس هو اول من عمل الكسوة البطريركية من ديباج أزرق وبلارية من ديباج أحمر مزدانة بصور من ذهب . وبعد ان قضى ١٤ سنة و٦ شهور و١٦ يوماً رقد بالرب في ١٢ بؤونه سنة ٨٠٦ ش و ١٠٩٢ م

(٥) ميخائيل ٢ - البطريرك الثامن والستون . رسم بعد وفاة البابا

كيرلس الثاني باربعة شهور واربعة ايام واصله من بلدة سخا وكان حبساً بصومعة سنجار وقبل رسامته اشترط عليه الاساقفة (١) ان يحرم السيمونية (٢) ان يتمهد بدفع مرتب وكيل الكرازة المرقسية بالاسكندرية (٣) ان يتنازل عن الكنائس التي اتخذها لنفسه البابا خير وستوذولو من كرسي مصر وهي كنائس المعلقة وأبي سيفين والمذرا بحارة الروم ومن كرسي أوسيم والجزيرة كنيسة الملك ميخائيل ومن كرسي طمويه دير الشمع ودير الفخار . وكتبت هذه

الشروط في اربع نسخ أمضاها البطريرك وحفظت واحدة عنده والثانية عند شنودة اسقف مصر والثالثة عند يوحنا اسقف سخا والرابعة عند اسقف الاسكندرية وقيل ان البطريرك عند ما أمضى الشروط وعدمه بالنظر في سائر مطالبهم لا سيما راتب اسقف الاسكندرية الذي يتعذر عليه القيام به

وهذه السكيات قالها البطريرك كقدمة لعزمه على نكث هذه الشروط ولهذا لما جاءه اسقف مصر وطلب منه ان يتنازل له عن الكنائس التي ذكرت في الشروط انكر عليه ذلك وقال انه رفض هذه الشروط عند توليته . وكان البطريرك قد تحصل على نسختين من الشروط المأخوذة عليه وهما نسختا اسقفى الاسكندرية وسخا . وكانت نسخة اسقف مصر معه فاشهرها امام البطريرك وقال له « انا بيدي الحجة عليك » فحاول ان يأخذها منه فأبى ان يعطيها له فغضب عليه ومنعه من مباشرة خدمة الكهنوت وامر كهنة مصر ان لا يذكروا اسمه في اثناء الصلاة فاضطر الاسقف للهروب واختفى في دير القامون بالقيوم . فقامت قيامة الشعب في مصر واعتصبوا ضد البطريرك وقصدوا خاومه بالقوة ان لم يرد اسقفهم لمركزه فامتثل لرغبتهم واستدعى الاسقف ولاطفه وورده الى مقره ولم يلبثا متسالمين مدة حتى قام بينهما النفور مرة أخرى فاراد البطريرك ان يتخلص منه فدعا اساقفة مصر وعقد مجمعا وادعى عليه امامه انه قدس في ايام البابا كيرلس مرتين في يوم واحد مخالفة للقوانين فأقر المجمع على وجوب قطعه ودعاء ليعلم صوت الحكم فأبى الحضور وهرب واختبأ في منزل مختلف ببايليون وبعد انصراف المجمع وضع البطريرك يديه على كنيستي شنودة ببايليون اللتين قام عليهما النزاع

وقام البابا ميخائيل بعد ذلك بخدمة جليلة للقطر المصرى وذلك انه لما تولى المستنصر بالله لم يرتفع النيل اعواماً متوالية فتعطل الزرع وقلت المحصولات وكثر الغلاء حتى بلغ ثمن الارذب الواحد من القمح مبالغاً عظيماً واذ علم المستنصر بان مصدر زيادة النيل من بلاد الحبش دعا اليه البطريرك وبعثه اليها بهدية سنوية برسم النجاشى ولدى وصوله قابله باحتفال عظيم وسأله عن سبب قدومه فأعلمه بما حل بمصر واهلها من الضنك والجوع بسبب نقص زيادة النيل وانه اتى ليستمين

به على ايجاد طريقة لمنع هذه الغوائل عن البلاد وأهلها . وقدم له هدية الخليفة فأمر الملك بفتح سد في احدى الجهات التابعة له فجرت المياه منه الى ان وصلت مصر وزاد النيل في ليلة واحدة ثلاثة أذرع واستمرت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت الاراضي فزال الغلا وفي اثناء اقامة البطريك بتلك الاصقاع بذل جهده في تمكين عرى الود بين الخليفة وملك الاحباش فكانت هذه خدمة أخرى قام بتأديتها للمستنصر ونال بذلك رضاه وممنونيته فأحسن اليه وبالغ في اكرامه . والبابا ميخائيل هو اول بطريك مصرى زار بلاد الحبش بعد خضوعها دينياً للكنيسة القبطية

وفي سنة ١١٠٢ م توفي مطران الحبشة فارس ملكها وفداً للبطريك يطلب منه ان يرسم لهم آخر عوضه فرسم البطريك راهباً يدعى جرجس مطراناً وسافر مع الوفد الى بلاد الحبشة ولكنه بوصوله فيها واستلامه دار المطرانية أظهر الميل لجمع الاموال فغضب عليه الاحباش وألزمه الملك برد كل ما جمعه ثم أعيد الى مصر وطرح بأمر الوزير الافضل في اعماق السجون

وقصد البابا ميخائيل ان يقيم اسقفاً لمصر خلافاً لاسقفها المقطوع فحالت دون قصده المنية وذلك ان الوزير الافضل رجع من الحرب الى مصر فخرج البطريك تهنئته فلم يكده يعود الى الدار البطريكية حتى أصيب بطاعون وتوفي في ثاني يوم في ٣٠ بشنس سنة ٨١٦ ش و ١١٠٢ م وبعد ان استمر على كرسي الحبرية تسع سنين و ٧ شهور و ١٩ يوماً

.....

القسم الثاني

مساهرة الكنيسة

(١) المعلم سرور جلال (٢) ابو اليمين يوسف (٣) ابوسعد منصور

(٤) ابو المليلح (٥) بقيرة الرشيدى



(١) المالم سرور مهزل . كان ضامناً ملتزماً في ايام الخليفة المستنصر

فتمكن من ان يحصل على ثروة طائلة واشتهر بالمقل والفظنة وحسن التدبير
وأحبه الخليفة وقربه اليه ونال ثقته فكان يجيبه الى كل ما يطلب وكان الخليفة
يكافئه سنوياً باعداد كل ما يلزم لراحته بقم الخليج لحضور مهرجان كسر السد
(فتح الخليج) فكان يقوم بما يحتاجه وجيوشه من الطعام الفاخر فيسرمه
الخليفة ويخلع عليه . ومع ذلك كان المعلم سرور وديعاً متواضعاً يعمل الخير لجميع
الناس بدون تمييز بين مسلم ومسيحي فقصده كل من له حاجة عند الخليفة فكان
يسأله في أمرهم فلا يرد له طلباً حتى أجمع الكل على محبته . وقيل ان الخليفة
ارسله في مهمة فمات فجأة في الطريق ويقال انه مات بدون ان يخلف نسلاً

(٢) ابو اليمه يوسف بن مكرهه بن زنبور الشهير بأمين الامناء .

كان اميناً على خزائن الخليفة ثم تولى نظارة الريف بالوجه البحري وقد أحسن
كثيراً الى ابناء جنسه فابتنى ديراً عظيماً في أحسن مكان وهو الدير الشهير بدير
ابي سيفين بطمويه بئر الجيزة وغرس حوله بساتين واسعة كانت في ايامه من
اهج المتنزهاة حتى ان الافضل الوزير ابن بدر الجمالي كان يقضي فيها اغاب اوقاته
متنزهاً . وابو اليمه أصل عائلة كبيرة عظم أمرها واشتهرت بالغنى وسعة الحال
وآخر اعضائها ابن القيس ابن زنبور الذي اسلم في ايام دولة المماليك وسمى
بعلم الدين

(٣) ابو عمر منصور . هو ابن ابي اليمه المذكور كان كاتباً بليغاً وبطلاً

شجاعاً تولى الوزارة في ايام المستنصر ولكنه تخلى عنها عند ما طالبهم الجند
الاتراك بمرتباتهم ولم يكن في الخزينة ما يسد مطالبهم ولما اعتصب كبيرهم ناصر

الدولة على الخليفة قام لردعه ابو سعد على رأس العساكر الموالية فقاتله وهزمه

(٤) ابو الملبوح . الشهير بمماتي كان في خلافة المستنصر ووزارة بدر الجمالي

امير الجيوش واشتهر بالفنى وسعة الحال وعمل الخير والاحسان وسبب تسميته بمماتي انه لما اشتد الغلاء بمصر كان يجود بما عنده على المحتاجين وكان اولاد المسلمين اذا رأوه صاحوا خلفه قائلين « مماتي » فكان يشفق عليهم ويهبهم غلالا لدفع جوعهم . وهو جد أسعد بن مهند بن زكريا الذي أسلم في وزارة شيركويه في ايام العاضد

(٥) بقيرة الرشميرى . الشهير بابن بقر كان من العاملين في الأمة وحدثت

في ايامه مجاعة أظهر فيه عظفاً زائداً على المنكوبين فكان يطوف الاحياء التي يقطنها العمال والفقراء مفتقداً احوالهم محسناً اليهم وكان يقضي لبياليه في زيارة المرضى ومؤاساة المحبوسين

.....

القسم الثالث

المملوكه والكنهية

.....

(١) الحاكم بأمر الله (٢) المستنصر (٣) الحروب الصليبية

(١) الحاكم بأمر الله سنة ٩٩٦ م . ظهر في أيامه مسلم متمذهب يدعى

ضرار سن شرائع كثيرة منها تعظيم يوم الجمعة والاحتفال بالاعیاد والتعويض عن الحج بمكة بزيارة مقام طالب باليمن وأباح الزبجة بين الاخ واخته والآب وبناته والام وابنائها فارناح الحاكم لهذه الديانة الجديدة . ويظن انه كان معتوهاً اذ كان يصعد كل صباح منفرداً الى جبل المقطم حيث ادعى انه يناجى الله كما كان يفعل موسى . وبعد ان كانت أشد نصير للديانة الاسلامية نادى جهاراً بمقاومتها واقامة ديانته الجديدة مكانها فاحتقرته الرعية ولم تعد تبعاً ببدعياته فماد الى نصره الاسلام واضطهاد النصارى

قيل ان السبب الذي هيجه على المسيحيين هو انه في اثناء ادعائه الالوهية وضع دفاتر في مراکز الحكومة الاربعة وهي القاهرة ومصر القديمة والقسطاط وبابيليون لتسجيل اسماء الذين يمتنقون آراءه الباطلة فاطاعه ستة عشر الف نفس لم يكن بينهم مسيحي واحد فنقم على النصارى وأمر بحرق مدينتهم بابيليون فخرقت وسلبت أمتعتها ونهى عن بيع الزبيب حتى لا يتيسر للاقباط اتعام السر للمقدس وهجم على بيوت التجار وجمع ما كان موجوداً منه وأحرقه بالنار وكان في الجزيرة كروم كثيرة فارسل اليها أعوانه فقطعوها وخربوها عن آخرها

وكان النصارى في عهد الحاكم قد تقدموا حتى صاروا كالوزراء وتعاضلوا لاتساع أحوالهم وكثرة أموالهم فتزايد غيظ المسلمين منهم . وكان من رجال حكومة الخليفة المعز لدين الله نصراني يسمى عيسى بن بسطوروس ابث في خدمة الحكومة الى ان مات العزيز وتولى الخلافة بعده ابنه الحاكم فعزله ثم قبض عليه وقتله وكان لبرجوان وزير الحاكم نصراني آخر يسمى فهد بن ابراهيم يعرفه الحاكم حق المعرفة لانه كان يدخل اليه مع سيده برجوان ويقف بحضور الخليفة ويعرض عليه الرقاع ويشرح له المسائل ويتلقى أوامره عن كل واحدة منها ويكتب ما يأمر به فيوقع عليه . ولما قتل برجوان دعى الحاكم فهد بن ابراهيم وسكن روعه وأمنه على حياته ومنحه لقب رئيس ودعى ابا العلاء وصار يترقى في الوظائف والرتب العالية حتى أحرز لقب وزير ولكنه فيما بعد كان فهد أول من

جار عليه الحاكم من النصارى وذلك ان مناظراً له وشى به اليه بانه يقوي نفوذ النصارى ويساعدهم على سلب مال الدواوين بتفويض أمر الاموال والدواوين اليهم فغى غضب الحاكم على فهد ولم تمض ايام حتى قبض عليه وضرب عنقه بعد ان استمر في الرئاسة خمس سنوات وتسعة أشهر واثنى عشر يوماً

وقبض الحاكم أيضاً على قبطنى آخر يدعى المعلم غبريال بن نباح ووعدته بمنصب الوزارة اذا هو أسلم فاستعمله يوماً واحداً وذهب الى اهله وودعهم وحثهم على الثبات واحتمال الشدائد والاضطهادات المقبلة ومضى الى الخليفة وجاهر امامه بانه لا يترك دينه اكراماً لمنصب دنياوى فأمر بضربه الف سوط فمات قبل الضربة الثمانمائة ولكنهم استمروا يضربونه وهو مائة حتى أتموا الالف . وبعد ذلك قبض على ثمانية آخرين وهددوا فثبت منهم اربعة وأسلم الآخرون فراراً من العذاب . ومات أحد الاربعة الذين ثبتوا وأرسل الثلاثة الباقون الى السجن حتى يغيروا رأيهم واستمروا في السجن حتى انتهى الاضطهاد

وقال المقرئ يصف قساوة الحاكم وتجبره « وتشدد على النصارى وألزمهم بلبس ثياب الغيار وشد الزنار في اوساطهم ومنعهم من عمل الشعانين وعيد الصليب والتظاهر بما كانت عاداتهم فعله في أعيادهم من الاجتماع واللاهو وقبض على جميع ما هو محبس على الكنائس والديارات وادخله في الديوان وكتب الى اعماله كلها بذلك وأحرق عدة صلبان كثيرة ومنع النصارى من شراء العبيد والاماء وهدم الكنائس التي بخط راشدة ظاهر مدينة مصر واخرب كنائس المقس خارج القاهرة وابع ما فيها للناس فانتهبوا منها ما يجلب وصفه وهدم دير القصير وانهب العمامة مافيه ومنع النصارى من عمل الغطاس على شاطئ النيل بمصر وابطل ما كان يعمل فيه من الاجتماع لللاهو وألزم رجال النصارى بتعليق الصلبان الخشب التي زنة كل صليب منها خمسة أرطال في أعناقهم ومنعهم من ركوب الخيل وجعل لهم أن يركبوا البغال والحمير بسروج ولجم غير محلاة بالذهب والفضة بل تكون من جلود سود وضرب بالحرس في القاهرة ومصر وأمر أن لا يركب أحد من المكارية ذمياً ولا يحمل نوتي منهم احداً من أهل الذمة وان تكون ثياب النصارى وعمائمهم شديدة السواد وركب سروجهم من خشب الجميز وان يعلق اليهود في أعناقهم

خشباً مدوراً زنة الخشبة منها خمسة أرتال وهي ظاهرة فوق ثيابهم وأخذ في هدم الكنائس كلها وإباح ما فيها وما هو محبس عليها للناس نهياً وإقطاعاً فهدمت بأسرها ونهب جميع أمتعتها واقطع أحباسها ونبي في مواضعها للمساجد وأذن بالصلاة في كنيسة شنوده بمصر وأحيط بكنيسة المعلقة في قصر الشمع وأكثر الناس في رفع القصص بطلب كنائس أعمال مصر ودياراتها فلم يرد قصة منها إلا وقد وقع عليها بإجابة رافعها لما سأل فأخذوا أمتعة الكنائس والديارات وباعوا بأسواق مصر ما وجدوا من أواني الذهب والفضة وغير ذلك وتصرفوا في أحباسها ووجد بكنيسة شنوده مال جليل ووجد في المعلقة من المصاغ وثياب الديباج أمر كثير جداً إلى الغاية وكتب إلى ولاية الأعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات فعم الهدم فيها من سنة ثلاث وأربعمائة حتى ذكر من يوثق به في ذلك أن الذي هدم إلى آخر سنة خمس وأربعمائة بمصر والشام وأعمالها من الهياكل التي بناها الروم نيف وثلاثون ألف بيعة ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة وقبض على أوقافها وكانت أوقافاً جلييلة على مبان عجيبية وألزم النصارى أن تكون الصلبان في أعناقهم إذا دخلوا الحمام والزم اليهود أن يكون في أعناقهم الأجراس ثم ألزم اليهود والنصارى بخروجهم كلهم من أرض مصر إلى بلاد الروم فاجتمعوا بأسرهم تحت القصر من القاهرة واستغاثوا ولاذوا بعفو أمير المؤمنين حتى اغفوا من النهي وفي هذه الحوادث أسلم كثير من النصارى « اهـ

واستمر اضطهاد الحاكم ٩ سنين كانت الثلاثة الأخيرة منها أشد هولاً إذا أمر بإبطال العبادة في جميع الكنائس إلا في الأديرة الكائنة بالجبال فكان الشعب يرشون حكام الأقاليم ليسمحوا لهم بممارسة شعائر العبادة في البيوت سرّاً ومن ثم صار الأقباط يقدسون ويتناولون الانخارستيا سرّاً . فهال الحاكم عدم تنفيذ أمره بالدقة فأصدر قراراً يحجو الديانة المسيحية من كل مملكته . وضيق على القسوس وقتل منهم عدداً عظيماً وهرب كثير منهم إلى الأديرة البعيدة فتبعهم وقتلهم . واكره كثيرين من النصارى على الإسلام فأسلم منهم عدد عظيم ولكن كثيرين جاهروا بالإيمان ولم يخشوا بطش الخليفة منهم الشماس بقيرة أحد رؤسائه كتاب الديوان بهذا استعفى من خدمته وحمل الأنجيل على صدره وسار

به الى السراي واعترف قدام الخليفة بالمسيح فقيده وطرحه مع جماعة في السجن
ثم عفا عنهم وانا لهم الحرية فجالوا يثبتون اخوتهم على الايمان
واستمر الحاكم يفتك بالاقباط فتكا ذريعاً حتى اتاح لهم الحظ براهب يدعى
بيمين كان قد اسلم فلما رأى ان كثيرين صرح لهم بالرجوع الى دينهم وقف في
طريق الحاكم هو وجماعة ممن اسلموا معه ولما مر بهم صرخوا قائلين « ايها الملك
مرنا ان نعود الى ديننا او اذبحنا فاننا لا نطيع ان نبقي مسلمين » فسمح لهم بذلك
وكتب لهم مرسوماً وامر ان لا يتعرض لهم احد بمكروه . ثم قرب اليه الراهب
المذكور واعطاه اذنأ ببناء دير خارج مصر على اسم الشهيد مركوريوس وهو
المعروف بدير شهران ودير العريان الآن فسكنه مع بعض الرهبان ومن محبة
الحاكم لبيمين صار يتردد على هذا الدير ويأكل ويشرب مع الرهبان ويظهر
استعداده لاجابة طلباتهم فطلبوا منه ارجاع بطريركهم المنفى فأرجعه وسأله
امراً بفتح الكنائس المغلقة وبناء التي امر بهدمها واعادة منتهب منها وردأوقافها
اليها كما كانت . وبعد قليل مات الحاكم وتولى الخلافة بعده ابنه الظاهر سنة
١٠٢١ م فأقر الاقباط في وظائفهم ومنحهم حرية العبادة بغير معارضة واباح لهم
الاحتفاء بعوائدهم والاحتفال باعيادهم ومواسمهم

(٢) المنتصر بالله . بويغ بالخلافة سنة ١٠٣٦ م . بعد الظاهر بن الحاكم

وفي أيامه اعتنق بعض الاقباط الدين الاسلامي وحدث ان احد كبار موغاني
الاقباط كان له ولد عاص فطرده من بيته لخروجه عن طاعته فاعتنق الدين
الاسلامي وكان خاله جرجس اسقف ميساره فوعظه كثيراً لكي يرجع الى دينه
فلم يرجع فخرمه من ميراث ابيه ولكنه بعد مدة ندم وعاد الى ديانته وترهب
في دير القديس ميخائيل باسم نيقام (أي التائب) وترأى له فيما بعد ان يكفر
عن جحوده للمسيح باعلان ايمانه امام الذين كانوا يعرفونه وقت اسلامه فانطلق
الى القاهرة واجتمع بهم وهو بلباس الرهبنة فاغتاظوا منه وانهاوا عليه ضرباً
وألقوه في السجن . فسمى والده لدى القاضي ودفع له رشوة ليفتي باخراجه
فاقتى القاضي بإمكانية خروجه اذا تظاهر بالجنون ويقر الاطباء عنه انه مجنون

امام شهود فاقنعه ابوه بضرورة اتباع تلك الطريقة للتخلص من السجن فأطاعه
وخرج ابوه ليدعو الاطباء

الا ان أخذ الرهبان تمكن من الوصول اليه في السجن ووبخه على ما عزم
عليه من اتباع تلك الطريقة المشينة لشرف المسيحية فعدل عما نواه ولما تقدم
الاطباء ليفحصوه اعترف بايمانه بالثلاثة الاقانيم فاغتاز منه الشهود وقدموا عنه
تقريراً للقاضي فأمر بقطع رأسه فسيق الى مكان يدعى رأس الجسر والجماهير
تتبعه بكثرة من مسلمين ومسيحيين وقبل اعدامه عرض عليه الضابط المكلف
بذلك الاعتراف بالاسلام ووعدته بان يهبه مقابل ذلك الحصان الذي كان راكباً
ايه ويرفعه الخليفة الى أسمى الرتب فاجابه الشاب « لا تتعب نفسك مع من
ينأ كد ان كل مجد العالم لا يساوي شيئاً ييراً من ملكوت السموات الذي
يرغب الحصول عليه » فتقدم اليه الجلاد وسيفه يلمع في يده وهدده قائلاً ان لم
تنثن فهذا السيف الحاد يقطع حبل حياتك بعد ثوان فاجابه ان أية حديدة تنهي
حياتي واراد احد المؤمنين ان يغطي عينيه كي لا يجزع من رهبة الموت
ولكن لم يتمكن من ذلك لأن الجند منعوه فناده باللغة القبطية قائلاً « تشجع
يا جندي المسيح فان ملاكاً أراد فوق رأسك وييده اكليل جهادك » . ثم تحول
الشاب الى ناحية الشرق وجثا على ركبتيه وصلى ومد عنقه للجلاد فاطاح عنه
رأسه وسلم جسده لأهله بناء على أمر الخليفة ودفن بجوار كنيسة الملاك
ميخائيل وبعد ذلك حضر البابا خيروستوذولو البطريرك ودفنه في الكنيسة
بكل احترام

وكان للمستنصر وزير ضعيف الرأي سيء التدبير يسمى محمد اليازوري كان
شديد الكراهة للمسيحيين عموماً والاقباط خصوصاً لميل الخليفة اليهم فكان
يتربص فرصة للايقاع بهم فاتيحت له عند ما ابلغه عدوهم انهم شيدوا كنائس
جديدة فأمر بهدمها وبقتل جميع الكنائس المسيحية في القطر المصري فنثار
المسيحيون وكادت تقع الفتنة لولا ان الخليفة قبض على ذلك الوزير ونقاه الى
جهة تانيس بأقصى الوجه البحري وبعد ذلك قتله لانه كان يهيج المسلمين عليه
باشاعته عنه انه يمكن الاقباط من التراؤس على المسلمين . وذلك لان الخليفة

كان يعرف جيداً امانة الاقباط ونشاطهم في عملهم فثبتهم في وظائفهم رغم قيام المسلمين عليهم وطلبهم منه ان يخلعهم من وظائفهم . وحدث انه ارضاء لخاطرهم خلع مئات وعشرات من الاقباط ولكن الاعمال ارتبكت فالتمسوا منه ان يعيدهم الى وظائفهم فعادوا مبهجلين

وأصدر المستنصر بعد ذلك أمراً قصد به ارضاء خواطر المسلمين يقضي بهدم كنائس الوجهين القبلي والبحري وأنيط ذلك برجلين مسلمين ابو الفرج البابلي للوجه القبلي وكان لكلف بهدم الكنائس بالوجه البحري يدعى ناصر الدولة وكان اكثر قساوة فتخربت كنائس دمنهور واقفلت سائر كنائس الدلتا وفرض على الاقباط ضريبة سبعة آلاف دينار في نظير صبره على ايجاد الكنائس ولكنه بينما كان جاداً في ذلك وقع عن جواده بغتة فقتل لساعته وبموته كف الاضطهاد من الاقباط

أما اقباط الاسكندرية فكانوا في حال أسعد لحسن اخلاق واليهم فانه لم يكذب يتلقى أمر الخليفة بضرورة دفع الاقباط ستة آلاف دينار حتى اخطر الاكليروس به وطلب منهم ان يخفوا كل ما يوجد في الكنائس من الامتعة الثمينة ولما جاءت جنود الوالي في الصباح لسلب الكنيسة لم يجدوا فيها غير الحصر والستائر . وكتب للخليفة يعتذر عنهم بانهم فقراء لا يقوون على دفع المبالغ واقترح عليه انقاصه الى ألف دينار فقط فقبل فجمع النصف من الاقباط والنصف الاخر من الاروام . وأخذ رجال الخليفة مفاتيح جميع الكنائس ولم يعط للبطريرك الا مفاتيح كنيسة واحدة . وقيل ان رأس يوحنا المعمدان كانت محفوظة عند الاقباط نجياً وها حينئذ خشية من ان تصل اليها أيدي الناهبين

وقرب نصف هذا الجبل جاء الى مصر عرب بني هلال من بلاد نجد وكان عددهم عظيماً جداً وبموجب أمر اميرهم حسن بن سرحان وقائديهم دياب بن غانم وسلامه بن رزق المشهور بابي زيد عبروا النيل واخربوا اكثر الاديرة وقتلوا رهباناً كثيرين . وأصيبت البلاد بجوع شديد وعقبه وباء مهلك فتضافرا على جلب الشقاء على السكان حتى ان اهالي مدينة تانيس هلكوا جميعاً من الجوع بما فيهم ميخائيل اسقفهم ولم يبق منهم سوى مائة نفس

ولما اشتد الحال طلب الاقباط من جرجس ملك النوبة ان يمدهم بما يفرج كربهم فأمدهم بمئونة ارسلها مع رسل من قبله ولكن ناصر الدولة الوزير ارغمهم على العودة بما معهم من المئونة . وحدث ان امرأة قبطية كانت تملك عقداً يبلغ ثمنه ألف دينار فاستبدلته بكيس دقيق . وخوفاً من ان لا تصل به الى منزلها استأجرت قوماً يحمونها بالسيوف حتى بيتها ولما صارت قريبة منه رآه الجائعون فهجموا عليها واختطفوا الكيس بين ايديهم وأخذ كل منهم ما تمكن من اختطافه ولم تتحصل المرأة الا على ما يكفي لرغيف واحد فصعدت به على سور المدينة وصاحت بان هذا الرغيف كلني ألف دينار . فوصل الخبر مسامع الخليفة فألزم التجار بصرف ما عندهم للجائعين فانصرف الكرب

واستوزر الخليفة المستنصر بدر الدين الجمالي الارمني ليرد عنه غارات الاعداء وقيل ان بدر الدين هذا كان مسيحياً ومع انه كان يميل للمسيحيين الا انه لم يظهر ذلك الميل اليهم وروى ابو المكارم المؤرخ انه مات مسيحياً لكونه دفن في البساتين بجلوان بجوار الكنيسة الارمنية . ولما هدأت الاحوال كلف الاقباط بتنظيم الدواوين وتشكيلها على هيئة جديدة وعهد اليهم ضبط الحسابات وتحصيل الأموال فتحسنت الإيرادات وبلغ مقدار ما جبي حينئذ ضعفي ما كان يجبي قبلاً . ولما عاد المستنصر الى قوته اضطهد الاقباط كما اضطهدهم الحاكم وأمرهم بلبس الزنار الأسود وفرض الضرائب على افرادهم وكاد يستمر في طغيانه لولا خوفه من ان يغتاز منه ملك الحبشة

(٣) الحروب الصليبية من سنة ١٠٩٧ م . سميت كذلك بالنسبة

للصليبان التي كان يعلقها عساكر الافرنج في اعناقهم وعلى ثيابهم وكانوا يرومون بها انقاذ الاراضي المقدسة من يد المسلمين وسببها ان راهباً فرنسياً يدعى بطرس قصد الى مدينة القدس ليزورها كمادة للمسيحيين فرأى فيها ما هاله وهو ان المدينة المقدسة استولى عليها الترك الذين كانوا قد نزعوا سوريا من يد الدولة الفاطمية واستقلوا بها وحكموها حكماً جائراً وأخذوا في اذلال ساكنيها من

المسيحيين ومعاملة الزائرين منهم كل سنة أسوأ معاملة فمعظم عليه الامر ورجع
الى اوروبا واوقف اسقف رومية على ما شاهد فحرك الاسقف ملوك الافرنج
على محاربة المسلمين وانتزاع الاراضي المقدسة من ايديهم فاصغوا اليه ولبوا
دعوته وقاموا من بلادهم يقودون الجيوش الجرارة وجرت بينهم وبين المسلمين
معارك عظيمة أريقت فيها الدماء هدراً وبلا جدوى واستولى الافرنج على بلاد
كثيرة من ضمنها القدس واستمرت معهم اكثر من تسعين سنة الى ان خلعها
منهم صلاح الدين الايوبي سلطان مصر



القرن الثاني عشر

القسم الاول

تاريخ البطارقة

.....

(١) مقار ٢ (٢) غبريال ٢ (٣) ميخائيل ٣ (٤) يوحنا ٥ (٥) مرقس ٣

(٦) يوحنا ٦

.....

(١) مقار ٢ - البطريرك التاسع والستون . وبعد وفاة البابا ميخائيل

ترشح اثنان للبطريركية من رهبان دير ابي مقار ولم يتمكن الاساقفة من انتخاب احدهما وذلك لان أحد المرشحين كان صممه أقل من الخمسين والقانون يحظر انتخاب بطريرك ممن لم يبلغوا هذا السن وبعد مرور ستة اشهر على خلو البطريركية قرر الاساقفة في المجمع الاكليريكي الذي انعقد بالقاهرة انتخاب احدهما المدعو مقار وتمت رسامته في ١٣ هاتور سنة ٨١٧ ش و ١١٠٢ م في عهد خلافة الأمر بن المستعلي

غير انه اعترض على انتخابه لانه كان من ثمرة ثاني زواج وشروط انتخاب البطارقة تقضى ان لا ينتخب البطريرك الا ان كان ابن امه من اول زوج وبعد التحقيق ظهر للاساقفة ان اباه الذي تزوج مرتين لا أمه فوافقوا على تكريره

وقد حاول اكليروس الاسكندرية ان يلزمه قبل رسامته بالتوقيع على
تعهد بدفع مرتبات باهظة سنوية . واذ كان هذا الالب غير راغب في منصب
البطريركية امتنع بته ان يقيد نفسه باي شرط . ولما صمموا عليه وضايقوه فر
منهم وانزوى في أحد الاديرة ولكنهم اذ لم يجدوا من يصلح غيره أحضروه
رغمًا وتنازل اكليروس الاسكندرية عن غلوائهم وقبلوا ان يدفع لهم ٢٠٠ ديناراً
كل سنة فقط

وعلى أثر رسامته دعاه الاساقفة المارفع القربان في كنيسة المعلقة فهاج رهبان
دير ابي مقار لمخالفة ذلك لعادة سلفائه الذين كانوا يرفعون أول قربانهم في ديرهم .
وتنازعوا مع الاساقفة والاراخنة وألحوا طالبين عدم انقطاع عادة ديرهم فاجابوا
طلبهم وأخذوا البطريرك وانطلقوا به الى دير ابي مقار واحتفلوا به احتفالاً
عظيماً .

وفي عهد هذا البابا توفي الانبا شنودة اسقف مصر فطلب منه وجهاء الاقباط
في مصر وفي مقدمتهم الشماس يوحنا بن صاعد ان يوسم لابروشيتهم اسقفاً
عوضه وكان البطريرك غير ميال لوجود اسقف خاص في ابروشية مصر خوفاً من
مزاحمة اياه لان اسقف مصر كان يعادل البطريرك في المنزلة ويزاحمه على مركزه
ودخله فلم يجيبهم اجابة تامة بل كان يعدهم من يوم لآخر حتى أدركوا أغراضه
فتمصبوا ضده وأصروا على طلبهم حتى التزم رغباً عنه ان يكمل مرغوبهم
واستمر هذا البابا على الكرسي المرقسي ٢٦ سنة و٧ اشهر كانت كلها سلام
وفرح ثم تنيح في ٤ توت سنة ٨٤٤ ش و ١١٢٩ م

(٢) غير بال ٢ - البطريرك السيمون . في آخر حياة البابا مقار كان
في ديوان الخليفة كاتبان احدهما مسلم يسمى ابن ابي قيراط والآخر سامري
يدعى ابرهيم فوشيا للخليفة بان الاقباط يأخذون أموال الكنائس ويمدون
بها الافرنج سرّاً فغضب عليهم وأمر بأخذها الى بيت المال وبعد وفاة البابا مقار
لم يجسر الاقباط على الاستئذان في انتخاب غيره بسبب هذه التهمة التي عبرت
خاطر الخليفة . وظلوا بدون بطريرك الى ان قام الجند على هذين الكاتبين وقتلوهما

شر قتلة فقام بعدها رجل مسيحي من الملكيين يسمى ابا البركات يوحنا بن ابي
الليث فطلب منه الكتاب الاقباط ان يستأذن لهم باقامة بطريك من الوزير
الافضل بن بدر الجمالي فاجاب طلبهم وصرح لهم ان يقدموا من يختارونه وكان
بين الكتاب رجل بتول من مصر يسمى ابا العلاء بن تريك فوقع اختيارهم عليه
وكان سليل عائلة قبطية قديمة ثم اعتزل الخدمة فيما بعد وصار شماساً في كنيسة
ابي سيفين وكان الوزير قد طلب منه ان يستمر في وظيفته ولم يرد ان يتركه
لاستقامته ونزاهته فلما عرضوا اسمه عليه سمح واذن وكرس بالاسكندرية
وقدس باديرة وادي هبيب في ٩ امشير سنة ٨٤٧ ش و ١١٣١ في عهد خلافة
الحافظ بن محمد ودعى عبريال ٢

وحدث انه لما تلا الاعتراف زاد عليه عبارة لم تكن فيه قبلاً وهي قوله
(وصيره واحداً مع لاهوته) فاضطرب الرهبان لهذه الزيادة واحتجوا عليها فقال
لهم البطريك بان جمع الاساقفة قد أمره بتلاوتها فرضوا بها بشرط ان يضاف
اليها « بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة » خشية من الانسياق لهرطقة
أوطاخي فعمل برأيهم وأصدر منشوراً لعموم الكنائس يعلمها بذلك
وتوفي في عهده بطريك الارمن فطلبوا اليه ان يرسم لهم اسقف اطفيح
بطريكاً وتاج الدولة اسقفاً فامتنع في بادىء الامر ولكن لما رأى اصرارهم لبي
طلبهم ورسمها ثم رسم ٣٥ اسقفاً للإبروشيات القبطية وقد حاول بعضهم ان
يعطيه مالا فابي كلية رغبة منه في القضاء على السيمونية

واتاه فيما بعد وفد من قبل ملك الحبشة يحمل خطابين احدهما للخليفة
والاخر له . وفيها يعترض على قصر عدد اساقفة الحبشة على سبعة ويطالب اسقفاً
علاوة على الموجودين . وكانت القوانين تمنع زيادة اساقفة الكنيسة الحبشية عن
سبعة خشية استقلالها عن أمها الكنيسة القبطية لانه اذا تكامل عددهم الى
اثني عشر جاز لهم انتخاب بطريك وكان ملك الحبشة باتفاق مع مطرانها ميخائيل
يقصد من وراء هذا الطلب الوصول لهذا الغرض . فرفض البطريك هذا الطلب
واعتبره جسارة من المطران . فعاد ملك الحبشة وارسل هدية للخليفة وخطاباً
يرجوه فيه ان ينفذ طلبه فاستدعى الخليفة البطريك وطلب منه ان يتساهل مع

الملك في طلبه فاعتذر له قائلاً ان قبوله ذلك يؤول الى خروج الحبشة من تحت سلطته فاقتنع الخليفة وقبل عذره

وقد ذكرت مجلة المقتطف نقلاً عن كتاب « لباب الاداب » لواقعه اسامة ابن منقذ الكناي ما يأتي « ولقد أذكرني قول الحكيم « انما سلطات الملك على الاجساد دون القلوب » امرأ شهدته بمصر في سنة ٥٤٧ هـ وهو ان رسول ملك الحبشة وكتابه وصل الى الملك العادل ابي الحسن علي بن السلار رضى الله عنه فسأله ان يأمر البطريك بمصر ان يعزل بطرك الحبشة وتلك البلاد كلها مردودة الى نظر بطرك مصر فأمر الملك العادل باحضار البطرك فحضر وانا عنده فرأيت شيخاً نحيفاً مصفراً فادناه حتى وقف عند باب المجلس فسلم ثم انحرف وجلس على دكل في الدار وانفذ اليه يقول له ملك الحبشة قد شكك من البطرك الذي يتولى بلاده وسألني في التقدم اليك بعزله فقال يا مولاي ما وليته حتى اختبرته ورأيت ان يصلح للناموس الذي هو فيه وما ظهر لي من أمره ما يوجب عزله ولا يسعني في ديني أن أعمل فيه بغير الواجب ولا يجوز لي ان أعزله فاغتاظ الملك العادل رحمه الله من قوله وأمر باعتقاله فاعتقل يومين ثم أنفذ اليه وانا حاضر ايضاً يقول له لا بد من عزل هذا البطرك من أجل سؤال ملك الحبشة في ذلك فقال يا مولاي ما عندي جواب غير ما قلته لك وحكمك وقدرتك انما هي على الجسم الضعيف الذي بين يديك وأما ديني فما لك عليه سبيل والله ما اعزله ولو نالني كل مكروم فأمر الملك العادل رحمه الله باطلاقه واعتذر الى ملك الحبشة « اه

وبعد ذلك اعتنى البطريك بوضع ثلاثين قانوناً حظرت في بعضها ما يؤتى في الاعراس من أمور الخلاعة المغايرة لروح الدين ولبث على كرسي البطريكية ١٤ سنة و٣ شهور ثم تتيح في ١٠ برموده سنة ٨٦١ ش و١١٤٥ م

(٣) ميخائيل ٣- البطريك الحادي والسبعون . بعد وفاة البابا غبريال

اهتم الاساقفة بانتخاب خلفه فلم تتفق كلتهم على واحد وذلك بسبب مقاومة راهب من عائلة معروفة يقال له يونس بن كوران كان يريد ان يكون بطريكا وكان من حزبه لقائه من اعمال البحيرة وخيروستوذولو اسقف فوه وميخائيل

استقف طنطا . غير ان اساقفة الاسكندرية والصعيد أبوا بالاجماع قبوله واتحد رأي الكل أخيراً على اختيار ثلاثة رهبان ينتخبون احدهم بالقرعة بطريركا وهم يونس بن ابي الفتح وميخائيل من دير ابي يحنس وسليمان بن الدخياري من دير برموس فوقت القرعة على ميخائيل الملقب بأبن الدقادوسي

ومع ان هذا الراهب كان معروفاً بشدة التقوى والنسك الا انه كان لا يدري شيئاً من العلم ولم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة سواء بالقبطية أو العربية ولم ينم ذلك من انتخابه لشدة لياقته لذلك المنصب الخطير فكرسوه باحتفال عظيم في احدى كنائس بابيليون في اليوم الحادي عشر من ابيب سنة ٨٦١ ش و ١١٤٥ م في عهد خلافة الحافظ بن محمد

وحال جلوسه على الكرسي فتح الله ذهنه ووهبه قسطاً وافراً من الحكمة . ولكن لم تطل مدته سوى تسعة شهور و ١٦ يوماً وتوفي في ٣ برمودة سنة ٨٦٢ ش و ١١٤٦ م وقيل انه مات مسموماً والذي أقدم على سمه احد الرهبان المهين للعيشة الرخوة وكان البطريرك يوبخه فلم يطلق توبيخه

(٤) يومنا ٥ - البطريرك الثاني والسبعون . هو يونس بن ابي الفتح

من دير ابي يحنس احد الراهبين اللذين كانا مرشحين للبطريركية عند انتخاب البابا ميخائيل فانتخب بطريركا وأدى فروض رسامته في ١٥ بؤونه سنة ٨٦٢ ش و ١١٤٦ م في عهد خلافة الحافظ . وكانت الكنيسة القبطية في عهده تكثر من الاحتفالات الدينية فحدث ان رهبان سمنود زادوا على الاعتراف لفظة (المحيي) بعد كلمة (ان هذا الجسد) فاعترض على هذه الزيادة الانبا مكاريوس استقهم وأمرهم بتركها ولما أبوا رفع الأمر الى البابا يوحنا فعمد مجعاً من سائر اساقفة مصر وطرح المسألة أمامهم وبعد البحث أقر المجمع على هذه الزيادة واصدر البطريرك منشوراً لجميع الكنائس بقبولها ولكن رهبان دير ابي مقار احتجاجوا على المجمع وطعنوا في حكمه واثاروا غباراً عظيماً وبلغ بهم الغيظ الى رفع دعواهم امام الوالي فلما مثل الفريقان امامه ووقف على سر الخلاف سخر بهما وطردهما . غير ان الرهبان لبثوا يقاومون البطريرك طالبين حذف الزيادة

ولكنهم خضعوا أخيراً

وحدث في زمان هذا البابا ان مملكة الحبشة اغتصبها رجل من غير العائلة الملوكية وقتل ملكها الشرعى وجلس مكانه فوبخه مطران الحبشة بشدة على هذا الظلم فنقاه وأرسل البطريك يطلب منه تعيين واحد خلفه مدعياً عليه بأنه كبير وشاخ فامتنع البطريك عن اجابة طلبه فعمد ملك الحبشة المغتصب الى والي مصر وأرسل له هدية ورجاه ان يلزم البطريك بايفاد مطران من طرفه للحبشة فلما تكلم الوالى مع البطريك قال له ان مطران الحبشة لا يزال حياً فامتنع وبعد ان مضى البابا يوحنا على كرسي البطريكية ١٨ سنة و ١٠ شهور و ١١ يوماً تذيح في ١٤ بشنس سنة ٨٢٢ ش و ١١٦٦ م

(٥) مرقس ٣ - البطريك الثالث والسبعون . وبعد وفاة البابا يوحنا

اجتمع مجمع الاساقفة والشعب بالدار البطريكية لانتخاب من يليق للبطريكية فوقع اختيارهم على الارخن مرقس ابى الفرج ابى سعد التاجر الشهير والبتول الناسك وهو معروف بابن زرعة سريانى الجنس قبطى المذهب فأقيم بطريكاً في ١٨ بثوثة سنة ٨٢٢ ش و ١١٦٦ م في عهد خلافة العاضد بن يوسف ولما استقر به المنصب قام بواجباته خير قيام وانتشبت في عهده الحروب الصليبية واشتد الخلاف بينه وبين مرقس بن قنبر المبتدع كما يأتى . واستمر على الكرسي ٢٢ سنة و ٦ شهور و ٢٥ يوماً وتذيح في ٦ طوبه سنة ٩٠٤ ش و ١١٨٩ م .

(٦) يوحنا ٦ - البطريك الرابع والسبعون . كانت قبل رسامته بطريكاً

يدعى ابا المجد وكان في الاصل علمانياً يتعاطى التجارة ويتردد على بلاد اليمن في البحر حتى كثر ماله وذاع صيته وكان شريكاً لقوم يدعون باولاد الخياب فحدث مرة بينما كانوا راجعين من بلاد اليمن ان انكسرت بهم السفينة وفقد كل ما بها عدا ماله فانه كان محتفظاً به في خنادق المركب فلما رأى اولاد الخياب ان ما لهم قد ضاع حزنوا جداً ولسكن ابا المجد أعلمهم بما كان فسروا منه للغاية وارتفعت قيمته في أعينهم وأرادوا ان يكافئوه على فعله الحسن فرشحوه لكرسي البطريكية

وكانت فضائله قد اشتهرت للخاص والعام فوافق الكل على انتخابه وكان له من النقود سبعة آلاف دينار فوزعها جميعها على الفقراء والكنائس وقيل انه كان متزوجاً ولما ماتت زوجته لم يشأ ان يتخذ له زوجة غيرها وآثر العزلة . ومع ان القانون يحتم ان الذي ينتخب بطريركا لا بد ان يكون أعزب من بدء حياته الا ان علم ابي المجد الواسع وقضيلته الزائدة أكسباه الافضلية على جميع المرشحين لذلك المركز السامى . ولم تكن له رغبة في نيل هذا المركز بل لما توفي البابا مرقس كان يسعى لدى الحكام في تعيين آخر مكانه فاشار بعض أصحاب الكلمة من المسلمين على كبار الاقباط باختياره لهذه الوظيفة لاهليته فقبلوا هذه المشورة وانتخبوه في ٤ امشير سنة ٩٠٥ ش و ١١٨٩ م في عهد سلطنة صلاح الدين الايوبي ولم يعارض في انتخابه أحد ودعى يوحنا السادس

وبعد ذلك وصله خبر وفاة مطران الحبشة فعين بدله كيلوس اسقف فوه التي كان شعبها جميعه قد قتل بسبب الحروب الصليبية ورفاه لدرجة المطرانية وسافر للحبشة فقبول باحتفال عظيم ترأسه الملك نفسه ولكنه عاش في بلاد الحبشة عيشة اترف وكان له عشرة قسوس بصفة تلاميذ وحدث مرة انه فقد من كنيسة ا كسيوم عاصمة المملكة آنية من الذهب عظيمة القيمة فحصر المطران الشبهة في امين خزائن الكنيسة وهو أحد تلاميذه فأمر بضربه حتى أسلم الروح فثار عليه أهله وأرادوا ان يفتكوا به ولكنه لاذ بالفرار واتى الى مصر فأندهش البطريرك وسأله عن سبب مجيئه فاجابه ان اخا الملكة اغتصب الرئاسة منه لعدم موافقته له في بعض امور تخل بالدين فلم يقبل البطريرك منه هذا القول قضية مسالة بل انفذ على الفور مندوباً من قبله بكتاب منه لملك الحبشة يشف عن اهتمامه بصالح التابعين لرئاسته وان كانوا بعيدين عنه واناط المندوب بتحقيق المسألة بكل دقة وحجز الاسقف عنده حتى يعود المندوب . وبعد سنة عاد المندوب وعرض على البطريرك نتيجة التحقيق وارسل ملك الحبشة مع المندوب بعض كبار مملكته وقسيسه الخاص ليشهدوا امام البطريرك في وجه المطران بالذنب العظيم الذي اقترفه وطلب من البطريرك ان يرسل له مطراناً غيرد وصحبهم بكتاب

وهدية سنوية لملك مصر وهو اذ ذاك الملك العادل وطلب اليه ان يأذن للبطريرك في تعيين مطران آخر . واذ كان الملك غائباً في سورية منهمكاً في مقاتلة الافرنج والقائم باعباء المملكة ولده الكامل فقبل منهم الهدية واذن للبطريرك ان يجيب طلب الملك

ولكن لشدة محافظة البطريرك على واجباته وحرصه على القوانين امتنع عن اجابة الطلب في الحال فجمع جمعاً حافلاً من رؤساء الكهنة وكبار الامة واحضر المطران وبعد تلاوة القضية بحضوره سأله اذا كان لديه ما يدفع به التهمة عن نفسه واذ لم يقو على ذلك حكم المجمع بتجريدده من رتبته ومن كل درجة كهنوتية قبل الشروع في انتخاب وتعيين آخر عوضه . ولما كان اليوم المعين لتجريدده هرع الناس من كل جهة من اقباط ومسلمين الى المكان الذي اعد للاحتفال لمشاهدة هذا المنظر الغريب وتقاطر الناس افواجاً افواجاً حتى بلغت اجرة الحمار في ذلك اليوم ثلاثة دراهم . ولما كانت الساعة المعينة اتي به امام المجمع بملابسه الرسمية وبعد تلاوة الحكم نودي عليه بالتجريد فمزقت ملابسه من على جسمه . فكان يوماً مشهوداً لم يسبق له نظير وصار الناس يتحدثون بهوله اياماً

وقد انتخب البطريرك اسقفاً غير هذا للجبشة من دير الطونينوس يدعى اسحق فقام بخدمتها بحزم زائد ونال فيها مركزاً سامياً وحسب في عداد القديسين ومن مآثره انه استحضر من بلاده المصرية رهطاً من بني قومه الاقباط نقشوا حجارة زين بها كنائس الجبشة وجعلها ذات رونق بهيج اعجب به الناظرون وعاش اربعين سنة بين الاحباش في صفاء وهناء

وحدث ايضاً في ايام هذا البابا ان قسماً من البشعور تحمل فتزوج مرة ثانية فطرده من كانوا تحت رئاسته فمضى الى الاسكندرية وصار يؤدي الخدمة الدينية في كنائسها فلما وصل خبره الى البابا يوحنا استاء استياء عظيماً ووبخ اكليروس الاسكندرية وسن قانوناً يقضى بانه لا يجوز لاية كنيسة ان تقبل كاهناً غير معروف بدون ان يكون معه تصريح رسمي من رئيسه

وبعد ذلك بقليل توفي البابا يوحنا في ١١ طوبه سنة ٩٣٢ ش و ١٢١٦ م بعد ان قضى على الكرسي ٢٧ سنة وكان لموته رنة حزن لانه كان محبوباً من

الجميع من اقباط ومسلمين وكان من اشد الناس حزننا عليه بطريك الروم الارثوذكس
فقد شوهد يبكي عند تشييع جنازته بكاءً مرّاً . غير انهم دفنوه بغير ان يحتفلوا
به احتفالاً عظيماً لان من عادة المصريين ان يعجلوا بدفن موتاهم ولما كان موته
بغثة لم يتمكن احد من اساقفة الابروشيات من حضور جنازته

وقد شهد احد المؤرخين المسلمين عن البابا يوحنا بانه عاش حياته زاهداً في
المال فالغنى السيمونية وكان مثيراً فلم يشأ ان يتقل على الامة في شيء بل عاش كل
ايام رئاسته يصرف على نفسه ومن معه ويتصدق على الفقراء من ماله الخاص
وابى اجابة مطالب الاسكندر بين الباهظة حفظاً لمال الوقف ولهذا توفرت الاموال
بالبطريركية فكانت سبباً في طمع داود بن لقلق والسعي للاستيلاء عليها

وفي ايام هذا البابا بطل ارسال الاساقفة الى الخمس المدن الغربية وذلك ان
تلك البلاد التي كانت تابعة للكرسي المرقسي والتي استمرت الكنيسة المصرية
ترسل اليها الاساقفة بانتظام من القرن الاول للقرن الخامس الذي حدث فيه
الانشقاق المحزن وقام الامبراطرة الرومان يقاومون البطارقة المصريين وعقبهم
ملوك المسلمين بعد الفتح العربي فشدوا عليهم النكير حتى اقبل اهل الخمس المدن
على الدخول في الديانة الاسلامية افواجاً وبطل ارسال الاساقفة اليها من عهد
هذا البابا الى الآن

.....

القسم الثاني

مشاهير الكنيسة

.....

(١) الاسعد ابو الخير (٢) السيدة ترفه (٣) ابو البركات (٤) الانبا

ميخائيل اسقف دمياط

.....

(١) الاسم ابو الخير . هو جرجه بن ابي وهب الشهير بابن الميقاط
اشتهر بين عظماء الاقباط في عهد خلافة العاضد . تعرض له الوزير شاور الذي
أحرق مصر القديمة وادعى عليه بان له علاقة بمساكر الصليبيين وانه يخبرهم سرّاً
وبناء على ذلك قبض عليه ووضع تحت العذاب حتى مات . وهو رأس لعائلة اشتهر
أمرها فيما بعد منها ابو الفتوح بن الميقاط الذي ترأس ديوان الجيوش في ايام
الملك العادل

(٢) البيرة ترفه . من مصر القديمة عرفت بالغنى واشتهرت بالتقوى
الزائدة والغيرة في عمل الخير ومن مآثرها انها انققت من مائها الخاص على تشييد
كنيسة على اسم ابي نفر وأعدت باعلاها مكاناً واسماً ليكون ديراً للعذارى
الراغبات في البتولية وانققت ايضاً على نسخ جملة كتب ووهبتها للدير ونقشت
اسمها على لوح خشب ووضعت فوق الباب الذي تدخل منه النساء الى الكنيسة

(٣) ابو البركات . هو ابن ابي الليث كان رئيس ديوان المجلس وشي
به بعض الحاسدين الى الخليفة بان له مراتب باهظة وانه يختلس اموال الحكومة
ويستخدم اقاربه ويفضلهم على غيرهم فلم يسمع لهم الخليفة واقره في منصبه الا
انه قتل في سنة ٥١٨ هـ

(٤) الانبا ميخائيل اسقف دمياط . كان من علماء ذلك العصر وجمع
قوانين الكنيسة الى مجموع واحد وألف كتاب البقية لمن طلب لنفسه الخلاص
والنجاة من يوم القصاص

القسم الثالث

المملكة والكنهية

.....

- (١) الحروب الصليبية وتأثيرها على الاقباط في عهد الخليفة
الأمير بن المستعلي (٢) الحافظ (٣) الظافر (٤) شاور وشيركويه
(٥) الدولة الايوبية . صلاح الدين يوسف ووزيره بهاء الدين

.....

- (١) الحروب الصليبية وتأثيرها على الاقباط في عهد الخليفة الأمير بن
المستعلي سنة ١١٠١ م . وحاول الصليبيون أخذ مصر ولكنهم فشلوا ولشدة
غیظهم من عدم مساعدة الاقباط لهم اصدروا قانوناً يمنع اقباط مصر والسودان
من زيارة القبر المقدس وحملهم على ذلك ايضاً اعتبارهم ان الاقباط هرطقة مع ان
هؤلاء كانوا يتمنون لهم الفوز في مبدأ الامر ولكنهم علموا فيما بعد انهم
لا يستطيعون مع اللاتين المتغطرسين باكثر مما يستطيعون مع المسلمين وقد ادركوا
ذلك من ان اسقف رومية اصدر أمراً الى الصليبيين بضم البلاد التي فتحوها
الى بطريركية اللاتين في اورشليم وكانوا ينوون لاقباط مصر ما نووه لغيرهم
ولكنهم ارتدوا بالخيبة في هجمتهم عليها مرة ثانية
واطمان بال الافضل بن بدر الجمالي وزير الامر باحكام الله على مصر وتحصل
الاقباط في ايامه على خير جزيل واسكنه لما رأى كثرة توالي هجوم الصليبيين

على مصر وارتكابهم الفظائع في كل بلد يدخلونها تفر قلبه وقلوب المسلمين من كل نصراني مهما كان مذهبه وجنسيته ووقع الاقباط من جراء هذه الحروب تحت سخط مواطنيهم مع ان الاقباط كانوا في نظر الافرنج هراطقة كالمسلمين ولم يساموا من شرهم حتى انهم لما وصلوا الى مصر اول مرة نزلوا بمدينة تسمى الفرما وقتلوا جميع من فيها بدون تمييز بين مسلم أو نصراني

ونال الاقباط من جراء الحروب الصليبية شر آخر وذلك انه لما طالت مدة الحرب احتاجت الحكومة المصرية الى نفقات جسيمة فقرضوا جزءاً عظيماً منها على الاقباط فتضايق منهم كثيرون حتى ان بعضهم اضطر الى بيع املاكه لدفع المطلوب منه واصبح الكثيرون فقراء وهكذا اتخذ المغرضون الحرب وسيلة لاضطهاد النصارى . وكان في ديوان الخليفة كاتبان احدهما مسلم يسمى ابن ابي قراط والآخر سامري يدعى ابراهيم قوشيا للخليفة بان الاقباط ينفذون سرّاً الى الافرنج اموالاً يأخذونها من الكنائس فغضب عليهم وأمر بضم اموال الكنائس لبيت المال اما الواشيان فقام عليهما الجنود وقتلوهما شر قتلة

ومع ذلك كان الأمر يكثر من التردد على دير نهبيا بالجيزة ويقم به أياماً للنزهة . وكان في كل مرة يأتي اليه ينعم على رهبانه بآلف درهم حتى بلغ ما نالوه منه اكثر من ثلاثين ألف درهم . وفي اول مرة نزل به انعم عليه بثلاثين فدان بلا مال بناحية طهرمس بالجيزة . وهذا الدير هو الذي قال فيه ابن البصري الشاعر في قصيدة له

يا دير نهبيا ما ذكرتك ساعة الا تذكرت السواد بمفرقي
يا دير نهبيا ان ذكرت فاني أسمى اليك على الخيول السابق

(٢) خلافة الخليفة الحافظ سنة ١١٣٠ م . وفي ايام الخليفة الحافظ لدين الله

تولى منصب الوزارة رجل ارمني شقيق بطريك الأرمين فهدأت احوال الاقباط وتمزز مركز المسيحيين . غير ان المسلمين ثاروا على الوزير بحجة انه أوجد للمسيحيين نفوذاً قد يمكنهم من استعادة السلطة الى قبضتهم . وكان زعيم هذه الثورة رجل يدعى رضوان فقدم برجاله على مصر القديمة وبايليون والقاهرة

حيث كلن يسكن المسيحيون وأمر من معه بسلبهم ونهب امتعتهم وجعل همه الضغط على الاقباط ومصادرتهم وألزمهم بركوب الحمير والبغال دون الخيل وشد الزنلر ولبس الغيلار كما ادعى عليهم بانهم غير اكفاء للوظائف وضاعف الضرائب المقررة عليهم . غير ان المسلمين الذين كانوا يعلمون شدة احتياجهم لكفافة الاقباط العامية تقموا على رضوان ولم يمكنوه من ذبحهم

وفيما بعد غرس الافضل الوزير بستاناً بالروضة بجوار كنيسة الملاك ميخائيل المختارة واحاطه ببناء بلغ اسوار البيمة فطلب المهندس من الاقباط رشوة لكي لا يقرب من الاسوار فوعدهم ولكن لفقرهم لم يوفوا الوعد فانتهد ذلك المهندس حدوث زلزلة دمرت بعض المنازل وعقبتهها ظلمة دامسة واسرع برجاله الى البيعة ودمرها .

وكان الآب ميخائيل اسقف صهرجت قد اعتنى بتجديد كنيسة منية زقى وومها قوتب عليه المسلمون واغتصبوها وحولوها الى مسجد فرقع الاسقف شكواه الى رضوان المذكور فادعى الذين اغتصبوها انها بنيت حديثاً ولما اثبت انها قديمة أعيدت اليه

(٣) معروفه الظافر سنة ١١٤٩ م . وفي ايامه اشتد ساعد طايح بن زريك الارمني فارتقى الى منصب الوزير الاول في مصر ولم يكتف بذلك بل نادى بنفسه ملكا ودعا نفسه الملك الصالح فتجبر على الاقباط وضايقتهم مضايقة شديدة وواقع بهم شراً عظيماً ومن ذلك ان مدينة المطرية التي كانت ولا تزال معتبرة عند الاقباط مقدسة لتشريف المسيح اياها حتى سكن بها كثيرون منهم وبنوا فيها جملة كنائس فاغتصب الملك الصالح احدى تلك الكنائس وحولها جامعاً

(٤) معروفه العاضر ووزارة شاور وشيركويه . وفي مدة خلافة العاضد بن يوسف الذي تولى سنة ١١٦٠ م استوزر رجلا يسمى شاور الذي لما تضايق من الصليبيين أحرق القسطنطاط (مصر القديمة) حتى لا يعسكر فيه الافرنج فكانت هذه مصيبة أخرى لان معظم سكانها كانوا اقباطاً فهلك منهم كثير ومن نجا من

النار خرج هائماً لا يدري الى اين يذهب واستمرت النار متقدمة أياماً وذهب في ذلك الحريق امثلة الاقباط المساكين واصبحت منازلهم آثاراً بالية ولم يظهر من البناء سوى قباب الكنائس ولم يكن في وسع الاقباط حينئذ ان يبنيوا كنائسهم الا في مكان أو اثنين بما التقطوه من الحجارة للمتفرقة التي أوقعتها النار من البيوت والكنائس . ولبت الكهنة الذين لم يهربوا من النار يحرصون تلك الانقاض وبعد حين وجد الاقباط ست كنائس باقية داخل حصن الرومانيين ففرحوا بها فرحاً عظيماً . ومن أشهر الكنائس التي احترقت حينئذ كنيسة دير ابي سيفين

وبعد مدة قتل شاور واستوزر بعده شيركويه ولكي يرضى هذا الوزير الجديد خواطر المسلمين الذين اشتدت كراحتهم للنصارى بسبب الفظائع التي كان يرتكبها الصليبيون تمدي على الاقباط وسامهم عذاباً أليماً فنهب منازلهم وفضح نساءهم واغتصب بعضهم الى الاسلام . ومن ذلك ان راهباً من دير ابي مقار نزل الى القاهرة ليبتاع شيئاً فدعوه الى الاسلام فأبى فقتلوه وأشعلوا النار في جثته فلم تحترق فأخذها النصارى ودفنوها في كنيسة ابي سرجه . ثم هجم شيركويه ورجاله على الكنائس التي بضواحي القاهرة فهدموا وهدموا كنيسة الحمري بحارة الروم والزهري في بر الخليج غربي باب اللوق ونهبوا ما وجدوا بهما من الامتعة ثم أزم شيركويه النصارى بشد الزناير على أوساطهم ومنعهم من ارخاء الذؤابة المعروفة بالعذبة وقرر عليهم مغارم باهظة وحرّمهم من التوظيف في الوظائف الرئيسية في الدواوين . أما نصارى الصعيد فباعوا أنفسهم للعربان وتراموا عليهم فادخلوهم في حمايتهم وبهذه الطريقة نجا كثيرون منهم من الموت لكنهم صاروا بذلك عبيداً للعرب

وكان بين الكتاب النصارى رجل يسمى زكريا بن ابي المديح مماتي فكتب رقعة رفعها الى أسد الدين شيركويه يلتمس منه ان لا يمنع النصارى من ارخاء العذبة وقد صدرها بالبيتين الآتيين

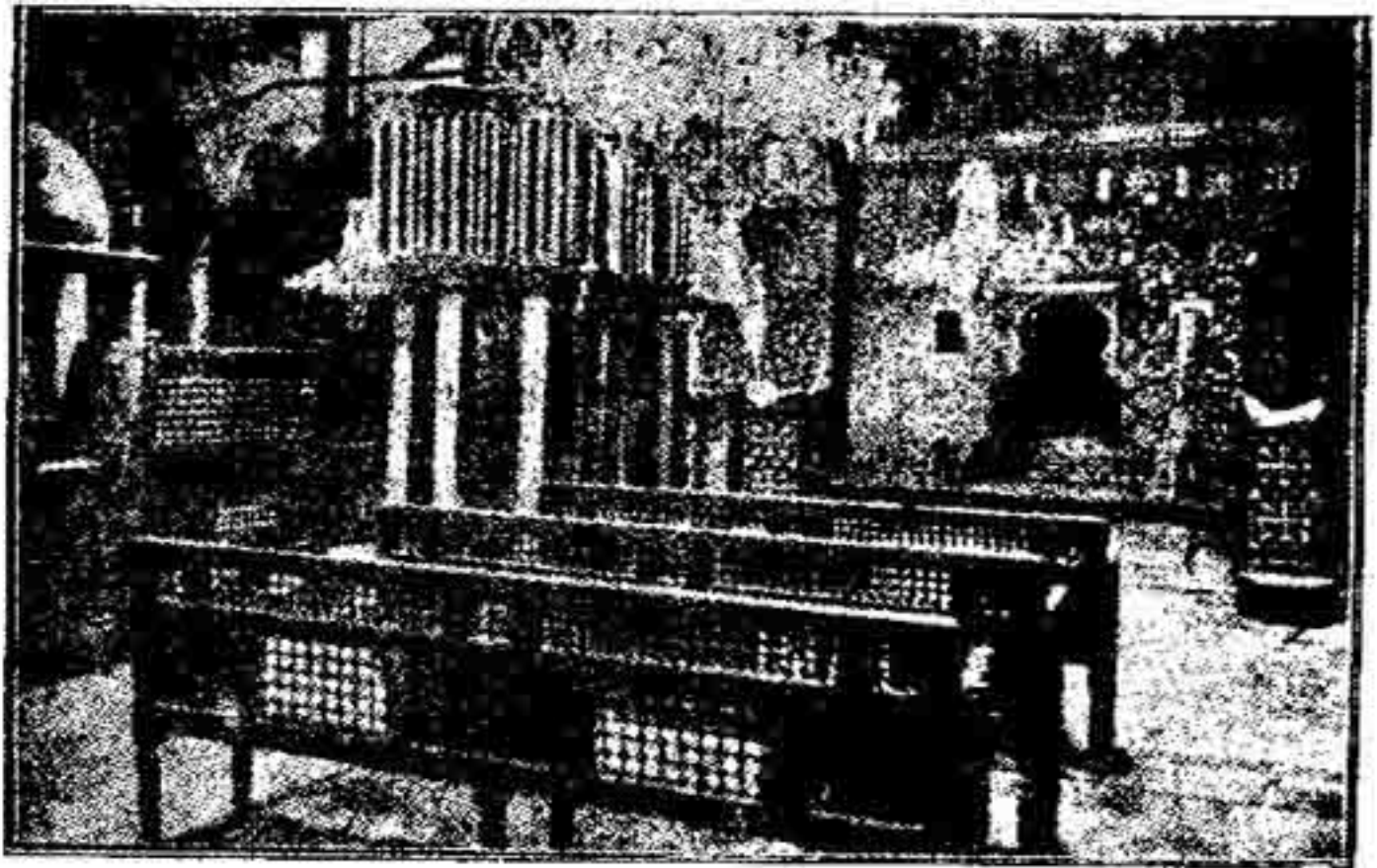
يحفظ فينا سنة المصطفى
فوالذي أوجب كشف القفا

يا أسد الدين ومن عدله
كفى عياراً شد أوساطنا

فلم يجب طلبه . وكان زكريا هذا من نصارى اسيوط ولما أسلم دعى الاسعد
ابن شرف الدين وولي ناظراً على الدواوين وكان شاعراً مجيداً وكاتباً بليغاً
ومن شعره

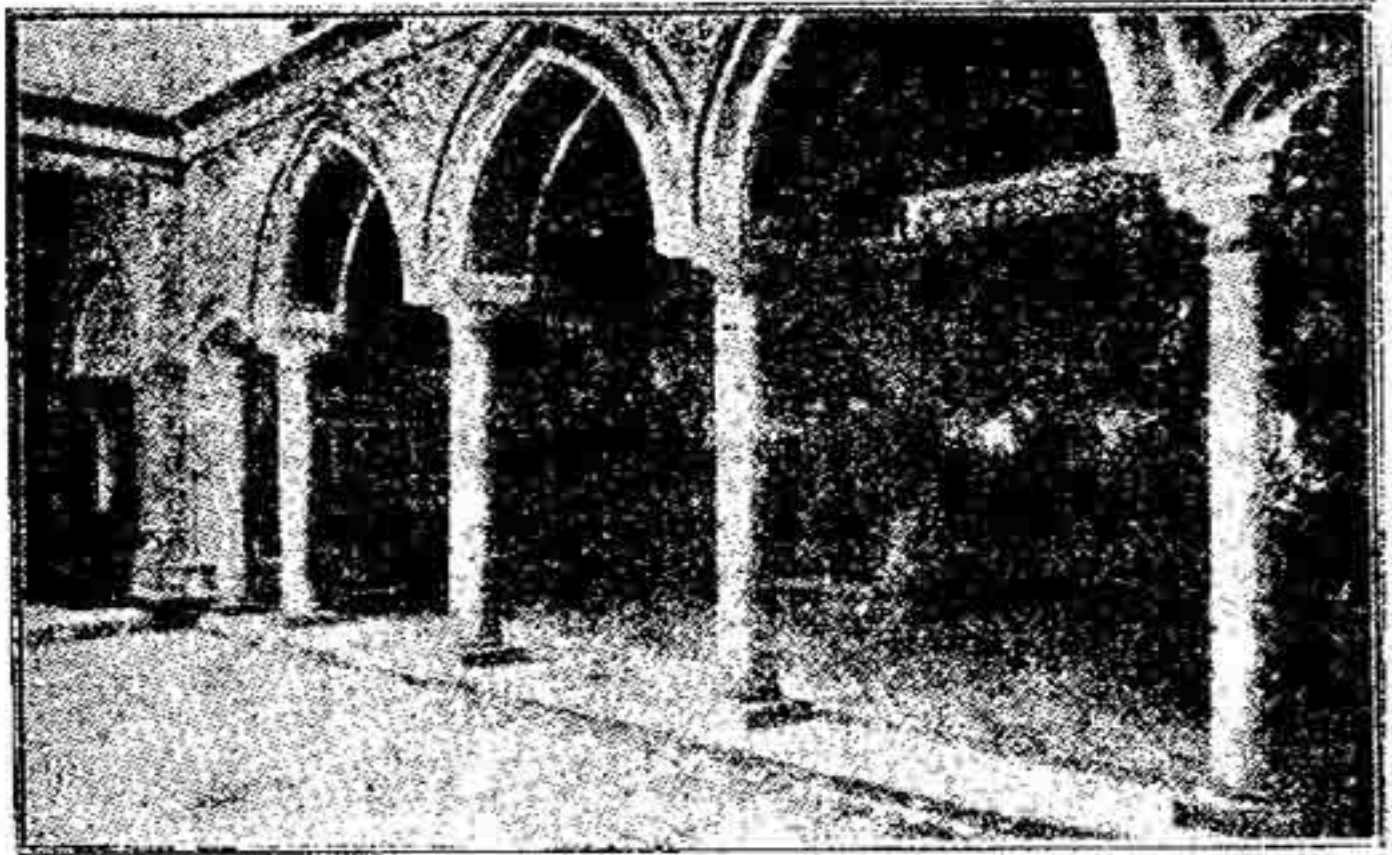
تعاتبني وتنبى عن أمور سبيل الناس ان ينهوك عنها
أتقدر أن تكون كمثل عيني وحقك ما علي أضر منها

وبموت الملك العاضد انتهت الدولة الفاطمية وكان الاقباط في آخر عهدا رغم
ما حل بهم متقلدين زمام الوظائف الحسابية التي وضعوا لها قواعد دقيقة لا يمكن
سواهم من ضبطها وكانوا قد اتقنوا اللغة العربية ووضعوا فيها مؤلفات تشهد
لهم بالمقدرة التامة ونقلوا اليها مؤلفات كثيرة من القبطية واليونانية وقد عرفت
الحكومة قدرهم فصارت تلقبهم بالقباب التفضيم (كالرئيس . وهبة الله . والامجد .
والاسعد . والشيخ . ونجيب الدولة . وتاج الدولة . ونجر الدولة)
وكانت معظم الصنائع والفنون بأيديهم وكان اتقانهم لها بالغاً منتهاه ولا تزال
بقايا صناعاتهم موجودة الآن في الاديرة والسكناس القديمة بحارة زويلة وحارة



« كنيسة المعلقة من الخارج بمصر القديمة »

الروم ومصر القديمة وكنيسة المعلقة كما انهم لم يهتموا علم الطب فاشتغلوا به ونالوا
منه حظاً وافراً واهتموا بعلم المواقيت وألفوا فيه مؤلفات واسعة وصل
اليها بعضها



« صورة كنيسة المعلقة من الداخل »

(٥) الدولة اللبونية . صلاح الدين يوسف وزيره براء الدين .
تولى صلاح الدين كرسي الوزارة سنة ١١٦١م فحكم على الاقباط ان يعلقوا أجراساً
في أعناقهم وأمر ان تنزع الصلبان الخشب من فوق كل كنيسة وتطلى كل قبة
كنيسة بيضاء بالطين الاسود وبعدم دق النواقيس في سائر الكنائس . وكان
من عادة النصارى ان يزفوا في عيد الشعانين الصليب في الشوارع في كل بلدة
وكل مدينة فمنعهم من ذلك وأمرهم ان لا يصلوا في الكنائس الا باصوات منخفضة
فكانت هذه الاوامر عاملاً على تهيج المسلمين وبضغهم لهم اكثر فاضطهدوا الاقباط
في كل مكان واغتصبوا كنائس كثيرة وحولوها الى جوامع وألزموا عدداً من
المسيحيين باعتناق الاسلام

وحدث أيضاً ان ظهر رجل بمدينة قفط التي كان معظم سكانها أقباطاً وادعى انه ابن العاضد آخر الخلفاء الفاطميين فتبعه كثيرون وجأهروا بالعصيات على صلاح الدين فأرسل لهم جيشاً تحت قيادة اخيه فأحاط بالمدينة وخربها ونهبها وقبض على ثلاثة آلاف رجل من سكانها وعلقهم في عمائمهم على الاشجار التي كانت حول المدينة ومن ثم لم تقم لقفط قاعة وهي الآن قرية حقيرة . وبعد ذلك وضع صلاح الدين يده على ممتلكات الاديرة والكنائس وانعم بها على أعوانه واتباعه

جلس صلاح الدين على كرسي السلطنة سنة ١١٧١ م وفي اثناء انشغاله بالحروب في سوريا لاح لملك النوبة ان يفتن تلك الفرصة ويستولي على مصر فوصل الى اسوان وأسر كثيرين من المسلمين فسير اليه صلاح الدين جيشاً فحاصر قلعة دير ابريم وفتحها عنوة واستخلص الاسرى المسلمين ونهب المدينة وقتل اكثر سكانها وامر اسقفها وطلب منه اموالا واذ لم يجد عنده شيئاً باعه مع الاسرى وقبض ثمنه

وكان عرش مصر في اثناء اشتباك صلاح الدين في المعارك مسنداً الى الوزير بهاء الدين احد خصيانه السود فارتأى هذا ان يرمم اسوار المدينة فساق اليها المصريين من مسلمين ونصارى معاً ليشتغلوا فيها فنقم الكل عليه وصار الاولاد يمثلون به ويلقبونه باسم « قراقوس » ولا يزال الى اليوم من يقيمون حفلات استهزاء بهذا الاسم . وتعمد مضايقة الاقباط مضايقة شديدة فاول عمل اتاه ضددهم انه رفت كل الموظفين منهم في جميع دوائر الحكومة ولم يبق منهم فيها الا من أسلم على يد شيركويه وبعده . ثم عاد فارجمعهم من نفسه لما رأى استحالة قيام الاعمال المصلحية وانتظامها بدونهم . بل ان السلطان نفسه لما تحقق امانتهم اتخذ له منهم كاتباً خصوصياً من عائلة قديمة شريفة يعرف بعائلة شرافي وكان ابوه من مشاهير الحكومة في ايام العاضد يسمى بابي المعالي ومنحه صلاح الدين لقب الشرف والرئاسة فدعاه بالشيخ الرئيس صني الدولة بن ابي المعالي . وكان محبوباً وبتى في خدمته حتى مات . وكان الأرمن قد هاجروا من مصر وتركوا كنيسة بالقسطنطينة بها السلطان على فقيه دمشق يسمى بهاء الدين فطلبها

صني الدولة للاقباط فأعطاها صلاح الدين لهم ولما تحقق صلاح الدين من اخلاص
الاقباط وهبهم اعظم مكان في بيت المقدس وهو الدير المعروف الآن بدير
السلطان نسبة اليه

وتجاسر حينئذ راهب يدعى جالوش وكتب ينم في الرهبان للوزير مدعياً
عليهم بانهم على علم تام بعلوم السحر والتنجيم والرقى ولحم دراية بكيفية صنع
الذهب والفضة الامور التي يخالفون بها اوامر الانجيل فأمر الوزير بعض جنوده
بفحص الشكوى فساروا الى وادي النظرون واوقعوا بشيوخ الرهبان اهانة
كبيرة واتوا بهم مقيدين الى الوزير الذي فخص أمرهم فوجدهم ارباء فاطلق
سبيلهم .

ولكن حدث ان جماعة من الاقباط ومنهم اثنان من كبارهم احدهما يدعى
ابو سعيد بن ابي الفضل بن فهد النحال والآخر ابو اليمين بن ابي الفرج من
عائلة زنبورة الشهيرة احتفلوا في احد الايام في كنيسة الارمن التي وهبها السلطان
لهم بعيد الشعانين وكان مع خدام ابي سعيد وابي اليمين اناء فيه زيت خاص من
الزيتون ليقدّموا منه لمواليهم ولما لم يجدوه اتهموا حراس المسلمين بانهم سرقوه
وأدى الحال الى وقوع مشاجرة بين الخدام والحراس تعدى فيها اولئك على
هؤلاء بالضرب فرفعوا أمرهم الى بهاء الدين الفقيه الدمشقي صاحب البساتين التي
حول الكنيسة فقص الخبر على السلطان وهذا أحضر صني الدولة واستعاد منه
الامر الذي اعطاه له بأخذ الكنيسة واغلاق ابوابها ولسكنها أعيدت بالتماس صني
الدولة ثانية

ومما يستحق الذكر انه في اثناء حصار الصليبيين لدمياط سنة ١٠٧٢ م حدث
ان وزيراً قبطياً لاقى الصعوبات في سبيل الاستئذان ببناء كنيسة على اسم الست
بربارة وناله بعد الجهد وشيد تلك الكنيسة التي لا تزال للآن بمصر القديمة .
وقد دفعته الغيرة الدينية على تجديد كنيسة القديس ابي سرجة فغضب منه
الخليفة اذ لم يأذن له الا ببناء كنيسة واحدة وامر بارسال العمال بالمعاول
والنفوس لهدم احدي الكنيستين كما يختار الوزير فحزن الوزير حزناً عظيماً حتى
مات في الحال فأسف عليه الخليفة ولم يشاء هدم احدي الكنيستين



(كنيسة أبي سرجه بمصر القديمة)

○○○○○○○

القسم الرابع

البرع والانشقاق

(١) انشقاق مرقس بن قنبر (٢) مبادئ ابن ياسر القسطل

○○○○○○○○

(١) انشقاق مرقس بن قنبر . رسمه اسقف دمياط كاهناً لاحدى بلاد

الصعيد وكان حائزاً على قسط من العلوم والمعرفة فضلاً عن معرفة اللغتين العربية والقبطية وكان يحسن اللغة اليونانية فترجم منها بعض الكتب ونقلها الى العربية وألف ايضاً جملة كتب نأدى فيها بعبادىء مخالفة لمبادئ الكنيسة المرعية فجاءه بعدم فائدة البخور وطلب الاساقفة والعلمايون من البابا يوحنا الخامس ان يحرمه فتمهل عليه لعله يرجع عن غيه ولكنه سمع عنه فيما بعد انه ترك زوجته وصار راهباً طمعاً في الحصول على رتبة الاسقفية فتأكد البطريرك من سوء تصرفه وحرمه وقطعه من شركة الكنيسة فلم يبالي بذلك بل دأب على القيام بالوعظ والتبشير ولما كان يتبعه كثيرون قاوم ايضاً عادة الختان بحجة انها خاصة باليهود لا بالمسيحيين

ولما تبوأ الكرسي البطريركي البابا مرقس بن زعرة كتب اليه اساقفة وعلماء الصعيد يرجون منه ان يتلافى الخطر المحدق بالكنيسة من جراء الفتن التي يجتهد مرقس في ايقاظها فاستقدمه البطريرك اليه ونصحه فقبل النصيحة واعترف بخطائه فخل من حرمه ورجع الى بلده ولكنه عاد الى سيرته الاولى فلما رأى البطريرك ذلك عقد مجمعاً من ٦٠ اسقفياً وافق فيه على حرمه وتجريده من رتبته الكهنوتية .

فطلب مرقس من الحكومة المصرية ان تنظر في دعواه فرغب الحكام ان يتدخلوا في امره ولكن البطريرك والاساقفة ابوا بالملكية قبول طرح المسألة امام الحكام وارتضوا بتحكيم الاب ميخائيل بطريرك انطاكية فسمى هذا جهده لايجاد الصلح ولكنه لم يفلح . وبعد ذلك رأى مرقس بن قنبر ان يرتقى في احضان الكنيسة الملكية وكانت حينئذ ضعيفة النفوذ فرجع مرقس منها بعد قليل نادماً طالباً من البطريرك ان يقبل توبته ولكن الاقباط ازدروا به لكثرة تلونه وكان اتباعه قد رجعوا الى كنيستهم الاصلية فعاد ثانية الى الكنيسة الملكية ولكنها لم تقبله لعدم ثباته فبقى مدة حياته مطروداً

(٢) مبادئ ابن ياسر القسطل . كان قسماً طالماً فاضلاً أراد اصلاح

بعض الطقوس والعادات الاجتماعية فرأى منعا للشا كل الزوجية ان يرى الخطيبان احدهما الآخر . واثبت ان الختان ليس فريضة دينية . وأشار بتربية الشعر ووجوب كشف الرأس حال الصلاة . ومع ان كثيرين قبلوا آراءه بارتياح الا انه اضهد من اجلها ولكنه لم ينن بل ألف رسالة اثبت فيها مبادئه فقطعوه واخرجوه من ديره الموجود للان بالعدوية وكان من الاديرة الفخيمة التي يفد اليها كبار الامة لقضاء ايام فيها ترويحاً للنفس

وكان بجوار هذا الدير بستان واسع انشأه هذا القس من ماله الخاص فأخرج منه وراق فيما بعد في نظر ابن الحافظ احد خلفاء الدولة الفاطمية فاتخذه لنفسه وصار ملكا للفاطميين حتى ملكت في مصر الدولة الايوبية فأل امره اخيراً الى طفتكين اخى الملك صلاح الدين الكروي فضم اليه كل البساتين المجاورة له وكانت للاقباط وجعلها بستاناً واحداً وكان بتلك الجهة كنيسة تسمى كنيسة السودان فاستولى عليها ايضاً وهدمها

وكان لابن ياسر صديق يهودي فتباحثا معاً كثيراً ارادة ان يقنع احدهما الآخر ويجذبه الى ديانته فتمكن ابن ياسر من اقناع اليهودي فأمن بالمسيح وصار عضواً بالكنيسة القبطية وتعلم لغتها ورسم شماساً في كنيسة حارة زويله .



القرن الثالث عشر

القسم الاول

تاريخ البطارقة

.....

(١) كيرلس ٣ (٢) اثناسيوس ٣ (٣) يوحنا ٧ وغبريال ٣

(٤) ثيودوسيوس ٢

.....

(١) كيرلس ٣ - البطريرك الخامس والسبعون . لم تمر مدة وجيزة على

انتقال البابا يوحنا السادس حتى اشتد الخلاف بين المسيحيين بسبب انتخاب من يخلفه وبقى الكرسي البطريركي خالياً ممن يتبوأه لعدم اقرار الاساقفة على واحد من المرشحين . وكان من المرشحين اثنان احدهما يدعى بولس والثاني رئيس شمامسة المعاقبة . وغير هذين الرجلين كان آخر يدعى داود بن يوحنا بن لقلق من الفيوم سعى في الحصول على هذا المنصب الجليل . وكان هذا الرجل في عهد البابا يوحنا السادس قد رشح نفسه مطراناً للحبشة فرفض البطريرك قبوله وانتهره

وكان داود هذا كافياً بالحصول على احدى رتب الكهنوت الرئيسية فانهز فرصة انعقاد مجمع الاساقفة والشعب لانتخاب بطريرك جديد وبذل كل جهده ليستميلهم اليه فلم يفلح فاستعان بالارخن ابي الفتوح كاتب جيش الملك العادل فحاول هذا الرجل ان يمنع الاساقفة بقبوله فأبوا ولكن بماله من النفوذ في

الحكومة والدالة على الملك استطاع ان يحصل على أمر بتوليته بطريقا وتمكن ابو الفتوح من ان يستميل اليه بعض الاساقفة أما بالحيلة أو بالارهاب فوافقوه على الرضى به وعينوا صباح يوم الاحد التالي للاحتفال بتوليته في كنيسة المعلة وحجز ابو الفتوح هؤلاء الاساقفة ليلة الاحد ليبيتوا عنده ليضرب قيامهم برسامة داود

ولما تضايق الاساقفة أنفذوا رسولا مرياً الى كبار المسيحيين يعلمونهم بالخبر فشق عليهم الامر وهاجوا وماجوا وهبوا الى المقاومة وكادت تجري الدماء لولا ان شخصاً يدعى أسعد بن صدقه الكاتب خشى سوء النتيجة وتلا في الامر بحكته وأوصى القوم بالهدوء والسكينة ليتدبروا الامر في جو خال من الاضطراب والشغب. ثم اصطفى بعضهم ورافقهم ليلا وهم يحملون الشموع والانوار الى حيث يقيم الملك الكامل ابن السلطان ولما شعر بازديادهم تحت قصره انزعج وأنفذ يستقصي عما جرى فطلب منه ان يسمح لبعضهم بشرح مسألتهم فسمح لهم فلما مثلوا أمامه أوقفوه على الحقيقة والتسوا منه ان يتوسط لهم لدى أبيه ليمنع عنهم هذه النازلة ويقاوم رسامة هذا الرجل لعدم استحقاقه لمركز خطير كهذا تحتم القوانين بعدم انتخاب أحد له الا اذا اجتمعت عليه الكلمة وقر عليه الرأي فهذا روعهم ووعدهم خيراً

ولما انصرف القوم على هذا الوعد توجه الملك الكامل في الحال الى أبيه الملك العادل وكشف له الامر وأحاطه بعدم رضى الاكليسوس والشعب على تولية ذلك الرجل لاسباب قانونية وأخبره بالاساقفة الذين حجزم ابو الفتوح بيته ليقوموا بالرسامة رغمًا عنهم اعتماداً على الامر الذي أخذه من الملك ، فلما وقف الملك على سر المسألة أخذ يشك في ابي الفتوح اذ قال له ان الامة ورؤساءها راضون به وكاد ابو الفتوح يجني ثمرة زرعه لولا ان الملك تأتى في الامر وارسل جنوداً يستحضرون الاساقفة الذين حجزم بمصر القديمة ليوقف منهم على الخبر

وفي الوقت الذي كان ابن صدقه يدبر الامر هكذا كان ابو الفتوح مهتما بتنفيذ الامر بمجلة فبادر بأخذ ابن لقلق من القاهرة الى مصر القديمة في فجر يوم الاحد وبيدهم سائرون به التقى بهم الجند وكان قد انضم اليهم جم غفير من

الناس فهجموا عليهم وضر بهم ضرباً مبرحاً وفرقوا شملهم وكادوا يفتكون
بداود ولكنه هرب واختفى

أما الجند فاضطروا أن يهملوا الأمر الذي أرسلوا لاجله واهتموا بتفريق
الجمع ولم يتم لهم ذلك إلا بعد عناء عظيم وكان أبو الفتوح وداود يرومان أن
تم الرسامة سرّاً بواسطة الاساقفة ولكن الجند أسرعوا إلى كنيسة المعلقة
وأمروا الاساقفة بالخروج حالا من الكنيسة والذهاب إلى القاهرة كأمر الملك
العادل فسروا جداً إذ سمعوا هذه الدعوة التي كانوا يرجونها بفارغ الصبر نظراً
لمضايقة داود وأبي الفتوح لهم والالاحاح عليهم برسامته بطريكاً

فلما قام الاساقفة مع رجال الحكومة إلى القاهرة خابت آمال داود من
رسامته سرّاً ولما وقف الملك العادل على جليلة الخبر من الاساقفة وانهم غير متفقين
على كلمة واحدة فبعضهم كان يرفض قبوله رفضاً باتاً وبعضهم خاف بأس أبي الفتوح
فأظهر الرضاء غير أن أغلب الاساقفة ابوا الموافقة على الرسامة وبعد ذلك اجتمع
أربعة منهم وحرمود وتعاقدوا على أن لا يحضروا سيامته ولو ارغموا على ذلك
أما أبو الفتوح وداود فقد حاولا مرة أخرى أن يتعاه الرسامة فلم ينجحوا
في مسعاها وذلك أن أبا الفتوح عاد إلى الملك العادل وأثر على فهمه بأن داود اليق
من غيره للبطريركية وأن الذين تظاهروا ضده هم من رعاع القوم وصعاليكهم
ثم كتب عريضة وبذل جهده حتى تحصل بالتهديد على امضاء ١٣ اسقفاً واربعة
راهباً وبعض العامة وقدمها للعادل فلم يسعه إلا الموافقة غير أن المؤمنين كانوا
متيقظين فقاموا قومتهم مستنجدين بطبيب الملك وكان قبظياً وبواسطته تمكنوا
من افساد تدبير أبي الفتوح وأمر الملك أن لا ينصب بطريكاً إلا من تتفق
الكلمة عليه

ثم توفي الملك العادل وخلفه ابنه الكامل فوقع في أزمة مالية فحضر الاقباط
على انتخاب داود بطريكاً طمعاً في أن ينال أولاً رسوم البطريركية التي كانت
تدفع لخزينة الحكومة وثانياً ليأخذ المال اللازم من داود نفسه في نظير مساعدته
للحصول على مأربه وما كاد يشيع هذا الخبر حتى هرع كثير من اساقفة جميع
جهات القطر للاحتجاج على تعيين داود وكان داود يومئذ قد احتفل في ديوان

الحكومة بشكر الذين رشحوه ولكنه لما رأى معارضة السواد الاعظم من الرؤساء والمرؤوسين في انتخابه شعر بخيبة آماله مرة اخرى

ولكن لم تضعف هذه الخيبة عزمه بل عمد الى الاستيلاء على الكرسي البطريركي بالقوة فلم يبال باحتفال او رسامة بل لبس اللباس البطريركي وسار الى كنيسة القديس مرجيوس مخفوفاً باعوانه وبينما كان يؤدي الفروض كان جمهور كبير من الاقباط يوجهون اليه اقسى كلمات الهجاء حتى ان اعوانه لم يتمكنوا من سماع صلاته . وكان هياج المؤمنين عاماً في جميع الانحاء فاستخدم داود نفوذه وجعل الحكام يضطهدونهم ولا سيما الرهبان والاكليروس

وبينما كان الملك الكامل يزور اديرة وادي النطرون ودير القديس مكاريوس طلب منه الرهبان ان يسمح لهم بتعيين بطريرك تتفق على انتخابه كلتهم واخبروه انه تخرج من دير ابي مقار ثمانون راهباً رسمهم البابا يوحنا السادس كهنة على عدة ابروشيات فلم يبق منهم على قيد الحياة سوى اربعة فقط واعلموه انهم يخدمون جميع الابروشيات مع انهم لم يزالوا رهباناً ولا يمكنهم ان ينالوا رتبة الاسقفية الا بيد البطريرك .

وكان الاساقفة يموتون واحداً بعد آخر وتخلو ابروشياتهم ممن يحل فيها نظراً لعدم وجود بطريرك يقيم عوض المتوفين . فأجابهم الملك الكامل بلطفه المعهود انه لا يتأخر عن اجابة طلبهم اذا توفقتوا الى بطريرك يجمعون على انتخابه ووعدهم بالتنازل عن الرسوم التي اعتادت البطريركية دفعها للحكومة عند تنصيب كل بطريرك جديد

كل ذلك وداود لم يفتأ يسعى بدون انقطاع ليلاً ونهاراً ليفوز ببغيته مستعملاً تارة الحيلة واخرى التوسل بكبار الحكومة واحياناً الرشاوي والهدايا حتى فرغ كل ماله من المال دون ان يتم له رضاء الشعب عنه وهكذا استمر الكرسي خالياً بسبب هذا الخلاف مدة عشرين سنة مات في خلالها معظم الاساقفة وغيرهم من الذين كانوا من اقوى المعارضين لداود الذي كان كلما يسمع بموت احدهم يفرح ويسر ويعتقد ان اجل التوقف له كاد ينقضي

ولما اشتدت حاجة الملك الكامل للمال اقدم على امر كان قد اقسم بان لا يفعله

فحث في عيونه . وكان يوجد راهب يسمى عماد المرشال وصفه بعضهم بانظمت
والعناد ومعاكسة عظماء الامة وائمة الطائفة والقائهم في ورطات لا يمكنهم التخلص
منها الا بدفع غرامات طائلة حتى انكشف أمره اخيراً للسلطان فقبض عليه
وعاقبه بما يستحق وقيل انه طلب ان يسلم فلم يقبل الملك اسلامه فاجتمع هذا
الراهب بداود واتفق معه على ان يسعى له بشرط ان يدفع ثلاثة آلاف دينار
لخزينة الحكومة وكان بين رجال حاشية الملك الكامل امير يعرفه عماد يسمى
نجر الدولة له كلمة نافذة لدى الملك فمضى اليه وكشف له الامر فوعده خيراً ومن
ثم صدر امر الملك برسامة داود على الشرط المذكور فرسم على ايدي الاساقفة
القليلين الذين كانوا باقين وقتئذ وهددوا بالموت ان لم يسموه . فتولى داود
البطريكية وسمى كيرلس الثالث في ٢٢ يونيو سنة ٩٥١ ش و ١٢٣٥ م

واحتفل كيرلس برسامته احتفالاً بهيجاً أساء المسامين واجتهد في مبدأ
الامر ان يرضي الرأي العام فرسم بعض الكهنة والشمامسة بدون ان يحصل
منهم شيئاً ولسكنه فيما بعد استبد وأساء التدبير وظهر شراسته في محبة المال
وتحصيلة اياه بطرق غير جائزة . وكانت اكثر من اربعين ابروشية قد خلت من
الاساقفة فصار لا يولي اسقفاً الا من ينقده مبلغاً اكثر من سواء بغير مراعاة
الاهلية والاستحقاق

فاما بلغت اخبار قبائح المسامع تفرت منه قلوب الناس وتكدرت خواطر
الشعب ونصحه بعضهم على انفراد فلم ينتصح بل كان يقول لهم انه مضطر الى
جمع النقود لسداد المطلوب للحكومة جزاء تنصيبه بطريكاً . فاشتد مقت الجميع
له واكثر الكل من التشنيع عليه ومن هؤلاء الراهب عماد فانه نازعه كثيراً
وشدد عليه النكير واجتهد ان يقيم عليه رقباء خوفاً على اموال الوقف
ولسبب لا نعلمه قبض عليه الملك وألزمه بدفع ألف وخمسمائة دينار فأتخذ
هذه الغرامة ذريعة للتوغل في قطائمه فاصدر امراً ادارياً باتباع جميع الاديرة له
مباشرة وفرض عليها مبالغ سنوية ونزع ايضاً بعض البلاد من ابروشياتها
واتبعها له وربط عليها عوائد تدفع ليده خاصة فكدر بذلك خواطر الاساقفة
فنقموا عليه هم ورؤساء الاديرة وصاروا يترددون عليه ويكلمونه في أمرهم

فتركهم وانطلق الى الاسكندرية ولما رأى ان احتجاج الشعب شديد ضد
السيمونية دعا اليه كبار الامة والاكليروس واخبرهم ان ما جمعه كان لا يفاء
الاموال الاميرية ووعدهم انه بعد سداد المطلوب يكف عن بيع الرتب الكهنوتية
اذا لم يكن داع لجمع الاموال بهذه الطريقة

غير انه لم يفتأ يظهر شروره وقاده سوء تصرفه الى التعدي على حقوق زميله
بطريك انطاكية السرياني فعين مطراناً قبطياً سماد مطران سوريا وارسله الى
مدينة القدس ليقبم بها بحجة انه يوجد في سوريا كثير من الاقباط لا يعرفون
اللغة السريانية التي يصلي بها السريان في كنائسهم وقبل هذا العهد كانت مصالح
الاقباط في الاراضي المقدسة موكولة الى الكنيسة السريانية ويظن انها لم تقم بها
كما ينبغي وعلى كل حال فقد أدى تدبير كيرلس هذا الى افساد العلاقات الودية
القديمة وفصم عرى الاتحاد الذي كان بين السريان والاقباط

ومع ان الاساقفة في مصر عارضوه في هذا التعيين الا انه لم يسمع لهم قولا
غير انهم نجحوا في حمله على ارسال مندوب الى بطريك انطاكية الذي كان مقبلاً
وقتئذ باورشليم يطلب اليه الاعتراف بالمطران الذي ارسله . فأبى اغناطيوس
بطريك انطاكية ان يعترف بالمطران واضطر ان يستعين باكليروس اللاتين الذين
كانوا ينتظرون مثل هذا الشقاق ليستفيدوا منه فبسطوا له حمايتهم واضطر
اغناطيوس ان يعامل كيرلس كما عامله فعين مطراناً من قبله لكنيسة الحبشة وهو
رجل حبشي يسمى توما مولود في بلاد الاحباش

فكثر سخط الناس على كيرلس ونصحه ابو الفتوح وغيره من كبار الامة
ورجال الاكليروس مرة بعد أخرى ان يعدل عن خطته فلم يقبل نصيحتهم
فاجتنبوه واعتزلوه بالمرّة ولم يعد احد منهم يدنو منه او يجتمع به فاتخذ هذا
الاعراض فرصة للاستبداد والتصرف في مصالح الامة تصرفاً سيئاً

وكان كيرلس قد استمال اليه الملك الكامل واغلب عظماء المسلمين بالرشاوي
والهبات واستعان بهم على ابناء طائفته الذين اصبح يزدرى بهم ولا يحسب
لوجودهم او معارضتهم حساباً . ولما كان رؤساء الحكومة غير مطلعين على فظائع
كيرلس قام وفد من كبار الامة القبطية واساقفتها يرأسه عماد الراهب وقصوا

اخباره على محافظ العاصمة وكان ممن استمالهم كيرلس اليه بالرشوة فلم يهتم بالامر بل حامى عن كيرلس وعضده . ولما حضر كيرلس أبدي اندهاشه قائلاً « لم يعرف في التاريخ الكنسي ان اساقفة ائتمروا على خلع بطريرك وان كانوا يشتكون من تضيق عليهم فليبحثوا القانون لعلمهم يجدون ما يستندون عليه »

وكانت طلبات الاساقفة في تلك الشكوى خمسة أمور رئيسية (١) الاقلاع عن السيمونية والرشوة (٢) احترام حقوق بطريرك السريان وان لا تتجاوز سلطة المطران الذي عينه مدينة غزة (٣) عزل من قلدهم الرتب الكهنوتية بدون استحقاق (٤) لا ينبغي للبطريرك ان يقلد بدع الكنيسة اليونانية (٥) تعيين احد الاساقفة الشيوخ المدربين وكيلا للبطريركية . اما كيرلس فلم يكتف بعدم اجابة هذا الطلب فقط بل سعى لدى الحاكم ورعى عماد بكل كريمة فالتى القبض عليه وزج في السجن . وكان قد وعد بمقدد بجمع تنظر فيه هذه الشكاوي فلم يبر بوعده . ولما فاض الكيل قام اربعة عشر اسقفاً الى الدار البطريركية بالمعلقة بمصر القديمة وارغموه على المجيء من مدينة الاسكندرية فجاء اليهم فالزموه ان يعقد مجمعاً مؤلفاً من الاكليروس وكبار الامة للنظر في ما اختل من الاحوال بسبب سوء تصرفه فاضطر ان يجيبهم خوفاً منهم وكانوا قد اعدوا مشروعاً يتضمن قوانين ضرورية لتقدم الكنيسة . فلما اجتمع المجمع قدموه له وطلبوا منه ان يمضي عليه ويتعهد بتنفيذه

وحاول كيرلس الامتناع عن ان يكون مقيداً بهذه القيود التي لم تتفق مع ما ينويه فهدده الاساقفة بالانفصال عنه واجتنابه وقطع الملائق معه فاضطر ان يمضي بالرغم عنه وكلفوا ابن العسال صفا الفضائل بجمع هذه القوانين فجمعت ووزعت على جميع الابروشيات

وحدث بعد ذلك موت الملك الكامل وملك عوضه الملك الصالح نجار على النصراني وترك رعايا المسلمين يضطهدونهم أما كيرلس فسمى كماداته حتى استمال اليه الملك الجديد ولما كان يحاول التخلص من هذا التقييد واعادة الاستقلال اليه انتهز فرصة هذا الاختلال الذي لحق النصراني منه ضرر عظيم واعلن رفضه لما اتفق عليه . فعقد الاساقفة مجمعاً حضره وجهاء الطائفة طلبوا فيه مرة أخرى

ان يلاحظ القوانين الكنسية فازدرى بهم واحترق كلامهم فقام في وجهه في هذه
المرّة راهب يسمّى بطرس بن التعبان ويعرف بالشيخ السنّي وكان عالماً فاضلاً
محبوباً محترماً بالنسبة لحكّمته وشيخوخته وأقام الادلة على ما ارتكبه مما يخل
بعقابه ورتبته كمخالفته للقوانين المرعية ونكثه اليهود وارتكاب الرشوة وغير
ذلك من الاعمال والخصال الذميمة وقدم له قانوناً ليحضى عليه مؤداه ان يعين
اسقفا طاهر الذمة ليراقب اموال الوقف وان يرسم اسقفين لابروشيّتين خاليتين
بدون رشوة وكان كيرلس قد امتنع عن رسامة احد لهما حتى يتحصل الضريبة
المعتادة وان يعين ناظرين لمدرستي القاهرة وبايليون وان يترك الاديرة تحت
رئاسة الاساقفة التي تكون في دائرة ابروشياتهم

فأخذ كيرلس يماطل الى ان استاء منه أحد اصحابه وضجر من بخله عليه
نجان عهده ووشى به الى امير القاهرة وكانت شكوى الشيخ السنّي قد هدمت
مركزه في عيون الحكام فعزموا على القبض عليه مراراً لمحاكمته ولكن الاساقفة
لم يسمحوا بتسليمه ليد الحكومة خوفاً من ان يكون ذلك اعترافاً منهم بحق
الحكومة في التسلط على البطريك والقضاء عليه. غير انه في هذه المرة تم القبض
عليه وهموا بعزله تخلصاً من الاشتغال بالقضايا التي كانت تقدم عليه من وقت
لاخر ونسبوا اليه معاملة البعض بالقسوة الزائدة واستعماله معهم أنواع التعذيب
التي تقضى بها لهم. واجتهد اولو الامر ان يجعلوا الاساقفة يشهدون عليه
فأبوا وتداولوا مع الامير وكان يجب الاقباط حباً جماً واتفقوا معه على ان يطلق
كيرلس اذا أمضى القوانين التي سنوها له فأمضى عليها كيرلس هرباً من الشر
المهدق به واطلق سراحه على شرط ان يدفع لخزينة الحكومة مبلغاً فكان
ذلك داعياً الى استئناف مساعيه الشريرة في جمع المال بطرق غير مشروعة

فضاق ذرع الاساقفة من ذلك السلوك الممقوت وكثر اخلافه للعهود
وصمموا على خاعه واخبروا الامير بذلك فقال لهم وهل يجوز عندكم خلع البطريك
فاجابوه يجوز اذا ارتضى هو بذلك ولم يكن من المنتظر ان يتنازل كيرلس عن
مركزه حباً في سلامة رعيته فاستمر في ضلاله حتى أراح الله منه تلك الامة
التميسة بموته بعد ان مضى عليه في الرئاسة ثمان سنوات لم تر في خلالها راحة

يوماً واحداً ولما مات شكر الناس الله وكانوا يهنئون بعضهم بعضاً على الخلاص منه
وكان موته في ١٤ برمهاث سنة ٩٥٩ ش و ١٢٤٣ م
ومما يدل على سوء الحالة التي انتهت اليها الامة القبطية في عهد هذا الرجل
انه لم يسمع في تاريخها ان اسقفاً اعتنق الاسلام الا في عهده مع سماح الحكام
للمسيحيين بالعيشة بالسلام حينئذ

(٢) اثناسيوس ٣ - البطريرك السادس والسبعون . وبعد وفاة كيرلس

خلا الكرسى سبع سنين وستة أشهر وعشرين يوماً كان الاساقفة في خلالها
يدبرون شؤون الكنيسة في كل ابروشية والناس في سكون غير مهتمين بانتخاب
غيره بسبب الاتعاب التي لاقوها من كيرلس قبل توليته وفي مدة رئاسته ويقول
المؤرخون ان الامة والاكليروس لبثوا بدون ان يفكروا في انتخاب بطريرك
جديد انتظاراً لوفاة اثنين من أعوان كيرلس الاردياء السيرة لكي يتمكنوا من
الحصول على رجل تقي يصلح ما أفسده كيرلس . وقد توفقوا أخيراً الى الشماس
ابن القس المعروف بابي المكارم بن كلاهيل من مصر فأقروا على رسامته في جمع
عقدوه لهذه الغاية وتمت رسوم تكريسه في ٥ بابه سنة ٩٦٧ ش و ١٢٥١ م في
عهد سلطنة ايبك الجاشنكير

وقد حقق ظن منتخبيه فلم يكده يستقر به المنصب حتى جاهد في الغاء
السيمونية وشدد النكير على الكهنة الذين علم انهم نالوا رتبة بهذه الواسطة .
واستمر طول المدة التي أقامها على الكرسى البطريركي وهي ١١ سنة وشهراً
واحداً يبني ما هدمه كيرلس حتى أتم جهاده وتنيح في أول كيهك سنة ٩٧٨ ش
و ١٢٦٢ م

(٣) يوحنا ٧ - البطريرك السابع والسبعون * رغب بال ٣ - البطريرك

الثامن والسبعون . {١} وكلاهما من مصر وقيل ان البابا غبريال ٣ من الشام وفي

{١} يلاحظ انه لم يرقم بطريركاً على كرسى الاسكندرية في وقت واحد الا هذه المرة
ويندهش المطالع على تاريخ اساقفة كرسى رومية ان يجرد انه جلس اسقفان على الكرسى في وقت
واحد ٢٨ مرة و ٣ اساقفة ٦ مرات واربعة اساقفة ٤ مرات { تاريخ الانشقاق ٣ : ٤٠٥ و ٤٠٦ }
(٧١٢)

الوقت الذي توفي فيه البابا اثناسيوس كان يوجد اثنان أحدهما يدعى يوحنا بن
ابي سعيد النيكيري والآخر غبريال ابن اخت اسقف طنبندي مترشحين للبطريركية
وقد تساوت أصوات منتخبيهما في المجمع المقدس . وكان يوحنا معضداً من
أكابر الطائفة بمصر القديمة وغبريال من بعض أعيان القاهرة واشتد اللدد والخصام
وعمل كل فريق على نصرة صاحبه وانقسم الاساقفة الى قسمين أحدهما وافق على
انتخاب يوحنا والآخر ساعد على انتخاب غبريال وأخيراً اتفقوا على تحكيم
الهيكلية (القرعة) فافترع الفريقان على أيهما يولى فوقعت القرعة باسم غبريال
ومع ذلك فلم يرض الحزب الآخر ونهض منازعاً غبريال وكان جله من عظماء الامة
فعمدوا الى استرضاء الحكام ليعضدوهم في أمر انتخاب يوحنا حتى تقووا وثبتت
قدمهم فتمكنوا من اقامته بطريركا .

واستمر البابا يوحنا يحكم الكنيسة نحو ست سنوات وتسعة شهور كانت
كلها منافسة ومما كسبه وخصام وفي خلالها تقوى حزب غبريال وتجارى الاساقفة
على عزل البطريرك يوحنا وسجنوه باحد الاديرة وولوا غبريال مكانه وكان هو
الاولى بالبطريركية نظراً لكفاءته واستحقاقه واستمر يدبر شؤون الكنيسة
سنتين وشهرين كانت الفتنة في خلالها لا تحمد نارها ولا ينطفي أوارها حتى تنيح
البابا غبريال فأحدث كلمة الجميع على اعادة البابا يوحنا الى منصب البطريركية
فأخرجوه من معتقله وأرجعوه الى مقره فقبول فيه باكرام زائد

وكان البابا يوحنا جليل القدر وقوراً واسع العلم والمعرفة فلما استقر به
المنصب دبر الامور فأحسن التدبير وعمل على ازالة الوحشة بين الاحزاب وبالغ
في التلطف مع الحزم ففاز ونجح ومالت اليه القلوب وأحدث على محبته الخواطر
فعممت شهرته واتسعت كلمته . وفي مدة بطريركيته أتاه كتاب من امبراطور
الحبشة يشكي له فيه تهجم المطارنة السورين على بلاده ويمتدح بخصوعه للكنيسة
القبطية دون غيرها ويطلب منه رسامة مطران اتى برعى الكنيسة الحبشية فحالما
وقف البطريرك على ثغوى الخطاب أسرع برسامة مطران قادر للحبشة حتى
يحفظها من هجمات الاجانب

ومما حدث في ايامه ان تاجراً مصرياً أرسل مبلغاً من المال لشريك له في الحبشة

وتصادف ان الرجل مات قبل وصول المال اليه فرقع التاجر المعري أمره لملك مصر وهذا حوله على البابا يوحنا فوعد بالمساعدة وأتخذ كتاباً لامبراطور الحبشة مع ذلك التاجر وحاملاً وصل به وعلم الناس ان البطريرك أرسل اليهم خطاباً أمرعوا لمقابلة حامله بكل اجلال واحكام . وفي يوم الاحد تلا الامبراطور بخشوع تام خطاب البطريرك على مسمع الجميع في الكنيسة الكبرى وعاد التاجر الى مصر يحمل ماله وهدايا ثمينه

وطالت أيام البابا يوحنا حتى تنيح في ٢٦ برموده سنة ١٠٠٩ ش و ١٢٩٣ م ولبث بطريركا للمرة الثانية اثنتين وعشرين سنة وستة شهور فتكون جملة سني بطريركيته ٢٩ سنة

وقد وجد البيان الآتي مكتوباً باللغتين القبطية والعربية في كتاب بصخة تاريخه ١٠ بشنس سنة ١٥١٠ ش

« انه لما كان القانون الرسولي يأمر بقراءة أسفار المهددين العتيق والحديث صار ذلك فرضاً لازماً على كل مسيحي حتى جلس الاب الموقر الانبا غبريال بن تريك او ٧٧ في عدد البطاركة وهذا كان كاتباً على كرسي مار مرقس الرسول بمدينة الاسكندرية سنة ٩٧٤ للشهدا الاطهار فرأى ان الناس بالنسبة لانهما كهم في أعمالهم وخدمة السلاطين والخلفاء وبقية الاشغال الثقيلة لا يمكنهم اتمام القانون الرسولي فجمع علماء من ذوي المعرفة والفهم ورهباناً كثيرين من دير القديس ابي مقار وأخذوا من العتيقة والحديثة ما يلائم ووضعوه كتاباً وسموه كتاب البصخة وصاروا يعملون الفصح كل سنة في بيومهم حتى صار الاب المكرم بكل نوع الانبا بطرس اسقفاً على كرسي البهنسا فنظر في البصخة فرأى انهم يعملون في ساعة نبوات وأنجيل كثيرة وفي ساعة أخرى قليلة فجمع من الكتب المقدسة ووضع لكل ساعة من الساعات ما يوافقها وبذا صار تلاوة الساعات متساوية ووضع لكل يوم من أيام الاسبوع عظمتين من أقوال الآباء واحدة للصباح وواحدة للمساء كما هو مدون بكتاب البصخة الى يومنا هذا » اه (١)

(٤) ميودوسيوسى ٢ - البطريرك التاسع والسيمون . وبعد ان توفى البابا يوحنا السابع خلا الكرسي سنة واحدة وثلاثة أشهر ونصفاً ثم وقد أساقفة جميع الابروشيات الى البطريركية واستدعوا وجهاء الامة وبحثوا عن من يليق للرئاسة فوقع اختيارهم على الراهب ثيودوسيوس من دير ابي فانة وكان قبلا يدعى عبد المسيح بن رويل وهو من منية بن خصيم فتمموا تكريسه في ١٨ مسرى سنة ١٠١٠ ش و ١٢٩٤ م في ايام الملك الناصر محمد بن المنصور بن قلاوون . وما استقر به المنصب حتى قام برعاية قطيع المسيح بكل امانة الى ان امضى خمسة سنوات وخمسة شهور على الكرسي المرقسي ارتاح الاقباط فيها من اضطهاد المسلمين وتنيح في ٦ طوبه سنة ١٠١٦ ش و ١٣٠٠ م وخلا الكرسي بعده اربعين يوماً

وقال بعض المؤرخين « ولم تكن قلوب الجماعة مؤتلفة مع هذا البطريرك حيث كان ارتقاؤه للرئاسة من غير اختيارهم فضلاً عن كونه نسب لاخذ الرشوة وحدث في أيامه فناء وغلاء شديدان » اهـ

.....

القسم الثانى

مشاهير الكنيسته

.....

(١) اولاد العسال (٢) بعض العلماء (٣) برسوم العريان

○○○○○○○

(١) أولاد العسال . نبغ جماعة من الاقباط في هذا الجيل في العلوم الرياضية والدينية والشرعية فاهتموا بأمر أمتهم وألقوا الكتب العديدة في الشريعة وأصول الدين والتفسير باللغة العربية لأنها كانت اللغة التي يتكلم بها الجميع حينئذ . ولكنهم خشية من ان يقضى على لغتهم الاصلية وضعوا كتباً لغوية قبطية حفظت تلك اللغة من التلاشي . ومن بين اولئك الافاضل جماعة يدعون اولاد العسال من اصل قبطي ويستدل على انهم كانوا غالباً من سدمنت بالوجه القبلي ولكنهم سكنوا مصر وبعضهم كان موظفاً بالحكومة والبعض الآخر تفرغ لخدمة الله وكانت لهم منزلة رفيعة في عهد لدولة الايوبية الحاكمة ولا سيما ابو اسحق الذي كان مصاحباً للايوبيين في الشام . وكان لهم مركز سام في الكنيسة فانتخب احدهم وهو الصفي ابو الفضائل في عهد الخلف الذي حصل في ايام البطريرك كيرلس بن لقلق ليكون قائم اسرار مجمع عقد لفض الخلف في توت سنة ٩٥٥ ش

ويقول المرحوم الايغومانوس فيلوثاؤس ان عائلة بني العسال تتصاعد في النسب الى رجل قبطي ارثوذكسي يدعى أبا البشر يوحنا الكاتب المصري . ويوحنا المشار اليه ولد أبا سهل جرجس وهذا ولد أبا اسحق ابراهيم الذي منه تخلف الشيخ الأجل نجر الدولة ابو الفضائل أسعد والد هؤلاء الافاضل ومما اعتاده بعض كتبة ذلك الحين ان يكنوا رجال هذه العائلة غالباً بابي الفضائل وابي الفضل وما أشبه

وكان لألاد العسال معرفة بليغة بعلوم كثيرة واشتهروا بجودة خطهم العربي والى عائلتهم ينسب الخط الاسمدي غالباً هذا فضلاً عن الخط اليوناني القديم المستعمل الآن في اللغة القبطية . والذين اشتروا منهم بالفضل والمعرفة من اولاد الشيخ ابي الفضائل الاسعد المشار اليهم هم : — (١) الشيخ الفاضل مؤتمن الدولة ابو اسحق (٢) وشقيقه الفاضل الحكيم الاسعد ابو الفرج هبة الله (٣) وشقيقهما الشيخ الفاضل الصفي ابو الفضائل الأجد . أما مؤلفاتهم فتدل على سعة في الاطلاع وطول باع في البحث الدقيق ولم يتركوا باباً من ابواب

العلوم الاوطرقوه فكتبوا يدافعون عن الدين ويضعون قواعد للغات وبالاخص لغتهم القبطية ويسنون القوانين والشرائع وعدا ذلك كان لهم المام بفنون أخرى كالتصوير والتركيبات الكيماوية وانشاؤهم العربي يضارع افضل شعراء وكتاب العرب الجاهليين . وهذا ما عثر عليه من مصنفاتهم : —

اولا — للمؤمنن ابي اسحق : مجموع اصول الدين ومسموع محصول اليقين وهو من اوسع الكتب اللاهوتية (٢) التبصرة المختصرة في اللغة القبطية (٣) آداب الكنيسة (٤) خطب الاعياد السيدية وغيرها (٥) السلم المقفى والذهب المصفى وهو قاموس قبطى عربى (٦) مقدمة في رسائل بولس

ثانياً — للاسعد ابي الفرج هبة الله (١) مقدمة (أجرومية) في اللغة القبطية (٢) مقابلة وتصحيح لترجمات الاناجيل الاربعة (٣) رسالة في مقدمة رسائل بولس التي صنفها اخوه المؤمنن (٤) كتاب في حساب الابقطى وفيه بعض قواعد فلسفية وتاريخية وجدول للبطاركة (٥) ارجوزة في هذا الحساب شرحها البابا يوحنا البطريرك ال ١٠٧ . وقد عيئت الايدي برسائل ومؤلفات أخرى عن الانفس بعد مفارقتها لاجسادها

ثالثاً — للصفي ابي الفضائل : (١) كتاب الصحائح في الرد على النصائح (٢) كتاب في الرد على المدعين تحريف الانجيل (٣) جامع اختصار القوانين المعروف بالمجموع الصفوى وهو الذى تعتمد عليه الكنيسة اليوم (١) (٤) الكتاب الأوسط (٥) فصول مختصرة في التمثيل والتوحيد (٦) حواشي على مناظرات الشيخ عيسى الوراق مع ابن عدي واجوبته على اعتراضات عبد الله الناشي وغيره (٧) أرجوزة في الموارد . وله كتاب « كفاية المبتدئين في علم القوانين » ولكن لا أثر له

(٢) بعض العلماء . ومن اشتهروا ايضاً بالعلم والمعرفة في ذلك العصر غير اولاد العسال ودلت مؤلفاتهم على تضلعهم في العلوم والمعارف : —
(اولا) جرجس بن العميد . ويعرف بابن المسكين كاتب الجيش المنصورة

ومن تأليفاته تاريخ مدني في جزئين وقد ترجم منه أخيراً الجزء الثاني الى الفرنسية . وكتاب الحاوي ضمنه حل اعتراضات على الدين المسيحي وفسر بعض الايات المعضلة من الانجيل وكل تاريخ الطبري أيضاً

(ثالثاً) بطرس ابو شاكر بن الراهب . ويعرف بابي الكرم كان شماس كنيسة المعلة سنة ١٢٦٠ م وألف كتاب « الشفا في كشف ما استتر من لاهوت المسيح وما اختفى » ومقدمة في التمثيل والتوحيد . وكتاب أبقطى ذو مقدمة ضافية بالقبطية والعربية

(رابعاً) شمس الرئاسة ابو البركات بن كبر . كان قساً لكنيسة المعلة وهو عالم فاضل . ألف كتاب « مصباح الظلمة وايضاح الخدمة » يتضمن جملة فوائد دينية وادبية . وله خطب تتلى في الكنائس

(رابعاً) القس بطرس السدمنتي . كان من علماء اللاهوت الضليعين الف كتاب « التصحيح في آلام المسيح » وله عدة رسائل قيمة

(خامساً) علم الرئاسة بن كاتب قيصر . هو الرئيس الاوحد علم الرئاسة أبو اسحق ابراهيم ابن الشيخ الرئيس ابي الثناء ابن الشيخ صني الدولة كاتب الامير علم الدين قيصر . وضع هذا الشيخ الفاضل مقدمة في قواعد نحو اللغة القبطية معروفة بكتاب « التبصرة » وألف كتاباً في تفسير الرؤيا .

(٣) برسوم العربان هو ابن كاتب الملكة شجرة الدر خلف له والده

ثروة عظيمة فرغب عنها واحتقرها وآثر عيشة العبادة والزهد فأوى الى مغارة بكنيسة ابي سيفين لا تزال باقية الى اليوم عن يمين الداخل الى الكنيسة من بابها البحري وانعكف على مباشرة القضايل كالصوم والصلاة وبلغ خبره الاذان فتقاطر اليه كثيرون وقصده المرضى وقد اجرى الرب على يديه آيات شفاء كثيرة وحدث في ايامه اضطهاد على المسيحيين فاغلقت الكنائس وحظر الصلاة بها أما هو فلبث يصلي في كنيسته فاستدعاه الحاكم وامر بحمله ثم حبس ولبث في السجن اياماً حتى اطلق سراحه فاستأنف عبادته في الكنيسة وكان يصلي الى الله ان يرفع الضيق عن شعبه فسمع صوته وزال الاضطهاد وفتحت الكنائس

وفي آخر حياته انقرد بدير شهران بالمعصرة مواظباً على اتمام الفضائل حتى
تذبح فاحتفل بدفنه البابا يوحنا الثامن ودفن بكنيسة ذلك الدير الذي دعى
باسمه الى اليوم



القسم الثالث

المملكة والكنيسة



- (١) الملك العادل وابنه الملك الكامل (٢) دولة المماليك الاولى .
ايبك وابنه نور الدين (٣) الظاهر بيبرس البندقداري وابنه بركة خان
(٤) صلاح الدين خليل



(١) الملك العادل سنة ١٢٠٠ م وابنه الملك الكامل سنة ١٢١٨ م .
وفي أيام الملك العادل مات بهاء الدين الدمشقي الفقيه المذكور آنفاً وحل محله
آخر واستولى على البساتين التي تحيط بكنيسة الارمن المشار اليها فطلب من
الاقباط مالا مقابل تغاضيه عن فتحها والصلاة فيها فلما لم يجيبوه الى طلبه هجم
على الكنيسة أثناء انشغال الملك العادل بالحروب مع الافرنج في سوريا ونهبها
ونهب كنيسة أخرى كانت بجانبها وطردها من بهما واغلقها فلم يقاومه أحد من
الاقباط خوفاً ولسكنهم رفعوا شكواهم للملك بعد رجوعه فأمر بفتح الكنيستين
وعدم التعرض للاقباط في اقامة شعائرهم الدينية

ولما كان الملك العادل في سوريا أسند الحكم في مصر لابنه الملك الكامل وكان يحب الاقباط حباً جماً حتى ان الذين أسلموا ظاهرياً في أيام صلاح الدين طلبوا منه أن يصرح لهم بالعودة الى لانهم الذي لم يتركوه الا خوفاً من الحريق وهو القصاص الذي تهدد به كل من لا يقبل الدين الاسلامي فأجاب طلبهم . وكان من جملة هؤلاء راهب من دير النطرون يدعى يوحنا عين بعد اسلامه كاتباً في الديوان وحاز شهرة في الاعمال الحسابية ولما توسم العادل في الملك الكامل اشترى قماشاً ومنديلاً وذهب اليه وقال هذا لأجل كفتي اقتلني أو رددني الى ديني فشفق الكامل عليه ووهبه الحرية فترك وظيفته ورجع الى ديره وقبلى آخر من مدينة طيبة لما سمع بنجاح ذلك الراهب طلب ان يقتل أو يسمح له بالرجوع الى دينه ولكن لسوء الحظ ما تكاد للملك الكامل يجيبه الى طلبه حتى حضر ابوه الملك العادل من الحرب فغضب عليه وسخط على القبطي وسلمه الى محافظ الاسكندرية ليتولى تعذيبه حتى يسلم وأرسل وراء الراهب واستحضره من دير ابي مقار وأمر بقتله ان لم يسرع الى انكار دينه فلم يكذب يسمع هذا المسكين الحكم بأعدامه حتى ارتعدت فرائصه وجاهر باسلامه أمام الجنود التي استحضرته من الدير بل صار يتملق الى السلطان طلباً للنجاة من الموت واخبره بانه مستعد ان يرشد جنوده على كنوز وجدها الرهبان في بئر حفرها ووجدوا بها اواني ذهبية وفضية ونقوداً رومانية وخبأوها في الدير . فسار به الجنود الى الدير وكان الرهبان قد تمكنوا قبل وصولهم من اخفاء اواني الكنيسة في بئر بلاماء وأكد رئيس الدير للجنود بانه لا يوجد عندهم شيء مما يطلبون وان البئر حفرها قوم مسلمون لا يزالون احياء ولكن الراهب التعميس أرشد الجنود الى تلك البئر فاستخرجوا منها كأساً وصينية وبعض الاواني التي تستعمل في تناول سر الانخارستيا فافهمهم الرئيس ان هذه الاواني مهداة الى الدير من بعض المؤمنين وأروهم اسماءهم مكتوبة عليها فأخذها الجنود الى الملك العادل فأمر بقراءة الكتابة المكتوبة عليها باللغة القبطية فاتضح انها جديدة وتوسط الملك الكامل في الامر فأعيدت الى الرهبان فطافوا بها في شوارع القاهرة مادحين عدل السلطان ومسرورين سروراً عظيماً

وكانت كنيسة مار مرقس بالاسكندرية كحصن منيع جداً على البحر فخاف الملك العادل لئلا يأتي الافرنج الذين كانوا يقاثلون المسلمين في عدة مواضع ويتغلبوا على الاسكندرية ويتحصنوا بالكنيسة المذكورة فيتعذر عليه اخراجهم منها فأمر بهدمها وكانت واسعة جداً عظيمة البناء

وبعد موت الملك العادل استقل بالملك ابنه الملك الكامل وفي أيامه قام الصليبيون بحملتهم السادسة وتقدموا الى فتح مصر وكان ذلك متيسراً لهم لولا الانشقاق الذي دب بينهم ومنشأه القاصد الرسولي الذي أرسله اسقف رومية مع الحملة فلم يكفه ما حازه من السلطان الديني فنازع قواد الجيش سلطانهم فأبى جان برين قائد الجيوش ان يسلم وظيفته لاحد الا كليروس واستمررا يتشادان على الرئاسة وقتاً تمكن فيه المسلمون من لم شعنتهم فوقفوا في وجه الصليبيين وانتصروا عليهم انتصاراً باهراً . وجاء لغوث الصليبيين رجل يدعى القديس فرنسيس ومعه لقيف من الرهبان قاصدين الاستشهاد في الحروب . وبعد انكسار الصليبيين سار فرنسيس مع رفيق له لزيارة معسكر المسلمين فقبض عليهما وجيء بهما أمام الملك الكامل فأجابه فرنسيس بأنه أتى ليهدي المصريين الى الحق وقصد بذلك المسيحيين والمسلمين سواء . وكان الملك الكامل يجهل ان الغربيين يعتبرون الارثوذكسي والمسلم سواء . فأعجب الملك الكامل من شجاعته وبعد ذلك عرض الراهب على الملك ان يشعل ناراً ويستحضر شيخاً مسلماً ليدخل اياه فيها ومن يخرج سليماً يكون دينه الحق فرفض الملك لعلمه بأنه لا يوجد واحد من مشايخ المسلمين يقبل ذلك فطلب ان يدخل وحده على شريطة ان يخرج صحيحاً يعتنق الملك الديانة المسيحية فرفض الملك وصرفه بلطف

ولما استمر الصليبيون يضايقون الملك الكامل وفرغ المال من خزائنه استولى على نصف أموال البطريركية القبطية ولما عارضه الاقباط في تعيين داود بن تلمق بطريركا وكان قد وعده بدفع مبلغ من المال انتد عليهم وأخذ جنوده كثيرين منهم ومن الرهبان والشمامسة وساقوهم الى الاشغال الشاقة وسخروهم في بناء الاستحكامات والحصون التي كانت تقام في وجه الصليبيين . وبعد ذلك أعلنوهم انهم سيدخلونهم الجندية فاجتمع الاساقفة لدى الملك الكامل ففرض

عليهم فدية معينة من المال نظير بدل عسكري
وكان الاقباط ينتظرون النجاة من الحكم الاسلامي من وراء فتح الصليبيين
ولكنهم لما علموا ان هؤلاء يعتبرونهم والمسلمين سواء سخطوا عليهم لاسباب
عند ما بلغت الاخبار بانهم لما دخلوا دمياط أساءوا الى الاقباط وأنكروا عليهم
حقوقهم الوطنية وعينوا مطراناً لدمياط من قبل كنيسة رومية اللاتينية . كما انهم
قتلوا كثيرين وأخذوا الاطفال من أحضان أمهاتهم فأثر الاقباط الهدوء والسكينة
وعدم التداخل في الامر

وساءهم من الصليبيين اكثر منهم اياهم من دخول القدس ولم يدخلوه حتى
استولى صلاح الدين عليه وفي سنة ١٢٠٤ م في ايام الملك العادل فاجأ الافرنج
مصر من جهة رشيد وتقدموا الى نوه وتحصنوا فيها وكانت خاصة بالاقباط ولها
اسقف مخصوص فقتلوا كثيرين وطرّدوا غيرهم وسبوا البعض والبعض الآخر
لم يسمه الا الحرب . أما الاسقف فانه لما وجد نفسه وحيداً تركها وذهب الى مصر
واقام بها حتى ولي مطراناً على بلاد الحبشة . وفي اثناء ذلك حل بالبلاد غلاء
شديد لم يسمع بمثله فأكل الناس القطط والكلاب فهجر بعض الاقباط أوطانهم
وذهبوا الى بلاد الاحباش وتوطنوا بها فقبولوا من ملكها بالترحيب واذ كان
معظمهم من ارباب الفنون والصنائع اشغلهم في اقامة المباني الواسعة والسكنائس
الفضيمة التي كانت تدهش كل من رآها . وبين هؤلاء قبلى كبير يدعى
نجر الدولة اتاى به ملك الحبشة تعظيم مملكته وترتيب دواوينها على الطريقة
الجارية بمصر

ولما انهزم الصليبيون ابتهج الاقباط اذ وجدوا المسلمين اكثر شفقة عليهم
منهم ولما رأى الملك الكامل منهم ذلك ركن اليهم وقربهم ورفع مقامهم وعمل
على ما فيه راحتهم بذلك على ذلك ان بعض الامراء قبض على بعض الرهبان وسلبهم
مبلغاً من المال بحجة انهم تأخروا في دفع الجزية السنوية . وكان هذا المبلغ هو
كل ما يملكه الرهبان فشكوه للملك الكامل فظفر في دعواهم وامر بارجاع المال
اليهم . ومن حسنات الملك الكامل انه رفض قبول كل رشوة لاجل ترشيح
داود بن لقلق بطريقا واعفى الرهبان من الجزية الشخصية وزار بنفسه دير

وادي النطرون وتفقد احوال الرهبان وزار ايضاً دير القديس مكار يوس فوجد احد موظفي الاسلام ساكناً به فأمره بالرحيل محافظة على شعور الرهبان وبالجملة فتقدم مع الملك الكامل المعرض للاقباط في اي شأن من شؤون دينهم واذن لهم ببناء كنائسهم التي خربها المسلمون وابعاح لهم فتح ما اغلق منها واقامة شعائرهم الدينية فيها جهاراً بدون مانع ولذا تراهم يذكرون اللاك في صلواتهم اليومية هذه العبارة « وحنن الله قلوب المتولين علينا »

ولكنه فيما بعد قام داود بن لقلق بتمثيل دوره المشهور فسقطت محبة الملك الكامل للاقباط بسببه وندم على اغفاء الرهبان من الجزية وظن ان كثيرين منهم دخلوا الرهبنة بدون حق فأمر بفرزهم من الرهبان الحقيقيين فوجد المتعصبون فرصة للايقاع بالاقباط فسلبوا الاموال من الرهبان عموماً ولم يميزوا بين الحقيقي والمتصنع . ومما يذكر بالسخط لداود المشار اليه هو انه لم يستخدم عدل الملك الكامل لاصلاح شأن امته بل اضعافه بسوء تصرفه هذه الفرصة الحسنة

وكان المسلمون ايضاً ينظرون الى الاقباط بغیظ لعلمهم انهم والصلبيون على دين واحد . وبلغ من عنف المسلمين وغيظهم عليهم انهم في أثناء تقدمهم لانتفاذ دمياط من يد الصليبيين صار الجنود يهدمون كل كنيسة قبطية انتقاماً من النصراني عموماً وقاسى الاقباط في داخلية البلاد شدائد عظيمة

وعلى كل حال فكانت احوال الاقباط في ايام الدولة الايوبية رغم ما تخللها من صعوبات أفضل من غيرها وقام الاقباط بخدمة الحكومة بكل امانة حتى ان الحكام والامراء ائتمنواهم على خزائهم واموالهم فحافظوا عليها وسلموهم مصالحهم فسيروها على احسن حال وتأكد السكل استحالة الاستغناء عنهم او عدم امكان تسير الاعمال بدونهم

(٢) روضة المهالك الاولى . ابيك وابنه نور الدين سنة ١٢٥٠ م .

وتولى بعد الملك الكامل جملة ملوك آخرهم المعظم الذي انتهت بموته الدولة الايوبية وقامت مكانها دولة المهالك الاولى وكان اول ملوكها عز الدين ابيك وفي ايامه كان بين نصارى صعيد مصر الاقباط طبيب يسمى ثيودور (تادرس) اسلم في ايام الملك

الكامل وخدم عند الملك الفائز ابراهيم ابن الملك العادل فنسب اليه ودعى بالاسعد شرف الدين ابي القاسم هبة الله بن صاعد الفائزي ولما آلت المملكة للملك نجم الدين الايوبي ولاء نظارة الدواوين جرمها وبعد قليل غضب عليه فسافر الى دمشق وبقى بها حتى تولى عز الدين ايبك كرسى السلطنة فعاد الى مصر وتعلق بخدمته فولاه الدواوين وتمكن من الدولة تمكناً زائداً وكان مبدأه التظاهر بحب المسلمين وبغض النصارى فأظهر حينئذ خسة متناهية وكان سبباً في وقوع المصائب على رأس اخوانه الاقباط فضغط عليهم وضاعف الضرائب وقرر على التجار وذوي اليسار منهم أموالاً يدفعونها كل سنة وفرض مكوساً سنوية على كل ما يملكون من بهائم وعبيد ومؤونة ولعظام قساوته كان يقوم هو بنفسه ليحصل الاموال منهم حتى انتقم الله منه فوشى به الى السلطان بانه يناصر عليه أعداءه فقبض على أمواله ثم خنق ولف في نخل ودفن

(٣) الظاهر ببيرومن البئر فرامى وابنه بركم فحاله سنة ١٢٦٠ م .

اتفق في أيامه حصول حريق عظيم في القاهرة اتخذته المبعوضون وسيلة للايقاع بالنصارى فتكلموا ضددهم لدى الملك بانهم هم الذين أتوا هذا الفعل الشنيع لتكدرهم من انكسار الافرنج اخوانهم في الدين فغضب الملك وأمر بجمعهم واخراجهم خارج المدينة والقائهم في حفرة ليحرقوا أحياء . وروى المقرئ في ان التهمة كانت متوجهة للنصارى وللإهود فلما أشعلوا لهم النيران برز رجل يهودى يسمى ابن الكازروني كان صيرافياً في أحد الدواوين وقال للسلطان بحق الله لا تحرقنا مع هؤلاء الملائع فضحك السلطان والامراء والمؤرخون يقررون بان فارس الدين اقطاعي رثى لحالهم فتوسل الى الملك ليعفو عنهم فقبل بشرط ان يدفعوا غرامة قدرها خمسين الف دينار . فدفع الاقباط هذا المال لاجل اصلاح الاحياء المحترقة ولكنه صرف على الحروب التي كان الظاهر قائماً بها

وفي أيام ابنه بركة خان سنة ١٢٧٧ م كان الاقباط يتظلمون من قساوة الاحكام والمعاملة الغير العادلة . وحدث انه تقرر رفت كل الموظفين الاقباط من ديوان الحربية واتفق انه يوم صدور هذا الامر سقط بناء دير الخندق في ضواحي

القاهرة فخرج خلق كثير من رطاع المسلمين ليكملوا هدمه

(٤) صلاح الدين خليل سنة ١٢٩٠ م . تولى الملك المنصور بن

قلاوون سنة ١٢٧٩ م ومع انه عدل الضرائب وساوى في فرضها بين المسلمين
والمسيحيين الا ان هؤلاء لم يسلموا من قساوته ومن قساوة المسلمين في أثناء
تغيبه في الحروب . وكان قد تمرد عليه المماليك فانتقم منهم انتقاماً قظيماً أسخط
عليه كل من سمع به فذمه على فعله فبدأ يبني تكايا للمساكين ومسـتشفيات
للمرضى تكفيراً عن ذنبه وقد أضاف الى هذه الحسنات تشديده على النصارى
وأمره اياهم بان لا يركبوا خيلاً ولا بغلاً وأنزهم بان يركبوا الحمير ويشدوا الزنانير
وان لا يحدث نصراني مسلماً وهو راكب والا يابسوا ثياباً مصقولة وغير ذلك
من أنواع الذل والهوان

وظلت هذه القوانين سارية عليهم حتى عقبه ابنه صلاح الدين خليل الملقب
بالاشرف فبدأ يضطهدهم اضطهاداً شديداً ولكنهم ثبتوا أمامه ثباتاً مدهشاً
ولكى يعانوا ان الاضطهاد لا يقوى على زعزعة ايمانهم صاروا يرسمون على
ايديهم اشارة الصليب المقدس ومن ذلك الحين صارت هذه العادة مرعية
الى الآن .

وسبب اضطهاد صلاح الدين للاقباط هو ما توهموه بعد موت قلاوون من
ان ايام ذلم قد انقضت فعادوا الى ركوب الخيل وتغيير الملابس لاسيما لما وجدوا
ذوي الشأن من المسلمين يثقون بهم ويوكلونهم على مصالحهم فاعتمدوا على
جاه مخدوميهم وغيروا مظاهرهم . واتفق ان قبظياً يسمى عين الغزال كان موظفاً
بوظيفة وكيل عند أحد كبار الامراء المماليك فذات يوم صادف وهو ذاهب الى
دار مولاه سمساراً مسلماً كان مطلوباً بمبلغ من التقود للامير ثمن غلة اشتراها
من شونه فطالبه الوكيل بما عليه واذ لم يكن عنده ما يسدد ديونه ساقه الى بيت
الامير فرأى المسلمون في الشوارع الوكيل القبطى راكباً وقابضاً على يد المسلم
الذي كان يجري وراءه فاندھشوا عند مارأوا المسلم أسيراً في يد القبطى والتفوا
حولها وطلبوا من القبطى ان يخلى سبيله فلم يرض فتكاثروا عليه والقوه عن

جواده واطلقوا السهمار وصاروا يصفعونه ويضربونه وكانت هذه الحادثة بقرب بيت الامير فذهب غلامه اليه لياتيه بمن ينجده فأسرع اليه بعبيد الامير وتمكنوا من انقاذ الوكيل وهو في حال سيئة مما ناله من الضرب والاذى بعد ان اوسعوا اولئك المعتدين ضرباً بالعصى فصاح هؤلاء « هذا ليس في شرع الاسلام » ثم اسرعوا بالسير نحو القلعة وكانوا كل مامروا في طريق ينضم اليهم جماعة حتى كثر عددهم ووقفوا تحت القلعة حيث كان السلطان ونادوا بأعلى صوت قائلين « نصر الله السلطان » فلما سمع صياحهم استفهم عن الخبر فعرفوه بما جرى وزادوا القول بان النصارى تعاضموا على المسلمين وتجبروا عليهم فأرسل السلطان الى الامير يقول له « كيف تسمح لرجالك بان يعاملوا المسلمين هكذا اكراماً لرجل نصراني » فاعتذر الامير بعدم علمه بما جرى

وخشي السلطان سوء الماقبة من تجمهر المسلمين فغضب ولم يدبر حيلة لاطفاء نار هذه الفتنة سوى الامر باهلاك الكتاب النصارى فأمر بجمع كبار كتاب الامراء واحضارهم بين يديه ليقتلهم فتأثر الامير بدر الدين وامير آخر اسمه سنجار الشجاعى واستعطفاه وما زال به حتى عفا عنهم بشرط ان لا يستخدم الامراء احداً منهم وان يعرضوا عليهم الاسلام فمن امتنع كان هو الجاني على نفسه . فطاف المنادون في شوارع القاهرة ومصر القديمة يعلنون بان السلطان يأمر كل الامراء بان يلزموا خدمتهم الاقباط باعتناق الاسلام ومن يرفض تقطع رأسه في الحال . وسرى هذا الامر ايضاً على موظفي الحكومة

فما علم الاقباط بهذا الامر حتى لاذ منهم الوف بالهروب وانزوا في الكهوف والمغائر فانتهز رعاة المسلمين ومن كان في نفسه حاجة من جهة النصارى واسرعوا بالهجوم على منازلهم وقبضوا على كثيرين منهم قبل ان يتمكنوا من الفرار وساقوهم الى الهلاك بعد ان نهبوا ما في بيوتهم ولم يبق بيت لم تمتد اليه الايدي بالسلب والنهب وسبى عدد عظيم من النساء وقتل المسلمون بايديهم كثيرين قبل وصولهم الى محل القتل امام السلطان . ولما شاهد ذلك الامير بيدرا سعى

لدى السلطان حتى استصدر منه أمراً يقضى بشنق كل من ينهب بيتاً امام البيت الذي ينهبه ولكن الرعاع استمروا في طغيانهم فقبض على كثيرين منهم وجلدوا جلدأ مبرحاً فكانوا عبرة لسواهم وانقطع السلب والنهب بعد ان نهبت كل البيوت ونهبت كنيسة المعلقة وقتلوا فيها جماعة وقتل عدد عظيم من الاقباط

قال المحمري « ثم جمع النائب كثيراً من المنصاري كتاب السلطان والامراء ووقفهم بين ايدي السلطان عن بعد منه فرسم للشجاعى وامير جاندار ان يأخذوا عدة معها وينزلا الى سوق الخيل تحت القلعة ويحفروا حفرة كبيرة ويلقيا فيها الكتاب الحاضرين ويضرموا عليهم الحطب ناراً . فتقدم الامير بيدرا وشفع فيهم فأبى ان يقبل شفاعته وقال ما أريد في دولتي ديواناً نصرانياً . فلم يزل به حتى سمع بان من أسلم منهم يستقر في خدمته ومن امتنع ضربت عنقه فأخرجهم الى دار النيابة وقال لهم يا جماعة ما وصلت قدرتي مع السلطان في أمركم الا على شرط وهو ان من اختار دينه قتل ومن اختار الاسلام خلع عليه وبأشر خدمته فابتدره المسكين بن السقاعى احد المستوفين وقال ياخوند (كلمة تركية للتعظيم) واينا قواد يختار القتل على هذا الدين والله دين نقتل ونموت عليه يروح لا كتب الله عليه سلامة قولوا لنا الذي تختاروه حتى نروح عليه « فغاب بيدرا الضحك وقال له ويلك أنحن نختار غير دين الاسلام « فقال « ياخوند ما نعرف قولوا ونحن نتبعكم « فأحضر المدول واستسلمهم وكتب بذلك شهادات عليهم ودخل بها على السلطان فالبسهم ثيابهم وخرجوا الى مجلس الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن الساموس فبدأ بعض الحاضرين بالملكين بن السقاعى وناوله ورقة ليكتب عليها وقال له متهمك يا مولانا القاضي اكتب على هذه الورقة (انك اسلمت) فقال له « والله يا بني ما كان لنا في هذا القضاء خلد « فلم يزالوا في مجلس الوزير الى العصر فجاءهم الحاجب وأخذهم الى مجلس النائب وقد جمع به القضاة فجددوا اسلامهم بحضورهم فصار لدليل منهم باظهار الاسلام عزيزاً يبدى من اذلال المسلمين والتسلط عليهم بالظلم ما كانت تمنعه نصرانيته من اظهاره وما

هو الا كما كتب به بعضهم الى الامير بيدرا النائب :
اسلم الكافرون بالسيف قهراً واذا ما خلوا فهم مجرمونا
ساموا من رواح مال وروح فهم سالمون لا محامونا
وبالجملة فلم ينته هذا القرن الا بمصائب عظيمة فعم الجوع والوباء بسبب قلة
زيادة النيل فضلا عن الحروب والفتن والقتال وكان الاقباط لكل هذه الرزايا
الضحية الوحيدة فكثرت عليهم الضرائب وزادت الجزية فمهم من مات ومنهم
من أسلم اما تخلصاً من المغارم أو خشية ان يصيروا الى ما صار اليه من شاهدوهم
من اخوانهم المسيحيين يقتلون ويستولى على جميع املاكهم وربما كان البعض طمعاً
في الوصول الى المراكز الرفيعة



القرن الرابع عشر

القسم الاول

تاريخ البطركية

.....

- (١) يوحنا ٨ (٢) يوحنا ٩ (٣) بنيامين ٢ (٤) بطرس ٥
(٥) مرقس ٤ (٦) يوحنا ١٠ (٧) غبريال ٤ (٨) متاؤس ١

.....

(١) يوحنا ٨ - البطريرك الثمانون . بعد وفاة البابا ثيودوسيوس في ختام القرن الثالث عشر انعقد مجمع الاساقفة والشعب بالدار البطريركية لانتخاب غيره فأقروا على تكريس رئيس دير شهران المشهور بدير الانبا برسوم العريان وكان مولوداً بالمنيا ويعرف بيوحنا بن قديس فتقدم بطريركا في ١٦ أمشير سنة ١٠١٦ ش ٣٠٠ م في ايام الملك الناصر وفي ايامه بلغ اضطهاد المسيحيين أشده وضجر الاقباط من كثرة العوائد المكروهة التي ألزموهم بالسير عليها و ارادوا ان يتخلصوا منها بالعرف فلما رأى المسلمون منهم ذلك طلبوا من محافظ القاهرة ان يسمح لهم بهدم باقي كنائسهم كي لا يعودوا الى العصيان مرة أخرى . فاستدعى المحافظ اليه البابا يوحنا وأخبره بالامر وطلب منه ان يوصي اولاده بالخضوع لسكل ما حل بهم أو يعرضون ذواتهم لضيق عظيم فكتب في الحال البطريرك الى جميع اساقفة الابروشيات

يخضعهم ويدعوهم الى التشديد على الشعب القبطي باتباع ما امروا به وخوفاً من الاضطهاد شدد عليهم وأمر ان من يخالف هذه الاوامر يحرم من الكنيسة وانه لا بد من الرضوخ لارادة القوة الحاكمة

غير ان ذلك كله لم يقنع المسلمين فطلبوا من البطريك ان يفتق كل الكنائس الباقية بلا تخريب ولما أبى ان يطيعهم انهلوا عليها وأخذوا يهدمونها وهو يحاول بحكمته ان يدفع هذا البلاء ولكنه لم يفلح

وهكذا قضى هذا البابا على الكرسي عشرين سنة وثلاثة شهور وعشرين يوماً كانت كلها مفعمة بالاحزان وشديدة الوطأة على المسيحيين حتى أراحه الرب ونقله اليه في ٤ بؤونه سنة ١٠٣٦ ش و ١٣٢٠ م

(٢) يومنا ٩ - البطريك الحادي والثمانون . وبعد وفاة البابا يوحنا ٨ باربعة شهور اجتمع المجمع وأقر على انتخاب واحد كان من جهة نفيسة بالمنوفية وقدموه بطريكاً في اول بابه سنة ١٠٣٧ ش و ١٣٢١ م في عهد الملك الناصر المذكور ودعى يوحنا التاسع وعقب تنصيبه حريق بالقاهرة واتهم باشعال النار بعض الرهبان فتار المسلمون طالبين اهلاك المسيحيين فطلب القاضي كريم الدين ان يحضر امامه البابا يوحنا ليذله عن احدث هذا الحريق فاحضره الجند في الليل خوفاً من ان تصل اليه ايدي الثائرين ولما سئل عن الحريق ذرفت عيناه الدموع وأورى انه لا يعرف شيئاً فأمر القاضي باطلاقه لمقره بكل احترام فسار به الحراس الى الدار البطريركية ولكن جماعة الغوغاء والأوباش الذين كانوا يملأون الشوارع كادوا يمزقونه في الطريق لولا حذر المساكر ومحافظتهم عليه حتى دخل البطريركية بسلام ويظهر ان تقوى هذا البابا حفظته من الخطر في تلك الايام الهائلة فقضى مدة رئاسته آمناً يشاهد النكبات التي تلحق شعبه المسكين حتى انتهت حياته في ٢ برمودة سنة ١٠٤٣ ش و ١٣٢٨ م وكانت مدة بطريركيته ستة اعوام وخمسة شهور و ٢٢ يوماً

(٣) بنيامين ٢ - البطريك الثاني والثمانون . وبعد ثلاثة واربعين

يوماً لوفاة البابا يوحنا استدعى ا كابر الامة الاساقفة الى الدار البطريركية لاقامة بطريك آخر فاجعت آراؤهم على انتخاب احد رهبان دير البغل بجبل طره واصله من اهل الدمقراط فرسم بطريكا في ١٥ بشنس سنة ١٠٤٣ ش و ١٣٢٨ م في اواخر ملك الملك الناصر ودعى بنيامين الثاني

وفي ايامه أعيد الكرب على المسيحيين ولا سيما الرهبان والا كليروس فوجه اهتمامه نحو اديرة الرهبان التي اندثر كثير منها واهمل بسبب الاضطهاد فجدد دير انبا بشوى الكائن بيرية النظرون واستدعى اليه بعض الرهبان ليقيموا به ويعمروه ولبث مجاهداً حتى تمت ١١ سنة و ٦ شهور ويوم واحد على جلوسه على الكرسي وتنيح في ١١ طوبه الموافق لعيد الغطاس سنة ١٠٥٥ ش و ١٣٣٩ م واستمر كرسي البطريركية خالياً بعده عاماً واحداً

(٤) بطرس ٥ - البطريرك الثالث والثمانون . وخلف البابا بنيامين

البابا بطرس الذي اختاره مجمع الاساقفة والشعب الذي انعقد بالدار البطريركية واقام بطريكا في ٦ طوبه سنة ١٠٥٦ ش و ١٣٤٠ م في اواخر سني ملك الملك الناصر . وكان يدعى اولاً داود وكان راهباً بدير ابي مقار

وفي ايامه تقدمت شكوى من المسلمين على النصارى للسلطان الصالح بانهم يخالفون القواعد التي أمرهم بالسير عليها فأمر السلطان باحضار البطريرك وكلفه بان يلزم رعيته بالخضوع لاوامر الحكومة . وقد شاهد هذا البابا بعينه المصائب الفادحة التي كانت تنزل بامته التعيسة وهو صابر طالباً منه ان يرفعها عنهم حتى سمع الله صلواته وتنيح وهي آمنة مطمئنة في ٤ ابيب سنة ١٠٦٤ ش و ١٣٤٨ م بعد ان قضى على الكرسي ثمانين سنين وستة شهور وثمانية أيام وخلا الكرسي بعده شهرين وبعض أيام

(٥) مرقس ٤ - البطريرك الرابع والثمانون . وبعد وفاة البابا بطرس

انتخب الاساقفة والشعب في مجمع البطريركية راهباً دعوه مرقس الرابع وتمت رسامته في ١٠ توت سنة ١٠٦٥ ش و ١٣٤٩ م في مدة تملك السلاطين شعبان وحاجي وحسن وصلاح الدين وكان يدعى اولاً فرج الله من قليوب ترهب

ورسم قساً بدير شهران

وفي أيامه اشتد الاضطهاد على المسيحيين والتي القبض عليه وعذب عذاباً شديداً فعلم ملك النوبة المسيحي بذلك فلقى القبض على كل التجار المسلمين في مملكته ورهنتهم أسرى حتى يطلق سراح البطريرك فالتزم المسلمون في مصر ان يتركوه دون ان يضره عند علمهم بهذا الخبر

وحدث في أيامه أيضاً فناء عظيم خربت به القرى . وكانت نياحته في ٦ امشير سنة ١٠٧٩ ش و ١٣٦٣ م وخلا الكرسي بعده ٣ شهور و ٦ أيام

(٦) يوحنا ١٠ - البطريرك الخامس والثمانون . وبعد وفاة البابا مرقس

الرابع حضر الاساقفة من كل الابروشيات الى البطريركية واجتمعوا بكبار الامة ويظهر ان يلبغا والي مصر وقتئذ تساهل معهم فانتخبوا بطريركا جديداً بلا صعوبة أو معاكسة من المسلمين وسمى يوحنا العاشر ولقب بالموثمن وتمت رسامته باحتفال عظيم في ١٢ بشنس سنة ١٠٧٩ ش و ١٣٦٣ م في زمن تملك الاشرف شعبان وأصله من دمشق

ولبت على كرسي الرئاسة مدة ست سنوات وشهرين وثمانية أيام حدثت في خلالها مجاعة عظيمة في مصر وسوريا حملت سكان القطرين على أكل القلعط والكلاب وتنيح في ١٩ ابيب سنة ١٠٨٥ ش و ١٣٦٩ م وخلا كرسي البطريركية بعده ستة أشهر

(٧) غبريال ٤ - البطريرك السادس والثمانون . اختير بطريركا في مجمع

لاساقفة والشعب المنعقد بالبطريركية راهب من دير المحرق يدعى غبريال رسم في ١١ طوبة سنة ١٠٨٦ ش و ١٣٧٠ م في زمن تملك الاشرف شعبان وقد تم انتخابه بكل هدوء وسكينة وكانت مدة رئاسته ثمانين سنين وثلاثة شهور و ٢١ يوماً وتنيح في ٢ بشنس سنة ١٠٩٤ ش و ١٣٧٨ م وخلا الكرسي بعده ثلاثة شهور

(٨) منأوسى ١ - البطريرك السابع والثمانون . جلس على الكرسي بعد

البابا غبريال باجماع الاساقفة والشعب ومن أمره انه من دير المحرق وشغف منذ صباه بالعيشة النسكية فترهب في سن الرابعة عشرة بدير بقرب اخميم وصار تلميذاً للشيخ ابرآم مدة اربع سنين وبعدها دعاه اسقف تلك الجهة ليكون معه وكان جميل الوجه حسن الصورة فهامت به امرأة وبذلت جهدها لتنال منه فأرهبها واذا كان يوماً يرعى في الحقل مواشى الاسقف خرجت وراءه وراودته ليرتكب معها خطية الزنا فاقشمر بدنه لدى سماعه طلبها وأخذ يحذرهما من التماذي في هذا الشر ويذكر لها عقاب الله الشديد للاخطاة فأجابته « ان جمال حاجبيك هو الذي ساقني اليك وأشعل بنفؤادي لظى غرامك » فأسرع واستل مديّة وفي ناحية بعيدة منها قطع بها حاجبيه وعاد اليها والدم ينخضبها ويسيل منها وقال « تفرسي أيتها الشقية في الجمال الذي سببك كيف تحول الى شناعة » خالما شاهدت منظره ارتعدت فرائصها ولاذت بالفرار . الا ان الشيطان عاد وحركها فرجعت تضايقه فطلب من الاسقف ان يطلق سراجه فأبى ورأى ان يتخلص من هذه الورطة فتظاهر أمام الاسقف بالجنون وأخذ يمزق أثوابه حتى اضطر الاسقف أن يخلي سبيله فأتى معلمه الشيخ ابرآم واطلعه على خبره فسر منه وشجعه على السير الى النهاية في طريق الفضيلة وأرسل يخبر الاسقف بأمره فلما علم الاسقف ان متى استخدم الجنون لكي يهرب من الشر استدعاه اليه ورسمه كاهناً بدون اذن الشيخ ابرآم فعاتبه الشيخ على ترفيته لراهب صغير الى رتبة السكهنوت فرد عليه الاسقف متنبئاً ان متى سيصل الى رتبة رفيعة

وبعد ذلك ترك القس متى الاسقف وتوجه الى دير الانبا انطونيوس بالجبل الشرقي واستمر يخدم بوظيفة شماس ففاحت رائحة فضيلته ونطقت الأفواه بمدحه فخشي ان يؤثر المديح عليه فينتفخ فترك الدير ومضى الى القدس وهناك لبث يعبد الله بعيداً عن الناس مدة طويلة حتى اضطره الحال ان يعود الى مصر ويسكن دير انطونيوس ثانية

وبينما كانت مباشرة عبادته هجم أحد الامراء على الدير والقى القبض على الرهبان وبينهم القس متى وعذبهم عذاباً شديداً وانزلم من الدير فأصابهم في الطريق عطش شديد ولم يجدوا ماء الا مع الامير الذي أبى ان يعطيهم نقطة واحدة .

فجمع القس متى الرهبان وطلب منهم ان يصلوا لله حتى يفرج كربهم فلم يفرغوا من الصلاة حتى هطل الغيث وارتووا . وكان القس متى يشجع اخوته الرهبان في الطريق ويعدهم بقرب وقت الفرج . ولما أتوا الريف طلب السلطان من الامير ان يذهب الى معسكره فترك الرهبان ولوقتها انطلق القس متى وأقام في الدير المحرق ولبث مواظباً فيه على العبادة حتى اختير للبطريركية فقبلها رغم ارادته ورسم في اول مسرى سنة ١٠٩٤ ش و١٣٧٨ م في عهد تملك على بن الاشرف وكان اثناء بطريركيته ملازماً أعمال الخير نحو الجميع فلجأ اليه الفقراء والمعوزون فكان يعمل على تنفيذ كربهم حتى نزل به مكروه من راهبين طلبا منه ان يصيرها اسقفين فرفض طلبهما اذ لم يجدهما مستحقين فتكلما ضده لدى الملك بكلام سوء فلم يسمع كلامهما لانهما كه في الحرب . واذ لم يجدا فائدة من الشكوى هجما على البطريرك ذات يوم وتوعداه بالقتل ان لم يمنعهما مرغوبهما فوعدهما باجابة سؤالها بعد اربعين يوماً ولم تنته هذه المدة حتى أراحه منها الرب بموتها وحدث أيضاً ان راهباً سورياً اعتنق الديانة الاسلامية وبذل جهده ليوقع البطريرك في محنة فأتى كثيرون طالبين من البابا ان يلعن هذا الرجل فاجابهم لا أستطيع ان العنه لانه لا بد ان ينال اكليل الشهادة على اسم المسيح . وبعد مدة وجيزة شعر الراهب بسقطته واعترف بالمسيح علانية فأورده المسلمون موارد الهلاك

وبعد ذلك اتفق يلبغا الوالي مع الاميرين منطاش وسودون على ايقاع الضرر بالبطريرك والكنائس ولما شرعوا في عملهم توجه البابا الى السلطات برقوق وشكى له الامر فألزمهم بالكف عن عملهم . ولبث هذا البابا مدة ثلاثين سنة وخمسة شهور وتذيح في ٥ طوبه سنة ١١٢٥ ش و١٤٠٩ م وخلا كرسي الرئاسة بعد اربعة أشهر واياماً

القسم الثاني

مشاهير الكنييسة

انبارويس

.....

هو الشهير بابي فريج ولد في احدى قرى اقليم الغربية وترك موطنه في سن العشرين وتوجه الى الصعيد وعاش عيشة النسك والزهد فاجبه الناس ونال مركزاً سامياً في عيونهم ثم هجر الوجه القبلى وأقام بالقاهرة فقبض عليه هو وبعض المؤمنين وألقوا في السجن ونزلت بهم بلايا عديدة كان القديس في ابانها يقوي رفقاه على احتمالها الى ان أطلق سراحه بتدخل البطريرك فطاف انبارويس معلماً بأقواله وافعاله . وانفرد في آخر حياته للعبادة والصلاة وأجرى الرب على يديه آيات وعجائب حتى تنيح سنة ١٢٩٧ م وأودع جدته بدير الخندق المعروف الآن بدير انبارويس

○○○○○○○

القسم الثالث

الأممكة والكنييسة

.....

- (١) الملك الناصر بن قلاوون (٢) الملك الصالح (٣) الملك المنصور
(٤) دولة المماليك الثانية . برفوق

(١) الملك الناصر بن قلاوون سنة ١٢٩٩ م وركن الدين سنة ١٣٠٨ م.

في أول ملك الناصر بن قلاوون تفشت الأمراض وقتكت بالانسان والحيوان فأفهمه قاضي الاسلام ان ذلك حدث بسبب وجود المسيحيين في الدولة . وكان هذا القاضي ابناً لاحد المسيحيين واعتنق الاسلام فارتقى لهذا المنصب وأصبح كارهاً لديانته الاولى ساعياً جهده في ارغام تابعيها على تركها فكان يوقع بهم كلما أتاحت له فرصة

وكان في هذا الجيل يجبي من كل فرد من الاقباط دينار في كل سنة علاوة على الجزية المضروبة عليه برسم نفقة الجنود وغير ما كان يجبي منهم بالاشتراك مع المسلمين مما كانوا يسمونه زكاة الدولة ونفقة الاحتفال بوفاء النيل وغير ذلك . وكانت الاضطهادات التي وقعت على هؤلاء البائسين في اول هذا الجيل من أهول لويلات التي حلت بهم وأنزلتهم في قعر الهوان وناولهم منها كل ذل وفقر وقلة عدد مما لانزال نشاهد اثره للآن وقد يميل بعض المؤرخين الى اتهام الاقباط بان ما حل بهم من الفواحش كان نتيجة تصرفهم السيء وقد ادعى المقريري المؤرخ المسلم ان سبب هذه البلايا التي ابتلوا بها تكبر بعضهم وعتوهم فعوقبوا بلبس العمام الزرقاء وشد الزنانير في أوساطهم ومنعهم من ركوب الخيل والبغال

والحقيقة ان سبب تراكم البلايا على هؤلاء المساكين هو كثرة تدميرهم من الظلم الذي كان يقع بهم ونزوعهم الى الاعتراض على الاوامر القاسية التي كانوا يجبرون بالسير عليها حتى دفعت الحمية منهم كثيرين الى التجرد على مخالفة هذه الاوامر فلبسوا العمام البيضاء بدل السوداء التي حكم عليهم بلبسها وتأنق بعضهم وتجميلوا بلبس الثياب المصقولة وتجاسر بعض الموظفين فظهروا في الشوارع راكبين خيولاً . فساء هذا بعض المتعصبين الذين كانوا يرتاحون لاذلال النصارى فصاروا يبرأون بهم وينظرون اليهم شذراً وغير ذلك مما جراً العامة على اهانتهم والاستخفاف بهم وصاروا يفكرون في طريقة بها يلقون عليهم ذلاً لا يقوون بعده على رفع أنوفهم فأقر كبارهم على هدم كل كنائس الاقباط وضرورة تنفيذ كل ما صدر عليهم من القوانين جرياً

وحدث في وزارة بيبرس الجاشنكير والامير سييلار ابي قبطياً من موظفي الحكومة المتقدمين كان سائراً في شوارع مصر راكباً جواداً ولا بساً عمامة بيضاء وامامه الخدم وخلفه بعض المسلمين الذين لهم ما ركب في الحكومة . فلاقاه وهو على هذه الحال وزير ملك المغرب وكان قاصداً الحج فأراد ان يتوسط بينه وبين الذين خلفه يسترحمونه ولما علم بانه نصراني عزأ بالامر وتوجه الى القاعة وخطب الوزير بيبرس والامير سييلار وهو يبكي مشفقاً على حال المسلمين الذين أصبحوا تحت ذل النصراني ثم هدهما بحلول نعمة الله عليهما ان لم ينتقما من أعداء المسلمين فاستدعيا بطريك الاقباط وأراخنتهم وكبارهم واقنعوهم بالتزام لبس الذل وركوب الحمير فاصدر البطريرك منشوراً لعموم الشعب يحضهم فيه على الخضوع لكل قانون صدر ضدهم

أما الوزير المغربي فلم يرض بذلك بل حرض العامة على هدم الكنائس فقاومه تقي الدين القاضي الاعظم وجاهر بانه لا ينبغي ان تهدم الا الكنائس المستحدثة فنشأ عن ذلك قفل وهدم عدة كنائس بنيت حديثاً بالقاهرة وحاول النصراني ان يفتحوا كنيسة منها ولما فتحت تمهيج عليهم الرعاع واشتكوهم للامراء ووقفوا في طريق الوزير والامير وتوسلوا اليهما ان يرهما الاسلام من تجبر النصراني الذين ينقضون أوامر الحكومة ويفتخون الكنائس بدون تصريح منها فصدر الامر ثانياً بضرورة تطبيق ما صدر من القوانين عليهم ومن خالف أمراً ينهب ماله وتقطع رأسه فطلب المسلمون من البطريرك ان يغلق ما بقى من الكنائس ولما رأوه راض تنفيذ أمرهم قاموا بهدم وتخریب كل الكنائس

وبعد ذلك عهد الحكام المسلمون ثانياً الى رفت كل قبطى موظف بدوائر الحكومة يأبى ان يسلم وكان الغوغاء والرعاع يدأبون في الاستهزاء بهم ورجم المارين منهم في الشوارع بالحجارة وينتقدون نحو من يشاهدونه راكباً حماراً صغيراً ويجذبونه الى الارض ويضربونه بالمال على عنقه حتى يشرف على الهلاك ووقع ضيق عظيم خصوصاً على اقباط مدينتي الاسكندرية والفيوم واشتد الاوباش في اضطهادهم حتى لم يكن في طاقة الحكومة مقاومتهم . فتظاهر كثيرون من الاقباط بالاسلام كرهاً في تغيير زيهم وخوفاً من قطع عيشهم

وقال المقرئزي « وقد اكثر شعراء العصر في ذكر تغيير زي اهل الذمة فقال علاء الدين علي بن مظهر الوداعي : —

لقد أزم الكفار شاشات ذلة
فقلت لهم ما ألبسوك عمائمًا
وقال شمس الدين الطيبي

تمجبوا للنصارى واليهود معاً
كأنما بات بالاصباح مذهلاً
والسامريين لما عمموا الخرقا
نسر السماء فاضحى فوقهم زرقا

وحدث في سنة ١٣٠١ م ان تمرد على السلطان اكثر مسامى الصعيد فارسل اليهم قوة لاخضاعهم فذبحت الالوف من الاقباط والمسلمين على السواء وفي السنة التالية حدثت زلزلة دمرت بلاداً كثيرة فشعر السلطان ان ذلك كله نتيجة جوره على الاقباط المساكين

وكان عيد وفاء النيل (عيد الشهيد) قد دنا واعتاد الاقباط ان يقيموا احتفالاً سنوياً له مدة ثلاثة ايام ابتداء من ٨ بشنس في ناحية شبرا (١) وكانوا يعتقدون ان النيل لا يقى الا اذا القوا فيه تابوتاً من خشب فيه أصبع من اصابع الشهيد . وكان عند اقتراب هذا العيد يرحل المسيحيون و يقيمون بنحيمهم على شاطئ النيل . فلما علم الوزير بيبرس ان النصارى عازمون على الاحتفال بهذا العيد أمر بإبطاله محتجاً بما يحصل فيه من الامور المفارقة للآداب والنظام وكان ذلك سنة ١٣٠٢ م

واستمر الاضطهاد على هذا الحال ثلاث سنوات حتى جاء الى مصر حينئذ وفد من ملك بارسلونه يحمل فدية لاسير كان قد اسره السلطان في حرب . فلما شاهد رجال هذا الوفد مايقع على رؤوس الاقباط من البلاء اندهلوا وجزعوا جداً ولم يطيقوا رؤية هذا الجور الفظيع ودفعتهم حميتهم ان يطالبوا من السلطان فتح الكنائس مقابل مبلغ من المال يدفعونه له فأجابهم السلطان الى طلبهم ففتح كنائس كثيرة وخف الاضطهاد نوعاً . وقال المقرئزي ان السلطان لم يفتح الاكنيستين فقط هما كنيسة احرار زويلة والبنديقانيين ثم رحع ومثل بالوفد تمثيلاً شنيعاً .

(١) وبالقبطية « شوبري » وهي مركبة من كلمتين « شوب » مدينة و « ري » شمس

وخلع الملك الناصر بعد ذلك وجلس على كرسي السلطنة عوضه بيبرس الجاشنكير ولقب بالملك المظفر ولكن الملك الناصر عاد فقتل بيبرس واسترد عرشه وكان قد تأكد ان كل ما حل به كان من جرى ظلمه للنصارى البائسين قصار بحميمهم بكل قوته من نهب واستبداد المماليك وتعصب مواطنيهم المسلمين . ولكنه فيما بعد لم يقو على ايقاف سيل التعصب الذي كان يملا قلوب المسلمين على الاقباط فاضطر احياناً ان يقسو على المسلمين وتارة عليهم وعلى النصارى سواء وأرغم أخيراً ان يسلم في بيوت النصارى وقتلهم وسلب ما لهم عند ما رأى نار الغضب والهياج قد أخذت من المسلمين كل مأخذ

وقد ابتدأت ويلات الاقباط من هذه الحادثة وذلك ان الملك الناصر اراد ان يبني ميداناً فسيحاً بالجهة المعروفة الآن بالناصرية وكان في الموضع الذي اختاره كنيسة للاقباط تسمى كنيسة الزهري واسعة الاطراف محكمة البناء وكان بها كثير من النصارى وحوطها ايضاً عدة كنائس . ف اشار عليه المتعصبون بهدمها لانه لا يصح ان تكون للنصارى كنيسة ظاهرة بهذه الكيفية أما هو فلم يرد ان يهدمها بل أمر ان يحفر ما حول جدرانها حتى تنهار من نفسها ولما كانت على جانب عظيم من المتانة استمرت واقفة ولم تسقط فاغتاز المسلمون ونقموا على الاقباط لما رأوا السلطان يدافع عنهم

وكررت حينئذ العبارات بالعاصمة فتواطأ المسلمون مع بعض الامراء على هدم الكنائس لينتقموا من النصارى من جهة وليستخدموا انقاضها وادواتها في العمارات التي كانوا يبنونها من جهة أخرى وغنوا لذلك يوم ٢١ بشنس سنة ١٣١٢ م . وفي احد ايام الجمع تجمع بعض الغوغاء اثناء الصلاة بالجوامع ولم يشعر الاقباط الا والهدم دائر في كنائسهم وسلب ما بها من الاواني والمقتنيات ورأوا كنيسة الزهري قد امتدت اليها الايدي فهدمتها وسلبت كل ما بها وقتلت كل من كان فيها من المسيحيين . ثم توجه الثائرون الى كنيسة مار مينا في حي الحمراء التي كانت موضوع اعتبار الاقباط وللكثرة النذور التي كانوا يقدمونها صارت أغنى الكنائس حتى أقام حولها كثيرون من الرهبان والراهبات . فتسلى الرعايا تلك المساكن وتمكنوا من هدم الكنيسة حالاً ونهبوا منها مالا وقماشاً وجرار

خمر واهلكوا كل من كان فيها ثم هدموا كنيسةين كانتا بجوار السبع اساقيات
وكانت احدهما ديراً للراهبات فاخرجوا منها اكثر من ستين راهبة ونزعوا ثيابهن
وسلبوا كل ما وجدوه معهن وبعد ذلك اطلقوا النار في بيوت النصارى القاعة
حول كنيسة مار مينا وحرقوا الكنائس الثلاث

ولم يكفهم ذلك فقاموا الى بايليون التي كانت يسكنها اكثر الاقباط
واغنيائهم قاصدين الفتك بهم ولكن هؤلاء شعروا بهم قبل وصولهم فاغلقوا
ابواب الحصن القديم وكان داخل سورہ ست كنائس واستعد الاقباط للدفاع
عن انفسهم . وكانت اخبار تلك التمديدات قد انتهت الى السلطان وقيل له ان لم
تسرع في انقاذ اقباط بايليون هلكوا عن آخرهم وبلغه خبر وجود عصاة
أخرى كانت تسعى الى هدم كنائس الموسيقى وحارة زويلة فسار السلطان اليهم
وهددهم حتى امتنعوا ومن ثم اصدر امره للأمير جامش ان يقوم حالا بفرقة
من العساكر الخيالة لنجدة الاقباط الذين كانوا محاصرين في قصر الشمع (اسم
يطلقه العرب على بايليون) فاسرع اليهم الأمير ومعه اربعة من الأمراء ثم
تقدم قائد الفرقة ووصل قبل الأمير وحاول ان يمنهم ويبدد شملهم فلم يفلح
بل تناوله القوم بالحجارة وفي اثناء ذلك كان الأمير قد وصل فرآهم شارعين في
حرق البوابة الكبيرة التي لم ينجحوا في كسرها . فهجم عليهم هجمة شديدة
ففرقت جموعهم وفروا هاربين ونادى على الباقين ان يبتعدوا والا يقتلهم بالسيف
فامتنعوا ثم اقسم باعلى صوته مهدداً كل من يبقى هناك بعد ساعة بالقتل فانصرف
الجميع وتفرق الناس وبقي الأمير هناك الى المساء خيفة من ان يعودوا الى الهجوم
وقبل ان يبرح مكانه شدد على رئيس الحرس بالمحافظة على بايليون وترك له
خمسين جندياً يساعدونه

وقال المقريري « وكان الامر في هدم هذه الكنائس عجيباً من العجب
وهو ان الناس لما كانوا في صلاة الجمعة في ذلك اليوم بجامع قلعة الجبل قام رجل
موله وهو يصيح اهدموا الكنيسة التي في القلعة فتعجب السلطان والامراء من
قوله وحسبه الكل مجنوناً ولكنهم مضوا من الجامع الى خرائب الترم من
القلعة فاذا فيها كنيسة قد بنيت فهدموها » فتعجب السلطان من امر هذا الفقير

وبحث عنها فلم يجده . وحدث أيضاً بالجامع الأزهر ان قام فقير وقال اهدموا
كنائس الكفرة وما خرجوا من الجامع حتى رأوا النهاية ومعهم خشاب
الكنائس وثياب النصارى وغير ذلك من الهوب فاضطر السلطان عندئذ ان
يرسل ايضاً بعض الامراء الى جهات أخرى في مصر ليجنموا الناس عن هدم
الكنائس وابعادهم عنها ولكن هؤلاء لم يفعلوا كالأمر الأول بل توانوا وابطأوا
حتى اذا ما وصلوا الى تلك الجهات المتعددة وجدوا الكنائس قد هدمت عن
آخرها ونهب الناس كل ما بها وهكذا لم ينجح من الهدم والنهب الا كنائس
بابلليون والبيوت التي بها . أما كنائس مصر والفسطاط فهدمت جميعها أو معظمها .
فشمل الخوف جميع الأقباط الساكنين بمصر والفسطاط فلم يجسروا على الخروج
من بيوتهم وبقوا مسجونين فيها اياماً وبعضهم تركها وسكن ببابلليون لتحصنها
وعدم امكان التغلب عليها بسهولة . وكانت الطرق في ذلك اليوم مربعة جداً
لانها كانت غاصة بالنهايين الحاملين منهوبات الكنائس وبيوت النصارى . وفي
ذلك اليوم وتلك الساعة ارسل يخبر والي الاسكندرية ان الراع بعد صلاة الجمعة
هجموا على اربع كنائس وهدمونها وفعل مثلهم راع دمنهور في البيخيرة فهدموا
كنيستين وفي قوص بالدميندوق فقير ودعا قائلاً « يا فقراء اهدموا الكنائس »
فخرجوا من الجامع فوجدوا الهدم قد وقع في الكنائس فهدمت منها ست
وهضرت ورد الى دار السلطنة كل يوم اخبار من الاقاليم تنبئ بقيام جماعة المتعصبين
في مديريات الغربية والشرقية والبهنسا واسوان ومنفلوط والمنيا وغيرها في يوم
الجمعة المشار اليه بالهتاف على الناس « ان اهدموا كنائس النصارى » فهدم
منها ومن الأديرة عدد عظيم

فسخط السلطان على أمرائه وطلب منهم البحث على رؤساء العصابات وطلب
المرؤيس الذي دعا الى هدم الكنائس فلم يجده فقبض الامراء على بعض محركي
الثورة فقال هؤلاء ان ما فعلناه كان بأمر السلطان فلم تتدرك الحكومة من
ان ثبت أية تهمة عليهم مع ان السلطان لم يكن قد أمر بذلك . ولما أدرك السلطان
ان هذه الحادثة دبرت قبل خدوشها اراد ان يقاض مديريها فحشي الامراء اقتضاح
الأمر اذ كانت لهم يد عجيبة تصاروا بتواقف على السلطان وما زالوا به حتى

اقاموه ان الله يهوج بخراب كنائس النصارى بالنسبة لتعظيمهم وارتيكائهم الشرور
التي تنهي ديانتهم عنها (١)

وبعد مرور شهر دلى هذه الحادثة شمر أهالي القاهرة فجأة بحريق هائل في
المدينة في يوم سبت واستمرت نيرانه اسبوعاً وكان الريح شديداً فحرت منازل
كثيرة وظل رجال الحكومة يعملون على اطفاء النار ولكنه كان كل يوم
يظهر حريق جديد حتي اضطرت البلاد اضطراباً عظيماً وقام المتعصبون ينادون
في الشوارع قائلين « ان النصارى هم الذين اشعلوا النار »

وقد أفاض المقرئزي الأورنج المسليم في سرد خبر هذه الحادثة وعنه استقى
باقي المؤرخين إلا ان روح تعصبه ظاهرة في ما كتب فيه وروي انه في يوم
من شهر يولييه من تلك السنة قبض على راهبين وجدا خارجين من مدرسة
فتحقق ظن الصالحين وساموهما الى السلطان فأمر بتعذيبهما ولم يكف ينطق بالحكم حتى
أتوه براهب آخر وجدوه في جامع الازهر ومعه عدة اكياس فيها نعط وقطران
وبتعذيبهم اعترفوا بانهم رهبان دير يعرف بدير البغل بجهة طرا وانهم أربعة
عشر وقد تعاهدوا على احراق مصر والفسطاط وانتقاماً من المسلمين على هدم
كنائسهم وانهم اقتسموا القاهرة ومصر فجعل للقاهرة ثمانية ولبصر ستة

(١) وقال المقرئزي يخبر عن الكنائس التي خربت حينئذ « وخرت من الكنائس كنييسة
بخرايب النتر من قلعة الجبل وكنيسة الزهري في الموضع الذي فيه الآن البركة الناصرية وكنيسة
الحراء وكنيسة السبع السقايات وكنيسة بحارة الروم وكنيسة بالبنديقانيين وكنيسة بحارة زويلة وكنيسة
بخزانة البنود وكنيسة بالحنديق واربع كنائس بقر الاسكندرية وكنيسة بقر الوحش
واربع كنائس بالفريية وثلاث كنائس بالشرقية وست كنائس بالبهنساوية وباسيوبوط وبنقاوط وبنية
الحصيب ثمان كنائس وبقوص واوران احدى عشرة كنيسة وبالاطفيجيه كنيسة وبيوق ورياني من
مدينة مصر وبالخاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس وخرت من الديارات شيء كثير واقام
دير البغل ودير شهران مدة ليس فيهما أحد وكانت هذه الخطوب الجلية في مدة يسيرة قلما يقع
مثالها في الازمان المتطاولة هلك فيها من الانفس وتلف فيها من الاموال وخرت من الاماكن
ما لا يمكن وصفه والله جاقية الامور »

وفي أثناء ذلك ظهرت النار بدار القاضي كريم وهو من عائلة قبطية الاصل
وأسلمت من مدة فاستدعى اليه بطريرك الاقباط واذا تأكد انه لا يعلم شيئاً عن
هذه الحوادث اطلقه آمناً فسخط عليه العامة واتهموه بالكفر لانه حامي عن
الدين حرقوا بيوت المؤمنين . أما القاضي فافهم السلطان ان بعض جهلاء الاقباط
هم لادين أرادوا الانتقام من المسلمين على ما ارتكبوه ضدكم من الفظائع . فأمر
السلطان باستمرار تعذيب الرهبان حتى يعترفوا باسماء الاغبياء الاقباط الذين
حرضوهم على هذا الفعل . ولكن الرهبان استمروا يحتملون العذاب بصبر . ولما
لم يتحولوا عن كلامهم أرسل السلطان وهجم على دير البغل واتى بكل من فيه
من الرهبان وامر بحرق اربعة منهم امام ذلك الجمع المحتشد . وانفجر بركان
غیظ المسلمين على أثر هذه الحادثة وجالوا يبحثون عن الاقباط في كل مكان
ليوردوهم موارد العذاب دون ان يراعوا اوامر الحكومة فهجموا على بيوتهم
ونهبوها وقتلوا من بها بغير رحمة ومن هرب منهم قتلوه في الطريق . وكانوا اذا
عثروا بواحد منهم يسير في الشوارع يسلبونه ماله ويذبحونه . وقد ادت بهم
الجرأة الى ان اجتمع منهم كثيرون تحت قصر السلطان واحتجوا عليه في وجهه
لمعاملته التصاري بالرفق . فرآهم حينما كان نازلاً من القلعة الى الميدان وسمعهم
يصيحون « نصر الله الاسلام » ويطلبون من السلطان ان يساعدهم على نصرته فلم
يتم بهم وسار الى الميدان وقبل وصوله اخبر ان اثنين من الاقباط قبض عليهما
وهما بحرقان منزلاً فاحتدم غيظاً وامر بحرقهما احياء امام الجموع وبينما هم يحرقونهما
اذا بكاتب ديوان الامير بكتمر الساقى قد مر يريد بيت مولاه وكان نصرانياً
فعند ما عاينه العامة القود عن دابته الى الارض وجرده من جميع ما عليه من
الثياب وحملوه ليلقوه في النار فمباح بالشهادتين واطهر الاسلام واطلق واتفق
حينئذ مرور القاضي كريم الدين بملاسه الرسمية فرجه الرطاع بالحجارة وقذفوه
بكلما السباب المهينة فاراد ان يتواري عنهم فلم يتمكن وظلوا يتبعونه حتى
دخلوا خلفه ميدان السلطان الذي لما شاهد هذه الحماقة الزائدة امر باجراء التحقيق
فأخبره الامير ان سيف الدين وجمال الدين بان القوم ثائرون ويلزم ان يسألوا عما
يطلبونه والا وفق تهدئة لخواطرهم ان يأمر السلطان بطرد جميع الموظفين الاقباط

من دواوين الحكومة .

فاستهزأ السلطان بكلامهما وطلب من قائد جيشه ان يأخذ قوة عسكرية
يجول بها في كل شوارع القاهرة مبدداً شمل دعاة الفتنة وحلف برأسه انه ان
لم يحضر له كل من رجم القاضي كريم الدين بالحجارة يعرض رأسه للقطع .
وارسل مع القاضي اربعة أمراء كانوا يميلون سرّاً الى اعمال الأوباش فاخطروهم
بالامر قبل وصولهم اليهم فتفرقوا جميعهم وألقى القائد القبض على بعض الشحاذين
وكل من شاهده في الشوارع فارتعب الاهالي وصاروا يطوحون بانفسهم في نهر
النيل . ولما أحضر المقبوض عليهم امام السلطان وكان عددهم مائتي رجل أمر
بالشنق على بعضهم وبالقتل على غيرهم وبقطع ايدي الباقين فبكوا بكاء مرّاً واقسموا
انهم لم يرجوا القاضي فلم يلتفت السلطان اليهم وأصر على مجازاتهم بما امر فشنق
بعضهم في اليوم الاول وفي اليوم الثاني قطعت ايدي وارجل ثلاثة منهم بحضرة
وأمر ان يبقى المشنوقون معلقين حتى يراهم الجميع فارتعدت قرائص الامراء
وأخذتهم الشفقة ولكنهم لم يجسروا على طلب العفو منه وكان القاضي غائباً
فلما حضر وشاهد جثث هؤلاء المنكودي الحفظ طرح نفسه امام السلطان
واستعطفه وما زال به حتى عفى عن الباقين

ولكن لم يبرح السلطان مكانه حتى وفاه خبر بان النار علقبت بجامع ابن
طولون والقلمة وقبض على ثلاثة من الاقباط وقال المقريري « انه باستنطاقهم
اعترفوا جهاراً انهم من العصاة التي آلت على نفسها احراق مصر والفسطاط »
وسواء كان هذا الخبر صحيحاً أم تدرع به المتعصبون ليشفوا غليلهم من
الاقباط فان هذه الاشاعات هيجت الخواطر على اولئك المساكين . ودام الحريق
سبعة ايام والناس يشتمون على السلطان لانه لم يجب طلبهم ويطرد الاقباط من
الحكومة فاغتاظ السلطان وصار يقتل كل من يجده نصرانياً كان أو مسلماً .
واشتد الهياج على الاقباط حتى اختفى هؤلاء من الموت الاحمر الذي كان يهددهم
وتحصنوا داخل بيوتهم لا يجسرون على الخروج منها لان من كانت تدعوه
الحاجة الى الخروج يقبض عليه ويقدم للمحاكمة بانه شوهد يحرق بيتاً أو
جامعاً .

و ذات يوم حمل الرطاع قطعة قماش زرقاء رسم عليها صليب أبيض و جالوا
يصيحون بنصرة الاسلام دون كل الاديان و رأى السلطان ان نفوسهم ما زالت
متعطشة لشرب دماء الاقباط فغشى معارضتهم و ارسل منادياً ينادي في الناس ان
من يجد نصرانياً و يقدر عليه و يقتله فله ماله فركض الاوباش يفتشون على الاقباط
و يالهول ذلك الكرب الذي لحق بهم فكنت تراهم يجرون ألوفاً الى المذابح
والذين لم يهلكوا منهم ميزوهم بلبس خاص فأمرهم بان لا يتزيوا بزى المسلمين
و حكموا عليهم بلبس العمام الزرقاء و بتعليق اجراس في اعناقهم خوفاً من ان
يتدنس مسلم باسمهم و حرموهم من التوظيف بدوائر الحكومة او الامراء و كان
من الجائز ذبح كل قبطى يرى لابساً عمامة بيضاء او راكباً فرساً او بغلاً . و امروا
من يريد منهم ان يركب حماراً بان يركبه مقلوباً . و استمر القتل و النهب مدة أسلم
فيها جماعة كثيرة حتى مل الفاتكون رؤية الدماء البشرية تسيل على الارض
فكفوا عن تتبع أثر النصارى

و لم يطل هذا السكون بل حدث في الليلة التالية حريق هائل انزوى بعده
الاقباط في كل مخبأ رأوه صالحاً لا خفائهم من امام عيون مضطهديهم و استمروا
مختبئين سنة و نصفاً اغلقت في اثنائها كل الكنائس . و لكن السلطان استعمل
الحكمة بان اصدر امراً يمنع اضطهاد النصارى و اشتغل بوضع قانون محكم
يسرون بموجبه

و في سنة ١٣٢٩ م لما بدأ الاضطهاد يخف قليلاً كتب ملك الحبشة لسلطان
مصر يخبره بانه علم بما حل بنصارى مصر و طلب منه ان يعيد ما هدم من
الكنائس و الا يهدم جميع الجوامع القائمة في بلاده و لما كان سلطان مصر واثقاً
بنفسه صرف رسل ملك الحبشة بدون جواب . غير انه لم يفته مصالحه النصارى
فصرح لهم ببناء الكنائس التي هدمت بناء على طلبهم ذلك منه على شرط ان
لا يتوسعوا فيها او يزيدوا عليها شيئاً غير ان بعضها هدم قبل تمام عمارتها
بدعوى انهم زادوا في زخرفتها و اعلاء بنائها ومنها كنيسة الست بربرة
و مما يدل على حطة الحال التي انتهى اليها الاقباط التمساء هو انه لما كانت
الاضطهادات قد كفت عن اليهود كان القبطى اذا اراد ان يخرج من منزله يستعير

عمامة صفراء من احد اليهود ليلبسها حتى يخالص من أذى العامة . وحدث ان قبطياً من موظفي الحكومة كان يداين رجلاً يهودياً بمبلغ من المال فلما طرد من وظيفته واصبح محتاجاً لماله توجه الى منزل اليهودي وطالبه بما له عنده فتظاهر اليهودي بان القبطي كان عازماً على الفتك به فتجمع به حوله كثيرون من المسلمين قصبوا الايقاع بالقبطي ولكن هذا دخل الدار واحتوى بزوجة اليهودي فطلبت العفو عنه بشرط ان يتنازل عن الدين فقبل ليفوز بحياته

وعلى هذه الصورة المحزنة انتهت حادثة هدم الكنائس وحادثة احراق الجوامع اللتان كانتا شؤماً على الاقباط وبعض المؤرخين ينسبها الى دسائس المماليك الذين كانوا يحسدونهم على نفوذهم في الدواوين . ومع ان السلطان منع النصارى من مزايا كثيرة عديدة الا انه رأى تعذر الاستغناء عنهم في انجاز مصالحه فظل قوم منهم في وظائفهم بالحكومة ولكي يحفظوا مركزهم تفننوا في وضع قواعد حسابية محكمة لا يديرها سواهم حتى لا يمكن الاستغناء عنهم

(٢) الملك الصالح سنة ١٣٥٢م . وتولى المعتضد بالله سنة ١٣٥٣م .

وفي عهده حدث وباء مهلك فأتى قبطي من الارياف الى القاهرة وطاف بشوارعها ينذر الناس بالويل ان لم يقلعوا عن شرورهم فقبض عليه وأتى به امام قاضي الاسلام فصرح امامه بانه اتى ليقنع المسلمين بخطيئتهم في ترك الديانة المسيحية وانه مستعد ان يموت شهيداً فقضى عليه بالعذاب مدة اسبوع وبعد ذلك قطعت رأسه وحرقت جثته . وحدث ايضاً في احدى بلاد الارياف ان المسلمين شكوا قبطياً لقاضي البلدة بان جده كان مسلماً فحكم القاضي بضرورة اعتناقه للدين الاسلامي ولما ابي القى في السجن فقام الاقباط وأخرجوه منه ليلا فقر رأى المسلمين في الصباح على اعدام كل قبطي فهرب الكثيرون منهم ولكنهم تمكنوا من القبض على عدد عظيم وعذبوهم أشد عذاب ثم هجموا على كنيسهم وسلبوها ذخائرها وبنوا بها جامعاً امام الكنيسة . وبعد ذلك مضوا الى قبور الاقباط ونبشوا جثث موتاهم واحرقوها . ولما ارتبكت احوال البلدة قدم الحاكم تقريراً الى السلطان يشكو فيه من تصرف قاضي البلدة ضد الاقباط وتبعه الاقباط

بشكوى اخرى الى الامير حسام بالقاهرة يطلبون فيها اعادة بناء كنيتهم فلما استقدم القاضي ليحاكم امام حكام القاهرة وبخهم احد المشايخ لمحاكمتهم لقاض مسلم من اجل اضطهاده للنصارى غير ان الحكام أصروا على ضرورة عزل القاضي فعزل

وقد اسلم كثيرون من الاقباط او انشد منهم اثنان احدهما يسمى موفق الدين والآخر علم الدين وكانا يكدران الحكومة بمنازعتها المستمرة على منصب الوزارة فالغى السلطان هذا المنصب واستقل الاقباط بادارة الدواوين فصارت لهم راحة في اواخر ملك الناصر وبعده قليلا غير ان النصارى الذين اساءوا وصلوا الى مراكز ربيعة أساءوا معاملة المسلمين وشددوا عليهم في الاحكام فاشتكى المسلمون منهم الى السلطان فأمر بابعادهم من ديوانه ودواوين الحكومة والامراء والا يبقى احد ولو اسلم والا يكرهوا على الاسلام منعاً للانتقام لانفسهم بواسطة اسلامهم وتوليهم الوظائف العالية . واذا اسلم احد منهم من تلقاء نفسه فلا يبرح باب احد الجوامع بل يعيش من احسان المسلمين اهل الخير

ويقول المؤرخون المسلمون انه اتفق ان سكرتيراً مسيحياً مر امام جامع الازهر بالقاهرة راكباً جواده ولا بساً شرائط وعقالا ابيض على رأسه وامامه السواس يطردون الناس من امامه ويوسعون الطريق ويمنعون الزحام ومن ورائه عدد كبير من العبيد يلبسون الحلل الثمينة ويركبون الجياد المطهمة فلما رآه المسلمون على هذه الابهة اشتد غيظهم ووثبوا عليه وانزلوه من على جواده واخذوا يضربونه حتى أشرف على الموت لولا ان تمكن بعضهم من انقاذه فتقدم جمع عظيم الى الامير طاز وشكوا له تجاسر الاقباط على الظهور بهذا المظهر فاستصدر اوامر من السلطان تقضي باذلالهم ومنع كل اتصال لهم بدوائر الحكومة او الامراء وكانت نتيجة ذلك ان ابتداء المسلمون في التسلط على الاقباط فصاروا يهدمون مساكنهم القائمة امام مساكن المسلمين وصاروا يتعقبونهم في الطرقات ويعرضون لهم في الشوارع فيمزقون لباسهم ويضربونهم بقساوة شديدة ويلقون عليهم النار المشتعلة حتى اضطر الاقباط المساكين ان يختبئوا عن الانظار واصبحوا في حال يرثى لها ولبثوا مدة طويلة لا يظهر في الطرق وكان يخال

لارائى انهم انقرضوا جميعاً

ولم يكتف المسلمون بذلك بل قدموا طلباً جديداً الى الحكومة ادعوا فيه ان الاقباط بدأوا ينهضون لتجديد كنائسهم وتوسيع مساحتها وطلبوا من السلطان ان يسمح لهم باضطرادهم فأمر والي القاهرة ان يكشف دعواتهم ولكن العامة ابوا الانتظار وشرعوا في هدم الكنائس فهدموا كنيسة بجوار قناطر السباع واخرى بطريق مصر للاسرى وكنيسة القهادين بالجوانية ودير نهبيا بالجزيرة وكنيسة بناحية بولاق الدكرور وسلبوا كل ما كان فيها من الذخائر والامتعة ثم تقدموا الى هدم باقى الكنائس وبدأوا بكنيسة البندقيين فاحقهم الوالي واراد منعهم فشتموه ورفضوا سماع كلامه وهدموا كنيسة شبرا واخذوا منها اصابع يد احد الشهداء وارسلوها للملك الصالح فأمر بحرقها امامه والقاء رمادها في البحر حتى لا يأخذها النصارى فبطل عيد الشهيد من ذلك العهد الى هذا اليوم وبعد ذلك كتب الملك الصالح الاحكام التالية فأمر بعدم استخدام النصارى في مصالح الحكومة حتى اذا اعتنقوا الاسلام ومن اسلم لا يسمح له بالعودة الى اهله او رؤيتهم الا اذا اسلموا مثله وان يلزم الجوامع لحضور الصلوات الخمس والجمع . واذا مات مسيحي يستولى المسلمون قسمة تركته على ورثته اذا كان له ورثة والا فهي لبيت المال والزم بطريك الاقباط بالموافقة على هذه الاوامر ولم يكذ حكام الاقاليم يتسلمون هذه الاوامر حتى سمع ان الاقباط في كل مكان يقبلون بكثرة على اعتناق الديانة الاسلامية وتعلم القرآن وحولت كنائسهم الى مساجد وانه قد اسلم في بلدة قليوب في يوم واحد اكثر من اربع مائة وخمسين قبطياً وقدم حينئذ تقرير للسلطان الصالح ووزرائه شيخون وضرغتمش وطاز بما للكنيسة القبطية من الاملاك الموقوفة فاحيل على ديوان الاوقاف لفحصه ومعرفة ما تضمنه ففحصه الديوان ووجد مقدار الاطيان ٢٥ الف فدان فقرر السلطان بان ينعم بها على الامراء فاغتصبت من المسيحيين واعطيت لهم وكان ذلك داعياً لهدم عدة كنائس اخرى

وفي سنة ١٣٥٥ م تولى الملك الناصر حسن وكان الامير يلبغا الحاكم المتصرف محبا للاقباط ولكن بعض الرعايا قبضوا على قبطي في سنة ١٣٦٩ م وعذبوه

عذاباً ألماً حتى مات بحجة أنهم اشتبهوا فيه بأنه ساحر وأنه تسبب في وفاة زوجة الملك الشاب وهي ابنة الأمير تاج الدين

أما ما كان من أمر الموظفين الاقباط المطرودين فإنه لم يمض زمن حتى دعت الضرورة الى اعادتهم للخدمة . وفي تلك الايام وقد على مصر سائح انكليزي كتب يقول ان ملك مصر عرض عليه ان يسلم ويزوجه بابنته فأبى وقال ان السلطان قال له مرة ان النصراني بسبب معاصيهم خسروا مصر وسوريا ولوعبدوا الله حقاً لما استطاع احد ان يقهرهم وان المسلمين يعتقدون انه يجيء زمن لما يخلص النصراني النية نحو الخالق سبحانه وتعالى يسودوا على أرض مصر كلها

(٣) الملك المنصور سنة ١٣٨١ م . انتشبت في ايامه ثورات ضد

الاقباط رغم منع الحكومة اضطهادهم وحدث ان قبطياً يدعى ميخائيل أعلن اسلامه فتهلل به المسلمون وألبسوه حلة فاخرة واركبوه بغلاً للسلطان وطاقوا به المدينة بموكب عظيم ورفوه الى مركز سام في الحكومة بعد ارتداده بثلاث سنوات ولقب بالجاهد شعبان . اما عدد الاقباط فتمنقص كثيراً بسبب مظالم الحكام والآفات الربانية من جهة واقبال الكثيرين منهم على الاسلام اما طوعاً او كرهاً من جهة أخرى . ولما كثر الذين أسلموا منهم أبغضهم المسلمون الاصليون لانهم كانوا يزاحمونهم في الوظائف الادارية العالية وهكذا لم يقدروا ان يرضوهم سواء اسلموا او لم يسلموا وقد آثر بعضهم الموت على هذه العيشة المرة .

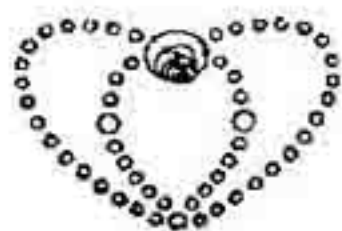
الا ان الاقباط المرتدين أظهروا حينئذ ميلاً عظيماً للرجوع الى ديانتهم الاصلية . وفي سنة ١٣٨٩ م دخل منهم القاهرة عدد عظيم من الرجال والنساء جاؤا من الارياف قاصدين التكفير عن ارتدادهم بالاستشهاد فطاقوا الشوارع يصيحون بأعلى صوت قائلين « نحن نصارى نحن نصارى » ولما سئلوا عن سبب ذلك أجابوا اننا تركنا ديانة الانبياء الكذبة ورجعنا الى ديننا الحقيقي الذي لم نتركه لا خوفاً من الاضطهاد . فتألب حولهم المسلمون ونصحوهم بالعودة للاسلام اولكنهم رفضوا بجسارة كلية فحاول المسلمون اربابهم ليرتدوا وساقوا كثيرين

من الرجال الى ميدان امام مدرسة الملك الصالح وهناك بدأوا يحزون رؤوسهم الواحد بعد الآخر . فلم يتزعزع واحد منهم . وقبض على بعض النساء ولكنهن تمسكن بايمانهن دون ان يجزعن فخر دوهن من ثيابهن وجروهن الى سفح الجبل تحت القلعة وقطعت اعناقهن بقساوة زائدة حتى ان بعض المسلمين استنظفوا هذا الحكم ونقموا على القاضي الذي حكم به . وشوهد بعد ذلك راهب يعظ ضد الدين الاسلامي وأمامه رجل وثلاث نساء يشجعونه على الاستشهاد فقبض على الخمسة وقطعت رؤوسهم وأحرقت اجسادهم

وكان باقياً من عائلة زنبورة الشهيرة التي تقدم ذكرها رجل كان أسلم وسمى بعلم الدين حصلت بينه وبين أحد الامراء منافسة فكلف بعض أتباعه ان يشهدوا عليه زوراً بأنه يدعى الاسلام وهو لا يزال باقياً على نصرانيته وزوجته باقية على تلك الديانة ومع ذلك لم يتركها أو يكرهها على الاسلام فاقى العلماء بحرقه فقبض عليه وأتى بزوجه وابنه وصاروا يضربونهما بالسياط حتى ماتا أمامه ثم عذبه عذاباً شديداً حتى مات فاستولى العامة على ثروته

(٤) رولة المماليك الثانية . برقوق سنة ١٣٨٢ م . وحدث في ايامه

ان اميرا مسلما تعهد بهدم كنيسة للاقباط كانوا يشتغلون فيها خمر الاباركة . فتهب منها الف جرة من الخمر المذكور وأمر بكسرها امام باب زويلة في الميدان الذي تحت القلعة . واقترح المجلس الاعلى على برقوق ان يضطهد الاقباط ولكنه رفض بل امر ان يقتل رجل اعتنق الديانة الاسلامية



القرن الخامس عشر

القسم الاول

تاريخ البطارقة

.....

(١) غبريال ٥ (٢) يوحنا ١١ (٣) متى ٢ (٤) غبريال ٦ (٥) ميخائيل ٤

(٦) يوحنا ١٢

.....

(١) غبريال ٥ - البطريك الثامن والثمانون . في اول هذا القرن اجتمع الالباء والشعب بالدارالبطيركية لانتخاب بطريك جديد فاختاروا الراهب غبريال من دير القلمون بالجيزة واقام بطريكاً في ٢٦ برموده سنة ١١٢٥ ش و ١٤٠٩ م في عهد تملك السلطان الناصر فرج بن برقوق . وكان هذا البابا قبل ان يترهب كاتباً في الحكومة وفي مدة رئاسته فرغت خزينة البطيركية فكان يعتمد في الحصول على قوته الضروري على احسان اولاده وكانت الكنيسة الحبشية ترسل اعانة للكنيسة المصرية فقطعتها في عهد البابا غبريال

وكان اذا اراد ان ينتقل من مكان الى آخر يسير على قدميه . وفي سنة ١٤١٨ م دعاه مجلس الحكومة فلما مثل امامه هددته بالموت اذا لم يمنع الاحباش الذين تحت سلطته من مضايقة التجار المسلمين النازلين في بلادهم فوعدهم بالكتابة الى ملكهم لينمهم . ولم يؤخره الاضطهاد الشديد الذي كان محيطاً به عن القيام بواجباته

فوضع كتاباً في الطقوس الكنسية واشتغل بهمة في اصلاح ما أفسدته يد الاضطهاد واستمر في الرئاسة ثمانى عشرة سنة وثمانية أشهر واثني عشر يوماً وتنيح في ٨ طوبه سنة ١١٤٤ ش و١٤٢٨ م وخلا كرسى الرئاسة بعده أربعة أشهر وأياماً .

(٢) يومنا ١١ - البطريرك التاسع والثمانون. وفي المدة التي خلا فيها الكرسي

بعد البابا غبريال كان يسوس فيها ادارة الكنيسة راهب من دير طره يدعى ميخائيل وكان لهذا الراهب حزب كبير يؤيده لنوال البطريركية ولكن عناية الله دبرت ان يقر جمع الاساقفة والشعب على انتخاب من يدعى ابا الفرج من القاهرة وكان مشهوراً بالفضيلة والعلم ويقوم بالتدريس في مدرسة قبطية عظيمة (بالمكس)

فأقيم ابو الفرج بطريركاً ودعى يوحنا ال ١١ في ١٦ بشنس سنة ١١٤٤ ش و١٤٢٨ م في عهد تملك الملك الاشرف ابي النصر برس باي واستمر قائماً بوظيفته بأمانة نحو ٢٤ سنة و ١١ شهراً و ٢٨ يوماً وتوفى في ٩ بشنس سنة ١١٦٨ ش و٤٥٣ م وخلا كرسى الرئاسة بعده اربعة أشهر وأياماً

وفي أيام هذا البابا اجتهد ملوك الافرنج وعلى رأسهم ملك القسطنطينية في مقاومة المسلمين ورأوا ان ذلك لا يتأنى الا بزوال الخلف الدينى وايجاد الاتحاد بين مسيحي الشرق والغرب . فبعد تفكير طويل استقر الرأي على عقد جمع لهذا الغرض بمدينة فلورنسا من أعمال ايطاليا يحضره اسقف رومية و بطريرك القسطنطينية وغيرهما من نواب الشعب الارثوذكسى . وكانت الكنيسة القبطية أيضاً قد أرسلت نائباً من قبائها لحضور ذلك المجمع يدعى يوحنا وهو رئيس دير انطونىوس ولكنه وصل الى فلورنسا متأخراً عقب انقضاء المجمع وكانت نتيجة انعقاده عودة اتحاد كنيستي اليونان والرومان وقام رؤساء الكنائس الى بلادهم على نية الاجتماع مرة أخرى . واذ لم ير الاب يوحنا بدأ من العودة الى مصر تحصل على قرار من المجمع بقبول الكنيسة القبطية ضمن ذلك الاتحاد العظيم في جلسته القادمة . ولكن ذلك الاتحاد الذي كان يسمى اليه ملوك الافرنج وملك القسطنطينية

لم يتم بسبب تجاوز اسقف رومية حدود الاعتدال في طلباته

ويدعى المؤرخون الكاثوليك بناء على ذلك ان الكنيسة القبطية خضعت لاسقف رومية حيناً من الزمن وانه كان المقصود من ذلك المجمع اعادتها الى الخضوع لسلطانه مرة أخرى وفي ذلك قالت المؤرخة الانكليزية مدام بوتشر :-
 « ولكني أقول انها لو كانت خاضعة له من قبل كما يقولون لما كان يعين بطريركا خاصاً له في ابروشية الاسكندرية ذاتها التي فيها البطريرك القبطي مما يثبت صحة الاتصال وعدم الخضوع . ومع ذلك فانه لم يكن الغرض من قبول الكنديستين اليونانية والقبطية بالدخول في مجمع فلورنسا الخضوع للبابا بل مجرد المصالحة والمساحة بين الكنائس الشرقية والغربية ولم يحبط ذلك السعي الا لما رأى رجال الكنيسة اليونانية والكنيسة القبطية ادوات بابا رومية الغربية وطلبه السلطة العليا لنفسه فكان هذا سبب رفض اليونان والاقباط شروط ذلك المجمع وانكارها لما عرضت عليهم وأدركوا سوء القصد من ذلك الاتحاد » اهـ

(٣) متاؤس ٢ - البطريرك التسعون . بعد وفاة البابا يوحنا وافق مجمع

الاساقفة والشعب على تكريس متاؤس أحد رهبان الدير المحرق واقيم بطريركا في ١٣ توت سنة ١١٦٩ ش و١٤٥٣ م في عهد تملك الظاهر . واستمر في البطريركية نحو ثلاث عشرة سنة وتوفي في ١٣ توت سنة ١١٨٢ ش و١٤٦٦ م وخلا الكرسي بعده أربعة أشهر وایاماً

(٤) غبريال ٦ - البطريرك الحادي والتسعون . بعد وفاة البابا متاؤس

الثاني اختير للبطريركية الاب غبريال السادس وهو من الغربية . قدم بطريركاً في ١٥ امشير سنة ١١٨٢ ش و١٤٦٦ م في عهد تملك الملك الظاهر خوش قدم الناصري واستمر في البطريركية ثمان سنوات وعشرة اشهر وبعض ايام وتوفي في ١٩ كيهك سنة ١١٩١ ش و١٤٧٥ م وخلا الكرسي البطريركي بعده سنتين ونحو الشهرين

(٥) ميخائيل ٤ - البطريرك الثاني والتسعون . وقد خلف البابا غبريال

السادس البابا ميخائيل الرابع وهو من سالوط وقيل سنباط أقيم بطريركاً في ١٣ امشير سنة ١١٩٣ ش و١٤٧٧ م في عهد تملك الاشرف ابي النصر فايت باي

الظاهري المحمودي وأقام في البطريكية سنة واحدة وثلاثة أيام وتوفي في ١٦
أمشير سنة ١١٩٤ ش و ١٤٧٨ م وخلا بعده كرسي الرئاسة سنتين وشهرين
وسبعة أيام .

(٦) يومنا ١٢ - البطريك الثالث والتسعون . وكرس بطريكا بعد البابا
ميخائيل البابا يوحنا الثاني عشر وهو من تقاده أقيم بطريكا في ٢٣ برمودة سنة
١١٩٦ ش و ١٤٨٠ م في عهد الملك الأشرف فايت باي واقام في البطريكية ثلاث
سنوات واربعة أشهر وایاماً وتوفي في ٧ توت سنة ١٢٠٠ ش و ١٤٨٤ م وخلا
كرسي الرئاسة بعده خمسة اشهر

القسم الثاني

المملكة والكنيسة

.....

(١) الملك العادل (٢) المحمودي (٣) الأشرف برس باي
(٤) المستنجد

... ..

(١) الملك العادل سنة ١٤١٢ م . وفي أيامه شرع المسلمون في تدبير
طريقة بها يلاشون الاقباط عن بكرة أبيهم فاهتموا بمعرفة اسمائهم وعددهم
ومقدار ثروتهم وفرض السلطان ضريبة على جميع الاقباط وانشأ لهذا مكتباً

ليقيد فيه أسماء مواليدهم ووفياتهم فقسّموا إلى ثلاث طبقات . طبقة الاغنياء وقرروا عليهم ضريبة اربعة دنانير عن كل نفس . وطبقة المتوسطين يدفع كل واحد دينارين وطبقة الفقراء ديناراً واحداً . ومع ان هذا السلطان كان يعقت الاقباط كاسلافه الا انه ميلا للسلام ضغط على الممتدين وأمر بانصاف المظلومين فسخط عليه العامة

(٢) المحمورى - سنة ١٤١٢ م . وفي عهده صرح للماليك باضطهاد الاقباط فاغتصب منهم قائد الحرب مبلغاً عظيماً من المال وفرض ضريبة باهظة على الخمر الذي كان يتاجر فيه كثيرون من الاقباط بباييليون . وأمر القائد جنوده بالهجوم على باييليون بحجة اتلاف ما فيها من الخمر فهجموا على الاقباط واستمروا يوقعون بهم ولم يكفوا حتى استرضاهم الاقباط بمبلغ وافر من المال .

وفي سنة ١٤١٨ م صدر امر برفت كل الاقباط الذين تمكنوا من التوظف في الحكومة وبدأوا يقبضى كان سكرتيراً للوزير الاول فأمر السلطان بحبسه وتعذيبه فعروه من ثيابه وجروه في شوارع القاهرة وامامه موظف مسلم ينادي قائلاً « هكذا يفعل بكل موظف قبطى » فاسلم من الموظفين كثيرون واختفى باقيهم في منازلهم ولكنهم اسلموا فيما بعد لشدة الضيق . وقيل ان كثيرين منهم اسلموا على زعم انهم يتمكنون بعد الاسلام من الانتقام من معذبيهم

(٣) الاسرف برسى باى - سنة ١٤٢٢ م . اكتشفت في ايامه مؤامرة سرية بين ملك الحبشة والصلبيين الغرض منها محو الديانة الاسلامية

(٤) المسفة - سنة ١٤٥٣ م . وفي ايام المستنجد أوقد للماليك الزيران في الاحياء المسيحية في القاهرة وباقي المدن المصرية وواصلوا النهب والسلب فارسل ملك الحبشة سفيراً من قبله في زمن الملك المنصور يوصيه خيراً بالاقباط الذين كانوا واقعين حينئذ تحت الاضطهاد . وفي ايام خوش قدم سنة ١٤٦١ م

هجم المماليك على الاقباط في مصر القديمة ونهبوا منهم كل ما وصلت اليه ايديهم .
وفي ايام فايت باي سنة ١٤٦٧ لم تصدر الحكومة قراراً باضطهادهم ولكن
الرتاع لم يكفوا عن التحرش بهم رجاء نهبهم وسلبهم . واستخدم كثيرون من
الاقباط في اقامة المباني التي شيدت في ايام فايت باي

وفي سنة ١٤٨٤ م هجم عرب الوجه القبلي على ديرى الطونىوس وبولا
وقتلوا جميع من فيها من الرهبان وبقيا خراباً نحو ثمانين سنة وكانت فيها
مكتبتان عظيمتان تحتويان على عدد عظيم من الكتب القديمة الثمينة فجمعوها
وأحرقوها عن آخرها ولم يبق فيها الا ما خفي عن عيونهم



القرن السادس عشر

القسم الاول

تاريخ البطركية

.....

(١) يوحنا ١٣ (٢) غبريال ٧ (٣) يوحنا ١٤ (٤) غبريال ٨

.....

(١) يوحنا ١٣ - البطريك الرابع والتسعون . استحق نوال هذه الوظيفة السامية لانه كان محسناً على الجميع بدون استثناء واصله من بلدة صدفا بمديرية اميوط واقم بطريكاً في ١٥ امشير سنة ١٢٠٠ ش و ١٤٨٤ م في عهد الملك الاشرف .

وكانت العلاقات بين الكنيسة الحبشية وأما الكنيسة القبطية في ذلك الحين فآترة بسبب تتابع اغارات ملوك مصر على بلاد الحبش . فسعى داود ملك الحبشة وعقد محالفة مع البرتوغاليين لينتصر بهم على ملوك مصر المسلمين فنزح كثيرون من البرتوغاليين الى بلاد الحبش ولما رأوا هذه المملكة بدون رئيس ديني حرضوا ملكها على قبول مطران على الحبشة من البرتوغاليين المقيمين في بلاده وفعلاً طلبوا منه ان يطلب من اسقف رومية ان يكرس له مطراناً . وكان الاختيار قد وقع على رجل برتوغالي ببلاد الحبش يدعى يواش برمودز فسافر الي رومية فرسمه اسقفها مطراناً على الحبشة وسماه بطريك الاسكندرية . فقد

القبط والروم هذا تمدياً من اسقف رومية وانكروا عليه الحق في ذلك وأبوا معرفة الشخص الذي عينه بأية صفة . ومن تصرف اسقف رومية هذا يتضح كذب مؤرخي الكاثوليك الذين يدعون ان الكنيسة القبطية في ذلك الوقت كانت خاضعة لكنيستهم اذ لو كان ذلك صحيحاً لما كان هناك موجب لتسمية بطريرك غير بطريركها القبطي او كانت يجب على اسقف رومية عزله قبل تعيين سواه

اما البابا يوحنا فاستمر على الكرسي البطريركي مجاهداً في سبيل رفع مقام كنيسته مدة اربعين سنة الا اربعة ايام أتم فيها اصلاحات شتى ووضع مؤلفات كثيرة في الدين المسيحي ثم توفي في ١١ امشير سنة ١٢٤٠ ش و ١٥٢٤ م واستمر كرسي الرئاسة خالياً بعده سنة وثمانية أشهر

(٢) غبريال ٧ - البطريرك الخامس والتسعون . كان يدعى أولاً روفائيل

وهو من منشأة الدير المحرق وترهب بدير السريان بيرية شبيهات وأقيم بطريركاً في ٤ نابه سنة ١٢٤٢ ش و ١٥٢٦ م في عهد السلطان سليمان وكان له اهتمام زائد في عمارة الدير فعمر ديري القديس انطونيوس والقديس بولا بعد دمارها بيرية العربية بالجبل شرقي النيل باقليم بني سويف والبهنسا . وعمر أيضاً دير المحرق بالوجه القبلي . ولما قام عرب بني عطية ونهبوا دير القديس بولا واخر بوه وقتلوا راهباً من رهبانه وشقتوا شمل الباقيين اجتهد واهتم في عمارته ثانياً وعمره بالرهبان

وكان البابا غبريال مهيباً ذا نفوذ لدى أمته وفي أواخر حياته طالبه السلطان سليم بما لا يقدر عليه من الغرامة فرحل قاصداً الدير بيرية العربية وبينما هو عابر النهر من جهة الميمون أدركته المنية فتوفي في ٢٩ نابه سنة ١٢٨٥ ش و ١٥٧٠ م وبعد وفاته لم يوجد شيء من المال خلفاً عنه لأنه صرف ايراداته بأسرها في منافع الامة . وكانت مدة رئاسته ٤٣ سنة وخلا كرسي البطريركية بعده خمس سنوات ونحو ستة أشهر

وفي ايام هذا البابا مات ملك الحبش وتولى مكانه ولده المسمى اقلاديوس فسار على خطة ابيه مسالماً البرتوغاليين ومحترماً لبرمودز البطريرك الروماني ولما

انكسرت القوات الاسلامية التي كانت تهدد بلاده رفض الاعتراف بسيادة اسقف رومية ووقف برمودز عند حده وأعلنه انه اذا اراد البقاء في بلاد الحبش فلا يعتبر نفسه أكثر من ضيف واجب اكرامه لانه لا يريد ان يكون خاضعاً لغير بطريرك الاقباط . ثم ارسل وفداً الى البابا غبريال يلتزم منه ان يرسل له مطراناً جديداً ويعلن له انه هو رئيسه الروحي الوحيد . فرسم له البطريرك كاهناً يدعى يوسف وشيخه اليه فقابله الملك وزعيته باكرام زائد وانشراح خاطر وهكذا حادت العلاقات بين الاقباط والحبش الى ما كانت عليه قبلا بعد ان تعطلت نحو ثمانين سنة

أما المطران اللاتيني فلما رأى استحالة ضم الكنيسة الحبشية الى الكنيسة الرومانية عاد الى بلاده وأوقف اسقف رومية على الخبر فاستاء اغناطيوس احد رؤساء الرهبنة في رومية من هذا الخذلان المعيب وتوسل الى اسقفه ان يرسله الى الحبشة فخشي ان يقتل وأرسل عوضه رجلا يدعى نونوباريتو وكاهنين آخرين فسار الثلاثة الى جوا فاقام بها باريتو واستمر الكاهنان في سفرهما حتى وصلا بلاد الحبش فقابلهما اقلاديوس بكل لطف وأفهمهما انه يرفض قطعياً الاعتراف بسلطة اسقف رومية على شعبه وانه لا يخضع الا لسكرسى مارمرقس الانجيلي والرسول . ولزيادة لطفه سمح لهما بالاقامة في بلاده وهو واثق من ثبات شعبه على ارتوذكسيتهم الى ان خلفه على العرش أخوه مينا فظهر الاستياء للكاهنين وسخط عليهما حتى اصبحا منفردين لا يكلمهما أحد . فاغتاضا منه وأغريا احد كبار الجيش على اتباع مذهبهما ثم حسنا له عقد محالفة مع المسلمين ضد ملكه

واذ شعر مينا بالامر أسرع في تأديب هؤلاء العصاة ووصل الخبر لاسقف رومية بفشل ارساليته الثانية لبلاد الحبش فارسل رسلا الى البابا غبريال يطلب منه انضمام الكنيسة القبطية للكنيسة اللاتينية فقابلهم البطريرك بكل لطف واعلمهم بكل تأدب انه لا ينحرف قيد شعرة عن التمسك بعقائد كنيسته المقدسة فالتمس منه رسل اسقف رومية بما له من النفوذ على بلاد الحبش ان يطلب من ملكها ان لا يعس الكاهنين الرومانيين بسوء فسمح لها الملك بالاقامة في بلاده كراماً لخاطر البطريرك ولكونها لما لم يحسنا سيرهما واشتهرت رداءتهما سخط

عليهما الاحباش وكادوا يقتلونهما فقدمتا تقريراً للاسقف الروماني يقولان فيه « ان الحبشة لا ترد عن ايمانها الا بقوة السيف » فاستدطها الاسقف اليه وبذا تم خذلان الاسقف الروماني في جذب الحبش اليه

(٣) يومنا ١٤ - البطريرك السادس والتسعون . أقيم خلفاً للبابا غبريال

في ٢٢ برموده سنة ١٢٩٠ ش و ١٥٧٤ م في عهد سلطنة مراد الاول . وهو من منفلوط وكان راهباً بدير العذراء المعروف بالبرموس بيرية النطرون . وكان من أمره ان الدولة كلفته بجمع الجزية من المسيحيين فطاف بلاد مصر القبلية وجمعها وأداها للحكومة . ومن المضايقات التي كان يتقصده بها الوزراء رحل مرة ثانية الى الصعيد وثالثة وأخيراً الى الاسكندرية ولما سكن الاضطراب عاد منها الى السنارية وبها ضعف وتوفي في ٣ من نسيء سنة ١٣٠٥ ش و ١٥٨٩ م بعد ان استمر في البطريركية خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وأياماً وخلا الكرسي بعده أربعة أشهر .

وحدث في أيامه أمر يدل على ان اسقف رومية لم يكتف بانخذلان الذي أصابه في بلاد الحبشة ولم يثنه ذلك عن عزمه في ضم أقباط مصر اليه ولما رأى انهم يقاسون من المسلمين العذاب أشكالا وألواناً ولا سيما منذ خضعت مصر لملوك العثمانيين فان الولاة كانوا يفضلون الروم عليهم اتخذ ذلك فرصة مناسبة لاختضاعهم لرئاسته وجعلهم تحت حمايته . فأرسل الاسقف الروماني وكان حينئذ غريغوريوس ال ١٣ بعض رجاله الى مصر فاجتمعوا بالبابا يوحنا وكان شيخاً متواضعاً محباً للسلام فما زالوا به حتى أقنعوه انه اذا خضع لكنيسة رومية بشروط سهلة يضمن بذلك حماية الاقباط ويأمن غائلة الاضطهادات الاسلامية أما هو فيبقى بطريركاً على جميع الامة كما هو بدون نقص شيء من كرامته أو سلطته . وأشاروا عليه ان يدعو جميع الاساقفة ليقصوا عليهم الامر ويعرضوا عليهم طلبات اسقفهم ويشرحوا لهم الغرض منها

فدعا البابا يوحنا الاساقفة واخبرهم بما يعيل اليه اسقف رومية من الاتحاد معه فآظروا ارتياحهم الى الاتحاد بين الطوائف ولكن لما انمقد المجمع وسمع

الاساقفة آراء نواب اسقف رومية هاجوا وعارضوا معارضة شديدة كما رفضوا
اقتراحات اسقف رومية رفضاً باتاً واشتد النزاع وقويت المعارضة وصرخ
الاساقفة قائلين « ان موافقتنا على طلبات اسقف رومية تضر في المستقبل باستقلال
الامة الدينى الذي اشتراه آباؤنا بسفك دمائهم »

ولكن يظهر ان البطريرك لشيخوخته وبساطته وسلامة نيته وميله لحماية
أولاده من اضطهاد المسلمين أظهر ميله للاتفاق ولكن الاساقفة عارضوه بشدة
ولما لم تتفق الآراء على شيء انقضت الجلسة على نية الاجتماع ثانياً . ولكن
اتفق ان البطريرك توفى في تلك الليلة فاحبط المسعى وذهبت كل الاتعاب سدى
والمؤرخون الكاثوليك يقولون ان البطريرك مات مسموماً والمؤرخون الافرنج
ينفون ذلك . أما رسل اسقف رومية فالقى والى مصر القبض عليهم كعميون غرباء
واتهمهم بالقاء دسائس الفتنة بين الرعايا والقائم في الحبس فرق لهم بعض كبار
الاقباط ودفعوا خمسة آلاف قطعة من الذهب مقابل اطلاق سراحهم ليعودوا الى
بلادهم فشكرهم اسقف رومية وهو سكتوس الخامس الذى خلف غريغوريوس
ال ١٣ على نعمهم ورد لهم المال

(٤) خبر بال ٨ - البطريرك السابع والتسعون . انتخب بطريركا خلفاً للبابا
يوحنا وهو من منببر وكان يدعى أولاً شنوده وهو راهب من دير القديس
بشوى وكرس بطريركا في ١٦ بؤونة سنة ١٣٠٦ ش و ١٥٩٠ م في عهد سلطنة
مراد بن سليم . وفي أيامه ذاق المسيحيون ضم الراحة لشدة حاجة المسلمين في
أشغالهم الى مهارتهم الكتابية واستقر هذا البابا على كرسي البطريركية مدة ١١ سنة
وتوفى في ٩ بشنس سنة ١٣١٨ ش و ١٦٠١ م

وفي عهده جدد اسقف رومية مساعيه ليحمل الكنيسة القبطية على الاعتراف
بسيادته عليها فأظهر في مخابراته للبابا غبريال الثامن كل التساهل والتودد الا انه
لم ينجح بالمرّة لان مساعيه لم تكن صادرة عن غيرة دينية صحيحة بل عن ميل
الى حب الاستئثار والادعاء بالسلطة الامر الذى فضلا عن مخالفته لاوامر السيد
المسيح الصريحة فقد جر كل الويل على المسيحيين في كل العصور . ويقول

بارونيوس المؤرخ الروماني ان البابا غبريال أظهر ميلا للخضوع
لسلطة كنيسة رومية نظير سلفه البابا يوحنا وان الاتفاق والاتحاد المذكور قبلته
الكنيسة القبطية في يناير سنة ١٥٩٥ م وهذا القول بعيد عن الصحة بعد السماع عن
الارض . لان اسقف رومية وهو الكليمنضس الثاني لما طلب من البابا غبريال الخضوع
لسلطته رد عليه برقة اعتادها بابوات الكنيسة المصرية فخالها اسقف رومية
رضى واستكانة .

○○○○○○

القسم الثاني

المملكة والكنيسة

.....

الحالة بوجه عام في زمن احتلال المملكة العثمانية

○○○○○○

احتل يسلم بن بيازيد سلطان الدولة العثمانية مصر في سنة ١٥١٧ م فسار على منوال
الملوك الفاتحين من الجور والظلم ولم يغب الاقباط عن ذاكرة أي فاتح لمصر ليركهم
يتذوقون طعم الراحة قليلا بل كانوا دائماً في طليعة المنكوبين واهتم بأمرهم
السلطان بيازيد فاضطهدهم بشدة ومع ان السنين التي سلفت كان الاقباط فيها

يشعرون بالراحة نوعاً الا انه لما بدأ هذا السلطان باضطهادهم تحرك عليهم المسلمون قاصدين اضطهادهم . غير ان اصحاب الحرف والاعمال منهم كانوا معافين من الاضطهاد لمعرفة المسلمين باحتياجهم اليهم ولهذا كانوا يحبون اليهم الاسلام لتروج صناعتهم اكثر فاعتنق في اثناء الفتح العثماني كثيرون من الصناعات المسيحية الديانة الاسلامية .



القرن السابع عشر

القسم الاول

تاريخ البطارقة

○○○○○○○

- (١) مرقس ٥ (٢) يوحنا ١٥ (٣) متاؤس ٣ (٤) مرقس ٦
(٥) متاؤس ٤ (٦) يوحنا ١٦

○○○○○○○

(١) مرقس ٥ - البطريرك الثامن والتسعون . أقيم خلفاً للبابا غبريال

في أول توت سنة ١٣١٩ ش و ١٦٠٢ م في عهد سلطنة محمد بن مراد واصله من
بلدة البياضية بمديرية اسيوط وكان طالماً ورعاً تقياً محباً للخير صبوراً على المكاره
واشدد العمال في ايامه على رعيته شدة عظيمة فكان يكثر من الطواف بين الناس
ويحضهم على الصبر والسكون

وفي ايامه سرت بين الاقباط عادة اتخاذ زوجات غير شرعيات على طرق
مختلفة لاسيما بين نصاري جهة الردينية حتي قام مطران دمياط وجاهر بان تعدد
الزوجات غير ممنوع في الانجيل . ولما لاحظ البابا مرقس ذلك اصدر منشوراً
يحرم فيه تعدد الزوجات وحرم المطران الذي علم به . فاتفق المطران هو وبعض
الاقباط الذين يشغلون مراكز خطيرة في الحكومة على الايقاع بالبطريرك
فشكوه لجعفر باشا الحاكم المسلم فراها فرصة مناسبة لاذلال شأن الاقباط فدعا

اليه البابا مرقس وامر بضربه حتى اشرف على الموت وعزله من منصبه وحبسه
في برج الاسكندرية

أما المطران وحزبه فخدعوا راهباً من البياضية واقاموه بطريركا فصرح لهم
بالطلاق وبتعدد الزوجات وبعد وقت قصير اهتمت مسيحيو القاهرة والصعيد
وقام رهط منهم الى الوالي واقنعوه برد البطريرك المسجون الى مرتبته فرده
وخضع كل حزب لبطريركه الى ان ضعف حزب الراهب وانحلت عراه فمضى الى
بستان وجعل يعمل فيه حتى وافاه القدر المحتوم واستقل البابا مرقس حتى تنجح
في سنة ١٣٣٠ ش و ١٦١٣ م وكانت مدة رئاسته ١١ سنة

واستأنف اسقف رومية مخبراته مع هذا البطريرك بشأن انضمام الكنيسة
القبطية له والكاثوليك ينسبون عزله الى دسيسة من بعض كبار الاقباط لما
رأوا فيه الميل الى عقد اتفاقية مع اسقف رومية ويقولون لو لم يكن والى مصر
عزل البطريرك مرقس فجأة لكأت الكنيسة القبطية قد خضعت لسلطة
الرومانية . والأمر واضح مما سلف ان سبب عزله خلاف ما ذكر فتأمل

وفي سنة ١٦٠٤ م اهتمت الكنيسة القبطية بمقاومة الارساليات الكاثوليكية
ببلاد الحبشة . وقبل ذلك الوقت بربع سنوات أوفد من قبل اسقف رومية
يسوعى يدعى بيدوفيز فلم يصل الى مصوع حتى سجنه الاحباش ولكنهم اطلقوه
فيما بعد وصرحوا له بالبقاء بينهم فقضى وقتاً منعزلاً بمدينة فريموتا ثم عكف على
درس لغتهم حتى اتقنها وانتشر اسمه حتى وصل الامبراطور فاستدعاه اليه ولما
مثل امامه اخذ يظهر براعته في معرفة اللغة الحبشية وجادل كهنة الاحباش بها
وفاز عليهم فسمح له الامبراطور ان يعظ الجمهور فالقى عظة اثر بها على الامبراطور
حتى رغب في اعتناق المذهب الكاثوليكي وتبعه رجال بلاطه فقامت قيامة
الاحباش تحت زعامة المطران القبطى واشتبك القتال بينهم وبين الامبراطور
فدبحوه وانكسر قومه وقام مكانه آخر

فحول فيز اليسوعى نظره الى الامبراطور الجديد قاصداً ان يستميله ايضاً
للمذهب الكاثوليكي فنجح وسمع ان الحبشة سترسل وفداً الى الفتيكان تعلن
مخضوعها له فاشهر المطران القبطى حرم كل من ينحاز للكاثوليك واشتد هياج

الشعب الحبشي ثانية وحاول اسقاط الامبراطور ولكنه تغلب عليهم واستمر الهياج يزداد خصوصاً بعد ان اعلن الامبراطور اعتناقه للمذهب الكاثوليكي . ولبت النزاع قائماً حتى انقطعت انفاس فيز فهذا الشقاق وبطات حركته

(٢) يومنا ١٥ - البطريرك التاسع والتسعون . وبعد وفاة البابا مرقس

انتخب الاقباط لهم بطريركاً جديداً وهو البابا يوحنا ال ١٥ في سنة ١٣٣٠ ش و١٦١٣ م في عهد سلطنة عثمان بن محمد واصله من ملوى . وكانت الضيقات لم تزل تترى على شعبه فجاء في ابروشياته مرتين يعزى المسكرو بين وبينما كان يطوف بين رعيته وجد في ابنوب وجبهاً عنده محظية فنصحها وارشده واذ لم يرعو حرمه فاغتاز الرجل منه ودس له السم في الطعام فلما شعر بدنو الاجل نزل في مركب فعاجلته المنية في البحر وتوفي سنة ١٣٥١ ش و١٦٢٣ م وكانت مدة رئاسته عشر سنين

وفي خلال مدة البابا يوحنا مات الملك الحبشي الذي اعتنق الكاثوليكية وتولى ابنه باسيلوس فاضطهد تابعي الكاثوليك وارسل الى البطريرك القبطي لكي يرسل له مطراناً وسمح للمرسلين الكاثوليك ان يقيموا في بلاده على شرط ان لا يتعرضوا لمعتقد اهلها ولكن لما شعر بانهم ساعولت في استحضر جيش البورتغاليين ليؤيدوا مذهبهم بالقوة امرهم ان يرحوا البلاد فلم يطيعوا واتفقوا مع كبير من الاحباش كان عاصياً في وجه ملكه ولكن بعد اتحادهم معهم باعهم كالمبيد الى تجار الاتراك فاستخلصهم الملك من ايدي التجار ولكنهم لم ينجوا من ايدي الاحباش فقبضوا عليهم وقتلوهم فبدأت البلاد بعد حروب وارتباكات دامت سنين وانتهت بقطع دابر الكاثوليك وطرده كل مذهب بمذهبهم من بلاد الحبش ومنع دخول الغرباء اليها لغير التجارة واكتساب المعاش

وانصلت هذه الاخبار باقباط مصر وذكرتهم باوقات اضطهاد الملوك الرومانيين لهم فلم يقبلوا من اسقف رومية هناء ولا عزاء ولكنهم لم يبدوا انفة من وجود الافرنج وجماعة الكاثوليك بينهم لما حضر بعضهم الى مصر وتوطنوا بها للتجارة بمقتضى المعاهدات الدولية التي عقدت منذ الجيل السادس

عشر للميلاد بين ملوك أوروبا والمملكة العثمانية

(٣) منائس ٣ - البطريرك المائة . أقيم بطريركا سنة ١٣٤١ ش و ١٦٢٣ م

في عهد السلطان ابرهيم واصله من طوخ دلوكه وكان اسمه تادرس رئيس دير أبي مقار وفي مدته وقع غلاء وقحط وأكلت الميتة . وارسل مطراناً الى الحبشة من اسيوط فلم يقبلوه فكرس غيره وقضى على الكرسي ١٩ سنة وتنيح في توت سنة ١٣٦٠ ش و ١٦٤٢ م وخلا الكرسي بعده خمس سنوات

(٤) مرفس ٦ - البطريرك المائة والواحد . كرس بطريركا في ١٧ برموده

سنة ١٣٦٢ ش و ١٦٤٦ م في عهد السلطان محمد وهو من بهجورة من دير انطونيوس بالعربة وكان للمعلم بشارة من أعيان القاهرة يد في تقدمته .

وفي أوائل رئاسته تنافس مع المعلم بشارة مدة طويلة ولم تكف تفتحي هذه المنافسة حتى لاقى صعوبة أخرى وذلك انه أصدر امراً يمنع فيه الرهبان من التجول في البلاد فتعصبوا عليه وشكوه للوالي فقبض عليه والقاء في السجن ولم يخرج منه حتى وقع في غرامة جسيمة ولم يسترح بعد خروجه من السجن حتى تنيح في ٧ برموده سنة ١٣٧٢ ش و ١٦٥٦ م بعد ان قضى على الكرسي مدة عشر سنين .

(٥) منائس ٤ - البطريرك المائة والثاني . كان يدعى أولا جرجس

وهو من ناحية مير وترهب بوادي النطرون بدير البرموس واشتهر بالتقى والعلم والورع وانتخب للبطريركية وأرسلت الجماعة تطلبه فامتنع فقام حزب من المصريين ورغبوا في تعيين خلفه فاما لم يتم لهم أحضر المنتخب الاول بواسطة الدولة وحضر الاثنان وعملت بينهما القرعة في الكنيسة وفي دار الولاية وفي الجهتين جاءت النتيجة باسم جرجس المنتخب أولاً فاقم بطريركا في آخر هاتور سنة ١٣٧٧ ش و ١٦٦٦ م في عهد السلطان محمد

واستمر هذا البطريرك في الرئاسة اربع عشرة سنة وثمانية أشهر ونصفاً

وقاسى شدائد مختلفة وعاش حتى رأى السلام ناشراً ألويته ووقع في عهد سنة ١٣٨٧ ش فناء عظيم سمي الموت الحارق وارسل مطرانين للحبشة شنوده وخيروستوذولو. وكان هذا البطريرك آخر من سكن من البطارقة في حارة زويلة ومن بعده انتقل مركز البطارقة الى حارة الروم وتوفى في ١٦ مسرى سنة ١٣٩١ ش و ١٦٧٥ م ودفن بدير مركوريوس وخلا الكرسى بعده سبعة أشهر

(٦) يومنا ١٦ - البطريرك المائة والثالث . كرس بطريكاً في ١٢ برمهات

سنة ١٣٩٢ ش و ١٦٧٦ م في عهد السلطان محمد . وكان يدعى اولاً ابراهيم بن المغربي وهو من طوخ ذلك وترب بدير انطونيوس . وفي اثناء رئاسته طاف الوجه القبلي والبحري مفتقداً احوال المسيحيين وزار القدس وكان في صحبته رجل من أكابر النصارى يدعى جرجس الطوخى وقد ساعده هذا الرجل على عمارة ما دثر من الكنائس والأديرة خصوصاً دير القديس بولس الذي كان قد تخرب من اعوام مديدة فعمره هذا البطريرك وأعاد اليه الرهبان بعد ان بقى خالياً منهم مائة سنة وبني دار البطريركية في حارة الروم وارسل المعلم لطف الله الى السلطان بهدايا لرفع جزية المال عن حارة الروم . وكرس الميرون المقدس سنة ١٤١٩ ش

وكان هذا البطريرك ممدوح الخصال محسناً للفقراء والمحتاجين فاتحاً داره لاستقبال الغرباء والمنقطعين وكانت اكثر ايامه شدائد ومصائب متراكمة كادت تتعطل بسببها شعائر الدين لولا عناية الله . وبعد ان قضى بطريكاً ٤٢ سنة وثلاثة أشهر توفى في ١٠ بثوونه سنة ١٤٣٤ ش و ١٧١٨ م وخلا كرسى البطريركية بعده شهرين وخمسة ايام

وفي ايام هذا البابا حضر لمصر سنة ١٦٩٢ م قنصل فرنساوي يدعى موليميه وكتب كتاباً عن مصر قال فيه عن الاقباط « انهم اقل جهلاً وغشومة ولسكنهم متشبثون بما يحسبه غيرهم هرطقة » واورد شاهداً على ذلك قوله « ان المرسلين اللاتين مع ما كانوا عليه من المهارة والجدارة لم يستطيعوا ان يجذبوا اليهم واحداً منهم رغماً عن طول بقائهم بينهم وعمل كل ما في وسعهم لاقتناءهم »

ومما قاله ايضاً « انه لما لم يقو المرسلون على اجتذاب القبط اليهم بالاقناع
دبروا حيلة أخرى فصاروا يوزعون صدقات نقدية على من يحضر منهم الى كنيسةهم
فالتجأ اليهم جم غفير من الفقراء ولما استبدل رئيس الدير بغيره ألغى التصديق
بهذه الكيفية ولذلك لم يعد من الفقراء من يقرب كنيسة الافرنج »

ومما رواه عن شدة تمسك الاقباط بعقيدتهم هو « ان لويس الرابع عشر ملك
فرنسا طلب منه ان ينتخب ثلاثة من شبان الاقباط الاذكيا من عائلات طيبة
ويرسلهم الى فرنسا ليتعلموا على نفقة الحكومة الفرنسية فلم يرش أغنياء الاقباط
أو فقراؤهم ان يسلموهم أولادهم خوفاً من ان يغيروا معتقدهم. وكان المرسلون
اللاتين قد فتحوا مدارس لتعليم الشبان فبمجرد اشاعة الخبر منع الاقباط أولادهم
عنها فاصبحت خاوية خالية ولم يبق مع الكاثوليك سوى بضعة أتقار وهم الذين
أخذوهم من والديهم وهم أطفال من أولاد الفقراء وربوهم منذ نشأهم على المعتقد
الكاثوليكي غير ان هذه الطريقة التي عمدوا اليها لم تنجح ايضاً فان كثيرين
من أولاد الاقباط الذين علموهم في رومية عندما عادوا الى أوطانهم شق عليهم
ترك معتقدهم الاصلى فرجعوا اليه مرة ثانية . فضلا عن ذلك فانه لما أدرك الاقباط
ان المرسلين الكاثوليك لا يأخذون أولادهم لتعليمهم شفقة عليهم بل ليلقنوهم
لمعتقد الكاثوليكي امتنعوا عن تقديم أولادهم لهم حتى الفقراء منهم » وقال المسيو
موليه ايضاً « وحتى الذين كانوا يتضورون جوعاً وكنا نعطيهم طعاماً امتنعوا
عن المجيء الينا خوفاً من ان نكتلكهم »

وكان بعض الاقباط التابعين لاسقف رومية قد غشوه بان بطريك الاقباط
أظهر رضاه عن مدارس الايطاليين وأمر أبناء رعيته بتعليم أولادهم فيها فلما
اطلع موليه على الحقيقة أفهمه بان البطريرك لم يكن يعترف بأعمال ووجود
المرسلين الايطاليين بل كان يفرض عدم وجودهم بالمرّة في البلاد

ولما رأى اللاتين عدم نجاح مساعيهم في مصر حولوا التفاتهم مرة أخرى
للحبشة . فبعد ان ارسلوا ثلاث ارساليات آخر واحدة منها ارسلت في سنة ١٧٠٦ م
ارسلوا بايماز لويس التاسع عشر ملك فرنسا طبيبياً للحبشة يدعى دي رول ليدير
بحسن سياسته مع ملكها تمهيد الطريق لليسوعيين لقبولهم فيها . وكان مع دي رول

ترجمان سوري يسمى ايلياس فلما وصلا الى سنار قبض عليهما الحاكم وحجز عنده
الطبيب وأطلق مراح الترجمان لكي يذهب للملك ويطلب منه السماح بدخولهما
الى بلاده فرد عليه ملك الحبشة بانه اذا كان قادماً بصفة سائح فلا بأس من ترك
الحرية له ليدخل بلاده واما اذا كان من اليسوعيين فلا بد من منع المجيء الى
الحبشة . الا ان سلطان سنار بعد ما اطلع على خطاب ملك الحبشة داخله ريب من
جهة دي رول فبعد ان حجزه عنده ثلاثة أشهر قتله

القسم الثاني

مناهل الكنيسة

ابو ذقن

.....

ظهر في أواسط هذا القرن رجل قبلي من اهل الوجاهة والفضل يكنى
بابي ذقن المنوفي . وضع كتاباً باللغة العربية شرح فيه حال الاقباط في ذلك العصر
وعوائدهم وأفرد باباً مخصوصاً للدفاع عن معتقد الكنيسة القبطية ومقابلة حالتهم
الدينية بحال الكاثوليك الرومانيين ملتزماً في اقواله وعباراته خطة الادب وخلو
الغرض وعدم التحاشي في تفضيل بعض الأمور والعوائد الدينية الجارية بين
الكاثوليك على غيرها مما هو جار بين الاقباط

ويقول العارفون ان هذا الكتاب الجليل يوجد باحدى مكتبات ا كسفورد
ببلاد الانجليز وقد ترجم الى اللغة العربية ونشر بتلك المدينة في سنة ١٦٧٥ م
وترجمه ايضاً ونشره باللغة الانجليزية السرسادير سنة ١٦٩٣ م
ويقول ابو ذقن ان أعضاء الكنيسة القبطية مشهورون في كل ممالك العالم

بلقب ممتاز وهو (مسيحيو الحزام)

ومما جاء في ذلك الكتاب عن الاقباط انهم اكتسبوا في ذلك الزمان بحسن خداماتهم وصداقتهم ثقة المسلمين بهم فعزّزواهم وساوواهم بالروم والافرنج وان معظم الصنائع كانت في ايديهم وكانت تدرس في مدارسهم اللغات العربية والقبطية والحساب والجغرافية والدين . وقال ومع ان شبان الافرنج اكثر علماء من شبان الاقباط الا ان هؤلاء اكثر زهداً واقل شراهة في الماء كل والمشرب من اولئك وذكر ابو ذقن انه عند ما يريد احد الاقباط ان يذهب الى القدس يلتزم بدفع جزيتين للاتراك الاولى عند ما ينوي السفر وقيمتها ثمانية ريبالات والثانية وقيمتها اربعة يدفعها غالباً عند دخوله المدينة المقدسة

المملكة والكنيسة

.....

(١) حالة الاقباط بوجه عام (٢) مصير اللغة القبطية (٣) حالة المسيحيين في النوبة والخمس المدن الغربية

.....

(١) حالة الاقباط بوجه عام . وجار ملوك آل عثمان على المصريين وغالباً لم يميزوا ما بين قبطي ومسلم حتى كثير حدوث الثورات فكان يقع في خلالها طبعاً البلاء بكثيرين من الاقباط . ولما كثير الانقسام بين المماليك كان العرب

يهجمون على البلاد وينهبون البيوت ويقتلون الرجال ويسبون النساء . وانهزوا هذه الفرصة مرة فهجموا على مدينة اخميم في الوجه القبلي وكان معظم سكانها من النصارى اهل السكد والعمل ونهبوها وخربوها وقتلوا كثيراً من أهلها

الا ان الاقباط على كل حال عاشوا تلك المدة مع مواطنيهم المسلمين في حال افضل مما مضى واشتركوا معاً في مر العيش وحلوه غير انهم كانوا يزيدون عنهم في دفع الجزية التي صارت تسمى بالجالية او الجوالي واستعملوا الجور في تحصيلها منهم

(٢) مصدر اللغة القبطية . اما اللغة القبطية فكانت قد تلاشت بالمرّة الا ان

المقريزي يذكر ان الرهبان لبثوا يتكلمون بها لغاية القرن الخامس عشر وان بعض النساء والاطفال في الصعيد ورهبان الدير السكائنة حول اسيوط واهل درنكة من كبيرهم الى صغيرهم كانوا يتكلمون بها في ذلك العصر . وذكر ايضاً فانسليب العالم الذي زار مصر سنة ١٦٧٢ م انه وجد بين الاقباط من يتكلم بلغته الاصلية . ولما وفد نابليون امبراطور فرنسا واحتل مصر سنة ١٧٩٨ م طلب ان يسمع من يتكلم باللغة القبطية فجاء له بقبطي من الصعيد يجيدها ولم ينازعه في هذا الامتياز سوى امرأة عجوز

(٣) مائة المسيحية في النوبة وفي الخمس المره الغربية . وكان ولاية مملكة

النوبة حتى القرن السادس عشر مسيحيين خاضعين لسلطان مصر يدفعون له الخراج ولكنه بعد الفتح العثماني اخذت الحكومة المسيحية تسقط في النوبة وقامت مكانها حكومة اسلامية اجتهدت في محو النصرانية من تلك البلاد فكثرت عدد المستشهدين واسلم كثيرون ومن خلاص من الموت صار في عوائده كالمسلم سواء وهكذا اهل امر الدين المسيحي وبطل من تلك البلاد . ولا يبعد انه في ذلك الحين الزم مسيحيو الواحات باعتناق الاسلام فقلبت كنائسهم مساجد .



القرن الثامن عشر

القسم الاول

تاريخ البطركية

.....

(١) بطرس ٦ (٢) يوحنا ١٧ (٣) مرقس ٧ (٤) يوحنا ١٨

(٥) مرقس ٨

.....

(١) بطرس ٦ - البطريك المائة والرابع . أقيم بطريركا في ١٥ مسرى

سنة ١٤٣٤ ش و ١٧١٨ م في عهد السلطان احمد . وكان اولاً يدعى مرجان وهو من مدينة اسيوط أقيم قسيساً على دير القديس بولا وفي مدة رئاسته حاز مقاماً سامياً لدى أولي الأمر فتمكن من ان يطوف الوجه البحري والقبلي لتفقد احوال قومه . وكان شديد المحافظة على شعبه مانعاً لهم كل ما يجرمه الدين المسيحي من جهة الزواج أو الطلاق ونحو ذلك واجتمع بالسنجق ابن ايواز وغيره من المتكلمين بسبب ان شردمة حاولت ان تبیح الطلاق لأية علة ولغير علة وجرت له معهم خطوب فيما يختص بمحدود مذهبهم فأفتى له العلماء وصدر له فرمان من الوزير المتولي باقراره على قانون مذهبهم ومنع التعرض له في ذلك وصار البكهنه لا يعقدون زواجا الا على يده في قلايته بسبب ابن قس طلق امرأته وتزوج غيرها وهذا البابا أخفى رأس القديس مرقس . وفي أيامه طلبت الحبشة مطرانا

لها فرسم اسقف القدس مطراناً وارسله لها
واستمر في الرئاسة سبع سنوات وستة أشهر وأياماً وتوفي في ٢٦ برمهات
سنة ١٤٤٢ ش ١٧٢٦ م وخلا منصب البطريركية بعده تسعة أشهر

(٢) يومنا ١٧ - البطريرك المائة والخامس . أقيم بطريركا في ٦ طوبه
سنة ١٤٤٣ ش ١٧٢٧ م في أواخر مدة السلطان احمد . كان يدعى اولاً
عبد السيد وهو من ملوي وترهب بدير القديس بولا وعند رسامته منع عادة
استلام الصليب من يد السلف ميتاً لأنه فزع منه . وفي اثناء بطريركيته أنشأ
كنيسة في ديري انطونيوس وبولا بمساعدة الشهير جرجس السروجي أمير
قومه بوقته

وفي سنة ١٧٤٣ م أتخذ امبراطور الحبشة من قبله وقدماً للبابا يوحنا عقب
وفاة خيرستوذولو مطران الحبشة يطلب منه ان يعين بدله . وكان الوفد مؤلفاً
من ثلاثة اشخاص احدهم قبلى يدعى جرجس والاخران حبشيان اسم احدهما
تاوضروس والثاني ليكانيوس ولما وصلوا الى مصوع قبض عليهم حاكماً وسلب
نصف القود التي كانت معهم واكرههم على الاسلام فاخفقى القبلى واطاعه
ليكانيوس واعتنق الاسلام اما تاوضروس فرشى بالمال وتمكن من الوصول
للقاهرة وطلب من البطريرك رسامة مطران لبلاد فاجيب الى طلبه ورسم المطران
سنة ١٧٤٥ م وعاد به ولكنها صادقا في مصوع ما صادفه الوفد الأول فالتقى
في السجن غير ان تاوضروس تمكن بحيلة من ان يسهل سبيل المطران للفرار وبقى
هو حتى طلب مالا من بلاده دفعه فدية عن نفسه

وفي ايام البابا يوحنا اشتد الكرب على المسيحيين وضربت عليهم غرامة
فادحة لم يعف منها أحد وبيعت بسبب هذه الغرامة الجواهر الكريمة بالبخس
الايمان وألزم بهذه الغرامة القسوس والرهبان والصبيان والفقراء وارغم البطريرك
بدفعها عن القسوس وخدام الدين وحدثت زلزلة هائلة دمرت أماكن كثيرة
وأبادت بلاداً عن آخرها

وفي أيامه أيضاً تمكن المرسلون الكاثوليك في تسعة مراكز جنوب القاهرة

وهي انتينوا واسيوط وابو تيج وصدقا واخيم وجرجا والاقصر واسوان وفي دير النوبة ايضاً . وفي سنة ١٧٣١ م ارسل اكايمنص الثاني عشر اسقف رومية يحض رؤساء ارسالياته على بذل آخر مجهوداتهم لينتمكنوا من ارسال بعض اولاد الاقباط ليتعلموا في رومية فلم يتمكنوا بأية طريقة ولم يجدهم ما وجهوه الى الاقباط من التهديد والوعيد

فكتب اسقف رومية المذكور الى البابا يوحنا عن يد الكردينال بلوجا أحد المرسلين الكاثوليك يطالب منه ان يقبل هو وكنيسته الخضوع لسلطانه ولكن هذه المخبرات انتهت نظير غيرها بلا ثمرة . ولما تولى بنديكتس الرابع عشر على الكرسي الروماني انكر قول كل قائل بوجود اتحاد بين الاقباط وبين كنيسته وقفل باب المخبرات الودية التي استمرت جارية بين اساقفة رومية وبطاركة الاسكندرية ولكن بدون فائدة . وكان بمدينة القدس قس قبطي كاثوليكي يدعى اثناسيوس فرسمه مطراناً سنة ١٧٤١ م على مصر غير انه لم يحضر اليها بل بقي كل ايام حياته باورشليم . وكان النائب عنه في مصر قس يسمى يسطس المراغلي . وكان يوجد حينئذ شاب قبطي اسمه روفائيل الطوخي من اهالي جرجا اخذ الكاثوليك بالقوة حينما كان صغيراً وارسلوه لدرس اللاهوت في رومية وبعد اتمام دراسته عينه الاسقف الروماني اسقفاً على ارسينو ثم استدعاه اليه ثانية ليساعده في تأليف كتب باللغة القبطية وتنقيح كتب الطقوس الكنسية

وفي السنين الاخيرة من القرن الثامن عشر تمكن الكاثوليك من استمالة اسقف جرجا القبطي الى مذهبهم ولكن لهرطقة حرم من الكنيسة القبطية حتى نقم عليه الاسلام ايضاً ففر هارباً الى رومية وعاش فيها حتى مات سنة ١٨٠٧ م ونشأ عن انضمام بعض الافراد من الامة القبطية نشوذ بين افراد العائلات وانقسام بسبب التركات والزواج فاشتكى كبار الكتاب لمخدومهم الامراء من سوء تصرف قسوس اللاتين وتعميدهم على حقوق بطريركهم . فعقد لذلك مجلس بحضورهم وحضور البطريرك وقسيس اللاتين بالمحكمة الكبرى الشرعية وبعد سماع اقوال المشتكين واحتجاج المشتكى عليهم تقرر التصريح لبطريرك الاقباط باستعمال السلطة الدينية على ابناء امته والتصرف فيهم بما توجبه قوانينه المرعية

وعدم التعرض له أو التعدي على حقوقه وتحررت بذلك حجة من المحكمة وسلمت
ليد البطريك ، وقد عثر على هذه الحجة صاحب جريدة مصر ونشرها وهذه
صورتها : —

صورة حجة شرعية صادرة من المحكمة الكبرى بمصر المحمية بتاريخ غرة
محرم سنة ١١٥١ هـ

هو انه بمصر المحروسة لدى سيدنا ومولانا الخ الامير ابراهيم بك الدفتردار
بمصر المحروسة حالا (هنا اسماء الامراء الذين بهم انعقدت الجلسة) بعد ان رفع
كل من المعلم رزق الله ولد الذي ابراهيم بدري النصراني اليعقوبي بخدمة ميرالوا
الامير ابراهيم بك الدفتردار بمصر المحروسة حالا (وهنا اسماء الاقباط الارثوذكس
الذين رفعوا الشكوى للمحكمة من جور المرسلين الكاثوليك وعددهم اربعة
وعشرون شخصاً) وغيرهم من النصراني اليعاقبة القبطية والقسيسين والرهبان .
يشتكون من ان جماعة من النصراني اليعاقبة القبطية مخالفون لمثلهم وبطريكهم
والقسيسين ورهبان اليعاقبة القبطية وان المخالفين المرقومين يريدون الذهاب الى
الافرنج الغير القبطيين ليدخلوا في ملتهم لعدم دفع الجزية وان المعلم يوحنا
بطريك النصراني اليعاقبة القبطية ينهى الجماعة القبطيين المرقومين عن ذلك مراراً
فلم ينتهوا ولم يسمعوا لقوله وان القانون المتعارف بينهم ان كل من خالف كلام
بطريكهم يكون مغضوباً عليه ويلزم الأدب اللائق بحاله وان حصل التوافق
والتراضى بين طائفة النصراني اليعاقبة القبطية المرقومين وكبيرهم ان كل من خالف
ملته وكان قبطي وانتقل من ملة القبطيين الى ملة الافرنج وثبت ذلك عليه بالوجه
الشرعي يكون على الامراء الصناجقة وأغوات البلديات وكخدا البلديات
واختيارياتهم الخروج من عهدة من ينتقل من النصراني اليعاقبة القبطية المرقومين
الى ملة الافرنج الخروج من حقه وتأديبه بما يليق بحاله زجره ولا مثاله باعتراف
كل من طائفة النصراني اليعاقبة القبطية المرقومين الاعتراف المرعى كما التوافق
والتراضى المرعيين ولما تم الحال على هذا المنوال كتب ذلك ضبطاً للواقع ليراجع
به عند الاحتياج اليه والاحتجاج به وعلى ما جرى وقع التحرير

في فترة محرم الحرام افتتاح سنة احدى وخمسين ومائة والف .
محمد عبد الرازق محمد علي جنفي علي علي عبد النبي
محمد فواكه محمد خلاف حسن علي احمد

وقد وقفنا ايضاً على صورة رسالة نشرها المندوب الباباوي بالقطر المصري على جماعة الكاثوليك الذين كانوا كلهم بالوجه القبلي وذلك تنفيذاً للمعاهدة التي تمت بينه وبين بطريرك الاقباط سنة ١٧٩٤ م عند معتمد دولة النمسا وفيها يوصى الاقباط المتكثلكين بمدن جرجا واخميم وفرشوط ونقاده بذلك الاتفاق الذي عقد بينه بصفته كيرلس رئيس عام رهبان المرسلين الكاثوليك والتواجيه كركور وشتي قنصل النمسا والاب اكليمنضس رئيس عام سابقاً وبين البطريرك انبا يونس والمعلم ابراهيم الجوهري والمعلم جرجس أخيه رؤساء طائفة الاقباط بمصر . وكان الاتفاق على ما يأتي

- (١) المتزوجون من الفريقيين لهم حرية اختيار الصلاة بآية كنيسة ارادوا قبطية كانت أو كاثوليكية
- (٢) من الآن فصاعداً لا ينبغي أن يتزوج الاقباط من الكاثوليك ولا الكاثوليك من الاقباط
- (٣) لا يدخل قسوس الكاثوليك بيوت الارثوذ كس ليكرزوا لهم ولا قسوس الارثوذ كس بيوت الكاثوليك
- (٤) لا ينبغي ارغام اي أحد ليصلي بكنيسة معينة بل ليترك لكل واحد حق اختيار الكنيسة التي يحب
- (٥) لا يصح فيما بعد اذا حدث خلاف ان يرفع الامر الى رجال الحكومة بل الى الرؤساء من الكنيستين ولهم حق مقاصة الممتدى . اهـ . تحريراً في ٣ شهر يانوارنوس سنة ١٧٩٤ م

ولما بلغ السلطان ان قدم الارساليات الكاثوليكية أخذت تثبت في مصر خشى امتداد سطوة الاجانب في بلاده فكاتب بطريرك الكنيسة اليونانية وطلب منه ان يحذر جميع أفراد رعيته من ولوج معابد الكاثوليك . وكان معظم الذين اعتنقوا المذهب الكاثوليكي من السوريين الذين ارادوا ان يحتموا بالمذهب من

تعدى المسلمين عليهم . وجعل السلطان غرامة الف كيس على الذين يذهبون
لمعابد المرسلين اليسوعيين فجمع السوريون هذا المبلغ وساموه للسلطان . وفيما بعد
قبض أحد امراء المهاليك على اربعة من المرسلين اللاتين ولم يفرج عنهم الا بعد
ان دفعوا غرامة فادحة

أما البابا يوحنا فاستمر في كرسي البطريركية ثمانى عشرة سنة وبعض أشهر
وتوفى في ٢٣ برموده سنة ١٤٦١ ش و ١٧٤٥ م وخلا منصب البطريركية بعده
شهرآ واحداً

(٣) مرقس ٧ - البطريرك المائة والسادس . اقيم بطريركا في ٢٤ بشنس

سنة ١٤٦١ ش و ١٧٤٥ م في عهد السلطان محمود وكان يدعى سمعان من قلوصنا
ترهب في دير القديس بولا وكان طلق اللسان حسن الصوت محسناً بمدوح السيرة
محبوباً في قومه حتى شبهوه بالملائكة واستمر في البطريركية ٢٤ سنة وتوفى في
١٢ بشنس سنة ١٤٨٥ ش و ١٧٦٩ م ومات بدبر السيدة العذراء بالعدوية ودفن
بحارة البطريرك بابى سيفين وخلا منصب البطريركية بعده خمسة أشهر وثلاثة أيام
(٤) يوحنا ١٨ - البطريرك المائة والسابع . اقيم بطريركا في ١٥ بابة سنة

١٤٨٦ ش و ١٧٧٠ م في عهد السلطان مصطفى وكان أولاً يدعى يوسف من
القيوم وترهب بدير القديس انطونيوس . وفي اثناء رئاسته نالته شدائد من
مأموري الاحكام لاسيما من حسن باشا القائد التركي الذى أمر بضبط خزينته
وأخذ أمواله واختفى من الظلم واشترك مع المعلم ابرهيم الجوهري الشهير في
تعمير أديرة وكنائس كثيرة . وفي أيامه كرس الميرون

وسمى الكاثوليك لاجتذاب الكنائس الشرقية وعلى الاخص كنيسة مصر
فنشروا لذلك كتاب « أعمال مجمع خلکیدون » ووزعوه في البلاد الشرقية ثم
ارسلوا مندوباً من قبلهم الى البابا يوحنا يحمل رسالة من اسقف رومية يدعوه
فيها الى الاتحاد معه فسلم الرسالة للانبيا يوساب الابح اسقف جرجا وكلفه بالرد
عليها فرد عليها وفندها (١) اما نسخ كتاب « أعمال مجمع خلکیدون » فقد

(١) كان هذا لابل عالماً متضلماً في العاوم اللاهوتية فدافع عن كنيسته ضد تهجم الباباويين

وجدت مثبتة لدعوى الكنيسة القبطية فندم الاسقف الروماني على نشر ذلك الكتاب وجمع ماتمكن من جمعه وحرقه واتفق أموالا كثيرة في ذلك واستمر البابا يوحنا على كرسيه ٢٦ سنة وسبعة أشهر و ١٧ يوما وتوفي في ٢ بؤونة سنة ١٥١٢ ش و ١٧٩٦ م وخلال منصب البطريركية بعده نحو اربعة أشهر (٥) مرقس ٨ - البطريرك المائة والثامن . ولد في بلدة طما بمديرية جرجا

في اواسط الجيل الثامن عشر ودعى يوحنا وتربى التربية المعتادة وقتئذوناميا لعيشة النسك والتعبد فترهب بدير انطونيوس وبعد ذلك اقام بالدار البطريركية مع البابا يوحنا ال ١٨ وشاهد ما حل بهذا البطريرك من الويلات . وبعد وفاة البابا يوحنا اختير بموافقة الاساقفة الى منصب البطريركية وكان بعضهم يرشحون انفسهم لهذه الوظيفة فعول الاساقفة على جعل الانتخاب بواسطة القرعة الهيكلية فوقعت القرعة على الاب يوحنا فتمموا رسامته في كنيسة العذراء بجارة الروم في يوم الاحد ٢٨ توت سنة ١٥١٣ ش و ١٧٩٧ م في عهد السلطان سليم الثالث . وفي اوائل مدته أتى امير الجيوش الفرنسية نابوليون الى الديار المصرية ومكث الفرنسية بها ثلاث سنوات ثم رحلوا من مصر وعاد الحكم للدولة العثمانية وشاهد هذا البابا اول حكم محمد على باشا الخديوى الكبير

وفي ايام هذا البابا نكب المسيحيون بسبب دخول الفرنسية مصر وقاسى هو ذاته مصائب عديدة بسببها نقل مركز البطريركية من حارة الروم الى الازبكية بالدرب الواسع وقد روى لنا مؤلف كتاب نوابغ الاقباط ومشاهيرهم تفصيل ذلك نقلا عن كتاب « عمل الميرون المقدس » في ايام البابا بطرس السابع المحفوظ بالدار البطريركية قال : - « في ايام الانبا مرقس ال ١٠٨ حرقت الكنيسة العلية والسفلى بجارة الروم وكان الميرون الذى عمله سلفه موضوعا في موضع واحد بأعلى دهليز الكنيسة السفلى فحرق وكان باقياً من هذا الدهن المقدس في بعض

دقناً مجيداً وله كتاب تميم في ذلك يدعى « سلاح المؤمنين » محفوظة منه في الدار البطريركية نسختان تاريخ أحدهما ٢٦ برمهات سنة ١٥٦٧ ش . وله كتاب آخر اسمه « الادراج » لانبيا يونس ال ١٧ اهتم به الانبا يوساب تاريخ كتابته ١٩ مسرى سنة ١٥٤٥ ش وهو في الشؤون الدينية الداخلية

الكنائس بمصر القديمة الذي عمل من ايام البابا متاؤس الثاني ومن ايام البابا يوحنا ال ١٦ . وقبل حرق الكنيسة بثماني سنوات في رياسة البابا مرقس انتقلت القلاية البطريركية من حارة الروم الى حارة الازبكية في سنة ١٥١٥ ش والسبب في ذلك لما دخل الفرنسيس مصر حصل للنصارى الاقباط اهانة عظمى بسببهم وقامى من جراء ذلك البابا مرقس كثيراً فانتقل الى الازبكية في مواضع كان بناها المعلم ابرهيم الجوهري قبل وفاته

وسبب بناء هذه الكنائس التي أقام بها البطريرك ان المعلم ابرهيم تحصل على فرمان ببناء الكنيسة وأودعه بالقلاية في مدة البابا يوحنا ال ١٨ وبعد ذلك اشترى محلات وهدمها وابتدأ بوضع اساساتها وبجوارها اما كن أقام فيها الانبا مرقس وكيفية حصول المعلم ابرهيم على ذلك فرمان هو انه اتفق له ان احدى قريبات السلطان المحترمات ولعلها اخت السلطان كامل قدمت من القسطنطينية الى مصر قاصدة الحج ولكونه متقدماً في الحكم تقدماً مشهوراً باشر بنفسه اداء الخدمات الواجبة لمثلها في الذهب والعودة وقدم لها الهدايا اللائقة لرقيع مقامها فأرادت مكافأته على خدمته التي أبداها وسألته عن مرغوباته فالتمس منها المساعدة في اصدار فرمان سلطاني بالرخصة في انشاء كنيسة بالازبكية حيث مستقر سكنه والتمس منها أشياء أخرى لرفع الجزية عن الرهبان الى غير ذلك فقبل رجاؤه بالاجابة ولكنه توفي قبل ان يتم البناء فقام به اخوه المعلم جرجس

وبعد دخول الفرنسيس بثمانية عشر شهراً حصلت حرب بينهما وبين العثمانيين الذين بالقاهرة مدة ٣٤ يوماً في صوم الاربعين المقدسة فعمل البابا مرقس جمعة البصخة وعيد القيامة في منظره الحوش بجوار الكنيسة لانه لم يقدر احد على الخروج منها او الدخول اليها وحرقت فيها محلات عظيمة وحصل نهب وكانت شدة عظيمة وقاموا بالثغر وهدموا دير مار مرقس الانجيلي الذي بظاهر الثغر . وقد مكث الفرنسيس ثلاثين شهراً وبعدئذ رضي الله بخروجهم ثم ببناء الكنيسة التي اهتم بها المعلم ابرهيم الجوهري وفي يوم الاحد ١٥ توت سنة ١٥١٧ ش كرسها البابا مرقس على اسم مار مرقس عوضاً عن الدير الذي هدمه الفرنسيس بثغر الاسكندرية وقد اضاف اليها محلات « اه وقد شيدت الكنيسة بملك المعلمين

يعقوب وملطى حيث الاكن الكنيسة الصغرى بالبطريكية
وكانت تقوى هذا البابا مقرونة بالعلم الصحيح وقد وضع جملة مواعظ



« البابا مرقس الثامن »

لتقرأ في الكنيسة اشبه بقوانين لاصلاح خلل النظام في اوقات الصلاة فمنها
عظة عن الدين يتكلمون في الكنيسة بغير أدب واخرى عن دورة الفقراء في
الكنيسة ومما قاله فيها « انا اسألكم بدين المسيح وتواضعه ان تبطل دورة الاطباق
ولا يدور الفقراء فالاطباق يقفون بها في الخورس التحتاني وذلك في وقت
التسريح ومثل ذلك الفقراء بجانبهم بأدب ووقار » وغير ذلك من الرسائل في
مواضيع دينية ومما عثر عليه من رسائله رسالة تعزية الى انسان كان في شدة
وخلص منها يقول فيها « ان الكتب الشرعية يا ابني الحبيب عزى الله قلبك بعزاء

الروح القدس المعزي تدعوننا الى تعزية بعضنا بعضاً والعقل والادب والمحبة
والعادة مجمعة على ذلك فقد صار مستحجاً وفرضاً وما هذا الا لأن المباشر
بذاته الألم والحزن قد يعدم الرأي الصائب عند حلول المصائب أو ينسى الأمر
الواجب لاستيلاء الاكتئاب عليه فيحتاج الى من يذكره . لذلك كتبت
اليك « اه

وقد روى عن هذا البابا انه كان شديد الاهتمام بأمر الكنائس والاديرة
واصلاح المتخرب منها . وكان مقدراً لمنفعة الوعظ فتبار على القاء المواعظ بنفسه
ولم ينقطع عن تعليم شعبه في وقت من الاوقات . وقد رسم جملة اساقفة ومن
جملة من رسم مطراناً للحبشة وذلك على أثر مجيء بعض الرهبان والكهنة ومعهم
جواب من ملك الحبشة الجديد يطلب فيه منه ان يرسم لهم مطراناً عوضاً عن انبا
يوساب فرسم واحداً يدعى مكاريوس وارسله مع الكهنة سنة ١٥٢١ ش
واصحابهم بكتب تعليم ومواعظ لانه سمع ان بعضهم صاروا هراطقة فبعث يهني
الملك وعظماة الدولة ويثبتهم في الامانة المستقيمة

واشتهر هذا البابا بعمل الخير والاحسان . وقيل في وصفه انه كان قصير
القامة شديد التقشف كثير الهموم مصغراً بسيطاً في آكله وملابسه . واستمر
في الرئاسة ثلاث عشرة سنة وشهرين وستة عشر يوماً وتوفي في ١٣ كيهك سنة
١٥٢٦ ش و ١٨١٠ م وهو اول من قبر من الباباوات بالكنيسة البطريركية
بالازبكية في الجهة القبليية للكنيسة الكبرى بجوار المذبح في الكنيسة
الصغرى التي كرسها هو على اسم القديس استفانوس رئيس الشمامسة وكان دفنه
في يوم ١٤ كيهك كما كتب خلفه البابا بطرس السابع

القسم الثاني

مشاهير الكنييسة

.....

- (١) المعلم رزق (٢) المعلم ابراهيم الجوهري (٣) المعلم جرجس الجوهري
(٤) الامير يعقوب والمعلم ملطي ومهاجرة شبان الاقباط لفرنسا (٥) المعلم
ملطي (٦) المعلم انطون ابو طاقية

○○○○○○

(١) المعلم رزق . كان سكرتير الضربخانة المصرية فرقاها علي بك الكبير
عظيم المهابيك الى مدير حساباتها . وكان للمعلم رزق دراية بالعلوم ولا سيما علم
الفلك وكان مسموع الكلامه عند علي بك ويعول عليه في سائر الامور . ولما
زار مصر المستر بروس السائح الانكليزي سنة ١٧٦٨ م ساعده المعلم رزق على
انجاز مهمته فسر منه وقدم له هدايا نفيسة فلم يقبلها بل ردها وارسل له
مثلها .

وكانت بدمياط تاجر مشهور يسمى الحاج عمر بن عبد الوهاب الطرابلسي
فحصلت بينه وبين احد تجار النصراري منازعة بالثغر انتهت بالسب واللعن فعول
الحاج عمر على الانتقام من النصراني فأتى مصر وادعى انه سب دينه واستفتى
المشايخ فأقروا على حرقه ولكن كبار كتاب الاقباط سمعوا حتى استصدروا عفواً
عن النصراني وأحبطوا مساعي الحاج عمر

وفيا بعد قبض علي بك على الحاج عمر وسلب مقتنياته وتفاه من البلاد
والجبرتي المؤرخ المسلم ينسب تفيته الى مساعي كبار كتاب النصارى الذين كانوا
موضع ثقة علي بك

وفيا بعد قام محمد بك ابو الذهب مملوك علي بك وقتله واستقل بالرئاسة
فمزل للمعلم رزق من وظيفته وقيل انه قتله وأمر بابطال استعمال النقود التي
ضربت على يده في عهد علي بك ويقال قتله

(٢) العلم ابراهيم الجوهري . ظهر هذا الرجل العظيم في اواسط القرن

الثامن عشر ولا يعلم كيف نشأ الا انه يعلم انه تعلم منذ حداثة صناعة الكتابة
وكان قلبه مفعما بحبة الدين والتقوى وتقلد اول وظيفته له عند احد المهايك وكان
ينفق ربع راتبه في الاعمال الخيرية ولا سيما نساخة الكتب وايقافها على الكنائس
فكان بين حين وآخر يأتي للبطريك بكتاب ويسامه له فسر منه البطريك وباركه
ودعا له بالنجاح . ولامر ما ترك الخدمة التي كان بها واخبر البطريك بذلك
فطلب من رئيس كتبة الاقباط ان يقبله كاتباً خاصاً له فقبله وبعد حين توفي
الكتاب فأقر رأى الجميع على ابراهيم ليخلفه في مكانه لما عرف عنه من
الاستقامة والنزاهة .

صار ابراهيم رئيساً للكتبة وبلغ اسمى رتبة كان يتطلع اليها القبطى حينئذ فبالغ
في انكار ذاته واظهار تواضعه وعكف على صنع الخير لجميع الناس بدون تمييز
بين اهل الاديان واتصل خبره بابراهيم بك الوالى فعززه واكرمه واختصه بثقته
ولما رأى المعلم ابراهيم الفرصة سانحة امامه ليخدم خدمة لامته شرع يعمر الكنائس
الخيرية ويصلح ما فيها من الخلل واشترى املاكا كثيرة واوقفها عليها ويوجد
بدفترية البطريكية صورة ٢٣٨ حجة لتلك الاملاك التي اشتراها ذلك الرجل
المغبوط وتنازل عنها للكنائس

وقد رزق بولد سماه يوسف وعرف اسمه من حجة وقفية أوقفها باسمه الا
ان العناية الالهية شاءت انتقال ابنه الى الديار الأبدية فتكدر خاطر د عليه لانه
كان وحيداً له واغلق المسكن الذي كان مخصصاً له وكسر السلم الموصل اليه حتى

لا يشاهده قط .

ولما اشتد ظلم الوالين ابراهيم بك ومراد بك اتفقت اليهم المملكة العثمانية حسن قبطان باشا سنة ١١٩٩ هـ فقاتلها وانتصر عليها فهربا من وجهه الى الصعيد واضطر المعلم ابراهيم الى مرافقتهم وامر حسن باشا باحصاء كل ممتلكات المعلم ابراهيم بما اوقفه على الكنائس وبسبب اختلال الاحوال وعدم ائتمان الناس على اموالهم وارواحهم اختفت زوجة المعلم ابراهيم في بيت حسن كتحدا علي بك امين الحساب الذي كان لزوجها عليه ما أثر فقبطوا عليها وارغموها على ان تخبرهم عن مخابىء زوجها فدلتهم عليها واخرجوا منها اواني ذهب وقضة فأخذ منها ما اخذ وباع ما باع . ووشى بعضهم على مكان ابن المعلم المشار اليه فصعدوا اليه واخرجوا كل ما كان فيه من فرش وامتعة واواني ذهب وقضة وصيني واتوا بها الى حسن باشا فباعها بين يديه بالمزاد وكانت شيئاً كثيراً فاستغرق بيعها عدة ايام

ولما عادت لاحكام الى الاميرين مراد و ابراهيم رجعا من الصعيد فرجع معهم المعلم ابراهيم وكان هو الوحيد من كبار الاقباط لذي نجا من اضطهاد حسن وتمكن بحسن سياسته وذكائه من حفظ مركزه في عيون المسلمين كالأقباط فارتقى ثانية الى درجة عظيمة واستأنف جهاده في انتقاد الكنائس والفقراء والمساكين حتى انه لم يكن يعتبر ماله ملكاً خاصاً به بل كان يسرفه في كل عمل خيري والآن يوجد الكثير من الاديرة والكنائس التي شيدها كما كان مهتماً باحوال الرهبان الذين كان يرسل اليهم بدون انقطاع كل ما يحتاجون اليه ولا يزال الترمس باقياً من تلك الاثرونه في اغلب الاديرة . وهذه الكنيسة الكبرى بالازبكية التي سمى في تشييدها كما ذكر تنطق بفضله وتشهد بغيرته

وتروى عن المعلم ابراهيم حوادث كثيرة منها ان اخاه المعلم جرجس كان مرة ممتطياً جواداً وماراً في احدى الطرق فأهانته أحد المشايخ ولم يحترمه وينزل عن الجواد لمقابلته فشقت الاهانة على المعلم جرجس وأخبر اخاه بها فأجابه «غداً أقطع لسانه» وفي اليوم الثاني استدك على منزل الشيخ وأرسل له هدايا سمناً وجبناً الى غير ذلك بدون علم أخيه . فلما مر أخوه المعلم جرجس مرة أخرى على الرجل

وقف له اجلالاً مرحباً به ترحيباً شديداً داعياً له الأمر الذي جعله في حيرة
واندهاش ولما عاد علم بما فعله شقيقه وأدرك حقيقة قوله سأقطع لك لسانه اذ
حوله من البغضة الى المحبة والا كرام وبذلك تم قول الرسول « ان جاع عدوك
فاطعمه وان عطش فاسقه فانك بذلك تجمع جمر نار على رأسه » (رو ١٢ : ٢٠)
ويروى ايضاً ان امرأة جاءت ليلة عيد الى زوجة احد مشاهير المعلمين في
ذلك الحين (يقال انه المعلم فانوس الكبير) وشككت سوء حالها وضيئها لان
زوجها في السجن واولاده يبكون لعدم وجوده معهم في هذا العيد وربما حكم
عليه بالاعدام . فأرسلت هذه الزوجة الفاضلة كل ما تحتاجه العائلات في الاعياد
الى بيت ذلك الرجل وارسلت تخبر امرأته لكي تستعد بكل اللوازم لان زوجها
سيكون في بيته تلك الليلة

ولما جاء المعلم الى بيته ليلاً بعد خروجه من الكنيسة لم يجد مضيئاً كالعادة
فاندهش لذلك لاسبابها لما وجد زوجته حزينة فساءل ما الخطب الذي دهمنا وجعلنا
تجلسين هكذا مكتئبة فاجابته أيليق ان نفرح نحن ونبتهج وتلك العائلة حزينة
يا كية لسجن رجلها فان رمت ان تكون سعيداً بهذا العيد يلزمك ان تسعي
في اطلاق سراح ذلك الرجل الآن فقال لها حي هو امم الرب ليكن كما تريد
واسرع بالذهاب الى اولي الامر وتمكن من استصدار عفو عن الرجل الذي انطلق
الى بيته وكان سرور عائلته به عظيماً

ولما كان هذا الامر قد استغرق مدة من الليل لم يستيقظ المعلم حسب عادته
باكراً ليتوجه الى منزل المعلم ابراهيم الجوهري الذي كان ينتظره ليتوجهها
وصحبتها وجوه الامة لتقديم فروض المعايدة لقداسة البطريرك كالعادة فسأله
الجوهري عن سبب ابطائه فأخبره بمحادث الامس فاجابه الجوهري « كيف جاز
لك ان تنفرد وحدك بهذا العمل الصالح وتستأثر بثوابه ولا تشركني فيه » ثم انطلقا
الى البطريرك ليفصل لهما في الامر فقال للمعلم ابراهيم هو اطلقه من السجن وانت
ساعده على ايجاد عمل وكان كذلك

وعلم مرة ان موظفاً قبلياً مضى على رفته نصف سنة فسعى له على عمل
واستدعاه اليه ليقينه فيه فجاءه الجواب من الرجل . ان فلاناً اولي بهذه الوظيفة

لانه رفت قبلي بشهر وليس له ماينفقه على عائلته اما انا فبمحمدالله اجد مايكفيني
فكان من المعلم ابراهيم ان وظف الاثنين
وكان من عاداته نظراً لكونه ناظراً لكنائس القاهرة ومصر القديمة وما
يجاورها أن يخصص لكل دير أو كنيسة أوقاتاً معلومة ليقتدى به باقي المعلمين .
ففي مرة قصد دير بابلون الدرج في يوم رفاع وبعد صلاة القديس توجه كل الى
منزله الا واحد رآه المعلم ابراهيم يصعد الى التل فكلف خادمه ان يتبعه فرآه
يصلي وبعد الصلاة بحث حتى وجد وزه ميته فشكر ربه وأراد النزول وكانت
الخادم قد سبق وروى الخبر للمعلم ابراهيم قبل نزول الرجل فاستدعاه اليه ووبخه
لانه لم يكشف له حقيقة حاله وكان قد أرسل له كل مايجتاج وأوصاه ان لا يخفي
عنه أمره اذا تضايق ثانية

وقيل ان فقيراً أراد ان يمتحن سخاءه المفراط الذي وصل اليه خبره فتمعبه
في يوم من الايام من بيته الى محل شغله وكان يعرضه في الطريق وكل مرة يقصد
ان يريه انه هو هو السائل بعينه ويلتمس منه على اسم المسيح وكان من عاداته
اذا سمع هذه الجملة لا يخيب رجاء قائليها مطلقاً حتى بلغ عدد المرات التي طلب بها
الصدقة منه وأعطاه اياها ثمانى عشرة وبعد ذلك قال له طوباك يا جوهرى الرب معك
فقال له لا تتمجب أطلبني بهذا المال المودع عندي وانا أتأخر عن السداد . ما أنا
الا الامين والامين لا ينبغي أن يخون

وكان من عاداته فضلاً عما يرسله للأديرة والكنائس ان يولم في كل عيد وليلة
عظيمة للفقراء والمساكين فشمع مرة ان خدمه قصره في استكمال ما يجب لوليمة
أقامها في كنيسة القديسة بربارة بمصر القديمة فوبخهم شديداً قائلاً لهم « ان هؤلاء
الفقراء ضعفاء فيجب علينا ان نواسيهم ونطيب قلوبهم ونجبر خواطرهم الكسيرة
ببعض ما نملك من نعم الله . ومخلصنا لم يأمرنا بالاهتمام بالاغنياء بل بالمساكين
الذين ليس في طاقة أيديهم ان يكافئونا عما نعمله معهم من الخير لكي يتولى هو
مكافأتنا بالاجر السمائي في اليوم الاخير »

وبالجملة فكان المعلم ابراهيم مثال السخاء والاحسان فلم يكن يخيب سائلاً أتاه
دون ان يعيز بين انسان وآخر وفضلاً عما كان يرسله سنوياً من الزاد والمثوونة لجميع

أديرة الرهبان ولسكي يتم الله معه القول « الذي يحبه الرب يؤدبه » اختطف منه ابنه الوحيد فحزن الرجل حزناً شديداً وأفرطت زوجته أيضاً في الحزن وألبست كل شيء في بيتها ثياب الحداد . ولما جاء ميماد ارسال مؤونة الاديرة قالت له امراته كيف تهتم بالكنائس والفقراء والاديرة والله لا يحفظ لنا وحيدنا لنتمتع به فوافقها وامتنع عن ان يقدم شيئاً

قيل ان القديس انطونيوس ابا الرهبان ترى لزوجته المعلم ابراهيم بشكل نوراني وعزاها قائلاً « ان الله احب الولد ونقله اليه شاباً واحب الوالد . لان من ذا الذي يعرف مقاصد الله فر بما افسد شهرته وعاب اسمه وذلك افضل جزاء فلا تقشلي في عمالك الذي كنت عليه من قبل وامرها ان تعزى زوجها . وكان المعلم ابراهيم من يوم انتقال ولده ينام في مكان وزوجته في آخر فأصبح الصباح ورأى المعلم ابراهيم زوجته قد ابدلت ثيابها السوداء بثياب بيضاء وعلامات السرور بادية على وجهها فسألها ما الخبر ؟ فقصت عليه حلمها فتعزى هو ايضاً وشكر الله على اعمال عنايته العجيبة ومن ثم زاد في عمل الخير والاحسان

وحدث انه كان يوماً يصلي بكنيسة ابي سيفين بحارة زويلة فأرسل للقمص ابراهيم عصفور خادم كنيسة القلاية يقول له المعلم يطلب الاسراع في الصلاة ليتمكن من اللحاق في الديوان فرد عليه القمص بصوت مسموع « المعلم في السماء والكنيسة لله وليست لاحد فان لم يعجبه فليبن كنيسة اخرى » اما المعلم ابراهيم فعوضاً عن ان يغيظه هذا الكلام سر منه وابتهج واستعجل ببناء كنيسة اخرى . فقال له القمص احمد الله الذي جعل غضبك في بناء كنيسة اخرى فزادت مبراتك وحسناتك وكنت انا السبب »

ويضيق بنا المقام لو اتينا بذكر الكنائس التي شيدها والاديرة التي جردها والاملاك التي اوقفها باسمه او باسم اخيه جرجس او باسم ابنه الوحيد المتوفي او باسم بناته والكتب التي اهتم بنسخها وقدمها هبة للكنائس ولم تزل غرر ما كثره موجوده في كل جهة ومكان حتى في مدينة القدس فكل ذلك يراه القاريء مفصلاً بكتاب « نوابغ الاقباط ومشاهيرهم » الجزء الاول فليطالع من اراد التوسع ليعرف كيف ينبغي ان يكون البر وكيف ينبغي ان تكون

الخدمة للصالح العام

ومات المعلم ابراهيم سنة ١٢٠٩ هـ فكان لموته رنة حزن وامسى في جميع انحاء القطر وورثاه الانبا يوساب اسقف جرجا في كتابه « سلاح المؤمنين » بمرثية بليغة وحزن ابراهيم بك لموته فشوهه يمشى في جنازته وهو يأسف على فقدته اسفا عظيما .

قيل انه كان من المرذوقين عليه فقير يقصده في مواعيد معلومة فلما حضر وسأل عنه اخبروه بوفاته فحشى الرجل التراب على رأسه وسألم ان يدلوه على مقبرته وهناك بكاه كثيراً حتى اخذته سنة من النوم فترأى له الفقيد الكريم وقال له لا تبك انالي في ذمة فلان الفلاني الزيات في بولاق عشرة بنادقة فسلم عليه من قبلي واطلبها منه وهو يعطيها لك وترأى له كذلك على ثلاث مرات ومن ثم توجه الفقير للرجل فوجد كما قال له الا انه لم يجسر ان يطالبه بالمبلغ ولما رآه الرجل متحيراً فسأله عن أمره فقص عليه الخبر فاعترف بالمبلغ وسلمه له

وروى ايضاً ان بعض الاشرار وشوا في ابنة المعلم ابراهيم المدعوة دميانه الى الوالي بانها تحفظ اموال ابيها التي اخذها من الحكومة فلما سئلت عن ذلك استمهلته حتى تحضر له ما طلبه ثم طافت القاهرة تجمع الفقراء والمعوزين واحضرتهم اليه وقالت له ان اموال ابي هي مودعة في بطون هؤلاء فلما عرف الوالي الحقيقة صرفها وذكر والدها بالخير

ويقال انه للآن توجد عائلة سريانية شهيرة بحلب تخصص اياماً من السنة لرفع قداديس على اسم هذا الرجل الفاضل وسبب ذلك ان جد هذه العائلة كان تاجراً شهيراً وحاول الكاثوليك ان يجذبوه الى مذهبهم فأبى اطاعتهم ولما عجزوا عن اقناعه اغتاضوا منه ونهبوا امواله وطرده من حلب فأتى الى مصر وتعرف بالمعلم ابراهيم فأواه مدة حتى جدد ثروته وعاد الى بلده

(٣) المعلم برهسي الجوهري . لما مات اخوه المعلم ابراهيم قلده ابراهيم

بك زميل مراد بك منصبه وسار على خطته ونسج على منواله واقتدى باخيه في كل شيء حتى نال ثقته عند جميع المصريين على اختلاف اجناسهم . وكان بين

الكتبة النصرى الدين تحت ادارته رجل يسمى يوسف كساب من طائفة سورية
الاصل سوات له نفسه الأمانة بالسوء ان يسعى به عند مخدومه وهو اذ ذاك
اسماعيل بك واتهمه بما ليس فيه واذ كان المعلم جرجس محسوباً على ابراهيم بك
خصم اسماعيل بك صدق كلام الواشى وغضب على المعلم جرجس وانزله من
منصبه وعينه بدله رئيساً على الدواوين وبعد مدة وجيزة ظهر لاسماعيل بك
كذب يوسف المذكور وخيانتة فأمر بتغريقه في نهر النيل واعاد المعلم جرجس
الى منصبه .



« المعلم جرجس الجوهري »

ولما انتصر عساكر الفرنسيين على المماليك واعدوا الى بولاق كلف المعلم
جرجس الجوهري رئيس المباشرين ان يمد هذا البيت لتزول نابوليون فيه فقرشه

وجهره ولما دخل القاهرة أقام به ومن ذلك الحين عرف نابوليون المعلم جرجس الجوهري واهداه جبة مزركشة بالقصب ليلبسها في أيام التشريفات . ولما سافر نابوليون الى السويس لقطع شأفة ابراهيم بك استصحب معه بعض الاعيان والمديرين وفي مقدمتهم المعلم جرجس الجوهري الذي كان يعتمد عليه في مهام الامور كما انه رافق بعض الفرنسيين هو وبعض اعيان الاقباط الى الوجه البحري لتقرير الصلح بين المتقاتلين . وذكر الجبرتي انه لما احتقل الفرنسيون بأحد اعيادهم ودعوا اعيان المصريين كان المعلم جرجس بينهم لابساً ملابس الافتخار . ولما حدثت الثورة ضد الفرنسيين طلب المعلم جرجس وبعض اعيان الاقباط من مقدمي المسلمين الأمان لانهم انحصروا في دورهم وهم في وسطهم وخافوا على نهب بيوتهم اذا خرجوا فارين فارسلوا اليهم الأمان وقابلوا الباشا والكاتخدا والأمرء واعانوهم بالمال واللوازم

وحدث فيما بعد انقلاب انتهى بتولية محمد علي باشا حكم مصر فقال المعلم جرجس في عهده المركز الأول . غير ان الحظ خالفه وذلك ان محمد علي باشا طالبه كثيراً بمبالغ طائلة وهو يستعمله لعدم وجودها معه . ولما توقف عن تحصيل النقود التي كان محتاجاً اليها قبض عليه ومعه بعض الاقباط بحجة انه متأخر عن دفع ما عليه من المال وحجزوا في بيت كتخدها واقام في منصبه المعلم غالي الذي كان كاتباً عند الأتني عدو محمد علي باشا

وبعد سبعة ايام أفرج عن المعلم جرجس ومن معه بشرط ان يدفع اربعة آلاف وثمانمائة كيس فدفع جزءاً عظيماً منه ووزع الباقي على الكتاب والصيارف ما عدا المعلم غالي وشخص آخر يدعى المعلم فيلوثاؤس وضاق بوجهه الحال فاضطر ان يبيع أنقر املاكه التي كانت بجهة الازبكية بقنطرة الدكة . وبعد ذلك خانه السعد فنزع محمد علي باشا كل ما كان له وباعه بالمزاد

وقيل انه نفي الى الصعيد بأمر محمد علي باشا وقيل انه هو الذي هرب من تلقاء نفسه . وقبل ذهابه جمع كل حجج املاكه وسامها في البطريركية لتنفق من ريعها فوضعت اليد عليها وبقيت في حوزتها للآن وصرح له بالعودة بعد اربع سنوات فعاد الى القاهرة في ١٣ شوال سنة ١٢٢٤ هـ وقابل الباشا فأكرمه ثم

نزل بيته الذي بحارة الوندك وكان قد فرش له للمعلم غالي وحضر عالي القوم
ودونهم من مختلف الاجناس للسلام عليه وعاش الى ان تنيح في سنة ١٢٢٥ هـ
ودفن بمصر العتيقة بدير مار جرجس ولا يزال قبره موجوداً ولكنه تخرب
وليس من يفكر في اصلاحه

(٤) الامير يعقوب ومهاجرة شبان الاقباط لفرنسا -

يظهر انه كان منصرفاً عن حرفة الكتابة الى اقتناء الاملاك والمتاجرة . وتعرف
به الفرنسيون حال احتلالهم لمصر ولما تبينوه فيه من النشاط والحزم كلفوه
بجمع الغرامة التي فرضوها على اهالي القاهرة ولما رأى الجيش الافرنسي لسوء
تدبير الجنرال مينو آخذاً في التناقص اتفق مع الفرنسيين على تجنيد بعض شبان
الاقباط لجمع من الصعيد نحو الألفين منهم فقبلهم الفرنسيون ودرّبوهم على
حمل السلاح والقتال وتعلم يعقوب الحركات العسكرية وترأس الفرقة القبطية
وألحق بخدمة الجيش الافرنسي ومنح رتبة الجنرال (القائد) الا ان آباء الشبان
الاقباط وذوي قرباهم لم يكونوا قد ألفوا هذه الخدمة فلجأوا الى الانبا مرقس
ال ١٠١ ليتوسط لهم لدى الجنرال يعقوب حتى يطلق سراح اولادهم فلم يدعن له
وبنى قلعة بجبهة الجامع الاحمر بالازبكية وسماها قلعة يعقوب

ولما دبرت مكيّدة لاغتيال الاقباط وجه يعقوب كل همه للدفاع عن اخوانه
اقباط القاهرة وبدأ بهدم بعض البيوت التي خربت في الحوادث الاخيرة وبني
بانقاضها سوراً عالياً منيعاً حول الحى الذي جمع الاقباط فيه وشيد ابراجاً فوقه
داخل السور وعمل للسور بوابتين ورتب جنديين قبطيين يقفان على كل باب
والسلاح على اكتافهما لمنع كل من يحاول الدخول فاصبح المسكان حصيناً
وتمكن يعقوب من ان ينجى قومه من مذبحه مريّة

ولم يكن في امكان يعقوب البقاء في مصر بعد خروج الفرنسيين منها
نخرج مع الجيش الفرنسي هو واكثر رجال فرقته خشية من اضطهاد المسلمين
لهم لان الفرنسيين كانوا قد ولوا منهم افراداً في مناصب عالية وفي عدادهم المعلم
ابو طاقية الذي كان يفصل بين المسلمين في الاحكام الشرعية ولم يعد الى القطر

المصري بل استمر في فرنسا حتى مات بعد مهاجرته اليها بوضع سنوات
قيل ولم تكن العلاقة بينه وبين البطريرك كما يجب وذلك بسبب أخذه
لأمرأة من غير جنسه بطريقة غير شرعية ومخالفته لقومه في الزي والحركات حتى
انه لما مات سنة ١٢١٨ هـ طلبت زوجته الاستيلاء على ما يخصها في تركته فعارضها
اخوته بدعوى انها غير شرعية

ومن خرج مع الفرنسيين ايضاً من جنود يعقوب بقطر واسمه الياس
بقطر صاحب القاموس الفرنسي والعربي المشهور والبعض يقول انه ابن أخي
يعقوب ولد باسيوط سنة ١٧٨٤ م عينه نابليون مترجماً لجيشه وبعد مهاجرته
نال مركزاً عامياً سامياً بفرنسا ووضع القاموس المشار اليه ومما ينبغي الإشارة
اليه انه اول من درس من الاقباط اللغة الفرنسية

وقيل ان الاقباط الذين هاجروا الى فرنسا حينئذ اضعوا جنسياتهم هناك
ولم يبق لاسماء أسراتهم أثر يذكر ومنهم الكولونيل مكاريوس حنين
والكولونيل غبريال سيداروس والكولونيل حنا هرقل والقومندان عبد الله
منصور . وقد روى بعض الثقات ان الخديوي اسماعيل استحضر مرة جماعة من
الممثلين والممثلات من فرنسا ومن هؤلاء الممثلات آنسة تعرف بمدام منصور
نسبة الى جدها الأدي أو الأعلى للمعلم منصور القبطي أحد المهاجرين من
مصر الى تلك الديار

(٥) المعلم ملطي . كان كاتباً عند ايوب بك الدفتردار من مماليك محمد
بك ابو الذهب . ولما احتل الفرنسيون البلاد كونوا ديواناً للنظر في القضايا
العامة وجعلوا المعلم ملطي رئيساً عليه بموافقة اعضاءه من مسلمين ونصارى
وذلك لما امتاز به هذا الرجل العظيم من الخبرة وحسن التدبير
واستمر المعلم ملطي يدير الديوان بمهارة مدة حكم الفرنسيين وبعد



« ثلاثة من معلمي القبط بينهم المعلم ملطي والجنرال يعقوب »

خروجهم التي القبض عليه وقطعت رأسه عند باب زويله

(٦) المعلم انطون ابو طاغية . اشتهر في مدة حكم الفرنسيين وكان مثرياً

فزاره نابوليون في أواخر سنة ١٧٩٩ م وكان محتاجاً للمال فنزع المعلم انطون طاغيته من فوق رأسه وأخذ يملأ بها المال حتى استوفى نابوليون حاجته . فارتفعت قيمته في عينيه فولاه في وظائف كبيرة فقام بها خير قيام الا انه رفع كثيراً من الاموال والضرائب عن الاهالي فلم يرق عمله في نظر الفرنسيين فقبضوا عليه وسجنوه في القلعة حتى يدفع ما تأخر عليه من حساب البلاد فدفعه من ماله الخاص في الحال . ولما ترك الفرنسيون مصر قبض عليه محمد باشا أبو مرق مع اثنين من كبار الاقباط هما المعلم ابراهيم زيدان والمعلم عبد الله بركات وقتلهم سنة ١٨٠٢ م وأمر ببيع ما لهم في المزاد فوجد عند المعلم انطون كثير من ثياب وأقمشة هندية نفيسة وامتعة ومصاغ وجواهر وساعات وأواني ذهب وفضة وكثير من العبيد والجواري واستمر سوق المزاد في ذلك عدة ايام

وفي سنة ١٨٥٣ م سافر المعلم ابراهيم عوض حفيد المعلم انطون الى باريس ليطلب بالمال الذي دفعه جده الى نابوليون امبراطور فرنسا فرد عليه نابوليون الثالث يقول ان هذا المال كان قد فرض على الاقباط فدفعه عنهم ابو طاغية الا انه دفع له اجرة ثغقات مبالغ ٤٥٠٠ ليرة فرنساوية

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

.....

(١) سلطنة محمود بن مصطفى (٢) عبد الحميد الأول (٣) سليم

الثالث واحتلال الفرنسيين لمصر

.....

(١) سلطنة محمود بن مصطفى في سنة ١٧٣٤ م. وفي أيامه كان

الانكشارية الاتراك يحصلون من الاقباط ضريبة عن الانفس واشتدت ضيقتهم
بواسطة تركي من الاستانة رشى السلطان حتى اشترى امتياز هذه الضريبة
وجاء الى مصر وصار يحصل من هؤلاء الاقباط البؤساء اضعاف ما كان يحصل
منهم الانكشارية

وفي اثناء النصف الاول من القرن الثامن عشر عاش الاقباط بسلام لان
المسلمين كانوا مشغولين بمقاتلة بعضهم الا ان قدرتهم الصناعية انحطت بسبب
توالي نزول المصائب عليهم فلم تكن لهم قابلية تامة للتفنن في اتقان صناعتهم
لا سيما ولم يكن في امكان القبطي ان يبقى في بيته شيئاً يستحق السرقة ويستمر
عنده يوماً واحداً

وفي سنة ١٧٣٣ م أمر حاكم كل قسم بان يفرض ضريبة على الاقباط الساكنين
في دائرته وكانت تحصل منهم على ثلاث درجات الدرجة الاولى تدفع ٤٢٠ بارة
عن كل نفس والثانية ٢٧٠ والثالثة ١٠٠ وألزم البطريرك بدفع الضريبة عن

القسوس والخدام ومع كل ذلك لم يصدر أمر رسمي باضطهادهم غير انه في الوقت الذي كان فيه المماليك يقاتلون بعضهم كان العرب يهجمون على البلاد وينهبون البيوت ويقتلون الرجال ويسبون النساء . وانتهزوا هذه الفرصة مرة فهجموا على مدينة اخميم في الوجه القبلي وكان معظم سكانها من النصارى أهل الكد والعمل فهبوا وخربوا وقتلوا كثيراً من أهلها

وهكذا كان بين آن و آخر يحدث استبداد وضيق على الاقباط المسيحيين وعلى الذين أسلموا منهم أيضاً بسبب اختلال النظام وفساد الاحوال . ولما استولى العرب الهوارة على معظم بلاد الوجه القبلي انتمى القبط اليهم فادخلوهم في ذمتهم وحماهم فصار القبطى يخاطب العربي المنتمى اليه « بيدوي » والعربي يسمى القبطى الذى تحت حمايته « نصراني » وهكذا كانت عيشتهم في هذه المدة راضية نوعاً

بل ان الحكومة اضطرت لاحتياجها الى اناس ذوى فطنة ان تستخدم الكثيرين من الاقباط في أعمالها فقاموا بتنظيمها أحسن قيام فوضعهم كبار المسلمين وعظماءهم والولاة والحكام موضع ثقتهم وسلموا اليهم ادارة المصالح والاشغال والحسابات وكثيراً ما كانوا يكتنون باسمائهم فيقال مثلاً المعلم غبريال السادات والمعلم يوسف الالفي والمعلم منقربوس المورلي وغير ذلك نسبة لخدمتهم الذين اعتقدوا فيهم الامانة والاخلاص فهدوا اليهم بمسائلهم الشخصية فكانوا يدبرونها أحسن تدبير وأدى ذلك الى الاعتقاد بان الاقباط على بينة تامة بالسحر والتنجيم والعرافة

ومن ذلك قيل انه في شهر يونيو سنة ١٧٣٤م ادعى رجل قبطى من أهل التخيلات الفاسدة ان العالم سيقضى يوم الجمعة المقبل فذاع الخبر في كل مكان وحل الهلع في القلوب ولما سئل عن حقيقة الخبر قال مؤكداً « احبسونى في أى مكان شئتم واذا لم يتم قولي اذبحونى » فزاد خوف الناس . ولما جاء الميعاد ولم يحصل شيء لم يكذبه الناس بل قالوا ان الاولياء التمسوا من الله ان يعفى عن العالم فعفى عنه

وكان محظوراً على الاقباط ومحرمات عليهم زيارة القدس ففى سنة ١٧٥٣م سمعوا اينالوا تصریحاً بزيارته ولو كلفهم ذلك المبالغ الطائلة ليرشوا بها الحكام .

وكان لا حد كبار المماليك سكرتيراً قبضياً له نفوذ كبير عنده فتمكن بواسطته من مخافة شيخ الجامع الازهر فقبل ان ينظر في الامر على شرط ان يدفع له مبلغ الفدينار لكي يصدر فتوى تبيح للاقباط الذهاب الى القدس والعودة منه بسلام دون ان يصيبهم مكروه فدفع الاقباط هذا المبلغ وأصدر لهم الفتوى فكانت سرورهم عظيماً وتأهبوا للذهاب الى القدس وعينوا مكاناً في الصحراء الشرقية الملاصقة للقاهرة ليجتمع فيه المسافرون ومنه يسرون بطريق البر

فكان يفد الى ذلك المكان كل يوم مئات من الاقباط رجالاً ونساءً وجهزوا الجمال اللازمة لجلهم وحضر لوداعهم كثيرون من أقاربهم ومعهم كثير من الهدايا الثمينة للقبر المقدس واستأجروا بعض العربان لحراستهم في الطريق فوصل الخبر الى مسامع المسلمين فتذمروا على عبدالله شيخ الجامع الازهر الذي أصدر تلك الفتوى خصوصاً لما علموا انه أخذ رشوة قبل الافتاء وبقشيشاً بعهده فسخطوا عليه كثيراً . ولما رأى ان الانكار لا يجدي به نفعا دعا جميع طلبة الازهر وكثيرين من الرعايا والاوليائين وحشهم على اقتفاء أثر الاقباط وارجاعهم بالقوة قبل سفرهم فاسرعوا الى المكان الذي كان الاقباط يجهزون فيه أمتعتهم وانقضوا عليهم انقضاض الصواعق والسيوف تلعب بأيديهم وبدأوا يفتكون بكل من يتمكنون من القبض عليه فترك الكل جميع أمتعتهم وغازوا من الغنيمة بالأياب . فاخذ الثائرون الامتعة وعادوا بها فرحين مغتبطين . وقد بذل أغنياء الاقباط مجهوداً عظيماً لارجاع ما فقد منهم من الامتعة فضاعت مجهوداتهم عبثاً

(٢) عبر الحمبر الاول سنة ١٧٨٤ م . وفي ايامه عهد لحسن باشا بقمع

المماليك فدخل القاهرة ولم يسلم الاقباط من يده فاعاد عليهم كل القوانين الجائرة التي كانت تسن ضدهم في العصور الاولى وقعد متربصاً عليه يجد فرصة مناسبة لسحقهم فانزل كبارهم من وظائفهم التي وصلوا اليها في مدة علي بك الكبير ووضعهم في وظائف حقيرة ثم جعل ينهب منازلهم ومنازل اولادهم ويهدمها ويغتصب ممتلكاتهم

ولم يكتف بذلك بل أمر المنادين ان يصيحوا في شوارع القاهرة محذرين

الاقباط من ركوب دابة ومن ان يفتنوا عبداً او جارية أو يسموا أحداً بنائهم باسماء
الانبياء أو الرسل المذكورين في التوراة وتوصل حسن بذلك الى اغتصاب كل
جوار وعبيد الاقباط وصرح لعسا كره بطرد كل جارية او عبد يجدونه في بيت
قبلى وجمع حسن باشا كل هذا الرقيق الى القلعة وهناك باعه بثمن فادح . واضطر
الاقباط ايضاً الى الخضوع للامر الثانى فغير الموظفين عند المسلمين اسماءهم وعرف
القبلى باسمين اسم ينادى به في مركز عمله واسم ينادى به بين اهله

وبعد ذلك أمر حسن باشا باحصاء الاقباط وبيوتهم وقرر عليهم جزية ٥٠٠٠
كيس تقديية يدفعونها للحكومة وضاعف ضريبة الانفس لاسباب على الدين
خرجوا مع مخدوميهم الامراء صحبة مراد بك و ابراهيم بك العاصيين اللذين جاء
لاذلالها فقد زاد عليهم الضريبة ضعفاً آخر حتى بلغت ٧٥٠٠٠ ريال ولا يخفى
ما حصل للحريم من الاهانة في تحصيلها حال غياب أزواجهن الرجال وكان بين
الكتاب المباشرين رجل يدعى المعلم واصف فقبط عليه وحبسه وضربه وطالبه
بالاموال وكان المعلم واصف كما روى الجبرتي يجيد التركية ويعرف الايراد
والمصاريف وعنده نسخ من الزنامة ويحفظ السكيات والجزئيات ولا يخفى على
ذهنه شىء من ذلك

وألزموهم بلبس زيهم الاصلى من شد الزنار والزنوط فتسلط العامة عليهم
وتتبعوهم بالايذاء ومن وجدوه بغير زنار رجوه بالحجارة وحثوا التراب في وجهه
فانكشوا وانكفوا عن الخروج اياماً وأرسل حسن باشا يطلب من قاضى القضاة
احصاء ما أوقفه المعلم ابراهيم الجوهري يومئذ على الكنائس والأديرة ثم أحس
بما وراء ذلك من الفشل وظهور الفتنة فخاف واستدعى اليه المعلم ابراهيم وكله في
الامر فصالحه المعلم ابراهيم على مبلغ عظيم من المال فأمر فنودي فيهم بالامان وعدم
التمرض لهم بمكروه

وعمت الشدة جميع النصارى فضربت عليهم غرامة أخرى فضاقت الدنيا
بهم وباع الشكثيرون منهم جميع ما عنده حتى ملابسه وملابس عياله وقرر على كل
شخص منهم جزية قدرها دينار بلا فرق وذلك خلاف الجزية الديوانية المقررة
على كل واحد منهم وتتبع حسن الأديرة وأخذ كل ما وجد فيها من ودائع .

وفي اوائل سنة ١٧٨٧م مر عبدي باشا والي الدولة مع اسماعيل بك في حى من احياء المدينة فسأل عن اسم الحى فاجابه اسماعيل بك ان معظم سكانه من المسيحيين فأمر للحال بهدم كل ما فيه من المنازل ولم يتمكن الاقباط من تخليص منازلهم من الهدم الا بعد دفع ٣٥٠٠٠ ريال دفع السوريون منها ١٧٠٠٠ وهم دفعوا الباقي .

(٣) سلطنة سليم الثالث سنة ١٧٨٩م وانزول الفرنسيين لمصر سنة ١٧٩٨م

ولما دنا الفرنسيون من مصر وجاء احتلالها اجتمع المسلمون في ديوان الحاكم وقر رأيهم على قتل كل مسيحي القاهرة الا ان عقلاءهم حذروهم من عاقبة هذا العمل الوخيم فاقتنعوا لكتهم استمروا يذلون الاقباط فكانوا يشتمونهم في الطرقات مهددين اياهم بالذبح . وهجم بعض الرعاع على كنائسهم وأديرتهم ومنازلهم بدعوى البحث عما فيها من الاسلحة

ولما دخل الفرنسيون البلاد تظاهر معظمهم باعتناق الاسلام استجلاباً لرضاء المصريين عليهم فاحتقر الاقباط منهم هذا النفاق ولكنهم لم يستبعدوه على قوم يتلقون التعاليم المسيحية من قصر الفاتيكان . وفي يوم من الايام اجتمع شيوخ المسلمين بالجامع الازهر ونادوا في الشوارع ان كل من يوحد الله يعصي للجامع الازهر لان هذا هو يوم محاربة الكفار فقامت ثورة ضد الفرنسيين في ١٢٢ اكتوبر سنة ١٧٩٨م وذبحوا كل من كان يمر منهم في الشوارع . ولما كان المسلمون يعرفون ان الاقباط والفرنسيين على دين واحد ذبحوا كثيرين من الاقباط أيضاً

وقد حاول الاتراك استرجاع مصر من يد الفرنسيين وفي أثناء اشتباك القتال بينها تخلف قائد تركي يدعى ناصف باشا ودخل القاهرة ودار فيها يذبح وينهب المسيحيين وتهيج المسلمون عليهم فطافوا الشوارع يبحثون فيها على كل مسيحي ليقعوا به فقتلوا نصارى بولاق ونهبوا بيوتهم وقبضوا على كثيرين من الرجال وذبحواهم بلا رحمة . أما النساء فكانن يجلدن عرايا وتقطع رؤوس أطفالهن أمامهن ولم يخلص الاقباط من هذا الويل سوى ضابط تركي اسمه عثمان بك قال لناصف

حسن باشا علناً « ليس من العدل اراقة دماء رعايا الدولة ضد ارادة مولانا السلطان »
فانقطع الاضطهاد وبعد ذلك صار القتل في النصارى عاماً فذهبت طائفة الى
حاراتهم وبيوتهم التي بناحية بين الصورين وباب الشمرية ووجهة الموسكى فصاروا
يهجمون على البيوت ويقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء وينهبون
ويأسرون .

وقال الجبرتي « وحضر أيضاً رجل مغربي والتف عليه طائفة من المغاربة
وفعل أموراً فظيمة للغاية فكان يتجسس على البيوت التي فيها الفرنسيون والاقباط
فيهجم عليهم ويقتلهم وينهبون ما عندهم ويسجنون النساء ويسلبون ما عليهن من
الحلى والثياب ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعاً في ما على رأسها وشعرها
من الذهب » اه ولما انتصر الفرنسيون على الاتراك فر اليهم اكثر المسيحيين
محميين بهم

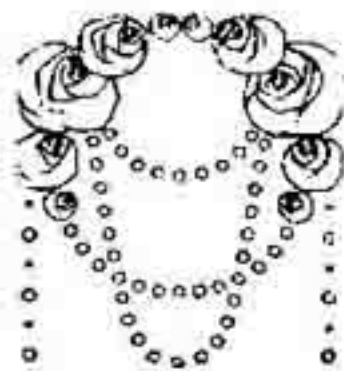
ثم انتشب القتال مرة أخرى بين الدولتين فأعيدت الكرة على الاقباط فكان
يقتل منهم كل يوم خلق كثير وكادوا يهلكون عن آخرهم لولا ان رجلاً حازماً
منهم يدعى يعقوب دبر طريقة لنجاتهم كما ذكر في ترجمته فابتنى لهم حصناً لحمايتهم
ولكنه تهدم فيما بعد حينما تركه الاقباط في عهد اطمنانهم كما هجر الاقباط
حيهم في ذلك الحين وهو الموجود الآن بكوت بك ولم يبق من الاحياء القبطية
القديمة غير أماكنهم في حارة الروم وزويلة. وأخذ الاقباط الحذر من ذلك الحين
فقووا جدران بيوتهم ورفعوا أسوارها الى حد يتمذر على الهاجين الصعود اليها
وبعضهم كسا أبوابها بمسامير حديد كبيرة ذات رؤوس جافية متلاصقة ببعضها
حتى لا تؤثر فيها الآلات الحادة

ولما استقر الفرنسيون في مصر ساووا بين أهل الاديان حتى انهم لما شرعوا
في ترتيب ديوان للنظر في قضايا التجار ألقوه من اثني عشر عضواً ستة منهم من
النصارى القبط وستة من تجار المسامين وجعلوا المعلم ملطى القبطى رئيساً له. وحدث
ان نصرانياً جاهر مرة بشرب الدخان نكايه في المسامين فغضب عليه أحد المشايخ
وضربه ولما وصل الخبر للحاكم الفرنسي أدب القبطى وألزمه بالخضوع لعوائد
البلاد وقبل هذا التاريخ أسلم رجل من عائلة قبطية ودعى محمد المهدي فعظم أمره

واشتد ساعده . وقيل ان الاقباط حال دخول الفرنسيين لمصر طلبوا منهم منع الضيق الحال بهم فرد عليهم المباشر العام يعدم بالحماية وبمعاقة الدين يسعون في ذبحهم ووعدهم اذا ارجع لهم حقوقهم ان يعاملوه بالامانة ثم مدح بطريقتهم على فضائله وحسن مقاصده

وكان اذا مر أحدهم على الجامع الازهر ينزل من على حصانه ولا يمر به راكباً غير ان بعض الجهلاء ثاروا على أثر ربط الفرنسيين العوائد على الاملاك وتعصبوا ضدهم وارتكبوا فظائع كثيرة فهددهم الفرنسيون بضرب المدينة ولا سيما الجامع الازهر ولما لم يرتدعوا خربوا منازل كثيرة حول الجامع ودخل الجنود الجامع فأهانوه اهانة عظيمة

وفيما بعد قتل كليبر قائد الفرنسيين وخلفه آخر يدعى مينو فلما كان ينال عطف المسلمين اعتنق ديانتهم ودعا ذاته عبد الله واسلم معه ابنه وسماه سليمان ورفقت كل الموظفين للمسيحيين من اقباط واجانب وسلم كل الاعمال للمسلمين وجعل قانون الاحوال الشخصية المتعلقة بالميراث والزواج وفقاً للشريعة الاسلامية وعند خروج الفرنسيين من مصر كان سحق المسلمين على الاقباط شديداً بسبب المساواة التي تحصلوا عليها بهم في زمنهم وظهورهم راكبين الخيل وحاملين السلاح فلماذا وقع الاقباط تحت ضنك شديد بعد خروج الفرنسيين فدار فيهم السلب وهدمت بيوت كثيرة لهم وكان يعرض حياته للخطر من يتجاسر منهم على بناء بيت أو كنيسة .



القرن التاسع عشر

القسم الاول

تاريخ البطاريكة

.....

(١) بطرس ٧ (٢) كيراس ٤ (٣) ديمتريوس ٢ (٤) كيراس ٥

.....

(١) بطرس ٧ - البطريرك المائة والتاسع . ولد بقرية الجاولى بمركز منفلوط ولذا اشتهر باسم بطرس الجاولى . وكان يدعى أولاً منقريوس ورسم قسيساً بدير القديس انطونيوس باسم مر كوريوس ثم رقي الى درجة الايفومانوسية لما لاحظته فيه رئيس الدير من النكشف والاستقامة ولبث مواظباً على أفعاله النسكية حتى بلغ خبره مسامع البابا مرقس سلفه فاستدعاه اليه وكان في حاجة شديدة الى رجل صالح يرسمه مطراناً للحبشة فانتخبه لهذه الوظيفة غير ان عناية الله أخرت تعيينه وحفظته لما هو اسمى من ذلك . الا انه رسم مطراناً على الكنيسة عموماً باسم وكيل الكرازة المرقسية ودعى تاوفيلوس فأقام مع البابا مرقس في الدار البطريركية وشاطره في القيام بجميع مصالح الامة الى ان توفى البابا مرقس فأجمع رأي الكل على اقامته بطريركاً وقد تم تعيينه في يوم الاحد ١٦ كيهك سنة ١٥٢٦ ش و ١٨١٠ م بعد وفاة سلفه بثلاثة ايام وذلك في عهد خديوية محمد علي باشا . وهو اول من وضعت عليه الايدي في مركز البطريركية

وكان هذا البابا تقياً ورعاً زاهداً متقشفاً محباً للخير قليل الكلام مع هيبة ووقار يقضى يومه منكباً على المطالعة او مواظباً على الصلاة خصوصاً لاجل سلام كنيسة و يروى ان احد اصحابه احتاج اليه في امر فدخل عليه حجرتة فالفاه يصلي والدموع على خديه وليس عليه من الملابس الا ما يقيه من النظر فأمر بعد ذلك ان لا يدخل اليه احد وهو منفرد . ولم يكن يهتم يوماً بما يأكل او يشرب حتى انه اشتهى مرة طعاماً فابقاه الى ان اتن ومن ثم اكل منه رغماً عن اشعرزاز نفسه تعنيفاً لها وتبكيته . ومثل ذلك يقال عن لباسه فلم ير يوماً لا لبساً لباساً انيقاً او جالساً في مكان يدل على الابهة بل كان لا يلبس الا الصوف الخشن وينتعل مركوباً مكعوباً احمر بلمعة ولا يجلس الا على الارض او على دكة ولا ينام الا على حصير من القش وبالجملة فكان وديعاً متواضعاً لم يزد ارتقاؤه الى رتبة البطريركية الا مبالغته في انكار الذات فلم يغير نظام رهبنته حتى قيل انه كان يجدل الخوص في اوقات فراغه

وكان لا يتعرض الى امر من امور السياسة ولا يخرج من الدار البطريركية الا اذا دعتة الحاجة واذا سار في الطريق ارخى على وجهه لثاماً اسود واذا تكلم فع التادب والحشمة ولا ينظر الى وجه سامعه ولم يكن يرغب في حضور الا كاليل في المنازل واذا طلب احد وجوده لنوال بركة فكان يطلب حضور العروسين بالكنيسة صباحاً ليناولها الاسرار المقدسة بعد الاعتراف . قيل انه اصيب مرة بألم في ركبتيه فوصف له العارفون لبس ثلاثة جوارب من الصوف فأبى بته ان يبدل نظام معيشته النسكية معتقداً ان الله وحده هو الشافي

وكان هذا البابا فضلاً عن ذلك سامى الاخلاق واسع العقل كثير الرغبة في اصلاح كنيسة وكان ميلاً شديداً لمطالعة الكتب الدينية والعلمية والتاريخية حتى كانت تشغله المطالعة احياناً عن الأكل والشرب ولهذا اهتم بنقل ونسخ الكتب النادرة ومن ضمنها سيرة القديس باخوميوس ابي الشركة وينسب معظم ما يوجد اليوم في مكتبة البطريركية الى ما جمعه هذا البابا . ووجد له مؤلف كتاب « نوابغ الاقباط ومشايرهم » في مكتبة البطريركية كتابين بخطه في الدفاع عن العقائد الارثوذكسية الاول « مقالات في المجادلات » والثاني « في

الاعتقادات رداً على المعاندين « وله أيضاً مواعظ ورسائل وقصد بما كتب هداية من انسلخوا عن كنيتهم وانضموا للكنيسة الباباوية

وأضاف البابا بطرس الى هذه الصفات الحلم في الرئاسة والحكمة في التصرف فاصبح موضوع الاحترام عند الجميع وفاز بحظوظ قلما سبقه فيها غيره فكانت الحكومة راضية عنه وكان قومه حاصلين على الامن والرفاهية والكنيسة مشهورة في القطر المصري حاصلة على اقامة شعائرها ونال حظوة لدى الوالي وبواسطته نجح الاقباط وعهدت الحكومة اليهم في الاشغال الكتابية والادارية ونالوا أوفر قسط من الحرية فكانوا يباشرون عبادتهم ويخرجون موتاهم وأمامهم الصليب بدون خوف

وكان بالنوبة ١٧ ابروشية ايام ان كان اهلها يدينون بالمسيحية فلما خضعت لمصر بعد الفتح العربي سقطت حكومتها المسيحية وأبدلت بحكومة اسلامية ولما تم لمحمد علي باشا فتحها سنة ١٨٢٠ م كان لا يزال بها ألوف من الاقباط وعاد الذين تظاهروا بانكار الديانة المسيحية الى الاعتراف بها وطلبوا ان يرسم لهم اساقفة فرسم البابا بطرس اسقفين على التعاقب وارسالهما مع فيئة من الرعاة برضاء الهيئة الحاكمة

وكان افضل ما اشتهر به البابا بطرس زهده في المال وكرامته له فلم تجد السيمونية اليه سبيلا بل كان لا يسمح بوضع اليد على أي كاهن ما لم يتأكد من حسن سلوكه . وفي مدته صار تجديد كنائس بالأقاليم البحرية والقبلية ورسم في عهده ٢٥ اسقفاً ومطرانين للحبشة ومن الاساقفة المشهورين في ايامه يوساب الاخيمى واثناسيوس القمراوي وتوماس المليجي وسرابامون المنوفي الشهير بابي طرحه وسيرد تاريخ حياته

وكان اقباط بلدة الجاولي مسقط رأسه متضايقين للغاية من قساوة العائلات الاسلامية القوية فيها فلما نخلص البابا بطرس قومه من نيرهم استدعى اليه اكابر اقباط تلك البلدة وكلفهم بانتقاء مائتي فدان من افضل اطيانهم وقدمها هدية لشريف باشا ورام بذلك ان يعين لها الباشا متى دخات في حوزته مندوباً من قبله كالحاكم يكون له وحده حق الاشراف على شؤون البلدة وبذلك يمتنع استبداد

المسلمين بالاقباط . وكان الرجل الذي عينه شريف باشا بايعاز البابا بطرس قبطياً من اسيوط يدعى المعلم بشاي مليوش واعطاه شريف باشا ٣٦ فداناً من المائتين ليزرعها ويعيش من ايرادها وبهذه الطريقة تمكن البابا من تحرير اقباط بلده من الدل الذي كان واقماً عليهم

ففاح حينئذ عبير فضائل هذا البطريرك الجليل في كل مكان واصبح ذكر اسمه مقروناً بكل اجلال واحترام وتقاطر الى مجلسه كبار العلماء المتدينين للمباحثة فكان يجاوبهم على اسئلتهم بكل حكمة . ووشح الله علمه وتقواه بموهبة الآيات والمعائب فخرى على يديه منها الكثير ومن ذلك قيل انه ذات يوم اتاه رجل مخبراً اياه بانه ترك بيته مدة خمسة اشهر طلباً للمعاش ثانياً يوم زواجه قبل ان يعرف زوجته ولما رجع اليها وجدها حبلى ولما سأها عن الحقيقة ازدرت به لعلمها بان اباها اسمى منه مقاماً وأعلى مركزاً فاستدعى البطريرك تلك المرأة فأتت مع والدها وأخذ البطريرك يستخبرها عن الواقع وينصحها ان تعترف له فأبت ان تجيبه الا بقولها « ان حملي هو من زوجي » ولما ادرك البطريرك انها تكذب قال لها « ان الذي من الله يثبت والذي من الشيطان يزول » فلم تبال بهذا القول ولكنها لم تكذب تضع رجلها على آخر درجات سلم البطريركية حتى سقط الحمل . فلما علم البطريرك بذلك أصدر حكمه بطلاقها لئلا الزنا . وقد كان ذلك الرجل الوجيه يظن ان جاهه يحمل البطريرك على الحكم لمصلحته ولكن البطريرك خيب قوله وقال له « ليس بينكم احد أقوى من الضعيف متى كان مع الحق ولا أضعف من القوي متى كان مع الباطل »

وفي ايامه توقف النيل عن الزيادة فضج الناس وعجوا وأمر الحاكم رؤساء الاديان برفع اصوات الالبتهال الى الله لتزيد مياه النيل فصلى اولو المسامون وعقبهم اليهود فلم يزد النيل قيراطاً واحداً فطلب من البطريرك ان يصلي فتقدم الى ساحل البحر ومعه بعض الاساقفة والكهنة والشعب وعظماء الامة ورفع الامرار الربية وبعد الانتهاء القى المياه التي غسلت به الاواني المقدسة في البحر مع قربانه من قربان البركة فشاهد البحر يتعالى حتى اخذ حده في الزيادة ووصل الى المكان الذي اقيمت فيه خيمة الصلاة قبل ان ترفع وكان ذلك في ١٩ مسرى

سنة ١٥٢٥ ش

وبلغت اخبار فضل البابا بطرس وتقواه مسامع محمد علي باشا فأجله واكرمه
وانزله عنده منزلة سامية وحدث لما احتل ابراهيم باشا الاراضى المقدسة وشى
اليه بعض الاشرار بان ما يدعى به المسيحيون من ظهور النور على قبر المسيح
هو زور وبهتان فصدق ابراهيم باشا وشايتهم وزاده ريباً علمه ان النور لا
يخرج الا على ايدي بطاركة الاروam بالقدس . ولما كانت ثقة ابراهيم باشا وابيه
بالبابا بطرس عظيمة استدعاه اليه من مصر فسار البطريرك الى القدس ولما علم
ابراهيم باشا بقدومه خف لاستقباله بحاشيته وقواد جيشه وعند حضور البطريرك
امسك بيديه وساعده على النزول من مركبه واعلمه بالامر الذى استقدمه بسببه
وطلب منه أن يصلي ليخرج النور على يديه فاجابه البابا بطرس والدموع تفيض
من عينيه « ان النور يظهر على يديك لا على يدي انا الخاطيء » ولعلم البابا
بطرس بان ذلك ترتب عليه عداوة بين الروم والاقباط اعتذر لابراهيم باشا
طالباً منه ان يكون حاضراً معه بطريرك الاروam ويكون هو معها لينزل الريب
فرافقها ابراهيم باشا وكانت كنيسة القيامة قد فاضت بالجمهير وتضايق الناس
من الازدحام فأمر ابراهيم باشا عساكره باخراج جميع الفقراء والزائرين الى
خارج القيامة والاحداق بهم حتى يوقعوا بهم اذا لم يظهر النور

فشعر البابا بطرس بسوء العاقبة اذا لم يظهر النور وكان قد قضى هو وبطريرك
الاروam موافقين على الصلاة والصوم مدة ثلاثة ايام كالعادة وبعد ذلك اقيمت
الصلاة المعتادة فوق القبر ولم تتم حتى انبثق نور من القبر المقدس واجتاز من
الاعمدة فشقها كما يرى اليوم الى ان وصل الجماهير المحتشدة خارج الكنيسة
فضجوا هاتفين « النور . النور » وتلتهم أصوات الذين في الكنيسة قائلين
كذلك بطريقة اربعت ابراهيم باشا وصيرته في ذهول وكاد يسقط على الارض
وهو يقول (امان بابا) واستند على البطريرك حتى هدأ روعه وعادت اليه قواه

ومن ثم بالغ ابراهيم باشا في تعظيم البابا بطرس واعاده الى القاهرة بكل
اجلال وقضى بقية حياته يقضى بين شعبه بكل حكمة وعلم منصفاً للمظلوم من
الظالم وللضعيف من القوي دون ان يراعى الا ما يعجد اسم الله القدوس . وذات

يوم جاء واحد من كبار الشعب يصلي بالكنيسة صباحاً كالعادة فرأى ان الكاهن قد اطال في الصلاة فكلمه في ذلك وأفهمه ان ميعاد انصراف الموظفين الى دواوينهم قد ازف فلم يلتفت اليه الكاهن بل استمر يصلي حتى انتهت العبادة . فشكى الكبير الكاهن الى البطريرك فقال له « هذا بيت الله ولا يصح تقديم او تأخير العبادة فيه تبعاً لرغائب الناس »

ومما يدل على عظم فضيلته انه اتاه يوماً رجل يشكو من امرأته التي تزوجها بكرآ فوجدتها ثيباً فقال له البابا بطرس « ذلك هو الافضل لك حتى تقوم بخدمتك كما يجب » فكرر عليه الرجل الشكوى وهو يقول له « خير لك ان تكون امرأة لتقضى لوازمك » ولما رآه الرجل لا يفهم المقصود أحضر له انا من اللبن الرائب مختوماً بدون ان تمسه يد وقال له ان البكر تكون هكذا ثم غمس فيه أحد أصابعه وقال له هكذا تكون الثيب . فقال البطريرك « لعن الله اليوم الذي عرفت فيه البكر من الثيب » ثم قضى في دعواه رسمياً

ولما كان محمد علي باشا يتقدم في فتوحاته وغزواته خشيت دولة روسيا ان يعظم أمره ويحول دون أمانيتها في الشرق وفي المملكة العثمانية ففكرت ان تستعين بالامة القبطية على نيل اغراضها ضد محمد علي باشا فأرسلت أميراً روسياً يعرض على بطريرك الاقباط قبول حماية الروسية لشعبه فذهب المندوب الى الدار البطريركية وكان يفتكر انه يرى رئيس اكبر أمة مسيحية في افريقية بحالة تدل على عظمة وتم على أبهة وكانت قدوردت الاخبار للبطريرك بزيارته فلم يبدل شيئاً من نظام بطريركيته أو يهتم بتغيير هيئته حتى انتهى اليه المندوب الروسي فانفاه والكتاب المقدس بيديه يطالع فيه وهو بزعبوطه الصوف الخشن جالساً على مقعد خشبي وحوله مقاعد مثله مبعثرة فلم يخطر ببال المندوب ان هذا هو رئيس الامة القبطية سلية مجد الفراعنة وسأله اين البطريرك ؟ فاجابه البابا بطرس ومن الذي يروم مقابله فاجابه المندوب معرفاً اياه بمركزه العظيم فقال له البابا بطرس بكل هدوء تفضل اجلس انا البطريرك بنعمة الله . فظهرت بغتة على المندوب دهشة عظيمة وكاد يكذب انه هو ويخرج لولا انه رأى ملامح الصدق ظاهرة على وجه البطريرك ولعل دهشة المندوب نشأت من مقابلة بساطة البابا بطرس

بفخفة رؤساء الاديان في باقي الاقطار حيث يقلدون الملوك في مجالسهم وملا بسهم
وابهتهم ولكن لو رفع بصره وتمثل أوامر رئيس المسيحية لرسله وكيف كان
يعيش رؤساء المسيحية في عصورها الاولى لزال عجبه واعتبر ان هذا حقاً خليفة
رسل المسيح في بساطتهم ونسكهم ووقف المندوب برهة وهو يشخص الى البطريرك
باهتاً حتى غلبته عظمة البابا بطرس الروحية لا الخارجية فاسرع اليه وانحنى أمامه
ولثم يديه فقابله البابا بطرس بما يليق وأجلسه بجانبه

ثم أخذ المندوب يسأله لماذا يعيش بمثل هذه البساطة ولا يهتم بمركزه في العالم
المسيحي فاجابه البابا بطرس « ليس الخادم أفضل من سيده انا عبد يسوع المسيح
الذي أتى الى العالم وعاش مع الفقير ولاجله وكان يجالس الخطاة ولم يكن له دار
ياوى اليها أما انا فلي مكان أقيم به وأحتفى فيه من حر الصيف وبرد الشتاء . لم
يكن للمسيح ملك الارض والسماء ما يأكله مع رسله الاطهار ولا مخزن فيه
مؤونة وما أنا آكل وأتمتع فهل انا أفضل من صاحب المؤونة ؟ فتحير المندوب
في كيف يجيب وتخلص بالسؤال عن حال الكنيسة القبطية فاجابه البابا انها بنعمة
مخلصها في خبر وما دام هو يرعاها فلا بد ان تجوز جميع الصعوبات

فبدأ المندوب يظهر ألمه على حالة الاقباط التعميسة وعرض على البطريرك حماية
قيصر روسيا للشعب القبطي فاجابه البابا مستفهما بشيء من البساطة « هل مليككم
يحيا الى الابد » قال له لا ياسيدي الآب بل يموت كما يموت سائر البشر . فاجابه
« اذن انتم تعيشون تحت رعاية مليك يموت واما نحن فنعيش تحت رعاية مليك
لا يموت وهو الله »

حينئذ لم يسمع المندوب الا ان ينطرح على قدمي البابا بطرس وأخذ يقبلها
وترك الدار البطريركية وقد شعر بعظمة هذا البطريرك الروحية وانطلق الى محمد
علي باشا فسأله عما رأى بمصر فاجابه « لم تدهشني عظمة الالهram ولا ارتفاع المسلات
وكتابتها ولم يهزني كل مافي هذا القطر من العجائب بل أثر في نفسي فقط زيارتي
للرجل التي بطريرك الاقباط » ثم روى له ماجرى بينهما فطفح السرور على وجه
محمد علي باشا وقام في نفس اليوم الى الدار البطريركية وقدم الشكر الجزيل للبابا
بطرس على ما أبداه من الوطنية الحققة ومن الاخلاص للبلاد فقال له البابا بطرس

لا تشكر من قام بواجب عليه نحو بلاده « فقال له محمد علي باشا والدموع تنهمر من عينيه » لقد رفعت اليوم شأنك وشأن بلادك فليكن لك مقام محمد علي بمصر ولتكن مركبة معدة لركبك كركبته »

وبعد هذه الحوادث حصل خلاف بين الانبا سلامة مطران الحبشة وبين ملكها وسببه انه لما فتح السودان طلب النجاشي من البابا بطرس رسم الكهنة على الحدود للحبشة فلبعد للمسافات كلف الانبا سلامة باختيار الكهنة فرسم الانبا سلامة من الالمانيين الاقباط العدد المطلوب على الطقس القبطي فلم يرض بهم الكهنة الاحباش الذين معه ولم يعترفوا بهم وشنعوا عليه للنجاشي ثيودوروس فكان هذا مبدأ الخلاف الذي اتسع . والسبب الحقيقي لهذا الخلاف هو تحول الاحباش عن التمسك بالامانة المستقيمة فكان الانبا سلامة ينصحهم ليرجعوا الى اعتقادهم الاصلي فأبوا سماع صوته مدعين بانهم وجدوا آباءهم على ما يسرون عليه واذ رأى ان النصائح غير كافية لردعهم هددهم باستعمال أحكام الكنيسة فرفعوا الى البطريرك شكوى في حقه مؤداه ان قاس عليهم فكتب اليه البطريرك يطلب منه ان يستعمل معهم اللين والالطف فارسل المطران للبطريرك يشرح له حقيقة المسألة فشجعه على ثباته

ويذكر مؤلف « الكافي » سبباً آخر لهذا الخلاف وهو انه يوجد للقبط بارض بيت المقدس دير عظيم يعرف بدير السلطان وهو على مقربة من كنيسة القيامة وكانت تأوى اليه جماعة من الحبشان المستوطنين ببيت المقدس كسائر الغرباء الذين لا مأوى لهم بتلك الديار فاتفق ان وقع شقاق بين اولئك الحبشان وبين رهبان ذلك الدير أدى الى المخاصمة ثم الى الملاكمة فلم يسع الرهبان الا اخراج اولئك الحبشان خارج الدير المذكور وسد ابوابه في وجوههم فتجزبوا وأرادوا الدخول عنوة فلم يفلحوا فشكوا أمرهم الى أصحاب الحل والعقد فلم ينالوا غرضاً وكان قد كبر مصابهم على قنصل الانجليز ببيت المقدس فتجرد للأخذ بناصرتهم وبالغ في تعذيبهم الامر لم تصل اليها معرفته فقام اولئك الحبشان يدعون ملكية الدير المذكور وقالوا ان الذي انشأه هو أحد ملوك الحبشة ولذلك يسمى بدير السلطان وأما القبط فلا ملك لهم ولا سلطان منذ دخول النصرانية بارض

مصر وقال القبط غير ذلك انه بواسطة الاسعد أحد عظماء القبط في خلافة محمد المهدي ثالث خلفاء بني العباس كان الخليفة المشار اليه احسن الى القبط بقطعة الارض الواقع عليها بناء الدير المذكور ورسم بينائه على نفقته فسماه جماعة القبط من يومئذ دير الساطان

ولما عظم الخلاف وتخرجت الحالة أوعز قنصل الانجليز للحبشان برفع ظلامتهم للدولة العثمانية فسار منهم نفر الى القسطنطينية ووردت كتب النجاشي في ذلك للبابا بطرس فكتب الى مطران القدس لينفض هذا الخلاف بالحسنى فلم يفلح في اقناع جماعة الاحباش ولبث الشقاق يستفحل واشتد الخلاف بين مطران الحبشة واهلها كما ذكرنا فلم ير البطريرك بدأ من تسوية المسألة خوفاً من حدوث مالا محمد عقباه وكان في نيته السفر لبلاد الحبشة لفض هذا النزاع بنفسه فثابت دون ذلك شيخوخته . فاسرع بارسال القس داود رئيس دير الطونيوس الذي خلفه في البطريركية باسم كيرلس الرابع وأوفد معه راهباً بالدير اسمه برسوم الذي رقي فيما بعد مطراناً على المنوفية باسم انبا يونس وزود داود بالنصائح ليحل هذا الخلاف بالحكمة وسلمه ثلاثه كتب لكل من المطران والا كاهنوس والشعب الحبشي . وقبيل سفر داود وعده البطريرك بانه اذا حل المسألة على احسن حال يكافئه مكافأة حسنة ووعدته بالمطرائية اذا اناه ناجحاً

فسار القس داود الى عزبة بوش وتأهب للسفر سنة ١٥٦٧ ش و ١٨٥١ م ثم وصل الى الحبشة بعد متاعب حمة كما ما سيذكر في تاريخه . وفي اثناء وجود القس داود ببلاد الحبشة مرض البابا بطرس وعند احتضاره سأله بعض كبار الامة عن يخلقه في هذا المنصب فرفع عينه الى السماء لحظة ثم اطرق وقال « داود رئيس عزبة بوش » فارسلوا يستدعونه عاجلاً وكان البابا بطرس قد كتب اليه قبل مرضه بايام كثيرة ان يحضر ولا يبطل لشدته الحاجة اليه ولكنه لم يحضر الا بعد وفاة البطريرك بشهرين ونصف

وبلغت مدة رئاسة البابا بطرس ٤٢ سنة وثلاثة اشهر و ١٢ يوماً وتنيح منشرح الخاطر من التحسين العظيم الذي تم في ايامه الا انه كان يظهر ألمه من تصرفات الارساليات الكاثوليكية التي كانت في مبدأ الامر تعمل فقط لجذب

الاروام ولكنها تعدت على الكنيسة القبطية وأغرقت بعض أعضائها على ترك مذهبهم . وروى السنكسار بانه عمل الميرون المقدس وعمر بدير انطونيوس عمارة جسيمة وزار الديورة بالبراري المقدسة وزار كنيسة مار مرقس بالاسكندرية ووصف بانه كان طويل القامة ممتليء الجسم ذا صحة معتدلة قلما يشكو الماء ويعملون ذلك لتقشفه وزعده واعتداله وكانت وفاته في ليلة الاثين اول جمعة عيد الفصح ٢٨ برمهات سنة ١٥٦٨ ش و ١٨٥٢م ودفن بالا كرام بجانب سلفه وخلا منصب البطريركية بعده سنة واحدة و ١١ يوماً

(١) كبري ٤ - البطريرك للمائة والعاشر . ولد هذا المصلح العظيم حوالي

سنة ١٥٣٢ ش وسنة ١٨١٦ م بقرية نجح ابو زرقالي من قسم صوامعة سفلاق المعروفة بالصوامعة الشرقية بافليم اخميم من مديرية جرجا ودعى داود ومع ان والده توماس بن يشوت بن داود كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ولكنه اعتنى بتعليم ابنه حتى صار مأمماً بالقراءة باللغتين العربية والقبطية وشيء من الحساب ولما كبر اشتغل مع والده بالزراعة وفي هذه الاثناء اختلط بالعربان المجاورين لقريته فتعلم منهم امتطاء صهوات الخيول وركوب الهجن حتى اشتهر فيهم بالفروسية . ومنذ نشأته لم يعبأ بمهام هذه الحياة كان العناية كانت تجهزه لعمل أشرف واغاية أعظم بل كان عموفاً تقياً ورعاً محبباً للفقراء حسن النية سليم الطوية ميالاً الى العزلة والانفراد شديد الرغبة في معرفة اخبار القديسين

ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره مال الى الرهبنة وعزم على الرحيل من وطنه فمنعه أبواه ولكنه استمر يراقب الفرص حتى خرج هارباً سنة ١٥٥٤ ش فقصده الى دير انطونيوس ولبس اسكيم الرهبنة على يد رئيسه القس اثناسيوس القلوصني الذي توسم فيه النعمة وآنس فيه الاهلية والكفاءة ولم يتم به سنة حتى أظهر في خلالها ذكاء وورعاً ودعة واصالة رأي فضلاً عن ميله الى مطالعة الكتاب المقدس وكان يجمع الرهبان ويقرأ عليهم ويشرح لهم ويحببهم في المطالعة فسر منه رئيس الدير ورسمه قسيساً وصار يعتمد عليه في انجاز الامور المهمة وعهد بتدبير امر الرهبان اليه . ومع ذلك لم يكن يميل قط الى التباهي او التفاخر

بفضائله لانه لم يكن يكره شيئاً كما يكره الانانية فوصل خبره الى البابا بطرس السابع فاستدعاه اليه وباركه وشاركه في منحه البركة الانبا صرابامون الاسقف



« البابا كيرلس الرابع بملابسه الاعتيادية »

الشهير بابي طرحه وتنبأ له بمستقبل حسن ولم تمض سنتان على وجوده بالدير حتى مات رئيس ذلك الدير فاجمع الرهبان على اختياره لهذا المنصب بالرغم من حداثة عهده وكتبوا بذلك للبابا بطرس السابع البطريرك فأقرهم على اختياره ورقاه الى رئاسة الدير ومن ذلك الحين بدأ يتألق نور مواهبه حيث بادر الى وضع نظام للدير حرم به على الرهبان مغادرتة الا لضرورة قاطمة وأخذ في اصلاح احواله الادبية والمادية وأكب في الوقت نفسه على توسيع دائرة معلوماته فاهتم بدرس الصرف والنحو فاكثب منها ما يكفي لضبط ألفاظه وعنى بتعليم الرهبان فخصص في

العزبة بناحية بوش بمديرية بني سويف التي كانت ولا تزال مقر دير انطونيوس مكاناً جمع فيه كثيراً من السكتب على كتب الدير وجعله للمطالعة والمناقشة في المواضيع العلمية دينية وادبية وتاريخية . ثم فتح « كتاباً » في بوش لتعليم الاولاد اللغتين العربية والقبطية ومن نوادره وهو رئيس عزبة الدير ببوش انه اراد ان يرد الزيارة لمن زاره فر عمداً من طريق يوصل للجامع فالفاه متهدماً أفلام المسلمين على ذلك ووعد بمساعدتهم اذا هم شرعوا في بنائه وذلك ليساعده في ما كان ينتويه من بناء العزبة . وحدث ايضاً انه كان يتفقد زراعة الدير فشاهده اعرابي وهو بلباس الرهبنة فقال له انزل يا نصراني عن الدابة ليسابها منه فاستعطفه فلم يقبل بل لطمه على خده واتفق ان زلت قدم الاعرابي في بركة ملائكة بالطين فتركه القس داود يغسل ملابسه وانطلق الاعرابي يشكي لرئيس الدير الراهب الذي دفعه الى البركة فقابله هو وقال انا هو الراهب الذي لطمته ومع ذلك فاني مسامحك واعطى له نصف اردب قمحاً ومثله شعيراً

ولما حدث الخلاف بين الاحباش وبين مطرانهم الانبا اندراوس ولما كان للقس داود اقبال وحسن سياسة انتدب للقيام بنفض هذا النزاع . قال بعض المؤرخين ولم يفلح في هذا الامر لسعاية قنصل الانجليز وطال مقامه على غير طائل وجاء اليه الطلب فتقدم الى النجاشي في ذلك فلم يأذن له وعوقه اياماً آخر ثم سرحه .

وحدث قبل قدومه من بلاد الحبشة وبعد وفاة البابا بطرس بقليل ان اجتمع الاساقفة وكبار الامة بالدار البطريركية ليتفقوا على انتخاب بطريرك كالعادة فذكر بعضهم القس داود فعارض آخرون بحجة عدم معرفتهم ما آل اليه امره ورغبوا في انتخاب سواه وهكذا انقضت هذه الجلسة بدون جدوى . واتفق ان وصلت رسالة عقب ذلك من القس داود لاحد الوجهاء من اصدقائه ينبئه فيها بمبارحة بلاد الحبشة ووصوله حدود مصر فابتهج الذين رشعوه واذاعوا الخبر ومن ثم طلبوا انتخابه في الجلسة الثانية فعارضهم قوم وطلبوا انتخاب الانبا يوساب اسقف اخميم وبقيت المعارضة مستمرة دون ان يصلوا الى نتيجة ولما وصل القس داود الى القاهرة تقوى محازبوه وشددوا في انتخابه

ولاقاه الناس باحتفال عظيم للغاية ونزل بالدار البطريركية ضيفاً ولبت بها أياماً وكان وصوله في ١٧ يوليو سنة ١٨٥٢ م

بعد ان لبت ببلاد الحبشة سنة وستة أشهر وكان الامر يومئذ الى عباس باشا الاول فرفع اليه جماعة من كبار الامة التماساً باقامة داود بطريركا . قال احد كتاب الاخبار فطاوولهم وسأل اصحاب الزائرات عما يروونه في اقامة داود بطريركاً فارجفوا وهولوا وقالوا نكد ثم خصام وشدة ثم موت الوالي وتمزيق شمل اتباعه فاضطرب عباس باشا وشد في السؤال فلم يروا في حسابهم غير ذلك وكان من مقدمي داواوين الدولة يومئذ ديواني اسمه جاد افندي عوني وهو جاد شيجه فاستدعاه كتخدا الباشا وقال له اعلم جماعة القبط بان لا سبيل الى ولاية داود منصب البطريركية فان ابوا الا هو كانت الطامة الكبرى فلما علم القوم بما قاله كتخدا الباشا اختلفت آراؤهم وتفرقت كلمتهم وانقسموا فمنهم من قال لا تختار غير داود ومنهم من طلب اسقف اخميم السابق ذكره وهؤلاء هم انصار جاد افندي ومنهم من اختار الانبا اثناسيوس اسقف ابي تيج ومنهم من اختار غيره واشتد الاختلاف وتفرقت الأهواء وكثر التحزب وتوالى الاجتماع في الليل والنهار ولبثوا على هذه الحالة أياماً وجاد افندي يغدو ويروح على كتخدا الباشا ليعلمه باخبار كل يوم

ولما كاد الشقاق يستفحل استعان انصار القس داود بالمستر ليدر أحد مرسلي جمعية التبشير الانجليزية وطلبوا منه التوسط لدى قنصل الانجليز ليكلم عباس باشا في أمر قبول القس داود بطريركا فكلمه فوعده ولكنه ماطل في وعده حتى قدم من بلاد الحبشة قسيس حبشي ومعه كثير من الهدايا الثمينة وكتاب من النجاشي لعباس باشا فقابله ومكث عنده أياماً ومن ثم أشيع في كل مكان ان القس داود سار الى بلاد الحبشة ليستعين هو وقومه بالنجاشي على الخروج من طاعة الوالي فاستدعى القس داود الى دار المحافظة واستجوب عما كان بينه وبين النجاشي وكان الباشا قد أمر ان يذهب به الى مجلس الاحكام بقلعة الجبل فكانوا يأتون به أمام المجلس كل يوم مرة ومرتين ويشددون عليه في السؤال وكان هو مع ذلك هادئاً ثابتاً يتكلم برزانة وبعقل فاغتاظ عباس باشا واشتد بغضه للقبط فأمر باخراج

للموظفين منهم من خدمة الحكومة ونفى مقدميهم الي سنار وأوفور وأذل من كانت الحاجة اليه شديدة فكانوا لعظم ضيقهم يشترون المصالح الديوانية بالمناقصة

ثم استدعى كئخذنا الباشا جاد افندى يوماً وأعلمه برغبة الوالي في اختيار بطريك غير داود وطلب منه التمجيل في ذلك هروباً من وساطة القنصل فجمع جاد افندى الاساقفة وأوقفهم على الامر فانتشرت عليهم آراؤهم وتمزقت وحدتهم الا ان محازبي اسقف اخميم اتفقوا على تنفيذ رغبتهم بالحيلة وذلك انهم يجتمعون ليلاً ويوسمونه بطريكاً فاذا أصبح الصباح وجد انصار القس داود ان السهم قد نفذ فيرضخون مكرهين وقيل ان جاد افندى كان قد تحصل على امر شفاهي من عباس باشا برسمه . ثم اجتمع الاساقفة بالدار البطريركية وتبعهم الفوغاء سراً ومعهم اسقف اخميم وجاد افندى وبعض اقاربه واغلاقوا عليهم الابواب ووضعوا عليها حراساً وبدأوا يتممون الرسامة سراً ولكن حيلتهم لم تتم فبينما هم كذلك اذ برز اعمى من عرفان المكاتب وجعل يطوف في الشوارع والحارات والأزقة وينادي ان قوموا من نومكم يا قوم ففي هذه اللحظة يتممون رسامة اسقف اخميم ولبث ينادي ويصيح حتى استيقظ الناس وانطلقوا الى الدار البطريركية فافتحموا الابواب وكثر الهياج وكان بعض الحبشان نياماً بالبطريركية فاستيقظوا وسألوهم عن الخبر فحسنوا اليهم اخراج الاساقفة من الكنيسة عنوة فامسكوا العصي وكسروا أبواب الكنيسة وأخرجوا الاساقفة رغماً واختلطت الاصوات وتعالى الصياح ولبث الناس يغدون ويروحون امام دار البطريركية حتى مطلع الفجر

ولما خابت مساعي المتشيمين للاسقف طفقوا يخلعون الأقاويل على القس داود فاشاعوا انه في مدة اقامته بالحبشة تزوج من امرأة وله منها ولدان وأصل هذه الاشاعة القسيس الحبشي المار ذكره لتغيظه منه بسبب ما ذهب الي الحبشة من اجله وكان قد أتى ليثي به للبطريك ولما رأى البطريك قد مات اذاعها حينئذ ليعطل رسامته ولما استقصى الناس عن حقيقة هذه الاشاعة اتضح كذب القسيس الحبشي

ورأى قنصل الانجليز ان الفتنة كادت تم فحذر عباس باشا من سوء العاقبة.
وكان الخلاف قد ظل قائماً عشرة أشهر فانتهى بتوسط ورتبيت الأرمن بتعيين
القس داود مطراناً على مصر ثم اذا اتضح انه لائق يتقلد البطريركية فسمح عباس
باشا بذلك

واذ كان جماعة الحبشان لا يحبون داود ولا تسرهم رسامته اجتمعوا ببعض
العامة وبايديهم العصي ودخلوا الكنيسة قبل تمام الرسامة وصاحوا في وجوه
المصلين بالسب والشتم واشتد الهياج فهرب الاساقفة وتعقب الحبشان القس داود
ليغتالوه فوجدوه قد اختفى ولكن الكلمة كانت قد اتحدت على رسامته مطراناً
فرسم في اليوم التالي ودعى كيرلس وكان ذلك في يوم ١٠ برموده سنة ١٥٦٩ ش
و ١٨٥٣ م

وقال أحد المؤرخين « فقام خصومه وحالوا بينه وبين انجاز مصالح الطائفة
واشتدوا عليه شدة بالغة حتى كان اذا اراد النوم لا يجدرأسه وسادة ولا جنبه فراشاً
واذا جاع لا يطعم الا ما قدموه اليه واذا زاره أحد لا يأذنون بلقائه وهو مع ذلك
ساكن البال رائق الحال لا يألو جهداً في تأليف القلوب المتفرقة والنفوس المتنافرة
حتى طرحوا الخلاف جانباً ومن ذلك الحين أخذ يباشر أعمال الطائفة وكان أول
عمل باشره بناء المدرسة الكبرى الباقية الى اليوم وهي أول مدرسة أقيمت لتعليم
شبان الاقباط فاشترى عدة منازل وهدمها وأقام على انقاضها مدرسة مسيحية
ويقال انه أنفق في بنائها ٦٠٠ الف قرش فكان بناؤها موجباً لاجماع الجميع على
اختياره وطلبوا من قنصل الانجليز اعانتهم على ذلك فما زال بعباس باشا حتى أخذ
موافقته فسيم بطريركاً بحضور جميع الاساقفة ماعدا اسقفي انخيم وابي تيج ولقب
كيرلس الرابع في ٢٨ بشنس سنة ١٥٧٠ ش و ١٨٥٤ م

فاما تمت رسامته باحتفال عظيم قدمت عليه الوفود تهنئته ولم يمض على ارتقائه
لمنصب البطريركية أيام حتى مات عباس باشا فسلم الناس بصحة مقاله أصحاب
الزائرات . أما هو فسعى في جمع القلوب وازالة أسباب النفور حتى تم له ما أراد
ثم عكف على العمل لما فيه رقي الامة فنظم ادارة البطريركية والاقواف وأتم بناء
المدرسة واختار لها أساتذة ماهرين لتعليم اللغات الحية وجعل التعليم فيها

والكتب والادوات مجاناً. ومن شدة اهتمامه بها كان يزور غرف التدريس دائماً كل يوم مرة أو اثنتين ويستمع لالقاء الدروس ويقول للاساتذة اني قد علمت اليوم أشياء لم يكن لي علم بها ثم أنشأ بها قاعة كان يستقبل فيها الزائرين لاسيما من الاجانب الذين كان يكلمهم بفحص غرف التدريس وابداء ملاحظاتهم في ما يؤول لنجاح المدرسة

وكان يكاف نفسه بالقاء بعض عبارات تاريخية وأدبية على مسامع الطلبة مما يناسب ادراكهم وسنهم وجعل تعليم اللغة القبطية جبراً وكان يشرف عليه بنفسه. واذ رأى بعض الطلبة من جهات بعيدة يتكبدون مشقة في الحضور الى المدرسة أنشأ لهم مدرسة بحارة السقاين كان يزورها كل اسبوعين ويسأل عنها دائماً

ومع كل ذلك كان الاقبال على التعليم في مدرسة الازبكية قليلاً فلم يزد عدد طلبتها عن ١٥٠ طالباً وكان المشار اليهم في تعليم الاطفال حينئذ جماعة العرفان فلما أحسوا بما أجراه البطريرك سعوا يلقون الفتن ضده في البيوت وجعلوا يوهمون أهل الاولاد بان بين البطريرك والوالي عقداً على ان يجند له من الاولاد ألوفاً وكان اذا وصل الدار البطريركية شيء من أدوات المدرسة بكوا وناحوا وقالوا هذه آلات الحرب واذ رأى البطريرك تفاقم الخطر من هذه الوسوس استرضى العرفان بان اناط بهم التعليم الاولي في المدارس التي انشأها ولم تمض مدة حتى تقدم التعليم فيها ونجحت نجاحاً باهراً وانجبت تلاميذ يجيدون التكلم باللغات المختلفة وكان يدعو سنوياً كبار القوم ويوزع جوائز فاخرة على التلاميذ الذين ينبغون تشجيعاً لهم وتنشيطاً لسواهم وكان معظم التلامذة من ابناء الوجهاء ولهذا كان يعاملهم معاملة حسنة وينبه الاساتذة ليربوهم تربية سامية. ولشدة غيرته وجد مرة أحد الاساتذة نائماً فأمر باحضار فلقة ليضربه لولا ان شهدت تلامذته بمرضه.

وكلف احد قسوس الكنيسة الكبرى بالازبكية المدعو القمص تكللا المعروف باجادة واثقان الالحان الكنسية بان يختار من بين تلامذة المدرسة عدداً من ذوي الاصوات الحسنة وعهد اليه بتعليمهم واعد لهم ملابس خاصة وكانوا

يقومون بالخدمة في الكنيسة فكان ذلك داعياً لا يتهاج الاهالي فاقبلوا باولادهم الى المدرسة وواظبوا معهم على حضور الكنيسة

وبعد قليل تخرج من تلك المدرسة تلامذة كثيرون واتفق انشاء مصلحة السكة الحديد بالديار المصرية فانتظموا في خدمتها وانتشروا في محطاتها وكانوا يؤدون اعمالهم باللغة الانكليزية وبعضهم استخدم في البنوكة وعند التجار لمعرفة اللغة الطليانية . وكان اهتمامه عظيماً بتعليم اللغة القبطية وحياتها بعد موتها فطبع منها عدة كتب بدار الطباعة بلندن فتعلمها ابناء المدارس وتكلموا بها فكانت الى آخر ايامه من اهم اللغات التي يتكلم بها ابناء المدارس وكان يقول اني انتظر بفروغ صبر استعداد تلامذة مدارسنا لتلقى العلوم العقلية كالمنطق والبيان وغيرهما من العلوم العالية التي يتسع بها العقل وتفزر المادة»

ثم وجه عنايته الى ترميم الكنائس واعادة ما تخرب منها فاعادها الى ما كانت عليه. ولما رأى صعوبة تحمل ساكني حارة السقاين والجهات القريبة منها المشاق لحضور الصلاة بكنيسة الازبكية سعى لدى سعيد باشا سنة ١٥٧٢ ش ليحصل على اذن ببناء كنيسة في تلك الجهة فصدر له في ٥ ربيع الاول سنة ١٢٧٢ م فكرس مكاناً بمنزل رجل شهرته القيصاوي ليكون كنيسة الى حين التمكن من بناء جديد واقام اول صلاة في تلك الكنيسة وبقيت الكنيسة في ذلك المكان الى ان بنيت الكنيسة الحالية سنة ١٥٩٧ ش و ١٨٨١ م

وعقب هذا التقدم والنجاح العلمي والديني وجه نظره نحو انشاء مكتبة تجمع الكتب النفيسة فالقى بالدار البطريركية كثيراً من الكتب المطروحة بدون اعتناء والتي عبثت بها العوادي وبينها كتب ثمينة للغاية فالتفت اليها واخذ في اصلاح ما فسد منها ووضعها في مكان خاص ثم جمع من خزائن الأديرة والمعابد القديمة نفائس الكتب وأشهر السجلات ليضعها في المكتبة أيضاً ورسم بتصحيح الكثير من كتب الكنيسة وقد كانت محشوة بالخلط والتخريف لاسيما وقد امتدت أيدي البابويين في العصور المظلمة التي مرت على كنيستنا الى اهم كتب الكنيسة فشوهتها فصححوا ما فيها وضبطوا عباراتها على أحسن ما يرام ومن ثم شعر بضرورة احضار مطبعة لطبع الكتب المحفوظة بالدار البطريركية

ومما يدل على عظم توقيره للعلم انه يوم وصول أدوات المطبعة كان بدير القديس انطونيوس فأرسل يأمر باستقبال المطبعة باحتفال رسمي يرتل فيه الشمامسة التراتيل الدينية ولما رجع من الدير حاب عليه بعضهم هذا الامر فأجابهم لو كنت حاضراً لرقت أمامها كما رقص داود أمام تابوت العهد

ووقع في ايامه خلاف بين الحكومتين المصرية والحبشية بسبب تعيين الحدود بين الحكومتين . وقيل ان السلطان عبد المجيد هو الذي أوعز الى سعيد باشا بان يرسل بطريك الاقباط الى بلاد الحبشة لعقد اتفاقية بينه وبين ثوذور ملك الحبشة الذي كان قد تمدى على بعض جهات من اقليم هرروزيلع التابعتين حينئذ للحكومة العثمانية فجهزت له باخرة وقام البطريرك بهذه المهمة السياسية صبيحة يوم بدون ان يدري احد الا الذين رافقوه للسفر وبعض خدامه فسافر والكاتب تملو وجهه لتشاؤمه من ذلك السفر وكان يرافقه اثنان من الاغوات الترك فانتهاز فرصة طول السفر وتمكن من ان يتعلم منها اللغة التركية

ولما علم نجاشي الحبشة بقدومه خرج لملاقاته بموكب حافل على مسيرة ثلاثة ايام من عاصمة مملكته وطلب منه ان يسجد له ملكاً بحضور جميع ملوك الحبشة . قال صاحب تاريخ السكافي « وكان في مجدة تفر من الانجليز مرسلين من الجمعية المعروفة بجمعية التبشير بالانجيل ليت تعاليم مارتين لوثر الدينية بين الحبشـان وقد تقربوا من النجاشي بعمل المدافع وصنع الاسلحة لمـكرد وتعليمهم فنون الحرب والقتال حتى مال اليهم واعطاهم الحرية ليجولوا في كل مكان فكادوا يعبثون بطقوس الكنيسة القبطية ولم يفلح مطران الحبشة في مقاومتهم فانتهاز فرصة وجود البطريرك ورفع أمرهم اليه فبعد انقضاء الافراح طاب البطريرك من النجاشي ان يرد لبلاد مصر ما أخذه منها فأجابه الى طلبه بسرور زائد ثم كلفه بشأن المرسلين الانجليز وطلب منه ترحيلهم فاعتذر بكونهم يعلمون جنوده فنون الحرب فافهمه ان الحال غير داعية الاكـن للحرب فأمر النجاشي باخراج المرسلين من بلاده فخذوا على البطريرك وعولوا على الانتقام منه

وكان البطريرك قد بعث يطلب من سعيد باشا ان يسير اليه ببعض الصنائع والمعامين فدرس اليه قنصل الانجليز بان كيرلس يروم ان يسلم بلادك الى النجاشي

وما زال سعيد باشا حتى قام الى الخرطوم بجيش عظيم وفي الوقت نفسه كان الانجليز يجربون مكيدة أخرى ضد البطريرك لدى النجاشي فدرسوا اليه ايضاً بان قدوم كيرلس اليك انما هو لطرده الانجليز الذين كانوا يعدون لك آلات الحرب ليتمكن والي مصر منك وقد حمل اليك من قبل سعيد باشا كساء مسموماً اذا لبسته قضى عليك وكان بين الهدايا التي قدمها البطريرك للنجاشي برنس مزر كاش بالجواهر الكريمة فهال النجاشي الامر لاسيما لما علم بقدوم سعيد باشا بجيشه الى الخرطوم وأمر فسجن البطريرك وضيق عليه الخناق وخشية من ان يفلت البطريرك ويمسح ملكا للحبشة آخر سواء اصطحبه معه فكان يسوقه امامه في كل مكان يحل به محاطاً بنهر من الحراس وكان اذا جلس يوقفه امامه ويبكته باقصى الالفاظ

وتتمكن البطريرك من ان يصل الى والدة النجاشي وكانت تقية ورعة وأفضى اليها بجملة الخبز فتوسلت الى ولدها من جهة فسمح له ان يدافع عن نفسه فتمكن من اقناعه بجميل مقاصده ومن ثم طلب ان يلبس الثوب الذي ارتاب به فلبسه البطريرك مدة يومين دون ان يصاب بأذى ولبسه رجل محكوم عليه بالموت مدة ثلاثة ايام فلم يصبه شيء البتة . وكان النجاشي قد أمر بحرق البطريرك حياً فعفى عنه وارسل البطريرك يخبر سعيد باشا ان نجاحه متوقف على رجوعه من حيث أتى فرحل سعيد باشا ورجع الى مصر وعند ذلك تجلى للنجاشي سوء تصديقه للوشاة واعتذر للبطريرك برفع الحجر على رأسه

وكان قد مر اكثر من سنة منذ خرج البطريرك من مصر ولم يرد منه خبر أو يسمع عنه شيء فقلق الناس لذلك . وبعد سنة واربعة اشهر وصل مكتوب منه يذيع بانه وصل للخرطوم ومعه اثنان من رجال حكومة الحبش احدهما قسيس الملك والثاني وزيره فسر محبوه الذين حسبوه قدماء ووصل القاهرة في ١٧ امشير سنة ١٥٧٤ ش فاستقبل استقبالاً عظيماً

وعقب عودته واستكمال راحته من وعشاء السفر بثلاثة اشهر شرع في يوم الخميس ٢٨ برمودة سنة ١٥٧٥ ش ببناء الكنيسة الكبرى بالازبكية وكان يوم تأسيسها يوماً مشهوداً حضر فيه جميع كبار البلاد ورؤساء الطوائف . وقد أمر بنقض الكنيسة القديمة التي أتمها المعلم جرجس الجوهري في عهد البابا مرقس

الثامن وما زال مجتهداً مسرعاً في اتمام البناء لانه كان يقول بكآبة قلب نفسي
تحدثني باني ساقبر فيها قبل اتمامها حتى توفي فباشرا اتمامها خلفه ديمتريوس
واكمل زخرفها سنة ١٥٩٦ ش غبطة البطريرك البابا كيرلس الخامس

ورأى بعد ذلك ان أفضل سبيل لنجاح كنيسته وطائفته ترقية وتهذيب
الاكليروس فكان يجمع كل سبت جميع القسوس بالدار البطريركية ويحضر معهم
ويناقشهم ويشرح لهم واجبات القسوس وآدابهم وما ينبغي لهم حظوة في عيون
الناس ولهذا جعل رواتب شهرية لمن يعرف اللغة القبطية والوعظ فعرف كيف
يجب لهم العلم ويقاوم بهم المبشرين في مصر والحبشة وقال المؤرخون انه كان
ميالاً الى تعليم البنات وتهذيبهن الى حد يكن فيه معينات لازواجهن ومربيات
لاولادهن فصادف من المقاومة في ذلك اشكالا ولكنه كان يتحين الفرص
ويتبين انتفاعها فلم تطل ايامه

ويذكر البعض للبابا كيرلس عيباً وهو انه بدد نقوداً كثيرة تبلغ نحو نصف
مليون كانت مكمومة بالدار البطريركية من مال الاوقاف وقال انه اتفق ١٧ الف بنديقي
لعمل كسائو مخصوصة واطقم كاملة لتلبسها الشمامسة وبدرشينات وطواق
مفضضة . غير انه لم ينفق شيئاً في غير محله فكل ما انفقه عاد على الطائفة بالنجاح
والفلاح .

وقد وقعت لهذا البابا مأساة محزنة دبرها له دهاة مأساة الانجليز الذين كانوا
ناقين عليه لانه طرد مرسلتهم من بلاد الحبشة ولم يمكنهم من اخذ دير السلطان
بالقدس واشتد غيظهم عليه عند ما عاموا عزمه على توحيد الكنائس
الارثوذكسية فبعد رحيل وزير نجاشي الحبشة شعر البطريرك بتغير سعيد باشا
عليه واتفق انه اصطحب معه بطريركي الروم والارمن الى دير القديس الطونيوس
بالجبل الشرقي ليقضوا فيه اياماً ترويحاً لانفس فانهز قنصل الانجليز جنرال مري
ودس الى سعيد باشا بان كيرلس انما يسعى ليجعل الكنائس الارثوذكسية تحت
رئاسته ويضعها تحت حماية دولة روسيا وافهمه ان هذا أعظم خطر يهدد الولاية
المصرية فارسل سعيد باشا الى مدير بني سويف يأمره بان يستدعي البطريرك
حالا فاستمهله اياماً فاشتد غيظ سعيد باشا قال صاحب تاريخ « الكافي » فلما

كان في أحد الايام جاء اليه رسول من قبل محافظ مصر يستدعيه الى الديوان
لأمر لا يتم الا بحضوره فلم يقبل الذهب وصرف الرسول بالتي هي أحسن
فعاد اليه ثانية وثالثة فلم ير بدأ من الذهب وسار معه وغاب ساعة ثم طاد
ووجهه يقطر منه العرق وقد نزلت به حمى فعرف العلة وأشار بالدواء فلم يأتته
حتى أتاه طبيب محمد سعيد باشا بأمر منه وأخذ في علاجه وما زال يعالجه أياماً
وقد اشتدت علته وعظم الداء وفقد الرشيد وسقط شعر رأسه ولحيته على وسادته
وانحل جسده ومات « اه

وقال الايفومانوس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى انه لم يقبل السم في
القهوة لأنه سمهم يتكلمون بالتركية وهو يفهمها ورجع الى قلايته كشيياً حزيناً
حتى أثر عليه الأسف ومرض فاحتالوا عليه بواسطة صديقه ورتبوا الأرمين
والخوارجا حنا مسره الذي سيرد ذكره واحضرا له طبيباً قالاعنه انه امين ولكنه
دس له السم في الدواء فلما شعر به يمزق احشائه سلم الأمر لله وهو يقول « لا
تخافوا ممن يقتل الجسد بل خافوا ممن يقتل النفس » اه

وكانت وفاته في ليلة الأربعاء ٢٣ طوبه سنة ١٥٧٧ ش و ١٨٦١ م ودفن
بتربته التي ابقناها لنفسه بالكنيسة الكبرى وخلا الكرسي بعده سنة واحدة
وثلاثة اشهر وسبعة أيام كان يدير البطريركية في اثنائها انبا مرقس مطران
البحيرة .

وليس من ينكر ان السبع السنوات والتسعة الأشهر والثمانية عشر يوماً التي
قضاها هذا البطريرك في الرئاسة كانت خيراً وبركة لكنيستهم وطائفتهم . وجاء عنه
في كتاب « الخطط التوفيقية » ج ٦ « ان حالة الادارة البطريركية من جهة
سياسة الاكلروس ورعاية الأمة ونحو ذلك قد امتازت في مدته كثيراً جداً عن
السابق ولقد كان هذا البطريرك حاذقاً نديهاً ذا عناية شديدة بالمنقطعين وذوي
البيوت من أمته طلق اللسان عارفاً بالتاريخ مدققاً في علوم الدين المسيحي
محافظاً على حدود المذهب ماقماً للرشوة غير مكترث بالمال قائماً باعباء وظيفته
وفي الحقيقة انه كان لم تعب سيرته بشيء ما ولو لم يكن حاداً في المشروعات سريع
الاقدام على الامور التي تفتقر للتأني والمشورات لكان يعجز القلم عن

تجبير صفاته « اهـ .

ويصفونه بأنه كان متوسط القامة ممتلىء الجسم قوي البنية صحيح الاعضاء أبيض اللون حاد النظر والدهن كبير الرأس عريض الجبهة كثيف اللحية اسودها . وكان كثير الامثال في حديثه قلما يلتقي عبارة لا يسندها الى مثل وهو غاية في العفة والتقشف لا يشرب الخمر شديد الكره لمقابلة النساء ومحادثتهن حلیم بعيد الغضب عظيم الاحترام للرهبنة محافظاً على اصولها شديد المساواة على الاكليروس كلفاً بمخالطة العلماء ومجالسة الفضلاء ولم يكن يستنكف ان يجاهر بغلظه اذا بان له ومما يؤثر عنه قوله « ان انتقالنا مما نحن فيه الى ما يجعلنا في مصاف غيرنا يحتاج الى اعمال وأتعاب كثيرة يلزم لها عمر نوح وحبر ايوب »

قيل انه لما طلب منه سعيد باشا القيام للحبشة عرض عليه امر طائفته القبطية بصفة كونها قائمة بنصيبتها في خدمة البلاد ورجاه ان تمنح مزية المساواة فيكون منها أعضاء في المجالس المحلية كاخوانهم المسلمين ويسمح للموجودين منهم في الخدمة العسكرية ان يكونوا ضباطاً ورؤساء وان يقبل منهم طلبة في المدارس العالية فوعده سعيد باشا باجابة طلبه بعد عودته من بلاد الحبشة ولكنه بعد رجوعه جدد طلبه فصار يماطله حتى قطع الرجاء . وقد ظن بعضهم انه طلب من الباشا ان يعنى اولاده من خدمة الجندي فاجاب « حاشاي ان اكون جباناً بهذا المقدار لا اعرف للوطنية قيمة فأجرم البلاد من خدمة ابنائها لها » قيل لما شعر الموسيو سباتييه قنصل فرنسا في مصر بمطالبه عرض عليه استعداده لمساعدته فيما يختص بمساواة الاقباط بالمسلمين في الوظائف العسكرية على شرط انه يتحصل على تصريح من ملك الحبشة بدخول رهبان اليسوعيين في بلاده والتوطن فيها فأبى ان يجيبه الى طلبه . وكان مسالماً لجميع طوائف المسيحيين وبينه وبين رؤسائهم صداقة عظيمة لاسيما الروم الارثوذكس ولما سافر بطريركهم الى الاستانة كلف البابا كيرلس بمباشرة اشغال بطريركيته الى ان يعود

وفي مدته أقام مطراناً خصوصياً لمصر ولم يكن بها من قبل مطران نظراً لوجود مركز البطريرك بها وأقام على البحيرة والاسكندرية مطراناً انبا مرقس وعلى المنوفية مطراناً آخر انبا يؤنس الذي رافقه في سفره الاول للحبشة باسم

الراهب برسوم وقد كان على الجهتين رئيس واحد من قبل ورسم مطراناً للقدس
انبا باسيليوس واسقفين للوجه القبلي بعد وفاة سلفيهما
ومن القوانين السامية التي رسمها الامر بعدم تزويج فتاة الا متى بلغت
الرابعة عشرة وان تكون الخطبة بعقد صلح يمكن حله متى أريد لاعقد أملاك
وذلك حفظاً لسلامة العائلات وتخلصاً من الطلاق الذي كان أبغض الامور لديه
ولهذا شدد بضرورة اعتراف الزوجين قبل الاكليل حتى لا تحصل اية
شكوى بعد

وللبابا كيرلس نوادر تستحق الذكر فمن ذلك انه كان كلفاً بلبس لباس
الاعراب لاسيما وهو مختلط بهم حال رئاسته لدير بوش (١) فحدث مرقة انه اصطحب
معه بعض الاعراب لزيارة الدير ففكر شيخ اولئك الاعراب في سلب البطريرك
ومن معه من قصاد الدير ولما وقف البطريرك على سوء نيته دبر طريقة للتخلص
منه وذلك انه في ليلة حالكة الظلام وقفت فيها القافلة للراحة خرج ذلك الشيخ
من خبائه وتوغل في البادية لقضاء حاجة فتمتعبه البطريرك وهو مرتد برداء
الاعراب وقبض على سلاحه وأمره بخلع ملابسه فاذعن الشيخ رغماً عنه ولكنه
عرفه بنفسه ورد له سلاحه فعدل الشيخ عما كان ينويه

ومن ذلك انه قصد المنيا مع بعض الاعراب لشراء مواش للدير ونزلوا
ضيوفاً بدار الانبا ياكوبوس اسقف المنيا المشهور بالكرم وحسن الضيافة وقبل
انصرفهم من عنده مال اليه القس داود بلباس الاعراب وقال له « انا القس داود
بقيت لاشكرك » فذعر الاسقف واستنجد بخدمه وكان القس داود قد لحق
باصحابه وامنوا في السير

وبعد رسامته بطريركاً كان نازلاً مرة بدار ابن عم له بيوش وهو لا لبس ملابس
الاعراب فأتى بعض العونة الذين يدعون انهم قسوس كنائس معينة وجلسوا
بجانب البطريرك يتحدثونه بانهم اصدقاء البطريرك وانه يحلمهم ويحترمهم فتركهم
ورجع بلباسه الكهنوتي وهو يقول لهم ها انا صديقكم البطريرك جئت لكم

(١) عن كتاب « نوابغ الاقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر » ج ١ ص ١٠٢ و ١٠٣

لا برهن على صداقتي لكم بان اكلف المدير بالقبض عليكم ليتولى اكرامكم ريثما
أعود الى القاهرة

ومن نوادره بمدرساته بطريركا (١) انه جاءه مرة رجل يطلب طلاق امرأته
لانها خرساء وعمياء ومكسحة فقال له ان الانجيل يأمر ان تفعل بالناس ما تحب
ان يفعلوه بنا فهب انك كنت أعمي ومكسحاً وأخرس فهل كنت تود ان تطلب
امراتك طلاقك فاقتنع وانصرف

وأثاه يوماً أيضاً رجل يشكو من حميه لانه حجز زوجته عنه فدعا ابو الزوجة
فاعتذر بفقر الزوج وسوء تصرفه فصرفه البطريرك ليحقق دعواه ثم أرسل لبيت
الزوج كل ما يحتاجه البيوت ومن ثم دعا ابا الزوجة مع بعض الاعيان ليرى بيت
صهره فوجدوا البيت كامل الاثاث وأرسل البطريرك الى زوجة الرجل يأمرها
بعدم مقابلة زوجها فلما توجه الى بيته لم تشأ زوجته ان تقابله كأمر البطريرك
فمضى اليه يطلب حله فوبخه قائلاً اذا كنت لم تستطع فراق زوجتك يوماً واحداً
فكيف بصهرك الشاب فحجل وقبل رجوع ابنته الى زوجها اذا صرح لزوجته
بمقابلته فاشترط البابا كيرلس مقابل ذلك ان يدفع ٧٥ جنيهاً التي أنفقها على بيت
صهره وألزمه بها بداعي انه هو الذي قبل هذا الزوج على فقره فكان له ان
يرفض طلبه ليتزوج امرأة فقيرة مثله يعيش معها براحة ونعيم

ومما يؤثر عنه انه وهو رئيس دير بوش زار الدير المحرق فطلب منه راهب غضب
عليه رئيسه ان يتوسط في الصفح عنه فأبى الرئيس قبول وساطته . ولما جاء المساء
واجتمعوا للصلاة طلب منه ان يتقدمهم في العبادة فبدأ بتلاوة الصلاة الربانية
بصوت عال حتى انتهى الى قوله « واغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن ايضاً للمذنبين
الينا » فقال هكذا « ولا تغفر لنا ذنوبنا كما نحن ايضاً لا تغفر للمذنبين الينا »
فنهبه رئيس الدير ظاناً انه أخطأ فأعاد الصلاة ثانية وكررها هكذا فكرر له
الرئيس التنبيه . فعند ذلك اجابه هل نكذب على الله وهل انت غفرت خطية
أخيك حتى يغفر لك الله ؟ فحجل الرئيس واسرع بمساحة الراهب من كل اثم جناه

وحدث انه زار العزيز مع بعض علماء المسلمين فقال له احدهم انكم رغمًا عن كونكم أصحاب كتاب فأنتم مشركون لانكم تجعلون لله ابناً مساوياً له بالجواهر فقال له البطريرك ورد في صورة الشوربي « وليس كمثلته شيء » فقال له العالم الكاف زائدة فقال نخذفها اجابه لا يمكن قال البطريرك نعمل بحكمها فقال العالم لا فباب البطريرك من اين انت الحيرة فتقدم واحد وقال « لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي أحسن »

وقيل ان سعيد باشا اعترض امامه على المسيحية لانها تساوي بين الرجل والمرأة فاجابه البابا كيرلس اذا أنت المرأة أمراً مشكوراً فهل لا يكافئها الله باقل مما يكافئ به الرجل فقال الباشا حاشا لله من الظلم فاجابه « اذا كانت احكام السماء تقضى بذلك فبالاولى احكام الارض »

وروى انه بينما كان في زيارة رجل كاثوليكي طلب هذا مناقشته في الطبيعة والطبيعتين فلم يشأ البطريرك ان يرد عليه وبينما كان خارجاً قال للبواب « كم واحداً تعبد يا حمد ؟ » فاجابه « استغفر الله لا أعبد سوى واحد أحد » فقال له قل لسيدك لماذا يشرك مع الواحد آخر وانصرف

وحكى أيضاً انه زاره القاصد الرسولي يصحبه الخوارجا يوحنا مسرة طالباً منه ان ينضم للبابا وكان حينئذ مشغولاً في بناء الكنيسة فجلس معهم واظهر انه مهتم بمحس كتاب كان معه ولما طال زمن انشغاله بالكتاب قال له الخوارجاء سره على م تفتش ؟ فاجابه لقد أصبحت في حاجة الى المال بسبب العهارات القائمة وعرض علي أحدهم ان استعين ببيع الغفرانات فاخذت أخص الكتاب المقدس لعلي أهتدي فيه الى ما يبرر هذا العمل ومع ذلك ضاع تعبي عبثاً فاذا كانت لحضرة القاصد معرفة بشاهد يؤيد بيع الغفرانات فليدني عليه ففهم القاصد المراد وانصرف خجلاً ومما يدل على مقدار تواضعه وتسامحه انه عاقب كاهناً بدون ان يتحقق عما اذا كان مذنباً أو غير مذنب ولما ظهرت له براءته تعلق به وطلب منه ان يصفح له فحجل الكاهن ولكنه لبث يلح عليه حتى قال له « الله يملك » وروى عنه أيضاً انه لما سافر الى الحبشة وكل الى المعلم برسوم واصف الاشراف على جميع أعمال الدار البطريركية أثناء غيبته وعند عودته سمى واش بالمعلم برسوم لدى

البطريك سماية أدت الى تفور بينهما ولم يمض الا القليل حتى ظهرت الحقيقة وثبت للبطريك ان الرجل برىء مما نسب اليه فندم على ما فرط منه ضد المعلم برسوم وأسرع فكتب اليه يقول « لقد تحريت المسألة فوجدتها كلاماً لا أصل له فأرجوك المسامحة لاني بشري غير معصوم من الخطأ » ثم وقع هكذا : الحقير كيرلس

(٣) ديمتر يوس ٢ - البطريك المائة والحادي عشر . كان اول يدعى

ميخائيل رئيس دير القديس مغاريوس بيرية النطرون انتخب للبطريركية ثم قرر في ٩ بؤنه سنة ١٥٧٨ ش و ١٨٦٢ م في أواخر خديوية سعيد باشا وبعد تقليده زار الجناب الخديوي وذوات الحكومة فقال له سعيد باشا عند اول مقابلة له « لا تفعل مثل سلفك كلما يلزم لك قل لي عليه وانا مستعد لتأديته لك » .

ثم شرع البابا ديمتريوس في تكميل الكنيسة الكبرى بالازبكية التي أسسها سلفه حتى تمت على نظامها الحالي واستمر يدير حركات المدارس التي أنشأها سلفه ايضاً وقد توفر له الحظ عند تولي الخديوي اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ م اذ انعم عليه بجملة كثيرة من الاراضي الزراعية للقيام بلوازم بطريركيته ومدارسه ولم يبرح مرادفاً له بصلاته مسعفاً له باصدار أوامره الكريمة باجراء امتحان مدارس بعد امتحان المدارس الاميرية كالرسوم الجارية بها وذلك بان يصير الامتحان باحتفال يحضره كل عام كرام القوم والعلماء والأمرأء الأمر الذي اضحت المدارس القبطية تفتخر به في كل زمان ثم رقى اسماعيل باشا جملة من قومه الاقباط الاصلين للرتب والوظائف الاميرية

ولما قدم السلطان عبد العزيز الى مصر في سنة ١٨٦٣ م دعا اسماعيل باشا العلماء والوزراء والآباء الروحانيين والوجوه ليحظوا بمقابلته . وعين لهم يوماً قال المعاصرون انه وافق يوم الجمعة العظيمة للارثوذكسيين وكانت العادة في ذلك العهد ان من يدع للمثول بين يدي السلطان يقبل طرف ثيابه فلما جاء دور البابا ديمتريوس تقدم تواً وثم صدر السلطان فانزعج السلطان ودهش الحاضرون وعدوا ذلك من البطريك جسارة كبيرة . ولما سئل عن معنى التقبيل الغريب

الذي لم يسبقه اليه غيره أجاب « انما انا أقبل يد الله ملك الملوك وسلطان السلاطين
لانه ورد في الكتاب المقدس « ان قلب الملك في يد الرب » (ام ٢١ : ١)
وكان مع البطريرك قس يقال له القمص سلامه يعرف التركية فترجم كلام البطريرك
فلما سمع السلطان ترجمة هذه العبارة ابتسم سروراً وانعم بالالف فدان من املاك
الحكومة له دارس القبطية ثم زادها الخديوي اسماعيل خمسمائة فدان أخرى في
مديرية الشرقية .

وبعد ذلك بلغ البابا ديمتريوس ان بعضاً من قومه بالجبهات القبلية نبذوا
عنهم بعض عقائدهم الارثوذكسية واتبعوا آراء اجنبية طارئة فقام بنفسه في
برمات سنة ١٥٨٣ ش لتفقد تلك الجبهات يصحبه العلامة الشهير الايفومانوس
فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى وعينت له الحكومة مركب بخار من طرف
الحكومة السنية حسب التماسه وزار مدن وبلاد وكنائس الوجه القبلي الى ان
بلغ اسنا واستمر في هذا السفر ثلاثة أشهر وبعد حصوله على اقناع وارتداد
اولئك الاشخاص وضمهم للكنيسة عاد الى مركزه

واستمر في الرئاسة سبع سنين وسبعة شهور وسبعة ايام وتوفي ليلة عيد
القطاس أعنى ليلة ١١ طوبه سنة ١٥٨٦ ش و ١٨٧٠ م (١)

(٤) كبرلس ٥ - البطريرك المائة والثاني عشر . وهو البطريرك الحالي

ولد في قرية تدعى تزمينت من مديرية بني سويف سنة ١٨٢٤ م ودعي باسم
يوحنا وبعد ميلاده بزمان يسير هجر أبواه مسقط رأسيهما واستوطننا بكفر
سليمان الصعيدي بمديرية الشرقية وما زالت عشيرته بذلك الكفر الى
يومنا هذا .

ولما بلغ سن الرشد رسم شماساً من مطران القدس انبا ابراهيم المتوفي . وبعد
قليل توفي والداه فاعتنى بتربيته المعلم بطرس أخوه البكر وكانت تلوح عليه من
حدائمه دغل التقوى والميل للانقطاع عن العالم ومحبة الكتب والمطالعة فكان
يتجنب آرايه من الشبان ويخشى على طباعه ان تؤثر عليها طباعهم وكان يحترم

أباعترافه احتراماً فائقاً

ولبثت بذور الفضيلة تنمو في قلبه حتى بلغ العشرين من عمره أعني سنة



« غبطة البابا كيرلس الخامس »

١٨٤٤ م فصار يتردد بين أمرين أما ان ينذر نفسه لله ويعيش بتولا بين الرهبان
او يتزوج ويصير رب عائلة فتغلبت عليه امياله وعواطفه وقصد دير السريان

بالجبل الغربي فلم يلبث به بضعة أيام حتى استرجعه اهله واخذوا يلاطفونه كي لا يتركهم ولكن كان يتحين الفرص لترك العالم وملاذبه وآثر العيشة التي كانوا يجيفونه منها وتمكن من الهرب وترهب بدير السيدة بالبراموس

وكان هذا الدير في غاية الفقر والفاقة اذ كانت ايراداته في ايدي الغير يستغلونها لانفسهم حتى لم يكن يقتات رهبانه الا بالترمس الذي كان مدخراً بالاديرة من عهد المرحوم المعلم ابراهيم الجوهري ومن ثم تناقص عدد رهبانه الى اربعة وكان البابا كيرلس بينهم سالكا مسلك الفضيلة متمماً قوانين الرهبنة كما يجب فاتفقت الكلمة على ترقيته لدرجة الكهنوت فكتبت له تزكية وفي سنة ١٨٤٥ م رسم قسيساً من اسقف المنوفية المتوفي انبا صرابامون على كنيسة حارة زويلة .

وبعد قليل طلبه الرهبان ليتولى ادارة شؤونهم فسلم له تدبير امور مجمع الرهبان بنفس الدير فظهر ناجحاً في المعرفة والسيرة واحتقاره لذاته حتى كان يوزع على الرهبان مما يكسبه من نسخ الكسب واشتهر حينئذ «بيوحنا الناسخ» فتحسنت احوال الدير وزاد عدد رهبانه الذين ساروا على منواله في احتقار العالم ومجده الباطل

وظالما رغب سلفه وكثير من الامة في احضاره للقاهرة وتعيينه في رتبة أعلى مما كان عليه فلم يقبل ولم تسمح كبار الرهبنة بتركه أيهم الى ان استدعاه البابا ديمتريوس سنة ١٨٥٥ م ورسمه ايغومانوساً وأقامه مساعداً في الكنيسة الكاثدرائية بالازبكية . فشق الأمر على رهبانه ولم يطيقوا احتمال فراقه فكتبوا يستعطفون البطريرك ليعيده اليهم فلبى طلبهم وارجمه الى مكانه فقام باعباء وظيفته خير قيام

ولما توفي سلفه اقامت الامة باستئذان الحكومة السنية نيافة الانبا مرقس مطران البحيرة ووكيل الأسكندرية وكيلاً لاجل عدم توقيف حركة ادارة الدار البطريركية فجعلت الحافظ الجميع تتوجه نحو الايغومانوس يوحنا واصوات الانتخاب ترادف عليه ولولا ما حصل من الاسباب الاعتيادية والاغراض الشخصية التي نشأ عنها خلو المنصب البطريركي من الرئيس اربع

سنوات وتسمية أشهر لأحضر وقلد حالا
وكانت الامة قد رتبت لها مجلساً ملئاً يتعاطى تدبير أمورها الخصوصية وتأيد
مجلسها هذا بامر طال كريم فبعد ترتيبه بسنة التمسّت الامة بواسطة مجلسها من
مقام الخديوية السنوية احضاره بمساعدة الحكومة لرسمه بطريركا فتم ذلك وكلفت
الحكومة مدير البحيرة باحضاره فحضر للقاهرة وانتخبه البطاركة والاساقفة
واعيان الطائفة القبطية بطريركا للكراسة المرقسية في ٢٣ بابه سنة ١٥٩١ ش
١١ نوفمبر سنة ١٨٧٤م باحتفال حافل حضره جميع كبار الامة والامراء والرؤساء
الروحانيين في الكنيسة الكبرى بالازبكية وفي ثاني يوم من بطريركيته زار
الجناب العالمي الخديوي احماعيل باشا وبعد ذلك لبث ثلاثة ايام في مركزه البطريركي
يقبل تهاني الامة

واذا أردنا ان نعد فضائله وما آثره بعد رسامته بطريركا يضيق بنا المقام
نظراً لكثرتها وبلوغها الحد الاسمي فن صلاح متناه الى محبة للفقراء ومساعدة
للمنكوبين ناهيك عن الاصلاحات التي قام بها لطائفته وأتمه فساد جملة قصور في
كل دير من اديرة القاهرة ومصر القديمة وشيد ثلاث عشرة كنيسة بمصر
والخرطوم والجزيرة وزين الكنيسة الكبرى بأبداع انواع الزينة وانشأ تسع
مدارس بالقاهرة والجزيرة منها المدرسة الاكليريكية ومدرسة البنات بالازبكية
والصنائع ببولاق واشترى لذمة البطريركية اكثر من خمسمائة فدان واشترى
السراي السكائنة بمهمشة حيث المدرسة الاكليريكية حتى زاد ايراد البطريركية
سته أضعاف عما كان اولاً وجل تفقة هذه المشروعات النافعة كان يقدمه من
ايراده الخاص وتبلغ الاموال التي أنفقها من ماله خاصة اكثر من سبعين الفاً
من الجنيهات

وعلا نجم الامة القبطية في عهده فانتشرت الحرية واتسع نطاق العمل وعم
العلم وتقدم ابناؤه في البلاد فاصبح منهم العمارة المعروفين والاعنياء المشهورين
والدين تعلموا منهم نالوا الرتب العالية في الحكومة فمعظم شأنهم وارتفعت
كلمتهم وارتقى العلم الديني فصار صوت الوعظ يسمع في أغلب كنائس القطر
وانشئت مدارس للرهبان بحيث يحكم البصير لأول وهلة ان التقدم السريع

الذي حازته الامة القبطية في هذا الوقت القصير لم يكن يؤتية الا الله القادر على كل شيء بواسطة خليفة رسله البابا كيرلس الخامس . وبالجملة فلم يتوفر للامة القبطية حظ ولم تتح لها سعادة كما في عهد البابا

أما حوادث الخلاف التي وقعت بين غبطةه وبين بعض رجال أمته فنذكرها ملخصة عن كتاب « القول اليقين في مسألة الاقباط الارثوذكسيين » للمرحوم يوسف بك منقريوس : —

بعد وفاة البابا ديمتريوس الثاني تولى ادارة شؤون الكنيسة الانبا مرقس مطران الاسكندرية ووكيل الكرازة المرقسية سنة ١٨٦٢ م ولما كثرت عليه الاعمال استعان ببعض المتقدمين من الطائفة على انجازها فشكل منهم مجلساً شوروياً لبيت يدير معه امور الطائفة ثم طلب منه الاعضاء ان يطلب من الحكومة اعتماد مجلسهم ففعل وأجابت الحكومة طلبه في ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٩٠ هـ

ولما ارتقى غبطة البطريك الحالي كرسي البطريركية وضع مع أعضاء المجلس حسب روايتهم لأئحة تقضى بوجوب نظر المجلس في مصالح الكنائس وأحوالها وفي المدارس والاقواف والفقراء والاحوال الشخصية ورسامة القسس وغير ذلك والتس البابا البطريك من الحكومة التصديق على اللائحة فصدقت عليها في ١٤ مايو سنة ١٨٨٣ م الا ان هذه اللائحة كانت حبراً على ورق لان أعضاء المجلس لم يهتموا بشيء ولم يوجهوا نظرهم للاهتمام بما يستدعي جهادهم وتعبهم ولبت مجلسهم ينحل شيئاً فشيئاً حتى فارق الحياة

وبعد مدة تحرك بعض ابناء الامة فطلبوا من غبطة البطريك تشكيل المجلس فأبى ان يجيبهم بدون تعديل اللائحة وحذف ما فيها مما يخل بسلطته فلم يقبلوا بل رفعوا أمرهم الى الخديوى وكان وقتئذ توفيق باشا وعزموا على عقد اجتماع لاعادة الانتخاب فكتب البابا كيرلس يحيط مجلس النظار علماً بالمسألة وطلب منع ذلك الاجتماع فمنع

ومن ثم استدعى البابا كيرلس المطارنة والاساقفة وكبار القسوس من كل الجهات وعقد بهم مجمعاً اكليريكياً أصدروا فيه قراراً يقضى بضرورة عدم تدخّل أحد من الشعب في تدبير أمور الكنيسة ومتملقاتها

وجعل البابا كيرلس ونيافة الانبا يونس مطران الاسكندرية هذا القرار الى توفيق باشا ورفعاه اليه فوعد بالمساعدة وقضى البابا بالاسكندرية مدة شهرين مافىء فيها أعضاء المجلس يسمعون ليحققوا أغراضهم غير أنهم لما قابلوا توفيق باشا أدركوا استحالة عمل شيء بدون رضا البابا كيرلس فأكروها على ملاطفته ومحاسنته ولما رجع من الاسكندرية استقبلوه استقبالا فخيا

وكان للرحوم بطرس باشا غالي باوروبا في أثناء هذه الحوادث وحضر بعد ذلك فالتى اليه توفيق باشا مقاليد المسألة وكلفه بحسم هذه المشاكل كل فوبخ أبناء الطائفة وأرغمهم على طلب الصفح من غبطة البطريرك وانتهت المسألة على مايرام واهتم البابا بعد ذلك من تلقاء نفسه بتعليم الرهبان ونشر المعارف وتشديد المدارس في البلاد حتى أصيب بمرض فأنطلق الى دير العريان ترويحاً للنفس مدة

وعقب ذلك تأسست جمعية التوفيق وحررت نشرة تطلب فيها ضرورة الاتفاق من ريع الاوقاف على ترقية المدارس وتسهيل وسائط التربية العالية لابناء الامة فتعرض لهذه النشرة بعضهم يفندوها ويكشف أغلاطها وأعقبت الجمعية نشرتها بأخرى طلبت فيه تعيين مرتب للاكليروس القبطى أسوة باكليروس باقى الطوائف فأظهر الجميع موافقتهم على هذا الرأي لتأكدهم بانه سر نجاح وتقدم اكليروسنا . ثم كتبت نشرة أخرى بضرورة اعادة تشكيل المجلس الملى فردت عليها الجمعية الارثوذكسية واحتدم الجدل بين الفريقين مدة ما

وفي خلال تلك المناظرات استدعى بطرس باشا غالي نيافة الانبا يونس مطران الاسكندرية الى القاهرة وكلفه ان يبلغ غبطة البطريرك بان الامة ترغب فى انشاء مجلس ملى فرد البابا برضاه عن تشكيل مجلس اذا عدلت اللائحة القديمة فأبى بطرس باشا تغيير اللائحة وأصر البابا على طلبه . ولما كانت جمعية التوفيق قد تحمدت غبطة البابا بكلام لم توقر فيه مركزه الدينى كتب للديوان الخديوى يطلب منعها فلم يرد عليه . وكان بطرس باشا عازماً على السفر الى أوروبا وتقابل مع الخديوى ليأخذ منه اذنًا بالسفر فذكر أمامه النزاع الطائفي الحاصل فأجابه بطرس باشا بانه لايمكن ان يهدأ ما لم يشكل المجلس فصدر الامر لبطرس باشا بتأخير سفره ليسعى فى تشكيل المجلس

وابلغ البابا كيرلس هذا القرار وهو مقيم بدير العدويه الكائن بجنوب القاهرة واستدعى الى قائم مقام رئيس مجلس النظار فتوجه اليه وصحبته القمص تادرس مينا أحد قسوس البطريركية فوجدا معه بطرس باشا غالى وطالت المناقشة بين الطرفين في امر المجلس وغبطة البطريرك يبدي اصرارا زائداً فابلغه الوزير القائم بالأمر الذى صدر النطق العالى به بضرورة تشكيل المجلس ولا بد من تنفيذه بالقوة

فانطلق البابا كيرلس للدار البطريركية وكتب للديوان الخديوى يطلب تعديل الامر وكتب ايضاً كذلك لمختار باشا المندوب العالى العثمانى وغيرهما من أولى الشأن وكان ذلك فى ٢٨ يونية سنة ١٨٩٢ م وفى مساء ذلك اليوم استدعى نحو خمسمائة نفس من رجال الطائفة بدعوة موقع عليها من بطرس باشا غالى بصفته نائب مجلس الامة لأجراء انتخاب المجلس

وفى الغد قصد بطرس باشا الدار البطريركية تتبعه عساكر البوليس ومنع الدخول الى البطريركية وصرف تلاميذ المدرسة وأساتذتها وطردهم وضبطت ابواب البطريركية فارسل غبطة البطريرك يستنجد بالمعية السنية فلم ترد عليه والناس حيارى لا يعرفون ما يتم وبعد الظهر جاءت جنود أخرى وأقبل محافظ القاهرة وطلب من غبطة البطريرك أن يقبل الرئاسة على الانتخاب فأبى فقام المحافظ الى المجلس المعد للانتخاب بالمدرسة الكبرى وافتتح الحفلة باسم الحضرة الفخيمة الخديوية وبدى بالانتخاب فاستقروا عن النتيجة الآتية وهى :-

بطرس باشا غالى . حنا بك نصر الله . بطرس بك يوسف . مقار بك عبد الشهد
قلينى بك فهمى . خليل افندى ابراهيم . يوسف بك وهبه . يوسف افندى
سليمان . حنا بك باخوم . نخلة بك البارآتى . حبشى افندى مفتاح . يعقوب افندى
نخلة روفيلة . وهؤلاء بصفة اعضاء . وانتخب باسبلى بك تادرس . عبد المسيح
بك حبشى . ابراهيم افندى منصور . وهبه افندى يوسف عبده . رفة افندى
جرجس . مرقس افندى سمكة . ابراهيم بك روفائيل الطوخى . باسبلى افندى
روفائيل الطوخى . فرج افندى ابراهيم . بطرس افندى ابادير . يعقوب افندى
نخلة يوسف . عوض بك سعد الله بصفة نواب اعضاء

وبعد الانتخاب اعلن غبطة البطريرك الديوان الخديوى والامة بالجرايد ان ماتم كان بغير اذنه وبدون رضاه وانه لا يوافق مطلقا عليه . وكان عيد الاضحى قد قدم فتوجه غبطته مع بعض الآباء المطارنة والقسوس لمقابلة الجناب العالى فأبى أن يقابلهم وتكدرت الخواطر لهذا السبب وأراد بطرس باشا أن يستجلب رضاه سمو الخديوى على الآباء الروحانيين فكلف البابا كيرلس أن يحضر المعية السنية خطاباً يعلن فيه قبوله لانتخاب المجلس ويلتمس رضى الخديوى المعظم ويرجو التشرف بمقابلتة فرفض غبطته أن يحضر خطاباً هذه صورته وكتب خطاباً آخر طلب فيه المقابلة فلم ترد عليه المعية السنية بل كتبت لبطرس باشا تطلب منه ان يبلغ البطريرك بان المعية لا تسمح له فيما بعد بمخاطبتها وان كان له على أحد شيء فليرفع أمره لجهات الاختصاص

هذا وفضلا عن احتجاجات غبطة البطريرك المتعددة وافقت الحكومة على تقرير الانتخاب وأعلن غبطة البطريرك بذلك فكتب لمجلس النظار بانه باق على رأيه لم يتغير وكان بعض انصار جمعية التوفيق بجولون في البلاد لا أخذ توقعات ابناء الطائفة على قرار انتخابهم فكتب غبطة البطريرك يحذر الامة من الانقياد لهم

وانعقد المجلس ورأى انه من المستحيل اكتساب رضاه البطريرك وموافقته فاصدر قراراً مؤداه رفع البابا كيرلس الخامس من رئاسة المجلس ومن ادارة كل ما يتعلق بشؤون الطائفة وان المجلس ينتخب من يلزم ليكون وكيلاً للبطريركية ورئيساً للمجلس . وعرض هذا القرار على مجلس النظار فوافق عليه وصدر به قرار في ٢٨ يونية سنة ١٨٩٢ ولما اطلع عليه غبطة البطريرك كتب الى مجلس النظار محتج على رفع يده من ادارة شؤون هو وحده المدبر لها

وكان مقار بك عبد الشهيد في أثناء هذه المدة يسعى في استمالة أحد الآباء المطارنة أو الاساقفة لقبول رئاسة المجلس وادارة البطريركية . فكلم في ذلك اسقفى الفيوم والخرطوم فوبخاه بشدة ولكن اعلن بالجرايد ان اثنين من اساقفة الاقباط قبلا التراس على المجلس فاعلن غبطة البطريرك حرم من يتجارى على ذلك الا أن مقار بك تمكن من ان يستميل الى المجلس الانبا اثناسيوس

اسقف صنبو وآتى به الى القاهرة متنكراً ولما اظهر خوفه من شجب البطريرك اقنعه الايفومانوس فيلوثاوس الذى انضم لتلك الحركة حينئذ بانة فى امكانه اذا صدر الحرم ان يفنده من الكتاب المقدس ومن قوانين الكنيسة . ووصات هذه الاخبار مسامع غبطة البطريرك فانذر اسقف صنبو فارسل هذا اليه يعلن خضوعه التام ويكذب كل ما أشيع عنه

ولما ضاق الامر بغبطة البطريرك ورأى ابواب الحكومة المصرية مغلقة أمامه استعان ببعض قناصل الدول فخاطب قنصل انجلترا فأبى التوسط بينه وبين الخديوى وقابل قنصل روسيا وقص عليه كل ما حصل فوعد بالتوسط بينه وبين بطرس باشا فظاهر بطرس باشا ميلاً للصالح وفعلاً توجه للدار البطريركية وتقابل مع غبطة البطريرك واتفقا على نسيان ماضى وعلى تعديل لأئحة المجلس وبحسب ذلك التعديل يحفظ لغبطة البطريرك حق حفظ اوقاف الاديرة لها وادارة ديوان البطريركية ورئاسة المجلس وغير ذلك . وما ذاع خبر هذا الاتفاق حتى كادت تطير له القلوب من شدة الفرح وأخذت رسائل التهنئة تترى على الدار البطريركية و بطرس باشا

وكاد الخلاف يزول أثره والوئام يشتد أزره لولا ان ذلك الاتفاق لم يكن ملائماً لاغراض أعضاء المجلس فارسلوا مندوبين بعد كتابة الاتفاق بايام الى غبطة البطريرك لتقديم اقتراحات جديدة لهم وطلبوا الرد عليها فى مدة يوم واحد وهددوه فى حالة عدم الرد بعمل كل ما يمكنهم عمله . فلم يشأ غبطته ان يرد عليهم بل كتب لبطرس باشا بقبوله فقط للاتفاق الذى ابرماه معاً وتشبث رجال المجلس بطلباتهم وهكذا انصرم حبل الوفاق ثانياً فأسفت الامة وعادت الى حزنها واكتئابها وقام غبطة البطريرك حينئذ ليقيم بالاسكندرية

وفى ٢٦ اغسطس سنة ١٨٩٢ م أعلن المجلس الغاء ذلك الاتفاق وقرر تعيين اسقف صنبو وكيلا للبطريركية ورئيساً للمجلس وصدرت الارادة السنية بالموافقة وتوجه مقاربك الى صنبو لتهنئة اسقفها بمركزه الجديد واحضاره معه فأبى مرافقته الى القاهرة الا بطلب رسمي من وزارة الداخلية فجاءه الطلب بمد ساعات وكتب هو يعلن غبطة البطريرك بذلك

فأرسل غبطة البطريرك الى نياافة اسقف بني سويف لينتظر اسقف صنبو على المحطة أثناء قيامه للقاهرة ^{بجلسته} ويطنه بالحرم اذا خالف قوانين الكنيسة فانتظره حسب الامر وأعلن له الحكم البطريركي فلم يعبأ به وقوبل بمحطة القاهرة مقابلة رسمية وكان الاعضاء يهتفون له قائلين « يعيش الانبا اثناسيوس ». أما غبطة البطريرك فأمر اسقف الخرطوم وأحد قسوس البطريركية بمنع اسقف صنبو من دخول البطريركية فاجتمع بعض الرهبان وفقراء الاحباش وانخدم داخل البطريركية وأغلقوا الابواب الخارجية ولكن اسقف الخرطوم ابى الاشتراك معهم في هذه المقاومة وظل مقيماً بمصر القديمة

قيل ان القسوس الذين رافقوا اسقف صنبو توجهوا الى البطريركية فوجدوا ابوابها مغلقة فرجموا على الاعقاب والاولاد يصرخون وراءهم قائلين « يا محرومون يا محرومون » أما الاسقف فتوجه الى دار عوض بك سعد الله ونزل به ضيفاً حتى تفتح له ابواب البطريركية

وعلى اثر ذلك اجتمع بالدار البطريركية بالاسكندرية حضرات الاساقفة والكهنة الموجودين بها وقرروا قطع اثناسيوس من كامل الوظائف الكهنوتية ثم كتب غبطة البطريرك حاشية على هذا القرار باعتماده وكان غبطته قد كتب للمطوب الذكر الانبا باسيليوس اسقف كرسى اورشليم يعلمه بما حصل من اسقف صنبو فجاء له من نياافته تلغراف بوجوب معاملة هذا الاسقف حسب القوانين الكنسية

ولما رأى اعضاء المجلس ان ابواب البطريركية مغلقة في وجوههم وان وجود غبطة البطريرك ونياافة مطران اسكندرية دعا الى تأخير اجراءاتهم اجتمعوا في ٢٦ مسرى سنة ١٦٠٨ ش و ٣١ اغسطس سنة ١٨٩٢ م وشكلوا مجلساً روحياً من القسوس الذين انضموا اليهم وهم القس بشاي خادم كنيسة حارة زويلة والقمص جرجس بشاي خادم كنيسة الدمشيرية والقمص بولس جرجس وكييل قضايا البطريركية والايغومانوس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى وباتفاق المجلسين تقرر ابعاد غبطة البطريرك الى دير البرموس ونياافة مطران الاسكندرية الى دير انبا بولا وارسل القرار الى رئاسة مجلس النظار فأقرته سريعاً وبناء على ذلك

توجه محافظ الاسكندرية في يوم الخميس اول سبتمبر سنة ١٨٩٢ م الى غبطة
البطريرك وأعلمه بهذا الامر فقبله بسرور ووعد بالسفر غداً واحيطة بالبطريركية
بالاسكندرية بالمساكر وفي صباح الجمعة سافر غبطته تاركاً لارباب المجلس
بالاسكندرية الف ومائتي فنتو واوصى ان لا تصرف بل تكون وقفاً وترك لهم
بالقاهرة ثمانمائة فنتو وبعض قطع ذهب وساعة ذهبية اهديت له من اسما عيل
باشا وغير ذلك من الاثنيات الخاصة به والتي لم يهتم بأخذ شيء منها حتى ولا سجادة
الخصوصية . أما ملابسه فقد فرق بعضها في الطريق وقرق الباقي على الرهبان
حال وصوله للدير

ولما وصل الى محطة الطرانة شاهد حمزه بك عمدة الطرانة انهم اعدوا له جلاداً
ليحمله الى الدير الذي كان يبعد عن المحطة بنحو ٢٤ ساعة وعلم ان غبطته على ما هو
عليه من الوهن لم يكن يمكنه ان يقطع المسافة راكباً جلاداً فاستحضر له جواده
الخاص وسار معه الى نصف المسافة مودعاً ولم يرجع الا بالحاح غبطة البابا الشديد
وبعد ان استراح غبطته بالدير قليلاً خلع ثيابه ولبس ثياب الرهبان وساوى نفسه
بأقلامهم واشترك معهم في كافة الاعمال . وكان بالدير حديقة جعلها موضوع
عنايته فكان يمضي جل وقته عاملاً في غرسها واتنقيتها وربها وعزقها حتى اينعت
وصارت روضة زاهرة . اما نيافة مطران الاسكندرية فأخذ الى القاهرة ومنها
الى بني سويف ومنها الى دير انبا بولا

هذا وبعد ذلك قام اعضاء المجلس تصحبهم قوة عسكرية لفتح ابواب
البطريركية ففتحت ودخلها اسقف صنبو والايفومانوس فيلوثاؤس واقام بها .
قبل انه في يوم الاحد ٤ سبتمبر سنة ٩٢ وهو اول احد أقام به الاسقف الصلاة
بالكنيسة الكبرى أعطى الانجيل ليقرأ منه الفصل المعين لذلك اليوم فتلا
خطأً فصلاً فخواه خيانة يهوذا للسيد المسيح وتسليمه اياه فنبهه الايفومانوس
فيلوثاؤس فارتعد وجزع لا سيما لما تمثل نفسه أسوة يهوذا الاسخريوطي الا
انه لم ينكف عن تلاوة ذلك حتى انتهى منه وهو غائب عن الشغور لا يدري
أين هو أبالقاهرة أم بصنبو . ومن هذا القبيل جرى ان الايفومانوس فيلوثاؤس
بينما كان يرفع الاسرار الربانية سقطت الصينية من بين يديه فتشأم الكهنة

ومن غرائب الصدف انه في نفس هذا اليوم وقع الكأس من يد الكاهن الذي كان يخدم بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية وبعدها سبوع وقعت مبخرة البخور من يد الايفونانوس الموما اليه فكادت تحرق السجادة . فاستخلص الناس من كل هذه الحوادث ان الله غير راض عن اعمال المجلس وانصاره

وما بلغت هذه الحوادث الجمعية الارثوذكسية حتى صملت على استثمارها فكتبت منشوراً تدعو فيه الشعب الارثوذكسي أن يمتنع عن الصلاة مع ذلك الاسقف وكهنته المحرومين وان يتوجهوا للصلاة بكنيسة الاروام الارثوذكس بالحزاوي . فلبى هذا النداء كثيرون فكانوا يتوجهون الى كنيسة الاروام واظهر هؤلاء عظيم سرورهم وجعلوا الصلاة باللغة العربية وقيل ان بعضهم تبرع ببناء كنيسة ومدرسة بالشماشرجى للذين ينفصلون عن الكنيسة القبطية وينضمون لكنيسة الاروام

نخشي اعضاء المجلس عاقبة هذا الامر وعولوا على استدعاء الاساقفة من كل الجهات ليحلوا المحرومين وكان جل الاساقفة قد تركوا مراكزمهم وانطلقوا الى الديرية وهم اساقفة بني سويف واسنا ومنفلوط ولم يجب دعوتهم سوى اساقفة المنيا واخميم وجرجا واسيوط الا انهم عوضاً عن ان يجيبوا المجلس الى طلبه اعلنوا موافقتهم لاحكام رئيسهم غبطة البطريك وجددوا شجب المشجوبين بل امتنعوا عن المرور من الدرب الواسع الكائنة به البطريكية ونزلوا بعزبة انبا بولا بدرب الجنينه بالقبيلة وبعدها ان اقاموا بالقاهرة مدة لم ينل منهم في اثنائها اعضاء المجلس طائفة عادوا الى مراكزمهم وتمطلت الشعاير الدينية بالقاهرة اذ لم يقبل احد ان يستدعي احد الكهنة المحرومين لاجراء فروض التكميل والتعميد والصلاة على الموتى وغير ذلك ومن ثم توالى رفع عرائض الاسترحام العديدة من ابناء الطائفة الى سمو الخديوى بطلب استرجاع بطريركهم وفي يوم السبت ١٩ بابه سنة ١٦٠٩ ش تقدم وفد من اعيان الامة الى مصطفى باشا فهمى رئيس الوزارة مكرراً هذا الطلب فوعده خيراً وبعد ذلك تمكن الوفد من مقابلة سمو الخديوى واعاد على سمعه رغبة الامة في رجوع بطريركها . وبالجملة فقد بذل الشعب مع الاساقفة كل مجهود لديهم في سبيل عودة رئيسهم حتى صدر امر خديوى كريم في ٢٠

ينابر سنة ١٨٩٣ م بالسماح بعودة غبطة البطريك ونيافة المطران فا ذاع هذا الخبر حتى أقيمت معالم الافراح وبدا السرور والبشر على كل الوجوه وانطلق كل لسان يشكر الله

ووصل الامر الكريم مسامع غبطة البطريك وتوجه اليه مائتا نفس من أبناء الامة في يوم الخميس ٢٦ طوبه سنة ١٦٠٩ ش وطلبوا منه ان ينزل من الدير يوم الاثنين ليمعدوا له مكاناً خاصاً يوم الثلاثاء ولكن الظروف قضت ان يبرحوا الدير يوم الجمعة ٢٧ طوبه وكان العربان طول الطريق ينشدون الاناشيد ويطلقون البنادق ويركضون على صهوات خيولهم حتى وصل الركب الى محطة كفر داود فأقبل الناس يلتمون يدي غبطته وهو يدعو لهم ويباركهم

وكان الدين أتوا لاستحضار غبطة البطريك قد صمموا على السفر في قطار خاص فقال لهم غبطته اننا لانسافر الا في قطار الركاب فالحوا عليه كثيراً فلم يقبل وبيناهم كذلك اذا بتلغراف يفيد عدم امكان قيام قطار خاص فأمرهم غبطته أن يقطعوا التذاكر حتى يذهب لزيارة بعض أهالي تلك البلدة التي كانت تبعد عن المحطة مقدار ثلث ساعة فالتسوا منه أن يبقى لثلاث ابرحهم القطار فقال لهم لا تخافوا فسكتوا وهم في غاية الحيرة وقالوا لا بد من ارجاء السفر للغد وبعد قليل وصل اليهم ان بعض آلات القطار قد تعطلت وان القطار سيتأخر عن ميعاده ساعتين فتمعجبوا ومجدوا الله وهكذا تمكن غبطة البابا ومن معه من السفر صباح السبت ٢٨ طوبه وكانت البطريكية مزدحمة بالوف المبهجين بعودة رئيسهم والاجراس تدق مبشرة بقدومه . واستقبل غبطة البطريك في كل المحطات التي مر عليها القطار استقبالا عظيماً بالكهنة والشمامسة والتراتيل أما الاحتفال بقدومه في القاهرة فحدث عنه ولا حرج حيث كانت الجماهير تموج كالبحر الزاخر وأصوات الدعاء لسمو الخديوي ودولتو رياض باشا وغبطته تشق عنان السماء . ولما نزل من المحطة كان الناس يقبلون أهذاب ثيابه ورجليه ويديه وكادوا يرفعونه على رؤوسهم وبالكاد استطاع ان يعتلي العربة المعدة له ووصل البطريكية في مسافة طويلة لشدة الازدحام حتى اندهش محافظ القاهرة الذي حضر بالجند لاستقبال غبطته رسمياً لجلال ذلك الاحتفال وحسن رونقه وكان القموس والشمامسة أمام الكنيسة

بجلبهم الرسمية وسعف النخل بأيديهم يرغمون ترنيمات التهاني والنساء يزغردن
والجميع في ابتهاج ما عليه من مزيد

وكان قد قام وفد آخر من كبار الطائفة وتوجه الى دير أنبا بولا في يوم
الاربعاء ٢٥ طوبه لاستدعاء نيافة مطران الاسكندرية فقام معهم الى بني سويف
وعنالك تقابل مع سمو الخديوي في بني سويف حيث اتفق تشريفه لها حينئذ
وأظهر سمو الخديوي سروره مما تم ودعا له نيافة المطران بالعز والتأييد . ومن
ثم سافر نيافته الى القاهرة فقبول باحتفال عظيم في المحطة وفي البطريركية

وبعد عشرة أيام من عودة غبطة البطريرك جاء بطرس باشا لزيارته وصحبته
جميع المحرومين فاعترفوا بكل ما صدر منهم وطلبوا الصفح عنهم والرضاء عليهم
فسامحهم غبطته وحلمهم لما جبل عليه من مكارم الاخلاق ولسكى يتم وصية سيده
المسيح رسم اسقف صنبو مطراناً وحذرهم جميعاً من العودة الى مثل ما أتوه لئلا
يقعوا تحت طائلة الحرم ثانياً

وبعد مناقشة طويلة بين غبطة البطريرك وأعضاء المجلس من جهة وبينه وبين
جمعية التوفيق من جهة أخرى صدر الامر العالي بارجاع الادارة الى غبطة البطريرك
واتفق على انتداب أربعة من أعضاء المجلس لمساعدة غبطته في ادارة شؤون
الطائفة . وكان أول عمل أقرته اللجنة للملية تحت رئاسة غبطته هو وجوب فتح
المدرسة الاكليريكية وجمع الاوقاف بدوان البطريركية . ثم عينت المجلس الروحي
لتنظر في الامور الدينية وقرر منع تجول القسوس وعدم رسامة أحد منهم الا اذا
استوفيت فيه الشروط المطلوبة الا ان هذا القرار الاخير لا يزال حبراً على ورق
فالقسوس سوءا كانوا من الحقيقيين أو الذين يتزبون بزبهم يجولون في كل مكان
ويجلبون عاراً على الامة والطائفة . وعدم التدقيق في رسامتهم . لا يزال سارياً مع
انه العبء الوحيد الثقيل الذي يمنع نهوض هذه الامة وتقدمها

وكان غبطة البطريرك بعد هذه الحوادث لا يفتأ ينشر المنشورات يحض في
بعضها ابناء الامة على الاهتمام بالأمور الدينية وبتعليم أولادهم على المباديء
الارثوذكسية وفي البعض الآخر حرم عادة النذب والحزن المفرط على الميت . ثم
انشأ مدارس اكليريكية بالاديرة وسعى في تعميم التعليم لأنه عنوان رقي الامم

وسر نجاحها

وفكر غبظته أن يقوم بزيارة رعيته وافتقادها فبارح القاهرة في ٢٦ طوبة سنة ١٦٢٠ ش و ٢٥ يناير سنة ١٩٠٤ م لزيارة الوجه القبلي والاقطار السودانية فقبل مقابلة عظيمة وعاد من رحلته في ٢ ابريل سنة ١٩٠٤ م وبعد ذلك انحلت اللجنة المالية اسبب فساد النظام الذي انتهت اليه ومن ثم تقرر باتفاق غبظته مع بطرس باشا انتخاب المجلس الملي الرابع وصدقت عليه الارادة السنوية في أول مارس سنة ١٩٠٦ م وقد حدث خلاف بين المجلس وغبظته انتهى بتعيين الاب القمص بطرس عبد الملك لرئاسة جلسات المجلس سنة ١٩٠٩ م

ثم شرع غبظته في رحلة ثانية من ٢٥ يناير سنة ١٩٠٩ م للوجه القبلي أيضاً ورجع منها في ١١ ابريل من تلك السنة وقد حدث في اسيوط ما نذكره وهو ان حزب من يسمون انفسهم بالمصلحين باسيوط وزع نشرات بالسكنيسة مؤداها الطعن في الهيئة الاكيريكية وكان غبطة البطريرك قائماً بالصلاة فقدمت له من الحزب مطالب فزقها والقاهها على الارض فهاج اعضاء الحزب وخرج غبظته من الكنيسة غاضباً الا أن المسألة انتهت بسلام وخرج غبظته من اسيوط مودعاً بالاكرام اللائق بمقامه السامي

وعقب رجوع غبظته اندره المجلس بتسليم أوقاف الرهبان وعظم الخلاف واشتد وقد حاول انصار المجلس ان يستغلوا شكوى بعض الرهبان من رئيسهم ضد البطريركية وقاموا بمظاهرة عدائية أمام الكنيسة الكبرى وانتهى كل سعى من هذا القبيل بالفشل التام

وانعقد في عهد غبظته المؤتمر القبطى باسيوط في ٦ مارس سنة ١٩١١ م ليطلب من الحكومة مساواة الاقباط بالمسلمين في كافة الحقوق المدنية والدينية فطلبت الحكومة من غبطة البطريرك ان يمنع هذا الاجتماع خشية من حدوث ما لا تحمد عقباه فنشر منشوراً يحض فيه على استعمال الحكمة والروية في المطالبة بهذه الحقوق فرد عليه نيافة الانبا مكاريوس مطران اسيوط متمهداً بعدم حدوث أى مكروه. وعقد المؤتمر في ميماده والقيت الخطب ورفعت الاحتجاجات وذهبت جميعها صرخة في واد

ومن ذلك الحين والامة القبطية آخذة في النهوض والتقدم بفضل حكمة
رئيسها العام غبطة البابا كيرلس وقد حمل حسن تصرفه وعظيم حكيمته ابناء الامة
المصرية من مسلمين واقباط على ان يأخذوا بناصر بعضهم البعض ويزيلوا من
قلوبهم كل شقاق وبغضة موقنين ان الدين لله والوطن للجميع

أما علاقة هذا البابا بالكنائس التابعة له فهي على أحسن ما يرام . وكانت
العادة الجارية ببلاد الحبشة أن لا يرسل اليها الا اسقف واحد فاذا مات ارسل
غيره ولكن في سنة ١٨٨١ م طلب النجاشي يوحنا تعيين مطران وثلاثة اساقفة
ولما كان هذا الطلب مغايراً للعادة فقد تردت الكنيسة أولاً في اجابته ثم في
يوليه سنة ١٨٨١ م تم الاتفاق بين الاحباش والرئاسة الدينية بعقد مكتوب
على اجابة ما طلبوه . ورسم لهم مطران وثلاثة اساقفة بشروط مخصوصة . والآن
ليس بالحبشة غير مطران واحد هو الانبا متاؤس الذي زار القطر المصري مرتين
وبلغ عدد من أرسل الى الحبشة من الاساقفة ١٠٥ حتى أوائل القرن التاسع
عشر يضاف اليهم الاربعون الذين رسموا في خلال القرن المشار اليه

أما بلاد النوبة فقد كان بها ١٧ ابروشيه الا أنها أخذت تضمحل لجور
الحكام المسلمين حتى سنة ١٨٨٠ فلم يبق بتلك البلاد من المسيحيين اكثر من
١٦ ألفاً . ولما أعيد فتح السودان في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ م رسم لهم البابا كيرلس
الحالي اسقفاً رقي فيما بعد الى رتبة مطران وبنيت كنيسة كبرى في الخرطوم
وسبع كنائس أخرى في الاقاليم ومنظور بناء غيرها في باقي جهات السودان
التي بها مسيحيون .

وفي ٢٣ بابه سنة ١٦٤٠ ش أتم البابا كيرلس خمسين سنة على الكرسي
المرقسي وهي اطول مدة اقامها بطريرك على هذا الكرسي واحتفلت الطائفة
بعيد يوبيله الذهبي احتفالاً عظيماً شهده كبار القوم ومندوبو الحكومة من
وطنيين واجانب . وقيل أن غبطته لم يقبل في مبدأ الامر هذا الاحتفال زهداً
منه في مجد العالم ولكنه قبل حضور الصلاة بالكنيسة وسماع الخطب

القسم الثاني

مشاهير الكنييسة

.....

(١) الأنبا سرابامون اسقف المنوفية (٢) الأنبا باسيلIOS مطران القدس (٣) الأنبا ابرآم اسقف الفيوم (٤) الايغومانوس فيلوثاوس

○○○○○○○

(١) الأنبا سرابامون اسقف المنوفية. (١) نشأ هذا الأب الفاضل بمديرية

الشرقية باسم صليب ولما أدرك رشده أقام بالقاهرة واحترف مهنة بيع الزيت وكان يطوف الشوارع والحارات منادياً على زيتته ورووا ان سبب طلوعه للدير هو انه ذات يوم توفي ولد لاحدى النساء الشريرات باسباب فعلية فقيل لها ان تنتظر الرجل النصراني الذى يطوف لبيع الزيت وتلقى الولد تحت أرجل حماره وتهمه بقتله ففعلت ذلك وسيق بحماره الى الحاكم يتبعه جمهور غفير يشهد عليه بانه هو القاتل وعبثاً حاول ان يبرىء نفسه وينادي انا مظلوم قيل انه لما تضايق توسل الى الله ان يخلصه من هذه البلية فاجاب سؤله وخلصه بمعجزة مذهشة أما القديس فخالما رأى ذلك ترك حماره بما عليه وفر هارباً الى الدير خشية من الفخر العالمى ولبث بالدير حتى انتخبه اسقفاً للمنوفية البابا بطرس ال ١٠٩

وبعد رسامة هذا الأب أسقفاً اشتهر بامرین أوطها التقشف والنسك والبساطة وثانيهما صنع المعجائب والمعجزات . فمن الامر الاول يقولون انه لم يكن يعبأ

(١) نقلناه مائخصاً عن كتاب « نوابغ الاقباط ومشاهيرهم » ج ٢

بزخرف المعيشة ولا ما تفتهى النفس فكان يقضى طول الليل قائماً يصلي وبعد الصلاة يأتي على الارض ويضع مركوبه تحت رأسه وينام عليه وكان أغلب أكله الدشيشه في اثناء من خشب وقيل انه مرة دخل بيتاً فشم فيه رائحة ملوخية وفراخ اشتهدت نفسه أن تأكل منها وكان ذلك في أحد أيام الخمسين فأرسل اليه أهل البيت شيئاً من الطعام حيث يقيم بالبطركية ولما قدم له أمر بتأخيره وأبقاه ثلاثة ايام حتى اتن ومن ثم طلب من تلميذه ابراهيم برغوت ان يستحضره ووضع لقمة منه في فمه فعافته نفسه فابتدأ يوبخها قائلاً ها هي شهوتك لماذا لم تأكلها يا ملعونة ثم أعطى الطعام للتلميذ فاراقه خارجاً

وروى عن ميله للاحسان الخفى انه كان في احدى الليالي شخص يسير متنكراً في بعض ازقة القاهرة وعلى كتفه سلة ثقيلة الحمل فصادفه وهو بهذه الحالة رجل من خدمة الدار البطركية يدعى حنا النجار فاستغرب زيه وتلشمه اذ رآه يكاد لا يظهر من وجهه غير عينيه وهو يلثت تعباً من حمله فرا به أمره وظنه لصاً فجد وراءه حتى أدركه ثم رآه وقف بباب وقرعه فانفتح الباب فسلم السلة للفاسح دون ان ينطق بكلمة وعاد من حيث أتى وعندئذ تقدم اليه حنا وأمسك به فما تبينه حتى علم انه الانبا سرايامون اسقف المنوفية وكان يأتي بالدقيق والقمح ويحمله بنفسه الى الاسر التي لا تمد يدها للسؤال حياء عاملاً في ذلك بقول السيد المسيح « واما أنت فتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ماتعمل يميناك »

واتفق مرة أنه كان لدى الانبا سرايامون ستمائة ريال فرأى أن يشتري بها داراً للاوقاف وقد وضعها في كيس وسلم الكيس الى تلميذه ابراهيم ليحفظه الى ان تم المساومة . وحدث ان زار ابراهيم احد اقاربه وعلم بأمر الكيس فدفعه الطمع الى سرقة فلما افتقد التلميذ ابراهيم النقود ولم يجدها ذهب الى الاسقف باكياً تخفف الاسقف حزنه وقال له ثق يا أبني بالله فهو قادر ان يرد اليك المال . وفي هذه الاثناء كان السارق قد شعر بتأنيب ضميره فلم يستطع ان يضيع قرشا من الكيس الذي سرقه ثم اشتد به الندم فقام مسرعاً وجاء الى الاسقف بنفسه ومعه الكيس وانطرح امامه طالباً السماح والعفو فسامحه الاسقف

وبعد ان بين له سر السرقة ووخامة عواقبها نصحه بالاستقامة وقال له اذا وقعت في ضيق فتعال الي . ثم تحنن عليه وأعطاه بعض دراهمات . فتأثر الشاب من هذه المعاملة وبكى وعزم من ذلك الحين أن يعيش أميناً مجدداً في عمله قيل وكانت درايته بالقراءة ضعيفة حتى انه كان عندما يقع نظره على انجيل القديس ويجده مطولاً يقول (يا أبوي يا أم النور دا طويل يا بوي) وذلك لانه كان طاعناً في السن : وكان من عادته على الدوام انه عندما كان يستغيث من أي شيء يقول يا أم النور

أما عن الأمر الثاني الذي اشتهر به وهو صنع العجائب والمعجزات فحدث عنه ولا حرج فقد رويت عنه حوادث يعارضها العقل لولا قول الكتاب « كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) وكانت شهرته الزائدة باخراج الشياطين بقراءة المزمور الرابع والثلاثين ورش المياه على وجوه المصابين باسم (ايسوس بخرسطوس) قيل انه خطر له مرة ان يسأل شيطاناً عن اسمه فاجابه « اسمي سرايامون الاسقف » فقال « وي يا بوي هي الشياطين فيها اساقفة ياما بقيت معوجة يا صليب » وهو اسمه الاصلي وكان اذا تألم يقول دائماً « يا خطيئك يا صليب » .

وحدث ان مريضاً بروح نجس أتى به الى البابا بطرس البطريرك ليصلي عليه فطلب ان يبقى حتى يستدعي الانبا سرايامون ليصلي عليه فقال له الانبا ابرآم اسقف القدس « منك أيها البابا نأخذ نحن الاساقفة المواهب فصل ولا تنتظر مجيء الاسقف » فاجابه البطريرك بتواضع زائد « اعلم يا أخي ان لسكل واحد منا موهبة » ولكن الاسقف لم يقتنع فقال له البطريرك « انت اسقف مثله فقم صل » فقام وصلى على المريض ولكن بلا منفعة لأن الروح الشرير كان يستهزئ به ويذكر له تأخره في اتمام واجباته حتى اعترف بتقصيره . ولما حضر الانبا سرايامون تأخر مقدماً البطريرك وبعد الالحاح عليه قبل بشرط ان يصلي بصليب البطريرك فصلى ونال المريض الشفاء بخروج الروح النجس منه

واليك ما وجد عن احدي معجزاته في كتاب « سير البطارقة » نقلاً عن كتاب « نوابغ الاقباط » ج ٢ : —

« وما يستحق الذكر العجائب التي حدثت على يديه وفي زمانه منها ان ابنة محمد علي باشا (زهرى باشا) زوجة احمد بك الدقردار كان اعترافها روح نجس فعانى الاطباء أتعاباً شاقة في معالجتها ولم يستطيعوا ان يشفوها اذ لم يكن ذلك مرضاً طبيعياً . وكان صيت انبا سرايامون اسقف المنوفية بما اعطى من قوة اخراج الارواح الشريرة ماثلاً القطر المصرى فذكر لمحمد علي باشا عن امكان ائمة النصارى في شفاء ابنته ماجعله ان يدعو الاب بطرس البطريرك الى مباشرة ذلك فالاب اذ كان يعلم ان ابنته معتراة من روح نجس استدعى الاب سرايامون وامره ان يتوجه الى السراى حيث سكن زهرى باشا فلبى دعوته وتوجه فكانت السراى غاصة بالجنود والجاهير رجالا ونساء فلما ابتداء ان يصلى على الاميرة تحرك الشيطان فيها والقاهها صرعى على الارض فازبدت وشرعت تصرخ باصوات ارتجت لها السراى فارتعب الاب لذلك وخاف من سوء العاقبة وصار يستغيث بقوة المسيح صارخاً بصوت محزن زارفاً العبرات قائلاً « عظيمة خطيئتك يا صليب يا يسوع مجد يميناك وانصر كنيسةك » حينئذ اكل الصلاة ورسم علامة الصليب على ماء وضرب به وجه الاميرة فصرخ الشيطان بصوت مزعج وخرج منها وقامت الاميرة صحيحة وضربت الموسيقى فرحاً وبشر محمد علي باشا بذلك وجاء الى ابنته فوجدها متمافية فرغب ان يكافئها الاب سرايامون فصرصة من النقود (قيل بها مبلغ أربعة آلاف جنيه) وقدمها للاب فابى ان يقبلها واعتذر له قائلاً « ليس من شئون وظيفتي ان اربح بمواهب الرب مالا يحوجني اليه فاباسى كما ترى فرجية صوف أحمر وطعامى الخبز وطبيخ العدس فعوض ذلك اسأل دولتكم ان تميلوا بتعطفاتكم نحو ابناء الطائفة القبطية وتخدموا بنبيها المرفوتين فاجابه الى ذلك والح عليه ان يقبل تلك العطية فاخذ منها شيئاً قليلاً وفرقه اثناء مروره على المساكن » اه ومن ذلك الحين صار لهذا الاسقف ولبطريركه البابا بطرس منزلة سامية في عيون الحكام بسبب هذه الحادثة واسندت وظائف كثيرة في الحكومة لسكثيرين من الاقباط على اثرها

قيل وكان الشيطان يحاربه بروح الفخر والاعجاب فيصور له انه افضل من غيره قداسة حتى سمع مرة يقول « بقا يا صليب . عطيت مواهب الشفا يا صليب .

انت يا عفش انت يا تن . انت يا وحش تخرج الشياطين يا صليب . تشفي المرضى يا صليب . ثم يجاوب نفسه بحدة وغضب شديدين ويقول يا أخى دي قوة الله يا صليب . دي قوة الله »

وروى انه لما تنيح انبا مكاريوس اسقف اسيوط دخل الانبا سرايامون ليلا منزعاً على البطريك يخبره انه شاهد روحه صاعدة وتحقق الخبر تماماً . وجلس مرة مع البطريك ومعه تادرس افندي عريان والد باسيلي باشا تادرس واذا بالانبا سرايامون صرخ فلما سئل لماذا أجاب اني شاعدت روح الانبا يوساب اسقف الفيوم مرتفعة الى السماء فتركه البطريك ودخل مخدعه دون ان يبقى لمقابلة الزائرين فسئل عن سبب ذلك قال حزناً على الانبا سرايامون لئلا يكون الازدهاء قد استولى عليه للموهبة التي أعطاها له الله فيفسدها عوضاً عن كونه يستخدمها للخير فتقدم الاسقف وضرب له مطانوة وأفهمه انه لم ينل درهماً واحداً تلقاء أي عمل أتاه

وعقب ذلك أصدر عباس باشا الاول أمره باعدام جميع السحرة والمنجمين فوشى بالقديس انه منهم وانه شفى زهرى باشا فطلبه الخديوي عازماً على قتله فانطلق اليه وكان يوم الجمعة العظيمة فتناوله الخديوي باحتقار وقال له هل انت ساحر فاجابه انا رجل مسكين فقال له أنت شفيت زهرى باشا فصرخ القديس بقوة في وجهه قائلاً « هذه قوة الله » فارتعب عباس باشا وجزع وقال له أمان يا بابا ثم صرفه بسلام

وكان الانبا سرايامون يكره الطلاق كراهة زائدة حتى انه لم يطلق في مدة رئاسته أحداً ولما كان يستعصى عليه ارضاء الزوج أو الزوجة اذا تحقق ان أحدهما مظلوم يقول له ان شاء الله أزوجك في العام المقبل فلا يأتي الميعاد الا ويتوفى الظالم ويتزوج بطبيعة الحال

ودخل عليه يوماً زوج بحالة غضب شديد وأفهمه ان امرأته وجدت في أما كن البغاء فطيب خاطره وصرفه للتهد ثم انطلق الى البيت الذي وصف له ولتعود النساء على رؤيته تقدمن اليه يطلبن بركة فسألهن عن المرأة فلم يخفين عليه أمرها وأفهمنه انها أتت اليوم فقط فطلب الاثراء بها في غرفة مظلمة ولبث

يوبخها ويؤنبها حتى عزمت على السير بالاستقامة ثم تركها تلك الليلة بمنزل أحد القسوس وطلب منه ان يأتيه صباحاً متشكياً من اعانتها وكان ذلك أمام الزوج فقال الاسقف للقس «يا خطيتك يا صليب أخطيت يا بوي حلني قم احضرها» فوجد الزوج انها امرأته وانها كانت في بيت القس لاني بيوت البغاء فقبلها وعاشا فيما بعد بكل سلام

واذا أردنا ان نذكر معجزاته واحدة فواحدة يطول بنا المجال فنكتفي بذكر اليسير منها . قيل انه لما حل مرض الهواء الاصفر بمصر نجت منه جميع البيوت التي كان ممتوداً ان يزورها وحدث مرة انه كان ماراً من موقع حديقة الازبكية الحالي فوجد امرأة تبكي على بغل لها سقط من العربية من شدة الحمل وكانت قد أشير اليها ان تنتظر مرور الاسقف ليشفيه ويقبضه فاجاب سؤالها وصلى واستجاب الله له

وذات يوم كان ذاهباً الى كنيسة حارة زويله من شارع درب مصطفى ولم يكن يوصل اليها غيرد فتعلقت به احدى الباغيات وكانت قد تعاهدت مع بعض مثيلاتها ان تهينه في الطريق فطلب منها بلطف ان تتركه فلم تفعل فدعا قائلاً «اليد التي أمسكتني تشل» فصرخت المرأة حالاً من الألم الذي لحق يدها وطلبت اليه ان يشفيها فشفق عليها وشفاهما

وجرى في مروره بالسرحة السنوية ان طلع عليه عبد أسود رئيس عصابة واوقف بغلته وطلب منه ما معه من النقود فلما فتش جيوبه ولم يجد بها شيئاً طلب ان ينزل عن البغلة ويخلع ملابسه فقال له القديس اتركني وانطلق فأبى ورفع يده بنبوته ليضربه فقال له القديس «انت رفعتها دعها مرفوعة واتركني» ثم تركه وسار في طريقه ولما رجع ثاني يوم وجد يده مرفوعة كما هي فشفاه بعد ان اخذ تعهداً منه بعدم العودة للسرقة مرة اخرى

وغير ذلك كثير لا يحصيه العد . وطالت ايام هذا القديس حتى ادرك البابا كيرلس الرابع والانبا سرايامون هو الذي رسم الراهب يوحنا الناسخ (البابا كيرلس الخامس) سنة ١٨٤٥ م قساً بديره بالبراموس في كنيسة حارة زويله بأمر بطريركه الذي استصغر الراهب في عينه لانه كان شاباً فقال له الانبا سرايامون

« يظهر انه مبروك وان شاء الله يخدم امة الرب »

وتنبيح الانبا سرابامون ودفن مع بطريركة البابا بطرس ال ١٠٩ والبابا مرقس ال ١٠٨ ولا رابع لهما في الجهة الشرقية القبلية من الكنيسة الكائندرائية الكبرى.

(٢) الانبا باسبايوس مطران القوس . ولد في سنة ١٥٣٤ ش في قرية

يدعى الدابة من مديرية قنا بمركز فرشوط من والدين فاضلين . وفي ليلة ميلاده رأى والده حلمًا كأن صوتاً يهتف به « ان قم وارفع الشكر لله على هذه المنحة



« الانبا باسبايوس مطران القوس »

الجزيلة التي وهبها لك « ففي الصباح حمل ابنه علي ذراعيه وتوجه نحو الشرق وبارك الله شاكرًا له فضله

وكان والده يصطحب ابنه معه للكنيسة كل يوم أحد فيتمجيب منه عند ما يجده واقفاً على قدميه طالما كان السكاهن يتلو صلاة القديس دون ان يتحرك أو يفوه بكلمة صغيرة ولا يترك الكنيسة الى ان تنصرف تماماً . فسر منه والده لاسيما اذ رآه مطيعاً له اطاعة كلية وراغباً في تقليده هو وأمه حينما يقومان للصلاة فكان يقف مثلها وعند حلول الصيام كان يصوم نظيرهما (١)

ولم تكن أسباب التعليم متوفرة حينئذ فاعتنى والداه بتثقيفه فعلماه القراءة والكتابة ومبادئ الدين وطقوس الكنيسة فاتقن جميعها وبرع براعة تامة أدهشت عارفه . وكان كلفاً بنوع خاص بمطالعة الكتاب المقدس فكان يقضى ليله مكباً على قراءته وكان غرامه الزائد بأمثال سليمان الحكيم ورسائل بولس الرسول وخشية من ان يعمل مطالعة الكتاب كتب آية ٢٩ من ص ٥ من انجيل يوحنا بحروف كبيرة وعلقها في صحن داره حتى اذا ما رجع من عند معلمه وجلس للاكل أو النوم ووقع نظره على هذه الآية نهض حالاً وامسك بيده الكتاب المقدس وبدأ يطالع فيه اتعماً للآية « فتشوا الكتب لانكم تظنون ان لكم فيها حياة ابدية وهي التي تشهد لي »

ومن كثرة المطالعة أصيب برمد في عينيه ومع ذلك لم ينفك يطالع الكتاب فعاب عليه ذلك أحد أقربائه بقوله « أنظر ان الاجتهاد ينيل المراد ألم تسمع القول « قيراط سمد ولا فدان شطاره » فرد عليه فوراً بقول سليمان الحكيم « يد المجتهدين تزود اما الرخوة فتكون تحت الجزية (ام ١٢ : ٢٤)

وشاهده معلمه مرة يمشي غلاماً ذا طباع رديئة فدون أمامه هذا البيت واحذر معاشره اللئيم فانها تعدي كما يعدي السليم الأجرى فرد عليه قائلاً « اني آليت على نفسي معاهداً الله ان أسعى جهدي لأرد الضالين الى سبيل الصواب حتى اكون مع غير المؤمن كأني غير مؤمن لأربح الغير المؤمن » (١ كو ٩ : ٢١)

فكتب اليه معلمه

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

(١) اقتناء ما يخص عن كتاب « غذاء النفوس في تاريخ حياة انبا باسيلوس »

فأجابه كف عن تعنيبي وسترى بنعمة الله نتيجة عملي . وما زال بالغلام
الردىء السميرة حتى قاده الى حظيرة المسيح وخلصه وانتهى الخبر الى معلمه فشكره
شكراً جزيلاً

وحدث ان والده أولم وليمة لبعض كبار القوم ففكر في ان يعمل عملاً يعجد
به الله فحمل الطعام المعد للاغنياء وذهب به الى بيوت الفقراء وقدمه لهم ولما
حان ميعاد الأكل لم يجد المدعوون طعاماً وخرجوا غاضبين بمد ان اعتذر لهم
بكلمات رقيقة فسأله والده عن جلية الخبر فأجابه ان من دعوتهم لا يحتاجون الى
طعامك لانهم يأكلونه في بيوتهم دائماً أما الذين أكلوه فهم محرومون منه
وقل ان يتمتعوا به وكتابتنا يقول « من رحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه
يجازيه » (ام ١٩ : ١٧) فقبله والده بين عينيه وقال له لقد نهبتنا من غفلتنا
ونسياننا واجباتنا من نحو الله فبكى عند ذلك ابنه بكاء شديداً وقال لوالده
« ويل لي لاني لم آت عملاً يستحق ثناء فضلاً عن ان ما عملته لم يمد لي أجر عليه
لان الكتاب يقول « لا تعرف شمالك ما تعمل يمينك (مت ٦ : ٣) وهو ما لم
أقصده قط »

قيل انه بينما كان ذاهباً الى الكنيسة يوماً وجد اثنين يتشاجران فتداخلا
بينهما ليصلحهما فضربه الظالم على وجهه لتداخله فيما لا يعنيه فبدأ المظلوم يعنف
الضارب على قسارته فقال له الطوباوي « لا تلمه فاني لا اريد ان أقابل الشر
بعنه » ثم خاطب الضارب قائلاً « ساعني اذا كنت قد أسأت اليك اذ لا يخلو
انسان من عيب مطلقاً » ثم التفت نحو الشرق وصلى صلاة طويلة وانصرف .
ولم تمض مدة حتى أتى اليه الضارب وقدم له الدراهم التي كان مطالباً بها والتمس منه
ان يعطيها لصاحبها وطلب منه ان يصفح له عما أساء به اليه

ولا يسع من يطالع مقدمة هذه السيرة الا الحكم بان صاحبها اشربت روحه
منذ الحداثة بروح الفضيلة ونما فيه الميل لترك العالم وملاذه وبينما كانت هذه
الافكار تتردد على خاطره فتح الكتاب المقدس فوقع نظره على قول الرسول
بولس « حسن للرجل ان لا يمس امرأة .. لان هيئة هذا العالم تزول .. غير
المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضي الرب واما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي

امراته « (١ كو ٧ : ١ و ٣١ - ٣٣) فرسخ في ذهنه هذا الاعتقاد ثم توجه للصلاة بالكنيسة فأعطي له كتاب « السنكسار » ليتلومنه سيرة فكانت بالصدفة سيرة القديس انطونيوس مؤسس الرهبنة فعجب لهذا الاتفاق ومن ثم انطلق الى دير القديس انطونيوس ولبس شكل الرهبنة سنة ١٥٥٩ ش ومن ذلك الحين اشرقت منه شمس الفضيلة وبانت عليه أدلة الكمال فكان لا يذوق طعاماً في الصوم المقدس الا مرة واحدة يومياً قبيل المساء وفي باقي الاصوام يصوم للمصر . وفي الايام يصوم حتى الظهر ولا يتناول الا ما يسد رمقه . وروى أحد رفقاءه الرهبان انه عند ما كانوا يجتمعون في منتصف الليل ولا يحضر معهم يجدونه ساجداً بقلايته او واقفاً يعبد وكان اذا قام احد الرهبان فجراً يجده مستيقظاً ملازماً الصلاة . وفي الصباح كان يسرع لخدمة المرضى والسيوخ من الرهبان بكل غيرة ونشاط . وذات ليلة أصيب راهب شيخ بحمى شديدة فاسرع اليه بكل فراشه واعطاه اياها ليستدفئ وبات هو يقاسي شديد البرد طول الليل

فلما انتهت اخبار فضيلته الى مجمع الرهبان رقى الى درجة الكهنوت فرسم قساً سنة ١٥٦٥ ش فزاد في التمسك بفضائله وتقانى في قمع جسده . وكان أبغض الامور اليه النخيمة والاغتياب ولذلك كتب على جوانب أودته قول السيد المسيح « يا مرأى اخرج اولا الخشبة من عينك وحينئذ تنظر جيداً ان تخرج القذى من عين أخيك » (مت ٧ : ٣ - ٥) واعقبها بنهى من يغتاب الغير وحدثان واحداً تكلم في حق آخر أمامه فرفع يده الى تلك الآية وقال للمغتاب « انقش هذه الآية على لوح قلبك وابتمد عن النخيمة والا توقع عقاب الله الشديد » وكان في جل مواعظه يبتدىء بقول الرسول « اسلكوا بالروح فلا تكلموا شهوة الجسد (غلا ٥ : ١٦) فاعترضه واحد مرة بقوله « لقد مللنا من تكرار هذه الآية فأت لنا بغيرها والا فترك الوعظ لمن هو أقدر عليه منك » فاجابه « امامنا اليبوع الحى فهلم نستقى منه جميعاً » (مشيراً الى الكتاب المقدس) وكان من عادته اذا استعصى عليه فهم آية من الكتاب يستفهم عنها من أحد الرهبان فان أفهمه شكر له فضله والا جثا أمام الله طالباً منه الارشاد وقد عمم

هذا المبدأ بين جميع عارفه

وفي سنة ١٥٦٨ ش رسم ايغومانوساً وسلم ادارة الدير ورئاسته فعمل على كل ما فيه نجاحه وترقيته فنمت الايرادات التي كان ينفقها في المنافع العمومية . ولم يكن يتأخر في ان يوقف أي انسان على ما يرد وما يصرف . وقد دخل عليه مرة احد الرهبان فوجده يبكي بحرقة ولدى السؤال أجابه كيف لا أبكي وقد مر أكثر من سنة لم أجدد فيها للدير شبر ارض إلا استحق عقاب ذلك العبد الذي أخذ الوزنة وخبأها في الارض دون ان يتجر بها ويربح (مت ٢٥ : ٢٤ — ٣٠) ولهذا عزم على الاستعفاء من رئاسة الدير لولا توسل الرهبان فبقى يارس الاعمال بهمة فائقة حتى تمكن من ان يجدد للوقف املاكاً ويجري اصلاحات عديدة .

وقيل انه سافر مرة للقاهرة لقضاء ما يحتاجه اخوانه الرهبان وكان بعض اللصوص قد سمعوا انه سيأتي من القاهرة ومعه مال فكمنوا له في الطريق ولكن الرب أضله السبيل فتاه ولبت يكابد مشقة زائدة حتى وصل الدير والرب قد نجاه من خطر اللصوص

وكانت معاملته للرهبان الذين كانوا تحت رئاسته معاملة بالغة حد اللطف والشفقة فكان يفصل في كل خلاف يرفع اليه بزوح المحبة والسلام . ولم يكن يعتبر نفسه افضل منهم ولم يميز ذاته بشيء عنهم بل كان يمسك المسكنة بيده وينظف قلايته بنفسه ويباشر ايضاً تنظيف قلاي الشيوخ والمرضى من الرهبان .

وروى ان السكر كان أشد الامور كراهة لديه واتفق انه زار كاهناً بالقاهرة فانفاه يتعاطى خمراً فلما سأله عن سبب ذلك اجابه « كل عطايا اللهصالحة اذا أخذت بشكر » فاحتمد القديس غيظاً وبدأ يفند رأيه بشدة مستدلاً بايات الكتاب المقدس الواردة بسفر الامثال ٢٣ : ٢٩ — ٣٢ و ٢٠ : ١ و ٢٣ : ٢٠ و ٢١ و بقول الرسول بولس (أف ٥ : ١٨) ووصيته للقسوس (١ تي ٣ : ١ — ٣) ثم قال له كيف يمكن الكاهن من ان يكون متحلياً بالفضائل وهو يترنح تحت تأثير السكر كالجائنين ألم يبلغك خبر ذلك الرجل الذي دفعه السكر الى ارتكاب خطيئتين

شذيعتين الاولى الزنا بابنته البكر والثانية قتل ولده فلذة كبده . وهكذا تمكن من أن يقنع السكاهن بخطا رأيه حتى قام وكسر زجاجة الخمر وتمهد بعدم العودة اليها مرة ثانية

وكانت سيرة القديس قد عبت رأتحتها في كل مكان وترنم بحسنها كل لسان فاختر مطراناً على كرسى القدس الشريف في ابتداء سنة ١٥٧٢ ش على يد البابا كيرلس الرابع وقد حاول ان يتخلص من هذا الحمل الثقيل ولكن البطريرك وأعيان الامة أزموه بالقبول فقبل وسار الى الارض المقدسة . وما كان أشد حزنه عند ما رأى مصالح الامة القبطية هناك في غاية التأخر فبذل جهده حتى جدد لها من الاملاك والعقارات ما قيمته ١٥٠ الف جنيه

ولما وجد زوار القدس ان الاقباط يكابدون المشقات في يافا لعدم وجود اما كن يحملون بها جد حتى اشترى بستاناً واسعاً تبلغ مساحته نحو العشرين فداناً في شهر بؤونه سنة ١٥٨١ ش فابتنى به كنيسة وداراً للمطرانية فاخرتين واشترى بجوارهما ايضاً قطعتين ارض جميلتي الموقع سنة ١٦١١ ش وجهز بهما كل ما يلزم لراحة الزائرين .

أما الاصلاحات التي انشأها بالقدس الشريف فلنترك كاتب سيرته صاحب كتاب « غذاء النفوس في تاريخ حياة أنبا باسيلوس » الذي نقلنا عنه السيرة يتكلم عنها قال : — « لم يكن للاقباط غير بضعة أما كن غير معنى بها فاذا رأى ذلك المطوب الذكر صاحب الترجمة عمل بما تقتضيه واجبات الراعى الحقيقي فعمد دير القديس انطونيوس الملاصق لكنيسة القيامة الشريفة حتى أضحي يشتمل على كنيسة جليلة ودار للبطريركية جميلة ونيف واربعين أودة بعد ان كان خرباً تنمق فوق جدرانها البوم والغربان . وعمر كذلك دير وكنيسة مارجرجس باذلا همه علياء على الاخص في عمل حجاب هيكلها البديع حتى أضحي نادر المثال في الاتقان والزخرفة والكمال . ثم وجه همهته السماء في تعمير باب دير الملاك المعروف بدير السلطان وذلك بعد ان استغرق وقتاً ليس بقليل في رفع الشكوى والدعوى الى الباب العالي ضد جماعة الاحباش والطوائف التي كانت تأخذ بنصرهم . وجليه الامر انه لما لم يكن لاخواننا في المذهب

الاحباش أملاك في القدس الشريف يقيمون بها تعطف صاحب التوجه وأباح لهم استيطان هذا الدير مؤقتاً ريثما يتوفق لهم بناء مكان خاص بهم . غير ان النفس الامارة بالسوء سولت لهم مقابلة الاحسان بالنكران والجود بالجحود فقاموا على ساق وقدم طالبين اغتصاب هذا الاثر المأثور قهراً . وهكذا تجاروا على اختطاف مفاتيح الدير الموما اليه في سنة ١٢٨٠ هـ باغراء ومساعدة قناصلي وسفراء دولتي انكاترا وفرنسا وغيرهما من بقية الدول . فاذ رأى الانبا باسيليوس هذا الاعتداء وقف كالبطال الصنديد يكافحهم ويعارضهم بقلب كالحديد وأخيراً وقع الامر الى الصدارة العظمى فصدرت الارادة السنية بتاريخ ١٢ جمادى الاخرى سنة ١٢٨٠ هـ نمرة ١٩٢ باعمال مفاتيح جديدة للدير وتسليمها للمترجم به . وهذا الامر قيد بالديوان الهياوني السلطاني كما هو واضح به

ولم تكن هذه المساعي المترادفة لتوقف الاحباش عند حدهم اذ عادوا في سنة ١٦٠٩ ش الى طنبورج الاول يضربون عليه مدعين ان دير السلطان الموما اليه ملك حلال لهم وساعدتهم على هذه الافتراءات سفير الحكومة الايطالية فسير الروسية بالاستئانة العلية . فقام الانبا باسيليوس تلقاء ذلك واستغرخ قواه ومعظم جهوده في ردعهم عن غيهم فرفع شكواه تلمغرافياً لجلالة مولانا السلطان عبدالحميد خان (الخليفة حينئذ) ولجانب الصدارة العظمى ولنظارة العدلية الجليلة واسعادة متصرفه القدس الشريف وأتاب عنه رسمياً حضرة الفاضل ارمانوس بك حنا الذي كان وكيلا لدائرة الخديوي الاسبق بالاستئانة في رفع معضلات المسألة لتعامات العالية

ثم عزز هذه المساعي بارسال خطاب لسعادة الحازم بطرس باشا عالي ناظر الخرجية المصرية يشير عليه بتوسط سمو خديوينا الحالي (عباس باشا يومئذ) في مخابرة الباب العالي بصد تيار المطامع الاجنبية عن حقوق الطائفة القبطية . ولما اشتهر به سعادة الوزير المشار اليه من الفيرة التامة على صالح الامة لم يدخر وسعاً في القيام بهذه المهمة وفق المرام فتخبر سمو خديوينا المعظم مع مولانا السلطان العظيم الشأن في ١٠ جمادى الاخرى سنة ١٣١١ هـ نمرة ١٠ بطلب حفظ حقوق الاقباط الظاهرة للعيان من قديم الزمان والوقوف في طريق من يريد

اغتناب شيء منها

وفي هذه الاثناء أقلقته أفكاره (المترجم) وتراكت عليه الهواجس حتى اعتراه الارق خوفاً من عدم نواله أمنيته وحبوط مساعيه فعول على ارسال جناب القمص ميخائيل الشبلانجى وكيل وقف القيامة وقتئذ (الذى تنصب فيما بعد مطراناً للكرسى خلف السعيد الذكر) الى الاستانة وناهيك عما أودعه له من التوصيات اللازمة بوجوب بذل الجهد بالنفس والنفيس لصد هجمات ومطامع الاجانب وقد كان وتوجه وعند وصوله اجتمع بسعادة الفاضل ارمانىوس بك حنا وكيل دوائر اسماعيل باشا الخديوى واخبره عن الغاية من مجيئه فأتحدا كلاهما وشعرا عن ساعد الاجتهاد بغية نوال المراد فقدا عرائض الاسترحام للحضرة الشاهانية فصدر الامر السامى من جانب الصدارة العظمى الى متصرفية لواء القدس الشريف بتاريخ ٦ كانون الثاني سنة ١٣٠٩ هـ مالية نمرة ٣٠ (١١ طوبه سنة ١٦١٠ ش) مؤيداً ومثبتاً أحقية تصرف الاقباط بدير السلطان المذكور . وقد بنى الامر المشار اليه على المضبطة المقدمة من مجلس ادارة لواء القدس الشريف . وذلك بعد ان أقام جناب القمص الموما اليه بالاستانة العلية أربعة شهور واصل فيها الليل بالنهار سعياً واجتهاداً في تنفيذ وصية معلمه ولم يغادرها الا بعد الحصول على الامر المذكور آنفاً . وبالاجمال فان صاحب الترجمة بذل من الهمة أقصاها ومن الغيرة منتهاها في حفظ حقوق الطائفة الى ان توصل لتحقيق كل او بعض آمانه ولم يبق الا ان سوى انتهاز فرصة مناسبة للاستيلاء التام على الدير الذى اكتسب شهرة عظيمة لالتصاقه بكنيسة القيامة المجيدة واقامته على سطح المغارة التي اخرجت منها الملكة هيلانه عود الصليب الذى صلب عليه رب المجد

وقد كان للاقباط مكان بجوار دير السلطان اتصل اليهم بحسن مساعى المرحوم ابراهيم الجوهري فاستولى عليه الروسيون بطرق غاية في الغش والخداع ابتدعها جبران غرغور ترجمان قنصلاتو روسيا بالقدس وأدخلها على المرحوم القمص جرجس وكيل الوقف آنئذ . ونظراً لاهمية هذا المكان وقربه لكنيسة القيامة أخذ المطوب الذكر انبا باسيلىوس يكثّر من التحرير لجلالة قيصر الروس بالتماس رده الى ذويه فلم تقابل وباللاسف هذه الطلبات العادلة بما تستحقه من الاهتمام

ولا مرء فالحق في جانب القوة . وقد قام الروسيون من نحو العشر سنوات وشيدوا في هذا المكان كنيسة هي وأيم الصدق آية في الاتقان

كل ذلك لم يثن عزم الفقيه ولم يقلل من همته فبذل أقصى مجهوده حتى تمكن من احاطة هيكلنا القائم على قبر المخلص له المجد بسياج من حديد وزخرفه بجميل الاواني وأنفس المقوشات . ثم أخذ بعضاً من الآثار التي أقامتها الملكة هيلانه وضمها الى بوايك دير القديس انطونيوس . كل ذلك قام به رغماً عن ارادة أبناء انطوائف الاخرى الذين طالما وقفوا في طريقه حجرة عشرة محاولين اغتصاب هذه الآثار المقدسة طمعاً في ضمها الى املاكهم

ثم اشترى محلاً يسمى « المصبنة » بالقدس الشريف وأعدده لسكنى ابناء الطائفة المقيمين بتلك الجهة اه .

ولم تحرم كنائس ابروشيته بالقطر المصري من ثمرة همته فاصلح الكثير منها وجدد عدة بيوع ولبث مواصلاً جهاده وعمله حتى أقعده مرض عضال أصابه قبل وفاته ببضع سنوات فعين له الآب القمص ميخائيل الشبلنجي (الانبا تيموثاوس مطران القدس الآن) ليكون اسقفاً ووكيلاً للكرسى الاورشليمي مدة حياته وخليفة له بعد مماته

ومع اشتداد المرض على الانبا باسيلIOS لم يكن يهمل السؤال عن رعيته وما يتعلق بها حتى يوم ١٥ برمهات سنة ١٦١٥ ش اذ شعر بألم في جنبه الايسر فصار يخاطب الله بما في مز ١١٨ : ٢٥ « آه يارب خلص آه يارب انقذ » ولم ينقطع عن اللهج بآيات كتاب الله الى يوم الاحد ١٨ برمهات من تلك السنة حيث أسلم روحه في يد مخلصه وانضم الى آبائه . وما وصل نبأ نياحته الى امته حتى ناحت وبكت عليه جميعها وأقيمت له حفلات تأبين في أشهر مدن القطر

(٣) الانبا ابراهيم اسقف الفيوم . ولد هذا الحبر الكامل

سنة ١٥٢٥ ش و ١٨٢٩ م بقرية دلجا بمركز ملوي بمديرية اسيوط من ابوين فاضلين تعلم منهما محبة الفضيلة وشهد له بها امام الانبا يوساب اسقف صنبو فرسمه شماساً ولما بلغ التاسعة عشرة انطلق الى دير العذراء بالمحرق ولبث مدة

تمت الاختبار حتى أقر عليه جميع الرهبان فرسم راهباً باسم بولس غبريال
المحرقاوي .



« الانبا ابرآام اسقف اليوم »

وكان رئيس ذلك الدير حينئذ رجلاً فاضلاً يدعى القمص عبد الملك الهوري
فأعجب باخلاق الراهب بولس السامية ومدحه على وداعته وتواضعه وملهارة
سيرته واقتداره على ضبط نفسه ومواظبته على الصلاة منفرداً بالأموال التي جعلت

له مركزاً عالياً في نفوس الرهبان فأحبوه حباً جماً
وسمع اسقف المنيا اذ ذاك وهو الانبا ياكوبوس بتقوى هذا الآب وفضيلته
فاستدطاه اليه وسلمه ادارة الاسقفية وكلفه بملاحظة الغرباء والمساكين الذين
يلجأون الى القلاية فقام بخدمتهم خير قيام ومن ثم رسم قساً . وبعد زمن تآقت
نفسه الى الرجوع للدير فرجع وكان الرهبان قد طلبوا عزله ورئيسهم لانه لم
يكن يدخر من ايراد الدير شيئاً واتفقت كلمتهم على اختيار القس بولس رئيساً لهم
فتقدم الدير في مدة رئاسته اذ سعى جهده في تحسين احواله الداخلية والخارجية
ففرس به كروماً ورسم ما تهدم منه واشترى له اطيافاً وانتظمت احواله حتى اقبل
السكثيون على اعتناق طقس الرهبنة تحت رئاسته الى ان رسم مرة في دفعة
واحدة اربعين راهباً منهم الانبا بطرس مطران تغريا بالحبشة والانبا متاؤس
مطران الحبشة والانبا مرقس مطران اسنا والانبا باخوميوس اسقف الدير
المحرق .

واتصل خبر شهرته بالاحسان وعمل الخير الى آذان الفقراء والمساكين فلجأوا
الى الدير أفراداً وجماعات وهو يعتني بهم اعتناء زائداً ويظهر ان سروره وراحته
في خدمتهم . ولبت خمس سنوات في خدمة الدير وهو يقوم بهذه الخدمة
فاعترض عليه الرهبان وحذروه لئلا يأول ذلك الى خراب الدير ولكنه استمر
يعتني بكل اللاجئيين اليه حتى زاد عددهم عن الرهبان . فقام هؤلاء طالبين عزله .
وكان الانبا مرقس مطران البحيرة في وكالة كرسي البطريركية فاضطر ان يوافق
الرهبان ويمزله القس بولس ويخرجه من الدير فتركه مشيحاً بدموع البائسين
ورافقه الى البطريركية بعض تلاميذه المخلصين منهم الانبا متاؤس مطران الحبشة
وقابل المطران فارسله الى دير الانبا بشوي مع اولاده الرهبان فلم يبق به طويلاً
وذهب الى دير البرموس حيث كان رئيسه القس يوحنا الناسخ (وهو غبطة البابا
كيرلس الخامس) فقبله مرحباً به فانقطع في قلايته الى العبادة ومطالعة الكتاب
المقدس حتى حفظ أغلب نصوصه غيباً وقال بعض الرهبان انه كان يطالع الكتاب
كل ٤٠ يوماً ولم يكن يتحصل على قليل من المال حتى يتصدق به على
المحتاجين .

وفي سنة ١٥٩٧ ش و ١٨٨٨ م أختير اسقفاً للقيوم بدون علمه وذلك ان ملك الحبشة ارسل يطلب من غبطة البطريك ان يقيم للجيشة ثلاثة اساقفة ويوفدهم اليه فرسم له القمص اقلاديوس الخالدي (الانبا متاؤس) والانبا لوكاس والانبا بطرس وكان هؤلاء قد لازموا معلمهم القس بولس ولما رأوا ان كرسي القيوم قد خلا بعد نياحة اسقفها الانبا ايساك أبوا ان يتركوا الدير مالم يقيم معلمهم اسقفاً على القيوم فاجاب غبطة البابا طلبهم ورسم القس بولس باسم الانبا ابرآم وسار لاستلام مركزه الجديد وبمداستلامه بقليل فاح عبر فضله وانتشر صيت قداسته في كل مكان . فأم دار اسقفية كثيرة من كل طبقة فكانوا يجدونها ملاءى بالفقراء الذين كانوا يلجأون اليها بالمشات والألوف فكان يهبهم كل ما يكون لديه من المال . وقد جعل بدار الاسقفية مأوى لكثيرين منهم وطالما كان يقدم ثيابه للعرايا وطعامه للجياح ولما رأى منه ذلك الزائرون رتب كثيرون منهم على انفسهم عوائد يقدمونها لهذا الأب لينفقها على اولئك المساكين .

ولم يكن يسمح قط هذا القديس بان يقدم له طعام أنفر مما يقدم للفقراء ويبدل على ذلك ان راهبة تدعى بسيمة رئيسة راهبات دير مار جرجس بحارة زويلة كانت ممن وقعوا على عزل غبطة البابا الانبا كيرلس الخامس ولما رفعت من وظيفتها لاذت بالانبا ابرآم فشفق عليها وأقامها لتدير مائدة المساكين واشترط عليها ان لا تميز بين أكلهم وأكله واتفق مرة انه نزل ليفتقد جماعتهم وهم يتناولون طعامهم فادهم ان لاحظ ان الطعام الذي قدم اليه في ذلك اليوم كان أكثر تأنقاً مما وجده أمامهم فساوره الحزن وأقال الراهبة الموكلة بخدمة الفقراء من عملها في الحال فأصيبت بالشلل بعد ذلك بقليل

وذات يوم طلبت منه امرأة فقيرة احساناً ولما لم يجد مالا أعطاها شالا حريراً أهدي اليه لتبيعه وتنفقه على حاجتها واتفق ان صاحب الشال شاهد المرأة وهي تبيعه فاشتراه منها وأعاده اليه ورجعت المرأة معه تشكي من قلة المبلغ فطلب الأب من المحسن ان يعطي المرأة عشرة جنيهات لتسد اعوازها فأطاع وأعطاها .

ومرة أخرى جاءت إليه امرأة تستنديه ولم يكن معه سوى جنبيه واحد فأعطاه لها واذ علم وكيل الدير بالأمر أسرع خلف المرأة وأخذ منها واعطاها ريبالا فرجعت المرأة الى الآب وقصت عليه الخبر فوبخ الوكيل لاسيما لما أخبره انه ليس بالاسترقية شيء ولا مه على عدم ايمانه وطلب منه ان يعطى المرأة ما اخذه منها ولم يمض القليل حتى وردت بالبوسنة نقود وغلال

وجاء يوماً الفقراء يشكون من ان الطباخ استعاض لهم مرتبهم من اللحم بقطع المعظم فاراد أن يتحقق الأمر بنفسه . فنزل ليلاً وقت العشاء متخفياً وانس بين الفقراء كأنه منهم وتناول معهم نصيبه من اللحم واذا به قطعة عظام فقام في وجه الطباخ وأشهر العظمة بيده وعنفه تعنيفاً شديداً وعزله من وظيفته وقيل انه فقد بصره بعد خروجه من عنده

ومما يدل على اقتران تقواه بعلمه انه جاء يوماً بعض أشخاص طلبوا للمسكورية يلتمسون منه ان يدعو لهم باطلاق سراحهم فدعا لهم وأطلق سراحهم وجاءه بعدهم آخرون وطلبوا منه نفس الطلب فاجابهم اذا كان الجميع يريدون الاستعفاء من خدمة الحكومة فمن الذي يوكل بحراسة الامن وصرفهم

وكان من عاداته ان يلقي على زائريه دائماً نصائح وتعاليم وعظات تنبئ باتساع مداركه في معرفة أسفار الكتاب كما انه كان يقضى وقته كله اثناء زيارته لبلاد ابروشيته في القيام بالوعظ وتوحيد القلوب ونزع الضغائن . وكان اذا طلب منه أن يرسم كاهناً يبحث عن سلوكه وآدابه ويدقق طويلاً في اختبار أحواله

ومع امتداد شهرته ووصول صيته الى كل سمع لبثت فضيلة التواضع تزينه طول حياته حتى انه لما استدعاه اليه غبطة المطريرك ليرفعه الى درجة المطرانية جزاء فضله امتنع عن القبول ورد عليه يقول « اني أحب ان أكون دائماً حقيراً في ملكوت الله »

ومن صفاته أيضاً انه كان صريحاً الى أقصى حدود العراحة في ابداء رأيه ولا ينظر في ما يقول الا الى الحق لذاته فتتضائل عنده هيبة العظماء ومقامات الكبراء أمام هيبة الحق وجلاله حتى كان الآباء المطارنة والاساقفة يتقون غضبه ويتمنون رضاه . ومن ذلك انه حدث مرة ان عاب رئيس كنيسة قبطية

أحد المطارنة فانمقد مجلس كنسي لمحاكمته وطلب من المطران ان يصنع عن
السكاهن فأبى فالتفت الانبا ابرام الى المطران وقال له اظنك تعرف الصلاة
الريانية فأرجوك تلاوتها فأخذ يتلوها حتى وصل الى القول « واغفر لنا ذنوبنا
كناغفر للمذنبين الينا » فقاطعه القديس وقال له اذا كنت تعتقد بصحة ما تصلي
به فقم وصادف أخاك وقبل رأسه والا فأنت تكذب على الله عند ما تتلو صلاتك
فلم يجد المطران مناصاً من مسامحة من أساء اليه

وحدث ايضاً ان قساً قبل في كنيسة أسقفاً جرد من رتبته الكهنوتية
فمقد جمع لمحاكمته وأقر الجميع على ادانته ولما طاب من الانبا ابرام ابداء رأيه
اجاب « ان القس لم يعمل الا ما أمر به السيد المسيح من اضافة الغرباء ومحبة
الاعداء » وكان أحد الباشوات حاضراً فقال له « ولكن هيئة المجمع ترى اذانة
القس » فاجابه « ولماذا اذا دعوتهموني اذا لم تكن لي الحرية في ابداء رأبي »
فنبه الحاضرون الى انه يكلم فلاناً العظيم فاجابهم « أهو أعظم من الله الذي سمح
لمعد من عبده موسى ان يكلمه » ثم اخذ يدافع عن القس حتى اقنع
الجميع ببراءته

وفوق هذه الصفات جميعها التي تحلى بها هذا القديس فان الله قد وشحه بنعمة
أعظم وهي صلاة الايمان الأمر الذي اشتهر به وبواسطته جرت على يديه آيات
عشاء عديدة حتى ذاع اسمه في جميع انحاء القطر وبلغ بعض مدق اوروبلا ايضاً
فكان يقصده المرضى افواجاً على تباين اديانهم

وتتداول الالسنه من تلك المعجائب التي اجراها الشيء الكثير فمنها انه
شفى امرأة مسلعة من بلوط (بمديرية اسبوط) من مرض العلل التي عطل
جسمها ولسانها وبعده ثلاثة ايام لزيارته وصلاته عليها شعرت بالقوة تدب في جسمها
وقامت بكل صحة . وحدث ان امرأة لرجل بروستانتى لم تكن ترزق بنسل
نذرت ان اعطاها الله ولداً تعمد به بيد الانبا ابرام فلما اعطيت نسيت العهد
فشاهدت ليلة رؤيا بهيئة قسيس بلباس ابيض وبيده صليب فخافت على ولدها
وتممت النذر

وفير هذه الحوادث كثير . اما عجائبه في اخراج الشياطين فلا يحصيها المد

وبالجملة فقد شرفه الله بهذه الموهبة الخارقة للعادة فوجد اسمه ورفع شأن ديانتة .
وظل الانبا ابراهيم قائماً باعباء وظيفته حتى لحقه مرض في بطنه سنة ١٦٣٠ ش
وكان يشتد عليه في كل يوم وهو يتحمله بصبر وشكر حتى وهو في عنف المرض
لم يكن يسمح لنفسه بشيء مما تشتهي وقيل انه حينئذ تاق الى اكل الحمام وطلب
منه شيئاً فاحضر اليه ولكنه ابقاه عنده ثلاثة ايام حتى اُتت وتصاعدت رائحته
الكريهة ومن ثم وضعه امامه وقال مخاطباً نفسه «ها قد اجبت لك سؤلك يا تقسى
فكلى مما ستصيرين أنتن منه » وبعد ذلك طرحه

وانتقل الانبا ابراهيم الى السماء في شهر بؤونه سنة ١٦٣٠ ش وفي ١٠ يونيو
سنة ١٩١٤ م فشيعة الى القبر عشرة آلاف نفس من المسيحيين والمسلمين ودفن في
منامة أعدها لنفسه بكنيسة ابي سيفين

(٤) الابنغومانوس فيلوثاوس ابراهيم . ولد بطنطا سنة ١٨٣٧ م

وبعد أن درس العلوم في المدارس وأتقن اللغات القبطية والعربية والاطالية
عين قسيساً لطنطا سنة ١٨٦٢ م فانكب على كتب اللاهوت يطالعها حتى برع في
الوعظ فانتشر اسمه في كل جهات القطر . وبعد ما رفع الى رتبة ابغومانوس سنة
١٨٦٥ م طلبه البابا ديمتريوس ٢ ليرافقه في رحلته بالوجه القبلي سنة ١٨٦٧ م
فاظهر مقدرة فائقة في الخطابة حتى رد كثيرين للكنيسة ممن تذهبوا بالمذاهب
الحديثة .

وفي اكتوبر سنة ١٨٧٤ م انتخبه المجلس الملي راعياً وواعظاً للكنيسة
الكبرى ورئيساً لمدرسة أنشئت خصيصاً للرهبان فايدى مادل على اقتداره وما
رفع مركزه في عيون الامة ولبت يخدم الى ان توفاه الله في ١٠ مارس سنة ١٩٠٤ .
وله المؤلفات البليغة الاتية التي دافع في بعضها دفاعاً مجيداً عن عقائد كنيسة
ضد المتهمين عليها من الباباويين وهي (١) تفح العبير في الرد على البشير (٢) الحججة
الارثوذكسية ضد اللهجة الرومانية (٣) تنوير المبتدئين في تعليم الدين (٤) كتاب
خطب ومواعظ (٥) الخلاصة القانونية في الاحوال الشخصية

القسم الثالث

المملوكه والكنيصة

○○○○○○

- (١) يوسف باشا الصدر الأعظم (٢) محمد علي باشا (٣) سميد باشا
(٤) الاحتلال الانكليزي (٥) الحالة الحاضرة

.....

(١) يوسف باشا الصدر الأعظم . وقع المسيحيون وعلى الخصوص
الاقباط منهم في آلام مرعبة في زمن ولاية يوسف باشا الصدر الأعظم سنة
١٨٠١ م فكانت الجنود التركية تجول في احيائهم وتدخل بيوتهم مواصلة السلب
والنهب والفتك بين آن وآخر . وقتل يوسف باشا ثلاثة من أعيان الاقباط بدعوى
انهم كانوا من أنصار الفرنسيين وأخذت أموالهم وممتلكاتهم ففر كثيرون
من الاقباط من أمام وجه الاتراك ووضع هؤلاء غرامة عليهم بصفة فدية
عن انفسهم .

(٢) محمد علي باشا . وقد تولى محمد علي باشا زمام الاحكام في مصر سنة
١٨٠٥ م وقد أخذ يمتدل ميزان الزمان بالاقباط فصاروا يتدرجون في الحصول
على السلام والطمانينة ولم تقع بهم الا اضطهادات خفيفة فمن ذلك انه فرض عليهم
غرامة تقدر بمائتي الف ريال ليصرف منها محمد علي باشا مرتبات جنوده وأمر اثنين من
كبار الاقباط الكاثوليك وهم المعلم غالي وورثة فيكتور وكيل دائرة عثمان بك
البرديسي الذي مات وقتئذ بان يدفعوا من المبلغ ثمانين الفاً والباقي يدفعه الاقباط

الارثوذكس

ولما كان محمد علي رجلاً بعيد النظر رأى احتياجه شديداً لمساعدة المسيحيين نظراً لامانتهم أكثر من المسلمين فاستخدم منهم كثيرين من الارمن والكاثوليك ولم يرغب في استخدام الاقباط خوفاً من ان يزداد نفوذهم وتتقوى شوكتهم فيقاومونه باعتبارهم أصحاب البلاد منذ القديم . الا انه أمر بإبطال الاضطهادات ومنع كل تعد بل كان يعاقب عقاباً شديداً من كان يعرف عنهم انهم يدعون الى الفتنة الدينية ثم كتب العلامة السيد اسماعيل الوهبي رسائل مؤيدة بآيات قرآنية مضمونها لزوم الكف عن اضطهاد النصارى والاعتذار عنهم بان الحامل لهم على تداخلهم مع الفرنسيين حماية أعراضهم وأموالهم

وشعر محمد علي انه من المستحيل الاستغناء عن الاقباط وكانت ثقته بهم قد تزايدت نظراً لميلهم الى الهدوء والسكينة فوزع خدمة الوطن على أهله كل بما له من الاهلية وخص القبط بما امتازوا به من الاعمال الحسابية وضبط الإيرادات والمصروفات حتى قال أحد الانجليز الذي حضر الى مصر في أيامه ساححاً في تقرير رفعه الى رئيس مجلس وزراء انكرا وعرض على البرلمان « ان الاقباط للقلم بمثابة المحراث للفلاح »

ولا تساع مصالح البلاد على يد محمد علي كثر عدد الموظفين الاقباط فأخذ نفوذهم في الامتداد وأصبح بينهم وجهاء كثيرون . قيل وكان تعداد الاقباط قليلاً جداً في ذلك الوقت حتى انه لما أراد محمد علي أن يحصر تعدادهم وجدهم ١٥٠٠٠٠ نفس فقط ولكن عمال التعداد نسوا حارة من القاهرة وهذا أقل عدد وصل اليه الاقباط بعد ان كانوا يعدون بعشرات الملايين في مصر والسودان . الا انه في سنة ١٨٥٥ م قد أحصاهم البطريك فوجد عددهم لا يقل ولا يزيد عن ٢١٧٠٠٠ نفس بينما كان كل تعداد سكان القطر المصري في ذلك الحين خمسة ملايين من النفوس

وفي يوم ١٧ برمهات سنة ١٥٦٠ ش و ١٨٤٥ م قضى على قبلى بدمياط يدعى سيدهم بشاي كان موظفاً بالاسكندرية في وظيفة كتابية فادعى عليه بعضهم زوراً انه سب الدين الاسلامي وشهد عليه اثنان احدهما بربري والآخر

حمار وبناء على ذلك حكم القاضي الشرعي بجلده فضرب بشدة عظيمة ثم اركبوه
جاموسة مقلوباً وطافوا به البلد وهم ينخسونه بالابر والاسياخ الحديدية ويلطمونه
بالزفت المغلي حتى وقفوا به امام دار المحافظة وهو على حافة الموت
وبعد ذلك حملوه الى منزله فانكفأ أمامه وأخذ أهله فمات بعد خمسة ايام .
أما المسيحيون على اختلاف مللهم ونحلهم فقد اعتبروا موته استشهاداً واجتمعوا
واحتفلوا بتشجيع رفاقه احتفالاً لم يسبقه نظير . ولبث الناس مدة يتحدثون
بمظاعة هذا الامر وقرر المسيحيون رفع مظالمهم لقناصل الدول ليعرضوا أمرهم
على محمد علي باشا وكان أحدهم الخواجا ميخائيل سرور معتمداً لسبع دول فرفع
تقريراً وافياً بما حصل للخديوي الذي بعد ان وقف على الحقيقة أمر باعادة التحقيق
بالدقة المتناهية فاسفر عن ادانة القاضي والمحافظ فجامعهما من وظيفتيهما ونفاها
ثم خاطب ميخائيل سرور بما تم فطلب منه ترضية للخواطر ان يسمح للمسيحيين
برفع الصليب جهاراً أمام جنازاتهم فسمح الخديوي بذلك في الاسكندرية . أما
في مصر وغيرها من البلاد فلم يسمح لهم برفع الصليب أمام الموتى الا في عهد
الابا كيرلس الرابع .

(٣) - عمير باشا . ولما تولى مصر عباس باشا الاول سنة ١٨٤٩ م عزم
على تقليل نفوذ الاقباط من الدواوين فاختار اربعة من طلبة المدارس الاميرية
وسلم كل رئيس ديوان واحداً منهم ليعلموهم مسك الدفاتر ويمر نوحهم على الاعمال
الحسابية . ثم صمم على طرد الاقباط من البلاد اذا ابوا الاسلام فساد بينهم الخوف
والذعر غير ان المنية عاجلته بالقتل وبذا تخلص الموظفون الاقباط من هذه الورطة
التي كانوا يحسبون لها حساباً عظيماً حتى ان بعضهم لما مضى عليه شهر أو شهران
وتحقق في تلميذه عدم الميل للتعلم قال انه لم يبق من عمره سوى عشرة أشهر
وهكذا كل ماضى عليه شهر آخر فكان يتوقع الموت على الدوام ويستعد له
وتولى مكانه سعيد باشا سنة ١٨٥٤ م وكان الاقباط قد انتهوا الى حالة يتمكنون معها
على المعيشة مع مواطنيهم المسلمين الا انه حظر عليهم استعمال السلاح منذ قاموا
بالدفاع عن انفسهم تحت قيادة الجنرال يعقوب . وكانوا ممنوعين من التجند

خوفاً من خيانتهم للجيش الاسلامي الا ان سعيد باشا أصدر أمراً بضرورة تجنيدهم فاتخذ ذلك بعض المسلمين آلة لاضطهادهم فقبضوا في اسبوط على كل الذكور في أغلب البيوت القبطية وساقوهم للمسكرية ولم يتركوا ولا واحداً منهم لاحالة النساء والاولاد

وكان قواد الجيش المسلمين يستبدون بالعساكر الاقباط ويعاملونهم بقساوة ليعتنقوا الاسلام . فلما رأى ذلك البابا كيرلس الرابع شكى أمرهم الى ذوي النفوذ من موظفي الانكليز في مصر فأرغم سعيد باشا على اعفاء الاقباط من الخدمة العسكرية . قيل وكان ذلك سبب غيظه من البطريرك وسمه اياه . وقد عرض الفرنسيون على البطريرك استخدام نفوذهم في مساعدته بشرط ان يصدر أمراً لملك الحبشة ليصرح بدخول اليسوعيين الى بلاده فرفض مساعدتهم وبعد موت البطريرك صارت الحكومة تطرد مبعوثات من موظفي الاقباط

وكان سعيد باشا قد ألغى في أيامه دواوين الحكومة ومصالحها واعطى لمستخدميها المستغنى عنهم اطمينا ليزرعوها ويعيشوا منها غير انه لما تولى اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ م واعاد الدواوين والمصالح واستخدمهم فيها أخذ منهم الاطيان

(٤) الامتثال الانكليزي . وفي ايام توفيق باشا الذي خاف اسماعيل

باشا سنة ١٨٧٩ م حضر وفد من قبل ملك الحبشة يحمل هدايا نفيسة للاخديوي والبطريرك ويطلب من توفيق باشا استمرار العلاقات الودية بينه وبين حكومة مصر . وفي سنة ١٨٨٢ م حدثت ثورة عرابي باشا وقام رعاي الاسكندرية بمذبحة عظيمة قاصى فيها المسيحيون كل انواع العذاب فلجأ الاجانب منهم والوطنيون الى بطريركية الاسكندرية وهاجر كثيرون منهم الى داخل البلاد

وفي اثناء ذلك حدثت ثورة المهدي بالسودان وقبل استيلائه عليه تركه النصراني وأووا الى القطر المصري واسقف الخرطوم وبعض الكهنة الذين لم يتمكنوا من الهرب ارغموا على اعتناق الاسلام

وروت مدام بوتشر ان الجنرال غوردون سنة ١٨٨٥ وجد باقياً بالسودان اسقف قبطي من الكنيسة المصرية وكان في ابروشيته سبع كنائس ودير

للاهبات وبعث الجنرال غوردون الاسقف بامان الى القاهرة قبل سقوط مدينة
الخرطوم في أيدي الدراويش وبعد ذلك اعتزل الاسقف الخدمة الدينية ولا
ريب ان رعيته وكنائسه ذاقوا الويل في عهد المهدي وتوفي الاسقف سنة
١٨٩٧ م .

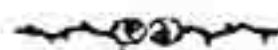
(٥) الحالة الحاضرة والاقباط الآن في رغد ونعيم وهم في راحة لم
يفوزوا بمثلها في عصر من العصور وكثيرون منهم من ذوي الخيثيات والمقامات
الرفيعة في البلاد . ولما قامت الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ م انضموا لمواطنيهم
المسلمين طالبين استقلال البلاد فقدر لهم مواظونهم هذه الوطنية العالية واصبح
العنصران في حالة تأخ لم تتم في وقت غير هذا . أما عددهم فيبلغ مليوناً واحداً
يقيم الآن ثلاثة ارباعه بالوجه القبلي وباقيه في الوجه البحري . والاقباط
الارثوذكس فقط يبلغون ٧٥٤٧٧٨ نفساً . المتعلمون منهم ١٤٦٧١٦ وعدد
عائلاتهم ١٢٦٥٠ عائلة

القسم الرابع

البرع والانشاق

.....

(١) الارساليات الكاثوليكية (٢) الارساليات البروتستانتية



(١) الدراسات الطائفة الكاثوليكية - فصلنا آنفاً للمساعي المتواصلة التي بذلها

اساقفة الكنيسة الرومانية لاختضاع الكنيسة القبطية لهم وكيف فشلوا في كل ما سعوا . ولما احتل الفرنسيون مصر من سنة ١٧٩٨ - ١٨٠١ م دخل بدخولهم كثير من الافرنج ولم يتركوها بعد خروج الفرنسيين بل لبثوا يتمتعون بحماية فرنسا . ولما تولى محمد علي باشا مصر سنة ١٨٠٥ - ١٨٤٨ م استخدم من هؤلاء كثيرين في مصالح عديدة وتتابعت الرسائل اللاتينية من فرنسيسكان وفرير وجزويت لبث المذهب الروماني ولكنهم لم ينجحوا

وذكر في كتاب « نوابغ الاقباط ومشاهيرهم » ج ١ : ١١٧ ما يأتي : -
« قد سعى في ايام محمد علي باشا بضم كنيسة مصر الى كنيسة رومية لان التنظيمات الجديدة التي صارت في مصر كانت بواسطة رجال فرنسا وعلماؤهم فلما رأى محمد علي باشا نفسه مغمورة بجزيل معروفهم رام ان يقابلهم بمثله واذا احتار فيما يقوم به نظير ذلك نصحه أحد قواد الجيش وكان بابوياً ان يسمى في ضم نصارى مصر الى كنيسة رومية فيجد بذلك الافرنج فعلاً جيلاً ومعروفاً يوازي معروفهم فاستدعى المعلم غالي الذي كان كبير الكتاب آنشد وامره ان يفعل ذلك فوقع في حيص بيص وخاف من وقوع الفتن بين الطائفة فاجاب الباشا قائلاً « ان استمالة الطائفة جميعها الى مذهب كنيسة رومية دفعة واحدة لا تنتهي بدون قلاقل وسفك دماء كثيرين فترى الاحسن ان يكون ذلك بسياسة وتدريب وذلك انما نعتنق نحن اولا المذهب الباباوي بشرط ان لا نكره على تغيير طقوسنا وعوائدنا الشرقية وبذلك يمكن ان تميل افراد الطائفة رويداً رويداً فقبل الباشا هذا الرأي الأخير واخبر الافرنج ففرحوا وشكروا فعله فانقلب من ثم المعلم غالي وابنه باسيلوس بك ورهط قليل من اشياعهما في مصر واخيم باباوين بالظاهر وهم يضمرون انهم بعد حين يعودون الى حضن كنيستهم . ومع ذلك ما زالوا يعتبرون كهنة الارثوذكسين حق الاعتبار ويعمدون اولادهم عندهم » اه .

غير أن كثلركة المعلم غالي لم تأت بنتيجة فنبذ وأهله من الارثوذكسين

ولم يتبعه أحد منهم . وأرسل المعلم غالى قبطياً من قبله الى اسقف رومية ليعينه بطريركا على مصر يكون هو واتباعه خاضعين له كل ذلك ارضاء للفرنساويين وتقرباً منهم ليحفظوا له مركزه في الحكومة المصرية ويخلصوه من المغارم بيد ابن محمد على باشا ادرك خطورة هذا الامر في ما بعد وعده تثبيتاً لقدم الافرنج في مصر وعلم ان كثلثة المعلم غالى كانت للغرض الموما اليه فكان ذلك من جملة الاسباب التي دعت الى قتل المعلم غالى بزقتى في اوائل مايو سنة ١٨٢٢ م ويعرف اتباع المعلم غالى التابعون الآن للمذهب الروماني « بالاقباط التبع » واطلقوا على انفسهم اسم « الاقباط الكاثوليك » والحقيقة ان لفظة كاثوليكية ومعناها « جامعة » هي احدى علامات الكنيسة الارثوذكسية الاربع التي هي « واحدة . مقدسة . جامعة . رسولية » وسميت الكنيسة « جامعة » لانها تضم في حضنها جميع الامم بدون استثناء كقول السيد المسيح « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم » (مت ٢٨ : ١٩) اما الكثلثة اصطلاحاً فهي التبع للمذهب اللاتيني ومن ثم فالتبطل الكاثوليكي هو التابع لكنيسة اللاتين الرومانية الفاقد لاستقلاله الديني (١)

واول بطريرك اقيم على الاقباط التبع هو كيرلس مقار سنة ١١٩٩ م وحال رسامته بدأ ينشر المنشورات متطاولا فيها على المقام البطريركي الجليل داعياً أبناء الكنيسة القبطية الى الانضمام لاسقف رومية ثم طاف في الوجه القبلي يث افكاره ويزعج الخواطر بتعاليمه فاضطر البابا كيرلس الخامس الى مقاومته وردعه فخرر منشوراً يحذر فيه ابناءه من الاتقياد طوؤلاء القوم مذكراً اياهم بجهاد آبائهم في حفظ ايمانهم ودفاعهم عنه الدفاع الجليل الذي رفع شأنهم وخلد ذكرهم فبأه كيرلس مقار بالخيبة اذ لاقاه ابناء الكنيسة بالاستياء وعنفه بعضهم في قما فعاد الى القاهرة يجر خلفه اذبال الخزي والعار . وقد عز عليه ذلك فسافر برسالة من رئيسه ساكن قصر الفاتيكان الى نجاشي الاحباش منليك الثاني في مهمة ظاهرها سياسية يطلب اطلاق مراح الاسرى الايطاليين وباطنها السعي لدى منليك لادراك بعض المزايا الدينية فتخوف بعض كبار الاقباط من هذا

الأمر ولبثوا في قلق حتى قدم كبير حبشي من بلاده الى الدار البطريركية فسئل عن الحقيقة فاجاب « لا تخافوا لاننا نفضل ان نرى الموت الاحمر من ان نغير عقيدتنا الارثوذكسية » ثم قال « حدث في عهد مليكنا السابق يوحنا ان شذت فيئة واعتنقت المذهب الكاثوليكي وشيدت لها كنيسة فلما علم بهم أمر بقتلهم وهدم كنيستهم وهدد كل حبشي يعتنق ذلك المذهب بالموت ومن ذلك الحين وبلادنا نظيفة من ذلك المذهب »

وقد تحقق هذا القول فلم يفلح كيرلس مقار في مهمته مع ما تجشمه من الصعاب والاهوال فكان له ذلك عظة وعبرة وأدرك انه أخطأ في ترك عقيدة آباءه الارثوذكسية وجاهر بذلك امام كثيرين من أصدقائه الاخصاء الذين أسر لهم نيته في العودة الى الكنيسة الاصلية فشاعت هذه الاخبار وبلغت مسامع اسقف رومية فعزله وعين آخر مكانه ومن ثم عزم على وضع كتاب في صحة العقيدة الارثوذكسية وموافقتها لاحكام المجامع المسكونية الثلاثة كل الموافقة بدون أقل انحراف فتوسط لديه كثيرون من قبل اسقف رومية لكي يمنع نشره أو يؤخره ولكنه نشره بالفرنساوية ودعا «الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة» نفى فيه عصمة البابا ورئاسته وأثبت فضل الكنيسة الارثوذكسية وأتى هذا الكتاب بنتيجة حسنة فانضم عقب ظهوره عدة عائلات من الاقباط الكاثوليك الى كنيستهم الاصلية نخص منهم بالذكر عائلة القمص بطرس العتر وعائلة الاشقر وعائلة نصر الله عريف وهذه العائلات الثلاث وحدها تشمل نحو مائة وخمسين نسمة والغريب انه بعد ظهور هذا الكتاب أقام الاقباط التابع لكيرلس مقار بعد وفاته جنازاً عاماً في كل الكنائس ومدحوه ومدحاً زائداً ناسين انه بكتابه استنكر قيام كنيسة خاصة منهم منفصلة عن كنيستهم الارثوذكسية

(٢) الدراسات البروتستانتية . دخل المذهب البروتستانتي الى مصر في

منتصف القرن التاسع عشر عند ما جاء مرسل امريكاني يدعى الدكتور لانسن وأقام بالاسكندرية وجاء بعده مرسل اسكوتلندي هو الدكتور يوحنا هوج وبعد ما لبثا بالاسكندرية مدة أخذوا يطوفان البلاد راكبين النيل يدعوان الى

مذهبهما . وفي سنة ١٨٦٢ م جعلوا موضع تبشيرها القاهرة . وبعد ذلك انطلق
الدكتور هوج الى اسيوط سنة ١٨٦٥ واتخذها مقر عمله واستطاع ان يؤسس
بها كنيسة بروتستانية سنة ١٨٦٧ م

وذكر في كتاب «الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة» ان بعض البروتستانت
تجروا في اسيوط على الهجوم على كنيسة ليلا وكسروا ايقوناتها فشكاهم الباي
ديتريوس الثاني للخديو فاصدر أمراً بنفيهم الى البحر الابيض فالتجأوا الى قنصل
الدول طالين حمايتهم فلبت طلبهم ودفعت عنهم قصاص النفي فكان ذلك
داعياً الى زيادة البروتستانت ولاسيما في اسيوط « وانشق من المذهب البروتستانتى
مذاهب أخرى كالبهوسى والاصلاحي والسبتى والرسولى والحافى وغيرها

.....

الخاتمة

بين الماضى والحاضر

○○○○○○

- (١) الابروشيات (٢) الكنائس (٣) الأديرة (٤) اللغة القبطية
- (٥) الوعظ والمدرسة الاكليريكية

○○○○○○

(١) الابروشيات . كثرت الابروشيات في القطر المصرى بكثرة عدد المؤمنين

حتى بلغت ١٦٨ ابروشية في القرن الثامن ثم اخذت تتناقص الى ان صارت ١١٠ في القرن العاشر حسب جدول جرجس بن مسمود الشهير بابي المكارم ثم الى ٥٢ في القرن الحادي عشر والثاني عشر واليك أسماؤها . أولا — في الوجه البحري — ١ — سخا — ٢ — تليس — ٣ — تلبانة — ٤ — ابوصير — ٥ — منوف — ٦ — نوسا — ٨ — نمرود — ٨ — بنسا — ٩ — دمنهور — ١٠ — مرسينا — ١١ — اريب — ١٢ — سمند — ١٣ — دمياط — ١٤ — دميرة — ١٥ — سهرجت — ١٦ — طنطا — ١٧ — البرلس — ١٨ — صا — ١٩ — خربتا — ٢٠ — مصيل — ٢١ — رشيد — ٢٢ — بلبيس — ٢٣ — قطور — ٢٤ — دقيرة — ٢٥ — و — ٢٦ — الواحات — ٢٧ — سنجار

ثانيا في الوجه القبلي — ٢٨ — اطفيج — ٢٩ — اهناس — ٣٠ — القيس — ٣١ — طحا — ٣٢ — انصنا — ٣٣ — اسيوط — ٣٤ — قاو — ٣٥ — البلينا — ٣٦ — القصير — ٣٧ — طمويه — ٣٨ — الفيوم — ٣٩ — البهنسا — ٤٠ — الاشمونين — ٤١ — فسقام — ٤٢ — شطب — ٤٣ — اخميم — ٤٤ — هو — ٤٥ — ارميت — ٤٦ — اسنا — ٤٧ — دندرا — ٤٨ — اسوان — ٤٩ — قوص

وكان في مصر ثلاث ابروشيات ... ٥٠ ... مصر ... ٥١ ... الجزيرة ... ٥٢ ... الخندق

وما يأتي ننقله عن كتاب « خلاصة تاريخ المسيحية في مصر » « واستمرت الابرشيات في التناقص الى ان باتت ١٧ ابروشية فقط في القرن السابع عشر وهي الآن ١٤ ابروشية كما يؤخذ من الجدولين الآتيين : —

في القرن السابع عشر	في القرن العشرين
(١) الاسكندرية — ٢	صارت الآن هذه الابرشيات
البحيرة — ٣ منوف	الثلاث يرأسها مطران مقره الاسكندرية وهي ابروشية الاسكندرية والبحيرة والمنوفية وبعض مدن في مديرية الغربية والاديرة البحرية
٤ — دمياط والمنصورة	٢ — صارت ابروشية واحدة يرأسها مطران
٥ — بلبيس — ٦ — اطفيج	مقره المنصورة وهي ابروشية القليوبية والدقهلية

والغربية والشرقية والقنال والاراضي المقدسة
وتدعى ابروشية الكرسي الاورشليمي

٣ - صارت اسقفية الفيوم والجيزة برأسها

اسقف مقره الفيوم

٤ - الآن ابروشية بني سويف والبهنسا

برأسها مطران مقره بني سويف

٥ - الآن ابروشية المنيا والاشمونين برأسها

مطران مقره المنيا

٦ - الآن ابروشية صنبو وقسقام برأسها

مطران مقره صنبو

٧ - الآن ابروشية منفلوط وابنوب

برأسها اسقف مقره منفلوط

٨ - الآن ابروشية اسيوط برأسها مطران

مقره اسيوط

٩ - الآن ابروشية ابي تيج برأسها مطران

مقره ابو تيج

١٠ - الان ابروشية مركز جرجا وبندره

بهجوره وفرشوط برأسها مطران مقره جرجا

١١ - ابروشية اخميم وتشمل مركزى اخميم

وسوهاج برأسها مطران مقره اخميم

١٢ - ابروشية البلينا وتشمل مركز البلينا

برأسها مطران مقره البلينا

١٣ - ابروشية قنا برأسها مطران مقره قنا

١٤ - ابروشية اسنا برأسها مطران مقره اسنا

٧ - الفيوم

٨ - البهنسا

٩ - الاشمونين ١٠ - ملوي

١١ - قسقام

١٢ - منفلوط

١٣ - اسيوط

١٤ - ابو تيج

١٥ - طها

١٦ - جرجا

١٧ - نقاده

(٢) الكنائس . كانت الكنائس القبطية عقب دخول المسيحية مصر

ورغمًا عن اضطهاد الوثنيين لمعتنقى تلك الديانة حتى بلغ عددها عند دخول

الاسلام مصر زهاء ال ١٥ الف كنيسة . غير انها لبثت تتضاءل تحت عنفوان التخريب والتدمير وتحويلها الى مساجد حتى انتهى عددها الان الى ٤٦٠ كنيسة بالقطر المصري و ١٠ كنائس بكرسي النوبة . ويجدر بنا ان نذكر هنا ماقاله المستر بتار المؤرخ الانكليزي عن الكنائس القبطية في مؤلفه عنها : —

« واذا انت طفت الكنائس المصرية ودخلت اصغر واحقر كنيسة من الكنائس رأيت علامات الرجاء والامل تبدو على جدرانها وقاما شاهدت فيها صورة تشير الى جهنم أو الى عذاب مقبل بل قاما تجد فيها تمثال هجمة باهتة ولاهيكل عظام عار مما يشير الى آلام وسقام ولسكن ترى شهداءها تبسم تماثيلهم المرسومة على الجدران كأن ماقاسوه من العذاب والاضطهاد لم يكن شيئاً يذكر بل اصبح نسياً منسياً . وهناك نشاهد القديسين الابطال مصورين بشكل يدل على انهم قتلوا ثعباناً أو أحد رؤساء هذا العالم الشرير دون ان يجدوا في قتله عناء يذكر اما آلامهم واوجاعهم فليس لها اثر في ذلك الرسم كما لا تجد صورة تمثل الخاطيء بعد موته مما تشرق منه النفس وتتكشف لمراه الروح » اهـ (٣) الديرية . وقد بلغت في العصور الاولى بضع مئات ولسكن جلمها قد

اندر ولم يبق منها غير سبعة اديرة منها اربعة بوادي النصارون وهي دير العذراء بالبرموس ، ودير العذراء المعروف بدير السريان ، ودير انبا بشوى ، ودير انبا مقار ، وثلاثة بالوجه القبلي وهي ، دير انبا انطونيوس ، ودير انبا بولا ، ودير العذراء بالحرق ، وتوجد بالقاهرة خمسة اديرة للراهبات هي . دير ماري جرجس ، ودير ابي سيفين بمصر القديمة ، ودير الامير تادرس بحارة الروم ، ودير مار جرجس ، ودير العذرا بحارة زويلة

(٤) اللغة القبطية . اما عن اللغة القبطية فقد ذكر ابو المسكارم في تاريخه عادة وهي لا تزال جارية في اسناوهي ان المسيحيين يحضرون في اعراس المسلمين ويرأسون زفاف العريس في الشوارع ويتلون نصوصاً وحكما باللغة القبطية الصعيدية . وكان اهالي منقباد منذ ١٣٠ سنة يتكلمون بالقبطية وروي ان سيدة قبطية غطت طفلا لها في نهر النيل وقالت بالقبطية ما معناه « هذا هو ابني الحبيب الذي به

مررت» فسمعها احد الحكام وظن انها تسبه فاستصدر أمراً بعدم جواز استعمال هذه اللغة . وكانت عدد القبازية بالمديريات منذ نحو ثلاثين سنة مرسوماً عليها الارقام القبطية .

الا ان هذه اللغة نهضت بعد كبوتها في منتصف الجيل التاسع عشر فنبغ فيها كثيرون منهم عريان افندى جرجس مفتاح المتوفي سنة ١٨٨٨ م والايقومانوس فيلوثاؤس رئيس الكنيسة الكبرى والقمص تسكلا والمعلم قزمان وبرسوم افندى الراهب في زمن رئاسة البابا كيرلس الرابع فوضعوا فيها كتباً ناقصة ونبغ فيها ايضاً القمص عبد المسيح المسعودي واقلوديوس بك لبيب والدكتور ابراهيم حامى ونجيب افندى سمعان ولا يزال نهوضها بطيئاً لضعف الروح القومية في نفوس الاقباط

(٥) الوعظ والمدرسة الكاثوليكية . بعد انقطاع صوت الوعظ من كنيستنا

مدة ١٤٠٠ سنة لداعي تعطيل المدرسة اللاهوتية الاولى التي انشأها مارمرقس الرسول رأى غبطة البابا كيرلس الخامس حاجة الكنيسة والأمة لهذه المدرسة فأنشأها للمرة الاولى سنة ١٨٧٥ م وكان طلابها من رهبان الاديرة فلم يقبل عليها منهم الا النذر اليسير ولم تعش أكثر من بضعة شهور ثم اعيد افتتاحها من جديد في سنة ١٨٩٣ م واختير لها اثنا عشر طالباً من طلبة المدرسة الكبرى وقتئذ واسندت رئاستها للطبيب الذكر المرحوم يوسف بك منقريوس وتقرر ان تدرس فيها اللغات القبطية والعربية والانجليزية والرياضة . وكان مركز المدرسة سنة افتتاحها بالفجالة (مكان مدرسة البنات الان) وبعد سنة انتقلت الى الدار البطريركية ثم الى دار في سوق القبيلة واعيدت الى الدار البطريركية . وبعد ذلك اشترت لها سراي مهمشة في سنة ١٩٠٢ م وانتقلت المدرسة اليها في سنة ١٩٠٤ م ثم اعيدت تالفة الى الدار البطريركية واخيراً نقلت نهائياً الى مهمشة في سنة ١٩١٢ م ولا تزال بها الى الان وقد اندمج ضمن طلابها في خلال هذه المدة نحو ٤٠٠ طالب والذين تخرجوا منها هم الذين يرون الان في الكنائس والجمعيات والمدارس قحوباً وشامسة ووعاظاً ومعلمين للدين والذين لولاهم لبقيت الكنيسة كما

كانت قبل انشاء المدرسه الاكثريكية خالية من الوعظ والتعليم والمؤلفات الدينية
وفي سنة ١٩١٨ توفي يوسف بك منقريوس فاسند غبطة البابا رئاستها
لحضرة اللاهوتي البارع الشماس حبيب افندي جرجس اول خريجي للمدرسة
فنجحت في عهده نجاحاً باهراً وتقدمت تقدماً محسوساً يذنب بانها تسعى بخطى
واسعة لاعادة مجدها المآلق. ولصاحب هذا الكتاب الفخر بانه أحد الذين تخرجوا
في اول سنة من عهد رئاسة هذا الشماس الفاضل سنة ١٩٢٠ م (انتهى)

.....



« نيافة الاب الجليل والخبر النبيل الانبا توماس مطران كرسي المنيا والاشمونين »

هو الرجل العظيم الذي قام باعمال جليلة جعلت لكنيسة مقاماً عالياً . تفتينا
عن اذاعة فضله تلك السكتائس والمدارس العديدة التي شيدها والتي تشهد له بانه
ممن يهتمون بالباقي لا بالفاني . هذا فضلا عن تشجيعه للعلم واهتمامه بنصر الوعظ

في دائرة ابروشيته حتى يصح ان يقال انه ما من مشروع علمي نافع للكنيسة
الا وله اليد الطولى في انجازه أمد الله في حياته وجعله قدوة للاخرين في خدمة
الصالح العام



« حضرة الامونى البارح حبيب لفتدي جرجس ناظر المدرسة الاكليريكية »

هو أول من رفع صوت الوعظ عالياً في كنيستنا بعد انقطاعه مدة أجيال
طويلة وقد أنجب تلامذة كثيرين يعملو صوتهم بالوعظ في أغلب مدن القطر .
وهو يبذل في كل يوم من جهده وقوته ليرفع شأن أمته بمواهبه العلمية .
وتفنينا مجلة السكرمة الدائمة الصيت ومجهوداته العظيمة في اصلاح المدرسة
الاكليريكية عن الأطناب والمدح . أبقاه الله لخير كنيسته وأطانه على اتمام
ما يحمل للكنيسة في صدره من الأمانى المقدسة

اصلاح الخطأ

جاء بص : سطر ٤ وبكثرة وصحتها وإشجيرة و٢٣ : ١٤ بعض « بعضاً » و٣١ : ١٢ يذكرها
« يذكرها » و٣١ : ٢٣ يكتفي « يكتف » و٢٥ : ٢٣ رأسياً « رأساً » و١٤ : ٤١ عوملاً « عوملاً »
و٥٧ : ٤ يمدون - يرشدون « يمدوا ويرشدوا » و٦٣ : ٧ و٨ و٦٣ : ١٤ و١٢ با - يايوس
« يايوس » و٧٠ : ١٣ ترخي « ترخي » و٨٤ : ٧ يتكر فيه « يشكر فيها »
و١٠٠ : ٩ علي بالظمن « علي الظمن » وان ١ : ١٢ أنتمسكما « نقيكما » و١١١ : ٩ صامتين
« صامتون » و١١٩ : ١٧ كتاب « كتاباً » و١٣٨ : ٢١ رجوعاً « رجوع » و٢٣٥ : ٢١
المضطهدين « المضطهدون » و٢٦٥ : كل « كلا » و٢٨٥ : ١ و٢٨٩ : ١٠ الاتني « الاتنا »
و٣١٣ : ٨ مليوناً واحداً مستخيراً « مليون واحد - ستير » و٣٠٩ : ١١ مندوبو « مندوبي »
و٣٥٥ : ١٧ انسان « انساناً » و٥٢٦ : ١٨ الثلاثة « الثلاث » و٥٦٤ : ١٢ شديدين « شديدان »
و٦٨٨ : ١٨ طائل « طائلاً »

هذا لا غير مالا يخفى على المطالع الفطن

○○○○○○